دِراساتٌ

في عِلمِ العَقِيدَة

الجُزءُ الأوَّل

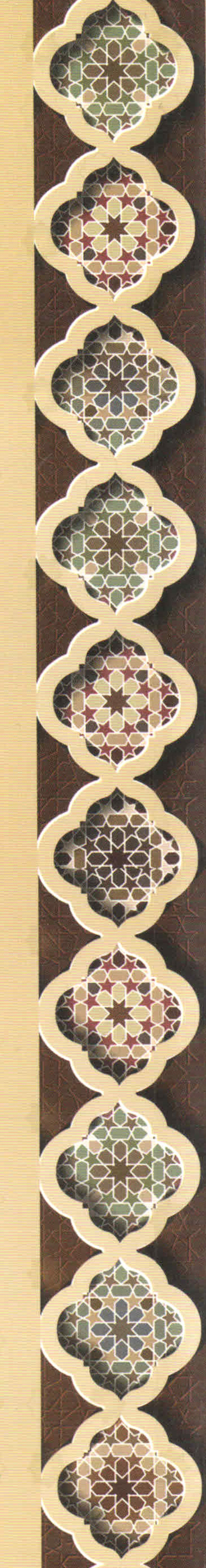
مُقدّمات في عِلمِ العَقِيدَة، توحيد الرُّبُوبيَّة، توحيد الأسماء والصِّفات

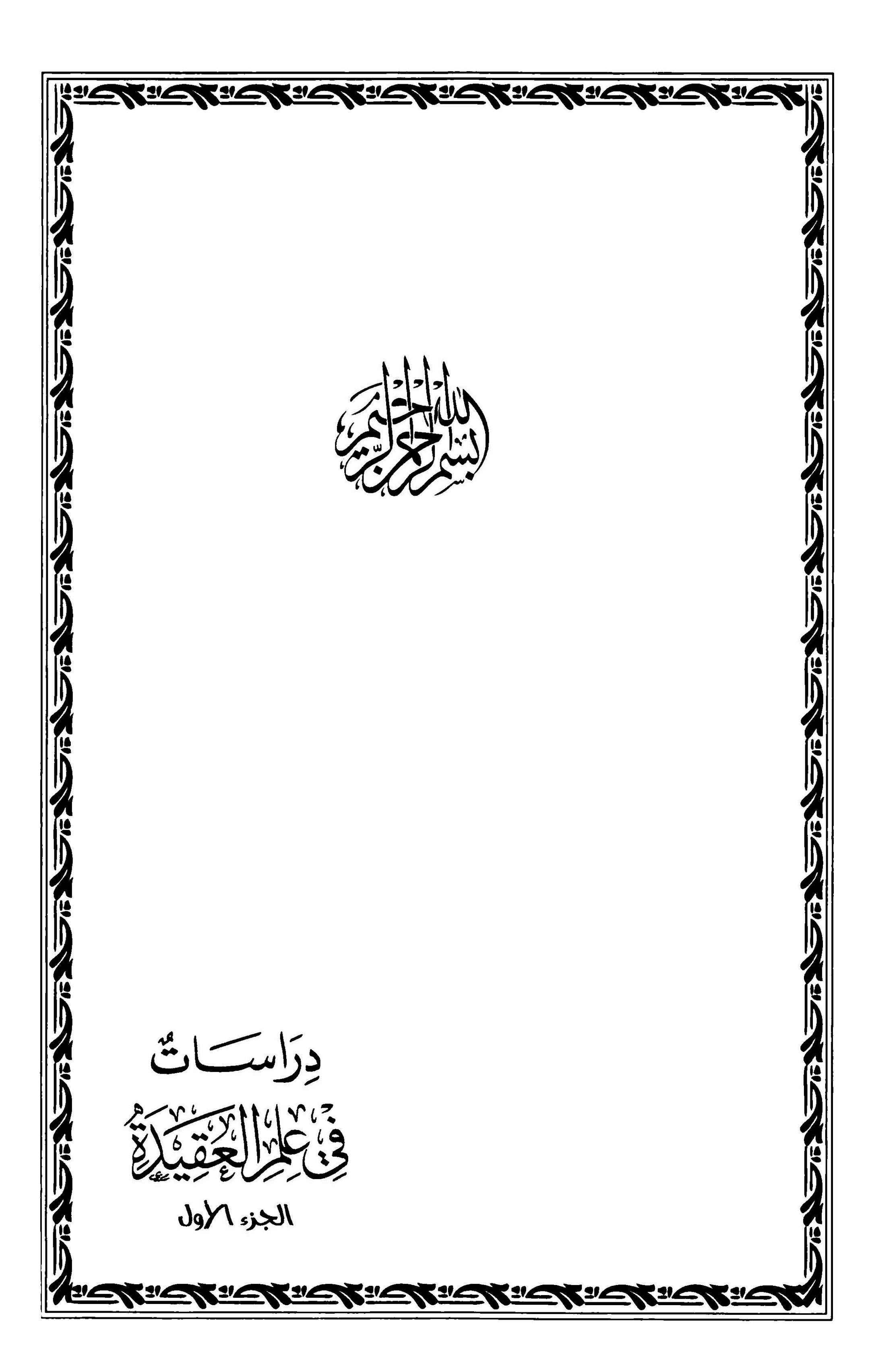
تأليف

أ. د. ناصِر بن عبد الله القِفارِي

جامعة القصيم كليّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة






بسم الله الرحمن الرحيم
دراسات
في علم العقيدة
الجزء الأول



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القفاري، ناصر بن عبد الله.
دراسات في علم العقيدة/ ناصر بن عبد الله القفاري - الرياض، ١٤٤٢هـ.
٤ مج.
ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)
١- العقيدة الإسلامية. أ- العنوان.
ديوي: ٢٤٠ ١٤٤٢/٦٩٦٩

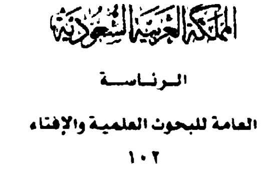
رقم الإيداع: ١٤٤٢/٦٩٦٩ ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م



دار العقيدة للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف 0503310067

المملكة العربية السعودية
الرئاسة
العامة للبحوث العلمية والإفتاء
١٠٢



الرقم : ....
التاريخ : ....
المشفوعات : ....
الموضوع : ....

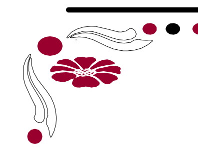
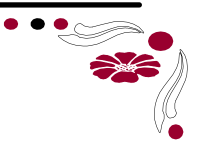
الحمد لله . والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد : فقد اطلعت على كتاب (دراسات في علم العقيدة) بأجزائه الأربعة لفضيلة الدكتور : ناصر بن عبدالله القفاري الأستاذ بجامعة القصيم . فوجدته كتابا جيدا مفيدا في موضوعه يجدر بكل طالب علم الاطلاع عليه . فجزاه الله خير الجزاء ونفع بعلمه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

١٤٤١/٦/٢هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذا هو الجزء الأول من سلسلة **(دراسات في علم العقيدة)**[(١)]، وُضِعَ وَفْق الخطة الدراسية لتخُّصص الشريعة والدراسات الإسلامية، الموافقة للمعايير الأكاديمية لمحتوى برامج الشريعة في مؤسسات التعليم العالي المعتمد في الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي.

❐ **يتناول الموضوعات التالية:**

■ **الفصل الأول:** مقدمات في علم العقيدة.

■ **الفصل الثاني:** توحيد الربوبية.

■ **الفصل الثالث:** توحيد الأسماء والصفات.

وفي مقدمة كلِّ فصل أهدافُه، وفي خاتمته ملخَّصٌ لأهم مسائله، مع أسئلة تطبيقية.

وتعتمد مادة هذا الكتاب في نصوصها - أولًا - على الكتاب والسنة؛ لأن الاعتقاد لا يُؤْخذ إلا عن الله ورسوله، ثم الرجوع إلى ما قرره سلف الأمة

---

(١) طبع هذا الكتاب - أولًا - ضمن كتاب «التوحيد ونواقضه» - طبعة دار العقيدة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م - ثم طبع بعد تحرير وزيادة ضمن كتاب «التوحيد حقيقته وأنواعه» - طبعة دار العقيدة ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م - ثم تم تقسيمه على قسمين وَفْق المنهج الجديد بعد استكمال جميع مسائل المنهج، وتسميته مع بقية الأجزاء الأربعة الشاملة لجميع المنهج باسم «دراسات في علم العقيدة»، وهو هذه الطبعة.

وأئمتها؛ لأن علمهم قبسٌ من مشكاة النبوة، وقد عمدت إلى نقل نصوصهم بحروفها؛ ليتعوَّد الطالب على فهم كلامهم؛ ولأن كلام السابقين - وإن كان قليل اللفظ - فهو كثير البركة.

واللهَ تعالى أسأل أن يجعله لوجهه خالصًا، ولسنة نبيه ﷺ موافقًا، ولعباده نافعًا.

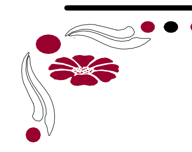
وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري
n0380@hotmail.com



الفصل الأول

مقدمات في علم العقيدة

الفصل الأول

❁ **ويشتمل على ما يلي:**

١- بيان معنى العقيدة؛ لغة واصطلاحًا.

٢- التعريف بعلم العقيدة وموضوعه وأسمائه وعلاقته بالعلوم الأخرى.

٣- بيان وَحْدة دين الرسل وتنوُّع شرائعهم.

٤- حكم تعلُّم علم العقيدة وفضله وثمرته.

٥- تاريخ تدوين علم العقيدة ومراحله والأسباب الداعية للتدوين.

٦- منهج السلف في تدوين علم العقيدة وأهم الكتب المؤلَّفة فيه.

٧- المراد بأهل السنة والجماعة وألقابهم وخصائصهم.

٨- منهج القرآن الكريم في الدعوة للعقيدة.

٩- خصائص منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد.

١٠- مصادر تلقِّي العقيدة الأصلية والفرعية.

١١- مصادر التلقي عند المخالفين إجمالًا وموقف أهل السنة منها.

١٢- مناقشة دعوى عدم الاستدلال بأخبار الآحاد في العقيدة إجمالًا.

١٣- مناقشة دعوى تعارض العقل مع النقل.

١٤- أركان الإيمان تعريفها وأهميتها والأدلة عليها إجمالًا.

١٥- التوحيد؛ المراد به وأقسامه مع الأدلة.





المبحث الأول

معنى العقيدة لغة واصطلاحًا

۞ أولًا: معنى العقيدة لغة:

العقيدة لغة: مشتقة من عقد، يقال: عقد قلبه على الشيء: لزمه فلا ينزع عنه، والعقد: ربط الشيء بالشيء مع شَدٍّ وإحكام، والعقيدة: ما يدين به الإنسان، ويعقد عليه قلبه[(١)].

۞ ثانيًا: معنى العقيدة اصطلاحًا:

العقيدة في الاصطلاح تطلق بإطلاقين:

الأول: عامٌّ، وهو ما يعتقده المرء، ويدين به؛ سواءٌ كان حقًّا أو باطلًا؛ فالاعتقاد الحق كوحدانية الله جلَّ وعلا، والاعتقاد الباطل كاعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة!!

قال ابن حزم: «الاعتقاد هو استقرار حكم بشيء ما في النفس... ويكون إما حقًّا أو باطلًا»[(٢)].

والثاني: خاصٌّ، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ٨٦)، لسان العرب (٤/ ٣٠٣٢)، المطلع على ألفاظ المقنع (ص٤٩٩)، المصباح المنير (٢/ ٤٢١).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٣٩).

والقدر خيره وشره؛ لأن الاعتقاد بالمعنى الخاص يرادف معنى الإيمان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»: «اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره»[(١)]، وقال الحافظ ابن رجب: «أما الإيمان، فقد فسره النبي ﷺ في هذا الحديث بالاعتقادات الباطنة، فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(٢)].

ولفظ (العقيدة) وإن لم يرد -بهذه الصيغة- في الكتاب ولا في السنة، لكن معناه حق، قال الشيخ بكر أبو زيد: «انتشر لفظ (العقيدة) على (التوحيد) ولا وجود لهذا الإطلاق (العقيدة) على هذا المعنى في نصوص الوحيين، لكن لا نزاع في تسويغه»[(٣)]، لكن أصل الكلمة ورد في السنة، ففي حديث زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يعتقد قلب مسلم على ثلاث خصال، إلا دخل الجنة**» قال: قلت: ما هن؟ قال: «**إخلاص العمل، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط مَنْ وراءهم**»[(٤)].

وقد شاع عند العلماء تسمية مصنفاتهم بهذا الاسم (عقيدة، اعتقاد)، مثل: «اعتقاد أئمة الحديث» للإسماعيلي (ت٣٧١هـ)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، للالكائي (ت٤١٨هـ)، و«عقيدة السلف وأصحاب الحديث»، للصابوني (ت٤٤٩هـ)، و«الاعتقاد» للبيهقي (ت٤٥٨هـ)، و«لمعة الاعتقاد»، لابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، و«الدرة المضيَّة في عَقْدِ الفرقة المرضيَّة»، للسفاريني (ت١١٨٨هـ)، وغيرها كثير.



(١) العقيدة الواسطية (ص٥٤).
(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٢).
(٣) معجم المناهي اللفظية (ص٦٦٠).
(٤) أخرجه الدارمي في سننه (ح٢٣٦).



المبحث الثاني

التعريف بعلم العقيدة وموضوعه وأسمائه وعلاقته بالعلوم الأخرى

۞ أولًا: التعريف بعلم العقيدة:

هو علم يُعْنى ببيان أصول الاعتقاد ومسائله ودلائله، والرد على المخالفين.

۞ ثانيًا: موضوع علم العقيدة:

موضوع علم العقيدة؛ هو أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، ويتبع ذلك العقيدة في الصحابة وآل البيت والإمامة، ونحو ذلك من الأصول التي خالف فيها بعض أهل البدع.

ويبين الإمام ابن أبي العز الحنفي موضوع علم العقيدة، وطريقة ترتيب مباحثه، فيقول: «وأحسن ما يرتَّب عليه كتاب أصول الدين، ترتيب جواب النبي ﷺ لجبريل عليه السلام، حين سأله عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر**» الحديث[(١)]، فيبدأ بالكلام على التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك، ثم بالكلام على الملائكة، ثم، وثم إلى آخره»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (ح٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (ح٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٨٩).

۞ ثالثًا: أسماء علم العقيدة:

من أهم هذه الأسماء التي أطلقت على علم العقيدة:

١- السنة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «خلق كثير صنَّفوا في هذه الأبواب [يعني أبواب الاعتقاد]، وسموا ذلك: كتب السنة؛ ليميزوا بين عقيدة أهل السنة، وعقيدة أهل البدعة»(١).

وقال الحافظ ابن رجب: «السنة: طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات، ثم صار معنى السنة في عرف كثير من العلماء المتأخرين(٢) من أهل الحديث وغيرهم: عبارة عما سَلِم من الشبهات في الاعتقادات - خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر - وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا العلم تصانيفَ وسمَّوها كتب السنة، وإنما خصُّوا هذا العلم باسم السنة؛ لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا هلكة»(٣).

ومن المصنفات بهذا الاسم: «أصول السنة» للإمام أحمد (ت٢٤١هـ)، و«السنة» لابن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ)، و«السنة» لعبد الله بن أحمد (ت٢٩٠هـ)، و«أصول السنة» لابن أبي زَمَنين (ت٣٩٩هـ)، وغيرها.

٢- الإيمان:

وأصل هذه التسمية حديث جبريل المشهور المتقدم، وفيه: «**الإيمان أن**

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٧).

(٢) يلاحظ أن تخصيص مفهوم السنَّة بأصول الاعتقاد بدأ في عصر متقدم؛ فالإمام ابن أبي عاصم (المتوفى سنة ٢٨٧هـ) يعرف السنة بمسائل العقيدة، انظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٦٤٥-٦٤٧).

(٣) كشف الكربة (ص١١-١٢).

تؤمن بالله...» الحديث[١]. ووجه تسميته: بذلك أن النبي ﷺ فسَّر الإيمان في هذا الحديث بالاعتقادات الباطنة[٢].

ومن المصنفات بهذا الاسم: «الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته»، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، و«الإيمان» لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، و«الإيمان» لابن أبي عمر العدني (ت٢٤٣هـ)، و«الإيمان» لابن منده (ت٣٩٥هـ)، و«الإيمان» لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، و«أصول الإيمان» للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ).

٣- أصول الدين:

الأصل في اللغة: هو ما يقوم عليه غيره، ويسمى هذا العلم بذلك؛ لأن فروع الدين تنبني عليه.

ومن الكتب المصنفة بهذا الاسم: «الإبانة عن أصول الديانة» لأبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ)، و«الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة» لابن بطة العكبري (ت٣٨٧هـ)، و«الوصول إلى معرفة الأصول»، لأبي عمر الطلمنكي (ت ٤٢٩هـ)[٣]، و«الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوي البدع والفضول»، لأبي الحسن الكَرْجي الشافعي (ت٥٣٢هـ)[٤].

٤- التوحيد:

وسمي هذا العلم بذلك؛ تسمية له بأشرف أجزائه، وهو التوحيد المتضمن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٢).

(٣) وهو غير مطبوع، ونقل منه نصوصًا كثيرة الإمامُ الذهبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم. انظر: العلو للعلي الغفار (ص٢٤٦)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٨٦)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٨٤).

(٤) الكتاب مفقود، ونقل منه شيخ الإسلام ابن تيمية نصوصًا كثيرة. انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٥)، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٩٥). وقد جمع هذه النصوص المتفرقة وألَّف بينها أ.د/ صالح سندي في كتاب أسماه: القطوف المجموعة من كتاب الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول.

للإقرار بوحدانية الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وسائر مباحث العقيدة - كالإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر والإمامة والصحابة - تعتمد عليه، فهو أساسها وجوهرها.

ومن الكتب المصنفة بهذا الاسم: «التوحيد» لابن خزيمة (ت٣١١هـ)، و«التوحيد» لابن منده (ت٣٩٥هـ)، و«التوحيد» لعبد الغني المقدسي (ت٦٠٠هـ)، و«التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ).

٥- الفقه الأكبر:

وسمي بالفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أبي حنيفة أنه قال: «الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم، ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه، خير من أن يجمع العلم الكثير»[(١)].

وقال ابن أبي العز: «هو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع؛ ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة -رحمة الله عليه- ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين: (الفقه الأكبر)»[(٢)].

ومن المصنفات بهذا الاسم: «الفقه الأكبر» المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة (ت١٥٠هـ)، و«الفقه الأكبر» المنسوب إلى الإمام الشافعي (٢٠٤هـ).

٦- الشريعة:

الشريعة في الأصل تشمل جميع ما شرعه الله تعالى، ثم خُصَّت بمسائل الاعتقاد عند طائفة من العلماء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اسم الشريعة والشرع والشِّرْعة، فإنه ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال. وقد صنف الشيخ أبو بكر الآجري «كتاب الشريعة»، وصنف الشيخ أبو عبد الله ابن بطة «كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» وغير ذلك. وإنما مقصود هؤلاء الأئمة في السنة باسم الشريعة: العقائد التي يعتقدها أهل السنة من

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص٣٢٠). (٢) شرح الطحاوية (١/ ٥).

الإيمان، مثل: اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل، وأن الله موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله خالق كل شيء، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كل شيء قدير، وأنهم لا يكفِّرون أهل القبلة بمجرد الذنوب، ويؤمنون بالشفاعة لأهل الكبائر، ونحو ذلك من عقود أهل السنة، فسموا أصول اعتقادهم شريعتَهم، وفرقوا بين شريعتهم وشريعة غيرهم، وهذه العقائد التي يسميها هؤلاء: الشريعة، هي التي يسمي غيرهم عامتَها العقليات وعلم الكلام، أو يسميها الجميع أصول الدين، ويسميها بعضهم الفقه الأكبر، وهذا نظير تسمية سائر المصنفين في هذا الباب كتاب السنة»[(١)].

ومن الكتب المصنفة بهذا الاسم (بالمعنى الخاص، وهو الاعتقاد): «الشريعة»، لأبي بكر الآجري (ت٣٦٠هـ)، و«الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية»، لابن بطة العكبري (ت٣٨٧هـ)، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

علم الكلام:

يسمي بعضهم هذا العلم باسم (علم الكلام)، قال الآمدي: «العلم الملقَّب بعلم الكلام، الباحث في ذات واجب الوجود، وصفاته، وأفعاله، ومتعلَّقاته»[(٢)]، وقال العضد الإيجي: «علم يُقْتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه»[(٣)]، وقال الغزالي: «مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة، وحراستها عن تشويش أهل البدعة»[(٤)].

وتسمية علم التوحيد علمَ الكلام خطأ؛ لأن الفرق بين علم التوحيد وعلم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٦-٣٠٧).

(٢) أبكار الأفكار في أصول الدين (١/ ٦٨)، وانظر: مقدمة ابن خلدون (٢/ ١٨٥)، شرح المقاصد في علم الكلام (١/ ٦).

(٣) المواقف (ص٣١).

(٤) المنقذ من الضلال (ص١١٨).

الكلام كالفرق بين الثرى والثريا، فعلم الكلام مصدره عقول البشر وفلسفات الهند واليونان، وأما علم التوحيد فمصدره الوحي، وعلم الكلام قد ذمه السلف وحذروا من الاشتغال به، قال الإمام أحمد بن حنبل: «لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل»[(١)].

وأما علم التوحيد فهو أول واجب على المكلف، وأصل دعوة الرسل، وعلم الكلام يؤدي بصاحبه إلى الحيرة والشك، كما اعترف بذلك كبارهم، حتى قال الرازي: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن»[(٢)]. وأما علم التوحيد فيؤدي إلى الإيمان واليقين؛ ولهذا قال ابن أبي العز: «وإنما سمي هؤلاء (أهل الكلام)؛ لأنهم لم يفيدوا علمًا لم يكن معروفًا، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد»[(٣)]، بل قد يضر، أو لأنهم تكلموا حيث سكت السلف، قال مالك بن أنس: «إياكم والبدعَ، قيل: يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان»[(٤)].

۞ رابعًا: علاقة علم العقيدة بالعلوم الأخرى:

علاقة علم العقيدة بعلم التفسير:

يتجلى ذلك من خلال ما قرره أهل العلم من أن القرآن كله في التوحيد، قال ابن القيم: «إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، **فإن القرآن:**

١- إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ١٧-١٨).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٤٤).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٤٢).

(٤) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٧).

٢- وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

٣- وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته.

٤- وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

٥- وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[(١)].

كما أن القرآن الكريم قد تناول بقية أركان الإيمان بالبيان والإيضاح، وهذه الآيات تناولها علماء التفسير بالشرح والبيان.

علاقة علم العقيدة بعلم الحديث:

السنة مبينة للقرآن، والقرآن كله في التوحيد كما مر، فالسنة مبينة لفصول الاعتقاد التي تضمنها القرآن، فـ«النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا»[(٢)]، قال السيوطي: «وقد صرح ابن تيمية... وغيره بأن النبي ﷺ بين لأصحابه تفسير جميع القرآن أو غالبه»[(٣)]، وقال الإمام ابن القيم: «فكما بلغ الرسول ألفاظ القرآن للأمة بلغهم معانيه، بل كانت عنايته بتبليغ معانيه أعظم من مجرد تبليغ ألفاظه، ولهذا وصل العلم بمعانيه إلى من لم يصل إليه حفظ

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤١٧-٤١٨)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ٤٢-٤٣)، تيسير العزيز الحميد (ص٢٢).
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣١).
(٣) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢٩٩).

ألفاظه»[١]، و«الصحابة بلغوا عن النبي ﷺ لفظ القرآن ومعانيه جميعًا، كما ثبت ذلك عنهم»[٢].

فقد تضمنت السنة النبوية كثيرًا من الأحاديث العقدية التي تبين أصول الاعتقاد وأركان الإيمان، وقد أفرد كثير من أئمة السنة تراجمَ مخصوصةً بأبواب الاعتقاد، وصنفوا الكتب المسندة في بيان اعتقاد أهل السنة مستدلين عليها بالأحاديث النبوية والآثار السلفية.



(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٦٣٦).
(٢) بغية المرتاد (ص٣٣٠).



المبحث الثالث

بيان وحدة دين الرسل وتنوع شرائعهم

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]، قال أهل التفسير: شرع لكم ولمن قبلكم دينًا واحدًا[١].

وهذا الدين هو دين الإسلام، «الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد دينًا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو دين الأنبياء وأتباعهم، كما أخبر الله تعالى بذلك عن نوح ومن بعده إلى الحواريين، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧١ - ٧٢]، وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢]، وقال تعالى عن يوسف الصِّدِّيق: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى

(١) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ٤٦)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٦٠٧).

ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال تعالى عن موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وأخبر تعالى عن السحرة، أنهم قالوا لفرعون: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وقال تعالى عن بلقيس ملكة اليمن: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال تعالى عن أنبياء بني إسرائيل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى عن المسيح: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١]، فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم هو دين الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وعبادته تعالى في كل زمان ومكان، بطاعة رسله عليهم السلام»[(١)].

والإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وفي الحديث الصحيح: «**الأنبياء إخوة لعلّات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»[(٢)]، أي: كأبناء أمهات شتى من رجل واحد، والمقصود: أن الأنبياء بعثوا متفقين في أصول التوحيد، مختلفين في فروع الشرع.

وأعظم أصول التوحيد التي اتفق عليها الرسل -عليهم الصلاة والسلام- الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وكذلك يتفق الرسل في أصول التشريعات ومقاصدها العامة؛ كحفظ

---

(١) الجواب الصحيح (١/ ٨١-٨٣).
(٢) أخرجه البخاري (ح٣٤٤٣).

الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل، وكذلك أصول المحرمات وأمهاتها؛ كالإشراك بالله، والزنا، وقتل النفس بغير حق، وأكل مال الغير، وشهادة الزور، وغيرها، وأصول الأخلاق؛ مثل: الصدق، والعدل، والإحسان، والعفاف، والبر، والرحمة، وغيرها.

وأما الاختلاف بينهم ففي الشرائع، والمناهج، والأحكام الفرعية، كما قال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «دين الأنبياء واحد، وملتهم واحدة وهي الأمة، وإنما تنوعت شرائعهم ومناهجهم»[١].



(١) الرد على الإخنائي (ص٤٧٣).



المبحث الرابع

حكم تعلُّم علم العقيدة وفضله وثمرته

۞ أولًا: حكم تعلم علم العقيدة:

لا خلاف أن تعلم علم العقيدة فرض، لكن هل هو فرض عين أم فرض كفاية؟ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «طلب العلم الشرعي فرض على الكفاية إلا فيما يتعين؛ مثل طلب كل واحد علم ما أمره الله به وما نهاه عنه؛ فإن هذا فرض على الأعيان»(١).

فتعلم أصول علم العقيدة على سبيل الإجمال فرض عين على كل مسلم، وأما تعلم العقيدة تفصيلًا بأدلتها ففرض كفاية إن قام به من تحصل بهم الكفاية من المسلمين سقط الإثم عن الباقين، وإلا أثموا جميعًا؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢]. قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «لا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانًا عامًّا مجملًا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله ﷺ، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه، وعلم الكتاب والحكمة، وحفظ

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٨٠).

الذِّكْر، والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم»[(١)].

وأما ما يجب على كل أحد بعينه فهو يختلف باختلاف قدراتهم وحاجاتهم وعلومهم ووظائفهم؛ فإن الوجوب في الإسلام معلق على الاستطاعة، كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فيجب على من كان في دار علم وإيمان غير ما يجب على من كان في دار جهل وضلال، ويجب على من لديه شبهة تؤثر على إيمانه ما لا يجب على من ليس كذلك، ويجب على المفتي والقاضي ما لا يجب على عامة الناس، قال ابن أبي العز الحنفي: «وأما ما يجب على أعيانهم: فهذا يتنوع بتنوع قدرهم، وحاجتهم ومعرفتهم، وما أمر به أعيانهم، ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص، وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدث والحاكم ما لا يجب على من ليس كذلك»[(٢)].

۞ ثانيًا: فضل علم العقيدة:

علم العقيدة هو أشرف العلوم منزلة وأعلاها مكانة وأوجبها مطلبًا، ويتبين ذلك من خلال وجوه كثيرة، **منها:**

١- أنه يتعلق بأشرف معلوم، وهو الله جل جلاله[(٣)]، قال الإمام ابن رجب: «أفضل العلم العلم بالله، وهو العلم بأسمائه وصفاته، وأفعاله التي

(١) شرح الطحاوية (١/ ٧-٨).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٧-٨)، وانظر: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (١/ ٥٦-٥٨)، مسائل في طلب العلم وأقسامه، للذهبي (ص٢١٣-٢١٤)، ضمن ست رسائل للحافظ الذهبي، تحقيق: جاسم سليمان الدوسري.

(٣) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٥)، أحكام القرآن (٢/ ٣٣٨).

توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته، والتبتل إليه والتوكل عليه، والرضا عنه، والاشتغال به دون خلقه، ويتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتفاصيل ذلك»[(١)]، وقال الإمام ابن القيم: «أفضل العلم والعمل والحال العلمُ بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعمل بمرضاته، وانجذاب القلب إليه بالحب والخوف والرجاء، فهذا أشرف ما في الدنيا، وجزاؤه أشرف ما في الآخرة»[(٢)].

٢- أن «حاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه»[(٣)].

٣- أنه أول دعوة الرسل جميعًا، «فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته، من أولهم إلى آخرهم»[(٤)]، وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]»[(٥)]، فـ«جعل الله مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٤١).
(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص١١٤).
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٥-٦).
(٤) مدارج السالكين (١/ ١٢١).
(٥) شرح الطحاوية (١/ ٢١).

سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها»(١).

٤- أنه أول ما يؤمر به العبد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى...**»(٢).

٥- أن القرآن كله في التوحيد والدعوة إليه والتحذير مما يضاد أصله وكماله(٣)، كما مر.

٦- أن العلم به وتعلمَه أفضل الأعمال عند الله تعالى: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه...**»(٤)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «**إيمان بالله ورسوله**»(٥).

٧- أن قبول الأعمال متوقف على التوحيد، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، قال ابن الجوزي: «﴿فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً﴾؛ لأن العمل لا يتقبل مع الشرك»(٦)، وعن عائشة رضي الله عنها قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لا ينفعه؛ إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»(٧).

٨- أنه سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وعن عثمان رضي الله عنه، قال:

(١) شرح الطحاوية (١/ ٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٧-٤١٨).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١٢/ ٤٨٢)، وصححه محققوه.

(٥) أخرجه البخاري (ح٢٦)، ومسلم (ح٨٣).

(٦) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٣١٧).

(٧) أخرجه مسلم (ح٢١٤).

قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[(١)]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**»[(٢)].

۞ ثالثًا: ثمرة علم العقيدة:

تعلم العقيدة الصحيحة وتحقيقها في القلب له ثمرات عديدة، منها:

١- نزول البركات وحصول الحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال جل جلاله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩].

٢- اجتماع الأمة ووحدتها، قال جل وعلا: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٣- الأمن والنجاة في الآخرة، قال جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

٤- طمأنينة القلب وانشراح الصدر، قال سبحانه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح٤٤٩٧).

«إن ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم أهل السنة والجماعة من المعرفة واليقين والطمأنينة والجزم الحق والقول الثابت والقطع بما هم عليه أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين»[(١)]، ولهذا «تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالًا من قول إلى قول، وجزمًا بالقول في موضع، وجزمًا بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين»[(٢)].



(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٠).



المبحث الخامس

تاريخ تدوين علم العقيدة ومراحله والأسباب الداعية للتدوين

۞ أولًا: تاريخ تدوين علم العقيدة ومراحله:

المرحلة الأولى: بدأ التدوين في هذا العلم مختلطًا بعلم الحديث وكتب السنة الجامعة، حيث قام علماء الحديث بتدوين السنة النبوية والتي تتضمن أحاديث في موضوعات شتى، منها أحاديث تتعلق بمسائل العقيدة، كأبواب الإيمان والتوحيد والقدر والفتن والقيامة والجنة والنار[(١)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن كتب الصحاح والسنن والمسانيد هي المشتملة على أحاديث الصفات، بل قد بُوِّب فيها أبوابٌ، مثل: (كتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية) الذي هو آخر كتاب صحيح البخاري، ومثل: (كتاب الرد على الجهمية) في سنن أبي داود، وكتاب (النعوت) في سنن النسائي؛ فإن هذه مفردة لجمع أحاديث الصفات وكذلك قد تضمن (كتاب السنة) من سنن ابن ماجه ما تضمنه، وكذلك تضمن صحيح مسلم، وجامع الترمذي، وموطأ مالك، ومسند الشافعي، ومسند أحمد بن حنبل، ومسند موسى بن قرة الزبيدي، ومسند أبي داود الطيالسي، ومسند ابن وهب، ومسند أحمد بن

(١) للتفصيل والاستزادة انظر: منهج أهل السنة في تدوين العقيدة، د. ناصر الحنيني (ص٨١) وما بعدها.

منيع، ومسند مسدد، ومسند إسحاق بن راهويه، ومسند محمد بن أبي عمر العدني، ومسند أبي بكر بن أبي شيبة، ومسند بقي بن مخلد، ومسند الحميدي، ومسند الدارمي، ومسند عبد بن حميد، ومسند أبي يعلى الموصلي، ومسند الحسن بن سفيان، ومسند أبي بكر البزار، ومعجم البغوي، والطبراني، وصحيح أبي حاتم بن حبان، وصحيح الحاكم، وصحيح الإسماعيلي، والبرقاني، وأبي نعيم، والجوزقي، وغير ذلك من المصنفات الأمهات التي لا يحصيها إلا الله»[(١)].

المرحلة الثانية: إفراد علم العقيدة، أو باب من أبوابه، أو مسألة من مسائله بالتصنيف، ولعل أول من سبق إلى ذلك الإمام حماد بن سلمة (ت١٦٧هـ)، قال الإمام أبو يعلى: «ذكر إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي في كتاب العظمة بإسناده، عن أبي عمرو البصري، واسمه سهل بن هارون، قال: كان أول من خرج هذه الأحاديث أحاديث الرؤية، وجمعها من البصريين حماد بن سلمة، فقال له بعض إخوانه: يا أبا سلمة، لقد سبقت إخوانك بجمع هذه الأحاديث في الوصف، قال: سمعت حماد بن سلمة، يقول: إنه والله ما دعتني نفسي إلى إخراج ذلك إلا أني رأيت العلم يخرج، رأيت العلم يخرج، رأيت العلم يخرج، يقولها ثلاثًا وهو ينفض كفه، فأحببت إحياءه وبثَّه في العامة؛ لئلا يطمع في خروجه أهل الأهواء»[(٢)].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أشهر الأئمة الذين اعتنوا بجمع أحاديث الاعتقاد مفردة، فقال: «وقد جمع طوائف من العلماء الأحاديث والآثار المروية في أبواب عقائد أهل السنة، مثل: حماد بن سلمة، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وعثمان بن سعيد الدارمي، وغيرهم في طبقتهم، ومثلها ما بوَّب عليه البخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم في كتبهم، ومثل مصنفات أبي بكر الأثرم، وعبد الله بن

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٣١-٣٣٢). (٢) إبطال التأويلات (ص٥٠).

أحمد، وأبي بكر الخلال، وأبي القاسم الطبراني، وأبي الشيخ الأصبهاني، وأبي بكر الآجري، وأبي الحسن الدارقطني، وأبي عبد الله بن منده، وأبي القاسم اللالكائي، وأبي عبد الله ابن بطة، وأبي عمر الطلمنكي، وأبي نعيم الأصبهاني، وأبي بكر البيهقي، وأبي ذر الهروي، وإن كان يقع في بعض هذه المصنفات من الأحاديث الضعيفة ما يعرفه أهل المعرفة»[(١)].

المرحلة الثالثة: في القرن السابع صار للمبتدعة من أهل التشيع والتصوف والفلسفة والكلام ظهور وانتشار، فقيض الله للأمة أعلامًا كان لهم قدم صدق في الذَّبِّ عن السنة ومواجهة البدعة، كشيخ الإسلام ابن تيمية، ومن مصنفاته: منهاج السنة النبوية، ودرء تعارض العقل والنقل، وبيان تلبيس الجهمية، والتدمرية، والواسطية، والحموية، وغيرها.

وتلميذه الإمام ابن القيم (ت٧٥١هـ)، ومن مصنفاته: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، واجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية، وغيرهما.

وابن رجب (ت٧٩٥هـ)، ومن مصنفاته: تحقيق كلمة الإخلاص، وفضل علم السلف على علم الخلف.

والذهبي (ت٧٤٨هـ)، ومن مصنفاته: العلو للعلي الغفار.

وابن أبي العز الحنفي (ت٧٩٢هـ)، ومن مصنفاته: شرح العقيدة الطحاوية.

ثم تلا ذلك ظهور الشيخ الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ) بدعوته الإصلاحية التجديدية، ومن مصنفاته: التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وأصول الإيمان، وثلاثة الأصول، وكشف الشبهات، وغيرها.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٩).

وتلاه أئمة الدعوة النجدية، مثل: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٣٣هـ)، وله كتاب: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد.

وعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٨٥هـ)، صاحب كتاب: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وقرة عيون الموحدين.

وعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٩٣هـ)، صاحب كتاب: منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، ومصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام، وتحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس.

وتأثر بهذه الدعوة الإصلاحية عدد من العلماء في غير بلاد نجد، منهم:

❋ أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي (ت١٣٠٧هـ)، صاحب كتاب: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر.

❋ وأبو البركات نعمان بن محمود بن عبد الله الألوسي (ت١٣١٧هـ)، صاحب كتاب: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين.

❋ ومحمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي (ت١٣٢٦هـ)، صاحب كتاب: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان.

❋ وأبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت١٣٤٢هـ)، صاحب كتاب: غاية الأماني في الرد على النبهاني.

❋ وسار على دربهم علماء الأمة من المعاصرين، مثل الشيخ عبد الرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ)، ومحمد بن إبراهيم (ت١٣٨٩هـ)، ومحمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، وعبد العزيز بن باز (ت١٤٢٠هـ)، وابن عثيمين (ت١٤٢١هـ)، وصالح الفوزان، وعبد الرحمن البراك، وعبد العزيز الراجحي، وغيرهم كثير بحمد الله تعالى.

وكانوا -ولله الحمد- في تقرير العقيدة على منهج واحد، وعقيدة واحدة، قال الإمام أبو المظفر السمعاني: «ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد وفعلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيءٍ ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟!»(١).

ثم أنشئت الجامعات في العالم الإسلامي وتضمنت أقسامًا علمية متخصصة في علم العقيدة تخرج منها جملة من الأعلام الذين نفع الله بهم العباد والبلاد، وقام كثير منهم بتحقيق كثير من نفائس كتب التراث في هذا العلم، كما وضعوا كثيرًا من البحوث والدراسات التي عُنيت بتقرير اعتقاد أهل السنة، والذب عنه، والرد على مخالفيه.

وهكذا تتابع العلماء على التأليف في الاعتقاد، ونشر السنة، ومحاربة البدعة، وصدق فيهم قول الإمام أحمد: «يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحْيَوْه، وكم من ضال تائه قد هدَوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم»(٢).



(١) الانتصار لأصحاب الحديث (ص٤٥).
(٢) الرد على الجهمية والزنادقة (ص٥٥).

۞ ثانيًا: الأسباب الداعية لتدوين علم العقيدة:

من أهم الأسباب التي دعت أهل السنة إلى تدوين المصنفات في علم العقيدة ما يلي(١):

١- **أهمية تعليم الناس العقيدة الصحيحة**، اقتداء بالنبي ﷺ، فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حَزَاوِرة(٢)، «فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا»(٣)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن سلف الأمة وأئمتها ما زالوا يتكلمون ويفتون ويحدثون العامة والخاصة بما في الكتاب والسنة من الصفات، وهذا في كتب التفسير والحديث والسنن أكثر من أن يحصيه إلا الله»(٤)، وقال أيضًا: «وقد أوجب الله تعالى تبليغ ما بعث به رسله وأمر ببيان العلم، وذلك يكون بالمخاطبة تارة وبالمكاتبة أخرى، فإذا كان المبتدعون قد وضعوا الإلحاد في كتب، فإن لم يكتب العلم الذي بعث الله به رسوله في كتب لم يظهر إلحاد ذلك، ولم يحصل تمام البيان والتبليغ، ولم يعلم كثير من الناس ما بعث الله به رسوله من العلم والإيمان المخالف لأقوال الملحدين المحرفين»(٥).

٢- **ظهور البدع المخالفة للاعتقاد الصحيح**، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال [مالك]: جمعت هذا [يعني الموطأ] خوفًا من الجهمية أن يضلوا

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة، د. ناصر الحنيني (ص٤٩) وما بعدها، تدوين علم العقيدة عند أهل السنة، د. يوسف الطريف (ص١٥) وما بعدها، المدخل إلى دراسة العقيدة الإسلامية، د. أحمد القاضي (ص١١١) وما بعدها.

(٢) هو جمع حَزْوَر وحزَوَّر، وهو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع. (النهاية لابن الأثير ١/ ٣٨٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه (ح٦١)، قال البوصيري: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» (مصباح الزجاجة ١/ ١٢).

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٣٦).

(٥) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٦٢١).

الناس، لما ابتدعت الجهمية النفي والتعطيل»[(١)]، وقال أيضًا: «إن الذي أوجب لهم [يعني السلف] جمع هذه الأحاديث وتبويبها ما أحدثت الجهمية من التكذيب بموجبها وتعطيل صفات الرب المستلزمة لتعطيل ذاته، وتكذيب رسوله والسابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان، وما صنفوه في ذلك من الكتب، وبوبوه أبوابًا مبتدعة يردون بها ما أنزله الله على رسوله ويخالفون بها صرائح المعقول وصحائح المنقول»[(٢)].

٣- **الخوف من ضياع العلم بسبب انتشار الجهل وفقد العلماء،** قال الإمام البخاري: «(باب كيف يقبض العلم) وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر ابن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء»[(٣)]، وقال الإمام الدارمي في مقدمة كتابه (الرد على الجهمية) عن السبب الذي دعاه إلى كتابته: «وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه، وقد كانوا رزقوا العافية منهم [يعني أهل البدع]، وابتلينا بهم عند دروس الإسلام، وذهاب العلماء، فلم نجد بدًّا من أن نرد ما أتوا به من الباطل بالحق»[(٤)].

٤- **طلب الناس من العلماء الكتابة لهم في مسائل العقيدة،** ومن أمثلة ذلك قول الإمام اللالكائي عن سبب تأليف كتابه: (أصول اعتقاد أهل السنة): «وقد كان تكررت مسألة أهل العلم إياي عودًا وبدءًا في (شرح اعتقاد مذاهب أهل الحديث) قدس الله أرواحهم، وجعل ذكرنا لهم رحمة ومغفرة، فأجبتهم إلى مسألتهم لما رأيت فيه من الفائدة الحاصلة، والمنفعة السنية التامة، وخاصة في هذه الأزمنة التي تناسى علماؤها رسوم مذاهب أهل السنة، واشتغلوا عنها بما أحدثوا من العلوم الحديثة، حتى ضاعت الأصول القديمة التي أسست

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٣٦).
(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٦٢٠-٦٢١).
(٣) صحيح البخاري (١/ ٣١).
(٤) الرد على الجهمية للدارمي (ص٢٣).

عليها الشريعة، وكان علماء السلف إليها يدعون، وإلى طريقها يهدون، وعليها يعولون، فجددت هذه الطريقة لتعرف معانيها وحججها، ولا يقتصر على سماع اسمها دون رسمها»[1].

٥- **طلب الخلفاء والولاة من العلماء الكتابة في مسائل الاعتقاد**، وقد سبق أمر عمر بن عبد العزيز للزهري بكتابة العلم وجمع الحديث، وقال الإمام ابن كثير: «وقد كتب الخليفة [يعني المتوكل] إلى الإمام أحمد يسأله عن القول في القرآن؛ سؤال استرشاد واستفادة لا سؤال تعنت ولا امتحان ولا عناد، فكتب إليه أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة حسنة، فيها آثار عن الصحابة وغيرهم، وأحاديث مرفوعة، وقد أوردها ابنه صالح في المحنة التي ساقها، وهي مروية عنه، وقد نقلها غير واحد من الحفاظ»[2].



(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٨).
(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٤٢٠).



المبحث السادس

منهج السلف في تدوين علم العقيدة وأهم الكتب المؤلفة فيه

۞ أولًا: منهج السلف في تدوين علم العقيدة:

من أهم ما يميز منهج السلف في تدوين علم العقيدة ما يلي(١):

١- الاعتماد في جميع مسائل العقيدة على نصوص الكتاب والسنة؛ لأنهما سبيل الهدى، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوضَ**»(٢).

٢- الاهتمام بجمع آثار الصحابة والتابعين من القرون الفاضلة المشهود لهم بالخيرية، فعن صالح بن كيسان، قال: اجتمعت أنا والزهري، ونحن نطلب العلم، فقلنا: نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم قال: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة، فقلت أنا: ليس بسنة فلا نكتبه، قال:

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة (ص٧١) وما بعدها، المدخل إلى دراسة العقيدة الإسلامية، د. أحمد القاضي (ص١١٦) وما بعدها.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٧٢)، والدارقطني في السنن (٥/ ٤٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٩٣٧).

فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت[(١)].

٣- اتفاقهم في تقرير مسائل الاعتقاد على قول واحد، فلا تجد في كتبهم اختلافًا أو اضطرابًا أو تناقضًا، قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني: «وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلما يختلف، وإن اختلف في لفظ أو كلمة، فذلك اختلاف لا يضر الدين، ولا يقدح فيه، وأما دلائل العقل فقلما تتفق، بل عقل كل واحد يُري صاحبَه غير ما يَرَى الآخر، وهذا بيِّنٌ والحمد لله»[(٢)].

٤- التعبير عن الله تعالى بالألفاظ الشرعية، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة. والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات، ولا يتدبرون معانيها، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده، وأما أهل الحق والسنة والإيمان فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده، والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضًا جميلًا، أو يبينوا حاله تفصيلًا، ويحكم عليه بالكتاب والسنة، لا يحكم به على الكتاب والسنة»[(٣)].



(١) تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص١٠٦-١٠٧).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٤١).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٧٠-٧١).

۞ ثانيًا: أهم الكتب المؤلفة في علم العقيدة:

١- منهج العرض، وأهم الكتب المؤلفة فيه:

والمراد به: عرض اعتقاد أهل السنة مجملًا أو مفصلًا بأدلته في جميع أبواب الاعتقاد أو أكثرها، **ومن الكتب المؤلفة في ذلك ما يلي:**

❊ أصول السنة، للإمام أبي بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي، صاحب المسند، توفي سنة ٢١٩هـ، وهي رسالة مختصرة عرض فيها الإمام الحميدي عقيدة أهل السنة بعبارات مختصرة موجزة في أهم أصول الاعتقاد التي خالف فيها المبتدعة كالقدر والإيمان والصفات وخاصة صفة الكلام، والقول في القرآن، ورؤية المؤمنين ربهم، والقول في الصحابة رضي الله عنهم.

❊ السنة، للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل، الحافظ الحجة، توفي سنة ٢٩٠هـ، وموضوعه سياق الأحاديث والآثار المسندة عن السلف الصالح في بيان مذهب أهل السنة في القرآن وأنه غير مخلوق، وإثبات رؤية الرب يوم القيامة، والكلام على بعض الصفات التي أنكرها الجهمية، والكلام في الإيمان والرد على بدع المرجئة والوعيدية، وإثبات صحة إمامة وخلافة الخلفاء الثلاثة، وفتنة القبر، والكلام على الخوارج.

❊ السنة، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون المشهور بـ«الخلَّال»، توفي سنة ٣١١هـ، وقد صرف المُصَنِّف هِمَّته في هذا الكتاب إلى جمع مسائل الإمام أحمد رحمه الله، ولم يقتصر على جمعها فحسب، بل كانت له زيادات من طريقه هو، وعضد ذلك بذكر أقوال أئمة السلف كإسحاق بن راهويه وسفيان ومالك، فصار الكتاب بذلك أصلًا مهمًّا في بيان معتقد السلف والرد على الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجهمية.

❊ شرح السنة، للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، الفقيه القدوة كان قوَّالًا بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم،

توفي سنة ٣٢٩هـ، وقد ضمَّن فيه المُصَنِّف جملة كبيرة من اعتقاد أهل السنة بصورة مختصرة موجزة، مع ذكر بعض الأدلة أحيانًا، وأضاف إلى ذلك التحذير من أصحاب الأهواء والبدع.

❋ العظمة (عظمة الله ومخلوقاته)، للإمام أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، حافظ أصبهان وإمامها والمحدث الثقة، والمفسر المشهور، توفي سنة ٣٦٩هـ، وموضوع الكتاب في بيان عظمة الله تعالى من خلال ما اتصف به من صفات الكمال، وكذلك من خلال بعض المخلوقات العظيمة كالملائكة والسماوات والشمس والقمر، وقسَّم المُصَنِّف الكتاب إلى مباحثَ وأبواب، وجعل لكل منها عنوانًا، وأورد تحت كل ترجمة ما يناسبها من آيات قرآنية وأحاديث وآثار، ويؤخذ على المصنف إيراده للأحاديث الموضوعة والواهية، وذكره للإسرائيليات.

❋ الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، توفي سنة ٣٦٠هـ، يتناول الكتاب العديد من أبواب العقيدة، كالأمر بلزوم الجماعة ورؤية الله في الآخرة والإيمان، وهو يعد من أكبر المؤلفات في هذا الموضوع، وقسم الآجري الكتاب إلى أبواب، وجعل لكل باب عنوانًا وأورد تحت كل عنوان جملة من الآيات والأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة تتعلق بالموضوع الذي هو بصدده، وعلَّق المُصَنِّف على كثير من النصوص التي أوردها بالشرح والبيان، والرد على المخالفين ودحض شبههم والتحذير من بدعتهم.

❋ اعتقاد أئمة الحديث، للإمام أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني، توفي سنة ٣٧١هـ، وقد بين فيه اعتقاد أهل السنة بعبارات وجيزة مختصرة في مسائل الأسماء والصفات والقضاء والقدر، وحقيقة الإيمان، والشفاعة والحوض والحساب، وعذاب القبر، والصحابة، ولزوم الجماعة، وغيرها.

❁ الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد العكبري، المعروف بـ«ابن بطة»، توفي سنة ٣٨٧هـ، وقد قسَّم المُؤلِّف الكتاب إلى أربعة أقسام رئيسية؛ أما القسم الأول فجعله في مسألة الإيمان وبيان قول أهل السنة فيه، والرد على الفرق المخالفة لأهل السنة كالمرجئة وغيرهم. وأما القسم الثاني فهو في بيان معتقد أهل السنة في القدر والرد على القدرية الذين نفوا القدر. وأما القسم الثالث فجعله في الرد على الجهمية وعقائدهم. والقسم الرابع في فضائل الصحابة، وهذا الموجود فقط من الكتاب ولعله قدر نصف الكتاب فقط، والباقي مفقود، ويعد الكتاب ثروة علمية قَيِّمة؛ إذ إنه حافل بجملة كبيرة من أقوال أئمة السنة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، وفي الرد على الفرق المبتدعة.

❁ أصول السنة، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري، المعروف بـ«ابن أبي زَمَنِين المالكي»، توفي سنة ٣٩٩هـ، وقد عرض فيه عقيدة أهل السنة مع الاستدلال عليها بالأدلة، ويسوق في ذلك الأحاديث والآثار بأسانيده، مع التعليق عليها أحيانًا.

❁ شرح أصول اعتقاد أهل السنة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، الإمام الحافظ الفقيه، ومحدث بغداد، توفي سنة ٤١٨هـ، وقد عرض فيه المصنف اعتقاد أئمة السلف بأسانيده المتصلة إليهم، وتناول فيه الحديث عن توحيد الله وأسمائه وصفاته، والوحي والمعجزات، وحقيقة الإيمان، والشفاعة لأهل الكبائر، والإيمان بالجنة والنار والبعث وأهوال القيامة، وفضائل الصحابة رضي الله عنهم، وهو في كل ذلك يورد الأحاديث والآثار مسندة.

❁ عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، توفي سنة ٤٤٩هـ، وسبب تأليفه هو طلب بعض إخوانه أن يجمع لهم فصولًا في أصول الدين التي أجمع عليها السلف، وهذا

الكتاب يحتوي على عرض لجملة من أصول اعتقاد أهل السنة بطريقة مختصرة، وقد يستشهد في بعض المسائل بالأحاديث والآثار المسندة وكلام بعض الأئمة[١].

❁ الحجة في بيان المحجة، للإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، الملقب بـ«قِوَام السُّنَّة»، توفي سنة ٥٣٥هـ، وقد عرض فيه اعتقاد أهل السنة في جملة كبيرة من أصول الاعتقاد، كالتوحيد والصفات وفضائل الصحابة، والتمسك بالسنة والتحذير من البدع والأهواء، وقد سرد في كل مسألة الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف بأسانيده، والاستشهاد بأقوال بعض الأئمة، مع الرد على الفرق المخالفة أحيانًا.

❁ الاقتصاد في الاعتقاد، للإمام عبد الغني بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي، توفي سنة ٦٠٠هـ، وقد تناول فيه المصنف بيان عقيدة أهل السنة بأدلتها بصورة موجزة مختصرة، ومن أهم المسائل التي ذكرها إثبات الصفات، والقضاء والقدر، وحقيقة الإيمان، وفضائل الصحابة، وغيرها.

❁ لمعة الاعتقاد، للإمام أبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، توفي سنة ٦٢٠هـ، وهو متن عقدي مختصر ذكر فيه عقيدة أهل السنة باختصار وإيجاز، مع ذكر الأدلة.

٢- منهج الرد، وأهم الكتب المؤلفة فيه:

والمراد به: إفراد طائفة من أهل البدع بالرد على مقالاتهم كالجهمية والقدرية، أو إفراد مسألة من مسائل العقيدة بالتصنيف وبيان الفرق المخالفة فيها والرد عليهم كالصفات والإمامة، **ومن أهم الكتب المؤلفة في ذلك ما يلي:**

---

(١) انظر: مقدمة المحقق د. ناصر الجديع (ص٥٤-٥٥).

❋ الرد على الجهمية والزنادقة، لإمام أهل السنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، كان من أوعية السنة وحفاظها، إمامًا في الزهد والورع والصدع بالحق، صبر في المحنة، فصار إمام أهل السنة، توفي سنة ٢٤١هـ، وهو من أجلِّ كتب الإمام أحمد في الاعتقاد، ويتضمن الرد على شبهات الجهمية والجواب عن بعض الآيات القرآنية التي تعلق بها أهل البدع فحرفوها وفق أهوائهم.

❋ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، للإمام المحدِّث عبد الله بن مسلم بن قتيبة، خطيب أهل السنة وأديبهم، توفي سنة ٢٧٦هـ، ويتضمن الرد على نفاة القدر وأهل الجبر، ونفاة الصفات، والقائلين بخلق القرآن، والمشبهة، والرد على النواصب والروافض.

❋ الرد على الجهمية، والرد على بشر المريسي، لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، الحافظ محدث هراة وأحد الأعلام الثقات، توفي سنة ٢٨٠هـ، وموضوعهما الرد على ما أحدثه الجهمية من مقالات في باب الأسماء والصفات، قال ابن القيم: «وكتاباه من أجلِّ الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمهما جدًّا، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما»[(١)].

❋ الإمامة والرد على الرافضة، للإمام أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، الحافظ الكبير، محدث العصر، توفي سنة ٤٣٠هـ، وقد أفرده للحديث عن فضائل الصحابة، وإثبات إمامة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأراد بذلك الرد على الرافضة في إنكارهم خلافة الخلفاء الثلاثة، وقد ساق في هذا الكتاب كثيرًا من الأحاديث والآثار بإسناده، وقد

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٣١).

يتبعها بالتعليق أحيانًا.

❋ رسالة إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للإمام أبي نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي البكري، توفي سنة ٤٤٤هـ، وموضوع الكتاب هو -كما يفهم من اسمه- إثبات أن كلام الله ﷻ بحرف وصوت والرد على من أنكر ذلك، وقد تعرض لمسائل أخرى هامة من مسائل العقيدة؛ كالاستواء، والنزول، وإثبات اليدين وغير ذلك من صفات الباري جل وعلا[(١)].

❋ الرد على المبتدعة، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الله، المعروف بـ«ابن البنَّاء»، توفي سنة ٤٧١هـ، وموضوعه بيان عقيدة أهل السنة والرد على من خالفها، وهو كتاب مسند على طريقة السلف الأوائل، عرض فيه أصول أهل السنة في القدر والقرآن ورؤية المؤمنين ربهم، ومسائل الإيمان، وعذاب القبر والصراط والميزان وفضائل الصحابة وغير ذلك، وفي كل مسألة يورد الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف، مع الرد على المخالفين[(٢)].

❋ الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة، لأبي القاسم عبد الوهاب بن عبد الواحد المعروف بـ«ابن الحنبلي»، توفي سنة ٥٣٦هـ، وموضوعه الأصلي الرد على الأشاعرة في مسألة الكلام، وإثبات أن كلام الله تعالى بحرف وصوت، والكلام على الصفات الفعلية والقدر ورؤية الله بالأبصار في الآخرة، ومسائل الإيمان، وغيرها، والرد على عقيدة الأشاعرة في هذه المسائل.

❋ الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، توفي سنة ٥٥٨هـ، وموضوع

---

(١) انظر: مقدمة المحقق محمد با كريم با عبد الله (ص٨١-٨٢).

(٢) انظر: مقدمة المحقق عادل آل حمدان (ص٣-٤).

الكتاب هو الانتصار لعقيدة السلف وإثباتها، ومن أهم المسائل التي تعرض لها تفصيلا إثبات القدر، والرد على القدرية، وقد شغل إثبات القدر جزءًا كبيرًا من الكتاب، كما تعرض لإثبات الصفات والرد على الجهمية والمعتزلة، وإثبات رؤية الله في الآخرة، ثم ذكر مذهب السلف في الإيمان ومرتكبي الكبائر والشفاعة ورد على المرجئة والخوارج والمعتزلة، ثم ذكر الميزان والصراط والحوض والجنة والنار والدجال، والإمامة والرد على بدع الرافضة(١).

٣- منهج التأليف في موضوعات مفردة، وأهم الكتب المؤلفة فيه:

والمراد به: إفراد مسألة من مسائل الاعتقاد بالتصنيف ببيان اعتقاد أهل السنة فيها، وجمع الأدلة عليها من الكتاب والسنة وآثار السلف، وقد يتضمن الرد على المخالفين في هذه المسألة وتفنيد شبهاتهم وإبطال مذهبهم، **ومن الكتب المؤلفة في ذلك ما يلي:**

❊ كتاب القدر، للإمام عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري المصري، كان عالمًا صالحًا فقيهًا كثير العلم، تتلمذ عليه أئمة كبار، صنف مائة وعشرين ألف حديث، في كتب كثيرة، جليلة القدر، توفي سنة ١٩٧هـ. وقد «سار فيه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على طريقة السلف في تصانيفهم ذاك الزمان، فساق الأحاديث النبوية، والآثار السلفية المثبتة للقضاء والقدر الإلهي من غير تعليق أو تبويب»(٢).

❊ الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته، للإمام أبي عُبيد القاسم بن سلَّام بن عبد الله الهروي البغدادي، توفي سنة ٢٢٤هـ، وقد تناول فيه المصنف بيان عقيدة أهل السنة في مسائل الإيمان، كحقيقته، والاستثناء في الإيمان، وزيادة الإيمان ونقصانه، ودخول العمل في مسمى الإيمان، والرد

(١) انظر: مقدمة الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، د. سعود الخلف (١/ ٤٢).
(٢) مقدمة تحقيق كتاب القدر، عمر بن سليمان الحفيان (ص٥).

على المخالفين في ذلك من المرجئة والخوارج، وفي كل هذه المسائل يسوق الأحاديث بأسانيده.

❁ الفتن، للإمام أبي عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، توفي سنة ٢٢٨هـ، وموضوعه الأحاديث التي وردت في فتن آخر الزمان يسوقها المصنف بأسانيده، وفيها كثير من الأحاديث الضعيفة، قال الإمام الذهبي: «أتى فيه بعجائبَ ومناكيرَ»(١).

❁ الإيمان، للإمام أبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، توفي سنة ٢٣٥هـ، وقد أورد فيه الأحاديث المسندة المتعلقة بالإيمان، فقسم الكتاب إلى أبواب، وتحت كل باب الأحاديث المتعلقة بترجمة الباب دون تعليق أو شرح.

❁ خلق أفعال العباد، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي المعروف بالبخاري إمام أهل الحديث، وصاحب الصحيح، اعتنى بالحديث وبرع فيه، حتى صار من أئمته ونقاده، توفي سنة ٢٥٦هـ، ويتضمن الكتاب ذكر عقيدة السلف في القرآن وحكم من قال: القرآن مخلوق، وذكر معتقدات الجهمية والمعتزلة، والكلام على خلق أفعال العباد، وهل القراءة والتلاوة مخلوقتان أم لا؟

❁ القدر، للإمام أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفَاض الفِرْيابِي، توفي سنة ٣٠١هـ، ويحتوي الكتاب على جملة كبيرة من الأحاديث والآثار المتعلقة بالقدر، والتي تتضمن الرد على بدع القدرية وغيرهم من الطوائف المخالفة في هذا الباب.

❁ التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، الحافظ الحجة الفقيه الشافعي، إمام الأئمة، توفي سنة ٣١١هـ، وموضوع الكتاب هو إثبات الصفات للرب جل وعلا، وقد

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٠٩).

قسم المصنف الكتاب إلى أبواب، وأورد تحت كل باب الأدلة من الكتاب والسنة على صفة من صفات الله تعالى، ويذكر الأحاديث بإسناده إلى رسول الله ﷺ، ويعقب على الأدلة التي يوردها بالشرح والبيان والتعليق، كما تعرَّض إلى مناقشة المخالفين وقام بالرد عليهم ودحض شبههم.

❋ كتاب النزول، للإمام أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، الإمام شيخ الإسلام والحافظ الشهير صاحب السنن، توفي سنة ٣٨٥هـ، وقد تناول الدارقطني في هذا الكتاب الكلام على صفة نزول الرب جل جلاله في ثلث الليل الأخير نزولًا يليق به، وقد أورد فيه الدارقطني مرويات أحاديث النزول عمن رويت عنهم من الصحابة بأسانيده المتصلة إليهم.

❋ كتاب التوحيد، لأبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبدالله محمد بن أبي زكريا يحيى بن منده الأصفهاني، الذي تلقى العلم من ١٧٠٠ شيخ في أقطار العالم الإسلامي، توفي سنة ٣٩٥هـ، وقد عرض فيه المصنف معتقد أهل السنة في توحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته، وسلك المؤلف في تأليف الكتاب مسلك المحدثين في سوق الأسانيد إلى متونها مقتديًا في ذلك بعلماء السلف الذين سبقوه في هذا الميدان، ولم يلتزم المؤلف الصحة فيما يورده من نصوص؛ اعتمادًا منه على ما تقرر عند العلماء: من أسند لك فقد أحالك.

❋ اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمن، للإمام أبي عبد الله ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، توفي سنة ٦٤٣هـ، وموضوع الكتاب إثبات صفة الكلام، وأن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.





المبحث السابع

المراد بأهل السنة والجماعة وألقابهم وخصائصهم

۞ أولًا: المراد بأهل السنة:

سئل الإمام مالك عن أهل السنة، فقال: «أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي»[(١)]. يعني أن أهل السنة ليس لهم اسم ينتسبون إليه سوى السنة، خلافًا لأهل البدع؛ فإنهم تارة ينسبون إلى مقالتهم المبتدعة كالقدرية والمرجئة، وتارة إلى القائل كالجهمية والنجارية، وتارة إلى الفعل كالروافض والخوارج.

وأهل السنة بريئون من هذه النسب كلها، وإنما نسبتهم إلى الحديث والسنة[(٢)]، قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة، فإنهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين -رحمة الله عليهم- ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلًا فجيلًا إلى يومنا هذا، أو من اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض

(١) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص٣٥).

(٢) انظر: التنبيهات السنية على الواسطية (ص١٩)، وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٥-١٧٦)، الاعتصام للشاطبي (١/ ٧٧)، مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٦).

وغربها -رحمة الله عليهم-»[(١)].

فأهل السنة هم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، وهم المتبعون للكتاب والسنة، واعتقادهم هو ما دل عليه الكتاب والسنة من أصول الدين، «وإنما سموا أهل السنة (بهذا الاسم) لاتباعهم سنته ﷺ»[(٢)].

المعنى العام والخاص لأهل السنة:

لفظ (السنة) يطلق بإطلاقين:

١- **عام:** ويراد به جميع الطوائف والفرق الإسلامية إلا الرافضة.

٢- **خاص:** ويراد به أهل السنة المحضة الخالصة من أي بدعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير هذا المعنى: «لفظ (أهل السنة) يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة»[(٣)].

۞ ثانيًا: ألقاب أهل السنة:

لأهل السنة ألقاب كثيرة، منها:

١- **أهل السنة:** وقد سبق بيانه.

٢- **الجماعة:** يطلق على أهل السنة لقب (الجماعة)، كما في حديث حذيفة ابن اليمان، أنه ﷺ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»[(٤)]، قال الإمام

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٩٠).

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال، للذهبي (ص١٨٩)، وانظر: التبصير في الدين، لأبي المظفر الإسفراييني (ص١٨٥).

(٣) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٢١).

(٤) أخرجه البخاري (ح٣٦٠٦)، ومسلم (ح١٨٤٧).

ابن أبي العز: «والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين»[(١)].

وسموا بهذا الاسم لاجتماعهم وعدم تفرقهم؛ لأن الجماعة في اللغة هي الاجتماع، وضدها الفرقة[(٢)]؛ ومن أصول أهل السنة الاعتصام بحبل الله جميعًا، وعدم التفرق والتنازع، وفي المعنى روى البخاري عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة»[(٣)].

قال ابن حجر: «قوله: «فإني أكره الاختلاف» أي: الذي يؤدي إلى النزاع. قال ابن التين: يعني مخالفة أبي بكر وعمر، وقال غيره: المراد المخالفة التي تؤدي إلى النزاع والفتنة، ويؤيده قوله بعد ذلك: حتى يكون الناس جماعة»[(٤)].

ولهذا المعنى سمي العام الذي تنازل فيه الحسن لمعاوية رضي الله عنهما (عام الجماعة)، قال ابن بطال: «سلم الحسن لمعاوية الأمر وبايعه على إقامة كتاب الله وسنة نبيه ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس، فسميت سنة الجماعة لاجتماع الناس وانقطاع الحرب»[(٥)].

ولأن من أصولهم: الاجتماع على طاعة من ولّاه الله أمرهم بالمعروف[(٦)].

ولأنهم سلموا من تكفير بعضهم بعضًا فـ«أهل السنة لا يكفر بعضهم بعضًا، وليس بينهم خلاف يوجب التبرؤ والتكفير، فهم إذًا أهل الجماعة القائمون بالحق، والله تعالى يحفظ الحق وأهله، فلا يقعون في تنابذ وتناقض، وليس

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٤٤)، وانظر: فتح الباري (١٣/ ٣٧).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٧).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٧٠٧).
(٤) فتح الباري (٧/ ٧٣).
(٥) فتح الباري (١٣/ ٦٣)، وانظر: تاريخ خليفة بن خياط (ص٢٠٣)، معالم السنن (٤/ ٣١١).
(٦) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤٤٧).

فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض وتبرؤ بعضهم من بعض كالخوارج والروافض والقدرية؛ حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضًا»[١].

وكل هذه المعاني حق، ويتضمنها لفظ (الجماعة)[٢] كما يتضمنها لفظ (السنة)، وقد يقال: (السنة والجماعة) لفظان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

فإذا اجتمعا وقيل: (السنة والجماعة)، فيراد بالسنة: طريقة الرسول ﷺ، وبالجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان.

وإذا افترقا بأن ذكر أحدهما فقط دخل فيه الآخر، وصار معناهما واحدًا.

٣- السلف الصالح: ومفهوم السلف يطلق بإطلاقين:

الأول: تاريخي، ويراد به أهل القرون الثلاثة المفضلة المشار إليهم في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[٣]، فيختص بالصحابة والتابعين وأتباع التابعين، من أهل القرون الثلاثة الوارد ذكرهم في الحديث.

والثاني: موضوعي، ويراد به كل من قال بما في الكتاب والسنة والإجماع، وقد سبق قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «من قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة»[٤]، فيدخل فيهم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان[٥].

وكلا الإطلاقين صحيح.

---

(١) الفرق بين الفرق (ص٣٦١).
(٢) وسيأتي الحديث عن الجماعة مفصلًا في الجزء الرابع.
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (ح٤٦٢٩)، ومسلم (ح٢٥٣٣).
(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٦).
(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٥).

٤- **أهل الحديث والأثر:** ولا يقصد بهذا اللقب أهل رواية الحديث والمشتغلون به، بل يقصد به هنا عموم المتبعين لسنة رسول الله ﷺ، يقول ابن تيمية: «ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته، بل نعني بهم: كل من كان أحقَّ بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهرًا وباطنًا، واتباعه باطنًا وظاهرًا، وكذلك أهل القرآن»[(١)].

٥- **الفرقة الناجية:** وهو مأخوذ أيضًا من مفهوم حديث الافتراق المشهور، وهو حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره، قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[(٢)]. وفي رواية: «**كلها في النار، إلا واحدة وهي: الجماعة**»[(٣)(٤)]. وفي رواية: قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**الجماعة**»[(٥)]. وفي رواية: قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(٦)].

وهذا يقتضي بمفهومه أن أهل السنة والجماعة المتبعين للنبي ﷺ وأصحابه هم الفرقة الناجية دون من سواهم، قال ابن تيمية: «ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم، وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء»[(٧)]. وقال

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود (ح٤٥٩٦)، والترمذي (ح٢٦٤٠)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد في المسند (ح٨٣٩٦)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، والحاكم (١/ ١٢٨) وصححه ووافقه الذهبي، والآجري في الشريعة (ص١٨).

(٣) أخرجها ابن ماجه (ح٣٩٩٣).

(٤) انظر: أبو داود (ح٤٥٧٣)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والحاكم (١/ ١٢٨)، والآجري في الشريعة (ص١٨)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ١٢٨).

(٥) أخرجها ابن ماجه (ح٣٩٩٢).

(٦) أخرجها الترمذي (ح٢٦٤١).

(٧) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٥-٣٤٦).

أيضًا: «أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة؛ الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ»[(١)].

وإذا قيل: الفرقة الناجية فلا يلزم منه أن كل من خالفها فهو هالك؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا، فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيًا، وقد لا يكون ناجيًا، كما يقال: من صمت نجا»[(٢)].

٦- **الطائفة المنصورة:** أهل السنة هم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[(٣)].

وستبقى هذه الطائفة «ظاهرة بالحجة والبيان واليد والسنان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين»[(٤)]، وهم داخلون في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ۝٥١﴾ [غافر: ٥١]؛ فهم منصورون، والعاقبة لهم.

۞ ثالثًا: خصائص أهل السنة:

تميز أهل السنة عن سائر أهل البدع بخصائص كثيرة انفردوا بها، منها:

١- أنهم يعتمدون على الكتاب والسنة والإجماع، ويزنون أقوال الناس بهذه الأصول الثلاثة، كما سبق بيانه.

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٧). (٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٧٩).
(٣) أخرجه مسلم (ح١٩٢٠) عن ثوبان رضي الله عنه. (٤) الجواب الصحيح (٥/ ٩٢).

٢- أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره على ما جاء عن الله، وعلى ما جاء على لسان رسول الله ﷺ.

٣- أنهم «يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، على ما توجبه الشريعة»(١) بلا غلو ولا تقصير(٢).

٤- أنهم «وسط في فرق الأمة؛ كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية؛ وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج»(٣).

٥- تمسكهم بالجماعة، فهم يعتقدون أن الجماعة حق وصواب، والفرقة شر وعذاب، تمسكًا بقول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩].

٦- ومن خصائصهم العدل مع كل الطوائف المخالفة، «فإنه تعالى أمر بالقسط مع أعدائنا الكفار فقال: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨]، فكيف بإخواننا المسلمين، والمسلمون إخوة؟!»(٤).

وبالجملة فقد تميز أهل السنة والجماعة في مصادر التلقي، وكذلك في

(١) العقيدة الواسطية (ص١٢٩).

(٢) انظر: الاستقامة (٢/ ٢٣٣).

(٣) العقيدة الواسطية (ص٨٢).

(٤) الإخنائية (ص٢٤٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ١٦٦)، منهاج السنة النبوية (٥/ ١٢٦).

أصول الاعتقاد، وكانوا بهذا وسطًا بين الفرق، كما تميزوا في سلوكهم وأخلاقهم وطريقهم، وكانوا بذلك درة في جبين الدهر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثم هم مع هذه الأصول [يعني أصول الاعتقاد] يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا، ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**» وشبك بين أصابعه ﷺ[(١)]، وقوله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[(٢)]، ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»[(٣)]، ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفسافها، وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة»[(٤)].



(١) أخرجه البخاري (ح٤٨١)، ومسلم (ح٢٥٨٥).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٥٨٦).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٣٣٧).
(٤) العقيدة الواسطية (ص١٢٩-١٣١).



المبحث الثامن

منهج القرآن الكريم في الدعوة للعقيدة

يتبين منهج القرآن في الدعوة إلى العقيدة الإسلامية وتقرير مسائلها بما يلي:

۞ أولًا: الاستدلال بالدلائل العقلية:

بين القرآن الكريم الأدلة العقلية على أصول الاعتقاد وأركان الإيمان أوفى بيان، ولذلك وصفه الله جل وعلا بأنه هدى وبينات، وأنه يهدي للتي هي أقوم، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن كثيرًا مما دل عليه السمع يعلم بالعقل أيضًا، والقرآن يبين ما يستدل به العقل، ويرشد إليه، وينبه عليه، كما ذكر الله ذلك في غير موضع؛ فإنه سبحانه وتعالى بين من الآيات الدالة عليه، وعلى وحدانيته، وقدرته، وعلمه وغير ذلك، ما أرشد العباد إليه ودلهم عليه، كما بين أيضًا ما دل على نبوة أنبيائه، وما دل على المعاد وإمكانه، فهذه المطالب هي شرعية من جهتين: من جهة أن الشارع أخبر بها، ومن جهة أنه بين الأدلة العقلية التي يستدل بها عليها»[(١)].

❋ ❋ ❋

---

(١) التدمرية (ص١٤٦-١٤٧).

۞ ثانيًا: الطلب من المخالفين إقامة البرهان على عقائدهم لإظهار عجزهم:

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣] أخبر سبحانه أن الكفار لا يأتونه بقياس عقلي لباطلهم إلا جاءه الله بالحق، وجاءه من البيان والدليل وضرب المثل بما هو أحسن تفسيرًا وكشفًا وإيضاحًا للحق من قياسهم»(١)، وهذا منهج فاضح لأهل الضلالة، وكاشف لباطلهم، ومظهر لعجزهم وعدم صدقهم؛ لأن «كل من ادعى دعوى لا بد أن يقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا فلو قلبت عليه دعواه، وادعى مدعٍ عكس ما ادعى بلا برهان، لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها»(٢).

۞ ثالثًا: استعمال الطرق العقلية الجلية القريبة من الأفهام:

يقول الإمام ابن القيم: «الله سبحانه حاجَّ عباده على ألسن رسله وأنبيائه فيما أراد تقريرهم به وإلزامهم إياه، بأقرب الطرق إلى العقل وأسهلها تناولًا وأقلها تكلفًا وأعظمها غناء ونفعًا وأجلِّها ثمرة وفائدة، فحُجَجُه سبحانه العقلية التي بينها في كتابه جمعت بين كونها عقلية سمعية ظاهرة واضحة قليلة المقدمات سهلة الفهم قريبة التناول قاطعة للشكوك والشبه ملزمة للمعاند والجاحد؛ ولهذا كانت المعارف التي استنبطت منها في القلوب أرسخ ولعموم الخلق أنفع، وإذا تتبع المتتبع ما في كتاب الله مما حاجَّ به عباده في إقامة التوحيد وإثبات الصفات وإثبات الرسالة والنبوة وإثبات المعاد وحشر

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٦).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٢-٦٣).

الأجساد وطرق إثبات علمه بكل خفي وظاهر، وعموم قدرته ومشيئته وتفرده بالملك والتدبير؛ وأنه لا يستحق العبادة سواه؛ وجد الأمر في ذلك على ما ذكرناه من تصرف المخاطبة منه سبحانه في ذلك على أجلِّ وجوه الحجاج وأسبقها إلى القلوب وأعظمها ملاءمة للعقول وأبعدها من الشكوك والشبه في أوجز لفظ وأبينه وأعذبه وأحسنه وأرشقه وأدله على المراد»[(١)].

۞ رابعًا: استعمال القرآن لجميع البراهين العقلية التي تغني عن أدلة المتكلمين والفلاسفة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اشتمل القرآن على خلاصة الطرق الصحيحة التي توجد في كلام جميع العقلاء من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم، ونزه الله عما يوجد في كلامهم، من الطرق الفاسدة، ويوجد فيه من الطرق الصحيحة ما لا يوجد في كلام البشر بحال»[(٢)].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وإذا تأمل الفاضل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية، وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأفصح عبارة وأوجزها، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما لا يوجد عندهم مثله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]»[(٣)].

وبالجملة فالقرآن منهج كامل؛ لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وهذا شامل للمسائل والدلائل، فقد أكمل الله لنا الدين ببيان أصوله ودلائله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القرآن قد اشتمل على بيان المطالب الإلهية بأنواع من الطرق،

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٧)، وانظر: إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير (ص١١).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٧٦-٧٧)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٦-٣٧)، الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٠)، مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ١٤٥).

وأكمل الطرق»[١]، وقال السيوطي: «قال العلماء: قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به»[٢]، «فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات، والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ، موجزة المقاصد، رام المتحذلقون بعدُ أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها»[٣].

۞ خامسًا: الاهتمام بتقرير توحيد العبادة بأنواع من الأساليب المبينة لمكانته وأهميته، ومن ذلك:

١- أمره سبحانه بعبادته وترك عبادة ما سواه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

٢- **ومنها:** إخباره سبحانه أنه خلق الخلق لعبادته؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

٣- **ومنها:** إخباره أنه أرسل جميع الرسل بالدعوة إلى عبادته والنهي عن عبادة ما سواه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

٤- **ومنها:** الاستدلال على توحيد الإلهية بانفراده بالربوبية والخلق والتدبير؛ كما في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، وقوله: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧]، وقوله: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾ [النحل: ١٧].

٥- **ومنها:** الاستدلال على وجوب عبادته سبحانه بانفراده بصفات الكمال

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٣٣). (٢) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٦٠).
(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٢٧٧).

وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله عن خليله إبراهيم: أنه قال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢]، وقوله: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ [فاطر: ١٤]، وقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ [الأعراف: ١٤٨][(١)].

۞ سادسًا: أن الله تعالى ضرب في القرآن أمثلة كثيرة يتبين بها بطلان الشرك:

من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج: ٣١]، شبه سبحانه التوحيد في علوه وارتفاعه وسعته وشرفه بالسماء، وشبه تارك التوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين؛ لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر، وشبه الشياطين التي تقلقه بالطير التي تمزق أعضاءه، وشبه هواه الذي يبعده عن الحق بالريح التي ترمي به في مكان بعيد، هذا مثال واحد من أمثلة كثيرة في القرآن ذكرها الله سبحانه لبيان بطلان الشرك وخسارة المشرك في الدنيا والآخرة[(٢)].



(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للشيخ صالح الفوزان (ص٣٩-٤٠).
(٢) انظر: المصدر السابق (ص٤٢).



المبحث التاسع

خصائص منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد

يقوم منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد والاستدلال عليها على القواعد التالية:

١- يعتمد أهل السنة في الاستدلال على الكتاب والسنة؛ وذلك لأن العقيدة توقيفية؛ فلا تثبت إلا بدليل من الشارع، ولا مجال فيها للرأي والاجتهاد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني، بل يؤخذ عن الله ورسوله وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة، مثل: صحيح البخاري ومسلم»[(١)]، وقال الإمام ابن أبي العز: «الواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولًا، أو يحمله شبهة أو شكًّا، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحَّد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦١).

متابعة الرسول»[١].

٢- يعتمدون على الإجماع، ويعدونه «الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين»[٢].

٣- يعملون بجميع نصوص الكتاب والسنة، فلا يأخذون ببعض الوحي ويردون بعضه كشأن المرجئة الذين أخذوا بنصوص الوعد دون نصوص الوعيد، وكحال الخوارج الذين أخذوا بنصوص الوعيد دون نصوص الوعد، وأمثالهم[٣].

٤- اعتمادهم على تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم ما أجمع عليه التابعون، ويعتمدون معاني لغة العرب؛ لأنها لغة القرآن والسنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له... وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة؛ الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، مثل: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه... ومنهم الحبر البحر عبد الله ابن عباس رضي الله عنه»[٤]، ثم قال: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر؛ فإنه كان آية في التفسير... وكسعيد بن جبير، وعكرمة

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٢٨). (٢) العقيدة الواسطية (ص١٢٨).

(٣) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢٠٩-٢١٠).

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٣-٣٦٥).

مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين، وتابعيهم، ومن بعدهم»[(١)].

٥- الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ، فقد وصف رسول الله ﷺ الطائفة الناجية بقوله: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(٢)]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[(٣)]، وقال الإمام ابن أبي حاتم: «فأما أصحاب رسول الله ﷺ فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلامًا وقدوة، فحفظوا عنه ﷺ ما بلغهم عن الله عز وجل، وما سن وشرع وحكم وقضى وندب، وأمر ونهى وحظر وأدب، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدين وعلموا أمر الله ونهيه ومراده بمعاينة رسول الله ﷺ، ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله وتلقفهم منه واستنباطهم عنه، فشرفهم الله عز وجل بما منَّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز وسماهم عدول الأمة، فقال عز ذكره في محكم كتابه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾... [البقرة: ١٤٣] فكانوا عدول الأمة وأئمة الهدى وحجج الدِّين ونقلة الكتاب والسنة، وندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم، والجري على منهاجهم، والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٨-٣٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٦٤١).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٧).

(٤) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (١/ ٧).

وقال الإمام الشاطبي: «**يترجح الاعتماد عليهم [يعني: الصحابة ﵃] في البيان من وجهين:**

أحدهما: معرفتهم باللسان العربي؛ فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان؛ صح اعتماده من هذه الجهة.

والثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة؛ فهم أقعد في فهم القرائن الحالية وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب»[(١)].

وأهل السنة مع ذلك لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة، بل يقولون: كل يؤخذ من قوله ويترك سوى رسول الله ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقاعدة الكلية في هذا ألا نعتقد أن أحدًا معصوم بعد النبي ﷺ، بل الخلفاء وغير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ، والذنوب التي تقع منهم، قد يتوبون منها، وقد تكفر عنهم بحسناتهم الكثيرة، وقد يبتلون أيضًا بمصائب يكفر الله عنهم بها، وقد يكفَّر عنهم بغير ذلك»[(٢)].

٦- التسليم بكل ما جاء عن الله ورسوله، قال الإمام الشافعي: «آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله»[(٣)]، وما اشتبه عليهم علمه، أو علم كيفيته (كبعض نصوص الغيبيات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله ﷻ ولا يخوضون فيه، قال الإمام الطحاوي: «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه

(١) الموافقات (٤/ ١٢٨).

(٢) منهاج السنة النبوية (٦/ ١٩٦-١٩٧).

(٣) لمعة الاعتقاد (ص٧).

مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان»[(١)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما أخبر به الرسول عن ربه ﷿ فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أو لم نعرف؛ لأنه الصادق المصدوق، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه، وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها، مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصًا في الكتاب والسنة، متفقًا عليه بين سلف الأمة.

وما تنازع فيه المتأخرون، نفيًا وإثباتًا، فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقًّا قُبل، وإن أراد باطلًا رُدَّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقبل مطلقًا ولم يُرد جميع معناه، بل يُوقف اللفظ ويُفسّر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك»[(٢)] .

٧- التعبير عن حقائق الإيمان بالألفاظ الشرعية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من التعبير عنها بغيرها؛ فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حكيم حميد، والأمة متفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحكم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه، والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع»[(٣)] .

٨- الرجوع عند التنازع إلى الله ورسوله، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩]، «قال العلماء: الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول بعد موته هو الرد إلى سنته»[(٤)] .

(١) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص٤٣).

(٢) التدمرية (ص٦٥- ٦٦).

(٣) النبوات لابن تيمية (٢/ ٨٧٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٦).

قال الحافظ ابن كثير: «هذا أمر من الله ﷻ، بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة»[(١)].

وقال الإمام الشوكاني: «اتفق المسلمون؛ سلفهم وخلفهم من عصر الصحابة إلى عصرنا هذا -وهو القرن الثالث عشر منذ البعثة المحمدية- أن الواجب عند الاختلاف في أي أمر من أمور الدين بين الأئمة المجتهدين هو الرد إلى كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ»[(٢)].



(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٥).

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص٣).



المبحث العاشر

مصادر تلقي العقيدة

۞ أولًا: المصادر الأصلية:

قال الإمام البيهقي: «فأما أهل السنَّة فمعوَّلهم فيما يعتقدون الكتاب والسنَّة»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فدِينُ المسلمين مبنيٌّ على اتباع كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة»(٢).

وبيانها فيما يلي:

المصدر الأول: القرآن، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وأحسن الطرق في تفسيره وفهمه: تفسير القرآن بالقرآن، وإلا فبالسنَّة، وإلا فبالصحيح من أقوال الصحابة، وإلا فبما أجمع التابعون عليه(٣).

المصدر الثاني: السُّنَّة، وهي المبيِّنة للكتاب؛ قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]؛ إذ هي سنة

(١) مناقب الشافعي (ص٤٦٢). (٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤).

(٣) راجع في هذا الموضوع: مقدمة التفسير لابن تيمية، (١٣/ ٣٦٣) وما بعدها، ضمن مجموع الفتاوى.

المعصوم رسول الله ﷺ، وليس لأحد عصمة بعده ﷺ، وقد تلقى الصحابة - رضوان الله عليهم- ما جاء به ﷺ ونقلوه إلى الأمة.

ويتمثل وجود السنَّة في دواوين الإسلام المعروفة والمشهورة مثل: صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنن كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وسنن الدارمي، وموطأ مالك، ومثل: المسانيد المعروفة كمسند الإمام أحمد وغيره، إلى غير ذلك من مدونات الحديث النبوي، والتي هي أشهر من أن يعرف بها، وهناك مدونات خاصة بالعقيدة اقتصر جامعو أحاديثها على مسائل الاعتقاد، كما سبق ذكر جملة منها.

وقد أقام الله سبحانه من يحفظ سنَّة نبيه ﷺ، ويُعنى بتمييز صحيحها من غيره، ويضع المقاييس والضوابط لذلك، وقامت دراسات دقيقة ومحكمة لمتون الأحاديث وأسانيدها حتى تحققت معرفة الأحاديث الصحيحة من غيرها، واطمأن المسلمون على سنة نبيهم ﷺ، وهذا تحقيق وعد الله بحفظ كتابه؛ لأن السنة هي المبينة للكتاب، وتحقيق لوعد رسول الله ﷺ بأنه: «**لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على أمر الله**»[(١)]؛ لأنه لا بقاء لها على الحق إلا بحفظ الله لمصادر التلقي لها.

ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها وأسانيدها بحيث لو رُوِي حديث بغير سنده وطريقه لعرفوا أنه قد حرف عن موضعه، كما وقع مثل ذلك للإمام محمد بن إسماعيل البخاري حين ورد إلى بغداد وقصد المحدثون امتحانه، فسألوه عن أحاديث قلبوا أسانيدها، فقال: لا أعرف هذه، ولكن حدثني فلان، ثم أتى بجميع تلك الأحاديث على الوضع الصحيح، وردَّ كل متن إلى سنده[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: هدي الساري (ص٤٨٦)، مقدمة ابن خلدون (٣/ ٩-١٠)، قال الصنعاني في توضيح الأفكار عن قصة البخاري مع علماء الحديث في بغداد: «وهي مشهورة أخرجها ابن عدي =

المصدر الثالث: الإجماع، وهو الأصل الثالث عندهم في تلقي الاعتقاد، والمقصود: إجماع السلف؛ لأنه بعدهم كثر الاختلاف وتفرق الناس؛ ولهذا قال الإمام أحمد: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم»[(١)].

والأمة لا تُجْمع على ضلالة، وقد يخطئ بعض الأئمة؛ إذ لا عصمة إلا لرسل الله، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب الوحي، ولكن لا يجمعون على خطأ - بحمد الله.

فأهل السنة والجماعة «يزِنون بهذه الأصول الثلاثة (الكتاب والسنة والإجماع) جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة، مما له تعلق بالدين»[(٢)].

۞ ثانيًا: المصادر الفرعية:

المصادر الفرعية لتلقي العقيدة ثلاثة، وهي: (١) العقل **(٢)** الفطرة **(٣)** الحس.

ومعنى كونها فرعية: أنها ليست مصادر مستقلة للتلقي، بل هي تابعة وعاضدة للكتاب والسنة والإجماع ومؤيدة لها.

المصدر الأول: العقل السليم:

يراد بالعقل السليم: السالم من تأثير الشهوات والشبهات، ويقال له: العقل الصريح أيضًا.

ويطلق العقل على الغريزة المدركة التي ميز الله بها الإنسان عن سائر

= عن مشايخ البخاري، وأخرجها أبو بكر الخطيب في التاريخ في غير موضع، وساقها الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح بإسناده» (توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ص: ١٠٣-١٠٤).

(١) أصول السنة لأحمد بن حنبل (ص١٤).

(٢) العقيدة الواسطية (ص١٢٨).

الحيوان، وهذا هو المعنى الحقيقي للعقل، كما يرى الحارث المحاسبي[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز، ويقصد المنافع دون المضار... وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء؛ كما أن في العين قوة بها يبصر، وفي اللسان قوة بها يذوق، وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء»[٢]، وهذا هو العقل الغريزي، **أما العقل المكتسب فيراد به أمران:**

الأول: العلوم الضرورية، كمعرفة أن الجزء أصغر من الكل، وأن الضدين لا يجتمعان، وأن المحدَث لا بد له من محدِث.

الثاني: العمل بموجِب هذا العلم الضروري، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية، ومنهم من يقول: العقل هو العمل بموجب تلك العلوم، والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا»[٣].

فالعقل إذن قسمان: (١) عقل غريزي، وهو الأصل، **(٢)** وعقل مكتسب.

يقول الإمام ابن القيم: «العقل عقلان: عقل غريزة وهو أبو العلم ومربيه ومثمره، وعقل مكتسب مستفاد وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته، فإذا اجتمعا في العبد، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واستقام له أمره، وأقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب»[٤]، «واعلم أن العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي؛ لأنه نتيجة منه، وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل

---

(١) انظر: ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه، الحارث المحاسبي (ص٢٠١-٢١٠)، تحقيق: حسين القوتلي، ويراجع: الانتصار لأصحاب الحديث، السمعاني (ص٨١).

(٢) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٧)، وانظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ص٢٦٠).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٢٣-٣٢٤)، وانظر: المسوَّدة في أصول الفقه (ص٥٥٨)، إحياء علوم الدين، الغزالي (١/ ٨٥-٨٦).

المكتسب، فيكون صاحبه مسلوب الفضائل، موفور الرذائل»[(١)].

أما وجه كون العقل مصدرًا فرعيًّا للتلقي فإنه -كما يقول ابن الجوزي- «الآلة في معرفة الإله سبحانه، والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد، بعثت الرسل وأنزلت الكتب»[(٢)].

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اعلم أن عامة مسائل أصول الدين الكبار؛ مثل: الإقرار بوجود الخالق وبوحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته وعظمته والإقرار بالثواب وبرسالة محمد ﷺ وغير ذلك مما يعلم بالعقل، قد دل الشارع على أدلته العقلية»[(٣)].

والعقل عند أهل السنة ليس مصدرًا مستقلًّا للمعرفة، بل هو تابع للوحي، بخلاف المتكلمين الذين يجعلون العقل أصلًا والوحي تابعًا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلًّا بذلك، بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورًا حيوانية، قد يكون فيها محبة ووَجْدٌ وذوق كما قد يحصل للبهيمة، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، لم تأتِ بما يعلم بالعقل امتناعه»[(٤)]، فـ«العقل ليس أصلًا لثبوت الشرع في نفسه، ولا معطيًا له صفة لم تكن له، ولا مفيدًا له صفة كمال»[(٥)].

فالعقول لا تستقل بمعرفة أصول الدين على سبيل التفصيل لعجزها

(١) أدب الدنيا والدين (ص٢٦).
(٢) تلبيس إبليس (ص٣).
(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٣٠).
(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٨-٣٣٩).
(٥) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٨٨).

وقصورها، ولو كانت تستقل لما أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «من المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل، فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين»[(١)]، وقال السفاريني: «العقول لو كانت مستقلة بمعرفة الحق وأحكامه، لكانت الحجة قائمة على الناس قبل بعث الرسل وإنزال الكتب، واللازم باطل بالنص، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: ١٣٤]، فكذا الملزوم»[(٢)].

ولذلك يتعين على العبد أن يجعل عمدته في التلقي: الوحي، يقول ابن خلدون: «فاتهم إدراكك ومدركاتِك في الحصر، واتبع ما أمرك الشارع به في اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك، وأعلم بما ينفعك؛ لأنه من طورٍ فوق إدراكك، ومن نطاقٍ أوسعَ من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال»[(٣)].

ومهما بلغ كمال عقل المرء فهو محتاج إلى الوحي، يقول ابن القيم: «إن عقل رسول الله ﷺ أكمل عقول أهل الأرض على الإطلاق، فلو وزن عقله بعقولهم لرجح بها كلها، وقد أخبر سبحانه أنه قبل الوحي لم يكن يدري الإيمان كما لم يكن يدري الكتاب. فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٦).
(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٠٥).
(٣) مقدمة ابن خلدون (٢/ ٢٣٢)، تحقيق: إبراهيم شبوح.

يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٦-٧]، وتفسير هذه الآية بالآية التي في آخر الشورى، فإذا كان أعقل خلق الله على الإطلاق إنما حصل له الهدى بالوحي، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ﴾ [سبأ: ٥٠] فكيف يحصل لسفهاء العقول وأخفاء الأحلام وفراش الألباب الاهتداء إلى حقائق الإيمان بمجرد عقولهم دون نصوص الأنبياء: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾ [مريم: ٨٩ - ٩٠]»[١].

والخلاصة: لا يمكن أن يستقل العقل البشري بمعرفة أصول الدين على سبيل التفصيل، أما على سبيل الإجمال، فإن عامة أصول الدين الكبار مما يعرف بالعقل.

المصدر الثاني: الفطرة السليمة:

الفطرة لغة: الخِلْقة التي خلق الإنسان عليها[٢]، وشرعًا: ما خلق عليه الإنسان من القوة العلمية والعملية التي تقتضي بذاتها الإسلام إذا لم يمنعها من ذلك مانع[٣].

والمراد بالسليمة: التي لم تتأثر بمؤثرات تغيرها.

ووجه كون الفطرة مصدرًا فرعيًّا: هو أن جميع بني آدم مفطورون على «المعارف اليقينية والبراهين العقلية، وما جاءت به الرسل من الأخبار الإلهية عن الله تعالى واليوم الآخر»[٤]، «فإن الله تعالى نصب على الحق الأدلة والأعلام الفارقة بين الحق والنور وبين الباطل والظلام، وجعل فطر عباده مستعدة لإدراك الحقائق ومعرفتها، ولولا ما في القلوب من الاستعداد لمعرفة الحقائق، لم يكن النظر والاستدلال ولا الخطاب والكلام، كما أنه سبحانه

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٧٣٤-٧٣٥).
(٢) انظر: لسان العرب (٥/ ٥٦).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٧).
(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٧).

جعل الأبدان مستعدة للاغتذاء بالطعام والشراب، ولولا ذلك لما أمكن تغذيتها وتربيتها، وكما أن في الأبدان قوةً تفرق بين الغذاء الملائم والمنافي، ففي القلوب قوة تفرق بين الحق والباطل أعظم من ذلك»[(١)].

المصدر الثالث: الحس:

المراد بالحس: «هو القوة المدركة النفسانية... والحواس هي: المشاعر الخمس، وهي: البصر، والسمع، والذوق، والشم، واللمس»[(٢)]، ووجه كون الحس مصدرًا فرعيًّا: أنه وسيلة الإدراك المباشر، لكنه لا يعد مصدرًا مستقلًّا كما يتوهمه أصحاب المذهب الحسي؛ لأن طرق العلم ثلاثة: (١) النقل (الوحي)، (٢) العقل، (٣) الحس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «طرق العلم ثلاثة: الحس، والعقل، والمركب منهما كالخبر»[(٣)]، بمعنى أن الخبر لا بد أن يستند إلى إحدى الحواس كالسمع والبصر، فإذا تواتر المسموع أو المرئي حكم العقل بصدقه.

ومما يدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأخبر أنه سيريهم الآيات الأفقية والنفسية المبينة؛ لأن القرآن الذي أخبر به عباده حق، فتتطابق الدلالة البرهانية القرآنية، والبرهانية العيانية، ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول»[(٤)]، «فالله تعالى يُري عبادَه من آياته المشاهدة المعاينة الفعلية، ما يبين صدق آياته المنزلة المسموعة القولية»[(٥)].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٦٢).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي (١/ ٦٦٢).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٧٨). (٤) منهاج السنة النبوية (١/ ٣٠١).

(٥) الجواب الصحيح (٣/ ٢٠٧).

وقال ابن أبي العز: «طريقة الجمهور: الاستدلال بالآيات المشاهدة؛ لأنها أسهل تناولًا»[(١)].

وقال أيضًا: «وقد يكون الذي يخبر به الرسول ما لم يدركوا مثله الموافق له في الحقيقة من كل وجه، لكن في مفرداته ما يشبه مفرداتهم من بعض الوجوه، كما إذا أخبرهم عن الأمور الغيبية المتعلقة بالله واليوم الآخر، فلا بد أن يعلموا معنًى مشتركًا وشبهًا بين مفردات تلك الألفاظ وبين مفردات ما علموه في الدنيا بحسهم وعقلهم، فإذا كان ذلك المعنى الذي في الدنيا لم يشهدوه بعد، ويريد أن يجعلهم يشهدونه مشاهدة كاملة ليفهموا به القدر المشترك بينه وبين المعنى الغائب، أشهدهم إياه، وأشار لهم إليه، وفعل قولًا يكون حكاية له وشبهًا به، يعلم المستمعون أن معرفتهم بالحقائق المشهودة هي الطريق التي يعرفون بها الأمور الغائبة»[(٢)].



(١) شرح الطحاوية (١/ ٥٣).
(٢) شرح الطحاوية (١/ ٦٧).



المبحث الحادي عشر

مصادر التلقي عند المخالفين إجمالًا ومواقف أهل السنة منها

أولًا: مصدر التلقي عند أهل الكلام:

المصدر الأول لتلقي العقيدة عند أهل الكلام هو العقل، يقول أبو علي الجبائي المعتزلي: «إن سائر ما ورد به القرآن من التوحيد والعدل ورد مؤكِّدًا لما في العقول، فأما أن يكون دليلًا بنفسه يمكن الاستدلال به ابتداء فمحال»[(١)]، ثم تأثر أكثر الأشاعرة بهذا المنهج[(٢)]، وهذا غلو في تقديس العقل.

الرد عليهم من وجهين:

الوجه الأول: أن منشأ اعتماد المتكلمين على العقل وتقديمه على النقل هو ظنهم أن النقل مجرد خبر يجب التصديق به، والحقيقة أن القرآن قد أقام الأدلة

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار (٤/ ١٧٤-١٧٥)، وانظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (ص١٣٩)، شرح الأصول الخمسة (ص٨٨)، المعتمد في أصول الفقه (٢/ ٦٩٤).

(٢) انظر: التقريب والإرشاد، الباقلاني (١/ ٢٢٨)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، الجويني (ص٣٥٨)، معالم أصول الدين، الرازي (ص٢٥)، قانون التأويل، الرازي (ص٤٦٢).

العقلية على جميع أصول الاعتقاد، مما هو أقوى وأشرف وأسلم من أدلة المتكلمين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن كان يَظُنُّ طوائف من المتكلمين والمتفلسفة أن الشرع إنما يدل بطريق الخبر الصادق... فقد غلطوا في ذلك غلطًا عظيمًا، بل ضلوا ضلالًا مبينًا، في ظنهم أن دلالة الكتاب والسنة إنما هي بطريق الخبر المجرد، بل الأمر ما عليه سلف الأمة، أهل العلم والإيمان، من أن الله سبحانه وتعالى بين من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم بذلك ما لا يُقدِّر أحد من هؤلاء قدره، ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه»[(١)].

ويقول أيضًا: «قد ذكرنا في غير موضع أن أصول الدين الذي بعث الله به رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم قد بينها في القرآن أحسن بيان، وبين دلائل الربوبية والوحدانية، ودلائل أسماء الرب وصفاته، وبين دلائل نبوة أنبيائه، وبين المعاد؛ بين إمكانه وقدرته عليه في غير موضع، وبين وقوعه بالأدلة السمعية والعقلية... وأهل البدع الذين ابتدعوا أصول دين يخالف ذلك، ليس فيما ابتدعوه لا هدى ولا دين حق؛ فابتدعوا ما زعموا أنه أدلة وبراهين على إثبات الصانع، وصدق الرسول، وإمكان المعاد أو وقوعه، وفيما ابتدعوه ما خالفوا به الشرع، وكل ما خالفوه من الشرع، فقد خالفوا فيه العقل أيضًا؛ فإن الذي بعث الله به محمدًا صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء هو حق وصدق، وتدل عليه الأدلة العقلية، فهو ثابت بالسمع، وبالعقل»[(٢)].

الوجه الثاني: هذه الدعوى مبنية على فرضية لا حقيقة لها البتة؛ وهي دعوى تعارض العقل مع النقل، وهي دعوى باطلة، سيأتي بيان بطلانها في مبحث مستقل.



(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٨).
(٢) النبوات (٢/ ٦١٣).

۞ ثانيًا: مصدر التلقي لدى الصوفية:

لما غالى المتكلمون في الاعتماد في التلقي على العقل قابلهم كثير من الصوفية، فعطلوا العقل وذموه، واعتقدوا أن الولاية لا تنال إلا بفقده، ومدحوا البله والمجانين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيبونه، ويرون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب به صريح العقل، ويمدحون السُّكْر[(١)] والجنون والوَلَه وأمورًا من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز»[(٢)].

وقد اعتمدوا على مصادر وهمية تتبين فيما يلي:

أولًا: الكشف والشهود:

يحصر ابن عربي مصادر العلم عندهم[(٣)] فيما يسمونه بالكشف والشهود، فيقول: «لا علم إلا ما كان عن كشف وشهود»[(٤)]، «ومن لا كشف له، لا علم له»[(٥)]، وحقيقة الكشف عندهم، يبينها الغزالي بقوله: «فنعني بعلم المكاشفة:

(١) السكر في اصطلاح الصوفية «هو: اسم لقوة الطرب الذي لا يدفعه الصبر. وهذا المعنى لم يعبر عنه في القرآن، ولا في السنة، ولا العارفون من السلف بالسكر أصلًا، وإنما ذلك من اصطلاح المتأخرين، وهو بئس الاصطلاح» (مدارج السالكين ٣/ ٢٨٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٨).

(٣) هؤلاء هم الغلاة من المنتسبين إلى التصوف؛ لأن التصوف درجات كما يقول المحققون (انظر: مقالات الفرق، ص: ٣٩٥)، وأما أوائل الصوفية فهم في الجملة يعتمدون في التلقي على الكتاب والسنة، قال الجنيد: «من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة» (الرسالة القشيرية ١/ ٧٩)، وقال أبو الحسن الشاذلي: «إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة، ودعِ الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنْها لي في جانب الكشف ولا الإلهام، ولا المشاهدة» (طبقات الشعراني ص: ٢٩١).

(٤) الطبقات الكبرى، الشعراني (ص١١).

(٥) الفتوحات المكية (٣/ ٣٣٥)، وانظر: رسائل ابن عربي (ص٥٣٥)، المنقذ من الضلال، =

أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحًا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه»[(١)].

والشهود عندهم هو: مشاهدة الملائكة والأنبياء في اليقظة والتلقي عنهم، يقول الغزالي: «إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون أصواتًا، ويقتبسون منهم فوائد»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان بطلان ذلك: «إن ابن عربي وهؤلاء يعظمون طريق الكشف والمشاهدة والرياضة والعبادة، ويذمون طريق النظر والقياس، وما يدعونه من الكشف والمشاهدة عامته خيالات في أنفسهم، ويسمونها حقيقة؛ ولهذا يقول: باب أرض الحقيقة، وهي أرض الخيال، وقد ادعى أن الفتوحات المكية ألقاها إليه روح بمكة، وإذا كان صادقًا فقد ألقاها إليه شيطان من الشياطين، كما كان مسيلمة الكذاب يلقي إليه شيطان، وكذلك الأسود العنسي، وكذلك غيرهما من المتنبئين الكذابين»[(٣)].

ثانيًا: ومما يعتمدون عليه أيضًا في التلقي: ما يسمونه الإلهام:

حتى إنهم يعدونه بمثابة الوحي من الله تعالى، يقول الغزالي: «ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك، بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم؛ فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة»[(٤)]، وقال ابن عربي: «فمن كان يأخذ عن الله لا عن نفسه، كيف ينتهي كلامه أبدًا؟! فشتان بين مؤلِّف

= لأبي حامد الغزالي (ص١٧٨)، الرسالة القشيرية (ص٧٥-٧٦)، التعرف لمذهب التصوف (ص٩٧).

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٠)، وانظر: تعريف القشيري للمكاشفة في: الرسالة القشيرية (ص٧٥).

(٢) المنقذ من الضلال، لأبي حامد الغزالي (ص١٧٨)، وانظر: رسائل ابن عربي (ص٥٣٥)، الرسالة القشيرية (ص٧٥-٧٦)، التعرف لمذهب التصوف (ص٩٧).

(٣) الرد على المنطقيين (ص٤٨٨-٤٨٩)، وانظر: مدارج السالكين (٣/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ١٩).

يقول: حدثني فلان رَحِمَهُ اللَّهُ عن فلان رَحِمَهُ اللَّهُ، وبين من يقول: حدثني قلبي عن ربي، وإن كان هذا الأخير رفيع القدر، فشتان بينه وبين من يقول: حدثني ربي عن ربي؛ أي: حدثني ربي عن نفسه»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: حدثني قلبي عن ربي، فصحيح أن قلبه حدثه، ولكن عمَّن؟ عن شيطانه؟ أو عن ربه؟ فإذا قال: حدثني قلبي عن ربي. كان مسند الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به، وذلك كذب. ومُحدَّث الأمة لم يكن يقول ذلك، ولا تفوه به يومًا من الدهر، وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك؛ بل كتب كاتبه يومًا: هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فقال: لا، امحه، واكتب: هذا ما رأى عمر بن الخطاب، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمن عمر، والله ورسوله منه بريء، وقال في الكلالة: أقول فيها برأيي فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان»[(٢)].

ثالثًا: ويدعون أنهم يتلقون عن الرسول ﷺ في اليقظة:

يقول الشعراني: «سمعت عليًّا الخواص رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: لا يكمل عبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة»[(٣)].

وهذا كله من تلبيس الشياطين، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن «الشياطين كثيرًا ما يتصورون بصورة الإنس في اليقظة والمنام[(٤)]، وقد تأتي لمن لا يعرف فتقول: أنا الشيخ فلان أو العالم فلان... وربما أتى في اليقظة

(١) الفتوحات المكية (١/ ٢٥٧).

(٢) نقله عنه ابن القيم في: مدارج السالكين (١/ ٦٤)، وانظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١١٢).

(٣) لواقح الأنوار القدسية (ص١٦).

(٤) وعلامة أنه شيطان أن يقرأ بصدق وإيمان آية الكرسي، فإن الشيطان لا يقربه، كما في الحديث: «**إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي؛ لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح**». رواه البخاري في صحيحه (ح٣١٠١) من حديث أبي هريرة.

دون المنام، وقال: أنا المسيح؛ أنا موسى؛ أنا محمد؛ وقد جرى مثل ذلك أنواع أعرفها، وثم من يصدق بأن الأنبياء يأتون في اليقظة في صورهم، وثم شيوخ لهم زهد وعلم وورع ودين يصدقون بمثل هذا! ومن هؤلاء من يظن أنه حين يأتي إلى قبر نبي أن النبي يخرج من قبره في صورته فيكلمه»[(١)].

وقال ابن عبد البر لمن ظن أنه حين يأتي إلى قبر النبي ﷺ يخرج من قبره في صورته فيكلمه، وظن هذا من كراماته!: «ويحك، أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؟! فهل في هؤلاء من سأل النبي ﷺ بعد الموت وأجابه؟ وقد تنازع الصحابة في أشياء، فهلا سألوا النبي ﷺ فأجابهم؟! وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثه فهلا سألته فأجابها؟!»[(٢)].

۞ ثالثًا: مصدر التلقي لدى الرافضة:

العمدة في التلقي عندهم: قول الإمام؛ ولذا يسمى الإسماعيلية بالتعليمية؛ لاعتمادهم على ما يسمونه تعاليم المعصوم، قال الغزالي: «وأما التعليمية فإنهم لُقِّبوا بها؛ لأن مبدأ مذاهبهم إبطال الرأي، وإبطال تصرف العقول، ودعوة الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم، وأنه لا مدرك للعلوم إلا التعليم»[(٣)].

أما الإثنا عشرية فالمصدر عندهم أيضًا هو قول الإمام الذي يدَّعون عصمته، حتى إنهم يزعمون أن قوله كقول الله ورسوله، فقالوا: «إن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله ﷻ، ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى»[(٤)]، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقالوا: يجوز لمن

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٠٦- ٤٠٧)، وانظر: الجواب الصحيح (٣/ ١٥)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٦٨).
(٢) عن: مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٠٧).
(٣) فضائح الباطنية (ص١٧).
(٤) شرح جامع على الكافي (٢/ ٢٧١- ٢٧٢).

سمع حديثًا عن أبي عبد الله (جعفر الصادق) أن يرويه عن أبيه، أو عن أحد من أجداده، بل يجوز أن يقول قال الله تعالى»[(١)]؛ ولهذا نصوا في دستورهم على أن السنة هي «سنة المعصومين»[(٢)]، لا سُنَّة رسول الله ﷺ المعصوم وحده؛ ذلك «أن الإمامة استمرار للنبوة»[(٣)] عندهم، فالنص النبوي استمر -بزعمهم- إلى ما يسمونه الغيبة الكبرى سنة ٣٣٠هـ تقريبًا، ثم إنهم جمعوا كثيرًا مما نقله الوضاعون، ونسبوها لبعض أئمة أهل البيت، وسموها صحاح الإمامية، وانفصلوا عن عموم المسلمين في مصدر التلقي[(٤)]، فلا يرجعون إلى دواوين السنة التي يرجع إليها عموم المسلمين.

وهذا الاعتقاد عند هذه الطوائف المنتسبة للتشيع - وهو الاعتماد على قول الإمام في التلقي - اعتقاد باطل بنص القرآن، قال جل وعلا: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] ولم يقل: وإلى الإمام، وقال تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولم يقل: والأئمة، وهذه الأدلة صريحة في إبطال قولهم؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن هذا «يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسل حاجة عامة كالأئمة»[(٥)].



(١) المصدر السابق.

(٢) الدستور الإسلامي لجمهورية إيران (ص٢٠)، وانظر: تاريخ الإمامية، عبد الله فياض (ص١٤٠).

(٣) عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر (ص٦٦).

(٤) للمزيد من التفصيل يراجع: أصول مذهب الشيعة، ناصر القفاري (٢/ ٧٧٥).

(٥) مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٦).



المبحث الثاني عشر

مناقشة دعوى عدم الاستدلال بأخبار الآحاد[1] في العقيدة إجمالًا

يرى المتكلمون أنه لا يقبل في الاعتقاد «إلَّا الأخبار المتواترة التي لا يحتاج فيها إلى أسانيد، ولا إلى فلان عن فلان»[2].

قال الرازي: «أخبار الآحاد مظنونة، فلم يجز التمسك بها في معرفة الله تعالى وصفاته»[3].

---

(١) حديث الآحاد هو كل ما سوى المتواتر، والمتواتر هو: **ما اجتمع فيه أربعة شروط:**

١- عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم أو توافقهم على الكذب.

٢- روَوْا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء.

٣- وكان مستند انتهائهم الحس.

٤- وانضاف إلى ذلك أن يصحب خبرَهم إفادةُ العلم لسامعه.

فكل ما لم تجتمع فيه شروط التواتر فهو خبر آحاد، **ويدخل فيه:** (١) **المشهور وهو:** ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين، (٢) **والعزيز وهو:** ألا يرويه أقل من اثنين عن اثنين، (٣) **والغريب وهو:** ما يتفرد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرد به من السند. انظر: نزهة النظر لابن حجر (ص٤٠-٥٤)، تحقيق: د. عبد الله الرحيلي.

(٢) قبول الأخبار ومعرفة الرجال، البلخي (١/ ١٧)، وانظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار (ص٧٧٠)، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للباقلاني (ص٤٤١-٤٤٢).

(٣) أساس التقديس (ص١٢٧).

وقال التفتازاني: «خبر الواحد -على تقدير اشتماله على جميع الشرائط- لا يفيد إلا الظنَّ، ولا يعتبر إلا في العمليات دون الاعتقادات»(١).

وهذا غير صحيح لما يلي:

أولًا: أنه يجب قبول كل ما صح عن الرسول ﷺ والاحتجاج به، سواء أكان متواترًا أم آحادًا، وسواء كان في العقائد أو في الأحكام؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٖ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قال الإمام الشافعي: «إذا حدث الثقة عن الثقة حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ فهو ثابت عن رسول الله ﷺ، ولا نترك لرسول الله حديثًا أبدًا»(٢).

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملًا به وتصديقًا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع»(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «وقد شاع فاشيًا عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد من غير نكير، فاقتضى الاتفاق منهم على القبول»(٤).

ثانيًا: أن القول بعدم حجية حديث الآحاد في العقائد قول مبتدع محدث، أول من ابتدعه هم المعتزلة، وكان قصدهم رد الأحاديث الصحيحة؛ لأنها حجة عليهم، وأول من نقل عنه إنكار حجية الخبر المتواتر هو إمام المعتزلة: واصل بن عطاء(٥)؛ ولهذا كان ميل المعتزلة إلى ردها وإنكار حجيتها أكثر من ميلهم إلى تأويلها، قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «كان شيوخنا -رحمهم

(١) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ١٩٨).
(٢) الأم للشافعي (٧/ ٢٠١). (٣) شرح الطحاوية (٢/ ٥٠١).
(٤) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٣٤).
(٥) انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، للقاضي عبد الجبار (ص٢٣٤).

الله- لا يسوغون التعسف في تأويل أخبار الآحاد، ويردون ما هذا حاله من الأخبار إذا قل احتماله للصواب»(١).

ثالثًا: أنه لا دليل معتبر على ما ذهبوا إليه، بل الدليل من الكتاب والسنة، والإجماع على خلافه.

أما الكتاب:

١- فقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، ولفظ (الطائفة) يتناول الواحد فأكثر؛ مما يدل على الاحتجاج بخبره، قال الإمام البخاري: «ويسمى الرجل: طائفة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩]، فلو اقتتل رجلان دخل في معنى الآية»(٢)، وقال الخطيب البغدادي: «ذكر الله تعالى الطائفة في هذه الآية، واسم الطائفة يقع على القليل وعلى الكثير، فوجب أن يثبت الحكم بمن وقع عليه هذا الاسم»(٣).

٢- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦]، قال الخطيب البغدادي: «وفي ذلك دلالة واضحة على إمضاء خبر العدل، والفرق بينه وبين خبر الفاسق، ولو كانا سِيَّيْنِ في التثبت لبينه ﷻ»(٤)، وقال الإمام ابن القيم: «وهذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد، وأنه لا يحتاج إلى التثبت، ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم»(٥).

٣- وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار (٤/ ٢٣٣).

(٢) صحيح البخاري (٩/ ٨٦).

(٣) الفقيه والمتفقه (١/ ٢٨٠).

(٤) الفقيه والمتفقه (١/ ٢٨١).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٥٧٧).

إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ [النحل: ٤٣]، «فأمر مَن لم يعلم أن يسأل أهل الذكر، وهم أولو الكتاب والعلم، ولولا أن أخبارهم تفيد العلم؛ لم يأمر بسؤال من لا يفيد خبره علمًا»[(١)].

وأما الأدلة من السنة فكثيرة جدًّا، منها:

١- حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»[(٢)]، فعلق بلاغ الدين على خبر رجل واحد، وقام بخبره الحجة على من بلغهم.

٢- وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: بينا الناس بقباء في صلاة الصبح؛ إذ جاءهم آتٍ، فقال: «إن رسول الله ﷺ قد أُنْزِل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبِلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة»[(٣)]، «فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد لم يتركوا المقطوع به المعلوم لخبر لا يفيد العلم»[(٤)].

٣- وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم،**

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٥٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٤٩٦)، ومسلم (ح١٩).

(٣) أخرجه البخاري (ح٤٠٣).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٥٧٧).

فإن الدعوة تحيط من ورائهم»(١) . قال الإمام الشافعي: «فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرأً -والامرُؤُ واحد- دل على أنه لا يأمر أن يؤدَّى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدَّى إليه؛ لأنه إنما يؤدَّى عنه حلال وحرام يجتنب، وحَدٌّ يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا»(٢) .

٤- ومنها كتبه ﷺ التي كتبها إلى الملوك ليدعوهم إلى الإسلام، كما بعث دحية الكلبي إلى هرقل(٣) ، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى(٤) .

وأما الإجماع فقد نقله غير واحد من العلماء، قال الإمام ابن عبد البر: «أجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع شرذمة لا تعد خلافًا»(٥) .

وقال الإمام الخطيب البغدادي: «وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين، في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا، ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار لذلك ولا اعتراض عليه، فثبت أن من دين جميعهم وجوبَه؛ إذ لو كان فيهم من كان لا يرى العمل به لنقل إلينا الخبر عنه بمذهبه فيه»(٦) .

وقال الإمام السمعاني: «الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ، ورواه الثقات

---

(١) أخرجه الترمذي (ح٢٦٥٨)، وابن ماجه (ح٢٣٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع رقم٦٧٦٥).

(٢) الرسالة للشافعي (ص٤٠٢-٤٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح٧)، ومسلم (ح١٧٧٣).

(٤) أخرجه البخاري (ح٤٤٢٤).

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ٢).

(٦) الكفاية في علم الرواية (ص٣١).

والأئمة، وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ، وتلقته الأمة بالقبول؛ فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم، هذا قول عامة أهل الحديث، والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به، شيء اخترعته القدرية والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول، ولو أنصفت الفرق من الأمة لأقروا بأن خبر الواحد يوجب العلم، فإنك تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد»[(١)].

وقال الإمام ابن القيم في تقريره لاتفاق الصحابة على حجية خبر الواحد إذا صح عن النبي ﷺ: «ومن هذا: إخبار الصحابة بعضهم بعضًا؛ فإنهم كانوا يجزمون بما يحدث به أحدهم عن رسول الله ﷺ، ولم يقل أحد منهم لمن حدثه عن رسول الله ﷺ: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر»[(٢)].



(١) الانتصار لأصحاب الحديث (ص٣٤-٣٥)، وانظر: الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي (١/ ٢٨١).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٥٥٢).



المبحث الثالث عشر

مناقشة دعوى تعارض[(١)] العقل مع النقل

۞ أولًا: دعوى تعارض العقل مع النقل:

تقوم هذه الدعوى عند جمهور المتكلمين على أنه إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل؛ لأنه لولا العقل لما عرف صحة النقل، فالعقل أصل للنقل، والنقل فرع عنه وتابع له، وأدلة النقل ما هي إلا مؤكدة لدلائل العقول؛ ولذلك جعلوا العقل في ترتيب الأدلة مقدمًا على الكتاب والسنة، وعند التعارض يجب تأويل النقل ليتفق مع العقل، أو تفويض العلم بمعناه إلى الله تعالى[(٢)].

وممن غلا في القول بتقديم العقل على النقل: الفخر الرازي في كتابه (أساس التقديس)[(٣)]، وقد تصدى لنقضه والرد عليه: شيخ الإسلام ابن تيمية

(١) معنى التعارض: التناقض والتضاد والتنافي. انظر: المعتمد لأبي الحسين البصري (١/ ٣٥٩)، المستصفى للغزالي (٢/ ٢٣٢)، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٤/ ٢٣٩)، والمراد بتعارض العقل والنقل: «هو تقابلهما على وجه يمنع كل واحد منهما مقتضى صاحبه» (نهاية السول شرح منهاج الوصول للإسنوي، ص٢٥٤).

(٢) انظر: المغني، للقاضي عبد الجبار (١٢/ ١٧٧)، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للباقلاني (ص١٣)، تحقيق مكارثي، الإرشاد، للجويني (ص٣٥٩-٣٦٠).

(٣) انظر: أساس التقديس في علم الكلام، للرازي (ص١٣٠).

ومما ينبغي أن يعلم أن الرازي قد رجع عن منهجه الكلامي وذلك قبيل وفاته بسنة، بعد أن =

في كتاب مستقل سماه: «درء تعارض العقل والنقل»[(١)] لم يؤلف مثله في بابه، وقال: «بينا في هذا الكتاب فساد القانون الفاسد الذي صدوا به الناس عن سبيل الله، وعن فهم مراد الرسول ﷺ وتصديقه فيما أخبر؛ إذ كان أي دليل أقيم على بيان مراد الرسول ﷺ لا ينفع إذا قدر أن المعارض العقلي القاطع ناقضه، بل يصير ذلك قدحًا في الرسول، وقدحًا فيمن استدل بكلامه»[(٢)].

۞ ثانيًا: مناقشة دعوى تعارض العقل مع النقل:

بيان بطلان هذه الدعوى يظهر من وجوه كثيرة، من أهمها ما يلي:

الوجه الأول: عدم التسليم بوجود التعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، بل يصدق أحدهما الآخر ويشهد أحدهما بصحة الآخر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه»[(٣)]، فإذا وجد ما ظاهره التعارض فلا بد من كون النقل غير قطعي الثبوت أو غير قطعي الدلالة، أو أن العقل غير صريح الدلالة، وإلا فلا يمكن بحال التعارض بين نقل قطعي الثبوت والدلالة وعقل مقطوع بصحته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومتى تعارض في ظن الظانِّ الكتاب والميزان، النص والقياس الشرعي أو العقلي فأحد الأمرين لازم، إما فساد دلالة ما احتج به من النص، إما بألا يكون ثابتًا عن المعصوم، أو لا يكون دالًّا على ما ظنه، أو فساد دلالة ما احتج به من القياس سواء كان شرعيًّا أو عقليًّا، بفساد بعض مقدماته، أو كلها؛ لما يقع في الأقيسة من الألفاظ المجملة المشتبهة»[(٤)].

= أدرك أن عاقبته الحيرة والقلق والاضطراب. انظر: ذم لذات الدنيا، للرازي (ص٢٦٢-٢٦٥).

(١) وسماه أيضًا: «رد تعارض العقل والنقل» (مجموع الفتاوى ١١/ ٢٢٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٦٤).

(٤) الرد على المنطقيين (ص٣٧٣).

وقال ابن القيم:

فإذا تعارض نص لفظ وراد ... والعقل حتى ليس يلتقيان

فالعقل إما فاسد ويظنه الرائي ... صحيحًا وهو ذو بطلان

أو أن ذاك النص ليس بثابت ... ما قاله المعصوم بالبرهان(١)

الوجه الثاني: قلب الدليل على المخالف، فيقال: «إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل؛ لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع؛ لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضًا للنقل؛ لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجبًا عدمَ تقديمه، فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح، فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم ألا يكون العقل دليلًا صحيحًا، وإذا لم يكن دليلًا صحيحًا لم يجز أن يتبع بحال، فضلًا عن أن يقدَّم، فصار تقديم العقل على النقل قدحًا في العقل»(٢)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع؛ لأن العقل مصدِّق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل»(٣).

الوجه الثالث: أن العقول مختلفة، وأهل الكلام متنازعون فيما يسمونه عقليات، فكل منهم يدعي أنه يعلم بضرورة العقل ما يدعي الآخر أنه يعلم بضرورة العقل نقيضه، فأي عقل يتبع ويقدم على النقل؟! قال شيخ الإسلام

(١) نونية ابن القيم (ص١٥٤).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٢٧-٢٢٨).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٣٨).

ابن تيمية: «تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض، وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف، فوجب الثاني دون الأول؛ وذلك لأن كون الشيء معلومًا بالعقل، أو غير معلوم بالعقل ليس هو صفة لازمة لشيء من الأشياء، بل هو من الأمور النسبية الإضافية؛ فإن زيدًا قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله، وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجهله في وقت آخر، والمسائل التي يقال: إنه قد تعارض فيها العقل والشرع جميعها مما اضطرب فيه العقلاء، ولم يتفقوا فيها على أن موجب العقل كذا، بل كل من العقلاء يقول: إن العقل أثبت أو أوجب أو سوغ ما يقول الآخر: إن العقل نفاه أو أحاله أو منع منه، بل قد آل الأمر بينهم إلى التنازع فيما يقولون: إنه من العلوم الضرورية، فيقول هذا: نحن نعلم بالضرورة العقلية ما يقول الآخر: إنه غير معلوم بالضرورة العقلية»[١]، قال الإمام ابن القيم: «إن المعقولات ليس لها ضابط، ولا هي محصورة في نوع معين، فإنه ما من أمة من الأمم إلا ولهم عقليات يختصمون إليها ويختصون بها، فللفرس عقليات، وللهند عقليات، وللمجوس عقليات، وللصابئة عقليات، وكل طائفة من هذه الطوائف ليسوا متفقين على العقليات، بل فيها من الاختلاف ما هو معروف عند المعتنين به»[٢].

الوجه الخامس: «أن ما خالف العقل الصريح فهو باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلًا، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة»[٣].

الوجه السادس: «ليس في المعقول الصريح ما يمكن أن يكون مقدمًا على ما جاءت به الرسل؛ وذلك لأن الآيات والبراهين دالة على صدق الرسل، وأنهم لا يقولون على الله إلا الحق، وأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله من الخبر

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٤٤-١٤٥).

(٢) مختصر الصواعق (ص١٧٣).   (٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٩٠).

والطلب، لا يجوز أن يستقر في خبرهم عن الله شيء من الخطأ، كما اتفق على ذلك جميع المقرين بالرسل من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم، فوجب أن جميع ما يخبر به الرسول عن الله صدق وحق، لا يجوز أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي»[(١)].

الوجه السابع: «أن ما علم بصريح العقل الذي لا يختلف فيه العقلاء لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة، ومن تأمل ذلك فيما تنازع العقلاء فيه من المسائل الكبار وجد ما خَلْفَ النصوص الصريحة شبهاتٍ فاسدةً يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها»[(٢)].

الوجه الثامن: «أن الله تعالى قد تمم الدين بنبيه ﷺ وكمله به، ولم يحوجه هو ولا أمته إلى عقل ولا نقل سواه ولا رأي ولا منام ولا كشف. قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وأنكر على من لم يكتفِ بالوحي فقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١] ذكر هذا جوابًا لطلبهم آية تدل على صدقه، فأخبر أنه يكفيهم من كل آية، فلو كان ما تضمنه من الإخبار عنه وعن صفاته وأفعاله واليوم الآخر يناقض العقل لم يكن دليلًا على صدقه فضلًا عن أن يكون كافيًا»[(٣)].

الوجه التاسع: «أن الله سبحانه نهى المؤمنين أن يتقدموا بين يدي رسوله، وأن يرفعوا أصواتهم فوق صوته، وأن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، وحذرهم من حبوط أعمالهم بذلك، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ١، ٢]، فإذا كان سبحانه قد نهى عن التقديم بين يديه،

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٧٢).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص١١٦).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (ص١١٥).

فأي تقدم أبلغ من تقديم عقله على ما جاء به، قال غير واحد من السلف: (لا تقولوا حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر)، ومعلوم قطعًا أن من قدم عقله أو عقل غيره على ما جاء به فهو أعصى الناس لهذا النبي وأشدهم تقدمًا بين يديه، وإذا كان سبحانه قد نهاهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته، فكيف برفع معقولاتهم فوق كلامه وما جاء به»[(١)].

الوجه العاشر: يترتب على القول بتقديم العقل على النقل لوازم خطيرة، منها:

١- عدم الثقة بكلام الله ورسوله ﷺ لاحتمال وجود معارض عقلي؛ لأن ما يستخرجه الناس بعقولهم لا نهاية له.

٢- تعليق الإيمان بالشرع على عدم وجود معارض عقلي، وهذا ضلال مبين؛ إذ يجعل ما أمر الله به من الإيمان موقوفًا على ما تمليه عقول البشر.

وصدق الشاعر أحمد الصافي النجفي حين قال:

يعترض العقل على خالقٍ ... من بعض مخلوقاته العقلُ



(١) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٩٦-٩٩٧).



المبحث الرابع عشر

أركان الإيمان

تعريفها وأهميتها والأدلة عليها إجمالًا

۞ أولًا: تعريفها:

هي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

۞ ثانيًا: أهميتها:

تظهر أهمية أركان الإيمان من خلال ما يلي:

١- أن الرسل -عليهم الصلاة والسلام- اتفقوا على الدعوة إليها وتقريرها، قال ابن أبي العز الحنفي: «هذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل -صلوات الله عليهم وسلامه- ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل»[(١)].

٢- أن مدار الإيمان على وجود هذه الأركان الستة، ومدار الضلال على الكفر بها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، قال ابن أبي العز: «جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٠٢).

الكافرين من كفر بهذه الجملة»(١).

٣- أن الإيمان سبب دخول الجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة: ٨٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «جعل أهل الجنة هم أهل الإيمان، وأهل النار هم أهل الكفر فيما شاء الله من الآيات، حتى صار ذلك معلومًا علمًا شائعًا متواترًا اضطراريًّا من دين الرسول ﷺ عند كل من بلغته رسالته»(٢).

٤- أن الإيمان سبب لمغفرة الذنوب وتعظيم الأجور، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [المائدة: ٩].

٥- أن الإيمان سبب التمكين والاستخلاف في الأرض، قال جل وعلا: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

٦- أن الإيمان سبب لحصول الهداية والفلاح، قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢، ٣] الآية، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ١-٣]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٥، ٦]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فحكم على النوع كله، والأمة الإنسانية جميعها بالخسارة والسفول إلى الغاية، إلا المؤمنين الصالحين»(٣).

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٠١).
(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٥).
(٣) المصدر السابق.

٧- أن الله تعالى «ربط السعادة مع إصلاح العمل به [أي: الإيمان]، في مثل قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩﴾ [الإسراء: ١٩]»[(١)].

٨- أن الله جل وعلا «أحبط الأعمال الصالحة بزواله في مثل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ [النور: ٣٩]، وقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]»[(٢)].

۞ ثالثًا: أدلتها:

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال جل وعلا: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

وفي حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان، قال ﷺ: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(٣)].



(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٥).
(٢) المصدر السابق.
(٣) أخرجه مسلم (ح٨).



المبحث الخامس عشر

التوحيد

المراد به وأقسامه مع الأدلة

۞ أولًا: التوحيد لغة:

التوحيد مصدر وحَّد يوحِّد؛ أي: جعله واحدًا، والوحدة بمعنى: الانفراد، والواحد: المنفرد، فمادة وحد تدور حول انفراد الشيء بذاته وصفاته وأفعاله[(١)]، قال الراغب: «الوحدة: الانفراد»[(٢)].

۞ ثانيًا: مفهوم التوحيد عند أهل السنة:

التوحيد عند أهل السنة شرعًا: إفراد الله تعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته[(٣)].

ويقال: إفراد الله تعالى بأفعاله وأسمائه وصفاته وحقوقه.

فالأول: (إفراد الله بأفعاله) توحيد الربوبية، **والثاني:** توحيد الأسماء والصفات، **والثالث:** (وحقوقه) توحيد العبادة.

---

(١) انظر: القاموس المحيط (١/ ٣٤٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص٥١٤).

(٣) انظر هذا المعنى في: لوامع الأنوار (١/ ٥٧)، تيسير العزيز الحميد (ص٣٢- ٣٣)، القول المفيد (١/ ١١).

وعرف الإمام محمد بن عبد الوهاب التوحيد بقوله: «إفراد الله بالعبادة»[(١)]، فاقتصر على ذكر توحيد العبادة، وذلك باعتبار أن توحيد العبادة يتضمن توحيد الربوبية، ويستلزم توحيد الأسماء والصفات، ولأنه أعظم وأهم أنواع التوحيد، وهو الذي وقع الخلاف فيه بين الرسل وأممهم.

۞ ثالثًا: مفهوم التوحيد عند المخالفين:

أما مفهوم التوحيد عند المخالفين فإن طوائف البدع -كما يقول ابن القيم[(٢)]- «تقسمت التوحيد، وسمت كل طائفة باطلهم توحيدًا».

١- **فتوحيد الفلاسفة كابن سينا وأرسطو وأتباعهما، هو:** إثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة، بل هو وجود مطلق، لا يعرض لشيء من الماهيات، ولا يقوم به وصف، ولا يتخصص بنعت، بل صفاته كلها سلوب وإضافات، فتوحيد هؤلاء: هو غاية الإلحاد والجحد والكفر[(٣)].

٢- **وتوحيد الاتحادية هو:** أن الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود، وحقيقته وماهيته[(٤)].

٣- **وتوحيد الجهمية هو:** المبالغة في إنكار التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه؛ ولهذا أنكروا علو الله على خلقه بذاته، واستواءه على عرشه، وسمعه وبصره، وقوته وحياته، وكلامه وصفاته وأفعاله ومحبته، ومحبة العباد له... إلخ صفاته تعالى[(٥)].

٤- **وتوحيد القدرية هو:** إنكار قدر الله، وعموم مشيئته للكائنات، وقدرته عليها. قال ابن القيم: «ومتأخروهم ضموا إلى ذلك: توحيد الجهمية، فصار حقيقة التوحيد عندهم: إنكار القدر، وإنكار حقائق الأسماء الحسنى والصفات العلا، وربما سموا إنكار القدر، والكفر بقضاء الرب وقدره:

---

(١) الدرر السنية (١/ ١٢٦)، وانظر: (٢/ ٣٢٤).
(٢) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٥).
(٣) انظر: المصدر السابق.
(٤) انظر: المصدر السابق.
(٥) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٦).

عدلًا، وقالوا: نحن أهل العدل والتوحيد»[١].

٥- **وتوحيد الجبرية هو:** تفرد الرب تعالى بالخلق والفعل، وأن العباد غير فاعلين على الحقيقة، ولا محدثين لأفعالهم، ولا قادرين عليها[٢].

٦- **وتوحيد الرافضة المسماة في عصرنا بالشيعة، أعني الشيعة الإثني عشرية هو:** إفراد أئمتهم الإثني عشر بالإمامة، ومن أشرك معهم غيرهم أو لم يثبت إمامة واحد منهم فهو مشرك عندهم شركًا أكبر، قال شيخهم أبو الحسن العاملي: «إن الأخبار متضافرة في تأويل الشرك بالله والشرك بعبادته بالشرك في الولاية والإمامة؛ أي: يشرك مع الإمام من ليس من أهل الإمامة، وأن يتخذ مع ولاية آل محمد رضي الله عنهم (أي: الأئمة الإثني عشر) ولاية غيرهم»[٣].

۞ رابعًا: أقسام التوحيد عند أهل السنة:

من أهل العلم من يقسم التوحيد إلى قسمين، ومنهم من يقسمه إلى ثلاثة أقسام، وكلها حق، والاختلاف في التقسيم هو من باب اختلاف التنوع.

١- **فمنهم من قال: التوحيد نوعان: الأول:** توحيد في المعرفة والإثبات، **والثاني:** توحيد في الطلب والقصد[٤].

٢- **ومن أهل العلم من يقول: التوحيد ثلاثة أنواع:** توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات[٥].

ولا منافاة بينهما، فمن جعله قسمين فباعتبار ما يجب على المكلف

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤١٦).	(٢) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٧).

(٣) مرآة الأنوار (ص٢٠٢)، انظر: أصول الكافي (١/ ٤٢٧)، تفسير القمي (٢/ ٢٥١)، البرهان (٤/ ٨٣)، تفسير الصافي (٤/ ٣٢٨)، ولمزيد من التفصيل، انظر: أصول مذهب الشيعة (١/ ١٨٦) وما بعدها.

(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٧-٤١٨)، شرح الطحاوية (١/ ٤٢-٤٣).

(٥) انظر: الإبانة الكبرى، ابن بطة (٦/ ١٧٢)، شرح الطحاوية (١/ ٢٤)، مجموع فتاوى ابن باز (٢/ ٣٤-٣٧).

اعتقاده، ومن جعله ثلاثة أقسام فباعتبار متعلَّقه[١].

ومنهم من أضاف نوعًا آخر وهو توحيد الحاكمية؛ وذلك لما ظهر الإعراض عن تحكيم شرع الله، والاحتكام إلى القوانين الوضعية في العصور المتأخرة، والحق أن هذا النوع من التوحيد (الحاكمية) لا يحتاج إلى إضافته كنوع مستقل؛ لأنه داخل ضمن توحيد الربوبية باعتبار أن الله جل وعلا هو الحكَم، وداخل أيضًا ضمن توحيد الألوهية باعتبار وجوب إفراده تعالى بالحكم والطاعة.

وزاد بعضهم نوعًا آخر أيضًا وهو توحيد المتابعة؛ «يعني: وجوب اتباع الرسول والتمسك بالشريعة، فليس هناك متبَع آخر غير الرسول فهو الإمام الأعظم وهو المتبَع، فلا يجوز الخروج عن شريعته فهي شريعة واحدة إمامها واحد وهو نبينا -عليه الصلاة والسلام»[٢]، والحق أننا لا نحتاج إلى زيادة توحيد المتابعة على أقسام التوحيد الثلاثة؛ لأن توحيد المتابعة يتعلق بإفراد الرسول ﷺ بالاتباع، وهو مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله، وضد الاتباع: الابتداع، وتوحيد الألوهية يتعلق بالله جل وعلا، ووجوب إفراده بالعبادة، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وضده الشرك، وتقسيم التوحيد يتعلق بالثاني لا بالأول.

۞ خامسًا: أدلة أنواع التوحيد:

الأدلة في هذا الباب كثيرة في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، والقرآن كله في تقرير هذا الأصل العظيم؛ فإن «من تدبر القرآن الكريم وجد فيه آيات تأمر بإخلاص العبادة لله وحده، وهذا هو توحيد الألوهية، ووجد آيات تدل على أن الله هو الخلاق وأنه الرزاق وأنه مدبر الأمور، وهذا هو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون ولم يدخلهم في الإسلام، كما يجد آيات أخرى تدل

(١) انظر: المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع (ص٨٨).
(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٩/ ٦٦-٦٧).

على أن له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأنه لا شبيه له ولا كفؤ له، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات الذي أنكره المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والمشبهة، ومن سلك سبيلهم»[(١)].

ونشير هنا إلى أمثلة من دلالة القرآن على كل نوع من أنواع التوحيد:

١- **توحيد الربوبية: معناه:** توحيد الله بأفعاله، وهو إفراد الله سبحانه بالمُلك والخلق والتدبير، فمن أدلة أن الله سبحانه هو الخالق المدبر قوله سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]، ومن أدلة أنه المالك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [النور: ٤٢][(٢)].

٢- **توحيد الألوهية: ويسمى توحيد العبادة، ومعناه:** إفراد الله تعالى بالعبادة وذلك بإخلاص العبادة له، وعدم صرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره؛ لأنه سبحانه المستحق أن يُعبد وحده لا شريك له[(٣)]، والأدلة على وجوب إفراده سبحانه بالعبادة كثيرة، كقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله جل وعلا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] قال الإمام القرطبي: «﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: ليوحِّدوه»[(٤)]، وغيرها من الآيات.

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٢١٥).

(٢) انظر في معنى توحيد الربوبية: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣)، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٤)، تجريد التوحيد، للمقريزي (ص٨١) (ضمن مجموع: عقيدة الفرقة الناجية)، لوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٨-١٢٩)، تيسير العزيز الحميد (ص٣٣).

(٣) انظر في تعريف توحيد الألوهية: شرح الطحاوية (١/ ٢٤)، لوامع الأنوار (١/ ٢٩)، تيسير العزيز الحميد (ص٣٦) وغيرها.

(٤) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٤٤).

٣- توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله عز وجل بأسمائه وصفاته، وهو يتضمن أصلين:

الأول: إثبات جميع ما جاء عن الله ورسوله من أسماء الله وصفاته على ما يليق بجلاله، ويختص بعظمته. قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]؛ يعني: الوصف الأكمل.

الثاني: نفي المماثلة: أي لا نجعل لله مثيلًا في أسمائه وصفاته، قال سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]، ويدل على هذين الأصلين قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد اجتمعت أدلة أنواع التوحيد الثلاثة في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥]، فقوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يدل على توحيد الربوبية، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ يدل على توحيد العبادة، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ يدل على توحيد الأسماء والصفات.

الدليل على تقسيم التوحيد:

دليل ذلك هو الاستقراء للنصوص الواردة في الكتاب والسنة، قال العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله حينما سُئِل عن الدليل على تقسيم التوحيد، فأجاب بقوله: «هذا مأخوذ من الاستقراء؛ لأن العلماء لما استقرؤوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظهر لهم هذا»(١).

وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده وابن جرير الطبري(٢) وغيرهما، وقرره شيخا

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٢١٥).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٧٠)، (٥/ ٥٤٩).

الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في «تاج العروس»[(١)]، وشيخنا الشنقيطي في «أضواء البيان»[(٢)] في آخرين -رحم الله الجميع-، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، وهو مطَّرد لدى أهل كل فنٍّ، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تَفُهْ بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء»[(٣)].

۞ سادسًا: العلاقة بين أنواع التوحيد:

توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية؛ لأن من عبد الله وحده لا بد أن يكون قد اعتقد أنه الرب المالك الخالق المدبر المستحق للعبادة، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ويدل عليه ويوجبه؛ ولهذا أقام الله الحجة على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية، كما أن توحيد الأسماء والصفات يتضمن الربوبية؛ لأن الرب من أسماء الله جل وعلا، ولا يسمى به سواه عند الإطلاق، حتى قيل: إنه الاسم الأعظم[(٤)]، ويتضمن أيضًا الألوهية[(٥)].

وكذلك توحيد الربوبية والألوهية مستلزمان لتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن من آمن بانفراد الله بالخلق والملك والتدبير لزمه أن يفرده بالعبادة، ومن أفرد الله بالعبادة لزمه اعتقاد اتصاف الرب المعبود بصفات الجلال ونعوت الكمال[(٦)].

والربوبية والألوهية تارة يذكران معًا فيفترقان في المعنى، ويكون أحدهما قسيمًا للآخر، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١-٣]، فيكون معنى الرب: المالك المتصرف

(١) انظر: تاج العروس (٩/ ٢٧٦).
(٢) انظر: أضواء البيان (٣/ ١٧-١٩).
(٣) التحذير من مختصرات الصابوني (ص٣٣١) في الحاشية، ضمن كتاب (الردود).
(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١/ ٢٢٥).
(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٦).
(٦) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٤١).

في الخلق، ويكون معنى الإله: المعبود بحق، المستحق للعبادة وحده، وتارة يذكر أحدهما مفردًا عن الآخر، فيجتمعان في المعنى، كما في قول الملكين للميت في القبر: من ربك؟ ومعناه: من إلهك وخالقك؟ وكما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف: ١٣][١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإلهية تتضمن الربوبية؛ والربوبية تستلزم الإلهية، فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران، كما في قوله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١-٣]، وفي قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] فجمع بين الاسمين: اسم الإله واسم الرب؛ فإن (الإله) هو المعبود الذي يستحق أن يعبد، و(الرب) هو الذي يربي عبده فيدبره»[٢].

۞ سابعًا: أقسام التوحيد عند أهل الكلام:

الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، وهي: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، **ويعبرون عنها بقولهم:**

١- واحد في ذاته لا قسيم له.

٢- واحد في صفاته لا شبيه له.

٣- واحد في أفعاله لا شريك له.

قال الشهرستاني: «الباري تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له»[٣].

---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٠٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٣-٢٨٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٧٧)، منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام (ص٥٦)، وانظر: شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني =

نقد هذا التقسيم:

أولًا: «قولهم: هو واحد لا قسيم له في ذاته، أو لا جزء له، أو لا بعض له لفظ مجمل؛ فإن الله ﷻ أحد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فيمتنع أن يتفرق، أو يتجزأ، أو يكون قد رُكِّب من أجزاء، لكنهم يدرجون في هذا اللفظ نفي علوه على عرشه، ومباينته لخلقه، وامتيازه عنهم، ونحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه وتعطيله، ويجعلون ذلك من التوحيد، فقد تبين أن ما يسمونه توحيدًا فيه ما هو حق، وفيه ما هو باطل»[(١)].

ثانيًا: قولهم: واحد في صفاته لا شبيه له، الأولى أن يقال: لا مثيل له؛ لأنه اللفظ الذي جاء بنفيه القرآن في قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١][(٢)].

وأيضًا لأن نفي التشبيه مطلقًا يتضمن التعطيل؛ لأنه قد علم أن كل موجودَين قائمَين بأنفسهما فلا بد بينهما من قدر مشترك، كاتفاقهما في مسمى الوجود والقيام بالنفس والذات ونحو ذلك، فنفي ذلك يقتضي التعطيل المحض؛ أي: نفي الوجود أصلًا[(٣)].

ثالثًا: قولهم: واحد في أفعاله لا شريك له، هذا أشهر الأنواع الثلاثة عندهم، وهو توحيد الله بأفعاله؛ أي: توحيد الربوبية، والخطأ عندهم أنهم جعلوه الغاية في التوحيد، وأنه هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، حتى قالوا: معنى الإلهية: القدرة على الاختراع[(٤)]، **وهذا خطأ من وجوه:**

١- أن هذا النوع من التوحيد قد أقر به المشركون فلم يجعلوا لله شريكًا في أفعاله، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [العنكبوت: ٦١].

= (٢/ ٥٧)، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للبيجوري (ص١١٤).

(١) التدمرية (ص١٨٤-١٨٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٩٩).

(٤) انظر: التدمرية (ص١٧٩).

وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، فلم يدخلهم هذا الإقرار في الإسلام، ولم يكونوا موحدين، بل هم مشركون لإنكارهم توحيد الألوهية، وقولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]، فكيف يغفل هؤلاء المتكلمون هذا الأصل ولا يذكرونه، ويجعلون الإقرار بتوحيد الربوبية هو الغاية في التوحيد؟!

٢- أن هذا التوحيد (الربوبية) أمر قد فطر عليه البشر، ولم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، فلا توجد طائفة من بني آدم تعتقد بوجود خالقَين متماثلين في الصفات والأفعال، مع أن المتكلمين أجهدوا أنفسهم في إثباته واحتجوا عليه بما يذكرونه من دلالة التمانع، كما سيأتي.

٣- أنهم أغفلوا توحيد الألوهية، مع أنه هو الغاية في التوحيد؛ لأن عبادة الله وحده لا شريك له هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب(١)، وقد سبقت الأدلة على ذلك.

۞ ثامنًا: أقسام التوحيد عند الصوفية:

يقسم الصوفية(٢) التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وهي:

١- **توحيد العامة:** وهو ما يصح بالشواهد (أي: بالأدلة والآيات

(١) انظر: التدمرية (ص١٧٩-١٨١)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٦-٢٢٨).

(٢) هذا التقسيم للإمام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري، صاحب كتاب (ذم الكلام) و(منازل السائرين)، المتوفى سنة ٤٨١هـ، لكنه يوافق في الظاهر ما عليه أهل التصوف الغالي؛ ولذلك قال الإمام الذهبي: «إن طائفة من صوفية الفلسفة والاتحاد يخضعون لكلامه في (منازل السائرين)، وينتحلونه، ويزعمون أنه موافقهم. كلا، بل هو رجل أثري، لَهِجٌ بإثبات نصوص الصفات، منافر للكلام وأهله جدًّا، وفي (منازله) إشارات إلى المحو والفناء، وإنما مراده بذلك: الفناء هو الغيبة عن شهود السوى، ولم يرد محو السوى في الخارج، ويا ليته لا صنَّف ذلك، فما أحلى تصوف الصحابة والتابعين! ما خاضوا في هذه الخطرات والوساوس، بل عبدوا الله، وذلوا له، وتوكلوا عليه، وهم من خشيته مشفقون، ولأعدائه مجاهدون، وفي الطاعة مسارعون، وعن اللغو معرضون، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم». (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥١٠).

والبراهين)، ويعني به: توحيد الألوهية!!

٢- **توحيد الخاصة:** وهو ما يثبت بالحقائق (يعني به: المكاشفات).

٣- **توحيد خاصة الخاصة:** وهو توحيد قائم بالقدم؛ يعني: القول بالاتحاد، فلا فرق بين القدم والحدث[١].

نقد هذا التقسيم:

١- هذا التقسيم لا أصل له من كتاب أو سنة أو إجماع، فهذا كلام الله المنزل على رسوله ﷺ، وهذه سنة الرسول ﷺ، وهذا كلام خير القرون بعد الرسول ﷺ. هل جاء هذا التقسيم عن أحد منهم؟! «فأين قال الرسول: هذا توحيد العامة، وهذا توحيد الخاصة، وهذا توحيد خاصة الخاصة؟! أو ما يقرب من هذا المعنى؟ أو أشار إليه؟!»[٢].

٢- «أن النوع الثاني والثالث من التوحيد الذي ادعوا أنه توحيد الخاصة وخاصة الخاصة، ينتهي إلى الفناء[٣] الذي يشمر إليه غالب الصوفية، وهو درب خطر يفضي إلى الاتحاد»[٤]؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقًا

---

(١) انظر: منازل السائرين (ص١٣٥)، وراجع تقسيمًا آخر للغزالي في: إحياء علوم الدين (٤/ ٢٤٦-٢٥٤).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٥٦).

(٣)**والفناء عند الصوفية ثلاث مراتب:**

الأولى: فناء عن إرادة السوى (أي: توحيد الألوهية).

الثانية: فناء عن شهود السوى (أي: وحدة الشهود)، بمعنى: أن يغيب عن مشاهدة كل موجود سوى الله، فيغيب «بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمعروفه عن معرفته» (التدمرية ص: ١٨٧).

الثالثة: فناء عن وجود السوى (أي: وحدة الوجود)، فلا يرى في الوجود سوى الله، ويعتقد أن وجود المخلوقات هي عين وجود الخالق - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا. انظر: العبودية، لابن تيمية (ص١٢٦-١٣٢).

(٤) شرح الطحاوية (١/ ٥٥).

على النوع الثالث الذي ذكره الهروي، وسماه: توحيد الخاصة: «هؤلاء هم الذين أنكر عليهم أئمة الطريق، كالجنيد وغيره، حيث لم يفرقوا بين القديم والمحدَث، وحقيقة قول هؤلاء: الاتحاد والحلول الخاص، من جنس قول النصارى في المسيح»[(١)].

٣- أن توحيد الألوهية الذي سموه: توحيد العامة، وجعلوه أدنى مراتب التوحيد هو أعلى المراتب؛ لأنه «التوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل»[(٢)]، و«لا ريب أن أهل التوحيد يتفاوتون في توحيدهم -علمًا ومعرفة وحالًا- تفاوتًا لا يحصيه إلا الله، فأكمل الناس توحيدًا الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكمل توحيدًا، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، ومحمد -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- وأكملهم توحيدًا: الخليلان محمد وإبراهيم -صلوات الله وسلامه عليهما»[(٣)].

٤- أن هذا التقسيم يشبه تقسيم التوحيد عند روافض عصرنا، إلا أن الرافضة زادوا قسمًا رابعًا سموه: (توحيد أخص الخواص)[(٤)]، والصلة بين

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٧٠). (٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٤٦).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٤٤٥-٤٤٦)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٤٣-٣٥٨)، التدمرية (ص٢٢١-٢٢٢)، وانظر نقد شيخ الإسلام ابن تيمية للفناء عند الصوفية في: مجموع الفتاوى (٣/ ١١٨-١١٩)، (١٠/ ٣٣٧-٣٤٣)، تقريب التدمرية، للشيخ محمد بن عثيمين (ص١٢٣) وما بعدها.

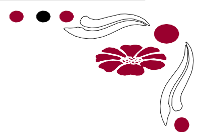
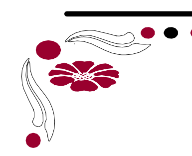
(٤) يقول شيخهم وآيتهم إبراهيم الزنجاني في كتابه عقائد الإمامية الإثني عشرية (ص٢٤) تحت عنوان (عقيدة الشيعة في التوحيد): «إن مراتب التوحيد أربع: توحيد العوام، وتوحيد الخواص، وتوحيد خاص الخواص، وتوحيد أخص الخواص، والأولى مدلول كلمة (لا إله إلا الله)...»، وذكر أن شيعته تمتاز عن المسلمين جميعًا بعقيدة توحيد خاص الخاص، وتوحيد أخص الخواص، والكتاب موثق من كبار شيوخهم كالخوئي، وحسن الموسوي، =

التصوف الغالي والرفض ظاهرة[١].



= ووصف الخوئي مؤلفه بأنه ركن الإسلام، وعماد العلماء، وانظر نقد هذا التقسيم في: أصول مذهب الشيعة (٣/ ١٠٧٩).

(١) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع، للباحث الشيعي العراقي د/ مصطفى كامل الشيبي، العلاقة بين التشيع والتصوف، للباحث فلاح بن إسماعيل مندكار، العلاقة بين الصوفية والإمامية، للباحث زياد بن عبد الله الحمام.

ملخص الفصل الأول

العقيدة في الاصطلاح تطلق بإطلاقين:

١- **عام**، وهو ما يعتقده المرء، ويدين به، سواء كان حقًّا أو باطلًا.

٢- **خاص**، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

علم العقيدة: هو علم يُعْنَى ببيان أصول الاعتقاد ومسائله ودلائله، والرد على المخالفين، وموضوعه: أركان الإيمان الستة، ومن أهم الأسماء التي أُطْلِقَتْ على علم العقيدة: (١) السنَّة، (٢) والإيمان، (٣) وأصول الدين، (٤) والتوحيد، (٥) والفقه الأكبر، (٦) والشريعة، (٧) ويسميه بعضهم علم الكلام، وهو خطأ.

❑ الدين الذي بعث الله به جميع الرسل هو الإسلام، وأعظم الأصول التي اتفق عليها الرسل -عليهم الصلاة والسلام- الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكذلك اتفقوا في أصول التشريعات ومقاصدها العامة، وأما الاختلاف بينهم، ففي الشرائع، والمناهج، والأحكام الفرعية.

❑ تعلم أصول علم العقيدة على سبيل الإجمال فرض عين على كل مسلم، وأما تعلم العقيدة تفصيلًا بأدلتها ففرض كفاية إن قام به من تحصل بهم الكفاية من المسلمين سقط الإثم عن الباقين، وإلا أثموا جميعًا، وأما ما يجب على كل أحد بعينه فهو يختلف باختلاف قدراتهم وحاجاتهم وعلومهم ووظائفهم.

علم العقيدة هو أشرف العلوم منزلة وأعلاها مكانة وأوجبها مطلبًا، ويتبين ذلك من خلال وجوه كثيرة، منها:

١- أنه يتعلق بأشرف معلوم، وهو الله جل جلاله.

٢- أن «حاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة.

٣- أنه أول دعوة الرسل جميعًا.

٤- أنه أول ما يؤمر به العبد.

٥- أن القرآن كله في التوحيد والدعوة إليه.

٦- أن العلم به وتعلمَه أفضل الأعمال عند الله تعالى.

٧- أن قبول الأعمال متوقف على التوحيد.

٨- أنه سبب لدخول الجنة والنجاة من النار.

تعلم العقيدة الصحيحة وتحقيقها في القلب له ثمرات عديدة، منها:

١- نزول البركات وحصول الحياة الطيبة.

٢- اجتماع الأمة ووحدتها.

٣- طمأنينة القلب وانشراح الصدر.

٤- الأمن والنجاة في الآخرة.

مر تدوين علم العقيدة بمراحل:

المرحلة الأولى: بدأ التدوين في هذا العلم مختلطًا بعلم الحديث، حيث قام علماء الحديث بتدوين السنة النبوية والتي تتضمن أحاديثَ في موضوعات شتى، منها أحاديث تتعلق بمسائل العقيدة، كأبواب الإيمان والتوحيد والقدر والفتن والقيامة والجنة والنار.

المرحلة الثانية: إفراد علم العقيدة، أو باب من أبوابه، أو مسألة من مسائله بالتصنيف، ولعل أول من سبق إلى ذلك الإمام حماد بن سلمة (ت١٦٧هـ).

المرحلة الثالثة: في القرن السابع صار للمبتدعة من أهل التشيع والتصوف والفلسفة والكلام ظهور وانتشار، فقيض الله للأمة أعلامًا كان لهم قدم صدق في الذَّبِّ عن السنة ومواجهة البدعة، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه

الإمام ابن القيم، وابن رجب، والذهبي، وابن أبي العز الحنفي، ثم تلا ذلك ظهور الشيخ الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ) بدعوته الإصلاحية التجديدية، وتأثر بهذه الدعوة الإصلاحية عدد من العلماء في مختلف الأقطار.

من أهم الأسباب التي دعت أهل السنة إلى تدوين المصنفات في علم العقيدة ما يلي:

١- أهمية تعليم الناس العقيدة الصحيحة، اقتداء بالنبي ﷺ.

٢- ظهور البدع المخالفة للاعتقاد الصحيح.

٣- الخوف من ضياع العلم بسبب انتشار الجهل وفقد العلماء.

٤- طلب الناس من العلماء الكتابة لهم في مسائل العقيدة.

٥- طلب الخلفاء والولاة من العلماء الكتابة في مسائل الاعتقاد.

من أهم ما يميز منهج السلف في تدوين العقيدة ما يلي:

١- الاعتماد في جميع مسائل العقيدة على نصوص الكتاب والسنة.

٢- الاهتمام بجمع آثار الصحابة والتابعين من القرون الفاضلة المشهود لهم بالخيرية.

٣- اتفاقهم في تقرير مسائل الاعتقاد على قول واحد، فلا تجد في كتبهم اختلافًا أو اضطرابًا أو تناقضًا.

٤- التعبير عن الله تعالى بالألفاظ الشرعية.

سلك أهل السنة في تأليفهم في علم العقيدة عدة مناهج، منها:

١- **منهج العرض: والمراد به:** عرض اعتقاد أهل السنة مجملًا أو مفصلًا بأدلته في جميع أبواب الاعتقاد أو أكثرها، ومن أمثلة الكتب المؤلفة في ذلك: «أصول السنة»، للإمام أبي بكر الحميدي المكي، و«السنة»، للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل، و«السنة»، لأبي بكر الخلَّال، وغيرها.

٢- **منهج الرد: والمراد به:** إفراد طائفة من أهل البدع بالرد على مقالاتهم كالجهمية والقدرية، أو إفراد مسألة من مسائل العقيدة بالتصنيف وبيان الفِرَق المخالفة فيها والرد عليهم كالصفات والإمامة، ومن أهم الكتب المؤلفة في ذلك ما يلي: «الرد على الجهمية والزنادقة»، لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل، و«الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة»، للإمام المحدِّث عبد الله بن قتيبة، و«الرد على الجهمية»، و«الرد على بشر المريسي»، لأبي سعيد عثمان ابن سعيد الدارمي، وغيرها.

٣- **منهج التأليف في موضوعات مفردة:** والمراد به: إفراد مسألة من مسائل الاعتقاد بالتصنيف ببيان اعتقاد أهل السنة فيها، وجمع الأدلة عليها من الكتاب والسنة وآثار السلف، وقد يتضمن الرد على المخالفين في هذه المسألة وتفنيد شبهاتهم وإبطال مذهبهم، ومن الكتب المؤلفة في ذلك ما يلي: «كتاب القدر»، للإمام عبد الله بن وهب، و«الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته»، للإمام أبي عُبيد القاسم بن سلَّام، و«الفتن»، للإمام نعيم بن حماد، وغيرها.

❑ أهل السنة هم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، وهم المتبعون للكتاب والسنة، واعتقادهم هو ما دل عليه الكتاب والسنة من أصول الدين، وإنما سموا أهل السنة لاتباعهم سنته ﷺ.

❑ **لفظ (السنة) يطلق بإطلاقين:**

١- **عام:** ويراد به جميع الطوائف والفرق الإسلامية إلا الرافضة.

٢- **خاص:** ويراد به أهل السنة المحضة الخالصة من أي بدعة.

لأهل السنة ألقاب كثيرة، منها:

١- أهل السنة، ٢- الجماعة، ٣- السلف الصالح، ٤- أهل الحديث والأثر، ٥- الفرقة الناجية، ٦- الطائفة المنصورة.

لأهل السنة خصائص تميزوا بها عن سائر الفرق، منها:

١- أنهم يعتمدون على الكتاب والسنة والإجماع.

٢- أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره على ما جاء عن الله، وعلى ما جاء على لسان رسول الله ﷺ.

٣- أنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، على ما توجبه الشريعة.

٤- أنهم وسط في فرق الأمة؛ كما أن الأمة هي الوسط في الأمم.

٥- تمسكهم بالجماعة، فهم يعتقدون أن الجماعة حق وصواب، والفُرْقة شر وعذاب.

٦- العدل مع كل الطوائف المخالفة.

يعتمد منهج القرآن الكريم في الدعوة للعقيدة على الأمور التالية:

١- الاستدلال بالدلائل العقلية.

٢- الرد على المخالفين بالبرهان، بل وإظهار عجزهم بطلب البرهان على عقائدهم إن كانوا صادقين.

٣- استعمال الطرق العقلية الجلية القريبة من الأفهام.

٤- تضمن القرآن لجميع البراهين العقلية التي يحتاج إليها في الدين.

يقوم منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد والاستدلال عليها على القواعد التالية:

١- يعتمدون في الاستدلال على الكتاب والسنة.

٢- يعتمدون على الإجماع، ويعدونه الأصل الثالث.

٣- يؤمنون بجميع نصوص الكتاب والسنة، ولا يأخذون ببعض الوحي ويردون بعضه.

٤- يعتقدون بأن الرسول ﷺ بلغ الدين كله أصوله وفروعه.

٥- يعتمدون على تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم ما أجمع عليه التابعون.

٦- يقتدون بصحابة رسول الله ﷺ.

٧- يسلمون بكل ما جاء عن الله ورسوله.

٨- يعبرون عن حقائق الإيمان بالألفاظ الشرعية.

٩- يرجعون عند التنازع إلى الله ورسوله ﷺ.

مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة قسمان:

الأول: المصادر الأصلية: وهي: (١) القرآن، (٢) السُّنَّة، وهي المبينة للقرآن، (٣) الإجماع.

الثاني: المصادر الفرعية، وهي:

(١) **العقل السليم**، وهو ليس بمصدر مستقل للاعتقاد، بل هو تابع للوحي، بخلاف المتكلمين الذين يجعلون العقل أصلًا والوحي تابعًا، والعقول لا يمكن أن تستقل بمعرفة أصول الدين على سبيل التفصيل لعجزها وقصورها، أما على سبيل الإجمال فإن عامة أصول الدين الكبار مما يعرف بالعقل.

(٢) **الفطرة السليمة، وهي:** ما خلق عليه الإنسان من القوة العلمية والعملية التي تقتضي بذاتها الإسلام إذا لم يمنعها من ذلك مانع.

(٣) **الحس**، وهو من مصادر العلم عمومًا، ووجه كونه أحد مصادر الاعتقاد الفرعية دلالة الآيات الحسية المشاهَدة على الإيمان بالله والوحي واليوم الآخر.

المصدر الأول لتلقي العقيدة عند أهل الكلام هو العقل، ويرد عليهم من وجهين:

١- أن منشأ هذه الدعوى: ظنهم أن القرآن مجرد أخبار يجب التصديق بها، والحق أن القرآن قد اشتمل على الأدلة العقلية اليقينية على أصول الاعتقاد مما هو أسلم وأقوى مما ذكره المتكلمون.

٢- هذه الدعوى مبنية على فرضية لا حقيقة لها البتة؛ وهي دعوى تعارض العقل مع النقل، وهي دعوى باطلة.

❑ كثير من الصوفية على الضد من المتكلمين، عطلوا العقل وذموه،

واعتقدوا أن الولاية لا تنال إلا بفقده، وحصروا مصادر العلم عندهم فيما يسمونه بالكشف والشهود، كما اعتمدوا في التلقي على ما يسمونه الإلهام، حتى إنهم يعدونه بمثابة الوحي من الله تعالى، ويدعون أنهم يتلقون عن الرسول ﷺ في اليقظة، وهذا كله من تلبيس الشياطين عليهم وتلاعبه بهم.

❑ مصدر التلقي عند الرافضة من الإسماعيلية والإثني عشرية هو قول الإمام؛ لأنه إله عند بعضهم ومعصوم عند آخرين منهم، وقول الإمام عندهم كقول الله ورسوله، وهذا اعتقاد باطل بالشرع والعقل.

يرى المتكلمون أنه لا يقبل في الاعتقاد إلَّا الأخبار المتواترة؛ لأن أخبار الآحاد مظنونة، ويرد عليهم من وجوه:

١- الذي دل عليه الكتاب والسنة والإجماع أنه يجب قبول كل ما صح عن الرسول ﷺ والاحتجاج به، سواء أكان متواترًا أم آحادًا، وسواء كان في العقائد أو في الأحكام.

٢- أن القول بعدم حجية حديث الآحاد في العقائد قول مبتدع محدَث، وأول من ابتدعه هم المعتزلة، وكان قصدهم رد الأحاديث الصحيحة؛ لأنها حجة عليهم.

٣- أنه لا دليل معتبر على ما ذهبوا إليه، بل الدليل من الكتاب والسنة والإجماع على خلافه.

❑ يرى جمهور المتكلمين أنه إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل، أما النقل فيجب تأويله ليتفق مع النقل، أو يجب تفويض العلم بمعناه إلى الله تعالى، وبيان بطلان هذه الدعوى يظهر من وجوه كثيرة، **من أهمها:**

١- عدم التسليم بوجود التعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، بل يصدق أحدهما الآخر ويشهد أحدهما بصحة الآخر.

٢- أن العقول مختلفة، وأهل الكلام متنازعون فيما يسمونه عقليات، فكل منهم يدعي أنه يعلم بضرورة العقل ما يدعي الآخر أنه يعلم بضرورة العقل

نقيضه، فأي عقل يتبع ويقدم على النقل؟!

٣- أن ما علم بصريح العقل الذي لا يختلف فيه العقلاء لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة.

أركان الإيمان هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وتظهر أهميتها من خلال ما يلي:

١- أن الرسل -عليهم الصلاة والسلام- اتفقوا على الدعوة إليها وتقريرها.

٢- أن مدار الإيمان على وجود هذه الأركان الستة، ومدار الضلال على الكفر بها.

٣- أن الإيمان سبب دخول الجنة والنجاة من النار.

٤- أن الإيمان سبب لمغفرة الذنوب وتعظيم الأجور.

٥-أن الإيمان سبب التمكين والاستخلاف في الأرض.

٦-أن الإيمان سبب لحصول الهداية والفلاح.

٧-أن الله تعالى ربط السعادة مع إصلاح العمل بالإيمان.

٨- أن الله جل وعلا أحبط الأعمال الصالحة بزوال الإيمان.

التوحيد عند أهل السنة: إفراد الله تعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، **وعند الفلاسفة:** إثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة، **وعند الاتحادية هو:** أن الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود، وحقيقته وماهيته، **وعند الجهمية هو:** المبالغة في إنكار صفات الله وأفعاله، **وعند القدرية هو:** إنكار قدر الله وعموم مشيئته للكائنات، وقدرته عليها، **وعند الجبرية هو:** تفرد الرب تعالى بالخلق والفعل، وأن العباد غير فاعلين على الحقيقة، ولا محدثين لأفعالهم، ولا قادرين عليها، وعند الشيعة الإثني عشرية هو: إفراد أئمتهم الاثني عشر بالإمامة.

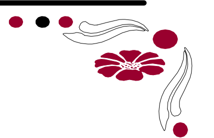
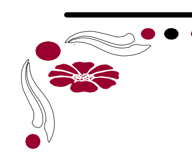
من أهل العلم من قسم التوحيد إلى نوعين: الأول: توحيد في المعرفة والإثبات، **والثاني:** توحيد في الطلب والقصد، **ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أنواع:**

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ولا منافاة بينهما، ودليل هذا التقسيم هو الاستقراء للنصوص الواردة في الكتاب والسنة، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ولا يتضمنه، وهما مستلزمان لتوحيد الأسماء والصفات.

التوحيد عند جمهور الكلام ثلاثة أقسام، وهي: ١- توحيد الذات، ٢- توحيد الصفات، ٣- توحيد الأفعال.

يقسم الصوفية التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وهي: ١- توحيد العامة، ٢- توحيد الخاصة، ٣- توحيد خاصة الخاصة.



أسئلة تطبيقية

س١- عرف علم العقيدة، وما هي أشهر أسمائه؟ وما حكم تعلمه؟

س٢- تكلم بإيجاز عن تاريخ تدوين علم العقيدة ومراحله؟

س٣- اذكر ثلاثة كتب لكل من منهج العرض ومنهج الرد في التدوين عند أهل السنة.

س٤- اذكر خمسًا من خصائص منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد.

س٥- اذكر مصادر أهل السنة في التلقي إجمالًا، ثم بين المراد بالعقل، وهل العقل مصدر مستقل للاعتقاد؟ وضح ذلك بإيجاز في ضوء ما درست.

س٦- تكلم بإيجاز عن مصدر التلقي عند غلاة الصوفية وعند الرافضة الإثني عشرية.

س٧- كيف ترد على دعوى المتكلمين عدم الاحتجاج بخبر الآحاد في العقيدة بدعوى أنها لا تفيد إلا الظن؟

س٨- كيف ترد على دعوى المتكلمين تعارض العقل مع النقل وتقديم العقل عند التعارض؟

س٩- ما هي أقسام التوحيد عند أهل السنة؟ وما الدليل على هذا التقسيم؟

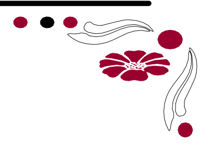
س١٠- ما هي أقسام التوحيد عند الصوفية؟ وما رأيك في هذا التقسيم؟

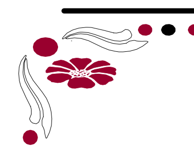




الفصل الثاني

توحيد الربوبية





الفصل الثاني

۞ **ويشتمل على ما يلي:**

١- التعريف بتوحيد الربوبية وأسمائه.

٢- الأدلة على توحيد الربوبية.

٣- مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية، والرد عليها إجمالًا.

٤- الإلحاد؛ المراد به، وصوره القديمة والمعاصرة، والرد عليها إجمالًا.

٥- المراد بالفطرة وأدلتها.

٦- المراد بأخذ الميثاق، وأدلته، والرد على من خالف في ذلك إجمالًا.

٧- ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية.





المبحث الأول

التعريف بتوحيد الربوبية وأسمائه

۞ أولًا: تعريف توحيد الربوبية:

الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيِّم، والمنعم؛ ولا يطلق غير مضاف إلا على الله ﷻ، وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: رب كذا[(١)].

وتوحيد الربوبية شرعًا هو: إفراد الله بأفعاله[(٢)].

أو هو: إفراد الله ﷻ بالخلق، والملك، والتدبير[(٣)].

أو يجمع بينهما، فيقال: إفراد الله بأفعاله كالخلق والملك والتدبير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «توحيد الربوبية: أنه لا خالق إلا الله، فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور، بل ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن»[(٤)].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٢٨)، النهاية (٢/ ١٧٩)، لسان العرب (١/ ٣٩٩)، تاج العروس (٢/ ٤٥٩).

(٢) انظر: فتاوى ابن باز (١/ ٣٦)، فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٥٤)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح آل الشيخ (١/ ٦).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٢).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣١)، وانظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٨-١٢٩)، تيسير العزيز =

۞ ثانيًا: أسماؤه:

من أسماء توحيد الربوبية، ويشترك معه في هذه الأسماء توحيد الأسماء والصفات:

١- التوحيد العلمي.

٢- التوحيد الخبري.

٣- التوحيد الاعتقادي.

٤- توحيد المعرفة والإثبات.



= الحميد (ص١٧).



المبحث الثاني

الأدلة على توحيد الربوبية

يتضمن الإيمان بربوبية الله تعالى الإيمان بأصلين عظيمين:

الأول: الإيمان بوجود الله جل وعلا.

الثاني: إفراد الله تعالى بأفعاله.

وسنذكر فيما يلي الأدلة على هذين الأصلين:

۞ الأدلة على الأصل الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

قال الإمام ابن القيم: «سمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟ وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليلِ

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفِطَر من وجود النهار، ومن لم يرَ ذلك في عقله وفطرته فليتَّهِمْهما»[(١)].

ولذا لم يكثر السلف من إيراد الأدلة الدالة على وجود الله جل وعلا، واكتفوا في الغالب بدليل الفطرة المركوز في نفوس بني آدم، قال السدي: «ليس في الأرض أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله»[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٨٢).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٥٦١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل المعرفة والإقرار بالصانع لا يقف على النظر والاستدلال، بل يحصل بديهة وضرورة؛ ولهذا يقر بالصانع جميع الأمم مع عظيم شركهم وكفرهم»[١]، وقال أيضًا: «الذي عليه جمهور العلماء أن الإقرار بالصانع فطري ضروري مغروز في الجِبِلَّة؛ ولهذا كانت دعوة عامة الرسل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكان عامة الأمم مقرين بالصانع مع إشراكهم به بعبادة ما دونه»[٢].

فما هو وجه الحاجة إلى الاستدلال إذًا على من هو دليل على كل شيء؟

والجواب: أن هناك من بني آدم من تغيرت فطرته فيحتاج إلى تذكيره بهذه المعرفة الفطرية الكامنة في نفسه ورفع الران عنها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإقرار بالخالق وكماله يكون فطريًّا ضروريًّا في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها»[٣].

والأدلة على وجود الله تعالى كثيرة ومتنوعة، و«طرقه لا تحصى»[٤] كما ذكر ابن تيمية، ومنها:

الدليل الأول: الفطرة:

والمراد بدلالة الفطرة على وجود الله: هي أن كل إنسان خلق على الإقرار بأن له خالقًا خلقه، قال الراغب الأصفهاني: «وهي معرفة كل أحد أنه مفعول، وأن له فاعلًا فعله ونقله في الأحوال المختلفة»[٥]، **وأما وجوه الاستدلال بالفطرة على وجود الله تعالى، فمن أهمها ما يلي:**

أولًا: الإيمان بوجود الله تعالى والإقرار به مما اجتمع عليه الثقلان الإنس والجن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من المعروف عند السلف والخلف أن

(١) بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٥٧١).
(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٧٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٧٣).
(٤) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٧٠).
(٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص١٥٣).

جميع الجن والإنس معترفون بالخالق مُقِرُّون به. . . فعلم أن أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقر في قلوب جميع الإنس والجن، وأنه من لوازم خلقهم، ضروري فيهم، وإن قدِّر أنه حصل بسببٍ، كما أن اغتذاءهم بالطعام والشراب هو من لوازم خلقهم، وذلك ضروري فيهم»(١)، وقال ابن أبي العز الحنفي: «القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]»(٢).

ويقول الشهرستاني -وهو من أعلم الناس بالمقالات والفِرَق: «أما تعطيل العالم عن الصانع العالِم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد، ولا أعرف عليه صاحب مقالة إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية. . . فما عددت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان، فإن الفِطَر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير»(٣)، ثم قال: «ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»(٤)؛ ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في التوحيد، ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ الآية [غافر: ١٢]، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥]، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]، ثم ذكر الشهرستاني أن ما ذكره المتكلمون والفلاسفة من أدلة على وجود الله «دون ما شهدت به الفطرة الإنسانية من احتياج في ذاته إلى مدبر هو منتهى الحاجات، فيرغب إليه، ولا يرغب عنه، ويستغنى به، ولا يستغنى عنه، ويتوجه إليه ولا يعرض عنه، ويفزع

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٢). (٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٥).
(٣) نهاية الأقدام في علم الكلام (ص٧٤).
(٤) أخرجه البخاري (ح٢٥)، ومسلم (ح٢٠).

إليه في الشدائد والمهمات»[١]، فـ«كل مولود فإنه يولد على محبته لفاطره، وإقراره له بربوبيته، وادعائه له بالعبودية، فلو خلي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة»[٢].

ثانيًا: تشهد الفطرة الإنسانية باحتياج كل إنسان في ذاته إلى مدبر هو منتهى الحاجات، يُرغَب إليه ولا يرغب عنه، ويُسْتغنى به ولا يستغنى عنه، ويتوجه إليه ولا يُعرَض عنه، ويُفزَع إليه في الشدائد والمهمات[٣]، ولذلك فإنه ما من أمة من الأمم إلا وقد اتخذت لنفسها معبودًا تقدسه وتعظمه، قد توجد قرية أو مدينة بلا مستشفى، ولكن لا توجد بغير معبد أو معبود بأي صورة من الصور، وبأي اسم من الأسماء. يقول المؤرخ الإغريقي بازماك: «قد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون ولا قصور ولا مدارس، ولكن لم توجد أمة بلا معابد»[٤]، ويقول هنري برجسون: «لقد وجدت جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة»[٥].

ثالثًا: من أظهر وجوه الاستدلال بالفطرة على وجود الله تعالى اللجوء إليه سبحانه عند الشدائد، حتى تراها تظهر لدى الملاحدة أنفسهم عند وقوع مصيبة، أو نزول محنة وشدة؛ كما قال تعالى عن فرعون وهو أعتى الملاحدة لما أدركه الغرق: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، قال الرازي: «الإنسان إذا وقع في محنة شديدة وبلية قوية لا يبقى في ظنه رجاء المعاونة من أحد، فكأنه بأصل خلقته ومقتضى جبلته يتضرع إلى من يخلصه منها ويخرجه عن علائقها

(١) نهاية الأقدام في علم الكلام (ص٧٥). (٢) شفاء العليل (ص٢٨٩).
(٣) انظر: نهاية الأقدام في علم الكلام (ص٧٥).
(٤) عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري (ص١٨).
(٥) الدين، د. عبد الله دراز (ص٨٣).

وحبائلها وما ذاك إلا شهادة الفطرة بالافتقار إلى الصانع المدبر»[(١)]، فالعبد مجبول على اللجوء إلى الله، ففي ساعة المحنة يختفي الإلحاد وتستيقظ الفطرة، وتتجه القلوب مدفوعة بفطرتها إلى دعاء الله؛ وما ذاك إلا «لأن الشعور بوجود الله تعالى، والإذعان بخالق قادر مفطور عليه الإنسان، لا يغيره ريب المرتابين؛ لأنه عقد طبع عليه جَنَانه وتأثر به لسانه وبيانه؛ ولذلك كان من أثره ما يرى من انطلاق الألسنة في الكوارث، وما تندفع إليه في الحوادث من اللجوء إليه، والتضرع له تضرعًا لا يرده راد، ولو قيد لسانه لأفصحت عن حاله أركانه، وتلك حالة لا صنع فيها للبشر، ولا كسب فيه بتقليد ولا نظر، فهي لازم من لوازم الإنسانية وصفة من صفاتها الذاتية، اشتبك بها اشتباك اللحم بالعظم، وسرى في قواها سريان الدم في الجسم»[(٢)].

فكم من ملحد عرف ربه عندما وقع في شدة، وكم من مشرك أخلص دينه لله لضر نزل به، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢]، وقد شهدنا في عصرنا الذي طغت فيه المادة وشاع الإلحاد كيف لجأ عامة الناس إلى ربهم حينما سلط الله عليهم فيروسًا لا يُرى بالعين المجردة، اسمه (كورونا)، فتصاعدت أرقام الإصابات، وكثرت أعداد الوفيات، وعطلت المطارات، وأغلقت المدارس والجامعات، وأجبر الناس على البقاء في بيوتهم، وظهر عجز البشرية بتقنياتها الحديثة عن علاجه، وبان فقر الخلق وحاجتهم واضطرارهم إلى ربهم.

❋ ❋ ❋

(١) تفسير الرازي (١٩/ ٧١).
(٢) انظر: دلائل التوحيد، للقاسمي (ص٢٣).

الدليل الثاني: الأدلة العقلية:

الأدلة العقلية على وجود الله تعالى كثيرة جدًّا، و«عامة ما يثبته النُّظَّار من المتكلمين والفلاسفة في هذا الباب يأتي القرآن بخلاصته، وبما هو أحسن منه على أتم الوجوه، بل لا نسبة بينهما لعظم التفاوت»[(١)]، «وإذا تأمل الفاضل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية، وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأفصح عبارة وأوجزها، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما لا يوجد عندهم مثله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]»[(٢)].

والأدلة العقلية على وجود الله تعالى التي جاء القرآن بتقريرها كثيرة، ومنها:

الأول: دليل الخلق والإيجاد: يقوم هذا الدليل على الاستدلال بحدوث الكون بعد أن لم يكن، وضرورة وجود خالق خلقه وأوجده؛ إذ إن كل حادث لا بد له من محدِث أحدثه، فإن «حدوث الحادث بلا محدِث أحدثه معلوم البطلان بضرورة العقل، وهذا أمر مركوز في بني آدم»[(٣)]، ولذلك «يسمى كل صنف من المخلوقات عالمًا؛ لأنه عَلَمٌ وبرهان على الخالق تعالى»[(٤)]، **فهذا الدليل يقوم على مقدمتين:**

الأولى: أن العالَم حادث بعد أن لم يكن.

والثانية: أن كل حادث لا بد له من محدِث، وكلتا المقدمتين معلومتان بالحسِّ والعقل والضرورة.

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٦٤٤).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٧٦-٧٧)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٦-٣٧)، الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٠)، مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٥).

(٣) الجواب الصحيح، ابن تيمية (٣/ ٢٠٣).

(٤) النبوات، لابن تيمية (٢/ ٧٤١).

وطريقة القرآن هي الاستدلال على وجود الله بأفراد الحوادث المشاهدة وأعظمها خلق الإنسان، لا الاستدلال بجنس الحوادث (حدوث الجواهر والأعراض) كما هي طريقة المتكلمين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الطريقة المذكورة في القرآن هي الاستدلال بحدوث الإنسان وغيره من المحدثات المعلوم حدوثها بالمشاهدة، ونحوها على وجود الخالق سبحانه وتعالى، فحدوث الإنسان يستدل به على المُحْدِث، لا يحتاج أن يستدل على حدوثه بمقارنة التغير أو الحوادث له، ووجوب تناهي الحوادث، والفرق بين الاستدلال بحدوثه، والاستدلال على حدوثه بيِّن، والذي في القرآن هو الأول لا الثاني»[(١)].

وهو أيضًا استدلال فطري بديهي لا يمكن لأحد جحده، فإن «الفطرة شاهدة بأن حدوث دار منقوشة بالنقوش العجيبة، مبنية على التركيبات اللطيفة الموافقة للحكم والمصلحة يستحيل إلا عند وجود نقاش عالم وبانٍ حكيم، ومعلوم أن آثار الحكمة في العالم العلوي والسفلي أكثر من آثار الحكمة في تلك الدار المختصرة، فلما شهدت الفطرة الأصلية بافتقار النقش إلى النقاش، والبناء إلى الباني، فبأن تشهد بافتقار كل هذا العالم إلى الفاعل المختار الحكيم كان أَوْلَى»[(٢)].

ومن الآيات التي تقرر هذا الدليل ما يلي:

١- قوله سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا تقسيم حاصر يقول: أخلقوا من غير خالق خلقهم؟ فهذا ممتنع في بدائه العقول؟ أم هم خلقوا أنفسهم؟ فهذا أشد امتناعًا، فعلم أن لهم خالقًا خلقهم وهو سبحانه وتعالى»[(٣)].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢١٩). (٢) تفسير الرازي (١٩/ ٧١).

(٣) الرد على المنطقيين (ص٢٥٣)، وانظر: شرح العقيدة الأصفهانية (ص٥٢)، النبوات (١/ ٣١٢-٣١٣)، الصواعق المرسلة (٢/ ٤٩٣)، شرح الطحاوية (١/ ٧٦)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٤٩٤).

ويقول وحيد الدين خان: «إن الإنسان العادي والعالم العادي يؤمن على كل حال بأن له وجودًا، وبأن للكون أيضًا وجودًا... فإذا آمنَّا بوجود الكون فلا بد أن نؤمن بإله هذا الكون منطقيًّا؛ إذ لا معنى لأن نؤمن بالمخلوق ونرفض وجود خالقه، ونحن لا نعلم شيئًا جاء إلى الوجود من العدم دون أن يخلق، فكل شيء مهما بلغ حجمه عظم أو صغر جل أو دق وراءه علة، فكيف نؤمن بأن كونًا عظيمًا مثل كوننا جاء إلى الوجود ذاتيًّا دون خالق؟!»(١).

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، والمعنى: أفي وجوده شك؟!(٢)، وهو استفهام على سبيل الإنكار، فلما ذكر هذا المعنى أردفه بالدلالة الدالة على وجود الله، وهو قوله: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه(٣).

٣- قوله جل وعلا: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٨].

وقد أجاب موسى المنكرين بما يدل على إثبات الصانع سبحانه، فإن افتقار السماوات والأرض وما بينهما، والمشرق والمغرب، والموجودين وآثارهم، إلى الصانع، واستقرار ذلك في فطرهم أمر لا يمكن إنكاره إلا عنادًا.

---

(١) الإسلام يتحدى (ص٥٤)، وانظر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، نديم الجسر (ص١٢٧-١٢٨).

(٢) وهو أحد القولين في تفسير الآية، **والثاني**: أفي إلهيته واستحقاقه للعبادة وحده شك؟! انظر: (تفسير ابن كثير ٤/ ٤٨٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٢).

وذكر موسى عليه السلام السماوات والأرض، والليل والنهار، والأولين والآخرين، فذكر الأعلى والأسفل، والمتيامن والمتياسر، والمتقدم والمتأخر، وهذه هي الجهات الست للإنسان، وذكر التقدم والتأخر بالزمان، بعد أن ذكر التقدم والتأخر بالمكان، فإن المكان دخل في السماوات والأرض، والمشرق والمغرب، وذكر موسى خلق الإنسان، بعد أن ذكر الخلق العام[(١)].

وهذا الدليل (دليل الخلق) من أقوى الأدلة بعد دليل الفطرة؛ لأنه دليل ظاهر مشاهد يدركه الأعرابي الذي لم يتعلم العلوم ولم يعرف الأدلة ووجوه الاستدلال، فقد قيل لبعض الأعراب: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله، إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟![(٢)].

كما يدركه الصبي الصغير الذي يدرك بفطرته أن كل محدَث لا بد له من محدِث، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن المعلوم بالضرورة أن الحادث بعد عدمه لا بد له من محدِث، وهذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة حتى للصبيان؛ فإن الصبي لو ضربه ضارب وهو غافل لا يبصره لقال: من ضربني؟ فلو قيل له: لم يضربك أحد؛ لم يقبل عقله أن تكون الضربة حدثت من غير محدِث؛ بل يعلم أنه لا بد للحادث من محدِث؛ فإذا قيل: فلان ضربك؛ بكى حتى يُضرَب ضاربه؛ فكان في فطرته الإقرار بالصانع وبالشرع الذي مبناه على العدل»[(٣)].

ويحكى في هذا الباب عن الإمام أبي حنيفة[(٤)] أن قومًا من الملاحدة[(٥)]

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ٢٧٤). (٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٥٨-٣٥٩).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٣٥)، تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧).

(٥) ورد في شرح الطحاوية (١/ ٣٥) أن قومًا من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد=

سألوه: «ما الدلالة على وجود الصانع؟ فقال لهم: دعوني فخاطري مشغول بأمر غريب. قالوا: ما هو؟ قال: بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها. فقالوا له: أمجنون أنت؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: أهذا يصدِّقه عاقل؟! فقال: فكيف صَدَّقَتْ عقولُكم أن هذا العالَم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة، وهذا الفلك الدوار السيار يجري، وتحدث هذه الحوادث بغير محدِث، وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك؟! فرجعوا على أنفسهم بالملام وهكذا إذ قيل: فهذه السفينة أثبتت نفسها في الساحل بغير موثق أوثقها ولا رابط ربطها، كذبت العقول بذلك، فهكذا إذا قيل: إن الحوادث تبقى وتدوم بغير مبق يبقيها، ولا ممسك يمسكها»[(١)].

الثاني: دليل الإحكام والإتقان، وسماه ابن رشد (دليل العناية)[(٢)]، وسماه الجويني (دليل التخصيص)[(٣)]، ويسمى (دليل التسوية)، وهي تسمية جاء بها القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ [الأعلى: ١-٢]، **والمراد به**: أن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يبهر العقول، ولا يمكن للعقل إلا أن يحكم بأنها من خالق قادر حكيم.

ويقوم دليل الإحكام والإتقان على مقدمتين:

المقدمة الأولى: هذا الكون بلغ الغاية في الإحكام والإتقان.

المقدمة الثانية: أن هذا الإحكام والإتقان يستدعي بالضرورة وجود مبدع أحكم هذا الكون وأتقنه[(٤)].

= الربوبية، وهذا موضع نظر، بل هو تصحيف؛ لأن أهل الكلام ليسوا من المنكرين لوجود الله تعالى، بل الصواب -كما جاء عند ابن تيمية- أنهم قوم من الملاحدة.

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٢٦-١٢٧).

(٢) انظر: مناهج الأدلة، ابن رشد (ص١٥١-١٥٢).

(٣) انظر: الإرشاد (ص٢٨).

(٤) انظر: شموع النهار (ص١٧٤).

والنتيجة: أن هذا الإحكام والإتقان الذي بلغ الغاية في الكون لا بد أن يكون من فعل إله حكيم خبير.

وقد أرشد القرآن إلى هذا الدليل في آيات كثيرة؛ كقوله سبحانه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، وقوله جل وعلا: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ [الطارق: ٥].

كما دعا الله جل وعلا الإنسان إلى التأمل في نفسه، كما في قوله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

كما يأتي البيان القرآني لبيان هذه الدلالات في بعض المخلوقات، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس: ٧١-٧٣]، ويقول جل وعلا: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤-٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمن: ٥]، قال ابن كثير:

«أي: يجريان متعاقبين بحساب مقنَّن لا يختلف ولا يضطرب»[١].

نماذج من أقوال الأئمة في تقرير هذا الدليل:

❊ تحدث علماؤنا عن هذا الدليل، وأكثر من استدل بشواهده الإمام ابن القيم، في كتابه (مفتاح دار السعادة)، وقال: «وهذا كثير في القرآن؛ يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره؛ إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه؛ وهو غافل عنه، معرض عن التفكر فيه»[٢].

❊ ومن الشواهد أيضًا ما حكاه الرازي عن الإمام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك، فاستدل باختلاف اللغات والأصوات والنغمات[٣].

❊ وحكي عن الشافعي أنه سئل عن وجود الصانع؟ فقال: هذا ورق التوت، طعمه واحد، تأكله الدود فيخرج منه الإبْريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر فتلقيه بعرًا ورَوْثًا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك، وهي شيء واحد[٤].

❊ وعن الإمام أحمد أنه سئل عن ذلك فقال: هاهنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره، فخرج منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك: البيضة إذا خرجت منها الدجاجة[٥].

❊ وقال الخطابي: «إنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك واعتبرتها بفكرك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٨٩).
(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٥٣٩).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧-١٩٨).

منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهيأة للمطاعم والملابس والمشارب، وصنوف الحيوان مُسخرة للمراكب، مستعملة في المرافق، والإنسان كالمُملك البيت المُخَوَّل ما فيه، وفي هذا كله دلالة واضحة على أن العالم مخلوق، بتدبير وتقدير ونظام، وأن له صانعًا حكيمًا، تام القدرة بالغ الحكمة، وقد نبه كتاب الله ﷻ على هذا النوع من الاستدلال، فقال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١] إشارة إلى أثارة الصنعة الموجودة في الإنسان»[١].

❊ وقال ابن رشد: «جميع الموجودات التي هاهنا موافقة لوجود الإنسان، فأما كونها موافقة لوجود الإنسان، فيحصل اليقين بذلك باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذلك موافقة الأزمنة الأربعة له، والمكان الذي هو فيه أيضًا وهو الأرض، وكذلك تظهر أيضًا موافقة كثير من الحيوان له، والنبات والجماد، وجزئيات كثيرة، مثل: الأمطار، والأنهار، والبحار، وبالجملة الأرض والماء والنار والهواء، وكذلك أيضًا تظهر العناية في أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان، أعني: كونها موافقة لحياته ووجوده. وبالجملة فمعرفة ذلك، أعني: منافع الموجودات داخلة في هذه الجنس؛ ولذلك وجب على من أراد أن يعرف الله تعالى المعرفة التامة أن يفحص عن منافع جميع الموجودات»[٢].

❊ ومن عجيب الأمثلة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في خصائص المخلوقات وما فيها من الإحكام قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المتكلمون كلهم متفقون على إثبات الحكمة في مخلوقاته... وذلك مثلما في خلق الإنسان، وأدنى ذلك أن العين، والفم، والأذن فيها مياه ورطوبة؛ فماء العين مالح، وماء الفم عذب، وماء الأذن مر؛ فإن العين شحمة، والملوحة تحفظها أن تذوب، وهذه أيضًا حكمة تمليح ماء البحر؛ فإن له سببًا وحكمة؛ فسببه سبوخة أرضه

(١) بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية (١/ ٥٠٦).

(٢) مناهج الأدلة (ص١٥٠-١٥١).

وملوحتها فهي توجب ملوحة مائه، وحكمتها أنها تمنع نتن الماء بما يموت فيه من الحيتان العظيمة، فإنه لولا ملوحة مائه لأنتن، ولو أنتن لفسد الهواء لملاقاته له، فهلك الناس بفساده، وإذا وقع أحيانًا، قُتِل خلق كثير فإنه يفسد الهواء حتى يموت بسبب ذلك خلق كثير، وماء الأذن مر؛ ليمنع دخول الهوام إلى الأذن، وماء الفم عذب؛ ليطيب به ما يأكله، فلو جعل الله ماء الفم مرًّا لفسد الطعام على أكلته، ولو جعل ماء الأذن عذبًا لدخل الذباب في الدماغ ونظائر هذا كثيرة، فلا يجوز أن يفعل بخلاف ذلك؛ مثل أن يجعل العينين في القدمين، ويجعل الوجه خشنًا غليظًا كالقدمين؛ فإنه كان يفسد مصلحة النظر والمشي، بل من الحكمة أنه جعل العينين في أعلى البدن، في مقدمه ليرى بها ما أمامه، فيدري أين يمشي، وجعل الرجل خشنة تصبر على ما تلاقيه من التراب وغيره، والعين لطيفة يفسدها أدنى شيء، فجعل لها أجفانًا تغطيها وأهدابًا»(١).

يقول والاس: «إن هذا الكون الواسع والمعقد كما نعرفه حولنا قد تطلب في وجوده متطلبات كاملة؛ وذلك من أجل إنتاج عالَم متكيف بدقة في كامل تفاصيله لتطوير حياة منتظمة يبلغ ذروتها الإنسان»(٢).

الثالث: دليل الأنفس: وهو وإن كان داخلًا ضمن الدليل السابق (الخلق والإيجاد) إلا أن تخصيصه بالذكر لحض الله تعالى على النظر إليه والتدبر فيه، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعيَّة؛ دلَّ القرآن عليها، وهدى النَّاس إليها، وبيَّنها وأرشد إليها، وهي عقليَّة؛ فإنَّ نفس

(١) النبوات (٢/ ٩٢٢-٩٢٣).
(٢) الصنع المتقن (ص١٢٥).

كون الإنسان حادثًا بعد أن لم يكن، ومولودًا ومخلوقًا من نطفة، ثمَّ من علقة، هذا لم يُعلم بمجرَّد خبر الرسول، بل هذا يعلمه النَّاس كلهم بعقولهم؛ سواء أخبر به الرسول، أو لم يُخبر، لكنَّ الرسول أمر أن يستدلَّ به، ودلَّ به، وبيَّنه، واحتجَّ به؛ فهو دليل شرعيٌّ؛ لأنَّ الشارع استدلَّ به، وأمر أن يُستدلَّ به؛ وهو عقليٌّ؛ لأنه بالعقل تُعلم صحته»[(١)].

وقال الإمام ابن أبي العز: «وأقرب ما ينظر فيه المرء أمر نفسه لما كان نطفة، وقد خرج من بين الصلب والترائب، والترائب: عظام الصدر، ثم صارت تلك النطفة في قرار مكين، في ظلمات ثلاث، وانقطع عنها تدبير الأبوين وسائر الخلائق... ومحال توهم عمل الطبائع فيها؛ لأنها موات عاجزة، ولا توصف بحياة، ولن يتأتى من الموات فعل وتدبير، فإذا تفكر في ذلك وانتقال هذه النطفة من حال إلى حال، علم بذلك توحيد الربوبية، فانتقل منه إلى توحيد الإلهية؛ فإنه إذا علم بالعقل أن له ربًّا أوجده، كيف يليق به أن يعبد غيره؟! وكلما تفكر وتدبر ازداد يقينًا وتوحيدًا»[(٢)].

الرابع: دلالة التحول والانتقال من حال إلى حال: وهو وإن كان داخلًا ضمن دلالة الأنفس إلا أن تخصيصه بالذكر لأهميته، قال الإمام الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن سأل سائل: ما الدليل على أن للخلق صانعًا صنعه ومدبرًا دبره؟ قيل: الدليل على ذلك أن الإنسان الذي هو في غاية الكمال والتمام كان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم لحمًا ودمًا، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال؛ لأنَّا نراه في حال كمال قوته، وتمام عقله، لا يقدر أن يُحدِث لنفسه سمعًا ولا بصرًا، ولا أن يخلق لنفسه جارحة، فدل ذلك على أنه في حال ضعفه ونقصانه عن فعل ذلك أعجز؛ لأن ما قدر عليه في حال النقصان فهو في الكمال عليه أقدر، وما عجز في حال الكمال فهو في حال النقصان عنه أعجز»[(٣)].

---

(١) النبوات لابن تيمية (١/ ٢٩٢-٢٩٣). (٢) شرح الطحاوية (١/ ٣١٦-٣١٧).

(٣) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع (ص١٧-١٨).

الخامس: دليل الآفاق: وهي الآيات الكونية المبثوثة في السماوات والأرض، وهي وإن كانت داخلة أيضًا في دلالة الخلق إلا أن القرآن أكد على أهمية النظر والتأمل فيها، والاستدلال بها على وجود الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧ - ٤٠]، وغيرها كثير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقًا على كلام الأشعري: «هذا الدليل مبني على مقدمتين: على تحول الإنسان من حال إلى حال، وأن ذلك لا بد له من صانع حوله من حال إلى حال، وكلتا المقدمتين ضرورية»(١).

السادس: دليل الهداية: وهو أن الله تعالى هدى كل مخلوق إلى ما فيه صلاحه وبقاؤه، كما قال تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، قال السعدي: «﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات، فكل مخلوق تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل، ما يتمكن به على ذلك»(٢)، وقال الإمام ابن القيم: «الهداية العامة هي قرينة الخلق في الدلالة على الرب تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٧٣).

(٢) تفسير السعدي (ص٥٠٧)، وانظر: زاد المسير، ابن الجوزي (٥/ ٢٩١).

وتوحيده»[(١)].

الدليل الثالث: آيات الأنبياء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المعجزة -التي هي فعل خارق للعادة- تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث، بل هي أخص من ذلك؛ لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة»[(٢)]، «وهذه طريقة السلف من أئمة المسلمين في الاستدلال على معرفة الصانع، وحدوث العالم، لأنه إذا ثبتت نبوته بقيام المعجِز وجب تصديقه على ما أنبأهم عنه من الغيوب، ودعاهم إليه من أمر وحدانية الله تعالى وصفاته وكلامه»[(٣)].

وقد استدل بها كليم الله موسى عليه السلام لإثبات وجود الله تعالى ردًّا على فرعون، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٣٣].

«فانقلاب العصا حَيَّة أمرٌ يدل على ثبوت صانع قدير عليم حكيم، أعظم من دلالة ما أعيد من خلق الإنسان من نطفة، فإذا كان ذاك يدل بنفسه على إثبات الصانع، فهذا أولى»[(٤)].

قال الإمام البيهقي: «وقد سلك بعض مشايخنا -رحمنا الله وإياهم- في إثبات الصانع، وحدوث العالم طريق الاستدلال بمقدمات النبوة، ومعجزات الرسالة؛ لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها، ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلًا في وجوب

(١) شفاء العليل (ص٧٨).
(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٧٩).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٥٢).
(٤) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٤٤).

قبول ما دعا إليه النبي ﷺ، وعلى هذا الوجه كان إيمان أكثر المستجيبين للرسل -صلوات الله عليهم أجمعين»[١].

وقال الإمام ابن القيم: «وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلِّها على الصانع وصفاته وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل ودلالتها ضرورية بنفسها؛ ولهذا يسميها الله سبحانه آياتٍ بيناتٍ وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإن انقلاب عصا تقلها اليد ثعبانًا عظيمًا يبتلع ما يمر به ثم يعود عصا كما كانت من أدل الدليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكليات والجزئيات وعلى رسالة الرسول وعلى المبدأ والمعاد»[٢].

ثم قال: «وكذلك سائر آيات الأنبياء فإخراج ناقة عظيمة من صخرة تمخضت بها، ثم انصدعت عنها، والناس حولها ينظرون وكذلك تصوير طائر من طين ثم ينفخ فيه النبي فينقلب طائرا ذا لحم ودم وريش وأجنحة يطير بمشهد من الناس، وكذلك إيماء الرسول إلى القمر فينشق نصفين بحيث يراه الحاضر والغائب فيخبر به كما رآه الحاضرون، وأمثال ذلك مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر»[٣].

وقال العلامة ابن سعدي: «ومن براهين وجود الله تعالى ما يجريه الله على أيدي أنبيائه من خوارق الآيات والمعجزات والبراهين القاطعات، وما يكرمهم به في الدنيا وينصرهم، ويجعل لهم العواقب الحميدة، ويخذل أعداءهم ويعذبهم بأصناف العذاب»[٤].

---

(١) الاعتقاد، للبيهقي (ص٤٥-٤٦).
(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ١١٩٧).
(٣) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ١١٩٨).
(٤) البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله (ص٢٦).

ولذلك فإن معجزة نبينا محمد ﷺ هو القرآن العظيم باقية متجددة، يراها الناس في كل عَصْرٍ ومِصْرٍ، وهو معجز بنظمه ومعانيه وبلاغته وشريعته، ووجوه إعجازه لا تنتهي، وكل يوم يكتشف أهل العلم منها الجديد(١)، وكلها تدل على وجود الله؛ ولذلك جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»(٢)(٣).

الدليل الرابع: إجابة الدعوات:

من الدلائل الظاهرة على وجود الله تعالى أن الله سبحانه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويكشف السوء إذا صدق الداعي في اللجوء إلى الله وأتى بشروط الإجابة(٤).

قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦، ٧٧]، وقال سبحانه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، والآيات في هذا كثيرة، والأحاديث في استجابة الله لدعاء رسوله ﷺ مدونة في كتب السنة ودلائل النبوة، وشهرتها تغني عن الاستشهاد بها، وكذلك ما وقع للصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وكل مؤمن يجد أثر هذا الدليل في حياته، وكلٌّ له تجربته الخاصة في هذا السبيل.

---

(١) ينظر: موسوعة النبأ في إعجاز القرآن العلمي.

(٢) أخرجه البخاري (ح٤٩٨١)، ومسلم (ح١٥٢).

(٣) وسيأتي الحديث عن دلائل النبوة في مبحث الإيمان بالرسل ضمن الجزء الثالث من هذه السلسلة.

(٤) انظر التفصيل في: الجواب الكافي، لابن القيم (ص١٦) وما بعدها.

بل قد يجيب الله سبحانه دعوة المضطر والمظلوم إذا أخلص في اللجوء إليه حتى من غير المسلمين، فقد استجاب الله للمشركين حين دعوا الله مخلصين له الدين: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: «... **واتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»(١).

وقال العلامة ابن سعدي: «ومن براهين ربوبيته ووحدانيته إجابته للدعوات في كل الأوقات، فلا يحصي الخلق ما يعطيه السائلين، وما يجيب به أدعية الداعين، من بر وفاجر، ومسلم وكافر، تحصل للعباد المطالب الكثيرة ولا يعرفون لها شيئًا من الأسباب سوى الدعاء، والطمع في فضل الله والرجاء لرحمته، هذا برهان مشاهد في كل الأوقات لا ينكره إلا مباهت جاحد»(٢).

الدليل الخامس: أدلة العلم الحديث:

كشف العلم الحديث من آيات الله في الأنفس والآفاق أمورًا لم تعرف من قبلُ، ومن نَظَر في كتاب «الله يتجلى في عصر العلم» وقد كتبه ثلاثون من علماء الطبيعة والفلك ممن انتهت إليهم الرياسة في هذه العلوم، ومثله كتاب «العلم يدعو إلى الإيمان» يجد أن العالم الحقيقي لا يكون إلا مؤمنًا، والعامي لا يكون إلا مؤمنًا، وأن الإلحاد والكفر إنما يكون من أنصاف العلماء وأرباع العلماء ممن تعلم قليلًا من العلم، فخسر بذلك الفطرة المؤمنة، ولم يصل إلى العلم الذي يدعو إلى الإيمان(٣).

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري (ح١٤٩٦)، ومسلم (ح١٩).

(٢) البراهين العقلية على وحدانية الرب (ص٢٥).

(٣) راجع للتوسع في هذا الموضوع: تعريف عام بدين الإسلام للشيخ علي الطنطاوي، إيماننا الحق بين النظر والدليل، الوجود الحق لفهمي هويدي، وغيرها.

ومن هذه الأدلة التي أثبتها العلم الحديث ما يلي:

أولًا: حدوث العالم:

أثبت العلم الحديث ما قرره علماؤنا من حدوث العالم بعد أن لم يكن؛ حتى أصبح ذلك من اليقينيات التي يقرُّ بها الملاحدة[(١)]، وقد «أثبت العلم أن الكون ليس أزليًّا، وإنما له نقطة بداية محددة بعكس ما كان يتصور، العجيب: أن تصور أزلية الكون لم يكن عليه دليل علمي واحد، وإنما كان تصورًا فلسفيًّا محضًا، وظل متوارثًا هكذا إلى أن تم التخلص منه تدريجيًّا منذ بداية القرن التاسع عشر»[(٢)]، يقول العالم الفيزيائي ليون برويون: «تشير كل الدلائل إذًا إلى كون له عمر زمني محدود أتى للوجود في زمن محدد»[(٣)]، ويقول د. عمرو شريف: «كان هذا الاعتراض (الكون القديم ولا بداية له) في الماضي أقوى الحجج ضد البرهان الكوني؛ حتى أثبت العلم وأقر الملاحدة بأن لكوننا بداية»[(٤)]، ويقول إدوارد لوثر كيسل (عالم الحيوان الأمريكي): «أثبتت البحوث العلمية -دون قصد- أن لهذا الكون بداية، فأثبتت تلقائيًّا وجود الإله؛ لأن كل شيء ذي بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته، ولا بد أن يحتاج إلى المحرك الأول، الخالق الإله»[(٥)].

وقد أثبتت ذلك الاكتشافات العلمية الحديثة، ومن أشهر هذه الاكتشافات العلمية وأكثرها دلالة على حدوث الكون نظرية الانفجار الكبير[(٦)]، حيث «يعتقد العلماء بأن الكون بدأ بانفجار عظيم big bang وهو ليس حدثًا

---

(١) انظر اعترافات بعض الملاحدة لحدوث الكون في: براهين وجود الله، د. سامي العامري (ص٤٠٠) وما بعدها.

(٢) الصنع المتقن، د. مصطفى قديح (ص٣٣). (٣) الصنع المتقن (ص٣٦-٣٧).

(٤) رحلة عقل (ص١٣٢). (٥) الإسلام يتحدى (ص٥٥).

(٦) أول من أطلق مصطلح (الانفجار الكبير) هو عالم الفلك الشهير فريد هويل في أحد حواراته في إذاعة بي بي سي على سبيل السخرية من هذه النظرية، فاشتهر إطلاق هذا الاسم عليها. انظر: شموع النهار، عبد الله العجيري (ص١٢٧).

عشوائيًّا -كما نظن نحن بأن كل انفجار يشتت المادة، ويعتبرها دون نظام- ولكن الانفجار الكبير عمل عكس هذا بشكل محفوف بالأسرار، فقد عمل على تجميع المادة معًا لتشكل المجرات، فلقد أضافت نظرية الانفجار الكبير أدلة أخرى تثبت أن الكون خلق بتقدير دقيق ونظام رائع، فانفجار بهذه القوة لا يحتمل أن ينتج عنه أي نظام أو إتقان، ولكننا نجد العلماء يخبروننا أن الانفجار قد صاحبه دقة بالغة وإحكام رائع؛ لينتج لنا هذا الكون البديع»[(١)].

وقد «أصبح (الانفجار العظيم) هو النظرية السائدة في الوسط العلمي اليوم والأكثر قبولًا حول نشأة الكون»[(٢)]. يقول الفيزيائي الشهير ستيفن هوكينج: «تقريبًا الجميع اليوم يعتقد بأن الكون بل والزمن نفسه له بداية مع الانفجار الكبير»[(٣)]، ويقول عالم الكونيات اللاأدري ألكسندر فلينكين: «جميع الأدلة التي لدينا تخبرنا بأن الكون له بداية»[(٤)].

ولذا يقول أنتوني فلو: «إن على الملحد أن يشعر بالحرج من الإجماع العلمي الحديث على نموذج الانفجار العظيم؛ إذ يبدو أن علماء الكونيات يقدمون الدليل العلمي على وجود بداية للكون»[(٥)].

ثانيًا: برهان التصميم أو الصنع المتقن:

يقول أنتوني فلو: «لا شك أن من أشهر البراهين وأبسطها، وأدلها على وجود الإله الخالق، هو ما يعرف ببرهان التصميم (Design Argument)، أو البرهان الكوني (Cosmic Argument) ويعني ببساطة: أن دقة بناء الكون وما عليه الطبيعة من نظام وانتظام، يشير إلى وجود... إله حكيم خالق، ولا شك أن ما كشفه العلم الحديث من معلومات هائلة في مجال قوانين الطبيعة ونشأة الكون، وكذلك نشأة الحياة وتنوع الكائنات الحية، قد

(١) الصنع المتقن (ص٢٣٦).
(٢) الصنع المتقن (ص٥٩).
(٣) شموع النهار، عبد الله العجيري (ص١١٣).
(٤) شموع النهار (ص١١٣).
(٥) الصنع المتقن (ص٦٧).

أمدَّ هذا البرهان بالكثير من الأدلة»[١].

ويقول جون وليام كلوتس (أستاذ علم الأحياء والفسيولوجيا): «إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة، إنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى، ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة، وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده»[٢].

ويقول فرانك ألن (عالم الطبيعة البيولوجية): «لا بد لأصل الكون من خالق أزلي ليس له بداية، عليم محيط بكل شيء، قوي ليس لقدرته حدود، ولا بد أن يكون هذا الكون من صنع يديه، إن ملاءمة الأرض للحياة تتخذ صورًا عديدة لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية، فالأرض كرة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها، فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار، وهي تسبح حول الشمس مرة في كل عام، فيكون في ذلك تتابع الفصول الذي يؤدي بدوره إلى زيادة الجزء الصالح للسكنى من سطح كوكبنا، ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية أكثر مما لو كانت الأرض ساكنة»[٣].

ويقول ميريت إستانلي (أختصاصي في الفيزياء): «نستطيع بطريقة الاستدلال والقياس بقدرة الإنسان وذكائه في عالم يفيض بالأمور العقلية أن نصل إلى وجوب وجود قوة مسيطرة مدبرة، تدبر هذا الكون وتدبر أموره، وتعيننا على فهم ما يغمض علينا من أمور منحنيات التوزيع، ودورة الماء في الطبيعة، ودورة ثاني أوكسيد الكربون فيها، وعمليات التكاثر العجيبة، وعمليات التمثيل الضوئي ذات الأهمية البالغة في اختزان الطاقة الشمسية، وما لها من أهمية بالغة في حياة الكائنات الحية، وما لا يحصى من عجائب

(١) هناك إله، أنتوني فلو، ضمن كتاب رحلة عقل، عمرو شريف (ص٨٣).

(٢) الله يتجلى في عصر العلم (ص٥٢). (٣) الله يتجلى في عصر العلم (ص١٢).

من هذا الكون؛ إذ كيف يتسنى لنا أن نفسر هذه العمليات المعقدة المنظمة تفسيرًا يقوم على أساس المصادفة والتخبط العشوائي؟! وكيف نستطيع أن نفسر هذا الانتظام في ظواهر الكون والعلاقات السببية، والتكامل، والغرضية، والتوافق، والتوازن، التي تنتظم سائر الظواهر وتمتد آثارها من عصر إلى عصر؟! كيف يعمل هذا الكون دون أن يكون له خالق مدبر هو الذي خلقه وأبدعه ودبر سائر أموره؟ إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه، ويدل على قدرته وعظمته»[١].

يقول كريسي موريسون: «إن الشمس -التي هي مصدر كل حياة- تبلغ درجة حرارة سطحها (١٢,٠٠٠) درجة فهرنهايت، وكرتنا الأرضية بعيدة عنها إلى حدٍّ يكفي لأن تمدنا هذه النار الهائلة بالدفء الكافي، لا بأكثر منه، وتلك المسافة ثابتة بشكل عجيب، وكان تغيرها في خلال ملايين السنين من القلة بحيث أمكن استمرار الحياة كما عرفناها، ولو أنَّ درجة الحرارة على الكرة الأرضية قد ازدادت بمعدل خمسين درجة في سنة واحدة، فإن كل نبت يموت، ويموت معه الإنسان، حرقًا أو تجمُّدًا»[٢]، كما أثبت «العلم الحديث أن بعد الشمس والقمر عن الأرض قد وضع في المدارات المناسبة للحياة على وجه الأرض؛ حيث تم احتساب قوة حرارة الشمس وسرعة دورانها وكذلك القمر وضع في منازله التي تناسب الكرة الأرضية، فلو اقتربت الشمس قليلًا لانصهرت الأرض، ولو ابتعدت قليلًا لتجمدت الكرة الأرضية وما عليها، ولو ابتعد القمر قليلًا لتوقف المد والجزر، ولو اقترب قليلًا لزادت جاذبيته التي تبلغ (سدس جاذبية الأرض)، ولأصبح المد قادرًا على إحداث طوفان يغرق الكرة الأرضية»[٣].

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم (ص٢٥-٢٦).

(٢) العلم يدعو إلى الإيمان (ص٣٢).

(٣) موسوعة النبأ في إعجاز القرآن العلمي (ص٣١).

۞ الأدلة على الأصل الثاني: إفراد الله تعالى بأفعاله.

دل على وحدانية الرب تعالى وانفراده بالخلق والتدبير والملك أدلة كثيرة، منها:

قوله جل وعلا: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١]، قال الإمام ابن القيم في وجه تقرير هذه الآية لوحدانية الله في الخلق والتدبير: «فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين؛ فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلًا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله لكان له خلق وفعل؛ وحينئذ فلا يرضى شركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره وتفرده بالإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بممالكهم إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه، فلا بد من أحد أمور ثلاثة: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض، وأما أن يكونوا كلهم تحت قهر إله واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم ولا يمتنعون من حكمه، فيكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون، وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره»(١).

دليل التمانع:

ومن أشهر الأدلة العقلية في إثبات الوحدانية في الربوبية عند المتكلمين ما يسمونه بـ(دليل التمانع)، وتقرير هذا الدليل عندهم على النحو التالي: لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما، مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما، أو لا

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٨٣-٨٤).

يحصل مرادهما، أو يحصل مراد واحد منهما.

فالأول ممتنع؛ لأنه جمع بين النقيضين، والثاني ممتنع؛ لأنه سلب للنقيضين، ثم هو يقتضي عجز الاثنين، والعاجز لا يصلح للألوهية، والثالث -وهو إذا حصل مراد أحدهما دون الآخر- كان هذا هو الإله القادر، والآخر لا يصلح للألوهية لعجزه(١).

وزعموا أن هذا الدليل العقلي هو معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

نقد هذا الدليل:

١- دليل التمانع الذي قرره المتكلمون دليل عقلي صحيح فيما أراد المتكلمون إثباته وهو نفي الشريك عن الله في الخلق والإيجاد، لكنه قاصر عن إثبات نفي الشريك عن الله في استحقاق العبادة وهو مقصود القرآن، يقول ابن تيمية: «الذي ذكره النظار عن المتكلمين الذي سموه دليل التمانع برهان تام على مقصودهم، وهو امتناع صدور العالم عن اثنين، وإن كان هذا هو توحيد الربوبية، والقرآن يبين توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية»(٢).

٢- أننا لا نحتاج إليه؛ لأنه «ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين، مع أن كثيرًا من أهل الكلام والنظر والفلسفة تعبوا في إثبات هذا المطلوب وتقريره. ومنهم من اعترف بالعجز عن تقرير هذا بالعقل، وزعم أنه يتلقى من السمع»(٣).

٣- قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢] لا يدل على

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص٢٧٨)، نهاية الأقدام، للشهرستاني (ص٥٧)، أبكار الأفكار، للآمدي (٢/ ٩٧)، شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني (٢/ ٦٢-٦٣).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٥٤)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٣/ ٣١٢).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٨).

التمانع الذي ذكروه من أي وجه، وإنما سيقت الآية لتقرير وحدانية الله تعالى في استحقاق العبادة لا في الخلق؛ لأن المشركين الذين نزلت عليهم هذه الآية لم يعتقدوا أن هناك خالقًا مع الله، بل كانوا مقرين بأن خالق العالم ومدبره هو الله وحده، قال ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١]، وإنما كان شركهم بعبادة غير الله من الأنبياء والملائكة والصالحين والكواكب والأوثان؛ ولهذا كانت دعوة الرسل لأقوامهم إلى عبادة الله وحده[(١)].

٤- أنه سبحانه أخبر في الآية أنه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ﴾، ولم يقل: أرباب[(٢)]، ومن المعلوم لغة وشرعًا أن مدلول لفظ (الرب) غير مدلول لفظ (الإله)، فلفظ (الرب) يدل على التربية، ومن معاني التربية: الخلق والإيجاد والتدبير، ولفظ (الإله) يدل على استحقاق العبادة؛ لأن الإله هو المألوه؛ أي: المعبود[(٣)]، قال ابن تيمية: «ومقصود القرآن توحيد الإلهية، وهو مستلزم لما ذكروه من غير عكس»[(٤)].

٥- وأيضًا فإنه سبحانه قال في الآية: ﴿لَفَسَدَتَا﴾، وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجدا، ومعناه: لو كان فيهما - وهما موجودتان - آلهة سواه لفسدتا[(٥)]، فالنتيجة التي انتهى إليها دليل التمانع منع وجود مخلوق إذا كان هناك خالق مع الله، والآية عبرت بالفساد، وهو لا يكون إلا بعد الوجود.

يوضح ذلك ابن تيمية قائلًا: «هذه الآية ليس المقصود بها ما يقوله من

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٤٤ - ٣٤٥).
(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٤٠).
(٣) انظر: لسان العرب (٢/ ١١٤)، (١٧/ ١٥٤٦).
(٤) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٦٩).
(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٤٠).

يقوله من أهل الكلام من ذكر دليل التمانع الدال على وحدانية الرب تعالى، فإن التمانع يمنع وجود المفعول، لا يوجب فساده بعد وجوده»[(١)]، ويقول أيضًا: «الفساد ليس هو امتناع الوجود الذي يقدَّر عند تمانع الفاعلَين إذا أراد أحدهما شيئًا وأراد الآخر نقيضه، ولا هو امتناع الفعل الذي يقدر عن كون المفعول الواحد لفاعلين، فإن هذا كله يقتضي عدم الوجود»[(٢)].

والحاصل أن استدلال المتكلمين بالآية على التمانع باطل من وجوه:

أولًا: أنه قال: ﴿ءَالِهَةٌ﴾، ولم يقل: أرباب.

وثانيًا: أنه قال: ﴿فِيهِمَآ﴾، وهذا يدل على وجودهما.

وثالثًا: أنه قال: ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾، ولم يقل: لم توجدا.

رابعًا: واقع المشركين حيث يقرون بالربوبية وينكرون توحيد الألوهية.



(١) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية (٢/ ٨٥٦).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٧١).



المبحث الثالث

مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

من مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية ما يلي:

١- **إنكار وجود الرب جل وعلا**، ومن أشهر من عرف تظاهره بإنكار الرب تعالى قديمًا فرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وقد كان مستيقنًا في الباطن بربوبية الله تعالى، كما قال له موسى: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وأخبر الله تعالى عن حقيقة إلحاده وقومه، فقال سبحانه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ [النمل: ١٤].

ومن أظهر من عرف تظاهره بإنكار وجود الرب حديثًا الشيوعيون الذين قالوا: (لا إله والحياة مادة)، وهو مكابرة للفطرة، وإلا فهم في الباطن مقرون بوجود الرب تعالى؛ ولذا تجدهم عند الشدائد والكروب يرجعون إلى ربهم، كما استفاضت الشواهد بهذا عن حال كثير من الملاحدة عند الشدائد، بل إن أعتى الملاحدة فرعون لما أدركه الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

٢- **الشرك في الربوبية**، ومعناه «إثبات فاعل مستقل غير الله»(١) في الملك أو

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٩٠).

الخلق أو الرزق أو التدبير، فمن نسب إلى غير الله تعالى شيئًا من ذلك فقد أشرك في ربوبيته، قال العلامة حافظ حكمي: «ضد توحيد الربوبية هو اعتقاد متصرف مع الله ﷻ في أي شيء من تدبير الكون؛ من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب والعظمة والكبرياء ونحو ذلك»(١).

وهناك طوائف في القديم والحديث عرف عنهم الشرك في الربوبية، لكن لم توجد طائفة على مدار التاريخ قالت بإثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا من مقالات الأولين والآخرين في الملل والنحل والآراء والديانات، فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل له في جميع الصفات»(٢).

ومن أشهر الطوائف التي عرف عنها شرك في توحيد الربوبية ما يلي:

١- **المجوس:** حيث «أثبتوا أصلين اثنين، مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور، والآخر: الظلمة، وبالفارسية: يزدان وأهرمن»(٣).

٢- **النصارى:** في قولهم بالتثليث، قال ابن أبي العز: «وأما النصارى القائلون بالتثليث، فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل متفقون على أن صانع العالم واحد، ويقولون: باسم الآب والابن وروح القدس إله واحد، وقولهم في التثليث متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول أفسد منه، ولهذا كانوا مضطربين في فهمه، وفي التعبير عنه، لا يكاد

(١) أعلام السنة المنشورة (ص٢٤) بتصرف يسير.
(٢) التدمرية (ص١٧٧-١٧٨)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٧، ٣٨).
(٣) الملل والنحل (٢/ ٣٧).

واحد منهم يعبر عنه بمعنى معقول، ولا يكاد اثنان يتفقان على معنى واحد، فإنهم يقولون: هو واحد بالذات، ثلاثة بالأقنوم! والأقانيم يفسرونها تارة بالخواص، وتارة بالصفات، وتارة بالأشخاص، وقد فطر الله العباد على فساد هذه الأقوال بعد التصور التام، وفي الجملة فهم لا يقولون بإثبات خالقين متماثلين»[١].

٣- **الفلاسفة الدهرية:** في قولهم بحركة الأفلاك وأنها تسعة، وأن التاسع -وهو الأطلس- يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله يحدث فيه ما يقدره في الأرض[٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العقل الأول عند هؤلاء هو المبدع لكل ما سوى الله، والعقل الفعَّال عندهم هو المبدع لكل ما تحت فلك القمر، وأهل الملل يعلمون بالاضطرار من دين الرسل أنه ليس عندهم أحد غير الله يخلق جميع المبدعات»[٣].

٤- **كثير من مشركي العرب وغيرهم:** الذين قد يعتقدون في آلهتهم شيئًا من نفع أو ضر بدون أن يخلق الله ذلك[٤].

٥- **غلاة القدرية:** لقولهم: إن العبد يخلق فعله، فأثبتوا خالقِين مع الله[٥].

٦- **غلاة الصوفية:** في زعمهم بأن الأولياء ينفعون ويضرون ويتصرفون في الكون، أو اعتقادهم أنهم يملكون الدنيا والآخرة، كقول البوصيري في مدح الرسول ﷺ:

فإن من جودك الدنيا وضرَّتَها ... ومن علومك علمَ اللوح والقلم[٦]

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٧-٢٨).

(٢) انظر تفصيل قولهم ونقده في: الفتاوى (٦/ ٥٤٦) وما بعدها.

(٣) الصفدية (١/ ١٥٦).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٣٨).

(٥) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٣٨).

(٦) انظر: الرد على البردة، لعبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين (ص١٢).

وكذلك في اعتقادهم بالحلول[(١)] ووحدة الوجود[(٢)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القائلون بوحدة الوجود حقيقة قولهم هو قول ملاحدة الدهرية الطبيعية الذين يقولون: ما ثَمَّ موجود إلا هذا العالم المشهود»[(٣)].

٧- **الروافض الإثنا عشرية الملقبون في عصرنا بالشيعة:** ومن مقالاتهم: أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها كيف شاء، وجاء في أهم كتاب معتمد لديهم باب بعنوان: «باب أن الأرض كلها للإمام»[(٤)]، ومما جاء فيه: «أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله...»[(٥)]، فأشركوا في الربوبية، والله تعالى يقول: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥﴾ [النجم: ٢٥].



(١) **الحلول هو**: اعتقاد «أن الله بذاته في كل مكان» (مجموع الفتاوى ٢/ ١٧٢)، وانظر: التعريفات، للجرجاني (ص١٢٥).

(٢) **الاتحاد هو**: اعتقاد «أن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى، ليس وجودها غيره، ولا شيء سواه البتة» (مجموع الفتاوى ٢/ ١٤٠)، وانظر: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، د. أحمد القصير (ص٢٨).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٦٣).

(٤) انظر: أصول الكافي (١/ ٤٠٧-٤١٠).

(٥) أصول الكافي (١/ ٤٠٩).

وانظر من مصادرهم: أصول الكافي (١/ ٤٤٠)، الاختصاص (ص٣٢٧)، بحار الأنوار (١/ ٤٤١-٤٤٢)، (٢٧/ ٣٣)، البرهان (٢/ ٤٨٢).

وانظر أيضًا: بحار الأنوار باب جوامع معجزاته (يعنون: عليًّا) (٤٢/ ١٧-٥٠)، وفيه ١٧ رواية، وباب ما ورد من غرائب معجزاته (٤٢/ ٥٠-٥٦)، وحتى قبره جعلوا له معجزات لا يقدر عليها إلا رب العباد، وعقد لهذا صاحب البحار بابًا بعنوان باب (ما ظهر عند الضريح المقدس من المعجزات والكرامات) (٤٢/ ٣١١-٣٣٩).



المبحث الرابع

الإلحاد

المراد به وصوره القديمة والمعاصرة، والرد عليه إجمالًا

۞ أولًا: المراد بالإلحاد:

الإلحاد لغة هو الميل، قال الزبيدي: «أصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء»(١).

أما الإلحاد اصطلاحًا فله معنيان:

الأول: عام، وهو الميل والعدول عن الحق(٢).

الثاني: خاص، وهو إنكار وجود الله تعالى، وهو المراد عند الإطلاق في عصرنا الحاضر.

يقول د. جميل صليبا: «الإلحاد في اصطلاحنا هو إنكار وجود الله»(٣).

وهذا الإلحاد نوعان:

الأول: ما يسمى بالإلحاد القوي، وهو: الإيمان بأن الله غير موجود؛ أي:

---

(١) تاج العروس (٩/ ١٣٥)، وانظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢٣٦)، لسان العرب (٣/ ٣٨٩).

(٢) سيأتي تفصيل الكلام في معنى الإلحاد وأقسامه عند الحديث عن (الإيمان بأسماء الله وصفاته).

(٣) المعجم الفلسفي (١/ ١١٩-١٢٠).

أن الملحد يعلم أنه لا وجود لإله، قال د. سامي العامري: «وهذا المذهب لا يعرف أحد من أئمة الإلحاد اليوم يتبناه، بل الجميع في مؤلفاتهم ينكرون تلبسهم به؛ لأن النفي المطلق هنا متعذر ضرورة»(١).

الثاني: ما يسمى بالإلحاد الضعيف، وهو عدم الإيمان بوجود الله، حيث يرى الملحد أن حجة المؤمن لم تقنعه للإيمان بوجود الله(٢)، وهذا هو الإلحاد الموجود اليوم.

۞ ثانيًا: صوره القديمة والمعاصرة:

من أشهر صور الإلحاد قديما دعوى الدهرية الذين قالوا -كما أخبر الله عنهم- ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره مخبرًا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر، إنكارا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم»(٣)، وقال الإمام ابن كثير: «﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾؛ أي: ما ثَمَّ إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثَمَّ معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول؛ ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾؛ أي: يتوهمون ويتخيلون»(٤).

ويرى بعض علماء المقالات كالشهرستاني أن الدهرية لا ينكرون وجود الله، فقال: «أما تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم؛ فلست أراها

---

(١) براهين وجود الله، د. سامي العامري (ص٦١).
(٢) انظر: براهين وجود الله (ص٦٢).
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٩٦).
(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦٩).

مقالة لأحد، ولا أعرف عليه صاحب مقالة، إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية أنهم قالوا: العالم كان في الأزل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة، واصطكت اتفاقًا، فحصل عنها العالم بشكله الذي تراه عليه، ودارت الأكوار وكرت الأدوار وحدثت المركَّبات، ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع، لكنه يحيل سبب وجود العالم على البحث والاتفاق احترازًا عن التعليل»(١).

«وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع قديمًا هو فرعون، وقد كان مستيقنًا به في الباطن، كما قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]»(٢).

أما الإلحاد بمعناه الحديث -الذي هو عدم الإيمان بوجود الخالق- فهو أيضًا أمر شاذ لا يقول به إلا فرد بعد فرد من الناس، وظل الأمر كذلك حتى القرن الثامن عشر الميلادي تقريبًا؛ حيث بدأ التيار الإلحادي يظهر في أوروبا عام ١٧٧٠م، ثم بدأ الإلحاد يحل محل الإيمان عند كثير من قادة الفكر الأوروبي، وصار بعد مقدم الشيوعية هو الدين الرسمي لدُوَلها، ولمَّا صارت للإلحاد هذه المكانة في الغرب، ولمَّا كانت هذه الحضارة الغربية هي الحضارة السائدة في عصرنا؛ فقد انتشر هذا الإلحاد، وانتشرت أكثر منه لوازمه في أرجاء المعمورة انتشارًا لم يعهد له مثيل فيما مضى من الزمان، ولكن مع ذلك ما يزال الملحدون من الناحية العددية قلة قليلة حتى في الغرب، ففي استطلاع للرأي العام أجرته صحيفة نيويورك تايمز (٢٧/ ٢/ ١٩٩٣م) صرح ٩٦٪ من الأمريكان بأنهم يؤمنون بالله، وفي استطلاع أحدث أجرته مجلة US News and World Report كانت النسبة قريبًا من

(١) انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني (ص٧٤).
(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٦).

ذلك، فقد صرح ٩٣٪ بأنهم يؤمنون بالله، وصرح ٥٪ فقط بأنهم ملحدون[١].

ويمكن إجمال ما ذكره الغربيون حول تفسير هذه الظاهرة في الأسباب التالية:

١- التناقض الشديد بين كثير من دعاوى الدين النصراني المحرف الذي ورثه الغرب وبين العلم التجريبي الذي اكتشفوه.

٢- التناقض بين منهج العلم التجريبي القائم على الدليل الحسي، وبين منهج دينهم القائم على التسليم الأعمى.

٣- خوض كثير من علماء دينهم في المسائل الغيبية والحديث عنها بمجرد الرأي دون سند علمي.

٤- تعصب بعض العلماء الطبيعيين المتدينين؛ لما ذكره الكتاب المقدس من معلومات حول الكون حتى أداهم ذلك إلى تحريف الحقائق العلمية لتوافق دعاوى الكتاب المقدس، مثل ما استنتجه المطران جيمس أشر من تحليل الكتاب المقدس أن الأرض خلقت عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد.

٥- التناقضات الفجة التي زخر بها الكتاب المقدس لا سيما بعد تطور حركة النقد النصي للكتاب المقدس؛ حتى شمل التناقض مسألة الألوهية، فبينما يوصف الإله بأنه هو الخالق ينسب إليه الولد، وبينما يقال: إن عيسى ابن الله يقال: إنه صلب، وبينما يقال: إن الإله واحد يقال: إنه مكون من ثلاثة أقانيم (الآب والابن وروح القدس)[٢].

۞ ثالثًا: الرد على الإلحاد:

يحاول الملاحدة أن يجدوا لإلحادهم دليلًا، ولانسلاخهم من الدين تحت تأثير شبهة أو شهوة مستندًا؛ ينازعون به ما ركبت عليه الفطرة الإنسانية

(١) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر إدريس (ص١٩).
(٢) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس (ص٢٢-٢٣).

وجبلت عليه الطبيعة البشرية من الإقرار بوجود خالق للكون، والأصلان اللذان يرتكز عليهما الإلحاد هما: **(١)** أزلية الكون ونفي وجود بداية له، **(٢)** القول بالصدفة والعشوائية في خلق الكون[١].

ومن هنا كانت أكبر معضلة تواجه الملحدين هي بداية الكون[٢]، يقول هوكينج: «كثير من الناس غير سعداء بفكرة وجود بداية للكون، فهي تعني وجود موجود فوق طبيعي خلق الكون، لقد فضلوا أن يؤمنوا بأن هذا الكون والبشر أزليان»[٣]، ولذا كانت نظرية الانفجار العظيم من النظريات التي أقلقت الملاحدة؛ لأنها تدل دلالة واضحة على أن للكون بداية، ولذلك قال أينشتاين: «إن مسألة كون يتمدد هذه تقلقني»، ويعلق روبرت جاسترو: «إنها تقلق أينشتاين لما لها من لوازم لاهوتية»[٤].

وبعدما أصبح القول بحدوث الكون من اليقينيات حتى عند الملاحدة قالوا: بأنه حدث مصادفة، أو أن الطبيعة هي التي خلقت الكون، **وفيما يلي مناقشة لهاتين الشبهتين:**

الشبهة الأولى: القول بالمصادفة:

يقول أحد الملاحدة[٥]: «لو جلست ستة من القردة على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها بلايين السنين، فلا تستبعد أن نجد في الأوراق الأخيرة التي كتبتها قصيدة من قصائد شكسبير، فكذلك الكون الموجود الآن

(١) انظر: الصنع المتقن، د. مصطفى قديح (ص١٨٢).
(٢) انظر: الصنع المتقن (ص٧٣). (٣) الصنع المتقن (ص٧٥).
(٤) شموع النهار (ص١٢٧).
(٥) هو الكاتب الملحد هكسلي الذي كتب كتابه المعروف (الإنسان يقوم وحده)، فسخر الله له عالمًا من ملته هو أ. كريسي مدريسون (رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك وعضو سابق في المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة)، فسطر كتابه القيم (الإنسان لا يقوم وحده) ردًّا على هكسلي، وقد ترجم هذا الكتاب تحت عنوان (العلم يدعو إلى الإيمان).

نتيجة لعمليات عمياء، ظلت تدور في المادة لبلايين السنين»[(١)]، **والرد على هذه الشبهة من وجوه:**

١- أنه لا يصدق بهذا اللغو عاقل؛ لأن العقل لا يتصور وقوعه في أدنى الأشياء؛ ولذلك قال وحيد الدين خان -بعد نقله لهذه الفقرة من كلام هذا الملحد: «إن أيَّ كلام من هذا القبيل لغو مثير بكل ما تحويه هذه الكلمة من معانٍ، فإن جميع علومنا تجهل -إلى يوم الناس هذا- أية مصادفة أنتجت واقعًا عظيمًا ذا روح عجيبة في روعة الكون»[(٢)]؛ ولذا رد على هذه الشبهة كوكلين بسخرية قائلًا: «إن القول إن الحياة وجدت نتيجة حادث اتفاقي[(٣)]؛ شبيه في مغزاه بأن نتوقع إعداد معجم ضخم نتيجة انفجار صدفي يقع في مطبعة»[(٤)].

٢- أن القول بالصدفة، يعني: الجهل بالأسباب التي أدت إلى حدوث الكون ووجوده من العدم، لكننا وللأسف نجد الملحدين يستخدمونها بمعنى إنكار الخالق، ومع أن مدلول كلمة (الصدفة) يشير إلى حدوث الشيء بطريقة عشوائية إلا أن هذا نتيجة نقص معلوماتنا عن ذلك الشيء، لا أنه في حقيقة الأمر كذلك[(٥)].

٣- أنه يكفي لنقض هذه الدعوى دليل الإحكام الذي سبق تقريره؛ ذلك أن «الصنع المتقن في الكون واضح لأي عالم فيزيائي منصف، سواء كان ملحدًا أو مؤمنًا، فليس هناك عالم جاد يؤمن بالصدفة أو العشوائية؛ إذ أصبح القول بوجود الكون صدفة أمرًا يستصعبه العلماء، ولا يزال البشر يشعرون بالرهبة حيال التصميم المعقد الدقيق والمهيب للكون»[(٦)].

---

(١) الإسلام يتحدى (ص٦٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) اتفاقي؛ أي: صدفي.
(٤) الكون الغامض (ص٣-٤)، نقلًا عن: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان (ص٨٥).
(٥) انظر: الصنع المتقن (ص٢١٩-٢٢٠).
(٦) الصنع المتقن (ص٣٣٦).

ويقول كريسي موريسون: «إن جميع مقومات الحياة الحقيقية ما كان يمكن أن توجد على كوكب واحد في وقت واحد بمحض المصادفة، إن حجم الكرة الأرضية وبُعدها عن الشمس، ودرجة حرارة الشمس وأشعتها الباعثة للحياة، وسمك قشرة الأرض، وكمية الماء، ومقدار ثاني أوكسيد الكربون، وحجم النتروجين، وظهور الإنسان، وبقاءه على قيد الحياة، كل أولاء تدل على النظام، وعلى التصميم والقصد، كما تدل على أنه طبقًا للقوانين الحسابية الصارمة ما كان يمكن حدوث كل ذلك مصادفة في وقت واحد على كوكب واحد مرة في بليون مرة»[(١)]، ويقول د. فرانك ألن (عالم الطبيعة البيولوجية): «إن ملاءمة الأرض للحياة تتخذ صورًا عديدة لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية»[(٢)].

ويقول الفلكي إدوارد روبرت هاريسون: «ها هو الدليل الكوني على وجود الله حجة التصميم... الضبط الدقيق للكون يقدم دليلًا بدهيًّا لرب مصمم[(٣)]، قم بالاختيار بين صدفة عمياء تفتقر إلى عدد هائل من الأكوان، أو مصمم لكون واحد»[(٤)].

ويقول الطبيب مايكل أنتوني كوري: «الدرجة المذهلة من المعايرة الدقيقة لهذه العوامل الأساسية والتي تلت لحظة الانفجار الكبير؛ تكشف عن درجة معجزة من الهندسة الدقيقة، والتي لا تبدو متصورة في حال انعدام مصمم ذي قدرات حسابية خارقة»[(٥)].

ويقول فرانسيس كولينز المختص في علم الوراثة: «الضبط الدقيق لجميع

(١) العلم يدعو للإيمان (ص١٤٢).

(٢) الله يتجلى في عصر العلم (ص١٢)، ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان.

(٣) لا ينبغي إطلاق اسم مصمم على الله تعالى أو وصفه به وإن كان معناه صحيحًا؛ لأن أسماء الله وصفاته توقيفية، لكن هذا يجري مجرى الإخبار عن الله، ويجوز الإخبار عن الله بكل ما صح معناه إذا احتيج إلى ذلك.

(٤) شموع النهار (ص٢١٣).

(٥) شموع النهار (ص٢١٣).

الثوابت والقوانين الفيزيائية من أجل إمكان حدوث حياة ذكية؛ ليست عائدة للصدفة، ولكنها تعكس عمل من خلق هذا الكون ابتداء»[(١)].

وقد صرح بهذا الضبط الدقيق للكون، عدد من الملحدين، يقول فريد هويل الفلكي الملحد: «لقد اهتز إلحادي بشكل كبير من هذه المكتشفات الحديثة»[(٢)]، ويقول بول ديفيز: «حتى العلماء الملحدون يتغنون بضخامة وعظمة وتناغم وأناقة وإبداع هذا الكون والذي لا يشكلون فيه إلا جزءًا صغيرًا وهشًّا»[(٣)]، ويقول الملحد كريستوفر هيتشنز: «من غير سؤال فإن حجة الضبط الدقيق هي أقوى الاحتجاجات التي قدمها الطرف المقابل»[(٤)].

ويقول د. مصطفى قديح: «رغم الاعتراف الكبير من كل علماء الفيزياء والكونيات -وبلا استثناء ملحدهم قبل مؤمنهم من بعد منتصف القرن العشرين وحتى يومنا هذا- بالضبط الدقيق للكون وثبات قوانينه، إلا أن الملحد لن يسكت أيضًا، فسيضطر إلى القول بأشياء أخرى لتفسير ذلك تفسيرًا ماديًّا، ولكنهم عجزوا حتى الآن، وسيعجزون إلى الأبد»[(٥)].

إن كل ما في الكون يحكي أنه إيجاد موجد حكيم عليم خبير، ولكن الإنسان ظلوم جهول، قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ١٧-٣٢].

«لقد تبين لدى العلماء أن كل ما في الكون يقف متحديًا الصدفة المزعومة، فكل شيء في الكون بدءًا من البروتين البسيط ومرورًا بالخلية فضلًا عن هذا

---

(١) شموع النهار (ص٢١٤).
(٢) شموع النهار (ص٢٧٠).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الصنع المتقن (ص١٨٢).

الكون الهائل يستحيل أن ينشأ مصادفة»[١].

الشبهة الثانية: الطبيعة هي الخالق:

هذه فرية راجت في عصرنا هذا، راجت حتى على الذين نبغوا في العلوم المادية، وعلل كثيرون وجود الأشياء وحدوثها بها، فقالوا: الطبيعة هي التي تُوجِد وتُحْدِث.

وهؤلاء يوجه لهم هذا السؤال: ماذا تريدون بالطبيعة؟ هل تعنون بالطبيعة ذوات الأشياء؟ أم تريدون بها قوة أخرى وراء هذا الكون أوجدته وأبدعته؟

إذا قالوا: نعني بالطبيعة الكون نفسه، فإننا لا نحتاج للرد عليهم؛ لأن فساد قولهم معلوم، إن هذا القول يصبح ترديدًا للقول السابق بأن الشيء يوجِد نفسه، أي أنهم يقولون: الكون خلق الكون، فالسماء خلقت السماء، والأرض خلقت الأرض، والكون خلق الإنسان والحيوان، وهذا لا يتصور وقوعه؛ إذ يستحيل أن يمنح الوجود لغيره من كان معدومًا، وقد بينا أن العقل الإنساني يرفض التسليم بأن الشيء يوجِد نفسه، ونزيد الأمر إيضاحًا فنقول: والشيء لا يخلق شيئًا أرقى منه، فالطبيعة من سماء وأرض ونجوم وشموس وأقمار لا تملك عقلًا ولا سمعًا ولا بصرًا، فكيف تخلق إنسانًا سميعًا عليمًا بصيرًا؟! هذا لا يكون.

فإن قالوا: خلق ذلك كله مصادفة، قلنا: ثبت لدينا يقينًا أن لا مصادفة في خلق الكون[٢]، وقد بينا ذلك فيما سبق.

استدلالهم بنظرية التولد الذاتي:

وكان مما ساعد على انتشار الوثنية الجديدة (القول بأن الطبيعة هي الخالق) هو ما شاهده العلماء الطبيعيون من تكَوُّن (دود) على براز الإنسان أو الحيوان، وتكوُّن بكتيريا تأكل الطعام فتفسده، فقالوا: ها هي ذي حيوانات تتولد من

(١) الصنع المتقن (ص٢٢٦).
(٢) ينظر: العقيدة في الله، للأشقر (ص٧٩).

الطبيعة وحدها، وراجت هذا النظرية التي مكنت للوثن الجديد (الطبيعة) في قلوب الضالين التائهين بعيدًا عن هدى الله الحق، لكن الحق ما لبث أن كشف باطل هذه النظرية على يد العالم الفرنسي المشهور باستير الذي أثبت أن الدود المتكون، والبكتيريا المتكونة المشار إليها لم تتولد ذاتيًّا من الطبيعة، وإنما من أصول صغيرة سابقة لم تتمكن العين من مشاهدتها، وقام بتقديم الأدلة التي أقنعت العلماء بصدق قوله، فوضع غذاءً وعزله عن الهواء وأمات البكتيريا بالغليان، فما تكونت بكتيريا جديدة، ولم يفسد الطعام، وهذه هي النظرية التي قامت عليها الأغذية المحفوظة (المعلبات)[١]، وسميت هذه العملية بالبسترة نسبة إلى (باستير).

قولهم: الطبيعة قوة:

فإن وجد من يقول بأن الطبيعة قوة أوجدت الكون، قلنا: ماذا تريدون بالطبيعة؟ فإن قالوا: نريد بالطبيعة الكون نفسه، بمعنى أن الكون خلق الكون، فالسماء خلقت السماء، والأرض خلقت الأرض، وهكذا، قلنا: هذا معلوم الفساد بالضرورة؛ لأن الشيء لا يوجِد نفسه، فقد كان معدومًا، فكيف يكون خالقًا؟!

وإن قالوا: أردنا بالطبيعة قوة أخرى وراء هذا الكون أوجدته، وهي قوة حية سميعة بصيرة حكيمة قادرة، فإننا نقول لهم: هذا صواب وحق، وخطؤكم في أنكم سميتم هذه القوة (الطبيعة)، وقد دلتنا هذه القوة المبدعة الخالقة على الاسم الذي تستحقه وهو (الله)، وهو عرفنا بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، فعلينا أن نسميه بما سمى به نفسه سبحانه وتعالى، يقول هوكينج: «لو كان الكون قادرًا على أن يخلق نفسه؛ فإنه يلزم من ذلك أن يمتلك الكون في ذاته قدرات الخالق، وعلينا عندها أن نستنتج أن الكون نفسه الله، وبالتالي لا بد من الاعتراف بوجود إله»[٢].

(١) كتاب التوحيد (٢/ ٧٤).

(٢) الصنع المتقن، د. مصطفى قديح (ص٨٧).

كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم:

هؤلاء الذين نسبوا الخلق إلى الطبيعة لهم سلف قالوا قريبًا من قولهم، وهم الدهرية الذين نسبوا الأحداث إلى الدهر، فقد شاهدوا أن الصغير يكبر، والكبير يهرم، والهرم يموت بمرور الزمان، وتعاقب الليل والنهار، فنسبوا الحياة والموت إلى الدهر، ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤]، أولئك نسبوا الأحداث إلى الزمان وهؤلاء إلى ذوات الأشياء فهما صنوان في الضلال[١].



(١) انظر: العقيدة في الله، للأستاذ عمر الأشقر (ص٧٧-٨٣)، وراجع للتوسع في هذا الموضوع: البراهين العقلية على وجود الله للسعدي، الإلحاد لعبد الرحمن عبد الخالق، وغيرها.
انظر جملة من المصادر في هذه المسألة وتقويمها في: المادة النقدية للفكرة الإلحادية، د. سلطان العميري.



المبحث الخامس

المراد بالفطرة وأدلتها

المراد بها:

الفطرة لغة: الخِلْقة التي خلق الإنسان عليها[(١)]، وشرعًا: ما خلق عليه الإنسان من القوة العلمية والعملية التي تقتضي بذاتها الإسلام إذا لم يمنعها من ذلك مانع[(٢)].

أدلتها:

دل على وجود الفطرة القرآن والسنة والعقل:

فمن أدلة القرآن قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

والمعروف عند عامة السلف وأهل التأويل في قول الله ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أن المراد بـ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾: دين الله الإسلام[(٣)].

(١) انظر: لسان العرب (٥/ ٥٦).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٧).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٣٣٤-٣٣٥)، تفسير البغوي (٣/ ٤٨٢)، زاد المسير (٦/ ٣٠٠-٣٠١)، تفسير القرطبي (١٤/ ٢٥)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٢)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٢٤)، شفاء العليل (ص٢٨٥)، فتح الباري (٣/ ١٩١).

وقال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، عن مجاهد قال: «﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ الإسلام، فطرة الله التي فطر الناس عليها»[١]، وقال الإمام ابن القيم: «صبغة الله هي الحنيفية التي صبغت القلوب بمعرفته ومحبته والإخلاص له وعبادته وحده لا شريك له»[٢]، وقال الراغب الأصبهاني: «الصبغة إشارة من الله عَزَّ وَجَلَّ إلى ما أوجده فينا من بدائه العقول التي ميزنا بها من البهائم، رشحنا به لمعرفته ومعرفة حسن العدالة وطلب الحق، وهو المشار إليه بالفطرة»[٣].

ومن السنة: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، أو يمجسانه**»[٤]، ولم يقل: أو يسلمانه؛ لأن الفطرة هي الإسلام وهو الأصل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإنه لو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام، لما سألوا عقب ذلك: «أرأيت من يموت من أطفال المشركين وهو صغير؟»[٥]؛ لأنه لو لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة لم يسألوه»[٦]، وفي رواية: «**ما من مولود يولد إلا وهو على هذه الملة، حتى يبين عنه لسانه**»[٧].

وأما الأدلة العقلية على الفطرة فهي كثيرة ساق شيخ الإسلام طائفة منها في (درء التعارض)[٨]، وذكر الإمام ابن القيم منها ستة عشر وجهًا في (شفاء العليل)[٩]، واختصرها ابن أبي العز في (شرح الطحاوية)[١٠].

ومن ذلك: أنه من الواضح الجلي أن الإنسان مفطور على جلب ما ينفعه

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١١٩).
(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص١٨٧).
(٣) تفسير الراغب الأصبهاني (١/ ٣٢٤).
(٤) أخرجه البخاري (ح١٣٥٩)، ومسلم (ح٢٦٥٨).
(٥) أخرجه مسلم (ح٢٦٥٩).
(٦) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٧١).
(٧) أخرجه مسلم (ح٢٣).
(٨) انظر: درء التعارض (٨/ ٤٥٦) وما بعدها.
(٩) انظر: شفاء العليل (ص٣٠٣-٣٠٦).
(١٠) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٣٤-٣٥).

ودفع ما يضره بحسِّه، ولكن فطرة كل واحد غير مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج إلى سبب معين كالتعليم ونحوه، فهو مثلًا يحب الصحة ويكره المرض، ولكن هذا الإحساس الفطري غير كاف في معرفة أسباب الصحة وأسباب المرض ووسائل الوقاية والعلاج، بل لا بد من سبب معين كالتعليم ونحوه.

وهكذا حال الفطرة بالنسبة للإيمان والكفر، ولذلك يقال: إذا وجد الشرط، وهو بلوغ الرسالة، وانتفى المانع كتأثير البيئة الفاسدة استجابت الفطرة لما فيها من المقتضي لذلك.

ومن ذلك أيضًا: أنه إذا لم يحصل المفسد الخارج ولا المصلح الخارج كانت الفطرة مقتضية للصلاح؛ لأن المقتضي فيها للعلم والإرادة قائم والمانع منتفٍ، وهذا مصداق قوله ﷺ: «**ما من مولود يولد إلا وهو على هذه الملة**»(١).



(١) سبق تخريجه.



المبحث السادس

المراد بأخذ الميثاق وأدلته

والرد على من خالف في ذلك إجمالًا

۞ أولًا: المراد بأخذ الميثاق:

الميثاق في اللغة: العهد(١).

والمراد بالميثاق هنا: هو الإشهاد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣].

۞ ثانيًا: اختلاف العلماء فيه وأدلتهم:

قد اختلف أهل العلم في المراد بالإشهاد على قولين:

القول الأول: أن المراد به أنه فَطَرَهم على التوحيد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه الآية بينة في إقرارهم وشهادتهم على أنفسهم بالمعرفة التي فطروا عليها أن الله ربهم وقال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة**»(٢).

---

(١) انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٧١).

(٢) جامع الرسائل (١/ ١١-١٢)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٢-٤٨٤).

قال الإمام ابن القيم: «وأحسن ما فسرت به الآية قوله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة: فأبواه يهودانه وينصرانه**»، فالميثاق الذي أخذه سبحانه عليهم، والإشهاد الذي أشهدهم على أنفسهم، والإقرار الذي أقروا به هو الفطرة التي فطروا عليها؛ لأنه سبحانه احتج عليهم بذلك، وهو لا يحتج عليهم بما لا يعرفه أحد منهم ولا يذكره، بل بما يشركون في معرفته، والإقرار به»[(١)].

وقال ابن كثير: «قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فَطْرُهم على التوحيد»[(٢)]، والأدلة على ذلك هي أدلة الفطرة، كما سبق.

القول الثاني: أن الله أنطقهم وأشهدهم لما استخرجوا من صلب آدم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وطائفة من العلماء جعلوا هذا الإقرار لما استخرجوا من صلب آدم وأنه أنطقهم وأشهدهم، لكن هذا لم يثبت به خبر صحيح عن النبي ﷺ، والآية لا تدل عليه»[(٣)]. وقال الإمام ابن أبي العز: «وأما الإشهاد عليهم هناك، فإنما هو في حديثين موقوفين على ابن عباس وعمر رضي الله عنهم»[(٤)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإنما الذي جاءت به الأحاديث المعروفة أنه استخرجهم وأراهم لآدم، وميز بين أهل الجنة وأهل النار منهم، فعرفوا من يومئذ، هذا فيه مأثور من حديث أبي هريرة رواه الترمذي وغيره بإسناد جيد، وهو أيضًا من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه أهل السنن ومالك في الموطأ، وهو يصلح للاعتضاد، وأما إنطاقهم وإشهادهم فروي عن بعض السلف، وقد روى عن أبي وابن عباس، وبعضهم رواه مرفوعا من طريق ابن

(١) أحكام أهل الذمة (٢/ ٩٤٨-٩٤٩)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ٣٠٧-٣٠٨).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٦).
(٣) جامع الرسائل (١/ ١١-١٢)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، وانظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٤٢-٤٣)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (١/ ٩٢-٩٣)
(٤) شرح الطحاوية (١/ ٣٠٨).

عباس وغيره، وروى ذلك الحاكم في صحيحه، لكن هذا ضعيف»[(١)].

يشير إلى ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ قال: قرأ القعنبي الآية فقال عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عز وجل خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**»، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار**»[(٢)].

كما يشير إلى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان – يعني عرفة – فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذرِّ، ثم كلمهم قبلًا، قال:** ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾»[(٣)].

والقول بأن المراد بأخذ الميثاق والإشهاد هو فطرهم على التوحيد هو الأرجح؛ لوجهين:

الأول: أنه سبحانه قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، ولا بد أن يكون الشاهد ذاكرًا لما شهد به، وهو الآن لا يذكر شهادته، فعلم أن المراد بذلك الفطرة.

(١) جامع الرسائل، لابن تيمية (١/ ١٢).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (ح٣٣٣٧)، وأحمد في المسند (١/ ٤٠٠)، وأبو داود (ح٤٧٠٣)، والترمذي (ح٣٠٧٥)، وصححه الشيخ أحمد شاكر (المسند ١/ ٢٩٦)، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ح١٦٠٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٦٧)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٠)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

الثاني: أنه سبحانه أخبر أن حكمته بهذا الإشهاد إقامة للحجة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، والحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فطروا عليها بدليل قول الله -تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥][(١)].

الرد على من خالف في ذلك:

خالف في ذلك المعتزلة، وقالوا: إن ما جاء في الآية من أخذ الميثاق والإشهاد عليه هو من باب التمثيل والتخييل، وليس على حقيقته، قال الزمخشري في تفسير الآية: «وقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم، وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم: ألست بربكم؟ وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا، شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك. وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى ورسوله عليه السلام، وفي كلام العرب»[(٢)].

ويرد عليهم بأن ذلك على حقيقته؛ لأن هذا هو الأصل، وليس على سبيل التمثيل والتخييل؛ لأن ذلك مجرد دعوى بلا دليل، وأن حقيقته ما جاء في النصوص من كون المراد بهذا الإشهاد إنما هو خلقهم على فطرة التوحيد، كما دلت على ذلك أحاديث الفطرة.



(١) انظر: شرح الطحاوية للراجحي (ص١٦٤) بترقيم الشاملة آليًّا.
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ١٧٦).



المبحث السابع

ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية

من ثمرات تحقيق توحيد الربوبية ما يلي:

١- أعظم ثمرات تحقيق توحيد الربوبية هو إفراد الله بالعبادة، ولذلك جاء أول أمر في القرآن وهو توحيد العبادة بالاستدلال عليه بتوحيد الربوبية، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «توحيد الإلهية هو أشهر نتائج توحيد الربوبية»[(١)].

٢- من ثمرات تحقيق توحيد الربوبية اجتناب الشرك والبعد عن أسبابه، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾ [المائدة: ٧٦]، فأنكر عليهم جل وعلا عبادة ما سواه؛ لأنه لا يملك لهم نفعًا ولا ضرًّا، فإيمان العبد بأنه لا نافع ولا ضار إلا الله يقتضي إفراده بالعبادة، وقال سبحانه: ﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

٣- تحقيق التوكل على الله تعالى في طلب النفع ودفع الضر؛ لأن تحقيق

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٦٥).

توحيد الربوبية يثمر التوكل على الله وإفراده بالعبادة، فـ«التوكل على الله علم وعمل؛ فالعلم معرفة القلب بتوحد الله بالنفع والضر، وعامة المؤمنين بل كثير من المشركين يعلمون ذلك، والعمل هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ما سواه، وهذا عزيز، ويختص به خواص المؤمنين... وهذا نهاية توحيد الربوبية الذي يثمر التوكل وتوحيد العبادة»(١).

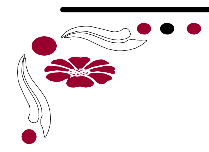
٤- شهود العبد فقره إلى الله، قال جل وعلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ [فاطر: ١٥ - ١٧].

٥- الأنس بالله والطمأنينة به، فمن أيقن أن الله خالقه ورازقه ومدبر أمره، وأن لا أحد يستطيع أن يجلب له نفعًا أو يدفع عنه ضرًّا سواه سكنت روحه واطمأن قلبه لخالقه ومولاه(٢).

٦- تحقيق توحيد الربوبية يثمر الخوف والحب والرجاء، وهي أصول أعمال القلوب، كما يثمر غيرها من العبادات القلبية، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «أما الصبر والرضا، والتسليم والتوكل، والإنابة، والتفويض، والمحبة، والخوف، والرجاء، فمن نتائج توحيد الربوبية»(٣).



(١) تيسير العزيز الحميد (ص٣٧٤-٣٧٥).
(٢) انظر: اللطائف الندية في بيان توحيد الربوبية، د. أحمد الغنيمان (ص١١٧) وما بعدها.
(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٦٥).

ملخص الفصل الثاني

❊ **توحيد الربوبية شرعًا هو: توحيد الله بأفعاله كالخلق والملك والتدبير، ومن أسمائه -مع توحيد الأسماء والصفات:** ١- التوحيد العلمي، ٢- التوحيد الخبري، ٣- التوحيد الاعتقادي، ٤- توحيد المعرفة والإثبات.

❊ **من مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية:** ١- إنكار وجود الرب جل وعلا، ٢- الشرك في الربوبية، ومعناه: إثبات فاعل مستقل غير الله في الملك أو الخلق أو الرزق أو التدبير. ومن أشهر الطوائف التي عرف عنها شرك في توحيد الربوبية ما يلي: ١- المجوس، ٢- النصارى، ٣- الفلاسفة الدهرية، ٤- كثير من مشركي العرب وغيرهم، ٥- غلاة القدرية، ٦- غلاة الصوفية، ٧- الروافض الإثنا عشرية الملقبون في عصرنا بالشيعة.

❊ **الأدلة على وجود الله تعالى كثيرة ومتنوعة، ومنها:** ١- الفطرة، ٢- الأدلة العقلية، والأدلة العقلية على وجود الله تعالى كثيرة، ومنها: دليل الخلق والإيجاد، ودليل الإحكام والإتقان، ودليل الأنفس، ودليل الآفاق، ودلالة التحول والانتقال من حال إلى حال، ودليل الهداية. ٣- آيات الأنبياء، ٤- إجابة الدعوات، ٥- أدلة العلم الحديث، ومن هذه الأدلة التي أثبتها العلم الحديث: حدوث العالم والانفجار العظيم، وبرهان التصميم أو الصنع المتقن.

❊ **الإلحاد في الاصطلاح هو إنكار وجود الله، وللإلحاد دركتان:** ١- الإيمان بأن الله غير موجود، ٢- عدم الإيمان بوجود الله، ولم يذهب إلى الإلحاد قديمًا طائفة معروفة من بني آدم إلا فيما ينسب إلى الدهرية، أما في العصر الحديث فقد انتشر في القرن الثامن عشر الميلادي تقريبًا، حيث بدأ التيار الإلحادي يظهر في أوروبا عام ١٧٧٠م، والأصلان اللذان يرتكز عليهما

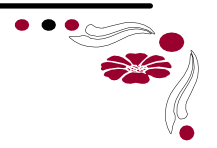
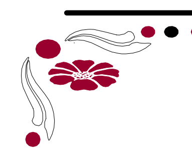
الإلحاد هما: ١- أزلية الكون ونفي وجود بداية له، ٢- القول بالصدفة والعشوائية في خلق الكون، وكلا الأصلين يفتقد إلى البراهين والأدلة.

❊ **الفطرة لغة:** الخِلْقة التي خلق الإنسان عليها، **وشرعًا:** ما خلق عليه الإنسان من القوة العلمية والعملية التي تقتضي بذاتها الإسلام إذا لم يمنعها من ذلك مانع، ودل على وجود الفطرة القرآن والسنة والعقل.

❊ **المراد بأخذ الميثاق:** الإشهاد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ...﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢]، واختلف أهل العلم في المراد بالإشهاد على قولين: ١- أن المراد به فطرهم على التوحيد، ٢- أن الله أنطقهم وأشهدهم لما استخرجوا من صلب آدم، والراجح هو الأول.

❊ **من ثمرات تحقيق توحيد الربوبية:** ١- أعظم ثمرات تحقيق توحيد الربوبية هو إفراد الله بالعبادة، ٢- الخوف من الشرك واجتنابه والبعد عن أسبابه، ٣- تحقيق التوكل على الله تعالى في جلب النفع ودفع الضر، ٤- شهود العبد فقره إلى الله، ٥- الأنس بالله والطمأنينة به، ٦- تحقيق توحيد الربوبية يثمر الخوف والحب والرجاء، وهي أصول أعمال القلوب.



أسئلة تطبيقية

س١- عرف توحيد الربوبية، واذكر أهم أسمائه.

س٢- اذكر أهم مظاهر الانحراف في الربوبية، وأشهر الطوائف التي خالفت فيه.

س٣- اذكر ثلاثة من الأدلة العقلية القرآنية على وجود الله تعالى.

س٤- بين كيف يستدل بآيات الأنبياء على وجود الرب تعالى.

س٥- من الأدلة العلمية الحديثة التي تشهد بوجود الله تعالى (برهان التصميم). بين معناه إجمالًا، واذكر مثالًا عليه.

س٦- يرتكز الإلحاد المعاصر على أصلين. ما هما؟ وكيف تبطلهما؟

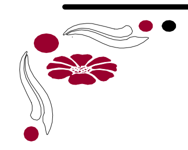
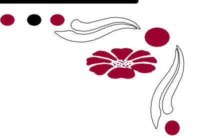
س٧- اذكر ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية.





الفصل الثالث

توحيد الأسماء والصفات

الفصل الثالث

١- تعريف توحيد الأسماء والصفات.

٢- أنواع الأدلة على توحيد الأسماء والصفات.

٣- منهج أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته إجمالًا.

٤- قواعد في أسماء الله تعالى.

٥- قواعد في صفات الله تعالى.

٦- مخالفات منهجية في توحيد الأسماء والصفات.

٧- معنى إحصاء أسماء الله الحسنى وفضله.

٨- بعض أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة وبيان معناها.

٩- دراسة بعض صفات الله الواردة في الكتاب والسنة.

١٠- الإلحاد في أسماء الله وصفاته معناه وصوره.

١١- ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

١٢- أبرز الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات والرد عليهم إجمالًا.





المبحث الأول

تعريف توحيد الأسماء والصفات

الاسم: «كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به»[(١)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»[(٢)]، و«كل اسم دالٍّ على صفةِ كمالٍ عظيمة»[(٣)]، أو صفات؛ لأن دلالة الاسم تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام، كما سيأتي.

و«الصفات هي نعوت الكمال القائمة بالذات، كالعلم والحكمة والسمع والبصر»[(٤)].

وتوحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا الواردة في الكتاب والسنة؛ لا شريك له في ذلك، مع الإيمان بمعانيها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، على حد قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وعرفه شيخنا محمد بن عثيمين بأنه: «إفراد الله سبحانه بما له من الأسماء

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، جمع وترتيب أحمد الدويش (٣/ ١١٦).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص٣١)، وانظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٤).

(٣) تفسير السعدي (ص٣٠٩).

(٤) الموضع نفسه من المصدر السابق.

والصفات»[(١)].

وعرفه العلامة عبد الرحمن بن سعدي بقوله: «توحيد الأسماء والصفات: هو اعتقاد انفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه»[(٢)].

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، يعني الوصف الأكمل، قال ابن كثير: «أي: الكمال المطلق من كل وجه»[(٣)].

ووجه الاستدلال بالآيتين على توحيد الأسماء والصفات: أن تقديم ما حقه التأخير يفيد في لغة العرب القصر، فالأسماء الحسنى -أي: البالغة في الحسن كماله وغايته- والمثل الأعلى، وهو: الوصف الأكمل لله وحده لا شريك له في ذلك ولا مثيل.



(١) انظر: القول المفيد (١/ ١٦).
(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص١٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٨).



المبحث الثاني

أنواع الأدلة على توحيد الأسماء والصفات

دل على إثبات توحيد الأسماء والصفات لله تعالى القرآن والسنة والعقل والفطرة.

أما القرآن: فقد دل على أسماء الله وصفاته بأربعة أنواع من الأدلة:

النوع الأول: الإثبات المجمل، مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وقوله جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص: ٢] أي: الكامل في جميع صفاته وأفعاله[١].

النوع الثاني: الإثبات المفصل، كما في آية الكرسي وآخر سورة الحشر وغيرها.

النوع الثالث: النفي المجمل، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

النوع الرابع: النفي المفصل، كما في قوله جل وعلا: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(١) تفسير البغوي (٨/ ٥٨٨).

وكل نفي يأتي في القرآن والسنة فإنما هو لإثبات كمال ضده، كما سيأتي.

وأما السنة: فقد وردت أحاديث كثيرة تشتمل على أسماء الله وصفاته، منها:

حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فكنا إذا أشرفنا على واد، هلَّلنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس ارْبَعُوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصَمَّ ولا غائبًا، إنه معكم إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده**»[1]، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[2].

وأما العقل: فقد دل على إثبات الصفات في الجملة من وجوه، منها:

١- أنه لا يتصور إثبات ذات مجردة عن الصفات في الخارج، قال ابن أبي العز الحنفي: «ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الذهن ذاتًا وصفة، كلًّا وحده، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة، فإن هذا محال. ولو لم يكن إلا صفة الوجود، فإنها لا تنفك عن الموجود، وإن كان الذهن يفرض ذاتًا ووجودًا، يتصور هذا وحده، وهذا وحده، لكن لا ينفك أحدهما عن الآخر في الخارج»[3].

٢- أن مما يعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق، وكل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق، فالله أولى به، وإلا للزم أن يكون المخلوق أكمل من الخالق، وهو محال، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «من الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريًا منه، بل هو أحق به، والله تعالى له المثل الأعلى، ولا يستوي هو والمخلوقات، لا في قياس تمثيلي،

(١) أخرجه البخاري (ح٢٩٩٢).
(٢) أخرجه البخاري (ح١١٤٥)، ومسلم (ح٧٥٨).
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٩٨).

ولا في قياس شمولي، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق به أحق، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما فتنزيه الخالق عنه أولى»(١).

وأما الفطرة: فإن الله جل جلاله «قد أودع في الفطر التي لم تتنجس بالتعطيل والجحود: أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص، فالكمال كله، والجمال والجلال والبهاء، والعزة والعظمة والكبرياء: كله من لوازم ذاته، يستحيل أن يكون على غير ذلك، فالحياة كلها له، والعلم كله له، والقدرة كلها له، والسمع والبصر والإرادة، والمشيئة والرحمة والغنى، والجود والإحسان والبر، كله خاص له قائم به، وما خفي على الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه، بل لا نسبة لما عرفوه من ذلك إلى ما لم يعرفوه»(٢).



---

(١) شرح الطحاوية (١/ ١٢٦).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٣)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ٥٢).



المبحث الثالث

منهج أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته إجمالًا

يعتمد منهج أهل السنة في باب الأسماء والصفات على جملة من الأصول، منها ما يلي:

١- وصف الله ﷻ بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث»(١)، وقال الإمام الشافعي: «لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا جهلُها، فمن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فيعذر بالجهل»(٢)، وقال الأوزاعي: «كنا والتابعون نقول: إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السُّنة من صفاته»(٣)، وقال ابن عبد البر: «أهل السنة

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٨)، وانظر: الإبانة الكبرى، لابن بطة (٧/ ٣٢٦)، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٨٣)، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (١/ ٢٧٧-٢٧٨).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٧٠٢)، مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤١٢-٤١٣)، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٦٥).

(٣) العلو، للذهبي (ص١٠٢)، الأسماء والصفات، للبيهقي (ص٤٠٨).

مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج فينكرونها ولا يحملونها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود لا مثبتون، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به الكتاب والسنة وهم أئمة الجماعة»[(١)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه؛ ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين؛ بل هو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»[(٢)]، والشواهد في هذا الباب كثيرة[(٣)].

٢- أنهم لا يحرفون النصوص بدعوى التأويل، ولا يعطلون أسماء الله وصفاته بدعوى التنزيه، ولا يكيفون أو يمثلون تحت ستار الإثبات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيِّفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سميَّ له ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى»[(٤)]، قال نعيم بن حماد -شيخ البخاري: «من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به

(١) التمهيد، لابن عبد البر (٧/ ١٤٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٨٧)، منهاج السنة (٢/ ١١١).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٥).

(٣) انظر: كتب أئمة السنة وسلف الأمة، والحموية لشيخ الإسلام، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، وغيرها.

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٣٠)، انظر: الواسطية مع شروحها: التنبيهات السنية للرشيد (ص١٨) وما بعدها، الروضة الندية للفياض (ص٢١) وما بعدها.

رسوله ﷺ تشبيه»[١].

٣- منهج أهل السُّنة فيما لم يرد فيه نص -كالألفاظ التي أحدثها أهل الكلام وتنازعوا فيها مثل الجسم والعرض والجوهر وحلول الحوادث والجهة والحركة ونحوها- أنهم يتوقفون في هذه الألفاظ وأمثالها؛ فلا يثبتون لعدم ورود الدليل المثبت، ولا ينفون لعدم الدليل النافي وينكرون على من أثبت لأنه أثبت بلا دليل، وينكرون على النافي، لأنه نفى بلا دليل.

أما بالنسبة للمعنى فيستفصلون عن المراد؛ فإن أراد المثبت أو النافي حقًّا بدلالة الكتاب أو السنة قُبل منه هذا المعنى وأنكر عليه اللفظ المبتدع، وإن أراد باطلًا بدلالة الكتاب أو السنة على بطلانه رُدَّ عليه هذا المعنى الباطل كما أنكر عليه اللفظ المبتدع، وإن أراد معنى لم يرد في إثباته أو نفيه دليل لزم التوقف فيه كما نتوقف في اللفظ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل بين الحق من الباطل مع التوقف في اللفظ، فلا يثبت ولا ينفى؛ ذلك أن التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة، والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات ولا يتدبرون معانيها ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده، وأما أهل الحق والسنة والإيمان فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده، والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضًا جمليًّا أو يبينوا حاله تفصيلًا ويحكم عليهم بالكتاب والسُّنة ولا يحكم به على الكتاب والسُّنة[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وما تنازع فيه المتأخرون، نفيًا وإثباتًا، فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقًّا قُبل، وإن أراد باطلا رُدّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقبل مطلقًا ولم يُرد جميع معناه، بل يُوقف اللفظ ويُفسّر المعنى،

(١) العلو للذهبي (ص١١٦).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٧٠-٧١).

كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك»[(١)].

٤- منهج أهل السنة والجماعة منهج وسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل، فأهل التعطيل غَلَوا في التنزيه فعطلوا الله سبحانه من صفاته، وأهل التنزيه غلوا في إثبات الصفات فجعلوها من جنس صفات المخلوقين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة»[(٢)].

الأدلة على صحة منهج أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات:

دل على صحة منهج أهل السنة في إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، والتوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه السمع والعقل[(٣)].

أما السمع فمن أدلته:

قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

فالآية الأولى دلت على وجوب الإثبات للأسماء والصفات على ما يليق بالله سبحانه ويختص بعظمته، والآية الثانية دلت على وجوب نفي التمثيل تنزيها لله بلا تعطيل، والآية الثالثة دلت على وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته ولا نفيه.

---

(١) التدمرية (ص٦) وما بعدها، وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦-٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤١).

(٣) **الأدلة السمعية:** هي الكتاب والسنة؛ وسميت سمعية؛ لأنها تتلقى بالسمع، **والعقلية:** هي ما تدرك بالعقل، ويقال أيضًا: النظر والأثر، والعقل والنقل، ومن المعلوم أن العقل الصريح -وهو السالم من الشبهات والشهوات- لا يخالف النقل الصحيح.

۞ أما الأدلة العقلية فهي كثيرة منها:

أولًا: إن أسماء الله وصفاته من أمور الغيب، والقول فيما يجب منها لله أو يجوز أو يمتنع لا يدرك إلا بالسمع، فوجب اتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه والسكوت عما سكت عنه.

ثانيًا: إن نفي الصفات يستلزم نفي الذات؛ لأنه لا يتصور لدى كافة العقلاء وجود ذات مجردة عن الأسماء والصفات، ولذا برئ مذهب أهل السُّنة من التعطيل.

ثالثًا: إن الاتفاق في اسم أو صفة بين الخالق والمخلوق عند الإطلاق لا يقتضي أن يكون الخالق كالمخلوق، فإذا كان مثلًا الملك والبعوضة قد اشتركا في مسمى الوجود والحياة مع تفاوت ما بينهما، فالخالق سبحانه أولى بمباينته للمخلوقات، وإن حصلت الموافقة في بعض الأسماء والصفات، ولذا نزه أهل السُّنة مذهبهم من لوثة التكييف والتمثيل[(١)].

رابعًا: إن الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها، فيختلف معناها بحسب ما يضاف إليه، فتستعمل مطلقة غير مضافة، فيقال: الحياة والعلم والقدرة، فتكون معاني في الأذهان ليس لها وجود في الخارج والأعيان، وقد تستعمل مضافة إلى الخالق فتختص به على ما يليق بعظمته وكماله، وقد تضاف إلى المخلوق فتختص به على ما يليق بعجزه وفقره ونقصه، فيقال مثلًا: حياة الخالق حياة كاملة لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، ويقال: حياة المخلوق حياة ناقصة مسبوقة بالعدم، وملحوقة بالفناء، ومشمولة بالنقص والعجز والآفات[(٢)].

خامسًا: يمكن إثبات صحة مذهب أهل السُّنة عبر ما يسمى بدليل (السبر والتقسيم) عند المناطقة، فيقال: إن الحق إما أن يكون فيما قاله أهل السنة

---

(١) ينظر تقرير هذا المعنى في: التدمرية (ص٢٠) وما بعدها، والفتاوى (٥/ ٣٥٢) وما بعدها.

(٢) انظر: منهج ودراسات للشنقيطي (ص٥).

وهم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، أو فيما قاله غيرهم من أهل التعطيل والتمثيل، فإن كان الحق فيما قاله أهل السنة فهو المطلوب ويلزم اتباعه، وإن كان الحق فيما قاله هؤلاء لزم أن يكون قول أهل السنة باطلًا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، ويقول: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، وأن يكون أهل السنة وإمامهم رسول الله ﷺ، ومقدمهم خلفاؤه وسائر الصحابة **متصفين بأحد الوصفين التاليين:**

١- إما الجهل بالحق، ويكون أفراخ اليهود والنصارى والصابئين والمجوس هم أهل العلم به.

٢- أو كتمانه.

وهذان الوصفان ممتنعان بالضرورة، فإذا امتنع هذان الوصفان فإن امتناع اللازم يدل على امتناع الملزوم، وحينئذ يمتنع أن يكون الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون والتابعون لهم بإحسان على الباطل، وإذا امتنع ذلك لزم أن يكونوا على الحق، ومن عداهم فعلى الباطل، هذا دليل عقلي واضح[١].



(١) من تقرير شيخنا محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



المبحث الرابع

قواعد في أسماء الله تعالى

١- أسماء الله تعالى كلها حسنى:

جاء وصف أسمائه تعالى بالحسنى في أربعة مواضع من القرآن، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ⁨٨⁩﴾ [طه: ٨]، وقال جل جلاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤]، وقال جل وعلا: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، و(الحسنى) مؤنث (أحسن) وهو اسم تفضيل، وليس مؤنث (حسن)؛ لأن مؤنث (حسن): حسنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الحسنى: المفضلة على الحسنة... أثبت له الأسماء الحسنى وأمر بالدعاء بها، فظاهر هذا أن له جميعَ الأسماء الحسنى»[(١)]، وقال أيضًا: «وليس في أسمائه الحسنى إلا اسم يمدح به؛ ولهذا كانت كلها حسنى، والحسنى بخلاف السوأى، فكلها حسنة، والحسن محبوب ممدوح»[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم: «أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله... فهي أسماء، وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى؛ إذ لو كانت

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٤١).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٤٠٩).

ألفاظًا لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان، وبالعكس، فيقال: اللهم إني ظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت المنتقم، واللهم أعطني، فإنك أنت الضار المانع، ونحو ذلك»[(١)].

۞ ٢- أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف:

«أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف؛ أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله ﷻ، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص، فـ(الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم) كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله ﷻ، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا»[(٢)]، قال الإمام ابن القيم: «إن أسماءه ﷻ الحسنى هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد؛ فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة، فنافتها العلمية المختصة؛ بخلاف أوصافه تعالى»[(٣)].

وبهذا يتبين «غلط من جعل هذه الأسماء مقولة بالاشتراك اللفظي[(٤)] لا المعنوي، وغلط من جعل أسماء الله تعالى أعلامًا محضة لا تدل على معان»[(٥)].

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١-٥٢)، وانظر: العواصم والقواصم (٧/ ٢٢٨)، تفسير السعدي (ص٣٠٩).

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٨).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٥)، وانظر: النقض على المريسي (ص٤٨)، جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية (ص١٢٩).

(٤) الألفاظ المشتركة: ما اتحد لفظه وتعدد معناه، كالعين تطلق على عين الماء والعين الباصرة والجاسوس. انظر: التحبير شرح التحرير (١/ ٣٤٨).

(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٠٦).

۞ ٣- أسماء الله تعالى توقيفية:

أسماء الله تعالى توقيفية[(١)]؛ يتوقف في إثباتها على ما جاء في الكتاب والسنة، ولا يجوز تسمية الله تعالى بغير ما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ، ولا يتجاوز القرآن والحديث.

قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فمن سمى الله تعالى بما لم يسمِّ به نفسه فقد اتبع ما ليس له به علم، وهذا من الإلحاد في أسمائه تعالى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قال الإمام ابن حزم: «فمنع تعالى أن يسمى إلا بأسمائه الحسنى، وأخبر أن من سماه بغيرها فقد ألحد، والأسماء الحسنى بالألف واللام لا تكون إلا معهودة، ولا معروف في ذلك إلا ما نص الله تعالى عليه، ومن ادعى زيادة على ذلك كلف البرهان على ما ادعى، ولا سبيل له إليه، ومن لا برهان له فهو كاذب في قوله ودعواه»[(٢)].

قال الإمام ابن عبد البر: «لا نسمِّيه، ولا نصفه، ولا نطلق عليه إلا ما سمَّى به نفسه»[(٣)]، وقال الإمام أبو المظفر السمعاني: «الأصل في أسامي الرب تعالى هو التوقيف»[(٤)].

وقال العلامة ابن عثيمين: «أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا

(١) قال السفاريني: «التوقيفي: ما ورد به كتاب أو سنة صحيحة أو حسنة أو إجماع؛ لأنه لا يخرج عنهما، وأما السنة الضعيفة والقياس فلا يثبت بهما؛ لأن المسألة من العِلميات» (لوامع الأنوار البهية ١/ ١٢٥).

(٢) المحلى (١/ ٥٠)، وانظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٠٧)، شأن الدعاء (١/ ١١١).

(٣) التمهيد (٧/ ١٣٧).

(٤) قواطع الأدلة في الأصول (١/ ٢٨).

ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، ولأن تسميته تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص»[(١)].

ومن أهل العلم من حكى خلافًا في تسمية الله تعالى بما كان متصفًا بمعناه وإن لم يرد في أسمائه الحسنى، يقول السفاريني: «الأسماء الحسنى في القول الحق المعتمد عند أهل الحق توقيفية بنص الشرع وورود السمع بها، ومما يجب أن يعلم أن علماء السنة اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء الحسنى والصفات العلا على الباري جل وعلا إذا ورد بها الإذن من الشارع، وعلى امتناعه على ما ورد المنع عنه، واختلفوا حيث لا إذن ولا منع في جواز إطلاق ما كان تعالى متصفًا بمعناه»[(٢)].

والتحقيق هو ما ذكره الإمام ابن القيم بقوله: «ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفًا، كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه، هل هي توقيفية؟ أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع؟»[(٣)].

فيجوز الإخبار عن الله جل وعلا بكل ما صح معناه إذا احتيج إلى ذلك، وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات.

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص١٣).
(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٤-١٢٥).
(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٥-٢٨٦)، وانظر: مجموع الفتاوى (٩/ ٣٠٠-٣٠١).

٤- أسماء الله غير محصورة بعدد معين:

أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين، ويدل على ذلك ما جاء عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما قال عبد قط إذا أصابه هَمٌّ وحزن: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله** عَزَّ وَجَلَّ **همه، وأبدله مكان حزنه فرحًا**»، قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: «**أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**»(١).

والشاهد هو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»، قال الإمام ابن القيم: «الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد؛ فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما في الحديث الصحيح: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»، فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرَّف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحد من خلقه، ولهذا قال: **(استأثرت به) أي:** انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل الله بها كتابه»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٧/ ٣٤١)، والبزار (البحر الزخار ح١٩٩٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٩٠) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: «رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح، غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان» (مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٦)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم١٩٩).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٦).

وأما حديث: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»(١)، فقد قال الإمام النووي: «اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه: أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد: الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ولهذا جاء في الحديث الآخر: «**أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»، وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم أنه قال: لله تعالى ألف اسم، قال ابن العربي: وهذا قليل فيها(٢)، والله أعلم»(٣).

وقال الإمام البيهقي: «ليس في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لله تسعة وتسعون اسمًا**» نفي غيرها، وإنما وقع التخصيص بذكرها؛ لأنها أشهر الأسماء وأبينها معانيَ، وفيها ورد الخبر أن من أحصاها دخل الجنة»(٤).

وخالف الإمام ابن حزم، فقال: «إن له عز وجل تسعةً وتسعين اسمًا مائة غير واحد، وهي أسماؤه الحسنى، من زاد شيئًا من عند نفسه فقد ألحد في أسمائه، وهي الأسماء المذكورة في القرآن والسنة... وقد صح أنها تسعة وتسعون اسمًا فقط، ولا يحل لأحد أن يجيز أن يكون له اسم زائد؛ لأنه عليه السلام قال: «**مائة غير واحد**»، فلو جاز أن يكون له تعالى اسم زائد لكانت مائة اسم، ولو كان هذا لكان قوله عليه السلام: «**مائة غير واحد**» كذبًا، ومن أجاز هذا فهو كافر»(٥).

قال الحافظ ابن حجر: «وهذا الذي قاله ليس بحجة...؛ لأن الحصر

(١) أخرجه البخاري (ح٢٧٣٦)، ومسلم (ح٢٦٧٧).
(٢) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٣/ ٥٨٠).
(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥). (٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢٧).
(٥) المحلى (١/ ٥٠-٥١)، وانظر: المحلى (٦/ ٢٨٢).

المذكور عندهم باعتبار الوعد الحاصل لمن أحصاها، فمن ادعى على أن الوعد وقع لمن أحصى زائدًا على ذلك أخطأ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون هناك اسم زائد»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن جملة **(من أحصاها دخل الجنة)** «صفة للتسعة والتسعين ليست جملة مبتدأة، ولكن موضعها النصب، ويجوز أن تكون مبتدأة، والمعنى لا يختلف، والتقدير: أن لله أسماء بقدر هذا العدد من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل: إن لي مائة غلام أعددتهم للعتق، وألف درهم أعددتها للحج، فالتقييد بالعدد هو في الموصوف بهذه الصفة، لا في أصل استحقاقه لذلك العدد؛ فإنه لم يقل إن أسماء الله تسعة وتسعون»[(٢)].

ولهذا اتفق أهل العلم على أن هذا الحديث ليس فيه حصر الأسماء الحسنى، كما نقل ذلك الإمام النووي، وقد مر.

۞ ٥- اتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسمَّيات:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «سمى الله نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص، لا اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلًا عن أن يتحد مسمَّاهما عند الإضافة والتخصيص، فقد سمى الله نفسه حيًّا، فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وسمى بعض عباده حيًّا، فقال: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ [يونس: ٣١] وليس هذا الحي مثل هذا الحي؛ لأن قوله: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ اسم لله مختص به، وقوله: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥] اسم

(١) فتح الباري (١١/ ٢٢١)، وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨١)، شفاء العليل (ص٢٧٧).
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨١).

للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أُطلقا وجُرِّدا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدرًا مشتركًا بين المسمَّيين، وعند الاختصاص يقيَّد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق. ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يُفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دل عليه بالإضافة والاختصاص، المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى»[١].

۞ ٦- باب الأفعال والإخبار عن الله أوسع من باب الأسماء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيئ، لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيئ، وإن لم يحكم بحسنه، مثل اسم: شيء، وذات، وموجود -إذا أريد به الثابت، وأما إذا أريد به الموجود عند الشدائد، فهو من الأسماء الحسنى- وكذلك المريد، والمتكلم؛ فإن الإرادة والكلام تنقسم إلى محمود ومذموم، فليس ذلك من الأسماء الحسنى، بخلاف الحكيم والرحيم والصادق ونحو ذلك، فإن ذلك لا يكون إلا محمودًا»[٢]، وقال أيضًا: «إذا أُخبر عنه يُخبَر باسم حسن أو باسم لا ينفي الحسن، ولا يجب أن يكون حسَنًا»[٣].

وقال الإمام ابن القيم: «الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالًا لم يتسمَّ منها بأسماء الفاعل، كأراد، وشاء، وأحدث، ولم يسم بالمريد والشائي والمحدِث، كما لم يسمِّ نفسه بالصانع والفاعل والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعل اسمًا، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسماه الماكر، والمخادع، والفاتن، والكائد ونحو ذلك، وكذلك

(١) التدمرية (ص٢١-٢٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٢).
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٣).

باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به، فإنه يخبر عنه بأنه شيء، وموجود، ومذكور، ومعلوم، ومراد، ولا يسمى بذلك»[(١)].

۞ ٧- أسماء الله تعالى منها ما يطلق عليه مفردًا ومقترنًا بغيره، ومنها ما لا يطلق عليه إلا مقترنًا بغيره:

قال الإمام ابن القيم: «إن أسماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفردًا ومقترنًا بغيره، وهو غالب الأسماء، كالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم، وهذا يسوغ أن يدعى به مفردًا ومقترنًا بغيره، فتقول: يا عزيز، يا حليم، يا غفور، يا رحيم، وأن يفرد كل اسم، وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ، لك الإفراد والجمع.

ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده، بل مقرونًا بمقابله، كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله، فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاء ومنعًا ونفعًا وضرًّا وعفوًا وانتقامًا، وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار فلا يسوغ، فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد ولذلك لم تجئ مفردة، ولم تطلق عليه إلا مقترنة، فاعلمه، فلو قلت: يا مذل، يا ضار، يا مانع، وأخبرت بذلك لم تكن مثنيًا عليه ولا حامدًا له حتى تذكر مقابلها»[(٢)].



(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٨٣-٣٨٤).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٢٩٤-٢٩٥).

۞ ٨- دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة[١]، وبالتضمن[٢]، وبالالتزام[٣]:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أسماؤه كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة، ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته، ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر، فالعزيز يدل على نفسه مع عزته، والخالق يدل على نفسه مع خلقه، والرحيم يدل على نفسه مع رحمته، ونفسه تستلزم جميع صفاته، فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة، وعلى أحدهما بطريق التضمن، وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم»[٤].

فاسم الله الخالق يدل على ذاته سبحانه، وعلى صفة الخلق دلالة مطابقة، وعلى أحدهما دلالة تضمن، وعلى صفتي القدرة والعلم بطريق اللزوم، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال الإمام ابن القيم: «الاسم من أسمائه له دلالات: دلالة على الذات والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم»[٥].

وقال الشيخ حافظ حكمي: «اعلم أن دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها مطابقة وتضمنًا والتزامًا، فدلالة اسمه تعالى (الرحمن) على ذاته عَزَّ وَجَلَّ مطابقة، وعلى صفة الرحمة تضمنًا، وعلى الحياة وغيرها التزامًا، وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى»[٦].

---

(١) دلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ على تمام المعنى الذي وضع له.

(٢) دلالة التضمن: هي دلالة اللفظ على جزء مسماه، أو على جزء المعنى الموضوع له.

(٣) دلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على شيء خارج عن مسماه.

(٤) الإيمان (ص١٤٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٤)، (١٣/ ٣٨٣).

(٥) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٥).

(٦) معارج القبول (١/ ١١٩)، وانظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية (ص٢١).

۞ ٩- أسماء الله تعالى قد تدل على وصف متعدٍّ، وقد تدل على وصف لازم:

قال الإمام ابن القيم: «إن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، فيخبر به عنه فعلًا ومصدرًا، نحو السميع البصير القدير، يطلق عليه منه، السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ١]، و﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: ٢٣]، هذا إن كان الفعل متعديًا، فإن كان لازمًا لم يخبر عنه به نحو: الحي، بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل، فلا يقال: حَيِيَ»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة، استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة: ٣٤]؛ لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم.

مثال ذلك: (السميع) يتضمن إثبات السميع اسمًا لله تعالى، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، **وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين:**

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٦).

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عَزَّ وَجَلَّ.

مثال ذلك: (الحي) يتضمن إثبات الحي اسمًا لله عَزَّ وَجَلَّ، وإثبات الحياة صفة له»[١].



(١) القواعد المثلى (ص١٠-١١).



المبحث الخامس

قواعد في صفات الله تعالى

١- صفات الله كلها صفات كمال:

صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، قال ابن جرير: «معناه: ولله الصفة العليا»[١]، وقال ابن القيم: «المثل الأعلى يتضمن: الصفة العليا، وعلم العالمين بها، ووجودها العلمي، والخبر عنها وذكرها، وعبادة الرب سبحانه بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكريه»[٢]، وقال الشيخ ابن عثيمين: «والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى»[٣].

وقال جل وعلا: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ [الصافات: ١٨٠]، «فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «صفات الكمال أمور وجودية، أو أمور

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٥٢)، تفسير القرطبي (٩/ ٣٢٤).
(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٣٤).
(٣) القواعد المثلى (ص١٨).
(٤) العقيدة الواسطية (ص٦٠).

سلبية مستلزمة لأمور وجودية، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فنفي السِّنة والنوم استلزم كمال صفة الحياة والقيومية، وكذلك قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] استلزم ثبوت العدل، وقوله تعالى: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ٣] استلزم كمال العلم، ونظائر ذلك كثيرة، وأما العدم المحض فلا كمال فيه، **وإذا كان كذلك فكل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق فالخالق أحق به من وجهين:**

أحدهما: أن الخالق الموجود الواجب بذاته القديم أكمل من المخلوق القابل للعدم المُحْدث المربوب.

الثاني: أن كل كمال فيه فإنما استفاده من ربه وخالقه، فإذا كان هو مبدعًا للكمال وخالقًا له، كان من المعلوم بالاضطرار أن معطي الكمال وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون مُتصفًا به من المستفيد المبدَع المعطَى»(١).

وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله جل وعلا؛ كالموت والجهل والعجز ونحو ذلك، و«إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه، بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد والفاعل والصانع؛ فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق، بل هو الفَعَّال لما يريد؛ فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة، ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلًا وخبرًا»(٢).

قال الشيخ ابن عثيمين: «إذا كانت الصفة كمالًا من وجه ونقصًا من وجه لم تكن ثابتة لله ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق، بل لابد من التفصيل، فتثبت لله في الحال التي تكون كمالًا، وتمتنع عليه في الحال التي تكون

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٣٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٧١، ٢٧٤)، منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٢٣).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٤-٢٨٥).

نقصًا، كالمكر والكيد والخداع ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالًا إذا كانت في مقابلة مثلها؛ لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله، وتكون نقصًا في غير هذه الحال، فتثبت لله في الحال الأولى دون الثانية، قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] إلى غير ذلك»[(١)].

۞ ٢- صفات الله تعالى توقيفية:

لا يجوز وصف الله تعالى بصفة لم ترد في الكتاب والسنة؛ لأن باب الصفات توقيفي[(٢)]، يعني: يتوقف في إثباتها على ما جاء في الكتاب والسنة، قال الإمام أحمد: «لا يُوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ، لا يُتَجاوَز القرآن والحديث»[(٣)].

وقال الإمام الدارمي: «لا يجوز أن يوصف الله إلا بما وصف به نفسه»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يُتَجاوز القرآن والحديث»[(٥)].

و«**لدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:**

الأول: التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين، ونحوها.

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد (ص٢٤-٢٥).
(٢) انظر: الأدلة على ذلك في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء الحسنى.
(٣) سبق نقله وتوثيقه.
(٤) النقض على المريسي (٢/ ٧٤٠)، وانظر: الشريعة، للآجري (٢/ ١٠٥١)، الإبانة الكبرى، لابن بطة (٧/ ٩١).
(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦).

الثاني: تضمن الاسم لها، مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين، الدال عليها على الترتيب قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقول النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا...**» الحديث، وقول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]»[(١)].

۞ ٣- باب الصفات أوسع من باب الأسماء:

باب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ لأن كل اسم يدل على صفة أو صفات أخرى لله تعالى بالمطابقة، أو التضمن، أو الالتزام، كما سبق[(٢)]، قال الإمام ابن القيم: «الاسم إذا أطلق عليه؛ جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، فيخبر به عنه فعلًا ومصدرًا، نحو: السميع البصير القدير، يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة»[(٣)].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين: «باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة. . . ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٢٧﴾ [لقمان: ٢٧]، ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى: المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تُحصى، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، وقال:

---

(١) القواعد المثلى (ص٢٨-٢٩).

(٢) انظر القاعدة الثامنة من قواعد الأسماء الحسنى.

(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٦).

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾ [آل عمران: ١١]، وقال: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ [البروج: ١٢]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**»، فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه: الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به»(١).

۞ ٤- انقسام الصفات إلى ثبوتية وسلبية متضمنة لكمال ضدها:

توحيد الصفات عند أهل السنة يقوم على ركنين:

الأول: الإثبات: وهو إثبات ما أثبته الله ورسوله إثباتًا من غير تكييف ولا تمثيل.

والثاني: النفي المتضمن إثبات كمال ضده: وهو نفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ، مع اعتقاد ثبوت كمال ضده تنزيها لله ﷻ بلا تحريف أو تعطيل، وقد دل على هذين الركنين قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ نفي يتضمن إثبات عموم كماله سبحانه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ إثبات لصفتي السمع والبصر على ما يليق بجلاله سبحانه، ففي الآية «نفى المِثْلَ، وأثبت الوصف»(٢).

و«كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده»(٣). فقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩]، يدل أولًا

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٢١).
(٢) شرح الطحاوية (١/ ٨٧)، وانظر: التدمرية (ص٥٧).
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٦٨).

على نفي الظلم، ويدل ثانيًا على إثبات كمال العدل، فهو يدل على أمرين: نفي الظلم، وإثبات كمال العدل. وقوله سبحانه: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] يدل على أمرين: الأول: نفي السِّنَة والنوم، والثاني: إثبات كمال الحياة والقيومية، وهكذا كل نفي يأتي في الكتاب والسنة فإنما هو لإثبات كمال ضده.

فالصفات الثبوتية هي: كل صفة كمال أثبتها الله تعالى لنفسه، **والصفات السلبية هي:** كل صفة نقص نفاها الله تعالى عن نفسه.

قال الشيخ ابن عثيمين: «صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية، وسلبية:

فالثبوتية: ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك، فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به، بدليل السمع والعقل...

والصفات السلبية: ما نفاه الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه؛ كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب، فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه، فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه؛ لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي، فالإثبات كإخباره أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك، والنفي كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتًا، وإلا

(١) القواعد المثلى (ص٢١-٢٣).

فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل: ليس بشيء، فضلًا عن أن يكون مدحًا أو كمالًا، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال؛ فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنًا لإثبات مدح كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾، فنفي السِّنَة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام، فهو مبين لكمال أنه الحي القيوم»[١].

۞ ٥- التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصَّل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، ونفَوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل»، ثم ساق الشواهد لذلك من الكتاب والسنة، فذكر ثمانية أدلة للنفي المجمل وواحدًا وعشرين دليلًا للإثبات المفصل[٢].

وهذه طريقة القرآن، قال الإمام ابن أبي العز: «يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلًا، والنفي مجملًا، عكس طريقة أهل الكلام المذموم»[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وقد يأتي التفصيل في الصفات المنفية لأسباب، منها:

١- نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون المفترون، كقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ﴾ [المؤمنون: ٩١].

٢- دفع توهم نقص في كماله، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨]»[٤].

وقد يأتي الإثبات مجملًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ [النحل: ٦٠]، لكنه قليل على خلاف الأصل.

---

(١) التدمرية (ص٥٧-٥٨).

(٢) التدمرية (ص٨) وما بعدها.

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٦٩).

(٤) تقريب التدمرية (ص١٩-٢٠).

۞ ٦- انقسام الصفات الثبوتية إلى ذاتية وفعلية:

الصفات الذاتية هي التي لم يزل ولا يزال سبحانه متصفًا بها.

والصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئته وإرادته.

قال الشيخ ابن عثيمين: «الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية، وفعلية:

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها، كالعلم، والقدرة، والسمع والبصر، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة. ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]»[1].

۞ ٧- الصفات الفعلية تنقسم إلى صفات فعلية لازمة، وصفات فعلية متعدية:

الصفات الفعلية اللازمة هي صفات الكمال الخاصة بالله تعالى التي لا تتعلق بالمخلوق، **والصفات الفعلية المتعدية** هي التي تتعلق بالمخلوق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الله تعالى وصف نفسه بالأفعال اللازمة، كالاستواء، وبالأفعال المتعدية كالخلق، والفعل المتعدي مستلزم للفعل اللازم؛ فإن الفعل لا بد له من فاعل، سواء كان متعديًا إلى مفعول أو لم يكن، والفاعل لا بد له من فعل، سواء كان فعله مقتصرًا عليه أم متعديًا إلى غيره،

---

(١) القواعد المثلى (ص٢٥)، وانظر: الفقه الأكبر لأبي حنيفة (ص١٤-١٦)، مجموع الفتاوى (٦/ ٦٨، ٢١٧)، شرح الطحاوية (١/ ٩٦)، التنبيهات السنية، للرشيد (ص١٩-٢٠).

والفعل المتعدي إلى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله، إذ كان لا بد له من الفاعل، وهذا معلوم سمعًا وعقلًا»(١).

وقال أيضًا: «الأفعال اللازمة المضافة إلى الرب سبحانه وتعالى، مثل: المجيء والإتيان والاستواء إلى السماء وعلى العرش، والأفعال المتعدية، مثل: الخلق والإحسان والعدل وغير ذلك»(٢).

وقال أيضًا: «من أعظم الأصول معرفة الإنسان بما نعت الله به نفسه من الصفات الفعلية، كقوله في هذه السورة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق: ١، ٢]، والخلق مذكور في مواضع كثيرة وكذلك غيره من الأفعال، **وهو نوعان:**

فعل متعدٍّ إلى مفعول به، مثل: (خلق) فإنه يقتضي مخلوقًا، وكذلك (رزق)، كقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الروم: ٤٠].

وكذلك الهدى والإضلال والتعليم والبعث والإرسال والتكليم، وكذلك ما أخبر به من قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢].

وقوله في الآية الأخرى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [غافر: ٦٤]، وهذا في القرآن كثير جدًّا.

والأفعال اللازمة، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣-٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٨) بتصرف يسير، وانظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٧٢-٣٧٣).

ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]»[١].

وقال الإمام ابن القيم: «الصفات نوعان:

أحدهما: ما له تعلق بالمخلوق، كالقدرة والمشيئة والرحمة والعلم والسمع والبصر.

والثاني: ما لا يتعلق به، كالصفات اللازمة كالحياة والجمال»[٢].

فالحاصل: أن الإيمان بصفات الله تعالى المتعدية يشمل «الإيمان بالصفة، وما دلت عليه من المعنى، وبما تعلق بها من الآثار، فنؤمن بأنه عليم، وذو علم، ولا تخفى عليه خافية»[٣]، وأما الإيمان بصفات الله اللازمة فيشمل الإيمان بالصفة، وما دلت عليه من المعنى.

۞ ٨- القول في بعض الصفات كالقول في بعض:

القول في الصفات إثباتًا ونفيًا كالقول في البعض الآخر، والتفريق بينها تفريق بين المتماثلات، والتفريق بين المتماثلات تناقض، والتناقض دليل على بطلان المذهب، وبهذه القاعدة يرد على الأشاعرة ونحوهم الذين فرقوا بين الصفات، فأثبتوا بعضها ونفوا بعضها، وعلى المعتزلة الذين فرقوا بين الأسماء والصفات، بل يرد بها على جميع المعطلة[٤].

۞ ٩- القول في الصفات كالقول في الذات:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٧٢-٣٧٣).
(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٤/ ١٣٣٥).
(٣) التنبيهات السنية (ص٢٠).
(٤) انظر: التدمرية (ص٣١-٣٣).

سائر الذوات، فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟ قيل له -كما قال ربيعة ومالك وغيرهما: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة»؛ لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه. وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى سماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفيته. قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له، وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه ونزوله واستوائه، وأنت لا تعلم كيفية ذاته؟! وإذا كنتَ تقرُّ بأن له ذاتًا حقيقة، ثابتة في نفس الأمر، مستوجبة لصفات الكمال، لا يماثلها شيء، فسمعه وبصره، وكلامه ونزوله واستواؤه ثابت في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم، وكلامهم ونزولهم واستواؤهم»[(١)].

وبهذه القاعدة يرد على المعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات؛ فإن إثباتهم ذاتًا لله تعالى لا تشبه الذوات، يستلزم إثبات صفات لله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين.

۞ ١٠- الواجب إثبات الصفات على ظاهرها اللائق بالله تعالى:

ظاهر الصفة هو ما يتبادر معناه إلى الذهن وَفْق لسان العرب، وهو المُعَبَّر عنه عند علماء البلاغة بالحقيقة، والقاعدة المقررة عندهم أنه يتعين حمل اللفظ على حقيقته، ولا يجوز صرفه عن الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا وصف الله نفسه بصفة أو وصفه بها رسوله أو وصفه بها المؤمنون الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر ومجاز ينافي الحقيقة **لا بد فيه من أربعة أشياء:**

(١) التدمرية (ص٤٣-٤٥).

أحدها: أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي؛ لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب أو خلاف الألسنة كلها، فلا بد أن يكون ذلك المعنى المجازي مما يراد به اللفظ، وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له؛ وإن لم يكن له أصل في اللغة.

الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة وفي معنى بطريق المجاز لم يجز حمله على المجازي بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء، ثم إن ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة فلا بد له من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف، وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل مرجِّح للحمل على المجاز.

الثالث: أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض، وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصًّا قاطعًا لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهرًا فلا بد من الترجيح.

الرابع: أن الرسول ﷺ إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته، وأنه أراد مجازه سواء عينه أو لم يعينه، لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم؛ دون عمل الجوارح»[١].

۞ ١١- الصفات معلومة المعنى مجهولة الكيفية:

صفات الله - جل وعلا - باعتبار المعنى معلومة، وباعتبار الكيف مجهولة، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

أما الكتاب فقد قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]،

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦٠-٣٦١).

ووجه الاستدلال: أن التدبر لا يكون إلا فيما يعلم معناه، ومن المعلوم أن أشرف ما في القرآن هو ما أخبر به الرب عن صفاته، فكيف لا يكون ذلك داخلًا فيما أمر الله بتدبره، قال جل وعلا: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وبيان النبي ﷺ القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه، ولا يجوز أن يعتقد أن آيات الأسماء والصفات مما لم يبينه رسوله ﷺ.

وأما الإجماع فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الصفات معلومة المعنى، قال الإمام مالك: «الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»(١)، والشاهد قوله: «الاستواء غير مجهول» يعني معلوم المعنى من حيث اللغة.

وأما العقل فمن الممتنع عقلًا أن ينزل الله على نبيه كتابًا يهدي للتي هي أقوم، وتبقى أشرف الأمور (صفات الله جل وعلا) مجهولة المعنى، ولا يفهم منها شيء، فهذا مما تأباه حكمة الله تعالى(٢).



(١) هذا الجواب مأثور عن مالك الأسماء والصفات للبيهقي (ص: ٥١٥) بإسناد جيد، كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٧)، وورد عن ربيعة شيخ مالك. انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٣٩٨)، والأسماء والصفات للبيهقي (ص: ٥١٦). وروي عن أم سلمة موقوفًا ومرفوعًا، ولكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس إسناده مما يعتمد عليه» (الفتاوى ٥/ ٣٦٥). وقال الألباني عن المرفوع: «لا يصح»، ثم قال: «والصواب عن مالك أو أم سلمة، والأول أشهر» تخريج شرح الطحاوية (ص: ٢٨١).

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص١٨١).



المبحث السادس

مخالفات منهجية في توحيد الأسماء والصفات

وهي ستة:

أولًا: التحريف.

ثانيًا: التعطيل.

ثالثًا: التمثيل.

رابعًا: التكييف.

خامسًا: التأويل[١].

سادسًا: التفويض[٢].

وسنتوقف عند هذه المصطلحات بالتعريف والبيان إن شاء الله.



(١) التأويل لا يعد من المخالفات المنهجية بإطلاق؛ لأن منه ما هو حق وهو ما دل عليه الدليل، ومنه ما هو باطل، وهو ما لم يدل عليه الدليل، كما سيأتي.

(٢) التفويض ليس من المخالفات المنهجية بإطلاق؛ لأن منه ما هو حق وهو تفويض الكيفية، ومنه ما هو باطل وهو تفويض المعنى، كما سيأتي.

أولًا: التحريف

تعريف التحريف:

التحريف لغة: التغيير والإمالة[١]، وفي «المصباح»: «تحريف الكلام: العدول به عن جهته»[٢].

وفي الاصطلاح: هو تغيير النصِّ لفظًا أو معنى.

وبعضهم يقول: تغيير ألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير معانيها[٣]، وهذا أخصُّ من الأول.

أقسامه وأمثلته:

التحريف قسمان:

الأول: تحريف لفظي: كمحاولة بعض المبتدعة قراءة قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، بنصب لفظ الجلالة[٤]، وذلك لنفي صفة الكلام عن الله سبحانه وجعل الكلام لموسى.

ويُروى أن جهميًّا طلب من أبي عمرو بن العلاء أحد القراء أن يقرأ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ بنصب لفظ الجلالة، فقال له: هَبْنِي فعلت ذلك، فما تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟! فبُهت الجهمي[٥].

والتحريف اللفظي يكون إما بزيادة، أو نقصان، أو بتغيير حركة إعرابية،

---

(١) انظر: لسان العرب (٩/ ٤٣).
(٢) المصباح المنير (١/ ١٥٨).
(٣) التنبيهات السنية، للرشيد (ص٢٢).
(٤) رأيت بعضهم يمثل لهذا النوع من التحريف اللفظي بالاستيلاء، والحقيقة أن هذا تحريف معنوي لا لفظي؛ لأنه تأويل لمعنى الاستواء وليس تحريفًا للفظه.
(٥) التنبيهات السنية (ص٢٢)، وانظر: الصواعق المرسلة (١/ ٢١٨).

وإما غير إعرابية، فهذه أنواع أربعة[(١)].

والتحريف اللفظي قد لا يتغير معه المعنى، مثل فتح دال (الحمد) من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، والغالب أن هذا يقع من جاهل؛ إذ لا أثر له على المعنى.

وقد يتغير معه المعنى، كما مرَّ.

الثاني: تحريف معنوي: وهو إبقاء اللفظ كما كان وصرف معناه عن المراد به، مثل تأويل الاستواء: بالاستيلاء، واليد: بالنعمة، وفوق ذلك غلوُّ تحريف الجهمية الذي قادها إلى التعطيل الكلي، وأشد منه كفرًا تحريفات الرافضة والباطنية وغلاة الصوفية[(٢)].

حكم التحريف:

التحريف محرم؛ لأنه تغيير لكلام الله تعالى، وقول على الله بلا علم، وقد ذمَّ الله الذين يحرفون الكلم عن مواضعه من بني إسرائيل وغيرهم، كما في قوله سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦]، والمحرفون للصفات فيهم شَبَهٌ من اليهود والنصارى.

وقد يصل التحريف إلى حدِّ الكفر؛ ولهذا قال الإمام ابن أبي العز: «وكلّ من التحريف والانحراف على مراتبَ: فقد يكون كفرًا، وقد يكون فسقًا، وقد يكون معصية، وقد يكون خطأً»[(٣)].

نفي التحريف أوْلى من نفي التأويل:

إن التعبير بنفي التحريف أولى من التعبير بنفي التأويل، لوجهين:

الأول: لأن هذا هو الذي ورد بذمِّه القرآن، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن

(١) انظر: مختصر الصواعق (٢/ ١٤٧).
(٢) انظر في أنواع التأويل: الصواعق المرسلة (١/ ٢١٥).
(٣) شرح الطحاوية (١/ ١٣).

مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]. فالتعبير القرآني أوْلى من غيره؛ لأنه أدل على المعنى المقصود.

الثاني: إن التأويل منه ما هو حق -وهو ما وافق الكتاب والسنة- ومنه ما هو باطل -وهو ما خالفهما- فلا يجوز نفي التأويل مطلقًا ولا إثباته مطلقًا، بخلاف التحريف فهو باطل كله، وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذين الوجهين، فقال: «إني عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف؛ لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمِّه... ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات؛ لأنه لفظ له عدة معانٍ... فإن معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف؛ لأن من المعاني التي قد تسمى تأويلًا ما هو صحيح منقول عن بعض السلف، فلم أَنْفِ ما تقوم الحجة على صحته، فإذا ما قامت الحجة على صحته وهو منقول عن السلف فليس من التحريف»[١].



(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٥-١٦٦).

ثانيًا: التعطيل

تعريف التعطيل:

التعطيل في اللغة: مأخوذ من العطل الذي هو: الخلوُّ والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ [الحج: ٤٥]؛ أي: تركها أهلها وأهملوا ورودها ومنه: (جيد عاطل)؛ أي: خالٍ من الزينة[١].

والتعطيل اصطلاحًا: هو نفي صفاته سبحانه، وإنكار قيامها بذاته جل شأنه[٢].

أقسام التعطيل:

ينظر الإمام ابن القيم إلى لفظ التعطيل نظرة شمولية لا تقتصر على توحيد الأسماء والصفات، بل تشمل التعطيل في أنواع التوحيد كلها، **فذكر أن التعطيل ثلاثة أقسام:**

الأول: تعطيل المصنوع من صانعه، كتعطيل الفلاسفة الذين زعموا قِدم هذه المخلوقات وأنها تتصرف بطبيعتها، وكتعطيل الدهرية القائلين: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤]، ومثله تعطيل الشيوعيين القائلين: لا إله والحياة مادة.

الثاني: تعطيل الصانع من كماله المقدس، بتعطيله من أسمائه وصفاته، كتعطيل الجهمية.

الثالث: تعطيل حق معاملته بترك عبادته كفعل الكافرين، أو عبادة غيره معه كفعل المشركين[٣].

(١) انظر: لسان العرب (١١/ ٤٥٣)، الصحاح (٥/ ١٧٦٧).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٦٩)، التنبيهات السنية، للرشيد (ص٢٣).

(٣) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم (ص١٣٠)، التنبيهات السنية (ص٢٣).

ومن هذا التقسيم يتضح أن القسم الأول يدخل في الربوبية، والثاني يدخل في الأسماء والصفات، والثالث يدخل في الأُلوهية.

ويمكن أن يقسم التعطيل الخاص بالأسماء والصفات إلى أربعة أقسام:

١- إثبات الأسماء وبعض الصفات، وتأويل الباقي، كمذهب الكُلَّابية والأشاعرة والماتريدية.

٢- إنكار الصفات وإثبات الأسماء في الجملة، كطريقة أهل الاعتزال.

٣- إنكار الأسماء والصفات كمذهب جَهْمٍ.

٤- وصف الله بسلب النقيضين، وهو مذهب الباطنية والملاحدة الذين قالوا: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت[١].

حكم التعطيل:

أما حكم التعطيل فقد يكون كفرًا، وقد يكون دون ذلك، فإن كان تكذيبًا فهو كفر، وإن كان تأويلًا فيجري فيه حكم التأويل الذي سبقت الإشارة إليه في حكم التحريف، ومن التعطيل ما هو شر من الشرك، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتعطيل شرٌّ من الشرك؛ فإن المعطل جاحد للذات أو لكمالها، وهو جحد لحقيقة الإلهية... والمشرك مقرٌّ بالله وصفاته، لكن عبد معه غيره، فهو خير من المعطل للذات والصفات»[٢].

ويحكم نعيم بن حماد بالكفر على المعطلة، فيقول: «من شبَّه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهٌ»[٣].

(١) راجع رد ابن تيمية على هذه الطوائف في رسالته النفيسة: التدمرية.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٧٨-٣٧٩)، وانظر: النونية لابن القيم مع شرحها توضيح المقاصد (٢/ ٤٥١-٤٥٢).

(٣) رواه الذهبي في العلو (ص١١٦)، وانظر: شرح السنة للالكائي (٣/ ٥٣٢)، شرح الطحاوية (١/ ٨٥).

وهذا الحكم قد يعم من جحد بتأويل كما يعم من جحد بتكذيب، ولا خلاف أن المكذِّب باسم من أسماء الله أو بصفة من صفاته كافر، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ [الرعد: ٣٠]، ولذا كفَّر الأئمة من نفى كلام الله سبحانه على جهة التكذيب.

قال ابن القيم في النونية:

ولقد تقلَّد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهمُ بل حكاه قبله الطبراني[(١)]

«أي أن القائلين بخلق القرآن كفَّرهم خمسمائة عالم من علماء المسلمين»[(٢)].

وقد تولى أئمة السنة الرد على المعطلة، وقد نقض أسسهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: «بيان تلبيس الجهمية» المسمى بـ«نقض التأسيس»، ومن قبله نقدها أئمة السنة: كالدارمي والبخاري والخلال وغيرهم، ومن بعده أئمة الدعوة، ومن علماء العصر: ابن باز وابن عثيمين والفوزان وغيرهم.

تاريخ مقالة التعطيل:

أول من قال بهذا الضلال هو الجعد بن درهم[(٣)]، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: «أول من أتى بخلق القرآن جعد بن درهم»[(٤)]، فهو

---

(١) النونية لابن القيم مع شرح ابن عيسى المسمى: توضيح المقاصد (١/ ٢٩٠).

(٢) توضيح المقاصد (١/ ٢٩٦).

(٣) قال ابن حجر: «مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر والقصة مشهورة، وكان مقتله سنة ١١٨هـ». وانظر في حاله: ميزان الاعتدال (١/ ٣٩٩)، ولسان الميزان (٢/ ١٠٥)، سُرح العيون لابن نباتة (ص٢٩٣-٢٩٤).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ص٢٨٢)، ويلاحظ أن النص المذكور له تتمة هي: وقاله (أي خلق القرآن) في سنة نيف وعشرين ومائة، ولم يتعقب المحقق هذا النص بشيء!! رغم أن الجعد قتل نحو سنة (١١٨هـ).

أول من قال بمبدأ التعطيل من هذه الأمة، ثم تلقى ذلك عنه الجهم بن صفوان[١].

أما جذور مقالة التعطيل فقد قيل[٢]: إنها ترجع إلى مصادر أجنبية، فقد ذكر ابن الأثير وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما أن الجعد استمد مقالة التعطيل من أبان بن سمعان، وأخذه أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، وكان يقول بخلق القرآن، وكان طالوت زنديقًا، وهو أول من صنف لهم في ذلك، ثم أظهره الجعد بن درهم[٣]، وذكر الخطيب البغدادي أن والد بشر المريسي -وهو أحد كبار القائلين بخلق القرآن- كان يهوديًّا[٤]. ويشير شيخ الإسلام ابن تيمية إلى مصادر أجنبية أخرى ترجع إليها مقالة التعطيل؛ فيذكر أن الجعد بن درهم كان من أهل حرَّان، وكان فيهم من بقايا الصابئين والفلاسفة خصوم إبراهيم عليه السلام، فلهذا أنكر تكليم موسى وخلة إبراهيم بناء على أصل هؤلاء النفاة، وهو أن الرب تعالى لا يقوم به كلام ولا محبة لغيره، فقتله المسلمون، ثم انتشرت مقالته فيمن ضل من هذا الوجه، وأخذ بهذه المقالة فرق الجهمية بمختلف درجاتها[٥].

هذا، ونقض مقالاتهم كثير في كلام التابعين وتابعيهم والأئمة من بعدهم[٦].

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٢٧)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٢٠)، درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٤٤).

(٢) هذا يذكر في مقام الاستئناس لا الاستشهاد؛ لأن هذه المقالة ليس لها إسناد معتبر، وفيها رجال مجهولون، ومن دقة ابن تيمية أنه يحكيها بصيغة التمريض (قيل، ويروى). ينظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٣٤).

(٣) انظر: الكامل لابن الأثير (٥/ ٢٩٤)، الحموية لابن تيمية (ضمن الفتاوى) (٥/ ٢٠-٢١)، سرح العيون لابن نباتة (ص٢٩٣)، لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٢٣).

(٤) تاريخ بغداد (٧/ ٦١).

(٥) انظر: الفتوى الحموية (ص٢٣٢-٢٤٠).

(٦) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد، والرد على الجهمية للدارمي، وكتاب رد=

ثالثًا: التكييف

تعريفه:

التكييف لغة: تعيين كُنْه الصفة، وفي «المصباح»: «كيفية الشيء حاله وصفته»[(١)]، وهي اسم لما يجاب به عن السؤال بـ «كيف»، أخذ من (كيف) بإلحاق ياء النسبة وتاء النقل من الوصفية إلى الاسمية بها، كالكمية من (كمْ)، وهي كلمة مولّدة، **والمراد بها:** معرفة الحال؛ لأن كيف سؤال عن الحال[(٢)].

وشرعًا: حكاية كيفية الصفة، كقول القائل: كيفية يد الله أو نزوله إلى السماء الدنيا كذا وكذا[(٣)].

وعرفه بعضهم بقوله: «أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا، أو يسأل عنها بـ «كيف»»[(٤)].

طريقة أهل السُّنة في جواب من يسأل عن كيفية صفةٍ من صفات الله:

لهم في ذلك جوابان مشهوران:

الجواب الأول: جواب الإمام مالك وشيخه ربيعة وغيرهما، عن جعفر بن عبد الله قال: «جاء رجل إلى مالك بن أنس، فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى

= عثمان بن سعيد على المريسي العنيد، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة، والرد على الجهمية لابن منده، وما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والسفاريني وعلماء الدعوة وغيرهم.

(١) المصباح المنير (٢/ ٥٤٦).

(٢) انظر: لسان العرب (٩/ ٣١٢)، الكليات (ص٧٥٢)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص٢٨٦).

(٣) فتح رب البرية (٤/ ٢٢) ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين.

(٤) شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس (ص١٩).

ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال: فما رأيت مالكًا وجد من شيء كموجدته من مقالته، وعلاه الرُّحَضاء[1] - يعني: العَرَق - قال: وأطرق القوم وجعلوا ينظرون ما يأتي منه فيه، قال: فسرِّي عن مالك فقال: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالًّا»، وأمر به فأُخرج[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟ قيل له -كما قال ربيعة ومالك وغيرهما: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة؛ لأنه سؤال عمَّا لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه»[3].

وقوله: «الاستواء معلوم» أي: في لغة العرب، وقوله: «والكيف مجهول» أي: كيفية استوائه سبحانه لا يعلم كُنْهها وكيفيتها إلا هو سبحانه، وقوله: «والسؤال عنه بدعة» أي: السؤال عن الكيف بدعة؛ لأن السلف لم يسألوا عنه، وقوله: «الإيمان به واجب» لتكاثر الأدلة من الكتاب والسُّنة في إثبات ذلك.

---

(١) الرُّحَضَاء -بضم الراء وفتح الحاء والضاد-، وهو العَرَق الكثير الذي يغسل الجلد لكثرته ولا يكون إلا من شكوى، جاء في لسان العرب مادة رحض (٧/ ١٥٤) ما يلي: يقال: رحض الرجل رَحْضًا: عرق حتى كأنه غسل جلده. والرُّحضاء: العرق. وحكى الفارسي عن أبي زيد: رُحِضَ رحضًا، فهو مرحوض إذا عرق فكثر عرقه على جبينه في رقاده أو يقظته، ولا يكون إلا من شكوى، وفي حديث نزول الوحي: «فمسح عنه الرحضاء»، وهو عرق يغسل الجلد بكثرته، وفي تفسير غريب الحديث «الرُّحضاء» -بضم الراء وفتح الحاء والضاد المعجمة مع المد: هو عرق الحمى. (تفسير غريب الحديث ص ١٠٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) التدمرية (ص٤٣-٤٤)، وهذا التعليل فيه نظر؛ لأنه يقتضي أن يكون السؤال عنه تكلفًا ومحاولة للمحال، ولكن نقول: السؤال عنه بدعة؛ لأنه لم يسأل عنه الصحابة ولا السلف الصالح (من تقرير شيخنا محمد بن عثيمين).

الجواب الثاني: وهو مبنيٌّ على أصل شريف، وهو أن القول في الصفات كالقول في الذات؛ فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فكما أن ذاته لا تماثل الذوات فكذلك صفاته سبحانه لا تماثل صفات سائر الذوات.

فإذا قال: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟

قيل له: كيف هو؟

فإذا قال: أنا لا أعلم كيفية ذاته.

قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية نزوله وبصره وتكليمه واستوائه، وأنت لا تعلم كيفية ذاته، وإذا كنت تقر بأن له ذاتًا حقيقية ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء، فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه ثابت في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم[(١)].

حكم التكييف:

التكييف حرام؛ لأنه من القول على الله بلا علم، لأن الله أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفيتها، أخبرنا أنه استوى على العرش، ولم يخبرنا كيف استوى، وهكذا.

والقول على الله بلا علم حرام، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، فالآية تدل على أن القول على الله بلا علم من أعظم المحرمات؛ فإنه بدأ بأسهلها وختم بأشدها وأعظمها تحريمًا، وهو

(١) انظر: التدمرية (ص٤٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١١٤-١١٥).

القول على الله بلا علم، وتواتر عن النبي ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار**»[(١)].

قال ابن القيم رحمه الله: «فرتب المحرمات [يعني في الآية المتقدمة] أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش[(٢)]، ثم ثنى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلَّث بما هو أعظم تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربَّع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه»[(٣)].



(١) أخرجه البخاري (ح١١٠)، ومسلم (ح٣).

(٢) الفواحش من الكبائر، لكن وصفها بالأسهل بالنسبة لما هو أكبر منها.

(٣) أعلام الموقعين (١/ ٤٢-٤٣).

رابعًا: التمثيل

تعريفه:

التمثيل لغة: هو إثبات مثيل للشيء أو هو التشبيه[١]، قال في «اللسان»: «يقال: هذا مِثْلُهُ ومَثَله، كما يقال: شِبْهه وشَبَهُه بمعنًى»[٢].

واصطلاحًا: هو إثبات مثيل لله ﷻ في ذاته أو صفاته.

وإن شئت التعميم (كتعريف التعطيل) فقل: إثبات مثيل لله سبحانه في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته.

❋ أما إثبات مثيل لله ﷻ في ذاته، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية -وهو من أعلم الناس بالفرق والمقالات- يذكر أنه لم تذهب طائفة إلى إثبات خالقين متماثلين، إذن إثبات مثيل في الذات لم يقل به أحد، وقد سبق.

❋ وأما إثبات مثيل له في شيء من صفاته؛ فإن أول من قال بذلك - كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية- هو هشام بن الحكم، وهو من الرافضة، وتنسب له فرقة تسمى (الهشامية)[٣].

أقسامه:

القسم الأول: تشبيه المخلوق بالخالق، وهو إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الصفات أو الأفعال أو الحقوق.

فالأول: الصفات، كحال غلاة الصوفية مع من يسمونهم الأولياء وحال الرافضة مع أئمتهم.

---

(١) ويفهم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قد يفرق بين التشبيه والتمثيل بأن المماثلة تقتضي المساواة من كل وجه، بخلاف المشابهة، وقد يعبر بأحدهما عن الآخر انظر: التدمرية (ص١١٦- ١١٧).

(٢) لسان العرب (مادة: مثل) (١١/ ٦١٠). (٣) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٠١).

والثاني: الأفعال، كفعل من أشرك في الربوبية، كالمانوية والثنوية والفلاسفة.

والثالث: الحقوق، كاعتقاد المشركين بأصنامهم حيث عبدوها مع الله تعالى، ومن سلك مسلكهم من غلاة الصوفية والرافضة.

القسم الثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق، كاعتقاد الهشامية أتباع هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، واليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي الذين وصفوا الله سبحانه بصفات المخلوقين -تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا-[(١)].

حكم التمثيل:

التمثيل كفر؛ لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، قال نعيم بن حماد - كما سلف: «من شبه الله بخلقه فقد كفر»[(٢)]، وقال إسحاق بن راهويه: «من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم»[(٣)].

نفي التمثيل أوْلى من نفي التشبيه:

وذلك لثلاثة أوجه:

الأول: أن لفظ التمثيل هو الذي ورد بنفيه القرآن، «والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية هو سبيل أهل السنة والجماعة»[(٤)].

قال شيخ الإسلام في تقرير ذلك: «ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه؛ لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه؛ حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

---

(١) انظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها (١/ ١٦٣-١٦٤).

(٢) العلو، للذهبي (ص١١٦)، وانظر: شرح السنة للالكائي (٣/ ٥٣٢)، وشرح الطحاوية (١/ ٨٥).

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٥٣٢)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ٨٥).

(٤) شرح الطحاوية (١/ ٧٠-٧١).

شَىۡءٌۖ﴾، وقال: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]، وكان أحبَّ إليَّ من لفظٍ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ»(١).

الثاني: أن نفي التشبيه مطلقًا يؤدي إلى التعطيل، ذلك أنه ما من موجودين إلا وبينهما قدر مشترك يتشابهان فيه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعلم أيضًا بالعقل أن كل موجودَيْن قائمين بأنفسهما فلا بدَّ بينهما من قدر مشترك، كاتفاقهما في مسمى الوجود والقيام بالنفس والذات ونحو ذلك، وأن نفي ذلك يقتضي التعطيل المحض»(٢).

الثالث: أن لفظ التشبيه استعمل فيما بعد في غير ما وضع له، حتى صار من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلى بيان، فقد يُنفى التشبيه ويراد به نفي الحق الذي وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لفظ التشبيه فيه إجمال كثير، وأنه ما من طائفة إلا وتجعل من أثبت شيئًا مشبهًا، وذلك أن كل موجودين فلابد أن يكون بينهما نوع مشابهة ولو من بعض الوجوه البعيدة، ورفع ذلك من كل وجه رفع للوجود»(٣).

لذا فإن استعمال اللفظ الشرعي وهو التمثيل أولى؛ لأنه أدل على المعنى، ولأن طريقة أهل السنة التعبير بالألفاظ الشرعية البينة دون الألفاظ المحدثة المجملة.

تاريخ مقالة التمثيل:

اشتهرت ضلالة التمثيل بين اليهود، وفي كتاب الله سبحانه أدلة على تلبُّس اليهود بهذا الضلال، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٦).
(٢) الفتاوى (٣/ ٩٩).
(٣) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٥٦٩)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٩٩).

وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وأمثال هذه المقالات التي تواطأت عليها يهود، فشبهت الخالق بالمخلوق وتاهت في بيداء من الضلال مهلكة، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وفي التوراة المحرفة المتداولة اليوم بين اليهود أمثلة عديدة لفشوِّ وصف الله سبحانه بصفات المخلوقين بينهم، ومن ذلك قولهم في التوراة: «وسمعا (يعني آدم وحواء) صوت الرب والإله ماشيًا»[(١)].

وفي التوراة: «ثم صعد موسى وهارون وسبعون رجلًا من شيوخ بني إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت قدميه كصنعة بلاط.. وكذات السماء صفاء»[(٢)]، وغير ذلك من الافتراءات[(٣)].

وفي التلمود[(٤)] المقدس عند أكثر اليهود نصوص أبشع وأشنع، تقشعر من سماعها جلود المؤمنين[(٥)]، وتبين من خلال النصوص السابقة أن ضلالة التمثيل، قد تبناها اليهود وأشاعوها وملأت فضائحها كتبهم.

ثم تسرب هذا الكفر والإلحاد إلى بعض الفرق المنتسبة للإسلام، وأول

(١) سفر التكوين، الفصل الثالث، (فقرة ٨).

(٢) سفر الخروج، الفصل الرابع والعشرون، (فقرة ٩-١٠-١١).

(٣) للتعرف على مزيد من هذه الافتراءات، ينظر: (سفر التكوين الفصل ٣٢، فقرة ٢)، و(سفر التثنية، الفصل ٣٤، فقرة ١٠)، و(سفر القضاة، الفصل ٦ فقرة ١١)، و(سفر الخروج، الفصل ٢٤، فقرة ٤).

(٤) **كلمة التلمود معناها:** (كتاب تعليم ديانة وآداب اليهود) ويعد اليهود التلمود كتابًا منزلًا مثل التوراة، مع أنه يحوي أقوال الحاخامات لكنهم يقولون: من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط؛ لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى. (انظر: الكنز المرصود ص ٤٧-٥٠).

(٥) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود (ص٥٥-٥٧).

هذه الفرق التي سقطت في هذه الهاوية هم الرافضة.

قال الرَّازي: «اليهود أكثرهم مشبِّهة، وكان بدء ظهور التَّشبيه في الإسلام من الرَّوافض، مثل: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي، وأبي جعفر الأحول»[١]. وهؤلاء الأربعة المذكورون لهم أتباع، فهم أصحاب طوائف منسوبة لأسمائهم.

❋ فالهشامية: أصحاب هشام بن الحكم.

❋ واليونسية: أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي.

❋ والهشامية: أصحاب هشام بن سالم الجواليقي.

❋ والشيطانية: أصحاب أبي جعفر الأحول الملقب بـ «شيطان الطاق».

وهذه الفرق الأربع كلها من فرق الروافض، ويعدهم روافض عصرنا في الطليعة من شيوخهم والثقات من نقلة مذهبهم[٢].

شبهاتهم:

نقلت كتب الفرق كلماتهم المغرقة في التشبيه والتمثيل، ولم تشر إلى شبهاتهم سوى شبهة عليلة، وهي: دعوى المشبِّه أن ظاهر نصوص الأسماء والصفات يدل على مذهبهم، ولذا قال ابن الجوزي: «وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس، فقال بعضهم: إن الله جسم تعالى الله عن ذلك[٣] - وهذا مذهب هشام بن الحكم»[٤].

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٩٧).

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٥٢٨).

(٣) لفظ الجسم من الألفاظ المبتدعة وطريقة أهل السنة في مثل هذه الألفاظ التوقف، فلا ينفون لعدم ورود الدليل النافي، ولا يثبتون لعدم ورود الدليل المثبت، وينكرون على من أثبت أو نفى؛ لأنه قال على الله بلا علم. أما المعنى فيستفصلون عنه؛ فإن أراد القائل حقًّا قبل منه وإن أراد باطلًا رد عليه.

(٤) تلبيس إبليس (ص٨٦).

ودعوى أن ظاهر النصوص هو ما يليق بالمخلوقين من أعظم الباطل؛ إذ من المحال أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله كفرًا، والله أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال[1]، ومع هذا الاعتقاد الباطل فقد وضعوا أكاذيب ونسبوها إلى النبي ﷺ وأكثرها مقتبس من اليهود[2].

هل للممثلة وجود اليوم؟

يظن بعض الناس أن التمثيل ليس له وجود، وأن فِرَقَه قد اندثرت ولم يبق سوى أهل التعطيل، وغاب عن أصحاب هذا الظن أن وجود الممثلة ظاهر وممتد اليوم في فرق عدة، أما تمثيل الخالق بالمخلوق فهو عند اليهود في كتبها المقدسة -كما مر.

وهو أيضًا عند فرق أخرى تنتسب إلى الإسلام وتتواجد اليوم على ظهر هذه الأرض وهي الفرق القائلة بالحلول ووحدة الوجود من غلاة الصوفية والرافضة وأمثالهم، ولا شك أن القول بهاتين المقالتين (الحلول والاتحاد) تمثيل ظاهر.

وأما تمثيل المخلوق بالخالق فهذا موجود عند النصارى في اعتقادهم في المسيح، واليهود في اعتقادهم في عزير، والرافضة في اعتقادهم في أئمتهم الإثني عشر، وعند الصوفية بغلوهم في شيوخهم وأوليائهم.



(١) انظر: التدمرية (ص٦٩).

(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ١٠٦).

خامسًا: التأويل

التأويل لغة:

التأويل في اللغة: الرجوع والعاقبة، جاء في «تهذيب اللغة»: «وأما (التأويل)، فقيل: من أول يؤول تأويلًا، وثلاثيُّه: آل يؤول، أي: رجع وعاد»[(١)]، وتأويل الكلام هو: ما يؤول إليه من المعنى.

التأويل اصطلاحًا:

التأويل اصطلاحًا يطلق على ثلاثة معان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لفظ (التأويل) قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملًا **في ثلاثة معان:**

أحدها -وهو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله: أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به؛ وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها»[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم: «وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من فرق المتكلمين، فمرادهم بالتأويل: صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه وما يخالف ظاهره، وهذا هو الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول والفقه، ولهذا يقولون: التأويل على خلاف الأصل، والتأويل يحتاج إلى دليل»[(٣)].

«**الثاني:** أن التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير: «واختلف علماء التأويل...».

---

(١) تهذيب اللغة (١٥/ ٤٥٨)، وانظر: كتاب العين (٨/ ٣٦٩)، الصحاح (٤/ ١٦٢٧)، مجمل اللغة (ص١٠٧).

(٢) التدمرية (ص٩١).

(٣) الصواعق المرسلة (١/ ١٧٨).

الثالث -من معاني التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]، فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله تعالى به فيه، مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك، كما قال في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا... ومنه قول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن. تعني قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣]»[1].

أقسام التأويل:

التأويل ينقسم إلى صحيح وفاسد، قال ابن القيم: «فالتَّأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد»[2].

فمثال التأويل الصحيح: تأويل المعية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، بالعلم.

ومثال التأويل الفاسد: تأويل الاستواء بالاستيلاء، واليد بالقدرة، والرحمة بالثواب أو بإرادة الثواب.

وقد ذكر لي شيخنا ابن عثيمين رحمه الله أن هذا النوع من التأويل الذي أحدثه المتأخرون لا حاجة إليه؛ لأنه إن دل عليه الدليل فهو من قبيل التفسير، وإن لم يدل عليه دليل فهو تحريف وليس بتأويل.

وهذا التحريف لنصوص الكتاب والسنة الذي سموه تأويلًا هو رأس الشرور

(١) التدمرية (ص٩١-٩٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٦٨-٦٩)، الصواعق المرسلة (١/ ١٧٥-١٧٨).

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ١٨٧).

وأساس ضلال من ضل عن الحق، وانحرف عن الصراط المستقيم، يقول الإمام ابن أبي العز: «وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية. فهل قُتِل عثمان ﷺ إلا بالتأويل الفاسد! وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصِفّين، ومقتل الحسين ﷺ، والحِرَّة؟ وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، إلا بالتأويل الفاسد؟!»(١).

وهناك قسم آخر سماه الإمام الشنقيطي: (لعبًا)، فقال: «أما صرف اللفظ عن ظاهره لا لدليل فهذا لا يسمى تأويلًا في الاصطلاح، وإنما يسميه الأصوليون: لعبًا؛ لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ومن هذا تفسير غلاة الروافض قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: ٦٧] قالوا: عائشة!»(٢).

وحقيقته التكذيب بآيات الله - جل وعلا - وهو كفر، قال ابن الوزير: «لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع، وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله، كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى، بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار»(٣).



(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٠٨-٢٠٩).
(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص١٠٨- ١٠٩).
(٣) إيثار الحق على الخلق (ص٣٧٦-٣٧٧).

سادسًا: التفويض

التفويض لغة: الرد، قال ابن فارس: «الفاء والواو والضاد أصل صحيح يدل على اتكال في الأمر على آخر ورده عليه، ثم يفرع فيرد إليه ما يشبهه، من ذلك: فوَّض إليه أمره، إذا رده»(١).

قال الجوهري: «فوض إليه الأمر، أي: رده إليه»(٢).

وقال ابن منظور: «فوض إليه الأمر: صيَّره إليه، وجعله الحاكم فيه»(٣).

والتفويض(٤) اصطلاحًا: «صرف اللفظ عن ظاهره، مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوَّض علمه إلى الله تعالى، بأن يقول: الله أعلم بمراده»(٥).

ويسمى أصحاب هذا المذهب (أهل التجهيل)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الصنف الثالث وهم أهل التجهيل: فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف. يقولون: إن الرسول ﷺ لم يكن يعرف معاني ما أنزل الله عليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني تلك الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك، وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بهذا ابتداءً، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه، وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فإنه وقف كثير من السلف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٤٦٠).
(٢) الصحاح (٣/ ١٠٩٩).
(٣) لسان العرب (٥/ ٣٤٨٥).
(٤) **وقد يراد بالتفويض:** تفويض الكيفية، وهذا حق، وقد سبق بيان ذلك. انظر: المبحث الخامس (قواعد في صفات الله تعالى)، القاعدة (رقم ١١).
(٥) النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد، لمحمد محيي الدين عبد الحميد (ص١٢٨)، نقلًا عن: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، د. أحمد القاضي (ص١٥٢).

تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ وهو وقف صحيح، لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعلمه، وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك... فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول) فالاستواء معلوم يُعلم معناه وتفسيره ويترجم بلغة أخرى، وأما كيفية ذلك الاستواء، فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى»[1].

كما يسمون (اللاأدرية)، قال الإمام ابن القيم: «اللاأدرية الذين يقولون: لا ندري معاني هذه الألفاظ ولا ما أريد منها ولا ما دلت عليه، وهؤلاء ينسبون طريقتهم إلى السلف، وهي التي يقول المتأولون: إنها أسلم، ويحتجون عليها بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ ويقولون: هذا هو الوقف التام عند جمهور السلف، وهو قول أُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعائشة، وعروة بن الزبير وغيرهم من السلف والخلف، وعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا الصحابة والتابعون لهم بإحسان، بل يقرؤون كلامًا لا يعقلون معناه... وقول هؤلاء أيضًا باطل؛ فإن الله سبحانه أمر بتدبر كتابه وتفهمه وتعقله وأخبر أنه بيان وهدى وشفاء لما في الصدور وحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ومن أعظم الاختلاف اختلافهم في باب الصفات والقدر والأفعال، واللفظ الذي لا يعلم ما أراد به المتكلم لا يحصل به حكم ولا هدى ولا شفاء ولا بيان»[2].

❊ ❊ ❊

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٨٥- ٢٩١)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥-١٦).
(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٢٠-٩٢١).

أدلة بطلان دعوى تفويض المعنى:

يدل على بطلان هذا المذهب ما يلي:

١- الآيات التي تأمرنا بتدبر القرآن، كقوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله جل وعلا: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ومن المحال أن يأمر الله ﷻ بتدبر ما لا يمكن فهم معناه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما التفويض: فإن من المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟ وأيضًا فالخطاب الذي أريد به هُدانا والبيان لنا، وإخراجنا من الظلمات إلى النور، إذا كان ما ذكر فيه من النصوص ظاهره باطل وكفر، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك، فعلى التقديرين لم نخاطب بما بين فيه الحق، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر، وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا: أنه لم يبين الحق، ولا أوضحه، مع أمره لنا أن نعتقده، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد إليه لم يبين به الحق ولا كشفه، بل دل ظاهره على الكفر والباطل، وأراد منا أن نفهم منه شيئًا، أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه، وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد»(١).

٢- ومما يدل على بطلانه ما يلزم عنه من اللوازم الباطلة من تجهيل الرسول ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين، وأن الله أنزل في كتابه ما لا يعلم معناه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «هؤلاء أهل التضليل والتجهيل الذين حقيقة قولهم: إن الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠١-٢٠٢).

الآيات وأقوال الأنبياء»[١].

٣- ومما يدل على بطلانه أيضًا تناقضه، والتناقض علامة على عدم صحة المذهب، قال الإمام ابن القيم: «هم متناقضون أفحش تناقض؛ فإنهم يقولون: تجري على ظاهرها وتأويلها باطل، ثم يقولون: لها تأويل لا يعلمه إلا الله»[٢]، ويوضحه الشيخ ابن عثيمين، فيقول: «المفوضة الذين قالوا: الله أعلم بما أراد بنصوص الصفات، لكننا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية له تعالى، وهذا القول متناقض؛ فإن قولهم: نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية له يناقض التفويض؛ لأن حقيقة التفويض ألا يحكم المفوض بنفي ولا إثبات»[٣].

٤- بطلان نسبة هذا القول إلى السلف؛ فإن «اعتقاد أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ النصوص بغير إثبات معناها، اعتقاد باطل كذب على السلف؛ فإن السلف أعلم الأمة بنصوص الصفات لفظًا ومعنى، وأبلغهم في إثبات معانيها اللائقة بالله تعالى على حسب مراد الله ورسوله»[٤]، وأقوالهم المأثورة عنهم تثبت عدم صحة نسبة هذه المقالة إليهم، ومن شواهد ذلك قول الإمام مالك: «الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[٥]، قال الإمام الذهبي: «وهو قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها، بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نتعمق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيًا ولا إثباتًا، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ٩٢١).

(٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص١١١).

(٤) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٢٧).

(٥) سبق تخريجه.

عنه، ونعلم يقينًا مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا»[١].



(١) مختصر العلو للعلي العظيم (ص١٤١-١٤٢).



المبحث السابع

معنى إحصاء أسماء الله الحسنى وفضله

۞ أولًا: معنى الإحصاء:

اختلف أهل العلم في المراد بإحصاء الأسماء الحسنى، وخلاصة ما قالوا في معناه[١]:

١- حفظها.

٢- التصديق بها.

٣- معرفة معانيها.

٤- العمل بمقتضاها.

واختار طائفة من المحققين المعنى الأول، وهو حفظها، قال الإمام النووي: «اختلفوا في المراد بإحصائها، فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه: حفظها، وهذا هو الأظهر؛ لأنه جاء مفسرًا في الرواية الأخرى: «**من حفظها**»[٢]»[٣].

---

(١) انظر: شأن الدعاء (١/ ٢٦-٢٩)، غريب الحديث، كلاهما للخطابي (١/ ٧٣٠-٧٣١)، الأسماء والصفات، للبيهقي (١/ ٢٧)، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٤١٩-٤٢٠)، فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٠٦)، شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥-٦).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٦٧٧).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥-٦).

وقال ابن الجوزي: «لما رأينا في بعض طرق الصحيح أن معنى الإحصاء: الحفظ، اخترنا ذلك الوجه»[(١)].

وهذا المعنى - وهو الحفظ - هو الراجح؛ لأنه جاء تفسيره بذلك في الحديث، وألفاظ الحديث يفسر بعضها بعضًا، ولأنه يدخل في معنى حفظها الإيمان بها، ومعرفة معانيها، والعمل بمقتضاها؛ إذ لا ينفع الحفظ بدون الإيمان بها والمعرفة لمعانيها والعمل بمقتضاها، ولذا عدَّ الإمام ابن القيم هذه الأقوال مراتب ودرجات للإحصاء[(٢)]؛ لأنها كلها حق، ويتضمنها الحديث[(٣)].

۞ ثانيًا: فضله:

وعد رسول الله ﷺ من أحصاها بدخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»[(٤)].

۞ ثالثًا: تعيين الأسماء الحسنى:

ورد في تعيين الأسماء التسعة والتسعين حديثٌ أخرجه الترمذي، ولو صح لكان هو القول الفصل، ولكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه»[(٥)].

ونص الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا، مائة غير واحد، من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم،**

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٤٣٦).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٨٨-٢٨٩).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٢٦/ ٧٨).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨٢).

العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: «والتحقيق أن سردها إدراج من بعض الرواة»[(٢)]، وقال أيضًا: «وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه، والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج»[(٣)].

وقال الحافظ ابن كثير: «والذي عَوَّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مُدْرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم، وعبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد: أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك؛ أي: أنهم جمعوها من القرآن كما روي عن جعفر بن محمد، وسفيان بن عيينة، وأبي زيد اللغوي، والله أعلم»[(٤)].

وقال الإمام النووي: «وأما تعيين هذه الأسماء فقد جاء في الترمذي وغيره في بعض أسمائه خلاف وقيل: إنها مخفية التعيين كالاسم الأعظم وليلة القدر ونظائرها»[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي (ح٣٥٠٧)، وقال: «قد روي هذا الحديث من غير وجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث».

(٢) بلوغ المرام (ص٥٠٧).

(٣) فتح الباري (١١/ ٢١٥).

(٤) إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه (٢/ ٢١٨-٢١٩).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥).

۞ رابعًا: اجتهاد العلماء في استخراج الأسماء الحسنى:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا أن جماعة من الأئمة: «استخرجوها من القرآن، منهم سفيان بن عيينة، والإمام أحمد بن حنبل، وغيرهم»[(١)]، وأنهم «اعتقدوا -هم وغيرهم- أن الأسماء الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة ليست شيئًا معينًا، بل من أحصى تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله دخل الجنة، أو أنها وإن كانت معينة فالاسمان اللذان يتفق معناهما يقوم أحدهما مقام صاحبه كالأحد والواحد»[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر: «اعتنى جماعة بتتبعها من القرآن من غير تقييد بعدد»، ثم ذكر جماعة منهم[(٣)]، ثم قال: «وقد تتبعت ما بقي من الأسماء مما ورد في القرآن بصيغة الاسم مما لم يذكر في رواية الترمذي: وهي: الرب، الإله، المحيط، القدير، الكافي، الشاكر، الشديد، القائم، الحاكم، الفاطر، الغافر، القاهر، المولى، النصير، الغالب، الخالق، الرفيع، المليك، الكفيل، الخلَّاق، الأكرم، الأعلى، المبين - بالموحَّدَة - الحفي -بالحاء المهملة والفاء- القريب، الأحد، الحافظ، فهذه سبعة وعشرون اسمًا إذا انضمت إلى الأسماء التي وقعت في رواية الترمذي مما وقعت في القرآن بصيغة الاسم تكمل بها التسعة والتسعون، وكلها في القرآن»[(٤)].

وقد اجتهد ابن حزم في إحصائها، فبلغ بها أربعة وثمانين اسمًا، فقال: «وقد بلغ إحصاؤنا منها إلى ما نذكر، وهي: الله، الرحمن، الرحيم، العليم، الحكيم، الكريم، العظيم، الحليم، القيوم، الأكرم، السلام، التواب، الرب، الوهاب، الإله، القريب، السميع، المجيب، الواسع، العزيز، الشاكر، القاهر، الآخر، الظاهر، الكبير، الخبير، القدير، البصير، الغفور، الشكور، الغفار، القهار، الجبار، المتكبر، المصور، البر، مقتدر، الباري،

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨٠).
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨٠).
(٣) فتح الباري (١١/ ٢١٧).
(٤) فتح الباري (١١/ ٢١٨).

العلي، الغني، الولي، القوي، الحي، الحميد، المجيد، الودود، الصمد، الأحد، الواحد، الأول، الأعلى، المتعال، الخالق، الخلاق، الرزاق، الحق، اللطيف، رءوف، عفو، الفتاح، المتين، المبين، المؤمن، المهيمن، الباطن، القدوس، الملك، مليك، الأكبر، الأعز، السيد، سبوح، وتر، محسان، جميل، رفيق، المسعر، القابض، الباسط، الشافي، المعطي، المقدم، المؤخر، الدهر»[(١)].

وقال ابن العربي: «وعددناها على ما ورد في الكتاب والسنة، وذكره الأئمة؛ فانتهت إلى ستة وأربعين ومائة»[(٢)]، ثم قال -بعد عدِّها: «وقد بقي نحوٌ من ثلاثين اسمًا ضمَّناها كتاب «الأمد» »[(٣)].

وممن اجتهد في جمعها شيخنا ابن عثيمين، حيث يقول: «وقد جمعتُ تسعة وتسعين اسمًا مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

فمن كتاب الله تعالى: الله، الأحد، الأعلى، الأكرم، الإله، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، البارئ، البر، البصير، التواب، الجبار، الحافظ، الحسيب، الحفيظ، الحفي، الحق، المبين، الحكيم، الحليم، الحميد، الحي، القيوم، الخبير، الخالق، الخلاق، الرؤوف، الرحمن، الرحيم، الرزاق، الرقيب، السلام، السميع، الشاكر، الشكور، الشهيد، الصمد، العالم، العزيز، العظيم، العفو، العليم، العلي، الغفار، الغفور، الغني، الفتاح، القادر، القاهر، القدوس، القدير، القريب، القوي، القهار، الكبير، الكريم، اللطيف، المؤمن، المتعالي، المتكبر، المتين، المجيب، المجيد، المحيط، المصور، المقتدر، المقيت، الملك، المليك، المولى، المهيمن، النصير، الواحد، الوارث، الواسع، الودود، الوكيل، الولي، الوهاب.

(١) المحلى بالآثار (٦/ ٢٨٢).
(٢) أحكام القرآن، لابن العربي (٢/ ٣٤٣).
(٣) أحكام القرآن، لابن العربي (٢/ ٣٥٠).

ومن سنة رسول الله ﷺ: الجميل، الجواد، الحكم، الحيي، الرب، الرفيق، السُّبوح، السيد، الشافي، الطيب، القابض، الباسط، المقدم، المؤخر، المحسن، المعطي، المنان، الوتر. هذا ما اخترناه بالتتبع، واحد وثمانون اسمًا في كتاب الله تعالى، وثمانية عشر اسمًا في سنة رسول الله ﷺ»[(١)].

ولو أدخل الشيخ الأسماء المركبة «كرب العالمين» لزادت الأسماء عن هذا العدد، ولذا قال شيخنا عبد الرحمن البراك تعليقًا على كلام الشيخ ابن عثيمين: «والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يتوجه له ذكر الأسماء المركبة مثل: أسرع الحاسبين، ورب العالمين، وخير الرازقين، وخير الناصرين، وأرحم الراحمين، وما أشبه ذلك، والظاهر: أنها أظهر في الدلالة على الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من بعض الأسماء المفردة، فتجد كثيرًا من الأسماء المفردة يسمى بها بعض المخلوقات، لكن أرحم الراحمين، ذو الجلال والإكرام، خير الغافرين هذه لا تطلق إلا على الله وحده»[(٢)].



(١) القواعد المثلى (ص١٥-١٦).

وللاستزادة من أسماء العلماء الذين لهم اجتهاد خاص في جمع الأسماء الحسنى، انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، د. محمد بن خليفة التميمي (ص١١٧-١٢٠).

(٢) التعليق على القواعد المثلى (ص٤٩).



المبحث الثامن

بعض أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، وبيان معناها

اشتمل القرآن الكريم والسنة النبوية على كثير من أسماء الله الحسنى، وأجمع الآيات القرآنية لأسماء الله الحسنى قوله تعالى في آخر «سورة الحشر»: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، **وفيما يلي بيان معاني هذه الأسماء:**

(١) الله:

ومعناه: هو المألوه المعبود الذي لا يستحق العبادةَ سواه، ولهذا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين»[(١)].

وقد اختار بعض السلف أنه الاسم الأعظم؛ أما وجه ذلك فقالوا: «لأنه اسم لم يطلق على غيره، ولأنه الأصل في الأسماء الحسنى، وَمِنْ ثَمَّ أضيفت إليه»[(٢)]، قال جابر بن زيد: «اسم الله الأعظم هو: الله، ألم تسمع أنه يقول:

(١) تفسير الطبري (١/ ١٢١).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٢٢٤).

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾»[(١)] .

وقال السعدي: «واسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والله أعلم»[(٢)] .

(٢، ٣) الرحمن، الرحيم:

وهما اسمان مشتقَّان من الرحمة على وجه المبالغة، قال ابن كثير في بيان معناهما: «اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم»[(٣)] .

أما الفرق بينهما فيقول ابن القيم في ذلك: «الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول: دال أن الرحمة صفته، والثاني: دال على أنه يرحم خلقه برحمته»[(٤)] .

واسم (الرحمن) خاص بالله - جل وعلا - لا يسمى به سواه، كاسم (الله) و(الخالق) و(الرازق) و(الرب) و(رب العالمين) و(إله الأولين والآخرين)، يقول ابن كثير: «والحاصل: أن من أسمائه تعالى ما يسمَّى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره، كاسم الله والرحمن والخالق والرزاق ونحو ذلك؛ فلهذا بدأ باسم الله، ووصفه بالرحمن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أولًا إنما تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص»[(٥)] .

❊ ❊ ❊

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٢).
(٢) تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي (ص١٦٤).
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٨-٣٩).
(٤) بدائع الفوائد (١/ ٤٢)، وانظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٥)، تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي (ص٢٠٠).
(٥) تفسير ابن كثير (١/ ١٢٦).

(٤) الحي:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

ومعناه: الذي له الحياة الدائمة المستلزمة لجميع صفات الكمال، لم يسبقها عدم، ولا يلحقها زوال، ولا نقص فيها بأي وجه من الوجوه، وبهذا قال أهل العلم.

قال الإمام الطبري: «وأما قوله: ﴿ٱلْحَيُّ﴾ فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له يحدُّ، ولا آخر له يؤمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيًّا فلحياته أول محدود وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها وينقضي بانقضاء غايتها»[(١)].

وقال الخطابي: «الحي من صفة الله تعالى هو الذي لم يزل موجودًا، وبالحياة موصوفًا، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يعتورهم الموت أو العدم في أحد طرفي الحياة، أو فيهما معًا، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]»[(٢)].

وقال ابن القيم: «الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة»[(٣)].

وقال الشيخ السعدي: «الحي: من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات؛ كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك»[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٥٢٧).

(٢) شأن الدعاء (ص٨٠)، وانظر: اشتقاق أسماء الله، للزجاجي (ص١٠٢)، الاعتقاد، للبيهقي (ص٥٩).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٦٧٨).

(٤) تفسير السعدي (ص١١٠).

(٥) القيوم:

القيوم على وزن: (فيعول)، وهو صيغة مبالغة مأخوذة من القيام، ومعناه: القائم بنفسه، والقائم على غيره بالملك والخلق والتدبير، كما قال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، وبهذا المعنى فسر السلف والأئمة اسم الله: (القيوم).

فعن مجاهد، في قول الله: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ قال: «القائم على كل شيء»[(١)].

وقال الطبري: «ومعنى قوله: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: القائم برزق ما خلق وحفظه»[(٢)].

وقال الخطابي: «القيوم: هو القائم الدائم بلا زوال، ووزنه: (فيعول)، من القيام، وهو نعت المبالغة في القيام على الشيء ويقال: هو القيم على كل شيء بالرعاية له، ويقال: قمت بالشيء: إذا وليته بالرعاية والمصلحة»[(٣)].

وقال الحليمي: «معناه: القائم على كل شيء من خلقه يدبره بما يريد»[(٤)].

وقال السعدي: «القيوم: هو الذي قام بنفسه والمقيم لغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري»[(٥)].

(٦) السميع:

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقال ﷻ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠]، وقال جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٥٢٩).
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٥٢٨).
(٣) شأن الدعاء (ص٨٠- ٨١).
(٤) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٠).
(٥) تفسير السعدي (ص١١٠).

ومعنى السميع: السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة؛ لأنه على وزن (فعيل) وهو من صيغ المبالغة، كقولهم: عليم بمعنى عالم، وقدير بمعنى قادر[(١)].

وسمع الله تعالى له معنيان:

الأول: استجابة الدعاء، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، يعني: مجيب الدعاء، وقول المصلي: سمع الله لمن حمده، يعني: أجاب دعاءه[(٢)].

الثاني: إدراك المسموعات، فهو تعالى «يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين»[(٣)].

وقد ذكر الخطابي هذين المعنيين، فقال: «السميع: بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وبناء فعيل: بناء المبالغة؛ كقولهم: عليم: من عالم، وقدير: من قادر، وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواء عنده الجهر والخفوت، والنطق والسكوت، وقد يكون السماع بمعنى القبول والإجابة»[(٤)].

وقال البيهقي: «السميع: من له سمع يدرك به المسموعات، والسمع له صفة قائمة بذاته»[(٥)].

(٧) القدوس:

ورد في موضعين من القرآن، الأول: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، والثاني: في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾ [الجمعة: ١].

(١) انظر: شأن الدعاء (ص٥٩).
(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٥٠٧).
(٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٧).
(٤) شأن الدعاء (ص٥٩)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (١/ ١٩٩).
(٥) الاعتقاد للبيهقي (ص٥٩).

ومعناه: المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال.

قال البيهقي: «القدوس: هو الطاهر من العيوب، المنزه عن الأولاد والأنداد، وهذه صفة يستحقها بذاته»[(١)].

وقال ابن القيم: «القدوس: المنزه من كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير، هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به، وهذا قول أهل اللغة وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة ومنه بيت المقدس؛ لأنه مكان يتطهر فيه من الذنوب»[(٢)].

وقال ابن كثير: «(القدوس) أي: المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال»[(٣)].

(٨) السلام:

ورد اسم (السلام) في القرآن مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: كنا نقول في الصلاة: السلام على الله، السلام على فلان، فقال لنا النبي ﷺ ذات يوم: «**إن الله هو السلام، فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله** -إلى قوله: **الصالحين، فإذا قالها أصاب كلَّ عبد لله في السماء والأرض صالح، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ثم يتخير من الثناء ما شاء**»[(٤)].

ومعناه: السالم في ذاته وصفاته وأفعاله من كل نقص، المتضمن لإثبات كماله المطلق من كل وجه، والمنزه عن كل ما ينافي كماله، وبهذا المعنى قال أهل العلم.

---

(١) الاعتقاد للبيهقي (ص٥٩)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي (١/ ١٩٧).
(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص١٧٩).
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ١١٥).
(٤) أخرجه البخاري (ح٦٣٢٨)، ومسلم (ح٤٠٢).

فذكر ابن القيم أنه تعالى: «أحق بهذا الاسم [السلام] من كل مسمًّى به؛ لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص من كل وجه»[(١)].

وقال البيهقي: «السلام: هو الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل آفة، وهذه صفة يستحقها بذاته، وقيل: هو الذي سلم المؤمنون من عقوبته»[(٢)].

وقال السعدي: «ومن أسمائه: القدوس السلام، أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال»[(٣)].

(٩) المؤمن:

ورد اسم الله (المؤمن) في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ومعناه: الذي أمَّن خلقه من أن يظلمهم، وقيل: معناه: المصدِّق الذي صدق وعده، وقيل: المصدِّق لعباده بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، كتصديقه لأنبيائه بالآيات، ولأوليائه بالكرامات، وكل هذه المعاني حق، ويدل عليها هذا الاسم ويتضمنها، وبها قال أهل التفسير.

قال ابن عباس: «أي: أمَّن خلقه من أن يظلمهم»[(٤)].

وقال الحليمي: «ومعناه: المصدِّق، لأنه إذا وعد صدَق وعدَه، ويحتمل المؤمِّن عباده -بما عرَّفهم من عدله ورحمته- من أن يظلمهم ويجور عليهم»[(٥)].

وقال ابن القيم: «ومن أسمائه تعالى: المؤمن وهو -في أحد التفسيرين- المصدق الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فهو الذي

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٣٥).

(٢) الاعتقاد، للبيهقي (ص٥٩)، وانظر: المقصد الأسنى (ص٦٩).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص٢٠٨-٢٠٩)، وانظر: شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، القحطاني (ص١٤٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٢).

صدق رسله وأنبياءه فيما بلغوا عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون بالدلائل التي دل بها على صدقهم قضاءً وخلقًا، فإنه سبحانه أخبر -وخبره الصدق، وقوله الحق- أنه لا بد أن يري العباد من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته رسله حق، فقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] أي: القرآن، فإنه هو المتقدم في قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ [فصلت: ٥٢]، ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، فشهد سبحانه لرسوله بقوله: أن ما جاء به حق، ووعده أن يري العباد من آياته الفعلية الخلقية ما يشهد بذلك أيضًا، ثم ذكر ما هو أعظم من ذلك وأجل، وهو شهادته سبحانه على كل شيء»[(١)].

(١٠) المهيمن:

ورد اسم الله: (المهيمن) في القرآن مرة واحدة، ومعناه: الرقيب على خلقه علمًا وتدبيرًا، الذي أحاط بكل شيء علمًا، قال ابن كثير: «قال ابن عباس وغير واحد: أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى: هو رقيب عليهم، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]، وقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الآية [الرعد: ٣٣]»[(٢)].

وقال السعدي: «المهيمن: المطلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علمًا»[(٣)].

❊ ❊ ❊

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٣) تفسير السعدي (ص٩٤٧)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٥)، المقصد الأسنى، للغزالي (ص٧٢).

(١١) العزيز:

ورد اسم (العزيز) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾ [النمل: ٧٨].

قال ابن كثير في بيان معنى اسم الله (العزيز): «عزَّ كلَّ شيء فقهره وغلبه، فلا يمانع ولا يغالب، لعظمته وسلطانه، وهو الواحد القهار»(١).

فله سبحانه العزة كلها: عزة الامتناع، وعزة الغلبة، وعزة القوة، ولهذا قال ابن القيم:

وهو العزيز فلن يرام جنابه	**أنى يرام جناب ذي السلطان**
وهو العزيز القاهر الغلاب لم	**يغلبه شيء هذه صفتان**
وهو العزيز بقوة هي وصفه	**فالعزُّ حينئذ ثلاث معان**(٢)

ويقول الشيخ السعدي: «العزيز الذي له العزة كلها؛ عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فممتنع أن ينالَه أحدٌ من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته، **فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم:**

١- عزة القوة الدال عليها من أسمائه: (القوي، المتين)، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت.

٢- وعزة الامتناع، فإنه هو الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع، المعطي المانع.

٣- وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله، خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٥٤).

(٢) نونية ابن القيم (ص٢٠٥).

متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به»(١).

(١٢) الجبار:

ورد اسم الله (الجبار) في قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نُزُلًا لأهل الجنة**»(٢). وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: رأيت رسول الله ﷺ، على المنبر وهو يقول: «**يأخذ الجبار عز وجل سماواته وأَرْضِيه بيديه**»(٣).

قال ابن القيم: «الجبار اسم من أسماء التعظيم كالمتكبر والملك والعظيم والقهار»(٤)، ومعناه: الذي قهر عباده، أو الذي جبر كسرهم.

قال الشيخ السعدي: «﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ الذي قهر جميع العباد، وأذعن له سائر الخلق، الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير»(٥).

قال ابن القيم:

وكذلك الجبار من أوصافه	والجبر في أوصافه نوعان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا	ذا كسرة فالجبر منه دان
والثاني جبر القهر بالعز الذي	لا ينبغي لسواه من إنسان
وله مسمى ثالث وهو العـ	ـلو فليس يدنو منه من إنسان

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي (ص٢١٥-٢١٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٥٢٠)، ومسلم (ح٢٧٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٧٨٨).

(٤) شفاء العليل (ص١٢١)، وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى (ص٣٤-٣٥)، تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٤)، المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٥) تفسير السعدي (ص٨٥٤)، وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي (ص١٧٧).

من قولهم جبارة للنخلة العليـ ـا التي فاتت لكل بنان[(١)]

(١٣) المتكبر:

وقد ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

وقال جل وعلا: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧].

وعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**»[(٢)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده، ويحركها، يقبل بها ويدبر: «**يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم**»، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: لَيَخِرَّنَّ به[(٣)].

وقال القرطبي: «(المتكبِّر) الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله، وقيل: المتكبر عن كل سوء، المتعظم عما لا يليق به... والكبرياء في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذم»[(٤)].

وقال ابن العربي: «المتكبِّر هو الذي انفرد بالكبرياء... وهو معنى الكبير»[(٥)].

---

(١) الكافية الشافية (ص٢٠٩).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٦٢٠).
(٣) أخرجه أحمد (٩/ ٣٠٤)، والنسائي في الكبرى (ح٧٦٤٩)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.
(٤) تفسير القرطبي (١٨/ ٤٧)، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٥)، شأن الدعاء (ص٤٨-٤٩).
(٥) عارضة الأحوذي (١٣/ ٣٥).

وقال السعدي: «المتكبِّر عن السوء والنقص والعيوب لعظمته وكبريائه»[(١)].

(١٤) الخالق:

من أسماء الله (الخالق) ولا يجوز هذا الاسم بالألف واللام لغير الله جل وعلا[(٢)]، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال جل وعلا: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣﴾ [فاطر: ٣]، وقال جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ [الحشر: ٢٤].

قال الخطابي: «الخالق: هو المبدع للخلق، والمخترع له على غير مثال سبق»[(٣)].

وقال ابن العربي: «الخالق هو المخرج من العدم إلى الوجود جميع المخلوقات المقدر لها صفاتها»[(٤)].

(١٥) البارئ:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ [الحشر: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤﴾ [البقرة: ٥٤].

قال الطبري: «البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته»[(٥)].

---

(١) تفسير السعدي (ص٩٤٦). (٢) انظر: تهذيب اللغة (٧/ ٢٦).

(٣) شأن الدعاء (ص٤٩)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٣)، تفسير أسماء الله الحسنى (ص٣٥-٣٧).

(٤) عارضة الأحوذي (١٣/ ٣٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٥)، وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج (ص٣٧)، المنهاج =

وقال ابن كثير: «البَرْء: هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدَّره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدَّر شيئًا ورتَّبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل»(١).

وقال ابن العربي: «البارئ: هو خالق الناس من البرا، وهو التراب»(٢).

(١٦) المصور:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

قال الخطابي: «المصور: هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها. فقال الله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الإنفطار: ٦ - ٨]»(٣).

وقال ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي إذا أراد شيئا قال له: كن، فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار، كقوله: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٨]، ولهذا قال: ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها»(٤).

وقال الغزالي: «قد يظن أن هذه الأسماء [يعني: الخالق والبارئ والمصور] مترادفة، وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع، ولا ينبغي أن يكون كذلك، بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى تقدير أولًا، وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيًا، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثًا، والله سبحانه وتعالى خالق من حيث إنه مقدِّر، وبارئ من حيث إنه مخترع موجد، ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب»(٥).

= في شعب الإيمان (١/ ١٩٢-١٩٣).

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠).

(٢) عارضة الأحوذي (١٣/ ٣٥).

(٣) شأن الدعاء (ص٥١).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠).

(٥) المقصد الأسنى (ص٧٥)، وانظر: عارضة الأحوذي (١٣/ ٣٥).



المبحث التاسع

دراسة بعض صفات الله الواردة في الكتاب والسنة

۞ أولًا: صفة الحياة:

معناها: هي الحياة الكاملة الأبدية المتضمنة لجميع صفات الكمال.

نوعها: هي من الصفات الذاتية الثابتة لله جل وعلا.

أدلتها: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال جل وعلا: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، كان يقول: «**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»(١).

قال الإمام ابن القيم: «صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال»(٢).

موقف المخالفين؛ يقول الأشعري: «قال أكثر المعتزلة والخوارج وكثير من

(١) أخرجه مسلم (ح٢٧١٧).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٨٧)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ٨٩-٩٠).

المرجئة وبعض الزيدية: إن الله عالم قادر حي بنفسه، لا بعلم وقدرة وحياة، وأطلقوا أن لله علمًا بمعنى أنه عالم، وله قدرة بمعنى أنه قادر، ولم يطلقوا ذلك على الحياة، ولم يقولوا: له حياة»[(١)].

الرد عليهم:

إن ما قالوه فاسد ضرورة؛ لأنه لا يعقل تصور حي بلا حياة، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد علم أن من شرط العلم والقدرة: الحياة؛ فإن ما ليس بحي يمتنع أن يكون عالمًا؛ إذ الميت لا يكون عالمًا، والعلم بهذا ضروري... فتقدير عالم لا حياة به ممتنع بصريح العقل»[(٢)].

۞ ثانيًا: صفة اليدين:

معناها: «أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله»[(٣)]، ولا يجوز تأويل اليدين بالقدرة أو النعمة؛ لأنه صرف للكلام عن ظاهره بلا دليل، كما سيأتي.

نوعها: من الصفات الذاتية الخبرية الثابتة لله تعالى.

أدلتها: دل على ثبوتها الكتاب والسنة والإجماع:

❊ **أما الكتاب**، فقد قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال جل جلاله: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ [يس: ٧١].

❊ **وأما السنة**، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل،**

---

(١) مقالات الإسلاميين (ص١٦٤-١٦٥)، وانظر: شرح الأصول الخمسة (ص٢٠٠-٢٠١).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص٦٢). (٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦٣).

حتى تطلع الشمس من مغربها»[١].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك...**»[٢].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا...**»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإثبات اليدين له موجود في التوراة وسائر النبوات، كما هو موجود في القرآن، فلم يكن في هذا شيء يخالف ما جاءت به الرسل، ولا ما يناقض العقل»[٤].

وقال ابن القيم: «ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة»[٥].

وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات اليدين لله تعالى كما تليق بجلاله، قال الإمام أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على... أن له تعالى يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه من غير أن يكونا جوارح[٦]، وأن يديه تعالى غير نعمته»[٧].

(١) أخرجه مسلم (ح٢٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٣٤٨)، ومسلم (ح٢٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (ح٤٤٧٦)، ومسلم (ح١٩٣).

(٤) الجواب الصحيح (٤/ ٤١٣).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة (ص٤٠٥).

(٦) لفظ الجوارح لفظ محدث لم يرد في الكتاب والسنة، والواجب: التوقف في لفظه والاستفصال عن معناه، فإن أريد بنفي الجوارح عن الله تعالى ما يماثل صفات المخلوقين فهو حق، وإن أريد به نفي صفة اليدين فهو باطل.

(٧) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص١٢٧).

الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين والتوفيق بينها:

وردت صفة اليدين في كتاب الله تعالى على ثلاثة أوجه:

«**الأول: الإفراد**، كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١].

الثاني: التثنية، كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

الثالث: الجمع، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١].

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: الوجه الأول مفرد مضاف، فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر، وحينئذٍ لا ينافي التثنية على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان، فإذا حمل الجمع على أقله، فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلًا»[(١)].

الجمع بين حديث: «كلتا يديه يمين»، وحديث: «ثم يأخذهن بشماله»:

جاء في حديث عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»[(٢)].

وقد اختلف العلماء في إثبات الشمال لله تعالى، فممن أثبتها الإمام الدارمي[(٣)]، وممن نفاها الإمام ابن خزيمة[(٤)]، وقال الإمام ابن القيم: «ولما كان سبحانه موصوفًا بأن له يدين لم يكن فيهما شمال، بل كلتا يديه يمين

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد (ص٥٠).

(٢) أخرجه عبد بن حميد في المسند (ح٧٤٢)، وأبو يعلى في المسند (ح٥٥٥٨)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح غير الحسن بن حماد سجادة، وهو ثقة» (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٨١٠١).

(٣) انظر: النقض على المريسي (ص٢٦٧).

(٤) انظر: التوحيد، لابن خزيمة (١/ ١٥٩).

مباركة»[١].

وفي حديث عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن ﷻ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[٢]، فقد قال الشيخ ابن عثيمين: «وهذا يقتضي أنه ليس هناك يد يمين ويد شمال، ولكن إذا كانت لفظة (شمال) محفوظة؛ فهي عندي لا تنافي (كلتا يديه يمين)؛ لأن المعنى أن اليد الأخرى ليست كيد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليد اليمنى، فقال: (كلتا يديه يمين)؛ أي: ليس فيه نقص، ويؤيد هذا قوله في حديث آدم: «**اخترت يمين ربي، وكلتا يديه يمين مباركة**»[٣]، فلما كان الوهم يذهب إلى أن إثبات الشمال؛ يعني: النقص في هذه اليد دون الأخرى؛ قال: كلتا يديه يمين، ويؤيده أيضًا قوله: «**المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن**»، فإن المقصود بيان فضلهم ومرتبتهم، وأنهم على يمين الرحمن سبحانه»[٤].

وقال الشيخ ابن باز في الجمع بين الأحاديث: «كلها أحاديث صحيحة عند علماء السنة، وحديث ابن عمر مرفوع صحيح، وليس موقوفًا، وليس بينها اختلاف -بحمد الله- فالله سبحانه توصف يداه باليمين والشمال من حيث الاسم، كما في حديث ابن عمر، وكلتاهما يمين مباركة من حيث الشرف والفضل، كما في الأحاديث الصحيحة الأخرى»[٥].

موقف المخالفين: ذهب المعطلة إلى إنكار صفة اليدين لله تعالى وتأويلها بالقدرة أو بالنعمة، فقال المعتزلة: معنى قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]: «إن اليدين هنا بمعنى القوة»[٦]، وقالوا في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ

---

(١) أحكام أهل الذمة (١/ ٤١٦). (٢) أخرجه مسلم (ح١٨٢٧).
(٣) أخرجه الترمذي (ح٣٣٦٨)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٥٢٠٩).
(٤) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ١١٢٢-١١٢٣).
(٥) مجموع فتاوى ابن باز (٢٥/ ١٢٦). (٦) شرح الأصول الخمسة (ص٢٢٨).

مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]: «إن اليد هنا بمعنى: النعمة»[١].

وقال الأشاعرة: «اليد مجاز عن القدرة»[٢]، قال الإيجي: «أثبت الشيخ [يعني: الأشعري] صفتين ثبوتيتين زائدتين، وعليه السلف، وإليه ميل القاضي[٣] في بعض كتبه، وقال الأكثر: إنهما مجاز عن القدرة؛ فإنه شائع، وخلقته بيدي؛ أي: بقدرة كاملة»[٤].

الرد عليهم:

١- أنه صرف للكلام عن ظاهره بلا دليل، و«الأصل: الحقيقة، فدعوى المجاز مخالفة للأصل»[٥]، قال الأشعري: «فإن قال قائل: ما أنكرتم أن يكون قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾، وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ على المجاز؟ قيل له: حكم كلام الله تعالى أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة، ألا ترون أنه إذا كان ظاهر الكلام العموم، فإذا ورد بلفظ العموم، والمراد به: الخصوص، فليس هو على حقيقة الظاهر، وليس يجوز أن يعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة، كذلك قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ على ظاهره أو حقيقته من إثبات اليدين، ولا يجوز أن يعدل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادعاه خصومنا إلا بحجة»[٦].

٢- «أنه لو كان المراد بهما القوة لصح أن يُقال: إن الله خلق إبليس بيده ونحو ذلك، وهذا ممتنع، ولو كان جائزًا لاحتج به إبليس على ربه حين قال

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص٢٢٨).

(٢) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ١١٠)، وانظر: أساس التقديس في علم الكلام، للرازي (ص٩٨).

(٣) هو القاضي أبو بكر الباقلاني.

(٤) المواقف (ص٢٩٨).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٣٩١).

(٦) الإبانة عن أصول الديانة (ص١٣٩-١٤٠).

له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾»[١].

٣- «لو كان الله تعالى عنى بقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: القدرة؛ لم يكن لآدم ﷺ على إبليس مزية في ذلك، والله تعالى أراد أن يرى فضل آدم ﷺ عليه؛ إذ خلقه بيديه دونه، ولو كان خالقًا لإبليس بيده كما خلق آدم ﷺ بيده لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه... فلما أراد الله تعالى تفضيله عليه بذلك، وقال الله تعالى موبخًا له على استكباره على آدم ﷺ أن يسجد له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ﴾، دل على أنه ليس معنى الآية القدرة؛ إذ كان الله تعالى خُلق الأشياء جميعًا بقدرته، وإنما أراد إثبات يدين، ولم يشارك إبليس آدم ﷺ في أن خلق بهما»[٢].

٤- «أن اليد التي أضافها الله إلى نفسه وردت على وجوه تمنع أن يكون المراد بها النعمة، أو القوة فجاءت بلفظ اليد، والكف، وجاء إثبات الأصابع لله تعالى، والقبض، والهز، كقوله ﷺ: «**يقبض الله سماواته بيده، والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك**» وهذه الوجوه تمنع أن يكون المراد بهما النعمة، أو القوة»[٣]، قال الإمام ابن القيم: «إن اطراد لفظها في موارد الاستعمال، وتنوع ذلك وتصريف استعماله يمنع المجاز، ألا ترى إلى قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] فلو كان مجازًا في القدرة والنعمة لم يستعمل منه لفظ يمين»[٤].

٥- «أنه معنى تأباه اللغة في مثل هذا السياق الذي جاءت به مضافة إلى الله

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٠).
(٢) الإبانة عن أصول الديانة (ص١٣٢).
(٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٠).
(٤) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٣٩١).

تعالى»[١]، فـ«ليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: عملت كذا بيدي، ويعني به: النعمة، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهومًا في كلامها، ومعقولًا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني: النعمة؛ بطل أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾: النعمة»[٢].

٦- «أنه ورد إضافة اليد إلى الله بصيغة التثنية، ولم يرد في الكتاب والسنة ولا في موضع واحد إضافة النعمة والقوة إلى الله بصيغة التثنية، فكيف يفسر هذا بهذا؟!»[٣].

۞ ثالثًا: صفة الغضب:

معناها: هي صفة ثابتة لله تعالى في الكتاب والسنة تليق بجلال الله وعظمته.

نوعها: من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل.

أدلتها: قال جل وعلا: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه: ٨١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾ [النور: ٩]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**»[٤].

وجاء في حديث الشفاعة قول الأنبياء: «**إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم**

(١) فتح رب البرية (ص٦٩-٧٠).

(٢) الإبانة عن أصول الديانة (ص١٢٦-١٢٧).

(٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٠).

(٤) أخرجه البخاري (ح٧٤٠٤)، ومسلم (ح٢٧٥١).

يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»[(١)].

قال قوام السنة الأصبهاني: «قال علماؤنا: يوصف الله بالغضب، ولا يوصف بالغيظ، وقيل: الغيظ بمنزلة الحسرة، وقيل: إنا نغتاظ من أفعالنا، ولا نغضب منها»[(٢)].

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى»[(٣)]، قال الشارح: «مذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضا، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات»[(٤)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «أجمع السلف على ثبوت الغضب لله، فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو غضب حقيقي يليق بالله»[(٥)].

أقوال المخالفين:

قالت المعتزلة: غضب الله: إرادة الانتقام، قال الزمخشري: «فإن قلت: ما معنى غضب اللَّه؟ قلت: هو إرادة الانتقام من العصاة، وإنزال العقوبة بهم، وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده -نعوذ باللَّه من غضبه، ونسأله رضاه ورحمته»[(٦)]، وقالت الأشاعرة أيضًا: الغضب: إرادة الانتقام[(٧)]، قال الغزالي: «عبر بالغضب والرضا عن إرادة الثواب

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٧١٢)، ومسلم (ح١٩٤).
(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٩٠).
(٣) الطحاوية، مع شرح ابن أبي العز (٢/ ٦٨٤). (٤) شرح الطحاوية (٢/ ٦٨٥).
(٥) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد (ص٥٥)، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٨٥).
(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٧). (٧) انظر: تفسير الرازي (٣/ ٥٣٤).

والعقاب اللذين هما ثمرتا الغضب والرضا ومسبباه في العادة»[١].

الرد عليهم:

١- صرف صفة الغضب إلى معنى العقوبة أو إرادة العقوبة هو تحريف للفظ وصرف له عن ظاهره بلا دليل.

٢- أن الغضب الوارد في النصوص يتضمن إثبات غضب الله الذي هو صفة قائمة بذاته جل وعلا، كما يتضمن أثرها وهو عقوبته، والنصوص تفرق بينهما، كما يتبين في الوجه الثالث.

٣- أن الله جل وعلا فرق في كتابه بين غضبه وعقوبته، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٦]، كما فرقت السنة بينهما، فعن عبد الله بن عمرو، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: «**باسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة، من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**»[٢]، ففرقت النصوص بين الغضب والعقوبة؛ لأن العطف بينهما يقتضي المغايرة.

٤- أن الغضب المختص بالله لا يماثل غضب المخلوقين، «فإن قالوا: الغضب هو غليان دم القلب لطلب الانتقام، والوجه هو ذو الأنف والشفتين واللسان والخد؛ أو نحو ذلك، قيل لهم: إن كنتم تريدون غضب العبد ووجه العبد فوِزانه أن يقال لكم: ولا يعقل بصر إلا ما كان بشحمة، ولا سمع إلا ما كان بصماخ، ولا كلام إلا ما كان بشفتين ولسان، ولا إرادة إلا ما كان

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص٣٩)، وانظر: تفسير الرازي (١/ ١٤١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١١/ ٢٩٥-٢٩٦)، والترمذي (ح٣٥٢٨) وحسنه.

لاجتلاب منفعة أو استدفاع مضرة، وأنتم[١] تثبتون للرب السمع والبصر والكلام والإرادة على خلاف صفات العبد؛ فإن كان ما تثبتونه مماثلًا لصفات العبد لزمكم التمثيل في الجميع، وإن كنتم تثبتونه على الوجه اللائق بجلال الله تعالى من غير مماثلة بصفات المخلوقات، فأثبتوا الجميع على هذا الوجه المحدود، ولا فرق بين صفة وصفة، فإن ما نفيتموه من الصفات يلزمكم فيه نظير ما أثبتموه؛ فإما أن تعطلوا الجميع وهو ممتنع، وإما أن تمثلوه بالمخلوقات وهو ممتنع، وإما أن تثبتوا الجميع على وجه يختص به لا يماثله فيه غيره»[٢].

۞ رابعًا: صفة الاستواء:

معناه: قال الإمام ابن القيم: «لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق ومقيد.

فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف، مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤]، وهذا معناه: كمل وتم، يقال: استوى النبات واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بـ «إلى» كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]... وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بـ «إلى» في موضعين من كتابه: في «البقرة» في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، والثاني في «سورة فصلت»: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾

---

(١) الخطاب هنا موجه إلى الأشاعرة، أما المعتزلة فيقال في الرد عليهم: «لا فرق بين إثبات الأسماء وبين إثبات الصفات، فإنك إن قلت: إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهًا وتجسيمًا؛ لأنا لا نجد في الشاهد متصفًا بالصفات إلا ما هو جسم. قيل لك: ولا تجد في الشاهد ما هو مسمى بأنه حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا لجسم فانفِ الأسماء، بل وكل شيء لأنك لا تجده في الشاهد إلا لجسم» (التدمرية ص: ٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٥-٤٦)، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٨٦).

[فصلت: ١١]، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف. . .

والثاني: مقيد بـ «على» كقوله: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وقوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩]، وهذا أيضًا معناه: العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو (مع) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه، نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى: ساواها»[(١)].

فمعنى (استوى على العرش): علا عليه علوًّا يليق بجلاله ويختص بعظمته، ولا يُعْلم كيفيته، وهو غير العلو العام الشامل لجميع المخلوقات.

أدلته:

استواء الله على عرشه ثابت في سبعة مواضع من القرآن، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] في «سورة الأعراف» و«يونس» و«الرعد» و«الفرقان» و«السجدة» و«الحديد»، كلها بهذا اللفظ.

وثبت أيضًا في السنة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ أخذ بيدي، قال: «**يا أبا هريرة، إن الله خلق السموات والأرضين وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش يوم السابع...**»[(٢)].

وأجمع على إثبات الاستواء سلف الأمة وأئمتها، قال الإمام أبو عمر الطلمنكي: «أجمع أهل السنة على أن الله تعالى على عرشه على الحقيقة، لا على المجاز»[(٣)].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٣٧٢)، وانظر: نونية ابن القيم (ص٨٧).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (ح١١٣٢٨)، قال الشيخ الألباني: رجاله ثقات (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٧٢٦).

(٣) نقله عنه ابن القيم في: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٣٧٦)، =

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «أجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه، فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل»[(٢)].

مذاهب المخالفين:

ذهب المعطلة من المعتزلة والأشعرية وغيرهم إلى تأويل صفة الاستواء بالاستيلاء والقهر والغلبة، قال القاضي عبد الجبار المعتزلي في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]: «الاستواء هاهنا بمعنى: الاستيلاء والغلبة»[(٣)]. وقال الجويني الأشعري: «لم يمتنع حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة؛ إذ العرب تقول: استوى فلان على الممالك، إذا احتوى على مقاليد الملك، واستعلى على الرقاب»[(٤)].

الرد عليهم:

١- هذا التفسير للاستواء لم يفسره به أحد من السلف، لا من الصحابة، ولا من التابعين، وأول من عرف عنه هذا التفسير هم الجهمية والمعتزلة[(٥)].

٢- أنه يلزم عليه لوازم فاسدة، منها: أن الله تعالى كان له مغالب ينازعه في ملكه حتى استولى عليه؛ لأن «معنى الاستيلاء في اللغة: المغالبة، والله لا

= وانظر: التوحيد، لابن خزيمة (١/ ٢٣٣).

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ١٨٨).

(٢) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص٦٢).

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص٢٢٦)، وانظر: مقالات الإسلاميين (ص١٥٧).

(٤) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٤٠)، وانظر: غاية المرام في علم الكلام، الآمدي (ص١٤١)، أساس التقديس في علم الكلام، الرازي (ص١١٩).

(٥) انظر: التنبيهات السنية (ص١٢٩-١٣٠).

يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد»[(١)].

٣- أن الاستواء الوارد في النصوص خاص بالعرش، وأما الاستيلاء فهو عام يشمل جميع المخلوقات، فكيف يصح تفسير الاستواء به؟! قال الإمام الأشعري: «وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ أنه استولى وملك وقهر، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله ﷻ مستويًا على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء والأرض لله سبحانه قادر عليها... وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستويًا على العرش بمعنى: الاستيلاء -وهو تعالى مستوٍ على الأشياء كلها لكان مستويًا على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء»[(٢)].

٤- أنه صرف للكلام عن حقيقته وظاهره بغير دليل، وتبديل لكلام الله، قال الإمام ابن خزيمة: «نحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستوٍ على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولًا غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه، لا استوى، فبدلوا قولًا غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود كما أمروا أن يقولوا: حطة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جل وعلا»[(٣)]، وقال الإمام ابن عبد البر: «وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له؛ لأنه غير ظاهر في اللغة... ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز؛ إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجَّه كلام الله ﷻ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣١).
(٢) الإبانة عن أصول الديانة (ص١٠٨-١٠٩).
(٣) التوحيد، لابن خزيمة (١/ ٢٣٣).

التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدعٍ ما ثبت شيء من العبارات، وجلَّ الله عَزَّ وَجَلَّ عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع... والاستقرار»[(١)].

٥- «أن الذين قالوا ذلك لم يقولوه نقلًا، فإنه مجاهرة بالكذب وإنما قالوه استنباطًا وحملًا منهم للفظة استوى على استولى، واستدلوا بقول الشاعر:

قد استوى بِشر على العراق ... من غير سيف أو دم مهراق

وهذا البيت ليس من شعر العرب»[(٢)].

٦- «أن أهل اللغة لما سمعوا ذلك أنكروه غاية الإنكار، ولم يجعلوه من لغة العرب، قال ابن الأعرابي وقد سئل: هل يصح أن يكون استوى بمعنى: استولى؟ فقال: لا تعرف العرب ذلك، وهذا هو من أكابر أئمة اللغة»[(٣)].

٧- «أن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ، ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف»[(٤)].

٨- «أن هذا اللفظ قد اطرد في القرآن والسنة حيث ورد بلفظ الاستواء دون الاستيلاء، ولو كان معناه: استولى لكان استعماله في أكثر مورده كذلك، فإذا جاء موضع أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استولى؛ لأنه المألوف المعهود، وأما أن يأتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد، فيُدَّعَى صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه ففي غاية

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣١).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٣٧٢).

(٣) مختصر الصواعق (ص٣٧٢).

(٤) مختصر الصواعق (ص٣٧٣).

الفساد، ولم يقصده ويفعله من قصد البيان، هذا لو لم يكن في السياق ما يأتي حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك؟!»[(١)].

ووجوه إبطال قول هؤلاء المعطلة كثيرة جدًّا، فقد ذكر الإمام ابن القيم اثنين وأربعين وجهًا في الرد عليهم[(٢)].

۞ خامسًا: العلو:

معناه وأقسامه:

قال الشيخ ابن عثيمين: «**علو الله تعالى من صفاته الذاتية، وينقسم إلى قسمين: علو ذات، وعلو صفات:**

فأما علو الصفات، فمعناه: أنه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها وأكملها، سواء أكانت من صفات المجد والقهر، أم من صفات الجمال والقدر.

وأما علو الذات، فمعناه: أن الله بذاته فوق جميع خلقه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة»[(٣)].

أدلته:

دل على إثبات العلو لله تعالى: الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة:

أما الكتاب، فقد جاء فيه إثبات العلو على وجوه متعددة، منها[(٤)]:

١- أنه تعالى أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ

(١) مختصر الصواعق (ص٣٧٣).
(٢) انظر: مختصر الصواعق (ص٣٧١) وما بعدها.
(٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٣٩).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٦٤-١٦٦).

أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع.

٢- وتارة يخبر بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها إليه، كقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

٣- وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فصلت: ١، ٢]، ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [الجاثية: ١، ٢].

٤- وتارة يخبر بأنه العلي الأعلى، كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٥- وتارة يخبر بأنه في السماء، كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦، ١٧] فذكر السماء دون الأرض، ولم يعلق بذلك ألوهية أو غيرها، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

٦- وتارة يجعل بعض الخلق عنده دون بعض، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنبياء: ١٩]، ويخبر عمن عنده بالطاعة، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، فلو كان موجب العندية معنى عامًّا كدخولهم تحت قدرته ومشيئته وأمثال ذلك لكان كل مخلوق عنده، ولم يكن أحد مستكبرًا عن عبادته بل مسبحًا له ساجدًا، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك ردًّا على الكفار

المستكبرين عن عبادته.

ومن أدلة السنة:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً**»[١].

٢- عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، قال: كانت لي جارية ترعى غنمًا لي قِبَل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتني بها**» فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها، فإنها مؤمنة**»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا يحصيها إلا الله تعالى»[٣].

«**وأما الإجماع:** فقد أجمع الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وأئمة أهل السنة على أن الله تعالى فوق سماواته على عرشه، وكلامهم مملوء بذلك نصًّا وظاهرًا. قال الأوزاعي: (كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات)[٤]. قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم النافي لصفات الله وعلوه؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف مذهب جهم»[٥].

و«**أما العقل، فإن كل عقل صريح يدل على وجوب علو الله بذاته فوق خلقه، من وجهين:**

الأول: أن العلو صفة كمال، والله تعالى قد وجب له الكمال المطلق من

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٣٥١)، ومسلم (ح١٠٦٤). (٢) أخرجه مسلم (ح٥٣٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ١٦٦). (٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢١).

(٥) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٤٠-٤١).

جميع الوجوه، فلزم ثبوت العلو له تبارك وتعالى.

الثاني: أن العلو ضده السفل، والسفل صفة نقص، والله تعالى منزه عن جميع صفات النقص، فلزم تنزيهه عن السفل، وثبوت ضده له، وهو العلو.

وأما الفطرة: فإن الله تعالى فطر الخلق كلهم؛ العرب، والعجم حتى البهائم على الإيمان به وبعلوه، فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العلو، وارتفاع قلبه إلى السماء، لا يلتفت إلى غيره يمينًا، ولا شمالًا، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين والأهواء»[(١)].

ومن شواهد الاحتجاج بالفطرة على إثبات صفة العلو ما حكاه أبو جعفر بن أبي علي الهمداني الحافظ قال: «سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فقال: كان الله ولا عرش، وجعل يتخبط في الكلام، فقلت: قد علمنا ما أشرت إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة؟ فقال: ما تريد بهذا القول؟ وما تعني بهذه الإشارة؟ فقلت: ما قال عارف قط: يا رباه، إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصدٌ لا يلتفت يمنة ولا يسرة يقصد الفوق، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة؟ فنبِّئْنا نتخلصْ من الفوق والتحت، وبكيت وبكى الخلق، فضرب الأستاذ بكمه على السرير، وصاح: يا للحيرة، وخرق ما كان عليه وانخلع، وصارت قيامة في المسجد، ونزل ولم يجبني إلا: يا حبيبي الحيرة الحيرة والدهشة الدهشة، فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرني الهمداني»[(٢)].

❋ ❋ ❋

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٤١-٤٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٢)، شرح الطحاوية (٢/ ٣٨٠).

(٢) العلو للعلي الغفار، للذهبي (ص٢٥٩)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٤٤).

مقالة المخالفين في صفة العلو:

خالف في صفة العلو طائفتان:

الطائفة الأولى: وهم الجهمية والأشعرية الذين يقولون: إن الله لا يوصف بالعلو ولا بالسفل، فلا يقال: فوق ولا تحت، حتى قالوا: ليس داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته(١).

الطائفة الثانية: وهم الحلولية والاتحادية الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، وهذا نتيجة للقول الأول؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا [يعني: نفيهم للعلو] هو الذي أوقع الاتحادية في قولهم: هو نفس الموجودات؛ إذ لم تجد قلوبهم موجودًا إلا هذه الموجودات؛ إذا لم يكن فوقها شيء آخر»(٢).

الرد عليهم:

١- الأدلة السابقة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة تبطل ما ذهب إليه هؤلاء المعطلة.

٢- أن قولهم: (لا داخل العالم ولا خارجه) هذا الوصف لا يوصف به إلا المعدوم؛ ولهذا قال محمود بن سُبكتكين لمن ادَّعى ذلك في الخالق: «ميِّز لنا بين هذا الرب الذي تثبته وبين المعدوم»(٣)، وهو يدل على بطلان هذا القول؛ لأننا نعرف بطلان الأقوال من بطلان لوازمها.

٣- مذهبهم يتضمن ما لا يليق بالله جل وعلا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القائلون بأنه في كل مكان هو عندهم في المخلوقات السفلية القذرة الخبيثة كما هو في المخلوقات العالية... وهؤلاء يفضلون عليه بعض المخلوقات؛ فإن في المخلوقات ما يوصف بالعلو دون السفول كالسموات، وما كان موصوفًا بالعلو دون السفول كان أفضل مما لا يوصف بالعلو، أو يوصف

---

(١) انظر: أبكار الأفكار في أصول الدين (٢/ ٤٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٩).

(٣) التدمرية (ص٦٠).

بالعلو والسفول»[(١)].

وقال الإمام ابن أبي العز في بيان اللوازم الباطلة على نفي العلو: «وهذا القول قد أفضى بقوم إلى القول بالحلول أو الاتحاد، وهو أقبح من كفر النصارى، فإن النصارى خصوه بالمسيح، وهؤلاء عموا جميع المخلوقات.

ومن فروع هذا التوحيد: أن فرعون وقومه كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة.

ومن فروعه: أن عُبَّاد الأصنام على الحق والصواب، وأنهم إنما عبدوا الله لا غيره.

ومن فروعه: أنه لا فرق في التحريم والتحليل بين الأم والأخت والأجنبية، ولا فرق بين الماء والخمر، والزنا والنكاح، والكل من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة.

ومن فروعه: أن الأنبياء ضيقوا على الناس، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا»[(٢)].

۞ سادسًا: صفة النزول:

معناها: هو نزوله جل وعلا إلى السماء الدنيا نزولًا يليق بكماله وجلاله ويختص بعظمته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق السلف على أن النزول فعل يفعله الرب، كما قال ذلك الأوزاعي، وحماد بن زيد، والفضيل ابن عياض، وأحمد بن حنبل، وغيرهم»[(٣)].

نوعها: هو من الصفات الفعلية الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله تعالى وحكمته، قال الشيخ ابن عثيمين: «ونزوله تعالى إلى السماء الدنيا من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيئته وحكمته، وهو نزول حقيقي يليق بجلاله

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٠٠-١٠٢)، وانظر: التدمرية (ص٨١).
(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٥).
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٣٤-٢٣٥).

وعظمته»[(١)].

أدلتها:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أحاديث النزول متواترة عن النبي ﷺ، رواها أكثر من عشرين نفسًا من الصحابة بمحضر بعضهم من بعض، والمستمع لها منهم يصدق المحدِّث بها ويقره، ولم ينكرها منهم أحد»[(٣)].

وقال الفضيل بن عياض: «ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؟ لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّـمَدُ ۞ لَمْ يَـلِدْ وَلَـمْ يُولَـدْ ۞ وَلَـمْ يَـكُن لَّهُۥ كُـفُوًا أَحَـدٌۢ ۞﴾ [سورة الإخلاص]، فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه، وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع، كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف؟»[(٤)].

وقال الإمام الشافعي: «القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها، أهل الحديث الذين رأيتهم فأخذت عنهم، مثل سفيان، ومالك، وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»، وذكر شيئًا ثم قال: «وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء»[(٥)].

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح١١٤٥)، ومسلم (ح٧٥٨).

(٣) التسعينية (٣/ ٩١٤-٩١٥)، وانظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٢٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٦٢).

(٥) إثبات صفة العلو، ابن قدامة (ص١٨٠-١٨١).

وقال حنبل بن إسحاق: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ: «**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا**»، فقال أبو عبد الله: «نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد شيئًا منها إذا كانت بأسانيد صحاح، ولا نرد على رسول الله قوله ونعلم أن ما جاء به الرسول حق... ينزل كيف يشاء بعلمه وقدرته وعظمته، أحاط بكل شيء علمًا، لا يبلغ قدره واصف، ولا ينأى عنه هرب هارب»(١).

المخالفون في صفة النزول:

أنكر المعطلة صفة النزول الثابتة لله تعالى، وأولوا ما ورد في ذلك من نصوص بنزول رحمته أو نزول ملك من ملائكته، قال الرازي: «يحمل هذا النزول على نزول رحمته إلى الأرض»(٢).

وقال الكرماني: «النزول محال على الله؛ لأن حقيقته الحركة من جهة العلو إلى السفل، وقد دلت البراهين القاطعة على تنزيهه على ذلك، فليتأول ذلك بأن المراد نزول ملك الرحمة ونحوه، أو يفوض مع اعتقاد التنزيه»(٣).

الرد عليهم:

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على قولهم (النزول حقيقة في الحركة): «ينبغي أن يعرف أن لفظ الحركة والانتقال والتغير والتحول، ونحو ذلك، ألفاظ مجملة؛ فإن المتكلمين إنما يطلقون لفظ الحركة على الحركة المكانية، وهو انتقال الجسم من مكان إلى مكان بحيث يكون قد فرغ الحيز الأول وشغل الثاني، كحركة أجسامنا من حيز إلى حيز، وحركة الهواء والماء، والتراب والسحاب، من حيز إلى حيز، بحيث يفرغ الأول ويشغل

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٠٢).
(٢) أساس التقديس في علم الكلام (ص٨٨).
(٣) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ١٢٩).

الثاني، فأكثر المتكلمين لا يعرفون للحركة معنى إلا هذا، ومن هنا نفوا ما جاءت به النصوص من أنواع جنس الحركة؛ فإنهم ظنوا أن جميعها إنما تدل على هذا، وكذلك من أثبتها وفهم منها كلها هذا، كالذين فهموا من نزوله إلى السماء الدنيا أنه يبقى فوقه بعض مخلوقاته، فلا يكون هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، ولا يكون هو العلي الأعلى، ويلزمهم ألا يكون مستويًا على العرش بحال»(١).

«والذي يجب القطع به: أن الله ليس كمثله شيء في جميع ما يصف به نفسه، فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين في شيء من الأشياء فهو مخطئ قطعًا، كمن قال: إنه ينزل فيتحرك وينتقل، كما ينزل الإنسان من السطح إلى أسفل الدار، كقول من يقول: إنه يخلو منه العرش، فيكون نزوله تفريغًا لمكان وشغلًا لآخر، فهذا باطل يجب تنزيه الرب عنه»(٢).

٢- أن تأويلهم نزول الله تعالى بنزول أمره ورحمته أو ملك من ملائكته «**باطل لوجوه:**

الأول: أنه خلاف ظاهر الحديث؛ لأن النبي ﷺ أضاف النزول إلى الله، والأصل أن الشيء إنما يُضاف إلى من وقع منه أو قام به، فإذا صرف إلى غيره كان ذلك تحريفًا يُخالف الأصل.

الثاني: أن تفسيره بذلك يقتضي أن يكون في الكلام شيء محذوف، والأصل عدم الحذف.

الثالث: أن نزول أمره أو رحمته لا يختص بهذا الجزء من الليل، بل أمره ورحمته ينزلان كل وقت.

فإن قيل: المراد نزول أمر خاص، ورحمة خاصة، وهذا لا يلزم أن يكون كل وقت.

(١) شرح حديث النزول (ص١٧٩).

(٢) شرح حديث النزول (ص١٨٩).

فالجواب: أنه لو فرض صحة هذا التقدير والتأويل، فإن الحديث يدل على أن منتهى نزول هذا الشيء هو السماء الدنيا، وأي فائدة لنا في نزول رحمة إلى السماء الدنيا حتى يخبرنا النبي ﷺ عنها؟!

الرابع: أن الحديث دلَّ على أن الذي ينزل يقول: «**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»(١)، ولا يمكن أن يقول ذلك أحد سوى الله سبحانه وتعالى»(٢).

٣- «إن نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله ﷺ، رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفسًا من الصحابة، وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل موطن ومجمع، فكيف تكون حقيقته محالًا وباطلًا وهو ﷺ يتكلم بها دائمًا ويعيدها ويبديها مرة بعد مرة، ولا يقرن باللفظ ما يدل على مجازه بوجه ما، بل يأتي بما يدل على إرادة الحقيقة؟ كقوله: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: وعزتي وجلالي لا أسأل عن عبادي غيري**»، وقوله: «**من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له**»، وقوله: «**فيكون كذلك حتى يطلع الفجر ثم يعلو على كرسيه**»، فهذا كله بيان الإرادة الحقيقة، ومانع من حمله على المجاز»(٣).

۞ سابعًا: رؤية الله تعالى:

معناها: هو ما بينه النبي ﷺ في قوله: «إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩](٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٦٣-٦٤).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٤٤٤).

(٤) أخرجه البخاري (ح٥٥٤)، ومسلم (ح٦٣٣).

أدلتها: «رؤية الله سبحانه في الآخرة ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع السلف»[١]، وقد تنوعت الأدلة من القرآن على إثبات الرؤية، **ومن أظهرها ثلاثة أنواع:**

الأول: التصريح بالنظر، **والثاني:** نفي الإدراك، **والثالث:** حجب أعداء الله عن رؤية الله[٢].

النوع الأول: التصريح بالنظر:

١- ومن أدلة هذا النوع: قوله جل وعلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وذكر الإمام ابن أبي العز أنها من أظهر أدلة الرؤية[٣].

٢- ومنها قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥].

قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك رضي الله عنهما: هو النظر إلى وجه الله تعالى[٤].

٣- ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم** عز وجل»[٥].

ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أخر، معناها أن الزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى، وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) شرح السفارينية (ص٥١٣).
(٢) انظر: شرح السفارينية (ص٥١٤).
(٣) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٠٨).
(٤) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٠).
(٥) أخرجه مسلم (ح١٨١).

النوع الثاني: نفي الإدراك:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، **والاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه:**

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل: إني لا أُرَى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعامًا فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح: أنه لا يؤكل، أما إذا كان طعامًا صح أن يقال: إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى، **يوضحه:**

الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرًّا، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالًا لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام. والكل عندهم سواء.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز؛ ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما. وبهذا يتبين أن من احتج بهذه الآية على نفي الرؤية فحجته داحضة، وأنه ما من مبطل يستدل بدليل صحيح صريح إلا وهو حجة عليه لا له[(١)].

٢- ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، والاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو: أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمرًا وجوديًّا، كمدحه بنفي السِّنة والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه، المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم، المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه، المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته؛ ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمرًا ثبوتيًّا، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإن المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢]، فلم ينفِ موسى الرؤية، وإنما نفى

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٣-٢١٤).

الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علمًا، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه[(١)].

النوع الثالث: حجب أعداء الله عن رؤيته:

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] احتج الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي، وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا[(٢)].

وأما الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن:

فمنها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك**»، الحديث[(٣)].

وحديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنظر إلى القمر ليلة -يعني: البدر- فقال: «**إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٣-٢١٤).
(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٢).
(٣) أخرجه البخاري (ح٨٠٦)، ومسلم (ح١٨٢).

فافعلوا». ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩][(١)].

قال شيخنا عبد الرحمن البراك: «يعني: ترون ربكم رؤية كرؤيتكم للشمس والقمر، **ووجه الشبه بين الرؤيتين:**

أولًا: أنها رؤية بصرية لا علمية، ونفاة الرؤية يفسرون هذه الرؤية بالرؤية العلمية؛ أي: يزداد علمهم بالله يوم القيامة، لا أنهم يرونه بأبصارهم.

ثانيًا: أنهم يرونه في العلو كما يُرى القمران في العلو.

ثالثًا: أنها رؤية من غير إحاطة، فالمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة من غير إحاطة، كما أن الناس في الدنيا يرون الشمس والقمر من غير إحاطة»[(٢)].

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًّا، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها[(٣)].

وقد نقل الإجماع على ثبوت رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة جماعة من أهل العلم، منهم: الإمام أبو الحسن الأشعري، قال: «وقد رُوِي عن أصحاب رسول الله ﷺ أن الله تعالى تراه العيون في الآخرة، وما روى عن أحد منهم أن الله تعالى لا تراه العيون في الآخرة، فلما كانوا على هذا مجتمعين، وبه قائلين، وإن كانوا في رؤيته تعالى في الدنيا مختلفين، ثبتت في الآخرة إجماعًا»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة»[(٥)].

وقال ابن القيم: «إن الصحابة والتابعين، وجميع أهل السنة والحديث، والأئمة الأربعة، وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة»[(٦)].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) شرح الطحاوية (ص١١٦).
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢١٥-٢١٨).
(٤) الإبانة (ص٥١).
(٥) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢).
(٦) مختصر الصواعق المرسلة (ص٤١٢).

المخالفون في الرؤية:

المخالفون في الرؤية طائفتان:

الطائفة الأولى: الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم من الزيدية والإباضية والرافضة ونحوهم الذين ينفون رؤية الله بالأبصار في الآخرة، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قال الزمخشري: «فالمعنى: أن الأبصار لا تتعلق به، ولا تدركه؛ لأنه متعالٍ أن يكون مبصَرًا في ذاته؛ لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلًا أو تابعًا، كالأجسام والهيئات»(١)، وقد سبق بيان دلالة الآية على إثبات الرؤية لله تعالى.

وأوَّلوا قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] **بتأويلات ثلاثة:**

١- أن النظر المذكور في الآية ليس معناه الرؤية، وإنما معناه: الانتظار، والمراد: وجوه يومئذٍ ناضرة، لثواب ربها منتظرة.

٢- أن (إلى) في الآية واحد (الآلاء) التي هي النِّعم، فكأنه قال: وجوه يومئذٍ ناضرة، آلاءَ ربها منتظرة، ونعمَه مترقبة(٢)، أو يكون تأويلها: منتظرة لرحمة الله، وناظرة إلى ثوابه ونعيمه في الجنة(٣).

٣- أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلانٍ ناظرٌ ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء، والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم(٤).

وهذا باطل من وجوه ثلاثة:

الأول: أنه جل وعلا أضاف النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية،

---

(١) الكشاف (٢/ ٣٨٣).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٢٤٥-٢٤٦).

(٣) انظر: المختصر في أصول الدين، القاضي عبد الجبار (١/ ٢٢٠) ضمن رسائل العدل والتوحيد.

(٤) انظر: الكشاف (٦/ ٢٧٠).

وقد قرر أهل اللغة أن النظر إن عدي بـ «إلى» فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾ [الأنعام: ٩٩]، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟! وإن عُدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣]، وإن عدي بـ «في» فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥][١].

الثاني: إخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقة موضوعه، صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله[٢].

الثالث: تفسير السلف للآية، فقد جاء تفسير الآية بذلك عن ابن عباس؛ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٣]، قال: تنظر إلى وجه ربها، وقال عكرمة: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢﴾ [القيامة: ٢٢]، قال: من النعيم، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾، قال: تنظر إلى ربها نظرًا، ثم حكى عن ابن عباس مثله[٣].

الطائفة الثانية: غلاة المتصوفة من الاتحادية والحلولية الذين يزعمون أن الله يرى في الدنيا عيانًا، كما يرى في الآخرة[٤].

الرد عليهم:

١- أن هذه الدعوى مخالفة للكتاب والسنة والإجماع:

❊ أما الكتاب فقد «ثبت بنص القرآن أن موسى قيل له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ وأن رؤية الله أعظم من إنزال كتاب من السماء كما قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء: ١٥٣]، فمن قال: إن أحدًا من الناس يراه؛ فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران ودعواه أعظم من دعوى من ادعى أن الله أنزل عليه كتابًا من السماء»[٥].

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٠٩).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٠٩).

(٣) انظر: زاد المسير (٨/ ٤٢٢).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (ص٢٨٨).

(٥) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٣٦).

❋ وأما السنة فقد ثبت عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**تعلَّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت**»[(١)]، قال أبو العباس القرطبي: «وهذا نص جليٌّ في أن الله تعالى لا يُرى في هذه الدار، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ أي: في الدنيا، ولقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾؛ أي: في الدنيا، ولقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآية [الشورى: ٥١]»[(٢)]، فـ«كل من ادعى أنه رأى ربه بعينيه قبل الموت فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اتفقوا جميعهم على أن أحدًا من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت»[(٣)].

❋ وأما الإجماع فـ«قد اتفق أئمة المسلمين على أن أحدًا من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، مع أن جماهير الأئمة على أنه لم يره بعينه في الدنيا، وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وأئمة المسلمين»[(٤)].

وبهذا يتبين بطلان هذه المقالة ومخالفتها للكتاب والسنة والإجماع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضالٌّ مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة»[(٥)].

رؤية الله في المنام:

رؤية الله في المنام جائزة شرعًا وعقلًا، وتكون صفة الرؤية بحسب حال الرائي وصلاحه، ودليله ما جاء عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، قال: أحسبه في المنام، فقال: يا**

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٣١).
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٢٦٨).
(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٩).
(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٣٥).
(٥) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢).

محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟...»[(١)].

وقال الإمام سعيد بن عثمان الدارمي: «وإنما هذه الرؤية كانت في المنام، وفي المنام يمكن رؤية الله تعالى على كل حال وفي كل صورة»[(٢)].

وذكر البغوي أن «رؤية الله في المنام جائزة»[(٣)].

وقال ابن تيمية: «ومن رأى الله عز وجل في المنام فإنه يراه في صورة من الصور بحسب حال الرائي إن كان صالحًا رآه في صورة حسنة؛ ولهذا رآه النبي «في أحسن صورة»»[(٤)]. وقال أيضًا: «وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه؛ فإذا كان إيمانه صحيحًا لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه»[(٥)]، وقال أيضًا: «وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به سبحانه وتعالى، وإنما ذلك بحسب حال الرائي، وصحة إيمانه وفساده، واستقامة حاله وانحرافه»[(٦)].

وقال الحافظ ابن حجر: «جوز أهل التعبير رؤية الباري عز وجل في المنام مطلقًا، ولم يجروا فيها الخلاف في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم»[(٧)].

ثامنًا: صفة المعية:

معناها: «المعية في اللغة: مطلق المقارنة والمصاحبة، لكن مقتضاها ولازمها يختلف باختلاف الإضافة وقرائن السياق والأحوال، فتارة تقتضي اختلاطًا؛ كما يقال: جعلت الماء مع اللبن، وتارة تقتضي تهديدًا وإنذارًا؛ كما يقول المؤدب للجاني: اذهب فأنا معك، وتارة تقتضي نصرًا وتأييدًا؛ كمن يقول

(١) أخرجه الترمذي (ح٣٢٣٣)، وأحمد في المسند (ح٣٤٨٤) وإسناده صحيح.

(٢) نقض الإمام أبي سعيد على بشر المريسي الجهمي العنيد (٢/ ٧٣٨).

(٣) شرح السنة (١٢/ ٢٢٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٥١).

(٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٠).

(٦) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٧).

(٧) فتح الباري (١٢/ ٣٨٧).

لمن يستغيث به: أنا معك، أنا معك؛ إلى غير ذلك من اللوازم والمقتضيات المختلفة باختلاف الإضافة والقرائن والأحوال»[(١)].

والمعية في الشرع نوعان:

١- معية عامة، **٢-** معية خاصة.

فالعامة هي: أن الله تعالى مع خلقه علمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا وسلطانًا وتدبيرًا، وغير ذلك من معاني ربوبيته، وهي المرادة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤].

والخاصة هي: أن الله تعالى مع عباده المؤمنين بالنصر والتأييد والتوفيق والتسديد والحفظ والإعانة، وهي المرادة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨][(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المعية معيتان: عامة وخاصة، فالأولى: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٨]، والثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ إلى غير ذلك من الآيات».

نوعها: قال الشيخ ابن عثيمين: «المعية العامة من الصفات الذاتية؛ لأن مقتضياتها ثابتة لله تعالى أزلًا وأبدًا، وأما المعية الخاصة فهي من الصفات الفعلية؛ لأن مقتضياتها تابعة لأسبابها، توجد بوجودها، وتنتفي بانتفائها»[(٣)].

أدلتها:

❁ من الأدلة على المعية العامة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾، وقال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ﴾ [المجادلة: ٧]، وعن عبادة ابن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك**

(١) فتح رب البرية (ص٥٥-٥٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٢٢)، القواعد المثلى (ص٩٧).

(٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٥٨).

حيثما كنت»[(١)].

❁ ومن أدلة المعية الخاصة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقول النبي ﷺ لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه: «**لا تحزن إن الله معنا**»[(٢)].

الجمع بين نصوص العلو ونصوص المعية:

إن ما ذكر في الكتاب والسنة، من قربه ومعيته، لا ينافي ما ذُكِرَ من علوه وفوقيته؛ **وذلك لوجوه:**

الأول: «أنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عليٌّ في دنوه، قريب في علوه»[(٣)].

الثاني: أن «المعية لا تستلزم الاختلاط والحلول في المكان، فقد يكون الشيء عاليًا بذاته، وتضاف إليه المعية، كما يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، مع أن القمر في السماء، ولا يعد ذلك تناقضًا لا في اللفظ ولا في المعنى، فإن المخاطب يعرف معنى المعية هنا، وأنه لا يمكن أن يكون مقتضاها أن القمر في الأرض، فإذا جاز اجتماع العلو والمعية في حق المخلوق ففي حق الخالق أولى»[(٤)].

الثالث: «أنه لو فرض أن بين معنى العلو والمعية تناقضًا وتعارضًا في حق المخلوق، فإن ذلك لا يلزم في حق الخالق؛ لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع صفاته، فلا تقاس معيته بمعية خلقه، ولا تقتضي معيته لهم أن يكون مختلطًا بهم أو حالًّا في أمكنتهم لوجوب علوه بذاته؛ ولأنه لا يحيط به شيء

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٣٣٦)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وقال: تفرد به عثمان بن كثير، قلت: ولم أرَ من ذكره بثقة ولا جرح» (مجمع الزوائد ١/ ٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٦١٥)، ومسلم (ح٢٠٠٩).

(٣) العقيدة الواسطية (ص٨٥).

(٤) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٦٠-٦١).

من مخلوقاته، بل هو بكل شيء محيط»[١].

الرابع: «أن النصوص جمعت بينهما فيمتنع أن يكون اجتماعهما محالًا؛ لأن النصوص لا تدل على محال، ومن ظن دلالتها عليه فقد أخطأ فليعد النظر مرة بعد أخرى، مستعينًا بالله، سائلًا منه الهداية والتوفيق، باذلًا جهده في الوصول إلى معرفة الحق. فإن تبين له الحق فليحمد الله على ذلك، وإلا فليكلِ الأمر إلى عالمه وليقل: آمنا به كل من عند ربنا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم»[٢].

الخامس: «أن علماء الصحابة والتابعين... قالوا في تأويل هذه الآية[٣]: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله»[٤]؛ لأن «العلم من لوازم المعية، ولازم اللفظ من معناه»[٥]، **ويدل على ذلك أمران:**

الأول: «أن الله تعالى ذكرها في «سورة المجادلة» بين عِلْمَين فقال في أول الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧]، وقال في آخرها: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١] فدل ذلك على أن المراد أنه يعلمهم ولا يخفى عليه شيء من أحوالهم»[٦].

الثاني: «أن الله تعالى ذكرها في «سورة الحديد» مقرونة باستوائه على عرشه الذي هو أعلى المخلوقات، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فدل

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٦٠-٦١).
(٢) المصدر السابق.
(٣) وهي قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].
(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣٩).
(٥) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٢٤٧).
(٦) المصدر السابق.

على أن المراد معية الإحاطة بهم علمًا وبصرًا، لا أنه معهم بذاته في كل مكان، وإلا لكان أول الآية وآخرها متناقضًا»[١].

تاسعًا: صفة الكلام:

معناه: أنه جل وعلا يتكلم إذا شاء بما شاء كيف شاء، وأن كلامه كسائر صفاته لا يماثل صفات المخلوقين، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم: إن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار، والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته، ليس ببائن عنه مخلوقًا، ولا يقولون: إنه صار متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا، ولا أن كلام الله تعالى من حيث هو هو حادث، بل ما زال متكلمًا إذا شاء، وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته»[٢]، وقال: «الصواب الذي عليه سلف الأمة وأئمتها أن الكلام اسم للحروف والمعاني جميعًا، فاللفظ والمعنى داخل في مسمى الكلام»[٣].

نوعه: «دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أن... كلامه صفة قائمة بذاته، وهي صفة ذات وفعل»[٤]، «فكلامه صفة ذات باعتبار جنسه، وصفة فعل باعتبار آحاده»[٥]، فـ«كلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد، ومعنى قديم النوع: أن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا ليس الكلام حادثًا منه بعد أن لم يكن، ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه أي: الكلام المعين المخصوص حادث؛ لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٢٤٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٣)، وانظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٥).
(٣) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٦/ ٤٢٦).
(٤) مختصر الصواعق المرسلة (ص٥٠١).
(٥) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٥).

كيف شاء»[(١)].

أدلته: دل على إثبات صفة الكلام القرآن والسنة والإجماع والعقل:

❊ فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢]، «ففي الآية الأولى: إثبات أن الكلام يتعلق بمشيئته، وأن آحاده حادثة، وفي الآية الثانية: دليل على أنه بحرف؛ فإن مقول القول فيها حروف، وفي الآية الثالثة: دليل على أنه بصوت؛ إذ لا يعقل النداء والمناجاة إلا بصوت»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٣ - ١٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال جلَّ وعلا: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وقال تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، والآيات في ذلك كثيرةٌ جدًّا.

---

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد (ص٧٤).

(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٥).

❊ وأما السنة فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى**» ثلاثًا[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار...**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانًا فأحبَّه، فيحبه جبريل...**»[(٣)].

وغير ذلك من الأدلة الواردة في الكتاب والسنة، قال الإمام ابن القيم: «وقد تكرر في الكتاب والسنة تكرارًا مطَّردًا في محالِّه متنوعًا يمنع حمله على المجاز، فأخبر تعالى أنه نادى الأبوين في الجنة ونادى كليمه، وأنه ينادي عباده يوم القيامة، وقد ذكر سبحانه النداء في تسعة مواضع في القرآن أخبر فيها عن ندائه بنفسه، ولا حاجة إلى أن يقيد النداء بالصوت، فإنه بمعناه وحقيقته باتفاق أهل اللغة، فإذا انتفى الصوت انتفى النداء قطعًا، ولهذا جاء إيضاحه في الحديث الصحيح الذي بلغناه الصحابة والتابعون وتابعوهم وسائر الأمة تلقته بالقبول وتقييده بالصوت إيضاحًا وتأكيدًا كما قيد التكليم بالمصدر في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]»[(٤)]، وقال: «وكل ما في القرآن العظيم من ذكر كلامه وتكليمه وأمره ونهيه دال على أنه تكلم حقيقة لا مجازًا... وقد نوع الله تعالى هذه الصفة في إطلاقها عليه

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٦١٤)، ومسلم (ح٢٦٥٢).
(٢) أخرجه البخاري (ح٤٧٤١).
(٣) أخرجه البخاري (ح٧٤٨٥)، ومسلم (ح٢٦٣٧).
(٤) مختصر الصواعق المرسلة (ص٤٨٧).

تنويعًا يستحيل معه نفي حقائقها، بل ليس في الصفات الإلهية أظهر من صفة الكلام والعلو والفعل والقدرة، بل حقيقة الإرسال تبليغ كلام الرب تبارك وتعالى، وإذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفت حقيقة الرسالة والنبوة، والرب تبارك وتعالى يخلق بقوله وكلامه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢]، فإذا انتفت حقيقة الكلام عنه انتفى الخلق، وقد عاب الله آلهة المشركين بأنها لا تُكَلَّم ولا تُكَلِّم عابديها ولا ترجع إليهم قولًا»[١].

مذاهب الناس في كلام الله تعالى:

اختلف الناس في كلام الله تعالى:

١- فمذهب الاتحادية القائلين بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود كلام الله: نظمه ونثره وحقه وباطله سحره وكفره والسب والشتم والهجر والفحش، وأضداده كله عين كلام الله تعالى القائم به.

٢- مذهب الفلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو، وهم الذين يحكي ابن سينا والفارابي والطوسي قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعَّال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه، ولهذه النفوس عندهم ثلاث قوى: قوة التصور وقوة التخيل وقوة التعبير، فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتتصور المعقول صورًا نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذان، وهو عندهم كلام الله ولا حقيقة له في الخارج.

٣- مذهب الجهمية والمعتزلة أن كلامه مخلوق، ومن بعض مخلوقاته، فلم يقم بذاته سبحانه.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص٤٩٣-٤٩٤).

٤- مذهب الكُلَّابية، أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يُسمَع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة.

٥- مذهب الأشعري ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء، وهذه الألفاظ عبارة عنه ولا يسميها حكاية، وهي خلق من المخلوقات، **وهو كقول الكلابية إلا أنهم يخالفونهم في شيئين:**

أحدهما: في معاني الكلام، فالكلابية يقولون: إنه أربعة معان، والأشعرية يقولون: إنه معنى واحد، فالخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي كل واحد منها هو عين الآخر، وليست أنواعًا للكلام، بل صفات له، بل التوراة والإنجيل، والقرآن كل واحد منها عين الآخر، لا تختلف إلا بالعبارة.

الثاني: أن الكلابية قالوا: إن الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله، وأما الأشعرية فقالوا: إنها عبارة عن كلام الله[١].

٦- مذهب الكرامية، وهو كقول أهل السنة إلا أنهم قالوا: إنه حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلمًا.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العبارة عن كلام الغيب، يقال لمن في نفسه معنى ثم يعبر عنه غيره، كما يعبِّر عما في نفس الأخرس من فهم مراده، والذين قالوا: (القرآن عبارة عن كلام الله) قصدوا هذا، وهذا باطل؛ بل القرآن العربي تكلم الله به؛ وجبريل بلَّغه عنه، وأما الحكاية فيراد بها ما يماثل الشيء، كما يقال: هذا يحاكي فلانًا، إذا كان يأتي بمثل قوله أو عمله» (مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٥٢)، وإنما عدل الأشعري عن الحكاية إلى العبارة؛ «لأن العبارة لا تشبه المعبر عنه؛ بخلاف الحكاية والمحكي» (مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٧٨-٣٧٩)، «وقال [يعني الأشعري]: الحكاية إنما تكون مثل المحكي فهذا يناسب قول المعتزلة، وإنما يناسب قولنا أن نقول: هو عبارة عن كلام الله؛ لأن الكلام ليس من جنس العبارة» (مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٧٢).

٧- مذهب السالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات، ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضًا، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر(١).

الرد عليهم:

البراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها، وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل، **وبيان بطلانها من وجوه، منها:**

١- أن أقوالهم مخالفة لما ثبت بالكتاب والسنة، كما أنها خلاف إجماع السلف، فإنهم أثبتوا لله صفة الكلام، كما أثبتوا له سائر الصفات، فقالوا: «إنه متكلم إذا شاء بما شاء، وأن كلامه يسمع، وأن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه حقًّا، لا تأليف ملك ولا بشر، وأنه سبحانه الذي قاله بنفسه: ﴿الٓمٓصٓ ①﴾ [الأعراف: ١]، ﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ ②﴾ [الشورى: ١، ٢]، ﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾ [مريم: ١] وأن القرآن جميعه، حروفه ومعانيه نفس كلامه الذي تكلم به، وليس بمخلوق ولا بعضه قديمًا وهو المعنى، وبعضه مخلوق وهو الكلمات والحروف، ولا بعضه كلامه وبعضه كلام غيره، ولا ألفاظ القرآن وحروفه ترجمة ترجم بها جبرائيل أو محمد عليهما السلام عما قام بالرب من المعنى من غير أن يتكلم الله بها، بل القرآن جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، تكلم الله به حقيقة، والقرآن اسم لهذا النظم العربي الذي بلغه الرسول ﷺ عن جبرائيل عن رب العالمين»(٢).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٣) وما بعدها، مختصر الصواعق المرسلة (ص٤٩٤-٤٩٩)، فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٦-٧٨).

(٢) المصدر السابق (ص٤٩٩-٥٠٠).

٢- أنه «محال قيام هذه الصفة بنفسها كما يقوله بعض المكابرين أنه خلق الكلام لا في محل، ومحال قيامها بغير الموصوف بها كما يقوله المكابر الآخر أنه خلق في محل فكان هو المتكلم به دون المحل»(١).

٣- أن «الكلام الحقيقي هو الذي يوجد بقدرة المتكلم وإرادته قائمًا به، لا يعقل غير هذا، وأما ما كان موجودًا بدون قدرته ومشيئته وإن سمع منه فإنه ليس بكلام له، وإنما هو مخلوق خلقه الله فيه، فلو كان ما قام بالرب تعالى من الكلام غير متعلق بمشيئته بل يتكلم بغير اختياره لم يكن هذا هو الكلام المعهود، بل هذا شيء آخر غير ما يعرفه العقل ويشهد به الشرع»(٢).

٤- «لو لم يكن هناك ألفاظ مسموعة حقيقة السمع لم يكن ثَمَّ صفة كلام البتة، ولو كان عاجزًا عن الكلام في الأزل لم يصر قادرًا عليه فيما لم يزل، فإنه إذا كانت حاله قبل وبعد سواء وهو لم يستفد صفة الكلام من غيره، فمن المستحيل أن تجدد له هذه الصفة بعد أن كان فاقدًا لها بالكلية»(٣).

عاشرًا: صفة العلم:

معناها: يعتقد أهل السنة والجماعة بأن الله تعالى متصف بالعلم، فهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون(٤).

نوعها: صفة ذاتية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أدلتها: دلَّ على إثبات العلم لله تعالى القرآن والسنة والعقل:

❁ أما القرآن فقد قال جلَّ وعلا: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله تعالى:

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٤٩٩).
(٢) المصدر السابق (ص٤٩٩). (٣) المصدر السابق (ص٤٩٩).
(٤) انظر: شرح الطحاوية (ص١٠٣)، معارج القبول (١/ ٢٣٧-٢٣٨).

﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ [فاطر: ١١]، وقوله ﷻ: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وغيرها من الآيات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ذكر الله علمه بما سيكون بعد أن يكون في بضعة عشر موضعًا في القرآن مع إخباره في مواضع أكثر من ذلك أنه يعلم ما يكون قبل أن يكون، وقد أخبر في القرآن من المستقبلات التي لم تكن بعدُ بما شاء الله، بل أخبر بذلك نبيَّه وغير نبيه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، بل هو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لو كان كيف كان يكون»[(١)].

❁ ومن السنة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: عاجل أمري وآجله- فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: في عاجل أمري وآجله- فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني**»، **قال: «ويسمي حاجته»**[(٢)].

وقال ﷺ: «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي...**» الحديث[(٣)].

أما الدليل العقلي على علمه تعالى، فمن وجوه، منها:

١- أنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل؛ لأن إيجاده الأشياء بإرادته،

---

(١) الرد على المنطقيين (ص٤٦٥-٤٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٣٨٢).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (ح١٢٢٩)، وصححه الألباني.

والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد: هو العلم بالمراد.

٢- أن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها؛ لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم.

٣- أن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال، فلو لم يكن الخالق عالمًا لزم أن يكون الممكن أكمل منه، وهو ممتنع.

٤- كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريًا منه بل هو أحق به.

٥- أن الله تعالى له المثل الأعلى، ولا يستوي هو والمخلوقات، لا في قياس تمثيلي، ولا في قياس شمولي، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق به أحق، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما فتنزيه الخالق عنه أَوْلَى[١].

۞ مذاهب المخالفين[٢]:

الأول: مذهب الفلاسفة:

إن الله يعلم الكليات فقط، لا الجزئيات، قال الغزالي: «زعم [يعني: ابن سينا] أنه يعلم الأشياء كلها بنوع كلي لا يدخل تحت الزمان، ولا يعلم الجزئيات التي يوجب تجدد الإحاطة بها تغيرًا في ذات العالم»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما قول من قال من الفلاسفة: إنه لا يعلم إلا الكليات، فهذا من أخبث الأقوال وشرها، ولهذا لم يقل به أحد من طوائف الملة، وهؤلاء شر من المنكرين للعلم القديم، من القدرية وغيرهم»[٤].

وقال الغزالي: «هذه قاعدة اعتقدوها واستأصلوا بها الشرائع بالكلية؛ إذ

---

(١) انظر: شرح الأصفهانية (ص٦٠-٦١)، شرح الطحاوية (١/ ١٢٥-١٢٦).

(٢) نكتفي بذكر مذهبين مخالفين، وهما الفلاسفة والأشاعرة.

(٣) تهافت الفلاسفة (ص١٧٧).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٩٧).

مضمونها أن زيدًا مثلًا لو أطاع الله أو عصاه لم يكن الله عالـمًا بما يتجدد من أحواله؛ لأنه لا يعرف زيدًا بعينه، فإنه شخص، وأفعاله حادثة بعد أن لم تكن، وإذا لم يعرف الشخص لم يعرف أحواله وأفعاله، بل لا يعلم كفر زيد ولا إسلامه، وإنما يعلم كفر الإنسان وإسلامه مطلقًا كليًّا لا مخصوصًا بالأشخاص»(١).

وتَصَوُّرُ هذا المذهب كاف في بيان بطلانه، ونصوص القرآن تقرر إحاطة علم الله بكل المعلومات كليها وجزئيها، قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

الثاني: مذهب الأشاعرة:

إن علم الله تعالى معنى زائد قائم بذاته سبحانه، وقالوا: إن الله يعلم كل الحوادث بعلم قديم لا تجدد في أفراده، قال الآمدي: «مذهب أهل الحق أن الباري تعالى عالم بعلم واحد قائم بذاته قديم أزلي متعلق بجميع المتعلَّقات»(٢).

ويُرَدُّ عليهم بقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]، وغيرها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القرآن قد أخبر بأنه يعلم ما سيكون في غير موضع، بل أبلغ من ذلك أنه قدر مقادير الخلائق كلها وكتب ذلك قبل أن يخلقها، فقد علم ما سيخلقه علمًا مفصلًا، وكتب ذلك، وأخبر بما أخبر به من ذلك قبل أن يكون، وقد أخبر بعلمه المتقدم على وجوده، ثم لما خلقه علمه كائنًا مع علمه

(١) تهافت الفلاسفة (ص٢٠٧).
(٢) غاية المرام في علم الكلام (ص٧٦).

الذي تقدم أنه سيكون، فهذا هو الكمال، وبذلك جاء القرآن في غير موضع، بل وبإثبات رؤية الرب له بعد وجوده، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] فأخبر أنه سيرى أعمالهم»[(١)].

وقال أيضًا: «والله تعالى قد أخبر في كتابه بعلمه بما سيكون، كالأمور التي أخبر بها قبل كونها، فعلم أنه يعلم الأشياء قبل وجودها، وأخبر أنه إذا وُجِدَت عَلِمَها أيضًا، كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، وفي القرآن من هذا بضعة عشر موضعًا، وقد روي عن ابن عباس وغيره: إلا لنرى، وقال طائفة من المفسرين: إلا لنعلمه موجودًا»[(٢)].



(١) الرد على المنطقيين (ص٤٦٥).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ١٧٩).



المبحث العاشر

الإلحاد في أسماء الله وصفاته

معناه وصوره

۞ أولًا: معنى الإلحاد:

الإلحاد لغة: الميل والعدول عن الشيء، ومنه اللحد في القبر؛ لانحرافه إلى جهة القبلة، ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل[١].

وفي الاصطلاح: هو العدول بأسماء الله وصفاته وآياته عن الحق الثابت[٢].

۞ ثانيًا: صور الإلحاد:

تبين لنا من خلال التعريف أن الإلحاد يقعُ في صورتين:

الأولى: في الأسماء والصفات.

الثانية: في الآيات.

أما الأولى: الإلحاد في الأسماء والصفات، فأنواعه خمسة:

١- تسمية الأصنام أو غيرها بأسماء الله سبحانه، ومن ذلك تسمية المشركين اللات من الإله، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهًا، وهذا إلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة، ومنه إلحاد

(١) انظر: لسان العرب (٣/ ٣٨٨).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٦٩).

السبئية والبيانية والمختارية وغيرها في تسمية أئمتهم بأسماء الله، وكذلك الدروز والأغاخانية والبهرة والنصيرية وأمثالهم في عصرنا الذين أعطوا أئمتهم أسماء وأوصاف الخالق جل شأنه، بل اتخذوهم أربابًا من دون الله تعالى.

٢- تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له آبًا، وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته، أو العلة الفاعلة بالطبع، ونحو ذلك.

٣- وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخباث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: يد الله مغلولة، مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

٤- إلحاد التعطيل، كجحد الأسماء والصفات كما هو حال الجهمية، أو إثبات أسماء في الجملة وتعطيلها عن معانيها وجحد حقائقها كفعل المعتزلة الذين يطلقون اسم الحي والسميع والبصير، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلًا وشرعًا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، وأهل التعطيل من الجهمية وأفراخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، وكل من جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر.

٥- إلحاد التمثيل، كتشبيه صفاته سبحانه بصفات خلقه -كما مرَّ- فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة؛ فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبرأ الله رسوله وورثته القائمين بسنته من ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا عما أنزلت عليه لفظًا ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة

المخلوقات، فكان إثباتهم بريئًا من التمثيل، وتنزيههم خليًّا من التعطيل، لا كمَن شَبَّه حتى كأنه يعبد صنمًا، أو عَطَّل كأنه يعبد عدمًا.

٦- تسميته سبحانه بما لم يسمِّ به نفسه وإن كان من الأسماء المستحسنة في العقول؛ فإنه يعد من الإلحاد؛ لأن أسماء الله سبحانه توقيفية.

٧- وصف الله سبحانه بما لم يصف به نفسه ولو ساغ في العقول فإنه إلحاد؛ لأنه لا يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو بما وصفه به رسوله ﷺ؛ لأن صفاته تعالى توقيفية(١).

الثانية: الإلحاد في الآيات:

الآيات جمع آية، وهي في اللغة: العلامة.

وشرعًا: كل ما يدل على ذات الله وأسمائه وصفاته.

وهي نوعان: آيات شرعية، وآيات كونية:

❊ فالآيات الشرعية: هي ما جاءت به الرسل، قال ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر**»(٢).

❊ والآيات الكونية: هي المخلوقات، قال الله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧].

الإلحاد في الآيات الشرعية:

يقع الإلحاد في الآيات الشرعية بأحد ثلاثة أشياء:

١- بتكذيبها، كفعل مشركي قريش الذين قالوا عن آيات الله بأنها ﴿أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

٢- بتحريفها، كحال الرافضة والجهمية وأضرابهم.

٣- بمخالفتها وعصيانها بترك مأمور، أو فعل محظور، كحال العصاة

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٩٨-٢٩٩)، القواعد المثلى (ص١٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح٤٩٨١)، ومسلم (ح١٥٢).

والفساق، وعلى هذا فالفساق ملحدون؛ لأنهم مائلون عما يجب عليهم في آيات الله الشرعية، وهذا يختلف عن مفهوم الإلحاد المتعارف عليه اليوم حيث يطلق على نفي وجود الله جل وعلا[(١)].

الإلحاد في الآيات الكونية:

وهو ثلاثة أنواع:

١- إنكار أن يكون الله هو الخالق لها، ومن ذلك خرافة ما يسمى بـ(التوالد الذاتي)[(٢)].

٢- إضافتها إلى غيره سبحانه، كالمجوس الثنوية القائلين بالأصلين (النور والظُّلْمة).

٣- اعتقاد أن لله تعالى فيها شريكًا أو معينًا، كالمشركين الذين ينسبون بعض التدبير إلى غير الله عز وجل[(٣)].



(١) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، لابن عثيمين (ص٢٢).

(٢) وقد سقطت هذه النظرية بالدليل العلمي القاطع والتجربة العلمية على يد العالم الفرنسي باستير، وقد سبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن شبهات الإلحاد المعاصر. وانظر: العقيدة في الله، لعمر الأشقر (ص٤٦-٤٧).

(٣) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، لابن عثيمين (ص٢٢).



المبحث الحادي عشر

ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات

للإيمان بأسماء الله وصفاته ثمرات جامعة لخيري الدنيا والآخرة، يقول العز بن عبد السلام: «اعلم أن معرفة الذات والصفات مثمرة لجميع الخيرات العاجلة والآجلة، ومعرفة كل صفة من الصفات يثمر حالًا عليَّة، وأقوالا سنيَّة، وأفعالًا رضية، ومراتب دنيوية، ودرجات أخروية.

فمثل معرفة الذات والصفات ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ - وهو معرفة الذات - ثابت بالحجة والبرهان، ﴿وَفَرْعُهَا﴾ -وهو معرفة الصفات- ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤] مجدًا وشرفًا، ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ﴾ من الأحوال والأقوال ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥] وهو خالقها؛ إذ لا يحصل شيء من ثمارها إلا بإذنه وتوفيقه، منبت هذه الشجرة القلب الذي إن صلح بالمعرفة والأحوال صلح الجسد كله»[(١)].

ومن هذه الثمرات:

أولًا: معرفة الله تعالى:

تحقيق معرفة الله تعالى يتم بمعرفة أسمائه وصفاته، قال قوام السنة الأصفهاني: «قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله تعالى على خلقه

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبد السلام (ص٢٠).

معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه، قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته»[(١)].

وقال ابن القيم: «لا يستقر للعبد قدم في المعرفة -بل ولا في الإيمان- حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله، ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتعرفها: هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان وثمرة شجرة الإحسان، فضلا عن أن يكون من أهل العرفان»[(٢)].

۞ ثانيًا: تحقيق العبودية:

بمعرفة الله من خلال أسمائه وصفاته يتحقق للعبد ثمار هذه المعرفة من محبته جل وعلا والخوف منه ورجائه والتوكل عليه، وهذا عين السعادة، **ومن ذلك:**

أ- فهم معاني أسمائه وصفاته وسيلة إلى معاملته بثمراتها، قال العز بن عبد السلام: «فهم معاني أسماء الله وسيلة إلى معاملته بثمراتها من: الخوف، والرجاء، والمهابة، والمحبة، والتوكل، وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات»[(٣)]، وقال أيضًا: «ذكر الله بأوصاف الجمال موجب للرحمة، وبأوصاف الكمال موجب للمهابة، وبالتوحد بالأفعال موجب للتوكل، وبسعة الرحمة موجب للرجاء، وبشدة النقمة موجب للخوف، والتفرد بالإنعام موجب للشكر»[(٤)].

ب- معرفة أسمائه وصفاته تدعو إلى محبته وخوفه ورجائه، يقول الشيخ السعدي: «معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته، وخوفه ورجائه، وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٣٣-١٣٤).
(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٢٤).
(٣) شجرة المعارف والأحوال (ص٦٧).
(٤) شجرة المعارف والأحوال (ص٧٤).

بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه في فهم معانيها»[(١)].

جـ- أكمل الناس عبودية هو المتعبد بجميع الأسماء والصفات الذي لا يحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، قال ابن القيم: «أكمل الناس عبودية المتعبِّد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع، أو عبودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم، أو التعبد بأسماء التودد، والبر، واللطف، والإحسان عن أسماء العدل، والجبروت، والعظمة، والكبرياء ونحو ذلك، وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها»[(٢)].

د- «لكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح، فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا، وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته

(١) تفسير السعدي (ص٣٥).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٢٠).

توجب له سعة الرجاء، وتثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه، وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها، وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات»[(١)].

۞ ثالثًا: زيادة الإيمان:

قال السعدي: «معرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها، ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان ورَوْحه، وأصله وغايته؛ فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه، وقوي يقينه، فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، وتكون معرفته سالمة من داء التعطيل ومن داء التمثيل اللذين ابتلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ، بل تكون المعرفة متلقاة من الكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه وقوة يقينه، وطمأنينة في أحواله»[(٢)].

۞ رابعًا: محبة الله:

إن الإيمان بأسماء الله وصفاته يورث المؤمن محبة الله سبحانه وتعالى، «فكل اسم من أسمائه وصفة من صفاته يستدعي محبة خاصة، فإن أسماءه كلها حسنى وهي مشتقة من صفاته، وأفعاله دالة عليها، فهو المحبوب المحمود على كل

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٩٠)، وانظر: طريق الهجرتين (ص٤٣)، ومدارج السالكين (١/ ٤٢٠).

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص٧٢).

ما فعل وعلى كل ما أمر، إذ ليس في أفعاله عبث، وليس في أوامره سَفَهٌ، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة، وكل واحد من ذلك يستوجب الحمد والثناء والمحبة عليه... فأعرف خلقه به وأحبهم له ﷺ، يقول: «**لا أحصي ثناء عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك**»[(١)]، ولو شهد بقلبه صفة واحدة من أوصاف كماله لاستدعت منه المحبة التَّامة عليها، وهل مع المؤمنين محبة إلا من آثار صفات كماله؟ فإنهم لم يروه في هذه الدَّار، وإنما وصل إليهم العلم بآثار صفاته وآثار صنعه، فاستدلوا بما علموه على ما غاب عنهم، فلو شاهدوه ورأوا جلاله وجماله وكماله سبحانه وتعالى لكان لهم في حبه شأن آخر، وإنما تفاوتت منازلهم ومراتبهم في محبته على حسب تفاوت مراتبهم من معرفته والعلم به، فأعرفهم بالله أشد حبًّا له»[(٢)].

وقال ابن الجوزي: «وعلى قدر رؤية الصانع في المصنوع يقع الحب له، فإن قوي أوجب قلقًا وشوقًا، وإن مال بالعارف إلى مقام الهيبة أوجب خوفًا، وإن انحرف به إلى تلمح الكرم، أوجب رجاء قويًّا ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠]»[(٣)].

وقال ابن القيم: «ولما كان سبحانه يحب أسماءه وصفاته كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت لأن اتصافه بها ظلم، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه، لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من ربقة العبودية ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحدَّه»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (ح٤٨٦).
(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣١٨).
(٣) صيد الخاطر (ص٥٩).
(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص١٢٩-١٣٠)

۞ خامسًا: خشيته سبحانه:

قال ابن القيم: «ومن علامات المعرفة الهيبة، فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، أي: العلماء به، وقال النبي ﷺ: «**أنا أعرفكم بالله، وأشدكم له خشية**»[١]، ومن عرف الله صَفَا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله، واستوحش من الناس، وأورثته المعرفة الحياء من الله، والتعظيم له، والإجلال، والمراقبة، والمحبة، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والرضا به، والتسليم لأمره»[٢].

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر»[٣].

ولهذا قال بعض السلف: «من كان بالله أعرف كان من الله أخوف»[٤].

۞ سادسًا: الرضا:

قال ابن الجوزي: «إن الرضا من جملة ثمرات المعرفة، فإذا عرفته رضيت بقضائه، وقد يجري في ضمن القضاء مرارات، يجد بعض طعمها الراضي، أما العارف فتقل عنده المرارة لقوة حلاوة المعرفة، فإذا ترقى بالمعرفة إلى المحبة، صارت مرارة الأقدار حلاوة»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦١٠١)، ومسلم (ح٢٣٥٦) عن عائشة رضي الله عنها صنع النبي ﷺ شيئًا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخطب فحمد الله، ثم قال: «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية**».

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص٤٠٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٨٢).

(٤) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٧٢٨).

(٥) صيد الخاطر (ص١٠٩-١١٠).

۞ سابعًا: حصول الطمأنينة:

قال ابن القيم: «وحقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة أن تطمئن في باب معرفة أسمائه وصفاته ونعوت كماله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله فتتلقاه بالقَبول والتسليم والإذعان وانشراح الصدر له، وفرح القلب به؛ فإنه معرِّف من معرِّفات الرب سبحانه إلى عبده على لسان رسوله، فلا يزال القلب في أعظم القلق والاضطراب في هذا الباب حتى يخالط الإيمانُ بأسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه وتكلمه بالوحي بشاشة قلبه، فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش، فيطمئن إليه ويسكن إليه ويفرح به ويلين له قلبه ومفاصله، حتى كأنه شاهد الأمر كما أخبرت به الرسل، بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس في الظهيرة لعينه، فلو خالفه في ذلك مَن بَيْن شرق الأرض وغربها لم يلتفت إلى خلافهم، وقال إذا استوحش من الغربة: قد كان الصدِّيق الأكبر مطمئنًّا بالإيمان وحده، وجميع أهل الأرض يخالفه، وما نقص ذلك من طمأنينته شيئًا، فهذا أول درجات الطمأنينة، ثم لا يزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه، وهذا أمر لا نهاية له، فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان التي قام عليه بناؤه»[(١)].

۞ ثامنًا: حسن الظن بالله:

يقول ابن القيم: «وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته، فمن قنط من رحمته وأيس من رَوحه، فقد ظن به ظن السوء، ومن جوز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه، فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أن يترك خلقه سدًى معطلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسله، ولا ينزل

(١) الروح (ص٢٢١).

عليهم كتبه، بل يتركهم هَمَلًا كالأنعام، فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته، ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقد ظن به ظن السوء»[(١)].

۞ تاسعًا: السلامة من الحسد والكبر:

قال ابن القيم: «لو عرف ربه بصفات الكمال ونعوت الجلال وعرف نفسه بالنقائص والآفات لم يتكبر ولم يغضب لها ولم يحسد أحدًا على ما آتاه الله»[(٢)].

۞ عاشرًا: إحصاء الأسماء الحسنى أصل للعلم بكل معلوم:

العلم بأسماء الله وصفاته هو أساس العلم؛ لأن العلم يرجع إلى أصلين: الأول: العلم بفعله وخلقه، **والثاني:** العلم بأمره وشرعه، وهما مرتبطان بأسمائه الحسنى، قال ابن القيم: «إحصاءُ الأسماء الحسنى والعلمُ بها أصلٌ للعلم بكل معلوم؛ فإنَّ المعلومات سواه إمَّا أن تكون خلقًا له تعالى أو أمرًا، إمَّا علمٌ بما كوَّنه، أو علمٌ بما شرعه، ومصدرُ الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه، فالأمرُ كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسنٌ لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كلُّه مصلحةٌ وحكمةٌ ورحمةٌ ولطفٌ وإحسانٌ، إذ مصدرهُ أسماؤه الحسنى، وفعله كلُّه لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة، إذ مصدره أسماؤه الحسنى، فلا تفاوت في خلقه ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلًا ولا سدًى ولا عبثًا، وكما أَنَّ كل موجودٍ سواه فبإيجاده، فوجود من سواه تابعٌ لوجوده تَبَعَ المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلمُ به أصلٌ للعلم بكل ما سواه»[(٣)].

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٠٦).
(٢) الفوائد (ص١٥٨).
(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٦-٢٨٧).

۞ حادي عشر: الاتصاف بمقتضيات صفاته سبحانه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن من أسمائه وصفاته ما يحمد العبد على الاتصاف به كالعلم والرحمة والحكمة وغير ذلك ومنها ما يذم العبد على الاتصاف به كالإلهية والتجبر والتكبر»[١].

وقال ابن القيم: «أحب الخلق إليه من اتصف بمقتضيات صفاته، فإنه كريم يحب الكريم من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال... وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعفوٌّ يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم، ولطيف يحبُّ اللطيف من عباده»[٢]. وقال أيضًا: «وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته، فهو عليم يحب كل عليم، جواد يحب كل جواد، وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال، عفوٌّ يحب العفو وأهلَه، حييٌّ يحب الحياء وأهله، بَرٌّ يحب الأبرار، شكورٌ يحب الشاكرين، صبورٌ يحب الصابرين، حليمٌ يحب أهل الحلم، فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة، والعفو والصفح خلق من يغفر له، ويتوب عليه ويعفو عنه، وقَدَّر عليه ما يقتضي وقوع المكروه والمبغوض له، ليترتب عليه المحبوبُ له المرضي له، فتوسطه كتوسط الأسباب المكروهة المفضية إلى المحبوب»[٣].

وقال الغزالي: «حظُّ العبد من اسم (الرحمن) أن يرحم عباد الله الغافلين، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله عز وجل بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإزراء[٤]، وأن يكون كل معصية تجري في العالم كمصيبة له في نفسه، فلا يألو جهدًا في إزالتها بقدر

(١) الصفدية (٢/ ٣٣٨).
(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص٣٤-٣٥). (٣) مدارج السالكين (١/ ٤٢٠-٤٢١).
(٤) **العصاة لنا فيهم نظران: الأول**: من جهة القدر، نرحمهم ونشفق عليهم.
الثاني: من جهة الشرع، يؤدبون بما يقتضيه الشرع. انظر: الحموية، لابن تيمية (ص٥٥٥).

وسعه رحمة لذلك العاصي؛ أن يتعرض لسخط الله ويستحقَّ البُعد من جواره»[١].

۞ ثاني عشر: دعاؤه بأسمائه الحسنى:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولا يتحقق الدعاء بها إلا بمعرفتها، قال ابن أبي العز: «قال ابن عقيل: قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، **وفي ذلك معان:**

أحدها: الوجود، فإن من ليس بموجود لا يدعى.

الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى»[٢].

قال ابن القيم: «والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها»[٣].

۞ ثالث عشر: الفوز بجنته جل وعلا:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»[٤]، ففي إحصاء هذه الأسماء[٥] الوصول لأعظم مطلوب وهو دخول الجنة.

(١) المقصد الأسنى (ص٦٤).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٧٨).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٢١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق بيان المراد بإحصائها.



المبحث الثاني عشر

أبرز الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة

في توحيد الأسماء والصفات والرد عليهم إجمالًا

۞ أولًا: أهل التشبيه والتجسيم، وهم أصناف:

١- الرافضة:

نشأت بدعة التجسيم والتشبيه في الإسلام من قِبَل الرافضة، وأول من قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم الرافضي الذي تنسب له فرقة الهشامية[(١)]، وتبعهم آخرون من الرافضة كاليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي[(٢)]، والهشامية أتباع هشام بن سالم الجواليقي[(٣)]، قال الرازي: «كان بدوُّ ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض»[(٤)]، وقال أيضًا: «أول من أظهر هذه المقالة [الحلول] في الإسلام الروافض؛ فإنهم ادَّعوا الحلول في حق أئمتهم»[(٥)].

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (ص٣١-٢٣).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (ص٥٢-٥٣).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (ص٣٤).

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٦٣-٦٤)، وانظر: التبصير في الدين (ص١١٩)، الملل والنحل (١/ ١٠٨، ١٧٣).

(٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٧٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأول من قال: إن الله جسم هشام بن الحكم الرافضي»[(١)].

وقال أيضًا: «هذه المقالات التي نقلت في التشبيه والتجسيم لم نر الناس نقلوها عن طائفة من المسلمين أعظم مما نقلوها عن قدماء الرافضة، ثم الرافضة حرموا الصواب في هذا الباب كما حرموه في غيره، فقدماؤهم يقولون بالتجسيم الذي هو قول غلاة المجسمة، ومتأخروهم يقولون بتعطيل الصفات موافقة لغلاة المعطلة من المعتزلة ونحوهم، فأقوال أئمتهم دائرة بين التعطيل والتمثيل، لم تعرف لهم مقالة متوسطة بين هذا وهذا»[(٢)].

٢- غلاة الصوفية:

وقع غلاة الصوفية في ضلالة التجسيم، وذلك في قولهم بالحلول والاتحاد، كما جاهر بعضهم بالقول بأن الله ذو أعضاء وجوارح على صورة الإنسان، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا، قال الأشعري: «وفي الأمة قوم ينتحلون النسك يزعمون أنه جائز على الله سبحانه الحلول في الأجسام، وإذا رأوا شيئًا يستحسنونه قالوا: لا ندري لعله ربنا، ومنهم من يقول: إنه يرى الله سبحانه في الدنيا على قدر الأعمال فمن كان عمله أحسن رأى معبوده أحسن، ومنهم من يجوِّز على الله سبحانه المعانقة والملامسة والمجالسة في الدنيا، وجوزوا مع ذلك على الله -تعالى عن قولهم- أن نلمسه، ومنهم من يزعم أن الله سبحانه ذو أعضاء وجوارح وأبعاض، لحم ودم على صورة الإنسان، له ما للإنسان من الجوارح، تعالى ربنا عن ذلك علوًّا كبيرًا»[(٣)].

وقال الرازي: «الخامسة [أي: من الصوفية] الحلولية، وهم طائفة من هؤلاء القوم الذين ذكرناهم يرون في أنفسهم أحوالًا عجيبة، وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر، فيتوهمون أنه قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد،

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٦).
(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٤٢-٢٤٣).
(٣) مقالات الإسلاميين (ص٢٨٨).

فيدعون دعاوى عظيمة»[(١)].

٣- الكرامية:

هم أتباع محمد بن كرام السجستاني، كان يبالغ في إثبات الصفات حتى ينتهي بها إلى التشبيه والتجسيم، قال البغدادي: «إن ابن كرام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته، والجهة التي منها يلاقي عرشه»[(٢)].

وقال الشهرستاني: «الكرَّامية أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، وإنما عددناه من الصفاتية؛ لأنه كان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه»[(٣)].

وقال المقريزي: «الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني وهم طوائف... وكلهم مجسمة»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هم [أي: الكرامية] متفقون على أنه سبحانه جسم، لكن يحكى عنهم نزاع في المراد بالجسم؛ هل المراد به أنه موجودٌ قائمٌ بنفسه، أو المراد به أنه مُرَكَّب؟ فالمشهور عن أبي الهيصم وغيره من نُظَّارهم أنه يفسر مراده بأنه موجود قائم بنفسه مشار إليه، لا بمعنى أنه مؤلَّف مُرَكَّب، وهؤلاء ممن اعترف نفاة الجسم بأنهم لا يكفرون؛ فإنهم لم يثبتوا معنًى فاسدًا في حق الله تعالى، لكن قالوا: إنهم أخطؤوا في تسمية كل ما هو قائم بنفسه، أو ما هو موجود جسمًا»[(٥)].

❋ ❋ ❋

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٧٣).
(٢) الفَرْق بين الفِرق (ص٢٠٣).
(٣) الملل والنحل (١/ ١٠٨).
(٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ١٧٦).
(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٢٨ - ٤٢٩).

الرد على أهل التمثيل:

هذه المقالات باطلة بنص القرآن، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، قال ابن أبي العز الحنفي: «اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله»(١)، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، قال ابن عباس: «يقول: هل تعلم للرب مثلًا أو شبيهًا»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الله سبحانه منزه عن أن يوصف بشيء من الصفات المختصة بالمخلوقين، وكل ما اختص بالمخلوق فهو صفة نقص، والله تعالى منزه عن كل نقص ومستحق لغاية الكمال، وليس له مثل في شيء من صفات الكمال، فهو منزه عن النقص مطلقًا، ومنزه في الكمال أن يكون له مثل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص]، فبين أنه أحد صمد، واسمه الأحد يتضمن نفي المثل، واسمه الصمد يتضمن جميع صفات الكمال»(٣).

وقال أيضًا: «الله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، فبين أنه لم يكن أحد كفوًا له، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ فأنكر أن يكون له سميٌّ، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ففيما أخبر به عن نفسه من تنزيهه عن الكفؤ والسمي والمثل والند وضرب الأمثال له بيان أن لا مثل له في صفاته ولا أفعاله»(٤).

(١) شرح الطحاوية (١/ ٥٧).
(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٥٨٥).
(٣) الصفدية (٢/ ٥٢٩).
(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٥).

۞ ثانيًا: أهل التعطيل:

١- الكُلَّابية:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن كُلَّاب وأتباعه: «هؤلاء معروفون بالصفاتية، مشهورون بمذهب الإثبات، لكن في أقوالهم شيء من أصول الجهمية»(١)، يعني من التعطيل، و«ابن كُلَّاب وأتباعه لم يثبتوا لله أفعالًا تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، بل ولا غير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته»(٢)، فنفوا الصفات الفعلية الاختيارية كالاستواء والمجيء والنزول وغيرها.

فقد «وافق ابن كُلَّاب السلف والأئمة في إثبات الصفات، ووافق الجهمية في نفي قيام الأفعال به تعالى وما يتعلق بمشيئته وقدرته، ولهذا وغيره تكلم الناس فيمن اتبعه كالقلانسي والأشعري ونحوهما، بأن في أقوالهم بقايا من الاعتزال»(٣).

ولا ريب «أن السلف والأئمة كانوا يثبتون لله تعالى ما يقوم به من الصفات والأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته، والجهمية تنكر هذا وهذا، فوافق ابن كلاب السلف على القول بقيام الصفات القديمة، وأنكر أن يقوم به شيء يتعلق بمشيئته وقدرته»(٤).

٢- الأشعرية:

قال الآمدي: «مذهب أهل الحق [الأشاعرة] أن الواجب بذاته مريد بإرادة، عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، وهذه كلها معان وجودية أزلية زائدة على الذات»(٥)، فاتفقوا

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٦)، وانظر: مقالات الإسلاميين (ص٥٤٦)، الملل والنحل (١/ ٩٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢٠).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٩٩).
(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٨).
(٥) غاية المرام في علم الكلام (ص٣٨)، وانظر: المواقف (ص٢٧٩).

على إثبات هذه الصفات السبع.

ثم اختلفوا فيما زاد عليها، قال الإيجي تحت عنوان (المقصد الثامن في صفات اختلف فيها): «هل لله تعالى صفة غير ما ذكرناه[١]، فمنعه بعض أصحابنا مقتصرًا على أنه لا دليل عليه فيجب نفيه، ولا يخفى ضعفه... وأثبت بعض صفاتٍ أخر»[٢]، ثم ذكر إحدى عشرة صفة اختلف فيها، وهي: البقاء، القِدَم، الاستواء، الوجه، اليد، العينان، القدَم، الإصبع، اليمين، التكوين[٣].

ومسألة الصفات بالنسبة للأشاعرة مما اضطربت فيها أقوالهم، «فهناك صفات اتفقوا على إثباتها، مثل الصفات السبع، وهناك صفات اتفقوا على تأويلها، مثل الصفات الاختيارية، وهناك صفات اختلفوا فيها: مثل الصفات الخبرية، ومثل العلو والاستواء، وهذا الاختلاف إما أن يكون بين متقدمي الأشاعرة ومتأخريهم، أو عند الفرد الواحد، حيث يميل مرة إلى الإثبات ومرة إلى التأويل، وإن كان الذي استقر عليه المذهب يغلب عليه التأويل»[٤].

٣- الماتريدية:

ومذهبهم في الصفات قريب من مذهب الأشاعرة، فهم يثبتون الصفات السبع التي أثبتها الأشاعرة، وزادوا عليها صفة التكوين، قال البياضي الماتريدي -في كتابه (إشارات المرام) أحد المصادر الماتريدية: «الصفات الثبوتية عندنا ثمانية: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، والتكوين»[٥].

❋ ❋ ❋

(١) أي: من الصفات السبع.
(٢) المواقف (ص٢٩٦).
(٣) انظر: المواقف (ص٢٩٦-٢٩٩).
(٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٠٢٩).
(٥) إشارات المرام من عبارات الإمام (ص١١٤)، وانظر: الفقه الأكبر (ص١٤-١٦)، بحر الكلام، لأبي المعين النسفي (ص١٠٤).

الرد عليهم من وجوه:

هذه الطوائف من الكلابية والأشعرية والماتريدية يقوم مذهبهم في باب الصفات على إثبات بعضها وتأويل الباقي، **والرد عليهم من وجوه:**

الوجه الأول: يقال لهم: أنتم متناقضون حيث فرقتم بين الصفات، فأثبتم بعضها ونفيتم حقائق أكثرها؛ إذ لا فرق بين ما نفيتم وما أثبتم؛ لأن القول في بعض الصفات كالقول في بعض، والتفريق بينها تفريق بين المتماثلات، والتفريق بين المتماثلات كالتسوية بين المختلفات؛ كلاهما باطل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تناقضهم فيما ذهبوا إليه: «فإن كان المخاطب ممن يقر بأن الله حي بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة. ويجعل ذلك كله حقيقة، وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته، فيجعل ذلك مجازًا، ويفسره إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات. قيل له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر، فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين، فكذلك محبته ورضاه وغضبه، وهذا هو التمثيل، وإن قلت: له إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به. قيل لك: وكذلك له محبة تليق به، وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به.

وإن قال: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام. **قيل له:** والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة. **فإن قلت:** هذه إرادة المخلوق. **قيل لك:** وهذا غضب المخلوق.

وكذلك يلزم بالقول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته، إن نفى عنه الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك ما هو من خصائص المخلوقين، فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات. **وإن قال:** إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه. **قيل له:** وهكذا السمع والبصر

والكلام والعلم والقدرة»[١].

الوجه الثاني: يحتج على الأشعرية والكلابية والماتريدية بنفس حججهم على خصومهم من المعتزلة الذين ينفون جميع الصفات، فإذا قال المعتزلة لهم: ليس لله إرادة؛ لأن الإرادة لا تقوم إلا بالمخلوق، فيردون عليهم بقولهم: الإرادة الثابتة لله تعالى لا تماثل إرادة المخلوق، وهكذا يرد أهل السنة المثبتون لسائر الصفات على من أثبت بعضها ونفى الباقي، كالوجه واليدين والمحبة والرضا والغضب ونحو ذلك[٢].

الوجه الثالث: بطلان استدلالهم بنفس حجتهم على مخالفيهم، فإن قال الأشعري ومن سلك مسلكه: أنا غير متناقض، وإنما أثبت سبع صفات دون غيرها؛ لأن العقل قد دل عليها دون سواها، ووجه ذلك: أن إيجاد المخلوقات يدل على القدرة، وتخصيص بعضها بما يختص به يدل على الإرادة، وإحكامها يدل على العلم، وهذه الصفات (القدرة، والإرادة، والعلم) تدل على الحياة؛ لأنها لا تقوم إلا بحي، والحي إما أن يتصف بالكلام والسمع والبصر وهذه صفات كمال، أو بضدها وهو الخرس والصمم والعمى، وهذه صفات ممتنعة على الله تعالى، فوجب ثبوت الكلام، والسمع، والبصر.

فيرد على هذا الاستدلال من وجهين:

الأول: على سبيل التسليم بحجتهم، فيقال لهم: سلمنا أن العقل لم يدل إلا على هذه الصفات السبع، لكنه لا يدل على نفي ما عداها؛ لأنها ثبتت بدليل آخر، وهو الدليل السمعي؛ فإن مجرد عدم دلالة العقل على إثبات صفة لا يكفي دليلا على نفيها، بل لا بد من دليل على النفي؛ لأنه من المقرر أن النافي عليه الدليل، كما أن المثبت عليه الدليل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «عدم الدليل المعين [وهو الدليل العقلي] لا يستلزم عدم المدلول المعين [وهو إثبات سائر الصفات]، فهب أن ما سلكته من الدليل العقلي لا يثبت ذلك فإنه

---

(١) التدمرية (ص٣١-٣٣).

(٢) انظر: التدمرية (ص٣١-٣٣).

لا ينفيه، وليس لك أن تنفيه بغير دليل؛ لأن النافي عليه الدليل، كما على المثبت، والسمع قد دل عليه [أي: على بقية الصفات]، ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي، فيجب إثبات ما أثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم»[(١)].

الثاني: على سبيل المعارضة، وعدم التسليم بأن العقل لم يدل إلا على هذه الصفات السبع، فيقال لهم: «يمكن إثبات هذه الصفات [يعني الصفات التي لا يثبتها الأشعري] بنظير ما أثبتَّ به تلك [الصفات السبع] من العقليات، فيقال: نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة، كدلالة التخصيص على المشيئة، وإكرام الطائعين يدل على محبتهم، وعقاب الكفار يدل على بغضهم، كما قد ثبت بالشاهد والخبر من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه، والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته - وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة - تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على المشيئة وأولى، لقوة العلة الغائية، ولهذا كان ما في القرآن من بيان ما في مخلوقاته من النعم والحكم أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة»[(٢)]، فثبتت صفة الرحمة والمحبة والبغض والحكمة بدليل عقلي، وبطل حصر الدليل العقلي بالصفات السبع دون غيرها.

الوجه الرابع: خطأ منهجهم، وذلك من ثلاثة أوجه:

الأول: «أن الرجوع إلى العقل في هذا الباب مخالف لما كان عليه سلف الأمة من الصحابة، والتابعين، وأئمة الأمة من بعدهم، فما منهم أحد رجع إلى العقل في ذلك، وإنما يرجعون إلى الكتاب والسنة، فيثبتون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسله إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا

(١) التدمرية (ص٣٣-٣٤).
(٢) التدمرية (ص٣٤-٣٥).

تعطيل، قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: «نصف الله بما وصف به نفسه، ولا نتعدى القرآن والحديث»[(١)].

الثاني: «أن الرجوع إلى العقل في هذا الباب مخالف للعقل؛ لأن هذا الباب من الأمور الغيبية التي ليس للعقل فيها مجال، وإنما تتلقى من السمع، فإن العقل لا يمكنه أن يدرك بالتفصيل ما يجب ويجوز ويمتنع في حق الله تعالى؛ فيكون تحكيم العقل في ذلك مخالفًا للعقل»[(٢)].

الثالث: «أن الرجوع في ذلك إلى العقل مستلزم للاختلاف والتناقض، فإن لكل واحد منهم عقلًا يرى وجوب الرجوع إليه كما هو الواقع في هؤلاء، فتجد أحدهم يثبت ما ينفيه الآخر، وربما يتناقض الواحد منهم فيثبت في مكان ما ينفيه أو ينفي نظيره في مكان آخر، فليس لهم قانون مستقيم يرجعون إليه»[(٣)].

٤- المعتزلة:

ينفي المعتزلة جميع معاني صفات الله تعالى، فهم يقولون: إنه حي عليم قدير، وينكرون اتصافه بالحياة والعلم والقدرة، قال ابن المرتضى: «أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدِثًا قديمًا قادرًا عالمًا حيًّا، لا لمعانٍ»[(٤)].

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن القول في الصفات كالقول في الأسماء، فلا فرق بين إثبات الأسماء وإثبات الصفات، فإن كان إثبات الصفات يستلزم التشبيه، فكذلك إثبات الأسماء، والتفريق بينهما تناقض، والتناقض دليل بطلان المذهب،

(١) تقريب التدمرية (ص٢٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تقريب التدمرية (ص٢٥-٢٦).

(٤) طبقات المعتزلة (ص٧)، وانظر: شرح الأصول الخمسة (ص١٩٥- ١٩٦) بتصرف، مقالات الإسلاميين (ص٤٨٣)، شرح الطحاوية (١/ ٢٤).

يقول الشيخ محمد بن عثيمين في تقرير هذا الوجه: «إن الله تعالى سمى نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات، فإن كان إثبات الصفات يستلزم التشبيه فإثبات الأسماء كذلك، وإن كان إثبات الأسماء لا يستلزم التشبيه فإثبات الصفات كذلك، والتفريق بين هذا وهذا تناقض، فإما أن يثبتوا الجميع فيوافقوا السلف، وإما أن ينفوا الجميع فيوافقوا غلاة الجهمية والباطنية، وإما أن يفرقوا فيقعوا في التناقض»[(١)].

الثاني: هذا القول معلوم الفساد بالضرورة؛ فإن إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج، وإنما الذهن قد يفرض المحال ويتخيله وهذا غاية التعطيل[(٢)].

الثالث: هذا القول قد أفضى بقوم إلى القول بالحلول أو الاتحاد، وهو أقبح من كفر النصارى، فإن النصارى خصوه بالمسيح، وهؤلاء عموا جميع المخلوقات[(٣)].

الرابع: أن كل ما يحتج به من نفى الصفات كالمعتزلة، يحتج به نافي الأسماء الحسنى كالجهمية، فما كان جوابًا للمعتزلة على الجهمية كان جوابًا من أهل السنة على المعتزلة[(٤)]، «فالحجة التي نفى بها المعتزلي الصفات يحتج بها الجهمي على نفي الأسماء، وما يرد به المعتزلي على الجهمي لنفيه الأسماء، يرد به أهل السنة والجماعة على المعتزلي لنفيه الصفات»[(٥)].

الخامس: «أن الله تعالى وصف أسماءه بأنها حسنى، وأمرنا بدعائه بها فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهذا يقتضي أن تكون دالة على معانٍ عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا، ولا يصح خلوها عنها، ولو

(١) تقريب التدمرية (ص٢٩)، وانظر: التدمرية (ص٣٥).
(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٥).
(٣) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٥).
(٤) انظر: التدمرية (ص٣٥).
(٥) شرح التدمرية، للشيخ عبد الرحمن البراك (ص١٥٦).

كانت أعلامًا محضة؛ لكانت غير دالة على معنى سوى تعيين المسمى، فضلًا عن أن تكون حسنى ووسيلة في الدعاء»[(١)].

السادس: أن الله تعالى أثبت لنفسه الصفات إجمالًا وتفصيلًا مع نفي المماثلة فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وهذا يدل على أن إثبات الصفات لا يستلزم التمثيل، ولو كان يستلزم التمثيل لكان كلام الله متناقضًا»[(٢)].

٥- الجهمية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «جهم كان ينكر أسماء الله تعالى، فلا يسميه شيئًا[(٣)] ولا حيًّا، ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز، قال: لأنه إذا سُمِّي باسم تسمى به المخلوق كان تشبيهًا»[(٤)].

وقال السمعاني: «كان يزعم أن الله ﷻ لا يوصف بأنه شيء، ولا بأنه حي عالم، ولا يوصف بما يجوز إطلاق بعضه على غيره، وزعم أن تسميته شيئًا، وتسمية غيره شيئًا توجب التشبيه بينه وبين غيره، وكذلك تسميته حيًّا وعالمًا، وتسمية غيره بذلك توجب التشبيه بينه وبين من سمي بذلك من المخلوقين، وأطلق عليه اسم القادر؛ لأنه لا يسمي أحدًا من المخلوقين قادرًا من أجل نفيه

(١) تقريب التدمرية (ص٢٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) قد يصف الجهمية الله أنه شيء، لكنهم يقولون: لا كالأشياء، فتكون المحصلة نفي الذات= = بالكلية، قال الإمام أحمد: «وقلنا: هو شيء. فقالوا: هو شيء لا كالأشياء. فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء، فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء، ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العلانية». انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص٩٩).

(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣١١). وانظر: الإبانة عن أصول الديانة (ص١٤٣)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص١١٨، ١٢١، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٥)، الفرق بين الفرق (ص١٩٩)، الملل والنحل (١/ ٨٦)، درء تعارض العقل والنقل (٥/ ١٧٨)، التدمرية (ص١٨٣)، مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٢).

استطاعة العباد واكتسابهم، وفي هذا القول إبطال أكثر ما ورد به القرآن من أسماء الله تعالى؛ كالعليم، والحي، والبصير، والسميع، ونحو ذلك»[١].

الرد عليهم:

يقوم مذهب الجهمية على دعوى أن إثبات الأسماء والصفات يستلزم التشبيه، **والرد على هذه الشبهة من وجوه:**

الأول: «على فرض التسليم بأن هذه الأسماء والصفات يستلزم التشبيه بالموجودات، فيقال: ونفي الأسماء والصفات يستلزم التشبيه بالمعدومات، وهو أقبح من التشبيه بالموجودات»[٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هؤلاء كلهم وقعوا من جنس التشبيه فيما هو شر مما فروا منه، فإنهم شبهوه بالممتنعات والمعدومات والجمادات فرارًا من تشبيههم -بزعمهم- له بالأحياء»[٣].

الثاني: «الجواب بالمنع، وهو أنه لا يلزم من اتفاق المسمَّيين في بعض الأسماء والصفات عند الإطلاق التشبيه الذي نفته الأدلة العقلية والنقلية، فالاتفاق في القدر المشترك والمعنى الكلي عند الإطلاق لم تنفه الأدلة، ولا يستلزم التشبيه، وإنما المنفي ما يستلزم اشتراكهما فيما يختص به الخالق أو المخلوق»[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه الصفات الثابتة لله لا تثبت له على حد ما يثبت لمخلوق أصلًا، وهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله»[٥].

الثالث: «لا فرق بين إثبات الذات وإثبات الصفات، فإذا لم يكن في إثبات الذات إثبات مماثلة للذوات لم يكن في إثبات الصفات إثبات مماثلة له في

---

(١) الأنساب (٣/ ٤٣٧-٤٣٨)، وانظر: الفرق بين الفرق (ص١٩٩)، الملل والنحل (١/ ٨٦).
(٢) شرح التدمرية، للبراك (ص١٢٧).
(٣) التدمرية (ص١٨٣-١٨٤).
(٤) شرح التدمرية، للبراك (ص١٢٨).
(٥) التدمرية (ص١٨٤).

ذلك»[١].

الرابع: أن نفي الأسماء والصفات يتضمن نفي الذات؛ لأنه لا يتصور وجود ذات مجردة من الأسماء والصفات[٢].

الخامس: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التحقيق: أن التجهم المحض، وهو نفي الأسماء والصفات كما يحكى عن جهم، والغالية من الملاحدة، ونحوهم ممن نفى أسماء الله الحسنى كفر بين، مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول، وأما نفي الصفات مع إثبات الأسماء كقول المعتزلة، فهو دون هذا، لكنه عظيم أيضًا»[٣].

٦- الفلاسفة:

يقوم مذهب الفلاسفة وأتباعهم على الأصول التالية[٤]:

١- أن الله جل وعلا موصوف بالسلوب[٥] والإضافات[٦]، دون صفات الإثبات، ومن المعلوم أن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض يوصف به المعدوم والممتنع.

٢- أنهم جعلوا الله تعالى هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وقد عُلم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن، لا فيما خرج عنه من

---

(١) المصدر السابق.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٤٨).
(٣) النبوات (١/ ٥٧٨).
(٤) انظر: التدمرية (ص١٧)، الصفدية (٢/ ٦٦).
وانظر تفصيل مذهب الفلاسفة في: مقالات الإسلاميين (ص٤٨٥)، الملل والنحل (٢/ ١٨٣)، الرسالة النيروزية، لابن سينا (ص١٣٥)، ضمن تسع رسائل في الحكم، الشفا (قسم الإلهيات) (ص٣٥٤)، وانظر: النجاة (ص٢٤٩، ٢٥١)، آراء أهل المدينة الفاضلة، للفارابي (ص٣٥).
(٥) السلوب جمع سلب، وهو النفي، يعني أن مذهبهم يقوم على نفي أسماء الله وصفاته.
(٦) الإضافات جمع إضافة، ويعنون بها أن أسماء الله وصفاته مضافة إلى الله، من قبيل إضافة المخلوق إلى خالقه، «ولهذا يقول كثير منهم: إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول: آيات الصفات وأحاديث الصفات» (انظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٤١٢).

الموجودات، فيستلزم مذهبهم نفي وجود الله تعالى.

٣- أنهم جعلوا الصفة هي الموصوف، فجعلوا العلم عين العالم، وهذا باطل ضرورة، ولهذا وصف شيخ الإسلام هذا المذهب بأنه «مكابرة للقضايا البديهيات».

٤- أنهم جعلوا هذه الصفة هي الأخرى، فلم يميزوا بين العلم والقدرة والمشيئة جحدًا للعلوم الضروريات، فمن العلم الضروري التفريق بين العلم والقدرة، وهذا لا يحتاج إلى نظر واستدلال.

وبهذا يتبين بطلان مذهبهم.

٧- الإسماعيلية الباطنية:

وهم أكثر الطوائف نفيًا وتعطيلًا لأسماء الله وصفاته، يقول شيخهم إبراهيم الحامدي: «فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة»[(١)].

وبلغ بهم الإلحاد في أسمائه وصفاته إلى أن قالوا ببطلان كونه أيسًا، يعني موجودًا، وإنما عبروا بهذا المصطلح -كما يرى بحق د. عبد الرحمن بدوي[(٢)]- حتى لا يصدموا مشاعر المسلمين، فاستعملوا كلمة (أيس) بدل (وجود)، وقالوا ببطلان كونه أيسًا[(٣)]، يعني موجودًا.

ويقول د. محمد كامل حسين -المتخصص في الدراسات الإسماعيلية[(٤)]: «تراهم قد جردوا الله سبحانه وتعالى... من الأسماء والصفات... فأسماء الله الحسنى التي نسبها لنفسه في القرآن الكريم لا تقال لله تعالى، بل جعلوها للعقل الكلي الذي تحدث عنه الفلاسفة، ووصفوا العقل الكلي بكل صفات الكمال على نحو ما ذكره الفلاسفة الأقدمون تمامًا، وصبغوا هذه الآراء

(١) كنز الولد (ص١٣-١٤)، وانظر: راحة العقل (ص١٣٥، ١٤٧).
(٢) انظر: مذاهب الإسلاميين (ص٩٦٦).
(٣) انظر: راحة العقل (ص١٣٢).
(٤) انظر: مقدمة كتاب طائفة الإسماعيلية، د. أحمد عزت عبد الكريم (ص: هـ).

والأقاويل القديمة بالصبغة الإسلامية»[(١)].

وقال الشهرستاني: «إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج، فقالوا في الباري تعالى: إنا لا نقول: هو موجود، ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات»[(٢)].

الرد عليهم:

أن هذا المذهب يكفي مجرد عرضه لمعرفة بطلانه، **ويكفي في بيان بطلانه أمران:**

١- أنهم وقعوا في شرٍّ مما فروا منه، ففروا من تشبيهه بالموجودات والمعدومات فشبهوه بالممتنعات؛ إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين، كلاهما من الممتنعات في بدائه العقول.

٢- أنهم خالفوا ما علم بالاضطرار من أن الموجود لا بد له من موجِد، واجب بذاته، غني عما سواه، قديم، أزلي، لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم، فوصفوه بما يمتنع وجوده، فضلًا عن الوجوب أو الوجود أو القِدَم[(٣)].



(١) طائفة الإسماعيلية (ص١٥٧-١٥٨).

(٢) الملل والنحل (١/ ١٩٢-١٩٣).

(٣) انظر: التدمرية (ص١٦-١٧).



ملخص الفصل الثالث

❑ **توحيد الأسماء والصفات:** هو إفراد الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا الواردة في الكتاب والسنة؛ لا شريك له في ذلك، ولا مثيل، والاسم: ما دل على الذات والصفة. والصفة: هي ما يقوم بالذات من نعوت الكمال.

❑ **دل على إثبات توحيد الأسماء والصفات لله تعالى القرآن والسنة والعقل والفطرة:** أما القرآن فقد دل على أسماء الله وصفاته بأربعة أنواع: ١- الإثبات المجمل، ٢- الإثبات المفصل، ٣- النفي المجمل، ٤- النفي المفصل. وأما السنة فأحاديث كثيرة جدًّا، ودلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة من ثلاثة أوجه: ١- التصريح بالصفة، ٢- تضمن الاسم لها، ٣- التصريح بفعل أو وصف دال عليها. وأما العقل فقد دل على إثبات صفات الله تعالى على سبيل الإجمال، ووجه الاستدلال بالعقل: أنه لا يتصور إثبات ذات مجردة عن الصفات. وأما الفطرة فإن الله جل جلاله قد أودع في الفطر التي لم تتنجس بالتعطيل والجحود: أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص، ولأن كل كمال في المخلوق فالخالق أولى به؛ لأنه يمتنع أن يكون فاعل الكمال عاريًا منه.

❑ **منهج أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته إجمالًا كما يلي:** ١- وصف الله ﷻ بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ٢- لا ينفون ما وصف الله به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ٣- ما لم يرد فيه نص -كالجسم والعرض والجوهر- يتوقفون فيه؛ فلا يثبتون لعدم ورود الدليل المثبت، ولا ينفون لعدم الدليل النافي، ويستفصلون عن المعنى.

❑ **قواعد أهل السنة في أسماء الله تعالى:** ١- أسماء الله تعالى كلها حسنى،

٢- أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، ٣- أسماء الله تعالى توقيفية، ٤- أسماء الله غير محصورة بعدد معين، ٥- اتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسمَّيات، ٦- باب الأفعال والإخبار عن الله أوسع من باب الأسماء، ٧- أسماء الله تعالى منها ما يطلق عليه مفردًا ومقترنًا بغيره، ومنها ما لا يطلق عليه إلا مقترنًا بغيره، ٨- دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام، ٩- أسماء الله تعالى قد تدل على وصف متعدٍّ، وقد تدل على وصف لازم.

❑ **قواعد أهل السنة في صفات الله تعالى:** ١- صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ٢- صفات الله تعالى توقيفية، ٣- باب الصفات أوسع من باب الأسماء، ٤- انقسام الصفات إلى ثبوتية وسلبية متضمنة لكمال ضدها، ٥- التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي، ٦- انقسام الصفات الثبوتية إلى ذاتية وفعلية، ٧- الصفات الفعلية تنقسم إلى صفات فعلية لازمة، وصفات فعلية متعدية، ٨- القول في بعض الصفات كالقول في بعض، ٩- القول في الصفات كالقول في الذات، ١٠- الواجب إثبات الصفات على ظاهرها اللائق بالله تعالى، ١١- الصفات معلومة لنا باعتبار المعنى مجهولة الكيفية.

❑ **التحريف:** تغيير ألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير معانيها، وهو قسمان: تحريف لفظي: كمحاولة بعض المبتدعة قراءة قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، بنصب لفظ الجلالة، وذلك لنفي صفة الكلام عن الله سبحانه، وتحريف معنوي: وهو إبقاء اللفظ كما كان وصرف معناه عن المراد به، مثل تأويل الاستواء بالاستيلاء، واليد بالنعمة، وهو محرم؛ لأنه تغيير لكلام الله تعالى، وقول على الله بلا علم، ويكون على مراتب: فقد يكون كفرًا، وقد يكون فسقًا، وقد يكون معصية، وقد يكون خطأً.

❑ **التعطيل:** هو نفي صفاته سبحانه وإنكار قيامها بذاته جل شأنه، وهو

أقسام؛ **الأول:** إنكار الأسماء والصفات كمذهب جهم. **والثاني:** إنكار الصفات وإثبات الأسماء في الجملة، كطريقة أهل الاعتزال. **والثالث:** إثبات الأسماء وبعض الصفات، وتأويل الباقي، كمذهب الكُلَّابية والأشاعرة والماتريدية. **والرابع:** وصف الله بسلب النقيضين، وهو مذهب الباطنية والملاحدة الذين قالوا: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت. والتعطيل قد يكون كفرًا ناقضًا لأصل التوحيد إن كان تكذيبًا، وإن كان تأويلًا فيجري فيه حكم التأويل.

❑ **التكييف:** هو اعتقاد أن صفات الله تعالى على كيفية كذا، أو يُسأل عنها بكيف، ولأهل السُّنة في جواب من يسأل عن كيفية صفةٍ من صفات الله جوابان: **الأول:** جواب الإمام مالك وغيره: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. **الثاني:** أن يقال: كيف هو؟ فكما أننا لا نعلم كيفية ذاته، فكذلك لا نعلم كيفية صفاته؛ لأن القول في الصفات كالقول في الذات؛ فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فكما أن ذاته لا تماثل الذوات ولا نعلم كيفيتها، فكذلك صفاته سبحانه لا تماثل صفات سائر الذوات ولا نعلم كيفيتها أيضًا، والتكييف حرام؛ لأنه من القول على الله بلا علم، لأن الله أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفيتها، أخبرنا أنه استوى على العرش، ولم يخبرنا كيف استوى، وهكذا.

❑ **التمثيل:** هو إثبات مثيل لله ﷻ في ذاته أو صفاته. وهو قسمان: **الأول:** تشبيه المخلوق بالخالق، وهو إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الصفات أو الأفعال أو الحقوق. فالصفات، كحال غلاة الصوفية مع من يسمونهم الأولياء وحال الرافضة مع أئمتهم. والأفعال: كفعل من أشرك في الربوبية، كالمانوية والثنوية والفلاسفة، والحقوق: كاعتقاد المشركين بأصنامهم حيث عبدوها مع الله تعالى، ومن سلك مسلكهم من غلاة الصوفية

والرافضة. **الثاني:** تشبيه الخالق بالمخلوق، كمقالة الهشامية وأمثالهم، وهو كفرٌ؛ لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

❑ **التأويل اصطلاحًا يطلق على ثلاثة معان:** ١- صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به وهو اصطلاح المتأخرين، ٢- التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن، ٣- الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، وهو ينقسم إلى صحيح وفاسد.

❑ **التفويض هو:** صرف اللفظ عن ظاهره، مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوَّض علمه إلى الله تعالى، وقد يراد بالتفويض: تفويض الكيفية، وهذا حق، **ويدل على بطلان هذا المذهب ما يلي:** ١- الآيات التي تأمرنا بتدبر القرآن، ٢- تناقضهم، فقولهم: لم يرد إثبات صفة خارجية له يناقض التفويض؛ لأن حقيقة التفويض أن لا يحكم المفوض بنفي ولا إثبات، ٣- بطلان نسبة هذا القول إلى السلف؛ فإن اعتقاد أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ النصوص بغير إثبات معناها، اعتقاد باطل كذب على السلف.

❑ اختلف أهل العلم في المراد بالإحصاء، **وخلاصة ما قالوا في معناه:** ١- حفظها. ٢- التصديق بها. ٣- معرفة معانيها. ٤- العمل بمقتضاها، واختار طائفة من المحققين المعنى الأول، وهو الراجح.

❑ **أسماء الله الحسنى كثيرة جدًّا، ومنها:** ١- الله: ومعناه: المألوه المعبود الذي لا يستحق العبادةَ سواه. ٢، ٣- الرحمن، الرحيم، وهما اسمان مشتقَّان من الرحمة على وجه المبالغة. ٤- الحي: ومعناه: الذي له الحياة الدائمة المستلزمة لجميع صفات الكمال، لم يسبقها عدم، ولا يلحقها زوال، ولا نقص فيها بأي وجه من الوجوه. ٥- القيوم: ومعناه: الذي قام بنفسه، والمقيم لغيره من جميع المخلوقات خلقا ورزقًا وتدبيرًا. ٦- السميع:

ومعناه: المدرك للأصوات التي يدركها المخلوقون. ٧- القدوس: ومعناه: المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال. ٨- السلام: ومعناه: السالم في ذاته وصفاته وأفعاله من كل نقص، المتضمن لإثبات كماله المطلق من كل وجه، والمنزه عن كل ما ينافي كماله. ٩- المؤمن: ومعناه: المصدق الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فهو الذي صدق رسله وأنبياءه فيما بلغوا عنه. ١٠- المهيمن: ومعناه: الرقيب على خلقه علمًا وتدبيرًا، الذي أحاط بكل شيء علمًا. ١١- العزيز: ومعناه: الذي عزَّ كلَّ شيء فقهره وغلبه، فلا يمانع ولا يغالب، لعظمته وسلطانه. ١٢- الجبار: ومعناه: الذي قهر جميع العباد، وأذعن له سائر الخلق، والذي يجبر الكسير، ويغني الفقير. ١٣- المتكبر: ومعناه: الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله، وقيل: المتكبر عن كل سوء المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم. ١٤- الخالق: ومعناه: المخرج من العدم إلى الوجود جميع المخلوقات. ١٥- البارئ: ومعناه: الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته. ١٦- المصور: ومعناه: الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها.

❑ **من صفات الله تعالى الثابتة له:** صفة الحياة، واليدين، والغضب، والاستواء، والعلو، والنزول، والرؤية، والمعية، والكلام، والعلم، وكلها ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع على الوجه اللائق بكماله وجلاله.

❑ **الإلحاد:** هو العدول بأسماء الله وصفاته وآياته عن الحق الثابت؛ كتسمية الأصنام أو غيرها بأسماء الله سبحانه، أو تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له آبًا، أو وصفه بما يتقدس عنه من النقائص، كقول اليهود: إنه فقير، أو إلحاد التعطيل، كجحد الجهمية للأسماء والصفات، أو إثبات أسماء في الجملة وتعطيلها عن معانيها وجحد حقائقها كفعل المعتزلة الذين يقولون: سميع بلا سمع وبصير بلا بصر، أو إلحاد التمثيل، كتشبيه صفاته سبحانه بصفات خلقه.

❑ **من آثار الإيمان بأسماء الله وصفاته:** كمال معرفته سبحانه، وتحقيق كمال العبودية، وزيادة الإيمان، ومحبة الله، وخشيته سبحانه، والرضا، وحصول الطمأنينة، وحسن الظن بالله، والسلامة من الحسد والكبر، والفوز بجنته جل وعلا، ومعرفة أن إحصاء الأسماء الحسنى أصل للعلم بكل معلوم، والاتصاف بمقتضيات صفاته سبحانه، ودعاؤه بأسمائه الحسنى.

❑ **الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات يجمعها طائفتان:**

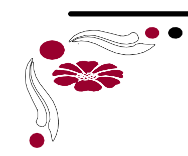
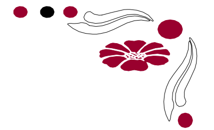
الأولى: أهل التشبيه والتجسيم، وهم أصناف:

١- الرافضة. ٢- غلاة الصوفية. ٣- الكرامية.

والثانية: أهل التعطيل. وهم أصناف:

١- الكُلَّابية. ٢- الأشعرية. ٣- الماتريدية. ٤- المعتزلة. ٥- الجهمية. ٦- الفلاسفة. ٧- الإسماعيلية الباطنية.



أسئلة تطبيقيـة

س١: عرف توحيد الأسماء والصفات، وما الفرق بين الاسم والصفة؟

س٢: لدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه. اذكرها مع التمثيل.

س٣: اذكر منهج أهل السنة في باب الأسماء والصفات إجمالًا.

س٤: أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية يتوقف في إثباتها على ما جاء في الكتاب والسنة، اذكر الأدلة على ذلك.

س٥: الصفات الثابتة لله تعالى تنقسم إلى ذاتية وفعلية، والفعلية تنقسم إلى صفات فعلية لازمة، وصفات فعلية متعدية. اشرح ذلك مع التمثيل.

س٦: اختلف العلماء في معنى إحصاء الأسماء الحسنى. اشرح ذلك مع الترجيح.

س٧: من المخالفات المنهجية لتوحيد الأسماء والصفات: (التحريف)، عرف به لغة واصطلاحًا، موضحًا أقسامه وأمثلته، وما هو حكمه شرعًا؟

س٨: عرف التعطيل لغة واصطلاحًا، موضحًا أقسامه وأمثلته، وما هو حكمه شرعًا؟

س٩: عرف التكييف لغة واصطلاحًا، مبينًا طريقة أهل السُّنة في جواب من يسأل عن الكيفية، وما حكم التكييف شرعًا؟

س١٠: عرف التمثيل لغة واصطلاحًا، وما أقسامه؟ وما حكمه شرعًا؟ موضحًا تاريخ مقالة التمثيل، وهل للممثلة وجود اليوم؟

س١١: عرف الإلحاد لغة واصطلاحًا، موضحًا أهم أقسامه.

س١٢: من المخالفين لأهل السنة والجماعة في باب الصفات: (المعتزلة – الأشاعرة – الماتريدية). اذكر مقالة كل فرقة منهم، موضحًا الفرق بينها،

وكيف ترد عليهم؟

س١٣: من الصفات الثابتة لله تعالى: صفة اليدين. ما الدليل عليها من الكتاب والسنة، موضحًا الأوجه التي وردت عليها في الكتاب والسنة، وكيف توفق بينها؟ وما هي أقوال المخالفين لأهل السنة في صفة اليدين، وكيف ترد عليهم؟

س١٤: عرف صفة العلو، وما الدليل عليها من الكتاب والسنة؟ وبين دلالة العقل والفطرة على إثباتها، موضحًا مقالة المخالفين في صفة العلو، وكيف ترد عليهم؟

س١٥: رؤية الله سبحانه في الآخرة ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع السلف. اشرح ذلك.

س١٦: اذكر خمسة من آثار الإيمان بأسماء الله وصفاته.

س١٧: استدل على ما يلي:

١- أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف.

٢- باب الأفعال والإخبار عن الله أوسع من باب الأسماء.

٣- أسماء الله غير محصورة بعدد معين.

٤- القول بأن المراد بيد الله تعالى مجاز في النعمة أو القدرة قول باطل.

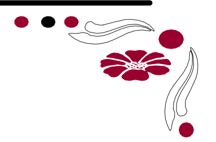
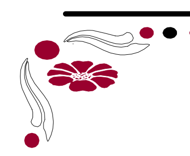
٥- تأويل الاستواء على العرش بالاستيلاء باطل لغة وشرعًا.

٦- القول بأن معنى صفة النزول هو نزول أمره، أو رحمته، أو ملك من ملائكته، قول باطل.

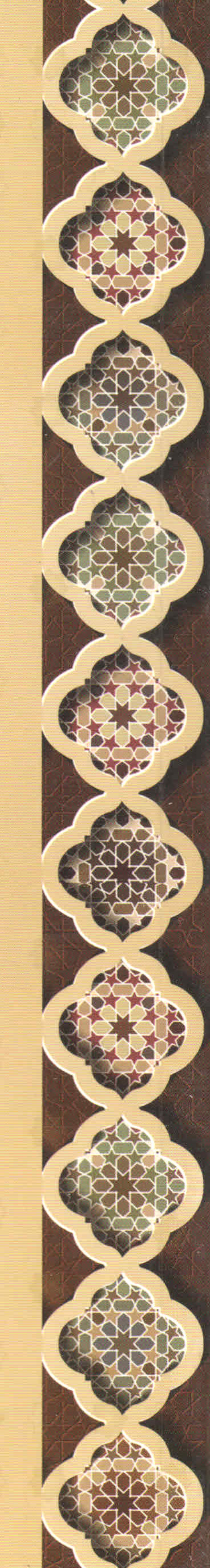




فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات



دراسات

في علم العقيدة

الجزء الثاني

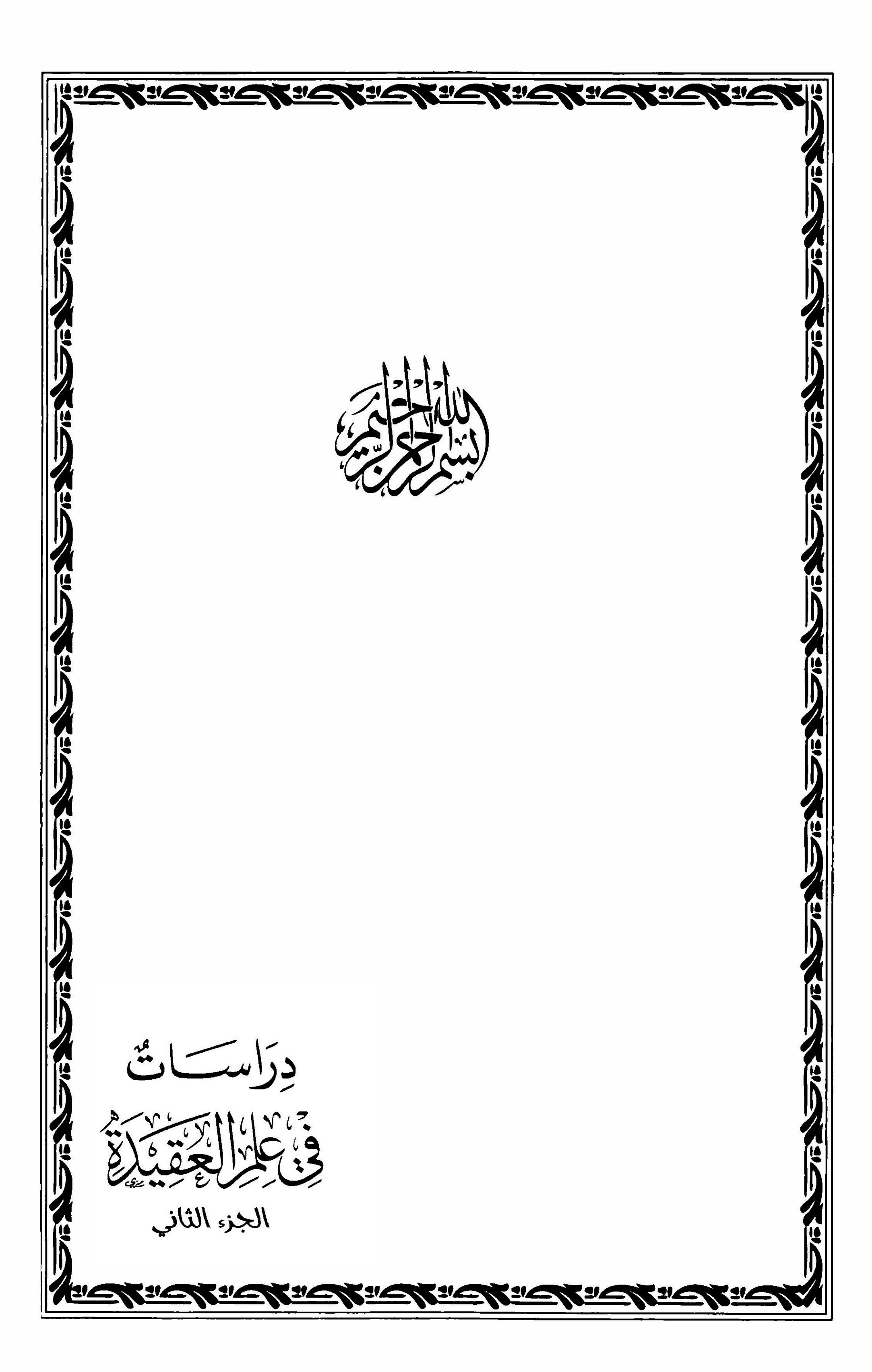
توحيد الألوهية ونواقضه

تأليف

أ. د. ناصر بن عبد الله القفاري

جامعة القصيم كلية الشريعة والدراسات الإسلامية




بسم الله الرحمن الرحيم
دراسات
في علم العقيدة
الجزء الثاني



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القفاري، ناصر بن عبد الله.
دراسات في علم العقيدة/ ناصر بن عبد الله القفاري - الرياض، ١٤٤٢هـ.
٤ مج.
ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)
١- العقيدة الإسلامية. أ- العنوان.
ديوي: ٢٤٠ ٦٩٦٩/ ١٤٤٢

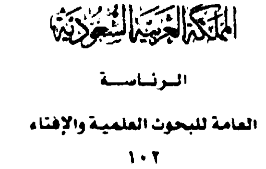
رقم الإيداع: ٦٩٦٩/ ١٤٤٢ ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م



دار العقيدة للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف 0503310067

المملكة العربية السعودية
الرئاسة
العامة للبحوث العلمية والإفتاء
١٠٢



الرقم : ....
التاريخ : ....
المشفوعات : ....
الموضوع : ....

الحمد لله . والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد : فقد اطلعت على كتاب (دراسات في علم العقيدة) بأجزائه الأربعة لفضيلة الدكتور : ناصر بن عبدالله القفاري الأستاذ بجامعة القصيم . فوجدته كتابا جيدا مفيدا في موضوعه يجدر بكل طالب علم الاطلاع عليه . فجزاه الله خير الجزاء ونفع بعلمه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه
صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
٢/٦/١٤٤١هـ



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذا هو الجزء الثاني من سلسلة «دراسات في علم العقيدة»[1]، وُضِعَ وَفْق الخطة الدراسية لتخصص الشريعة والدراسات الإسلامية، الموافقة للمعايير الأكاديمية لمحتوى برامج الشريعة في مؤسسات التعليم العالي المعتمد في الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي.

يتناول فصلين؛ الأول: توحيد الألوهية (القصد والطلب).

والثاني: الشرك وما يتعلق به.

كما أَثبَتُّ في خاتمة كل فصل ملخصًا لأهم مسائله مع أسئلة تطبيقية تعين الطالب على فهم مادته.

وتعتمد مادة هذا الكتاب في نصوصها أولًا على الكتاب والسنة؛ لأن الاعتقاد لا يؤخذ إلا عن الله ورسوله ﷺ، ثم الرجوع إلى ما قرره سلف الأمة وأئمتها؛ لأن علمهم قبسٌ من مشكاة النبوة، وقد عمدت إلى نقل نصوصهم بحروفها ليتعود الطالب على فهم كلامهم، ولأن كلام السابقين وإن كان قليل اللفظ فهو كثير البركة.

---

(١) طُبع هذا الكتاب أولًا ضمن كتاب (التوحيد ونواقضه)- طبعة دار العقيدة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧- ثم طبع بعد تحرير وزيادة ضمن كتاب (التوحيد حقيقته وأنواعه) - طبعة دار العقيدة ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م - ثم تم تقسيمه على قسمين وَفق المنهج الجديد بعد استكمال جميع مسائل المنهج، وتسميته مع بقية الأجزاء الأربعة الشاملة لجميع المنهج باسم: (دراسات في علم العقيدة)، وهو هذه الطبعة.

كما أني قد أكرر النقل في المعنى الواحد؛ لأن تنوع الألفاظ في المعنى الواحد يعين الطالب على فهمه، ويساعد على رسوخه في ذهنه.

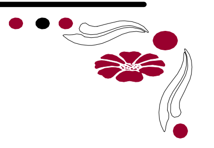
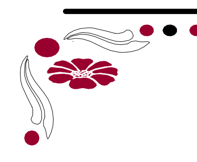
واللهَ تعالى أسأل أن يجعله لوجهه خالصًا، ولسنة نبيه ﷺ موافقًا، ولعباده نافعًا.

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري
n0380@hotmail.com





الفصل الأول
توحيد الألوهية

الفصل الأول

۞ **ويشتمل على ما يلي:**

١- تعريف توحيد الألوهية وأسماؤه.

٢- علاقة توحيد الألوهية بالشهادتين.

٣- لوازم الإيمان بتوحيد الألوهية.

٤- الأدلة على توحيد الألوهية.

٥- أهمية توحيد الألوهية وفضائله، ومكانته في دعوة الأنبياء والمرسلين.

٦- أول ما يؤمر به المكلف.

٧- أصالة التوحيد وطروء الشرك على بني آدم.

٧- عَلاقة توحيد الألوهية بالربوبية والعكس.

٨- العبادة؛ تعريفها، وشروط صحتها، وأنواعها، مع الأمثلة.

٩- الجمع بين المحبة والخوف والرجاء، وحكم الإفراط والتفريط في أحدها.

١٠- الدعاء؛ تعريفه، وأقسامه، وحكمه، وفضله، وشروطه، وآدابه، وأسباب إجابته وموانعها، ومذاهب الناس في تأثير الدعاء، وبيان الحق في ذلك.

١١- معنى «لا إله إلا الله» وأركانها، وشروطها، ونواقضها.





المبحث الأول

تعريف توحيد الألوهية وأسماؤه

۞ أولًا: تعريف الألوهية:

الألوهية لغةً: مشتقة من ألِه إلاهة - بالكسر - وألوهة وألوهية، بضمهما: عبد عبادة.

ومنه قرأ ابن عباس: «وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ» بكسر الهمزة، قال: أي عبادتك، والتألُّه: التنسك والتعبد، والله أصله: إلاه على وزن «فِعَال» بمعنى «مفعول»؛ لأنه مألوه، أي: معبود[(١)].

وتوحيد الألوهية شرعًا هو: إفراد الله تعالى بالعبادة[(٢)].

۞ ثانيًا: أسماؤه:

يطلق على هذا النوع من التوحيد عدة أسماء، منها:

١- توحيد الإلهية، وسُمّي بذلك باعتبار إضافته إلى الله تعالى.

٢- توحيد العبادة، وسمي بذلك باعتبار إضافته إلى العبد.

٣- توحيد الإرادة؛ لأنه مبنيٌّ على إرادة وجه الله وحده بالعبادة.

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١/ ١١٤-١١٥)، تاج العروس (٣٦/ ٣٢٠-٣٢٢).

(٢) انظر في تعريف توحيد الألوهية: شرح الطحاوية (١/ ٢١)، لوامع الأنوار (١/ ٢٩)، تيسير العزيز الحميد (ص٣٦) وغيرها.

٤- توحيد القصد والطلب؛ لأنه مبني على إخلاص القصد والطلب، فلا يقصد بعبادته سوى وجه الله تعالى، ولا يطلب بعمله سوى ربه - جل وعلا.

٥- توحيد العمل أو التوحيد العملي؛ لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده[(١)].



(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٢١).



المبحث الثاني

علاقة توحيد الألوهية بالشهادتين

۞ أولًا: علاقة توحيد الألوهية بالشهادتين:

علاقة توحيد الألوهية بشهادة أن لا إله إلا الله علاقة مطابقة وتضمن. أما المطابقة فلأن توحيد الألوهية هو مضمون «لا إله إلا الله»؛ **حيث يتفقان في دَلالة كل واحد منهما على أمرين:**

الأول: إخلاص العبودية لله تعالى.

والثاني: نفي العبودية عما سواه.

ودلالتهما على واحد من هذين الأمرين دلالة تضمن.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «توحيد الألوهية... هو معنى لا إله إلا الله مطابقة وتضمنًا»[(١)]، ثم بَيَّن وجه ذلك، فقال: «هذه الكلمة دلت على البراءة من الشرك والكفر به تضمنًا، ودلت عليه وعلى إخلاص العبادة لله تعالى مطابقة»[(٢)].

وقال أيضًا تعليقًا على قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

(١) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد (ص٢٤٥).

(٢) بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول) (ص٣٢٧)، وانظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٤٤).

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٧]: «فبين تعالى أن استكبارهم عن قول: «لا إله إلا الله»؛ لدَلالتها على نفي عبادتهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله؛ فإن دلالة هذه الكلمة على نفي ذلك دلالة تضمن، ودلالتها عليه وعلى الإخلاص دلالة مطابقة»(١).

۞ ثانيًا: علاقة توحيد الألوهية بشهادة أن محمدًا رسول الله:

وأما علاقة توحيد الألوهية بشهادة أن محمدًا رسول الله فهما متلازمان، فمَن أقر بتوحيد الألوهية لزمه أن يقر لرسول الله ﷺ بالرسالة، ومن أقر لرسول الله ﷺ بالرسالة لزمه أن يقر لله - جل وعلا - بالوحدانية؛ لأن الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له هي مفتتح دعوته وزبدة رسالته، قال ملا علي القاري: «ولتلازم الشهادتين شرعًا جُعِلتا خَصْلة واحدة»(٢)، وقال العلامة ابن عثيمين: «مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله: أن تصدقه فيما أخبر، وتمتثل أمره فيما أمر، وتجتنب نهيه فيما نهى عنه وزجر، وتتعبد إلى الله بشريعته، لا تبتدع فيها ما ليس منها، ولذلك صارت شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ركنًا واحدًا؛ لأن كل عبادة لا بد فيها من إخلاصٍ ومتابعة»(٣).

فطاعة رسول الله ﷺ من طاعة الله ﷻ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: **«مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومَن عصاني فقد عصى الله»**(٤).



(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٢١٤).
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٦٨).
(٣) لقاء الباب المفتوح (١٩٧/ ٢) بترقيم الشاملة آليًّا.
(٤) أخرجه البخاري (ح٧١٣٧)، ومسلم (ح١٨٣٥).



المبحث الثالث

لوازم الإيمان بتوحيد الألوهية

من لوازم الإيمان بتوحيد الألوهية ما يلي:

أولًا: الإيمان بربوبية الله تعالى؛ لأن الألوهية متضمنة ومستلزمة للربوبية.

ثانيًا: وصف الله تعالى بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال.

قال الإمام ابن القيم: «وهذا أمر معلوم بالفِطَر والعقول السليمة والكتب السماوية؛ أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلهًا، ولا مدبرًا، ولا ربًّا»[(١)].

ثالثًا: الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره؛ لأن ذلك مما أمر الله بالإيمان به، وطاعته فيما أمر هو مقتضى الإيمان بألوهيته.

رابعًا: فعل المأمورات واجتناب المنهيات، فإن ذلك من حقوق التوحيد ومكملاته[(٢)]، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم**

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٠).

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤١٨).

على الله»[١].

خامسًا: تحكيم شرعه والانقياد لحكمه، وفي حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن**»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه**»[٢].

سادسًا: تحقيق التوحيد وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: «تحقيق التوحيد قدر زائد على ماهية التوحيد، وتحقيقه من وجهين: واجب ومندوب، فالواجب تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي. فالشرك ينافيه بالكلية، والبدع تنافي كماله الواجب، والمعاصي تقدح فيه وتنقص ثوابه، فلا يكون العبد محققًا للتوحيد حتى يسلم من الشرك بنوعيه، ويسلم من البدع والمعاصي، والمندوب تحقيق المقربين، تركوا ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وحقيقته هو انجذاب الروح إلى الله، فلا يكون في قلبه شيء لغيره»[٣].



(١) أخرجه البخاري (ح٢٥)، ومسلم (ح٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٣٠٩٥)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٩٢)، وإسناده صحيح (السلسلة الصحيحة برقم ٣٢٩٣).

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ابن قاسم (ص٣٧).



المبحث الرابع

الأدلة على توحيد الألوهية

استفاضت الأدلة وتنوعت في تقرير هذا التوحيد، حتى قال الشيخ سليمان ابن عبد الله: «وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، وأبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال؛ بحيث إن كل سورة في القرآن ففيها الدلالة على هذا التوحيد»(١).

ومن أنواع الأدلة في القرآن على هذا النوع من التوحيد:

١- الأمر به، فهو أول أمر ورد في القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١]، ومما ورد أيضًا من الأمر به قوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ونحوها من الآيات.

٢- بيان أنه الغاية من خلق الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

٣- بيان أنه المقصود من بعثة الرسل، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص٢١).

٤- بيان أن الكتب الإلهية إنما أنزلت للدعوة إليه، كما في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل: ٢].

٥- بيان عظيم ثواب أهله، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

٦- بيان ما أعد سبحانه لمن تركه من العذاب أليم؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]، إلى غير ذلك.

كما تضافرت الأحاديث في السنة النبوية في تقرير هذا التوحيد وبيان أهميته، ومن ذلك:

١- أن هذا التوحيد حق الله على عباده، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حقهم عليه؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**ألا يعذبهم**»(١).

٢- أنه أول ما يؤمر به العبد، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا نحو اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات ...**» الحديث(٢).

٣- أن تركه سبب لدخول النار، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**»(٣)، وعن جابر بن عبد الله

(١) أخرجه البخاري (ح ٧٣٧٣).
(٢) أخرجه البخاري (ح ٧٣٧٢).
(٣) أخرجه البخاري (ح ٤٤٩٧).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومَن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**»[١].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.



(١) أخرجه مسلم (ح ٩٣).



المبحث الخامس

أهمية توحيد الألوهية

وفضائله ومكانته في دعوة الأنبياء والمرسلين

۞ أولًا: أهمية توحيد الألوهية:

تتبين أهمية توحيد الألوهية من وجوه كثيرة، منها:

١- أنه معنى كلمة التوحيد؛ «لا إله إلا الله»، والتي هي أصل الدين، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «توحيد الألوهية... هو معنى لا إله إلا الله مطابقة وتضمنًا»(١)، وقد سبق.

٢- أنه الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال ابن عباس: «ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا»(٢). وقال ابن كثير: «أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم»(٣)، «فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده، وهي حقيقة قول القائل: لا إله إلا الله، ولهذا بعث الله جميع الرسل، وأنزل جميع الكتب،

(١) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد (ص٢٤٥).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٥).
(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٥).

ولا تصلح النفس وتزكو وتكمل إلا بهذا»[(١)] .

٣- أنه حق الله على عباده، فعن معاذ رضي الله عنه، قال: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له: عفير، فقال: «**يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذب مَن لا يشرك به شيئًا**»، فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر به الناس؟ قال: «**لا تبشرهم، فيتكلوا**»[(٢)] .

٤- أن حاجة العباد إليه فوق كل حاجة، فلا راحة ولا طمأنينة ولا أُنْس ولا سعادة إلا بمعرفة الله تعالى بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته. قال ابن أبي العز: «وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها»[(٣)] .

٥- يتحرر المخلوق بتحقيقه من رق المخلوق وعبوديته، والتحري لنفعه، والخوف من ضره، والنظر لمدحه وقدحه، وهذه قمة العزة: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩][(٤)] .

۞ ثانيًا: فضائل توحيد الألوهية:

لتوحيد الألوهية فضائل كثيرة، منها:

١- أنه سبب لدخول الجنة، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[(٥)]، وعن جابر رضي الله عنه، قال: أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية (٦/ ٢٩).
(٢) أخرجه البخاري (ح٢٨٥٦)، ومسلم (ح٣٠). (٣) شرح الطحاوية (ص٦٩).
(٤) مقدمات في الاعتقاد، د. ناصر القفاري (ص٢٠).
(٥) أخرجه البخاري (ح٣٤٣٥)، ومسلم (ح٢٨).

رجلٌ فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**»[(١)].

٢- أنه سبب للنجاة من النار، فعن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»[(٢)].

٣- أنه سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: يا بن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي. يا بن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي. يا بن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»[(٣)].

٤- أنه سبب للاهتداء والأمن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، «فالتوحيد من أقوى أسباب الأمن من المخاوف، والشرك من أعظم أسباب حصول المخاوف، ولذلك من خاف شيئًا غير الله سُلِّط عليه، وكان خوفه منه هو سبب تسليطه عليه، ولو خاف الله دونه ولم يخفه لكان عدم خوفه منه وتوكله على الله من أعظم أسباب نجاته منه»[(٤)].

٥- أن قَبول الأعمال متوقف على تحقيقه، وكمالها متوقف على كماله. قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء: ٩٤].

۞ ثالثًا: مكانة توحيد الألوهية في دعوة الأنبياء والمرسلين:

لتوحيد الألوهية في دعوة الأنبياء والرسل مكانة عظيمة، **وتتبين من وجوه كثيرة، منها:**

---

(١) أخرجه مسلم (ح٩٣).
(٢) أخرجه البخاري (ح٥٤٠١).
(٣) أخرجه الترمذي (ح٣٥٤٠) وحسنه، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٤٣٣٨).
(٤) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٧٣).

١- أنه أول دعوتهم، وزبدة رسالتهم، وعليه تُبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها[(١)]؛ «فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته، من أولهم إلى آخرهم، فقال نوح عليه السلام لقومه ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وكذلك قال هود وصالح وشعيب وإبراهيم عليهم السلام»[(٢)]، قال ابن القيم: «التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى»[(٣)].

وقال الشوكاني: «الشرائع كلها اتفقت على إثبات التوحيد على كثرة عدد الرسل المرسلين، وكثرة كتب الله عز وجل المنزلة على أنبيائه... فالتوحيد هو دين العالم أوله وآخره وسابقه ولاحقه»[(٤)].

ومما يدل أيضًا على أن توحيد العبادة هو أول دعوة جميع الرسل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله -جل وعلا: ﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ [فصلت: ١٤].

كما دلت السنة على ذلك: فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»**[(٥)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: **«إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا**

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (ص٦٩).
(٢) مدارج السالكين (١/ ١٢١).
(٣) مدارج السالكين (٣/ ٤١١).
(٤) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات (ص٥).
(٥) أخرجه البخاري (ح٢٥)، ومسلم (ح٢٠).

إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله...» الحديث[١].

٢- أنه أول واجب على المكلف، قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**»[٢].

قال الإمام ابن أبي العز: «ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب بلوغه، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز عند من يرى ذلك، ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذٍ بتجديد الشهادتين، وإن كان الإقرار بالشهادتين واجبًا باتفاق المسلمين، ووجوبه يسبق وجوب الصلاة، لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك»[٣].

ولأهمية هذا الموضوع (أول واجب على المكلف) سيتم إفراده في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

٣- أنه آخر واجب على المكلف؛ قال ﷺ: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله؛ دخل الجنة**»[٤].

قال ابن أبي العز: «وهو أول واجب وآخر واجب»[٥].



(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري (ح ٢٥)، ومسلم (ح٢٢).
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٣).
(٤) أخرجه أبو داود (ح٣١١٦).
(٥) شرح الطحاوية (١/ ٢٣).



المبحث السادس

أول ما يؤمر به المكلف

أول ما يؤمر به المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وغيرها من الآيات.

ومن السنة: حديث ابن عمر عن النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله...**»[(١)]، وحديث ابن عباس: لما بعث النبي ﷺ معاذًا نحو اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى...**» الحديث[(٢)].

وأما الإجماع: فإن «السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد

(١) أخرجه البخاري (ح٢٥)، ومسلم (ح٢٢).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ح ٧٣٧٢).

الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ»(١)، قال ابن المنذر: «وأجمع كل من نحفظ عنه: أن الكافر إذا قال: لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ولم يزد على ذلك شيئًا؛ أنه مسلم»(٢).

وقال ابن حزم: «وقال سائر أهل الإسلام: كل من اعتقد بقلبه اعتقادًا لا يشك فيه، وقال بلسانه: لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإن كل ما جاء به حق، وبرئ من كل دين سوى دين محمد ﷺ؛ فإنه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك»(٣).

هذا ما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، لكن فارقهم أهل الكلام في هذه المسألة مُحْدِثين بدعة لم تعرف لدى السلف، وهي القول بأن أول ما يؤمر به العبد هو النظر، وقال آخرون: القصد إلى النظر، وقال بعضهم: الشك، كما سيتبين في المبحث التالي.

أقوال المتكلمين في أول واجب على المكلفين:

اختلف المتكلمون في ذلك على أقوال:

الأول: أول واجب على المكلف هو معرفة الله تعالى(٤)، وهو قول الأكثر،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ١١).

(٢) الإجماع (ص١٣٧).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٩).

(٤) وقع الخلاف في كيفية حصول المعرفة بالله عند الإنسان، **على ثلاثة أقوال:**

القول الأول: أن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر. وهذا قول كثير من المعتزلة والأشاعرة وأتباعهم من أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم.

القول الثاني: أن المعرفة يبتديها الله اختراعًا في قلوب العباد من غير سبب يتقدم، ومن غير نظر ولا بحث. وهذا قول كثير من الصوفية والشيعة، ومعنى هذا القول أن المعرفة بالله تقع ضرورة فقط.

القول الثالث: أن المعرفة بالله يمكن أن تقع ضرورة، ويمكن أن تقع بالنظر. وهذا قول =

ومنهم أبو الحسن الأشعري[١].

الثاني: أول واجب على المكلف هو النظر. وهو قول جمهور المعتزلة.

الثالث: أول واجب على المكلف هو القصد إلى النظر. وهو قول ابن فورك والباقلاني والجويني.

الرابع: أول واجب على المكلف هو أول جزء من النظر.

الخامس: أول واجب هو الشك. وإليه ذهب أبو هاشم الجبائي[٢].

قال العضد الإيجي: «قد اختلف في أول واجب على المكلف أنه ماذا؟ فالأكثر -ومنهم الشيخ أبو الحسن الأشعري- على أنه معرفة الله تعالى؛ إذ هو أصل المعارف والعقائد الدينية وعليه يتفرع وجوب كل واجب من الواجبات الشرعية، وقيل: هو النظر فيها، أي: في معرفة الله سبحانه؛ لأنه واجب اتفاقًا، وهو قبلها، وهذا مذهب جمهور المعتزلة والأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني، وقيل: هو أول جزء من النظر؛ لأن وجوب الكل يستلزم وجوب أجزائه، فأول جزء من النظر واجب وهو متقدم على النظر المتقدم على المعرفة، وقال القاضي -واختاره ابن فورك وإمام الحرمين-: إنه القصد إلى النظر؛ لأن النظر فعل اختياري مسبوق بالقصد المتقدم على أول أجزائه، والنزاع لفظي»[٣]، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن هؤلاء من يقول: أول واجب هو القصد إلى النظر، وهو أيضًا نزاع لفظي؛ فإن العمل الاختياري مطلقًا مشروط بالإرادة»[٤].

= جماهير المسلمين. انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٥٢)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ٩٣٤).

(١) والمقصود بالمعرفة التي يوجبها الأشاعرة مباشرة أو بوسائلها من النظر أو القصد إلى النظر هي: معرفة الله تعالى، أي: الإقرار بوجوده تعالى، وأنه خالق العالم، وأن ما سواه مخلوق محدث. انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ٩٣٥).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤١٩).

(٣) المواقف (١/ ١٦٥-١٦٦).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٥٣).

أدلة القائلين بأن أول واجب هو النظر أو القصد إلى النظر:

١- قالوا: لأن الله دعانا إلى ذلك، يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨]، وقال: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥][(١)].

٢- كما قالوا: إنه لا يمكن حصول المعرفة إلابالنظر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهؤلاء الموجبون للنظر يبنون ذلك على أنه لا يمكن حصول المعرفة الواجبة إلا بالنظر»[(٢)].

الرد على المتكلمين:

أولًا: دلالة القرآن والسنة والإجماع على أن أول واجب على المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

ثانيًا: أن هؤلاء المتكلمين القائلين بأن أول واجب على المكلف هو النظر «لم يميزوا بين النظر الشرعي الحق الذي أمر به الشارع وأخبر به، وبين النظر البدعي الباطل المنهي عنه»[(٣)]، «فالنظر الشرعي: هو النظر فيما بُعث به الرسول من الآيات والهدى»[(٤)]، **وهو ما تدل عليه الآيات السابقة**؛ حيث دلت على مشروعية النظر، وهذا لا نزاع فيه. أما النظر البدعي فهو ما كان على وَفْق المقدمات والأدلة التي ابتدعوها، وهي الطرق الجدلية التي يسمونها عقلية، فنهاية هذا الطريق الشك، ولذلك ذمه السلف وأنكروه[(٥)]، قال شيخ الإسلام

---

(١) انظر: شرح المواقف (١/ ١٤٨)، شرح المقاصد في علم الكلام (١/ ٤٧)، أبكار الأفكار (١/ ١٥٥).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٠٧). (٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ١٠١).

(٤) النبوات لابن تيمية (١/ ٢٩٠).

(٥) ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى ما كتبه شيخ الإسلام في: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٠٥) وما بعدها، وانظر رسالة الشيخ عبد الله الغنيمان في هذا الموضوع والتي بعنوان: أول واجب على المكلف عبادة الله تعالى.

ابن تيمية: «ولما كان في لفظ (النظر) إجمال، كثر اضطراب الناس في هذا المقام، وتناقض من تناقض منهم»[١]، «ولا ريب أن المؤمنين على عهد رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، لم يكونوا يؤمَرون بالنظر الذي ذكره أهل الكلام المحدث؛ كطريق الأعراض والأجسام»[٢].

ثالثًا: أنهم جعلوا النظر أول واجب، وهو قول مخترع مُحْدَث، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «النبي ﷺ لم يدعُ أحدًا من الخلق إلى النظر ابتداءً، ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان، وبذلك أمر أصحابه... وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون على ما عُلم بالاضطرار من دين الرسول؛ أن كل كافر فإنه يُدْعى إلى الشهادتين، سواءٌ كان معطلًا، أو مشركًا، أو كتابيًّا، وبذلك يصير الكافر مسلمًا، ولا يصير مسلمًا بدون ذلك»[٣]، وقال الإمام أبو المظفر السمعاني: «إننا لا ننكر النظر قدر ما ورد به الكتاب والسنة؛ لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين وثلج الصدر وسكون القلب، وإنما أنكرنا طريقة أهل الكلام فيما أسسوا؛ فإنهم قالوا: أول ما يجب على الإنسان النظر المؤدي إلى معرفة الباري عز وجل، وهذا قول مخترع لم يسبقهم إليه أحد من السلف وأئمة الدين»[٤].

رابعًا: أنهم كما جعلوه أول الواجبات فقد أوجبوه على كل أحد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القرآن العزيز ليس فيه أن النظر أول الواجبات، ولا فيه إيجاب النظر على كل أحد، وإنما فيه الأمر بالنظر لبعض الناس، وهذا موافق لقول من يقول: إنه واجب على من لم يحصل له الإيمان إلا به، بل هو واجب على كل من لا يؤدي واجبًا إلا به، وهذا أصح الأقوال»[٥].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٢٠).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٠٨).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٦).
(٤) الانتصار لأصحاب الحديث (ص٦٠-٦١).
(٥) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٨).

الرد على من قال: أول واجب هو الشك:

وأما من قال: أول واجب هو الشك، كما حُكي عن أبي هاشم الجبائي المعتزلي وطائفة معه، ونسبه ابن حزم خطأ إلى الأشعرية، فهو قول باطل، ويكفي في معرفة بطلانه مجرد تصوره؛ لأن حقيقته أنه لا يصح الإيمان إلا بالكفر، ولا يصح التصديق إلا بالشك، وهذا معلوم فساده بالضرورة من دين الإسلام. يقول ابن حزم: «ما سمعنا قط في الكفر والانسلاخ من الإسلام بأشنع من قول هؤلاء القوم: إنه لا يكون أحد مسلمًا حتى يشك في الله ﷻ، وفي صحة النبوة، وفي هل رسول الله ﷺ صادق أم كاذب؟ ولا سمع قط سامع في الهوس والمناقضة والاستخفاف بالحقائق أقبح من قول هؤلاء: إنه لا يصح الإيمان إلا بالكفر، ولا يصح التصديق إلا بالجحد، ولا يوصل إلى رضاء الله ﷻ إلا بالشك فيه، وأن من اعتقد موقنًا بقلبه ولسانه أن الله تعالى ربه لا إله إلا هو، وأن محمدًا رسول الله، وأن دين الإسلام دين الله الذي لا دين غيره، فإنه كافر مشرك، اللهم إنا نعوذ بك من الخِذْلان»(١).

وقد رد الجويني -وهو من الأشاعرة- قول أبي هاشم هذا بقوله: «هذا خروج منه عن قول الأمة، وتوصل منه إلى هدم أصله، وذلك أن كل واجب مأمور به، وتقدير الأمر بالشك متناقض؛ إذ لايثبت الأمر إلا مع العلم بالأمر واعتقاد ثبوته، والعلم به مع التشكك فيه متناقضان... فهو مردود لفظًا ومعنًى»(٢).



(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٣٣-٣٤).
(٢) الشامل في أصول الدين (ص١٢١-١٢٢).



المبحث السابع

أصالة التوحيد وطروء الشرك على بني آدم

۞ أولًا: أصالة التوحيد:

بين الله سبحانه أن البشرية كانت في أول أمرها على التوحيد، ثم طرأ عليها الشرك وعبادة غير الله، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، **وجمهور المفسرين على أن المراد به:** أنهم كانوا على ملة التوحيد، قال الحافظ ابن كثير: «لأن الناس كانوا على ملة آدم عليه السلام حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحًا عليه السلام، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولم يكن الشرك أصلًا في الآدميين، بل كان آدم ومن كان على دينه من بنيه على التوحيد لله لاتباعهم النبوة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩]، قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام(٢)»(٣).

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٦٢١)، وبنحوه ابن حبان في صحيحه (ح٦١٩٠)، وإسناده صحيح.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٠٦).

۞ ثانيًا: طروء الشرك على بني آدم:

أول شرك طرأ على بني آدم هو الشرك في العبادة، وكان ذلك في قوم نوح عليه السلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣]: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عبدت»(١).

وقال الإمام ابن القيم: «قال غير واحد من السلف: كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم»(٢).

ثم كان الشرك في زمن إبراهيم عليه السلام بعبادة الكواكب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر»(٣)، وناظرهم في أن تلك الكواكب لا تستحق أن تعبد؛ لأنها مربوبة مخلوقة مدبرة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٩].

فـ«المشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصلهم صنفان: قوم نوح، وقوم إبراهيم، فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٩٢٠).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١٨٤).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٢).

الصالحين، ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم، وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر»(١).

۞ ثالثًا: انتقال الشرك إلى العرب:

أول من نقل الأصنام إلى جزيرة العرب وغيَّر دين إبراهيم عليه السلام هو عمرو بن لحي الخزاعي، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**رأيت عمرو بن لحي يجرُّ قُصْبه(٢) في النار**»(٣).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد؛ أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع»(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كانت العرب قبل أن يبتدع عمرو بن لحي الشرك وعبادة الأوثان حنفاء يعبدون الله وحده، ويعظمون إبراهيم وإسماعيل، ولم يكن لهم كتاب يقرؤونه ويتبعون شريعته، وكان موسى قد بعث إلى بني إسرائيل بشريعة التوراة وحج البيت العتيق ولم يبعث إلى العرب»(٥).

وأصل شرك العرب، بل أصل شرك الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم كان في توحيد الألوهية، لا في توحيد الربوبية، فهم لم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم، بل اتخذوا معبودات يزعمون أنهم

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٢).

(٢) بضم القاف وإسكان الصاد، وهي الأمعاء (شرح النووي على مسلم ٦/ ٢٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (ح٤٦٢٣)، ومسلم (ح٢٨٥٦).

(٤) أخرجه البخاري (ح٤٩٢٠).

(٥) الرد على المنطقيين (ص٤٥٥) بتصرف يسير، وانظر للتفصيل: سيرة ابن هشام (١/ ٧٧)، فتح الباري (٦/ ٥٤٩).

شفعاء لهم عند الله، كما ذكر الله ذلك عنهم في قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وفي قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣][(١)].

۞ رابعًا: حدوث الشرك في هذه الأمة:

أول من أحدث شرك الألوهية وعبادة المشاهد في أمة محمد ﷺ هم الرافضة الباطنية، الذين أعادوا شرك الجاهلية الأولى[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام؛ لا في الحجاز، ولا اليمن، ولا الشام، ولا العراق، ولا مصر، ولا خراسان، ولا المغرب، ولم يكن قد أحدث مشهد لا على قبر نبي ولا صاحب، ولا أحد من أهل البيت ولا صالح أصلًا، بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة، وكثر فيهم الزنادقة الملبِّسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب، ثم جاؤوا بعد ذلك إلى أرض مصر»[(٣)].

ولكن الله سبحانه عصم هذه الأمة من الضلال الشامل، فلا تزال طائفة منهم قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى أن تقوم الساعة.



(١) انظر: الرد على المنطقيين (ص٢٩٢-٢٩٣).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٩٧)، الإخنائية (ص١٥٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٦٦).



المبحث الثامن

علاقة توحيد الألوهية بالربوبية والعكس

توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية؛ لأن مَن عبد الله وحده لا بد أن يكون قد اعتقد أنه الرب المالك الخالق المدبر المستحق للعبادة، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ويدل عليه ويوجبه، ولهذا أقام الله الحجة على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية.

قال ابن أبي العز الحنفي: «توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزًا، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهًا، قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩١]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧]»[(١)].

والربوبية والألوهية تارة يذكران معًا فيفترقان في المعنى، ويكون أحدهما قسيمًا للآخر، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [الناس: ١-٣]، **فيكون معنى الرب**: المالك المتصرف في الخلق، **ويكون معنى الإله**: المعبود بحق، المستحق للعبادة وحده، وتارة يذكر أحدهما منفردًا عن الآخر فيجتمعان في المعنى، كما في قول الملكين للميت في القبر: من ربك؟ **ومعناه**: من إلهك وخالقك؟

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٤١).

وكما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف: ١٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإلهية تتضمن الربوبية، والربوبية تستلزم الإلهية؛ فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران، كما في قوله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣﴾ وفي قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة: ٢] فجمع بين الاسمين: اسم الإله واسم الرب؛ فإن (الإله) هو المعبود الذي يستحق أن يعبد، و(الرب) هو الذي يربي عبده فيدبره»[(١)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «اعلم أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان، كما في قوله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣﴾، وكما يقال: رب العالمين، وإله المرسلين، وعند الإفراد يجتمعان، كما في قول القائل: من ربك؟»[(٢)].



(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٤).
(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٠٦).



المبحث التاسع

العبادة

تعريفها وشروط صحتها وأنواعها

۞ أولًا: تعريف العبادة:

العبادة في اللغة هي: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبَّد إذا كان مذلَّلًا بكثرة الوطء، وأصل العبودية: الخضوع والتذلل، وعبد الله يعبده عبادة ومعبدًا ومعبدةً: تأله له، والتعبد: التنسك(١).

والعبادة في الشرع يراد بها:

١- **المتعبَّد به تارة**، فتعريفها بهذا الاعتبار أنها «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»(٢). والذي يحبه الله ويرضاه هو كل ما أمر الله به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ أمر إيجاب أو أمر استحباب، والمراد بالأعمال والأقوال الظاهرة: أقوال اللسان وأعمال الجوارح، ويراد بالباطنة: قول القلب، وهو تصديقه واعتقاده، وعمل القلب، وهو محبته، وخوفه، ورجاؤه، وتوكله، وغيرها من أعمال القلوب.

٢- **وتارة يراد بها**: التعبد نفسه، فتعريفها بهذا الاعتبار هو فعل أوامر الله

---

(١) انظر: لسان العرب (٤/ ٢٧٧٦-٢٧٧٨)، تاج العروس (٨/ ٣٣٠-٣٣١).

(٢) العبودية (ص٤٤)، وانظر: الدرر السنية (٢/ ٢٨٩، ٣٠٣).

واجتناب نواهيه، محبة وخوفًا ورجاء، قال ابن كثير: «العبادة.. في الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف»[(١)].

۞ ثانيًا: شروط صحتها:

يشترط لصحة العبادة شرطان لا تصح العبادة إلا بهما:

أحدهما: الإخلاص، وضده الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

والثاني: الاتباع، وضده الابتداع، قال جل وعلا: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣١﴾ [آل عمران: ٣١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «جماع الدين أصلان: ألا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع»[(٢)]، وقال ابن القيم: «إن الله تعالى جعل الإخلاص والمتابعة سببًا لقبول الأعمال، فإذا فقدا لم تقبل الأعمال»[(٣)].

وقد دل على هذين الأصلين جميعًا قوله سبحانه: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝١١٢﴾ [البقرة: ١١٢]، حيث فسر إسلام الوجه لله بما يتضمن إخلاص قصد العبد لله بالعبادة له وحده[(٤)]، وهو محسن بالعمل الصالح المشروع المأمور به، وهذان الأصلان جماع الدين، ألا تعبد إلا الله، وأن تعبده بما شرع.

۞ ثالثًا: أنواع العبادة:

العبادة من حيث تعلقها بالعباد نوعان:

١- عبودية عامة: وهي عبودية أهل السماء والأرض، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، وهي عبودية القهر والملك[(٥)]، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣﴾ [مريم: ٩٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٣٤).
(٢) العبودية (ص١٤٨).
(٣) الروح (ص١٣٥)
(٤) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٤٣٢).
(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٢٥-١٢٦)، الدرر السنية (٢/ ٣٠٩).

٢- **عبودية خاصة:** وهو الإطلاق الغالب للفظ العبودية في القرآن والسنة، ويراد به عبودية المؤمن لربه سبحانه، وهو من مقتضيات توحيد الألوهية، أو توحيد العبادة، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥][1].

والعبادة من حيث مراتبها ثلاث مراتب: مرتبة الإسلام، ومرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان»[2]، كما دل على ذلك حديث جبريل عليه السلام[3].

والعبادة من حيث محلها أربعة أنواع: عبادة محلها القلب؛ كالإخلاص والخوف والرجاء والحب والتوكل وغير ذلك من أعمال القلوب، وعبادة محلها اللسان مع مواطأة القلب؛ كالشهادتين، والذِّكْر والدعاء، وعبادة محلها الجوارح مع مواطأة القلب ونطق اللسان؛ كالصلاة، والحج، وغيرهما، وعبادة مالية؛ كالزكاة.

وبالجملة: فالعبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه؛ قولي أو فعلي، ظاهر أو باطن، فهو نوع من أنواعها، والذي يحبه الله ورسوله هو كل ما أمر الله به في كتابه أو على لسان رسوله أمر إيجاب أو أمر استحباب.



(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٢٥-١٢٦).

(٢) ثلاثة الأصول وشروط الصلاة والقواعد الأربع (ص١٠)

(٣) انظر: صحيح البخاري (ح ٥٠)، صحيح مسلم (ح ٨).



المبحث العاشر

الجمع بين المحبة والخوف والرجاء

وحكم الإفراط أو التفريط في أحدها

للعبادة أركان ثلاثة ينبني عليها مدار مقامات السالكين، وهي: الخوف، والرجاء، والمحبة[(١)]، وكل منها فرض لازم، والجمع بين الثلاثة حتم واجب، ولا يجوز الإفراط أو التفريط في أحدها؛ ولهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها دون الآخر[(٢)]. قال بعض السلف: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»[(٣)].

قال الحافظ ابن رجب: «يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، ولا بد له من جميعها، ومن أخل ببعضها فقد أخل ببعض واجبات الإيمان»[(٤)].

وقد جمع الله تعالى هذه المقامات الثلاثة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]،

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٨٢).
(٢) انظر: التنبيهات السنية (ص٧٥).
(٣) العبودية (ص١١٢).
(٤) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص٢٥).

«فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرب إليه ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف فهذه طريقة عباده وأوليائه»[(١)].

ووجه كون هذه الثلاثة أركان العبادة: هو أن «الخوف يبعدك عن معصيته، والرجاء يخرجك إلى طاعته، والحب يسوقك إليه سوقًا»[(٢)].

علاقة الرجاء بالخوف:

قد ذكر الله تعالى الخوف مقرونًا بالرجاء في مواضع كثيرة منها قوله تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقد اختلف أهل العلم في علاقة الرجاء بالخوف، هل المشروع التسوية بينهما؟ أم ينبغي أن يغلب الرجاء على الخوف مطلقًا؟ أم يغلب الخوف على الرجاء مطلقًا؟ أم يغلب الخوف في حال الصحة، والرجاء في حال المرض؟ أم يغلب الرجاء في حال المرض وفي حال الصحة يجعل رجاءه وخوفه واحدًا؟ أم يختلف بحسب ما يرى العبد من نفسه؟ **فهي ستة أقوال في هذه المسألة:**

القول الأول: أنه ينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه سواء. قال ابن رجب: «فأما الخوف والرجاء، فأكثر السلف على أنهما يستويان، لا يرجح أحدهما على الآخر، قاله مطرف والحسن وأحمد وغيرهم»[(٣)].

وقال مطرف بن عبد الله: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدا سواء لا يزيد أحدهما على صاحبه»[(٤)]. قال شيخ الإسلام: «وهو كلامٌ صحيحٌ»[(٥)].

وقال الإمام أحمد: «ينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه واحدًا، فأيهما

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١١).
(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص٤٣٦).
(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص٢٥).
(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٢٠٨).
(٥) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٧٩).

غلب هلك صاحبه»[١]. قال شيخ الإسلام معللًا كلام الإمام أحمد: «لأن من غلب خوفه وقع في نوع من اليأس، ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله»[٢].

وقال الإمام البخاري: «باب الرجاء مع الخوف»[٣]. قال الحافظ ابن حجر: «أي استحباب ذلك، فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف، ولا في الخوف عن الرجاء؛ لئلا يفضي في الأول إلى المكر، وفي الثاني إلى القنوط، وكل منهما مذموم»[٤]، وقد نقل الحافظ ابن حجر الاتفاق على استحباب التسوية بينهما في حال الصحة[٥].

القول الثاني: ترجيح الخوف على الرجاء مطلقًا، قال ابن رجب: «ومنهم [يعني من السلف] من رجح الخوف على الرجاء، وهو محكي عن الفضيل وأبي سليمان الداراني»[٦].

القول الثالث: تغليب الرجاء على الخوف مطلقًا، واستدلوا بحديث: «**أنا عند ظن عبدي بي...**»[٧]. قال النووي: «والأصح أن المراد به الرجاء»[٨]، وقال البيضاوي في معنى الحديث: «والمراد: هو الحث على تغليب الرجاء على الخوف، وحسن الظن بالله، كما قال ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى**»[٩][١٠].

(١) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٥/ ٣٥٩).
(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٥٩).
(٣) صحيح البخاري (٨/ ٩٩).
(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠١)، وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (٢٣/ ٦٦)، شرح الطحاوية (٢/ ٤٥٧)، القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص١٢٢)، مجموع فتاوى ابن باز (٢٤/ ٢٣٣).
(٥) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٠١).
(٦) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص٢٥).
(٧) أخرجه مسلم (ح٢٦٧٥).
(٨) انظر: شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢).
(٩) أخرجه مسلم (ح ٢٨٧٧).
(١٠) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٢/ ١٤).

القول الرابع: تغليب الرجاء في حال المرض، وفي حال الصحة يجعل رجاءه وخوفه واحدًا، قال الإمام النووي: «اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفًا راجيًا، ويكون خوفه ورجاؤه سواءً، وفي حال المرض يمحض الرجاء، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك»[(١)]. وقال الحافظ ابن حجر: «وأما عند الإشراف على الموت، فاستحب قوم الاقتصار على الرجاء لما يتضمن من الافتقار إلى الله تعالى، ولأن المحذور من ترك الخوف قد تعذر، فيتعين حسن الظن بالله برجاء عفوه ومغفرته»[(٢)].

القول الخامس: أن يكون الخوف في الصحة أكثر، وفي المرض عكسه[(٣)]. قال السري بن المغلس: «الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحًا، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف»[(٤)]. وقال ابن القيم: «السلف استحبوا أن يقوِّي في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوِّي جناح الرجاء على جناح الخوف»[(٥)].

القول السادس: أن ذلك يختلف باختلاف حال كل شخص، قال شيخنا ابن عثيمين: «والذي عندي في هذه المسألة أن هذا يختلف باختلاف الأحوال، وأنه إذا خاف إذا غلب جانب الخوف أن يقنط من رحمة الله، وجب عليه أن يرد ويقابل ذلك بجانب الرجاء، وإذا خاف إذا غلب جانب الرجاء أن يأمن مكر الله، فليرد ويغلِّب جانب الخوف، والإنسان في الحقيقة طبيب نفسه إذا كان قلبه حيًّا، أما صاحب القلب الميت الذي لا يعالج قلبه ولا ينظر أحوال قلبه فهذا لا يهمه الأمر»[(٦)].

---

(١) رياض الصالحين (ص١٥٧).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠١).
(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠١).
(٤) شعب الإيمان (٢/ ٣٢٠).
(٥) مدارج السالكين (١/ ٥١٣)، وانظر: (٢/ ٣٧، ٤٣، ٥١).
(٦) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ١٠١).

الترجيح:

والراجح هو القول بالتسوية بين الخوف والرجاء، وهو الذي عليه أكثر السلف، لدلالة الآيات كما تقدم، ولحديث الترمذي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «**كيف تجدك؟**»، قال: والله يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف**»[1].



(١) أخرجه الترمذي (ح٩٨٣)، وابن ماجه (ح٤٢٦١)، وحسنه الألباني (أحكام الجنائز ص٣).



المبحث الحادي عشر

الدعاء

تعريفه وأقسامه وحكمه وفضله وشروطه وآدابه وأسباب إجابته وموانعها ومذاهب الناس في تأثير الدعاء وبيان الحق في ذلك

۞ أولًا: تعريفه:

الدعاء لغة: الطلب والسؤال[١]، قال الفيومي: «دعوتُ الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدًا: ناديتُه وطلبتُ إقباله»[٢]، وقال الراغب الأصفهاني: «الدعاء كالنداء، إلا أن النداء قد يقال بـ: «يا»، أو «أيا»، ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم، نحو: يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر»[٣].

وأما الدعاء شرعًا: فهو سؤال العبد ربه جلب ما ينفعه أو دفع ما يضره[٤]، إما

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٢٧٩)، المخصص (٤/ ٥٧)، لسان العرب (١٤/ ٢٥٧).

(٢) المصباح المنير (١/ ١٩٤).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص٣١٥).

(٤) انظر: شأن الدعاء، الخطابي (ص٤)، المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٥٢٢)، الرسائل الشخصية (٦/ ١٠٤) (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب).

بلسان مقاله وهو دعاء المسألة، أو بلسان حاله وهو دعاء العبادة[(١)].

قال الخطابي: «معنى الدعاء: استدعاء العبد ربَّه ﷻ العنايةَ، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله ﷻ، وإضافة الجود والكرم إليه»[(٢)].

۞ ثانيًا: أقسامه:

الدعاء قسمان[(٣)]: **(١)** دعاء مسألة، **(٢)** ودعاء عبادة.

فدعاء المسألة أن يسأل الله جل وعلا جلب نفع أو دفع ضر، **ودعاء العبادة** أن يتعبد لله بما شرع، فيوحده سبحانه، ولا يشرك به غيره في العبادة، ويطلب بعبادته الثواب، وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين: دعاء العبادة، ودعاء المسألة»[(٥)]، و«الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما، وهما متلازمان»[(٦)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة»[(٧)].

---

(١) ووجه هذا الأخير- الداعي بلسان الحال- أن المتعبد لله هو داع أيضًا، لأنه يطلب بعبادته الفوز بالجنة والنجاة من النار.

(٢) شأن الدعاء (ص٤).

(٣) **وهناك من قسم الدعاء إلى ثلاثة أقسام، أولها:** توحيد الله والثناء عليه، **وثانيها:** سؤال العفو والرحمة، **وثالثها:** سؤال أمر من أمور الدنيا. انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٥٥)، وانظر: حجة الله البالغة (٢/ ١١٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠-١١). (٥) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٧-٢٣٨).

(٦) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠).

(٧) القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص١٢٧).

فـ«العابد داعٍ، كما أن السائل داعٍ، وبهما فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، قيل: أطيعوني أُثِبْكم، وقيل: سلوني أُعْطِكم، وفسِّر بهما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والصواب أن الدعاء يعم النوعين»(١).

۞ ثالثًا: حكمه:

اختلف العلماء في حكم الدعاء، هل هو واجب أم مستحب؟ على قولين:

الأول: أنه مستحب، قال النووي: «اعلم أن المذهب المختار الذي عليه الفقهاء والمحدِّثون وجماهير العلماء من الطوائف كلِّها من السلف والخلف أن الدعاء مستحب»(٢).

الثاني: أنه واجب، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، قال الشوكاني: «يدل على أن ترك دعاء العبد لربه من الاستكبار، وتجنب ذلك واجب لا شك فيه»(٣).

واستدلوا أيضًا بقوله جل وعلا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]، «فإن هذا الاستفهام هو للتقريع والتوبيخ لمن ترك دعاء ربه»(٤).

وبحديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه من لم يسأل الله يغضب عليه**»(٥)، وهو دليل «على أن الدعاء من العبد لربه من أهم الواجبات

---

(١) جلاء الأفهام (ص١٥٥-١٥٦)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٧-٢٣٨).

(٢) الأذكار (ص٣٩٥).

(٣) تحفة الذاكرين (ص٣٦).

(٤) تحفة الذاكرين (ص٣٦).

(٥) أخرجه الترمذي (ح٣٣٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد (ح٦٥٨)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٤١٨).

وأعظم المفروضات؛ لأن تجنب ما يغضب الله منه لا خلاف في وجوبه»[(١)]، وقال الزبيدي: «قال بعض الأئمة: وهو يدل على أن السؤال لله واجب»[(٢)].

والراجح: أن الدعاء من حيث العموم تجري عليه الأحكام التكليفية الخمسة، فمن الواجب الدعاء الوارد في سورة الفاتحة؛ فإنه «أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه»[(٣)]، وكذلك التوبة التي هي سؤال العبد ربه مغفرة الذنوب فقد اتفقت الأمة على وجوبها[(٤)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القاعدة الكلية في شرعنا أن الدعاء إن كان واجبًا أو مستحبًّا فهو حسن يثاب عليه الداعي، وإن كان محرمًا كالعدوان في الدماء فهو ذنب ومعصية، وإن كان مكروهًا فهو ينقص مرتبة صاحبه، وإن كان مباحًا مستوي الطرفين فلا له ولا عليه»[(٥)].

۞ رابعًا: فضله:

للدعاء فضائل كثيرة وردت في الكتاب والسنة، منها:

١- أن الدعاء هو العبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠]، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**»، ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾»[(٦)].

٢- الدعاء أكرم شيء على الله تعالى. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء**»[(٧)].

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، الشوكاني (ص٣٦).

(٢) إتحاف السادة المتقين (٥/ ٣٠). (٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٢٠).

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١/ ٤٢٦).

(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٣٦).

(٦) أخرجه أبو داود (ح١٤٧٩)، والترمذي (ح٣٣٧٢) وقال: «حسن صحيح».

(٧) أخرجه الترمذي (ح٣٣٧٠)، وابن ماجه (ح٣٨٢٩)، وحسنه الألباني (صحيح الجامع ح٥٣٩٢).

٣- وعد الله لمن يدعوه بالقرب منه وإجابة دعائه، قال جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

٤- الدعاء يرد القضاء، فعن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يردُّ القضاءَ إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر**»[١].

٥- الله يحب من عباده أن يدعوه، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه من لم يسأل الله يغضب عليه**»[٢].

خامسًا: شروطه:

١- الإخلاص، قال تبارك وتعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

٢- أن يكون المطعم والمشرب والملبس حلالًا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك؟[٣].

٣- اليقين بالإجابة وحضور القلب، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ**»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (ح٢١٣٩)، والبزار (ح٢٥٤٠)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٥١)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح١٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٣٣٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد (ح٦٥٨)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٤١٨).

(٣) أخرجه مسلم (ح١٠١٥).

(٤) أخرجه الترمذي (ح٣٤٧٩)، وأحمد في المسند (١١/ ٢٣٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٤٥).

٤- العزم في الدعاء، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له**»[١].

٥- ألا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**» قالوا: إذًا نكثر، قال: «**الله أكثر**»[٢].

۞ سادسًا: آدابه[٣]:

للدعاء آداب كثيرة يستحب للداعي أن يتأدب بها، منها:

١- أن يفتتح الدعاء بحمد الله، والصلاة والسلام على النبي ﷺ ويختم بذلك.

٢- أن يدعو ربه في الرخاء والشدة.

٣- ألا يدعو على أهله، أو ماله، أو ولده، أو نفسه.

٤- أن يخفض صوته في الدعاء بين المخافتة والجهر.

٥- أن يتضرع إلى الله في دعائه.

٦- الإلحاح على الله في الدعاء.

٧- أن يتوسل إلى الله تعالى بأنواع التوسل المشروعة.

٨- عدم تكلف السجع في الدعاء.

٩- أن يدعو ثلاثًا.

١٠- استقبال القبلة.

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٣٣٨)، ومسلم (ح٢٦٧٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٧/ ٢١٣-٢١٤)، وإسناده صحيح.

(٣) انظر للتفصيل ومعرفة الأدلة على هذه الآداب: تصحيح الدعاء، بكر أبو زيد (ص٢٢) وما بعدها، الدعاء ومنزلته في العقيدة الإسلامية، العروسي (١/ ١٦١) وما بعدها، شروط الدعاء وموانع الإجابة، سعيد القحطاني (ص٣٤) وما بعدها.

١١- رفع اليدين في الدعاء، إلا في المواضع المستثناة.

١٢- الوضوء قبل الدعاء إن تيسر.

١٣- أن يبدأ الداعي بنفسه إذا دعا لغيره.

١٤- استعمال الدعاء الوارد في الكتاب والسنة.

١٥- أن يتحرى جوامع الدعاء.

١٦- ألا يتحجر واسعًا.

١٧- ألا يرفع بصره إلى السماء حال الدعاء.

١٨- ألا يدعو بظهور كفيه أو يشير بأصبعه.

١٩- عدم التمايل عند الدعاء.

٢٠- تجنب التطريب والتلحين.

٢١- إظهار الافتقار والمسكنة.

۞ سابعًا: أسباب إجابته(١):

١- تقديم التوبة النصوح.

٢- تقديم عمل صالح قبله، كالصدقة والوضوء والصلاة.

٣- اغتنام الأوقات الفاضلة، كيوم عرفة وآخر ساعة بعد العصر يوم الجمعة، وشهر رمضان، والأسحار.

٤- اغتنام الأماكن الشريفة، كمكة ومشاعر الحج.

٥- اغتنام الأحوال الصالحة، كالدعاء عند نزول الغيث، وبعد الوضوء، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وعند فطر الصائم، وفي حال السجود، وأدبار الصلوات المكتوبات.

٦- توحيد الله والثناء عليه والاعتراف بالذنب في الدعاء، قال رسول الله ﷺ: «**دعوة ذي النون، إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني**

---

(١) انظر: تصحيح الدعاء (ص٣١-٣٣).

كنت من الظالمين؛ فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»[(١)] .
فقوله : **(لا إله إلا أنت)** توحيد، وقوله : **(سبحانك)** ثناء على الله وتنزيه له جل وعلا، وقوله : **(إني كنت من الظالمين)** اعتراف بالذنب .

۞ ثامنًا : موانع إجابته :

١- أكل الحرام، وسبق دليله .

٢- الدعاء بإثم أو قطيعة رحم، وسبق دليله .

٣- الاستعجال، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي**»[(٢)]، قال ابن بطال : «قال بعض العلماء : قوله : **(ما لم يعجل) يعني:** يسأم الدعاء ويتركه، فيكون كالمانِّ بدعائه، وأنه قد أتى من الدعاء ما كان يستحق به الإجابة، فيصير كالمبخِّل لربٍّ كريم، لا تعجزه الإجابة، ولا ينقصه العطاء، ولا تضره الذنوب»[(٣)] .

۞ تاسعًا : مذاهب الناس في تأثير الدعاء، وبيان الحق في ذلك :

قال ابن أبي العز الحنفي : «الذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم : أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا . وإجابة الله لدعاء العبد، مسلمًا كان أو كافرًا، وإعطاؤه سُؤْله من جنس رزقه لهم، ونصره لهم، وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقًا»[(٤)] .

«وذهب قوم من المتفلسفة وغالية المتصوفة إلى أن الدعاء لا فائدة فيه! قالوا : لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (ح ٣٥٠٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ح٣٣٨٣) .
(٢) أخرجه البخاري (ح٦٣٤٠)، ومسلم (ح٢٧٣٥) .
(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ١٠٠) .
(٤) شرح الطحاوية (٢/ ٦٧٦-٦٧٧) .

وإن لم تقتضه فلا فائدة في الدعاء!! وهذا كما أنه معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام، فهو معلوم الفساد بالضرورة العقلية؛ فإن منفعة الدعاء أمر اتفقت عليه تجارب الأمم، حتى إن الفلاسفة تقول: ضجيج الأصوات في هياكل العبادات، بفنون اللغات، يحلل ما عقدته الأفلاك المؤثرات!! هذا وهم مشركون.

وجواب الشبهة بمنع المقدمتين: فإن قولهم عن المشيئة الإلهية: إما أن تقتضيه أو لا، ثَمَّ قسم ثالث، وهو: أن تقتضيه بشرطٍ لا تقتضيه مع عدمه، وقد يكون الدعاء من شرطه، كما توجب الثواب مع العمل الصالح، ولا توجبه مع عدمه، وكما توجب الشبع والري عند الأكل والشرب، ولا توجبه مع عدمهما، وحصول الولد بالوطء، والزرع بالبذر، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال: لا فائدة في الأكل والشرب والبذر وسائر الأسباب، فقول هؤلاء كما أنه مخالف للشرع، فهو مخالف للحس والفطرة...

وقولهم: إن اقتضت المشيئة المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء؟ **قلنا:** بل قد تكون إليه حاجة، من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة وآجلة، ودفع مضرة أخرى عاجلة وآجلة.

وكذلك قولهم: وإن لم تقتضه، فلا فائدة فيه؟ **قلنا:** بل فيه فوائد عظيمة، من جلب منافع، ودفع مضار، كما نبه عليه النبي ﷺ، بل ما يعجل للعبد من معرفته بربه، وإقراره به، وبأنه سميع قريب قدير عليم رحيم، وإقراره بفقره إليه واضطراره إليه، وما يتبع ذلك من العلوم العلية والأحوال الزكية، التي هي من أعظم المطالب.

فإن قيل: إذا كان إعطاء الله معلَّلًا بفعل العبد، كما يعقل من إعطاء المسؤول للسائل، كان السائل قد أثَّر في المسئول حتى أعطاه؟! قلنا: الرب سبحانه هو الذي حرك العبد إلى دعائه، فهذا الخير منه، وتمامه عليه، كما قال عمر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إني لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه). وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥﴾ [السجدة: ٥]، فأخبر سبحانه أنه يبتدئ بالتدبير، ثم يصعد إليه الأمر الذي دبره، فالله سبحانه هو الذي يقذف في قلب العبد حركة الدعاء، ويجعلها سببًا للخير الذي يعطيه إياه، كما في العمل والثواب، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، فما أثر فيه شيء من المخلوقات، بل هو جعل ما يفعله سببًا لما يفعله. قال مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير، أحد أئمة التابعين: (نظرت في هذا الأمر، فوجدت مبدأه من الله، وتمامه على الله، ووجدت ملاك ذلك الدعاء)»[(١)].



(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٧٨-٦٨١) بتصرف يسير.



المبحث الثاني عشر

معنى (لا إله إلا الله)

وأركانها وشروطها ونواقضها

۞ أولًا: معناها:

هذه الكلمة العظيمة هي أصل الدين وأساسه كله، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، وهي تدل على إبطال العبادة لغير الله، وإثبات العبادة لله وحده جل وعلا(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ومعنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، فصح أن معنى الإله هو المعبود، ولهذا لما قال النبي ﷺ لكفار قريش: «**قولوا: لا إله إلا الله**» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ [ص: ٥]، وقال قوم هود: ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ﴾ [الأعراف: ٧٠]، وهو إنما دعاهم إلى (لا إله إلا الله)، فهذا هو

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (١/ ٣٨-٣٩)، وانظر: نصوص العلماء في معنى الإله في: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله (ص٧٤).

معنى (لا إله إلا الله)، وهو عبادة الله وترك عبادة ما سواه، وهو الكفر بالطاغوت، وإيمان بالله. فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمنت نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلهًا وحده، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات»(١).

أما معناها عند المتكلمين، فقد شاع في كتب المتكلمين تفسير الألوهية بالقدرة على الاختراع(٢).

وهذا التفسير خطأ من وجوه:

الأول: مخالفته للسان العرب؛ فإن معنى (الإله) عند العرب: المعبود، ومعنى التأله: التعبد، قال في (الصحاح): «التأليه: التعبيد، والتألُّه: التنسُّك والتعبد»(٣).

الثاني: مخالفته للواقع؛ فإن العرب كانوا مقرين بأنه لا قادر إلا الله، ولم ينازعوا في هذا المعنى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع، كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أنه لا إله إلا هو، فإن المشركين كانوا يقرُّون بهذا وهم مشركون... بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يُعبَد فهو إلهٌ بمعنى مألوه، لا إله بمعنى آلِه»(٤).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٥٢).
(٢) انظر: أصول الدين، لعبد القاهر البغدادي (ص١٢٣)، تفسير الرازي (٣٢/ ٢١٧).
(٣) الصحاح (٦/ ٢٢٢٤)، وانظر: تهذيب اللغة (٦/ ٤٢٢-٤٢٤).
(٤) التدمرية (ص١٨٥-١٨٦)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص٥٤-٥٥).

ومما يتعلق بمعرفة معناها معرفة القول الصحيح في تقدير خبر (لا)[١]، **واختلف الناس في تقدير الخبر على ثلاثة أقوال:**

الأول: قول المحققين من أهل العلم أن تقدير الخبر (حق) أي: لا إله حقٌّ إلا الله.

الثاني: قال النحاة: تقدير الخبر (موجود)، أي: لا إله موجود إلا الله[٢]، وهذا إن صح من ناحية اللغة، لكنه خطأ من جهة المعنى، **وذلك من وجهين:**

الوجه الأول: مخالفته للواقع، ذلك أن في الوجود آلهة باطلة، فكيف يقال: لا إله في الوجود؟! والله سبحانه سماها آلهة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠١].

والوجه الثاني: أن هذا التقدير موافق في الظاهر لمقالة الاتحاديين القائلين: لا إله في الوجود إلا الله، وإن لم يقصد النحاة ذلك، لكن لا يسوغ مجاراتهم في ألفاظهم؛ لأن مقالة الاتحادية من مقالات الكفر والإلحاد، المناقضة للمعقول والمنقول[٣].

القول الثالث: لا حاجة إلى تقدير خبر، بدعوى أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصِّرف من نفي الوجود، فالأَوْلَى -على هذا القول- إجراء الكلام

---

(١) **قال النحاة:** (لا) نافية للجنس، (إله): اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف، (إلا): أداة استثناء ملغاة، ولفظ الجلالة (الله) بدل من خبر لا المحذوف مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وهو أصح الوجوه في إعرابها، ولا يصح أن يكون اسم الجلالة هو الخبر؛ لأن (لا) النافية للجنس لا تعمل في المعارف، قال ابن مالك (ألفية ابن مالك ص: ٢٢):

عمل (إنَّ) اجعل لـ (لا) في نكره مفردةً جاءتك أو مكرَّره

للتفصيل والاستزادة انظر: رسالة إعراب لا إله إلا الله، لابن هشام الأنصاري.

(٢) انظر: معنى لا إله إلا الله، للزركشي (ص٧٤).

(٣) انظر: معارج القبول (٢/ ٤١٦).

على ظاهره والإعراض عن هذا الإضمار؛ ليكون النفي منصبًّا على ماهية الإله بدون قيد (في الوجود)، أي: لا إله مطلقًا إلا الله، قال الرازي في «تفسيره»: «نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود»[(١)].

وهذا القول خطأ لوجهين أيضًا:

الأول: أنه مخالف للسان العرب، فإن (إله) في موضع المبتدأ على قول سيبويه، وعند غيره اسم (لا)، وعلى التقديرين فلا بد من خبر للمبتدأ، فالقول بالاستغناء عن الإضمار فاسد[(٢)]، قال الزركشي: «نازع فيه [أي: في تقدير الخبر] بعضهم، ونفى الحاجة إلى قيد مقدَّر؛ محتجًّا بأن نفي الماهية من غير قيد أعم من نفيها بقيد، والتقدير أولى؛ جريًا على القاعدة العربية في تقدير الخبر»[(٣)].

الثاني: أن هذا مبني على مذهب المعتزلة الذين يفرقون بين الماهية والوجود[(٤)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة العقلاء أن الماهيات مجعولة وأن ماهية كل شيء عين وجوده وأنه ليس وجود الشيء قدرًا زائدًا على ماهيته بل ليس في الخارج إلا الشيء الذي هو الشيء وهو عينه ونفسه وماهيته وحقيقته وليس وجوده وثبوته في الخارج زائدًا على ذلك»[(٥)].

۞ ثانيًا: أركانها:

للشهادة ركنان: الأول: النفي، **والثاني:** الإثبات.

---

(١) تفسير الرازي (٤/ ١٤٩)، وانظر: البحر المحيط (٢/ ٧٦).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٧٣).

(٣) معنى لا إله إلا الله، للزركشي (ص٧٤-٧٥).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٧٣-٧٤). والماهية والوجود مصطلحان فلسفيان، فالماهية عندهم: ما يتصوره الذهن، والوجود: هو ما يوجد خارج الذهن، يعني في الواقع.

(٥) مجموع الفتاوى (٢/ ١٥٦)، وانظر: التدمرية (ص١٢٩).

فالنفي في قوله: (لا إله) حيث تنفي جميع ما يعبد من دون الله.

والإثبات في قوله: (إلا الله) حيث تثبت الألوهية، وهي العبادة له وحده سبحانه لا شريك له في عبادته وخلقه وملكه وتدبيره وأسمائه وصفاته.

وقال شارح الطحاوية: «وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال»(١).

۞ ثالثًا: شروطها:

ذكر أهل العلم لهذه الكلمة العظيمة سبعة شروط، دل عليها الكتاب والسنة، وهي:

١- **العلم المنافي للجهل**، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وعن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة**»(٢).

٢- **اليقين المنافي للشك**: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا أن رسول الله ﷺ قال له: «**من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه، فبشره بالجنة**»(٣).

٣- **الإخلاص المنافي للشرك**: قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قيل: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي**

(١) شرح الطحاوية (١/ ٧٢)، وانظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٣٦).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٦).
(٣) أخرجه مسلم (ح٣١).

يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه، أو نفسه»(١).

٤- **الصدق المنافي للكذب:** قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣].

قال ابن عباس في تفسيرها: «من جاء بلا إله إلا الله»(٢).

وقال ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، صدقًا من قلبه، إلا حرمه الله على النار**»(٣).

٥- **المحبة المنافية للبغض:** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»(٤).

٦- **الانقياد لها ظاهرًا وباطنًا:** قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢].

أي بـ(لا إله إلا الله) كما قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما(٥).

٧- **القبول لها:** قال تعالى في حق من لم يقلها: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ [الصافات: ٢٢] إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ٣٥].

وقد جمع بعضهم شروط (لا إله إلا الله) في بيت فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

---

(١) أخرجه البخاري (ح٩٩).
(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٠٤).
(٣) أخرجه البخاري (ح١٢٨).
(٤) أخرجه البخاري (ح١٦)، ومسلم (ح٤٣).
(٥) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٥٦٠)، (١٨/ ٥٦٩).

وزاد بعضهم شرطًا ثامنًا أشار إليه الناظم بقوله:

وزيد ثامنها الكفران منك بما سوى الإله من الأنداد قد ألها

قلت: والتحقيق أنه ركن وليس بشرط، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧][(١)].

۞ رابعًا: مراتبها:

ومما يتعلق بمعرفة معناها معرفة مراتبها، وقبل بيان المراتب نورد ما قاله السلف في تفسير (شهد) من قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]؛ لأن المراتب مبنية على تفسيرها. قال مجاهد والفراء وأبو عبيدة: (شهد): قضى وحكم، وقال ثعلب والزجاج: بيَّن، وقالت طائفة: أخبر. قال ابن القيم: «وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها؛ فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره، وقوله، وتتضمن إعلامه، وإخباره وبيانه، فلها أربع مراتب»[(٢)].

وبيان هذه المراتب كما يلي:

المرتبة الأولى: العلم، ودليلها قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

المرتبة الثانية: التكلم وإن لم يُعلم بها غيره، دليلها قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، فجعل قولهم: الملائكة بنات الله شهادة، وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة، ولم يؤدوها عند غيرهم.

المرتبة الثالثة: الإعلام إما بالقول أو بالفعل.

دليل القول ما مر، وأما الإعلام بالفعل، فدليلها قوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ

---

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٤١٨) وما بعدها.

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤١٨).

لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلون من أعمال الكفر وأقواله، فهي شاهدة بكفرهم، وهم شاهدون على أنفسهم بما شهدت به.

المرتبة الرابعة: الأمر والحكم والإلزام، وهذه المرتبة لا يستلزمها مطلق الشهادة، لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه، كما قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك: أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو، فقد أخبر، وبيَّن وأعلم، وحَكَم وقضى أن ما سواه ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلهًا، والنهي عن اتخاذ غيره إلهًا، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات(١).

۞ خامسًا: فضائلها:

١- أن من قالها بإخلاص فاز بشفاعة النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه، أو نفسه**»(٢).

٢- أنها أفضل الذكر، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**»(٣).

٣- أنها سبب النجاة من النار ودخول الجنة، فعن عتبان بن مالك رضي الله عنه، أن

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٨-٤٢٣)، شرح الطحاوية (١/ ٤٤-٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح٩٩).

(٣) أخرجه الترمذي (ح٣٣٨٣) وحسنه، وابن ماجه (ح٣٨٠٠)، وحسنه الألباني (صحيح الجامع ح١١٠٤).

النبي ﷺ قال: «**إن الله حَرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»(١).

٤- أنها تُرَجَّح بصحائف الذنوب، كما في حديث البطاقة، فعن عبد الله ابن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله سَيُخَلِّص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فيَنشر عليه تسعةً وتسعين سِجِلًّا كل سجل مثل مَد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم**، قال: «**فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء**»(٢).

٥- أنها أعلى شعب الإيمان، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(٣).

٦- أنها أفضل ما قاله النبيون، فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»(٤).

٧- أنها أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفًا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله**

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٦٣٩)، وابن ماجه (ح٤٣٠٠)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٨٠٩٥).

(٣) أخرجه مسلم (ح٣٥).

(٤) أخرجه الترمذي (ح٣٥٨٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٣٢٧٣).

الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك»(١).

٨- أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم فإنهم لا بد أن يخرجوا منها ولا يخلدون فيها، ففي حديث الشفاعة: «**فيقول [الله تعالى]**: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي لأخرجنَّ منها من قال: لا إله إلا الله»(٢)، وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير**»(٣)، وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»(٤).

وهذه الفضائل لا تتحقق إلا لمن قالها وعمل بمقتضاها، وإلا فإن المنافقين كانوا يقولون: لا إله إلا الله، وهم في الدرك الأسفل من النار، لأن لا إله إلا الله وإن كانت سببًا لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضية لذلك، إلا أن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه(٥).

۞ سادسًا: نواقضها:

نواقض (لا إله إلا الله) ليست منحصرة في عدد محدد، والضابط في ذلك: أن كل ما دلَّ عليه الدليل - من كتابٍ، أو سُنة، أو إجماعٍ- على أنه من الردة، فهو من نواقض (لا إله إلا الله).

(١) أخرجه البخاري (ح٣٢٩٣)، ومسلم (ح٢٦٩١).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٥١٠).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٤)، ومسلم (ح١٩٣).
(٤) أخرجه أحمد في المسند (ح٣١١٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٦٤٧٩).
(٥) انظر: كلمة الإخلاص وتحقيق معناها (ص١٣)، وانظر: كشف الشبهات، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٨-٩).

وهي كثيرة جدًّا، فمن أهل العلم من قسمها باعتبار أنواعها فقسمها إلى نواقض اعتقادية كاعتقاد وجود شريك مع الله، ونواقض عملية كالسجود للصنم، ونواقض قولية كسَبِّ الله، ومنهم من اقتصر على ذكر أكثرها وقوعًا وانتشارًا.

وذكر بأنها عشرة[1]:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ومن ذلك: دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنذر والذبح لهم[2].

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، كَفَر إجماعًا، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات: فهو كافر بإجماع المسلمين»[3].

الثالث: من لم يكفِّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر، قال القاضي عياض: «نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك»[4].

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره

---

(١) وسيأتي تفصيل ما يتعلق بهذه النواقض حسب مواضعه في المنهج المقرر.

(٢) انظر: الاستقامة، لابن تيمية (١/ ٣٤٤). (٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤).

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٨٦).

أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به، كَفَر[١]، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾ [محمد: ٩].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الله، أو ثوابه، أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

السابع: السحر، فمن فعله أو رضي به، كَفَر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فهو كافر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

العاشر: الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المُكْره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه[٢].

---

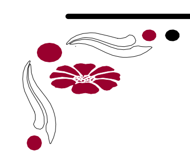
(١) انظر: كشاف القناع (١٤/ ٢٢٧).

(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٣٦١-٣٦٢).

وهذه النواقض لا يجوز أن تنزل على الأعيان إلا بعد تحقق ضوابطها وثبوت شروطها وانتفاء موانعها[١].



(١) كما سيأتي بيانه مفصلًا في مبحث التكفير في الجزء الرابع.

ملخص الفصل الأول

تبين من خلال دراسة هذا الكتاب ما يلي:

❑ **توحيد الألوهية هو:** إفراد الله تعالى بالعبادة، ويطلق على توحيد الألوهية عدة أسماء منها: توحيد الإلهية، وتوحيد العبادة، وتوحيد الإرادة، وتوحيد القصد والطلب، وتوحيد العمل أو التوحيد العملي.

❑ علاقة توحيد الألوهية بشهادة أن لا إله إلا الله علاقة مطابقة وتضمن، وأما علاقة توحيد الألوهية بشهادة أن محمدًا رسول الله فهي علاقة التزام.

❑ **من لوازم الإيمان بتوحيد الألوهية ما يلي:** ١- الإيمان بربوبية الله تعالى، ٢- وصف الله تعالى بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال، ٣- الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ٤- القيام بحقها من فعل المأمورات واجتناب المنهيات، ٥- تحكيم شرعه والانقياد لحكمه، ٦- تحقيق التوحيد وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

❑ توحيد الألوهية هو أول دعوة الرسل، وأول واجب على المكلف، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، وأخطأ المتكلمون القائلون بأن أول واجب على المكلف هو النظر أو القصد إلى النظر أو الشك، وخالفوا الكتاب والسنة وإجماع السلف.

❑ **تتبين أهمية توحيد الألوهية من وجوه كثيرة، منها:** ١- أنه معنى كلمة التوحيد؛ لا إله إلا الله، ٢- أنه الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس، ٣- أنه حق الله على عباده، ٤- أن حاجة العباد إليه فوق كل حاجة، ٤- يتحرر المخلوق بتحقيقه من رق المخلوق وعبوديته.

❑ **لتوحيد الألوهية فضائل كثيرة، منها:** ١- أنه سبب لدخول الجنة، ٢- أنه سبب للنجاة من النار، ٣- أنه سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات، ٤- أنه سبب للاهتداء والأمن في الدنيا والآخرة، ٥- أن قبول الأعمال متوقف على تحقيقه، وكمالها متوقف على كماله.

❑ **لتوحيد الألوهية في دعوة الأنبياء والرسل مكانة عظيمة، وتتبين من وجوه كثيرة، منها:** ١- أنه أول دعوتهم، وزبدة رسالتهم، ٢- أنه أول واجب على المكلف، ٣- أنه آخر واجب على المكلف.

❑ البشرية كانت في أول أمرها على التوحيد، ثم طرأ عليها الشرك وعبادة غير الله، وأول شرك طرأ على بني آدم كان في قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأصل شركهم الغلو في الصالحين، ثم كان الشرك في زمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعبادة الكواكب، وأول من نقل الأصنام إلى جزيرة العرب وغيَّر دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو عمرو بن لحي الخزاعي، وقد كان أصل شرك العرب، بل أصل شرك الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم في توحيد الألوهية، لا في توحيد الربوبية، وأول من أحدث شرك الألوهية وعبادة المشاهد في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الرافضة الباطنية.

❑ توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ولا يتضمنه، والربوبية والألوهية تارة يجتمعان فيفترقان في المعنى، ويكون أحدهما قسيمًا للآخر، وتارة يفترقان فيكون لكل منهما معناه الخاص به.

❑ **العبادة في الشرع يراد بها:** ١- المتعبَّد به، فتعريفها بهذا الاعتبار أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. ويراد بها: ٢- التعبد نفسه، فتعريفها بهذا الاعتبار أنها فعل أوامر الله واجتناب نواهيه، محبة وخوفًا ورجاء، ويشترط لصحة العبادة شرطان: ١- الإخلاص، وضده الشرك، ٢- الاتباع، وضده الابتداع، وتطلق العبادة بإطلاقين: ١- عام (العبودية العامة): وهي عبودية القهر والملك، ٢- خاص

(العبودية الخاصة): وهي عبودية المؤمن لربه سبحانه، وهو الإطلاق الغالب للفظ العبودية في القرآن والسنة.

❑ **للعبادة أركان ثلاثة ينبني عليها مدار مقامات السالكين، وهي:** ١- الخوف، ٢- الرجاء، ٣- المحبة، وكل منها فرض لازم، والجمع بين الثلاثة حتم واجب، بلا إفراط أو تفريط في أحدها.

❑ **الدعاء شرعًا:** سؤال العبد ربه جلب ما ينفعه أو دفع ما يضره، وهو قسمان: ١- دعاء عبادة، ٢- ودعاء مسألة، واختلف في حكمه، فقيل: مستحب، وقيل: واجب، والصحيح أن الدعاء من حيث العموم تجري عليه الأحكام التكليفية الخمسة.

❑ **للدعاء فضائل كثيرة وردت في الكتاب والسنة، منها:** ١- أن الدعاء هو العبادة، ٢-وعد الله لمن يدعوه بالقرب منه وإجابة دعائه، ٣- الدعاء يرد القضاء، ٤- الله يحب من عباده أن يدعوه.

❑ **شروط الدعاء:** ١- الإخلاص، ٢- أن يكون المطعم والمشرب والملبس حلالًا، ٣- اليقين بالإجابة وحضور القلب، ٤- العزم في الدعاء، ٥- ألا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم.

❑ الذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم: أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وذهب قوم من المتفلسفة وغالية المتصوفة إلى أن الدعاء لا فائدة فيه، وهذا القول باطل بالشرع والعقل والحس.

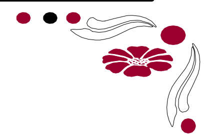
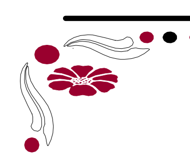
❑ **معنى شهادة أن لا إله إلا الله:** لا معبود بحق إلا الله، ويخطئ من يفسر الألوهية بالقدرة على الاختراع، ولها ركنان: ١- النفي في قوله: (لا إله) حيث تنفي جميع ما يعبد من دون الله، ٢- الإثبات في قوله: (إلا الله) حيث تثبت العبادة له وحده سبحانه لا شريك له في عبادته وخلقه وملكه وتدبيره وأسمائه وصفاته.

❑ **شروط (لا إله إلا الله)، هي:** ١- العلم المنافي للجهل، ٢- اليقين المنافي للشك، ٣- الإخلاص المنافي للشرك، ٤- الصدق المنافي للكذب، ٥- المحبة المنافية للبغض، ٦- الانقياد لها ظاهرًا وباطنًا، ٧- القبول لها.
ولها أربع مراتب: ١- العلم، ٢- التكلم وإن لم يُعلم بها غيره، ٣- الإعلام إما بالقول أو بالفعل، ٤- الأمر والحكم والإلزام.

❑ **لكلمة التوحيد فضائل كثيرة، منها:** ١- أن من قالها بإخلاص فاز بشفاعة النبي ﷺ، ٢- أنها أفضل الذكر، ٣- أنها سبب النجاة من النار ودخول الجنة، ٤- أنها ترجح بصحائف الذنوب، ٥- أنها أعلى شعب الإيمان، ٦- أنها أفضل ما قاله النبيون، ٧- أنها أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفًا، ٨- أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم فإنهم لا بد أن يخرجوا منها ولا يخلدون فيها، وهذه الفضائل لا تتحقق إلا لمن قالها وعمل بمقتضاها.

❑ نواقض (لا إله إلا الله) ليست منحصرة في عدد محدد، **والضابط في ذلك:** أن كل ما دلَّ عليه الدليل - من كتابٍ، أو سُنة، أو إجماعٍ- على أنه من الردة، فهو من نواقضها.



أسئلة تطبيقيـة

س١: من خلال دراستك لتوحيد الألوهية أجب عن الآتي:

❋ عرّف توحيد الألوهية لغة واصطلاحًا.

❋ اذكر أسماء أخرى لتوحيد الألوهية.

❋ بيِّن علاقة توحيد الألوهية بالشهادتين.

❋ بيِّن العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية.

❋ دلِّل على وجوب توحيد الله في ألوهيته من الكتاب والسنة.

س٢: وضح المراد بقولهم: التوحيد أصيل في بني آدم، والشرك طارئ فيهم.

س٣: ما هو أول واجب على المكلف عند أهل السنة؟ وما أدلتهم على ذلك؟

س٤: عرف العبادة لغة وشرعًا، مبينًا أنواعها وشروط قبولها، مع ذكر الأدلة.

س٥: اشرح معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وما الأقوال في تقدير خبر (لا)؟ واذكر القول الراجح مع التوجيه.

س٦: عرف الدعاء؟ وما أقسامه وشروطه؟ ثم بيّن أسباب إجابة الدعاء وموانعه.

س٧: اذكر أهم فضائل الدعاء، واذكر عشرة من أهم آدابه.

س٨: اذكر شروط لا إله إلا الله، مع الاستدلال لما تذكر.

س٩: بيِّن مراتب لا إله إلا الله على سبيل الإجمال، واذكر ستة من فضائلها مع الاستدلال.

س١٠: بيِّن ضابط نواقض لا إله إلا الله، وبيِّن أقسامها عند أهل العلم، ثم اذكر خمسة من أشهر نواقضها.

س١١: علل ما يأتي:

١- التقدير الصحيح لخبر لا في جملة (لا إله إلا الله)، هو (بحق)، أي: لا معبود بحق إلا الله.

٢- النظر الشرعي الوارد في نصوص الكتاب والسنة ليس هو النظر عند المتكلمين.

٣- أخطأ المتكلمون في تفسير معنى الإلهية بأنها القدرة على الاختراع.

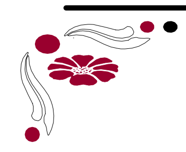
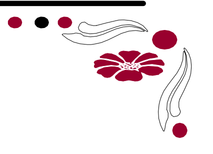
٤- أخطأ المتكلمون في قولهم: إنَّ تقدير الخبر (موجود)، أي: لا إله موجود إلا الله.

٥- الأصل في البشرية التوحيد والشرك طارئ.





(تعريفه وأقسامه وأنواعه وصوره وأحكامه)

الفصل الثاني

۞ ويشتمل على ما يلي:

١- الشرك؛ تعريفه، وأقسامه، وحكم كل قسم.

٢- أبرز شبهات المخالفين في توحيد الألوهية، والرد عليها إجمالًا.

٣- مظاهر الانحراف في توحيد الألوهية قديمًا وحديثًا.

٤- السحر؛ تعريفه، وأنواعه، وحكم الشرع في السحر والساحر، وبعض صوره المعاصرة.

٥- النشرة؛ تعريفها، وأقسامها، وحكمها.

٦- الشعوذة؛ تعريفها، وصورها، والفرق بينها وبين السحر.

٧- الكهانة؛ تعريفها، وحكمها.

٨- التنجيم؛ تعريفه، وأنواعه، وأحكامه.

٩- المراد بالجن، وأصل خلقهم، وصفاتهم، وجوانب ضعفهم، وأصنافهم، والفرق بينهم وبين الشياطين، وطرق الاحتراز منهم.

١٠- تلبس الجن بالإنس؛ المراد به، ومناقشة منكريه.

١١- الاستعانة بالجن؛ صورها، وأحكامها.

١٢- التطير؛ تعريفه، وأمثلته، وأحكامه.

١٣- التمائم؛ تعريفها، وحكمها، وصورها المعاصرة.

١٤- الرقى؛ تعريفها، وصورها المعاصرة، وأحكامها.

١٥- التوسل؛ تعريفه، وأقسامه، وحكم كل قسم مع أدلته.

١٦- التبرك؛ تعريفه، وأنواعه المشروعة والممنوعة.

١٧- الأعياد الشرعية والبدعية؛ المراد بها، وأنواعها، وأحكامها.

١٨- برامج التدريب والاستشفاء المعاصر، صورها وأحكامها.



المبحث الأول

الشرك

تعريفه وأقسامه وحكم كل قسم

۞ أولًا: تعريف الشرك:

الشرك لغة: هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلانًا، إذا جعلته شريكًا لك، والشِّرْكَةُ والشَّرِكة: مخالطة الشريكين، وطريق مشترك يستوي فيه الناس، واسم مشترك تشترك فيه معانٍ كثيرة كالعين ونحوها؛ فإنه يجمع معاني كثيرة، وأشرك بالله: جعل له شريكًا في ملكه -تعالى الله عن ذلك[(١)].

وأما الشرك شرعًا فهو كاسمه: تشريك غير الله مع الله في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته.

وقد عرفه العلماء بتعريفات كثيرة، منها ما يلي:

قال ابن تيمية: «أصل الشرك: أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده»[(٢)].

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٥)، لسان العرب (٤/ ٢٢٤٨-٢٢٤٩)، تاج العروس (٢٧/ ٢٢٤).

(٢) الاستقامة (١/ ٣٤٤).

قال ابن القيم: «حقيقة الشرك: هو التشبه بالخالق، والتشبيه للمخلوق به»[(١)].

قال الشيخ السعدي: «حقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية»[(٢)].

وعرفه الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بقوله: «أن يسوي غير الله بالله فيما هو من خصائص الله»[(٣)].

وهذه التعريفات كلها بمعنى واحد، وتشمل غالبًا الشرك في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وأجمع تعريف للشرك هو ما جاء عن الرسول ﷺ حين سئل عن الشرك بالله، فقال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»[(٤)]، والند هو المثيل والنظير، فكل من أشرك بالله في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، فقد جعل لله ندًّا ومثيلًا ونظيرًا.

۞ ثانيًا: أقسام الشرك:

ينقسم الشرك إلى ثلاثة أقسام: **(١)** شرك في الربوبية، **(٢)** شرك في الألوهية، **(٣)** شرك في الأسماء والصفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**الشرك نوعان: أحدهما:** شرك في الربوبية، **والثاني:** شرك في الإلهية:

فأما الأول: فهو إثبات فاعل مستقل غير الله...

والثاني: الشرك في الإلهية، وضده هو: التوحيد في الإلهية»[(٥)].

ولم يذكر شيخ الإسلام على سبيل التعيين الشرك في الأسماء والصفات،

---

(١) الداء والدواء (١/ ٣١٣)، وانظر: تجريد التوحيد (ص٢٧) للمقريزي.

(٢) تفسير السعدي (ص٢٧٩).　　(٣) حاشية كتاب التوحيد (ص٥٠).

(٤) أخرجه البخاري (ح٤٤٧٧)، ومسلم (ح٨٦).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٩٠-٣٩١)، وانظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩١-٩٢).

لكن الإمام ابن القيم ذكر ذلك، فقال: «**الشرك شركان:**

❑ شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله.

❑ وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله»[(١)]، فأدخل في القسم الأول الشرك في الربوبية (الشرك بأفعاله سبحانه) والشرك في أسمائه وصفاته.

۞ ثالثًا: أقسام الشرك في الألوهية:

ينقسم الشرك في الألوهية إلى قسمين:

١- شرك أكبر ينقل عن الملة.

٢- شرك أصغر لا ينقل عن الملة[(٢)].

وزاد بعضهم قسمًا ثالثًا سماه: (الشرك الخفي)[(٣)]، **والتحقيق:** أن الشرك الخفي ليس نوعًا مستقلًّا بنفسه، بل قد يكون أكبر، وقد يكون أصغر، فهو مندرج تحتهما[(٤)]، فالشرك الأكبر منه جلي وخفي، وكذا الشرك الأصغر.

أما حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «**الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**» خرجه الإمام أحمد[(٥)].

---

(١) الجواب الكافي (ص٢٩٨)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص٢٦)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٥٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠، ٥٢٤)، الداء والدواء (ص٣٠٤)، مدارج السالكين (١/ ٣٤٨)، تيسير العزيز الحميد (ص٢٧-٢٨)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٤٨٣)، معارج القبول (٢/ ٤٥٩)، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٠٦)، مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٣).

(٣) انظر: الرسالة المفيدة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٤٢)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٦٩).

(٤) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٠٧).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (ح١١٢٥٢)، وابن ماجه (ح٤٢٠٢)، وإسناده حسن (انظر: مصباح=

فقد قال فيه الشيخ ابن باز: «**والصواب:** أن هذا ليس قسمًا ثالثًا، بل هو من الشرك الأصغر، وهو قد يكون خفيًّا؛ لأنه يقوم بالقلوب، كما في هذا الحديث، وكالذي يقرأ يرائي، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يرائي، أو يجاهد يرائي، أو نحو ذلك، وقد يكون خفيًّا من جهة الحكم الشرعي بالنسبة إلى بعض الناس، وقد يكون خفيًّا وهو من الشرك الأكبر كاعتقاد المنافقين؛ فإنهم يراؤون بأعمالهم الظاهرة، وكفرهم خفي لم يظهروه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]، وبما ذكرنا يعلم أن الشرك الخفي لا يخرج عن النوعين السابقين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وإن سمي خفيًّا؛ فالشرك يكون خفيًّا ويكون جليًّا»[(١)].

۞ رابعًا: تعريف الشرك الأكبر:

تنوعت عبارات العلماء في تعريف الشرك الأكبر، ولكنهم لم يختلفوا في حقيقته:

فعرفه الإمام الطبري بقوله: «أن نجعل لله شريكًا في عبادته وطاعته»[(٢)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله في تعريفه هو: «أن يجعل لله ندًّا يعبده كما يعبد الله»[(٣)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة»[(٤)].

وعرفه الشيخ السعدي بقوله: «أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، أو

= الزجاجة ٤/ ٢٣٧، صحيح الجامع رقم ٢٦٠٧).

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٦-٤٧)، وانظر: المصدر السابق (٣/ ٢٩٠)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٠٧).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ١٦٢).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص٢٧).

(٤) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول) (ص٣٨١).

يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة»[١].

وقال الشيخ ابن باز: «الشرك الأكبر: هو ما يتضمن صرف العبادة لغير الله أو بعضها»[٢].

وهذه التعريفات كلها حق، ولا تنافي بينها في الحقيقة، وأفضل ما يعرف به الشرك ما ثبت عن رسول الله ﷺ في قوله: «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك»[٣]، كما سبق.

۞ خامسًا: أقسام الشرك الأكبر:

أقسامه ثلاثة:

١- اعتقادي، كاعتقاد أن غير الله يستحق العبادة.

٢- قولي، كدعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٣- عملي، كالسجود للصنم.

۞ سادسًا: حكم الشرك الأكبر:

الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، وصاحبه مخلد في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

وهو محبط لجميع الأعمال، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

والشرك الأكبر مخرج عن الملة إن قامت عليه الحجة، وتحققت فيه شروط التكفير، وانتفت عنه موانعه، وفاعله لا يُصَلَّى عليه إذا مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث عنه ماله، بل يكون لبيت مال المسلمين، ولا

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص٣١). (٢) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٣).

(٣) سبق تخريجه.

تؤكل ذبيحته ويحكم بوجوب قتله، ويتولى ذلك ولي أمر المسلمين، إلا أنه يستتاب قبل قتله، فإن تاب قُبِلَت توبته، ولم يقتل، وعومل معاملة المسلمين[(١)].

۞ سابعًا: تعريف الشرك الأصغر[(٢)]:

اختلف أهل العلم في تعريف الشرك الأصغر على قولين:

القول الأول: أن الشرك الأصغر هو ما ثبت بالنصوص تسميته شركًا، لكنه لم يبلغ درجة الشرك الأكبر، مثل قوله ﷺ: «**من حلف بغير الله؛ فقد أشرك**»[(٣)]، فالشرك هنا أصغر؛ لأن النصوص دلت على أن مجرد الحلف بغير الله لا يخرج من الملة[(٤)]، كما سيأتي.

القول الثاني: أن الشرك الأصغر هو: كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر، من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة[(٥)].

قال الشيخ ابن عثيمين: «وهذا التعريف أوسع من الأول؛ لأن الأول يمنع أن تطلق على شيء أنه شرك إلا إذا كان لديك دليل، والثاني يجعل كل ما كان وسيلةً للشرك فهو شرك»[(٦)].

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٤٧).

(٢) هذا النوع من الشرك (الشرك الأصغر) جاء في السنة النص على تسميته بذلك، عن محمود بن لبيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء**» أخرجه أحمد في المسند (ح٢٣٦٣٠)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ١/ ١٠٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (ح٦٠٧٢)، وأبو داود (ح٣٢٥١)، والترمذي (ح١٥٣٥)، وإسناده صحيح.

(٤) انظر: حاشية كتاب التوحيد (ص٥١)، مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٤)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٢٠٣)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٩).

(٥) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد للسعدي (ص٥٤)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٩).

(٦) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٠٦).

وقد جمعت بين التعريفين اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، فقالوا: «**الشرك الأصغر:** كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا كالحلف بغير الله»(١).

۞ ثامنًا: ضوابط التمييز بين الشرك الأكبر والأصغر:

ضوابط تمييز الشرك الأصغر من الأكبر في النصوص كثيرة، منها(٢):

الأول: النص الصريح عليه، كما في حديث محمود بن لبيد السابق، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء**»(٣).

الثاني: أن يأتي لفظ الشرك منكَّرًا غير معرَّف، فإن جاء معرَّفًا بـ «أل» دل على أن المقصود به الشرك الأكبر المخرج من الملة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وإن جاء منكَّرًا دل على أنه شرك أصغر لا يخرج من الملة(٤)، كقوله ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتِّولة شرك**»(٥).

الثالث: فهم الصحابة من النص، فالصحابة أعلم الأمة بمعاني نصوص الكتاب والسنة، ومثاله قوله ﷺ: «**الطيرةُ شركٌ، وما منا إلا، ولكن الله يُذهبه بالتوكل**»(٦)؛ فإن آخر الحديث من قول ابن مسعود رضي الله عنه -على الصحيح(٧)، **ومعناه:** وما منا إلا ويقع له شيء من التطير، فدل على أنه شرك أصغر.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٤٨).

(٢) انظر: الإخلاص والشرك الأصغر (ص١٤-١٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٧).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (ح٣٦١٥)، وأبو داود (ح٣٨٨٣)، وابن ماجه (ح٣٥٣٠)، وإسناده صحيح (انظر: السلسلة الصحيحة رقم ٣٣١).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (ح٣٦٨٧)، وأبو داود (ح٣٩١٠)، والترمذي (ح١٦١٤)، وابن ماجه (ح٣٥٣٨)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم ٤٢٩).

(٧) انظر: سنن الترمذي (٣/ ٢١٣).

الرابع: أن يدل السياق على أن المراد به ما دون الشرك الأكبر، ومثاله: حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب**»(١)، وجاء بيان حقيقة هذا الشرك، وأنه أصغر لا يخرج من الملة في رواية مسلم عن ابن عباس مرفوعًا: «**أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا**»(٢)، فمقابلة الكفر بالشكر يدل على أن **المراد بالكفر هنا:** الأصغر، لا الأكبر.

الخامس: دلالة نصوص أخرى على أنه من الشرك الأصغر، مثاله قوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٣)، فالمراد هنا: الكفر الأصغر، بالأدلة نصوص أخرى كقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فأثبت وصف الإيمان لهما مع وجود الاقتتال(٤).

السادس: عدم ترتب حد الردة على فاعله مع نفي اسم الإيمان عنه، كالزاني والسارق(٥).

۞ تاسعًا: أنواع الشرك الأصغر:

يمكن حصر أنواعه فيما يلي:

أولًا: قولي: وهو ما كان باللسان، ويدخل فيه: الحلف بغير الله، إلا إذا تضمن

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٠٣٨)، ومسلم (ح٧١). (٢) أخرجه مسلم (ح٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح١٢١)، ومسلم (ح٦٥).

(٤) انظر: ضوابط التكفير، د. عبد الله القرني (ص١٩٦).

(٥) انظر: المصدر السابق، الموضع نفسه.

تعظيم المحلوف به كتعظيم الله فهو أكبر، وقول: (ما شاء الله وشئت)، أو: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، ومثل إسناد بعض الحوادث إلى غير الله ﷻ، مثل أن يقول: لولا وجود فلان لحصل كذا، ولولا الكلب لدخل اللص، وقول الرجل: لولا الله وفلان، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وأعوذ بالله وبك، ونحو ذلك، وكقول بعضهم: مطرنا بنوء كذا وكذا، مع اعتقاد أن الفاعل هو الله[1]، والضابط في هذا أن يكون الشيء مما يختص بالله جل وعلا، فيعطف عليه غيره سبحانه لا على سبيل المشاركة، وإنما بمجرد التسوية في اللفظ، وأما إن كان يعتقد المشاركة فهذا يدخل تحت الشرك الأكبر.

ثانيًا: عملي: وهو ما يتعلق بأعمال الجوارح، ويدخل فيه التطير (إذا لم يعتقد تأثيرها بذاتها)، وإتيان الكهان وتصديقهم (إذا لم يعتقد علمهم بالغيب)، والاستعانة على كشف السارق ونحوه بالعرافين، وتصديق المنجمين والرَّمَّالين وغيرهم من المشعوذين، (إذا لم يصاحبه اعتقاد علمهم الغيب)، ولبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه (إذا لم يعتقد تأثيرها بذاتها).

ثالثًا: قلبي: ويدخل فيه يسير الرياء، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا، والمراد به: أن يعمل الإنسان أعمالًا صالحة يريد بها الدنيا.

كما أن كل قسم من أنواع الشرك الأصغر يحتمل أن يكون من قبيل الشرك الأكبر، وذلك إذا صحبه اعتقاد قلبي يتضمن تعظيم غير الله كتعظيمه، كالحلف بغير الله معظمًا له كتعظيم الله.

۞ عاشرًا: حكم الشرك الأصغر:

اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الشرك الأصغر لا يخرج من الملة، لكنه يُنقص التوحيد، ولا يخلد صاحبه في النار، واختلفوا هل لا يغفر الله له

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٥٠٩).

شركه؟ أو هو تحت مشيئة الله كسائر الكبائر؟ **على قولين:**

القول الأول: أن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة، واستدلوا بعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]؛ لأن قوله: ﴿أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ مؤوَّل بمصدر، تقديره: إن الله لا يغفر إشراكًا به، وهو نكرة في سياق النفي، فيفيد العموم، وقالوا بأن الحكم وهو عدم المغفرة عُلق على الشرك، وهذا متحقق في الشرك الأصغر، وإليه مال شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)]، ورجحه الشيخ ابن عثيمين[(٢)]، وقال به آخرون من أهل العلم[(٣)].

القول الثاني: أن الشرك الأصغر حكمُه حكم الكبائر، وداخل تحت المشيئة، ويفهم من كلام ابن القيم اختياره لهذا القول[(٤)]، ورجحه الشيخ ابن باز[(٥)]، وهو قول طائفة من العلماء[(٦)].

وقالوا: المراد بقوله: ﴿أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾: الشرك الأكبر، وأما الشرك الأصغر، فإنه يغفر؛ لأنه لا يخرج من الملة، وكل ذنب لا يخرج من الملة، فإنه تحت المشيئة، ويؤيده أنه وردت عدة آيات رتب الله فيها الحكم على وصف الشرك، لكن لم يختلف في أن المراد بهذا الشرك هو الشرك الأكبر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢] وأجمعت الأمة على أن الشرك الأصغر لا يدخل في قوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ لأن العمل هنا مفرد مضاف، ويشمل الأعمال كلها، ولا يحبط الأعمال الصالحة كلَّها إلا الشرك الأكبر[(٧)].

---

(١) انظر: الرد على البكري (١/ ٣٠١).
(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٧٣).
(٣) انظر: قرة عيون الموحدين (ص٣٢)، حاشية كتاب التوحيد (ص٥١)، القول المفيد (١/ ١١٤، ٢٠٨).
(٤) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٤٨).
(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٨).
(٦) انظر: القول المفيد (١/ ١١٤، ٢٠٨).
(٧) انظر: الإخلاص والشرك الأصغر، د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف (ص١٧) =

۞ حادي عشر: الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:

١- أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة - على خلاف.

٢- أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

٣- أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة، وأما الأصغر فلا يخلد صاحبه في النار.

٥- أن الشرك الأكبر صاحبه لا يعامل معاملة المسلمين؛ فلا يرث ولا يورث، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا تؤكل ذبيحته إلى آخر أحكام المشركين، وأما الشرك الأصغر فصاحبه يعامل معاملة المسلمين فيرثه أهله ويرثهم، ويصلى عليه إذا مات، ويدفن في مقابر المسلمين، وتؤكل ذبيحته، إلى أمثال ذلك من أحكام الإسلام[١].



= وما بعدها.

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٤٩-٧٥٠).



المبحث الثاني

أبرز شبهات المخالفين في توحيد الألوهية

والرد عليها إجمالًا[(١)]

كان من أسباب ضلال من ضل في توحيد العبادة شبهات يروِّج لها أهل الضلال؛ زاعمين أنها تؤيد شركهم، فكان لا بد من كشف زيفها وبيان بطلانها؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، وهذه الشبه منها ما هو قديم أدلى به المشركون من الأمم السابقة، ومنها ما أدلى به مشركو هذه الأمة[(٢)].

ومن هذه الشبه ما يلي:

الشبهة الأولى: الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد، وأنهم ورثوا هذه العقيدة خلفًا عن سلف، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن دينهم مبنيٌّ على أصول أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار؛ أولهم

(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٦١-٦٥).

(٢) تناول طائفة من أهل العلم شبهات القبوريين بالرد والنقض، كما في كتاب (الصارم المنكي في الرد على السبكي) لابن عبد الهادي، و(صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) لمحمد بشير السهسواني، و(غاية الأماني في الرد على النبهاني) لمحمود شكري الآلوسي، وغيرها، وقد تعرض لها أيضًا شيخ الإسلام في (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة)، والألباني في كتابه (التوسل) وغيرها.

وآخرهم»[(١)]، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وإنما يكون الاقتداء بالآباء محمودًا إذا كانوا على حق، كما قال تعالى عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ﴾ [يوسف: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

وشبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء الضالون متغلغلة في نفوس المشركين، يقابلون بها دعوات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فقوم نوح لما قال لهم نوح: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣، ٢٤]، فجعلوا ما عليه آباءهم حجة يعارضون بها ما جاءهم به نبيهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ يقولون له: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود٦٢]، وقوم إبراهيم يقولون له: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]، وفرعون يقول لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]، ومشركو العرب يقولون لمحمد ﷺ لما قال لهم: «**قولوا: لا إله إلا الله!**» قالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْأٓخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧]، فـ«أهل الجاهلية كانوا مقيدين بربقة التقليد لا يحكِّمون لهم رأيًا، ولا يستعملون نظرًا، ولا يشغلون فكرًا، فلذلك تاهوا في أودية الجهالة، وقضوا أعمارهم في الضلالة، وهكذا الغلاة وعبدة الأموات قلَّدوا آباءهم في تلك

(١) مسائل الجاهلية (ص٨).

العادات، فلا يمكن نقلهم عنها ولو ظهرت الآيات البينات(١)»(٢).

الشبهة الثانية: ظنهم أن مجرد النطق بلا إله إلا الله يكفي لدخول الجنة، ولو فعل الإنسان ما فعل؛ فإنه لا يكفر وهو يقول: لا إله إلا الله، متمسكين بظواهر الأحاديث التي ورد فيها أن من نطق بالشهادتين حرم على النار.

والجواب عن هذه الشبهة: أن هذه الأحاديث ليست على إطلاقها، وإنما هي مقيدة بأحاديث أخرى جاء فيها أنه لا بد لمن قال: لا إله إلا الله: أن يعتقد معناها بقلبه ويعمل بمقتضاها فيكفر بما يعبد من دون الله، كما في حديث عتبان: «**فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»(٣)، وإلا فالمنافقون يقولون: لا إله إلا الله بألسنتهم وهم في الدرك الأسفل من النار، ولم ينفعهم النطق بها؛ لأنهم لا يعتقدون ما دلت عليه بقلوبهم.

وفي صحيح مسلم: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**»(٤).

فعلق النبي ﷺ حرمة المال والدم على أمرين: الأول: قول لا إله إلا الله.

والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، ولم يكتفِ بمجرد النطق بلا إله إلا الله، فدل على أن الذي يقول: لا إله إلا الله ولا يترك عبادة الموتى والتعلق بالأضرحة؛ لم يأتِ بحق هذه الكلمة، بل فعل ما يناقضها ويهدمها(٥).

الشبهة الثالثة: دعواهم أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وزعموا أن هذا الذي يمارسونه عند الأضرحة من عبادة الموتى ودعائهم من دون الله لا يسمى شركًا عندهم.

والجواب عن هذه الشبهة: أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون في هذه الأمة مشابهة

---

(١) إلا من أراد الله هدايته.

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/ ٣٤-٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح٤٢٥)، ومسلم (ح٢٦٣).

(٤) أخرجه مسلم (ح٣٧).

(٥) انظر: كشف الشبهات (ص٤٦-٤٧).

لليهود والنصارى فيما هم عليه، ومن جملة ذلكم اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وأخبر ﷺ أنه لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمته بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمته الأوثان، فعن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**»(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «فيه الرد على من قال بخلافه من عبَّاد القبور الذين ينكرون وقوع الشرك، وعبادة الأوثان في هذه الأمة»(٢)، وقد حدث في هذه الأمة من الشرك والمبادئ الهدامة والنِّحَل الضالة ما خرج به بعض الناس عن دين الإسلام، وهم يقولون: لا إله إلا الله.

الشبهة الرابعة: قولهم: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله؛ لأنهم أهل صلاح ومكانة عند الله؛ فنحن نريد بجاههم شفاعتهم.

والجواب: أن هذا هو عين ما قاله المشركون من قبل في تبرير ما هم عليه، وقد كفَّرهم الله وسماهم مشركين؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، والشفاعة حق، ولكنها ملك لله وحده؛ كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]؛ فهي تطلب من الله لا من الأموات؛ لأن الله لم يرخص في طلب الشفاعة من الملائكة ولا من الأنبياء ولا غيرهم؛ لأنها ملكه سبحانه، وتطلب منه؛ ليأذن للشافع أن يشفع، وليس الأمر كما هو عند المخلوقين من تقدم الشفعاء لديهم بدون إذنهم، ويضطرون إلى قبول الشفاعة لحاجتهم إليهم، وإن لم يرضوا عن المشفوع فيه؛ لأنهم يحتاجون إلى الأعوان

---

(١) أخرجه أبو داود (ح٤٢٥٢)، والترمذي (ح٢٢١٩)، وصححه، وصححه الألباني (صحيح الجامع رقم ١٧٧٣).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص٣٢٠).

والوزراء، أما الله سبحانه؛ فلا يشفع أحد إلا بإذنه ورضاه عن المشفوع فيه؛ قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد؛ تبين لك أن الشفاعة كلَّها لله، فأطلُبها منه، فأقولُ: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفِّعه فيَّ، وأمثال هذا»(١)(٢).



(١) كشف الشبهات (ص٢٥).

(٢) راجع للتوسع: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية، كشف الشبهات، للشيخ محمد ابن عبد الوهاب، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، لمحمد بشير السهسواني.



المبحث الثالث

مظاهر الانحراف في توحيد الألوهية

للانحراف في توحيد الألوهية مظاهر؛ أعظمها: الشرك الأكبر الناقض لأصل التوحيد، ودونه الشرك الأصغر المنافي لكماله الواجب، ثم البدع والمعاصي؛ ذلك أن تحقيق التوحيد إنما يحصل بالسلامة من الشرك الأكبر الناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله الواجب، وبالسلامة من البدع والمعاصي، ومن حقق التوحيد؛ دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

وفيما يلي ذكر أمثلة من الشرك المتعلقة بتوحيد الألوهية[١]:

۞ أولًا: الذبح لغير الله:

وهو الذبح الذي يقع على سبيل التعبد لغير الله، تعظيمًا، وتقربًا، وتذللًا؛ فمن ذبح لغير الله فهو كمن صلى أو صام لغير الله؛ لأن الذبح عبادة، بدليل أن الله أمر به، فقال سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢]، وصرف العبادة لغير الله شرك.

(١) **لا بد من التنبيه على أن المقصود هنا:** بيان الحكم الشرعي، لا تنزيل الحكم على الأعيان؛ إذ لا بد لتنزيل الحكم على المعين من ثبوت شروط وانتفاء موانع، كما هو معلوم من معتقد أهل السنة في التفريق في الحكم بين المقالة والقائل، والفعل والفاعل. انظر: مباحث في العقيدة، للمؤلف (ص١٩٧) وما بعدها.

قال ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»(١).

قال النووي: «وأما الذبح لغير الله؛ فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو الصليب أو لموسى أو لعيسى -صلى الله عليهما- أو للكعبة ونحو ذلك، فكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة، سواء كان الذابح مسلمًا أو نصرانيًّا أو يهوديًّا؛ نص عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى، والعبادة له؛ كان ذلك كفرًا، فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًّا»(٢).

ولا يدخل في ذلك ما يقصد به إكرام الضيف أو الأكل والتجارة ونحو ذلك، والفرق بينهما: أنه في حال التعبد بالذبح لغير الله- الذي هو شرك- لا يقصد بالذبح اللحم، بل يقصد: التعبد للمذبوح له، جاء في (الدر المختار): «والفارق أنه إن قدمها ليأكل منها كان الذبح لله والمنفعة للضيف، أو للوليمة، أو للربح، وإن لم يقدمها ليأكل منها بل يدفعها لغيره كان لتعظيم غير الله فتحرم، وهل يكفر؟ قولان»(٣).

ويبين ذلك شيخنا ابن عثيمين، وذلك بتقسيم الذبح من حيث المقصود منه إلى ثلاثة أنواع، فيقول: «**ويقع [يعني: الذبح] على وجوه:**

الأول: أن يقع عبادة؛ بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه، فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر، ودليله قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

الثاني: أن يقع إكرامًا لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك، فهذا مأمور به، إما وجوبًا أو استحبابًا؛ لقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم**

(١) أخرجه مسلم (ح١٩٧٨).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٣/ ١٤١).
(٣) الدر المختار مع حاشية ابن عابدين (٦/ ٣٠٩-٣١٠).

ضيفه»[١]، وقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «**أَوْلِمْ ولو بشاة**»[٢].

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتِّجار به ونحو ذلك، فهذا من قسم المباح، فالأصل فيه الإباحة؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [سورة يس: ٧١، ٧٢] وقد يكون مطلوبًا أو منهيًّا عنه حسبما يكون وسيلة له»[٣].

۞ ثانيًا: النذر لغير الله:

النذر عبادة، بدليل أن الله مدح الموفين به في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]، وأمر النبي ﷺ بالوفاء بنذر الطاعة، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**»[٤]، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة، وما دام أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر لما عرفت من ضابط الشرك الأكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز لأحد أن ينذر لغير الله لا لنبي ولا لغير نبي، وأن هذا النذر شرك لا يوفى به»[٥]، «فمن نذر لغير الله فهو مشرك، كمن صام لغير الله، وسجد لغير الله»[٦].

۞ ثالثًا: دعاء غير الله:

وهو الدعاء الذي يقع على سبيل التعبد لغير الله، تعظيمًا، وتقربًا، وتذللًا؛ **ذلك أن الدعاء ينقسم إلى قسمين**[٧]:

الأول: ما يقع عبادة، وهذا صرفه لغير الله شرك، وهو المقرون بالرجاء والخوف والحب والتعظيم.

(١) أخرجه البخاري (ح٦٠١٨)، ومسلم (ح٤٧).
(٢) أخرجه البخاري (ح٢٠٤٨)، ومسلم (ح١٤٢٧).
(٣) شرح ثلاثة الأصول (ص٦٦-٦٧).
(٤) أخرجه البخاري (ح٦٦٩٦).
(٥) مجموع الفتاوى (١/ ٢٨٦).
(٦) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٤٠).
(٧) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٦١).

الثاني: ما لا يقع عبادة، فهذا يجوز أن يوجه إلى المخلوق، قال النبي ﷺ: «**من دعاكم فأجيبوه**»[(١)].

وكلا المعنيين جاء في اللغة، قال الفيومي: «دعوتُ الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدًا: ناديته وطلبت إقباله»[(٢)].

ودعاء الله نوعان؛ دعاء عبادة ودعاء مسألة، وهما متلازمان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه... فهو يدعو للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعو خوفًا ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة»[(٣)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وبهذا التحقيق يندفع عنك ما يقوله عباد القبور إذا احتج عليهم بما ذكر الله في القرآن من الأمر بإخلاص الدعاء له، قالوا: المراد به: العبادة، فيقولون في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]؛ أي: لا تعبدوا مع الله أحدًا، فيقال لهم: وإن أريد به دعاء العبادة، فلا ينفي دخول دعاء المسألة في العبادة؛ لأن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، هذا لو لم يرد في دعاء المسألة بخصوصه من القرآن إلا الآيات التي ذكر فيها دعاء العبادة، فكيف وقد ذكر الله في القرآن في غير موضع. قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾»[(٤)] [الأعراف: ٥٦].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (ح٥٣٦٢)، وأبو داود (ح١٦٧٢)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين (انظر: صحيح أبي داود للألباني ١٤٦٩).

(٢) المصباح المنير (ص١٩٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٠-١١).

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص١٧٦).

فثبت بهذا أن الدعاء عبادة من أجلِّ العبادات، فإن لم يكن الإشراك فيه شركًا، فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركًا من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ فإنهم كانوا يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة، ويتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله؛ ولهذا يخلصون في الشدائد لله وينسون ما يشركون؛ لعلمهم أن آلهتهم لا تكشف الضر ولا تجيب المضطر، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢] فهم كانوا يعلمون أن ذلك لله وحده، وأن آلهتهم ليس عندها شيء من ذلك؛ ولهذا احتج سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم بذلك أنه هو الإله الحق، وعلى بطلان إلهية ما سواه(١).

۞ رابعًا: الاستعاذة بغير الله:

الاستعاذة: الالتجاء، والاعتصام، والتحرز، وحقيقتها: الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه؛ ولهذا يسمى المستعاذ به: معاذًا(٢).

والاستعاذة بالمخلوق فيها تفصيل:

١- فإن كانت الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهي من الشرك، كالاستعاذة بأصحاب القبور في شفاء المرضى ونحوه، وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله(٣).

٢- أما الاستعاذة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه، فهي جائزة؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون فتن القاعد فيها خير من**

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٧٩-١٨٠).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٧٠).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٧٣).

القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذًا فليعذ به»(١).

وكذلك قصة المرأة التي عاذت بأم سلمة(٢)، والغلام الذي عاذ بالنبي ﷺ(٣)، وكذلك في قصة الذين يستعيذون بالحرم والكعبة(٤)، وما أشبه ذلك(٥).

۞ خامسًا: الاستغاثة بغير الله:

الاستغاثة: هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار: طلب النصر، والاستعانة: طلب العون.

والفرق بين الاستغاثة والدعاء: أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، والدعاء أعم من الاستغاثة؛ لأنه يكون من المكروب وغيره(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٦٠١)، ومسلم (ح٢٨٨٦).

(٢) عن أبي الزبير، عن جابر، أن امرأة من بني مخزوم سرقت، فأتي بها النبي ﷺ، فعاذت بأم سلمة زوج النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**والله لو كانت فاطمة لقطعت يدها**»، فقطعت. أخرجه مسلم (ح١٦٨٩).

(٣) عن أبي مسعود، أنه كان يضرب غلامه، فجعل يقول: أعوذ بالله، قال: فجعل يضربه، فقال: أعوذ برسول الله، فتركه، فقال رسول الله ﷺ: «**والله، لله أقدر عليك منك عليه**»، قال: فأعتقه. أخرجه مسلم (ح١٦٥٩).

(٤) عن عبيد الله ابن القبطية، قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا معهما، على أم سلمة أم المؤمنين، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك في أيام ابن الزبير، فقالت: قال رسول الله ﷺ: «**يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم**» فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهًا؟ قال: «**يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته**». أخرجه مسلم (ح٢٨٨٢).

(٥) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٥٥-٢٥٦).

(٦) تيسير العزيز الحميد (ص١٧٥).

والاستغاثة قسمان:

١- الاستغاثة الشركية، وهي الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالاستغاثة بالأموات في طلب نصر أو رزق أو ولد.

٢- الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه فهي جائزة، قال الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾.

۞ سادسًا: شرك المحبة:

محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام، الذي يدور عليه قطب رحاها، فبكمالها يكمل الإيمان، وبنقصانها ينقص توحيد الإنسان(١).

والمقصود بشرك المحبة: أن يحب المخلوق كمحبة الله جل وعلا، وهي محبة العبودية المبنية على الحب والتعظيم والخوف والرجاء، ومتى أحب العبد بها غير الله، كان شركًا أكبر، وهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلًا، وهي التي سوَّى المشركون بين الله تعالى وبين آلهتهم فيها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ومعنى ﴿أَندَادٗا﴾؛ أي: أمثالًا ونظراء، يحبونهم كحبه، ويعبدونهم معه. وهو الله الذي لا إله إلا هو، ولا ند له، ولا شريك معه.

وقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ في تفسيره قولان:

أحدهما: يحبونهم كحب المؤمنين لله.

والثاني: يحبونهم كما يحبون الله(٢).

❊ ❊ ❊

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٤٠١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٥٧-٣٥٨).

أنواع المحبة:

قال الإمام ابن القيم: «**وهاهنا أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينها، وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها:**

أحدها: محبة الله، ولا تكفي وحدها في النجاة من عذابه والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

الثاني: محبة ما يحبه الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام، وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحب، ولا يستقيم محبة ما يحب إلا بالحب فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وكل من أحب شيئًا مع الله، لا لله ولا من أجله ولا فيه، فقد اتخذه ندًّا من دون الله، وهذه محبة المشركين.

وبقي قسم خامس: ليس مما نحن فيه، وهو المحبة الطبعية، وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد، فتلك لا تذم إلا إذا ألهت عن ذكر الله وشغلت عن محبته، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩]، وقال: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]»[(١)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «**المحبة تنقسم إلى أربعة أنواع:**

محبة شركية، وهي محبة الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٦٧].

---

(١) الداء والدواء (١/ ٤٤٣-٤٤٤).

المحبة الثانية: حب الباطل وأهله، وبغض الحق وأهله، وهذه صفة المنافقين.

والمحبة الثالثة: طبيعية، وهي محبة المال والولد، فإذا لم تشغل عن طاعة الله، ولم تعن على محارم الله، فهي مباحة.

والمحبة الرابعة: حب أهل التوحيد، وبغض أهل الشرك، وهي أوثق عرى الإيمان، وأعظم ما يعبد بها الإنسان ربه»[(١)].

وكل هذه الأقسام حق ولا مشاحة في التقسيم.

۞ سابعًا: شرك الخوف:

والمراد بشرك الخوف هو أن يخاف من المخلوق كما يخاف من الله، وهو خوف التعبد والتأله إلى من يخافه، وهو ما يسميه بعض أهل العلم بخوف السر.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادعى أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلًا؛ لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله ندًّا يخافه هذا الخوف فهو مشرك، وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم؛ ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمن كما خوفوا إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- فقال لهم: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾[الأنعام: ٨٠، ٨١]، وقال تعالى عن قوم هود أنهم قالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٣/ ٧٣).

أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود: ٥٤، ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٣٦].

وهذا القسم هو الواقع اليوم من عباد القبور، فإنهم يخافون الصالحين، بل الطواغيت كما يخافون الله بل أشد؛ ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذبًا أو صادقًا، فإن كان اليمين بصاحب التربة لم يقدم على اليمين إن كان كاذبًا، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله، ولا ريب أن هذا ما بلغ إليه شرك الأولين، بل جهد أيمانهم اليمين بالله تعالى، وكذلك لو أصاب أحدًا منهم ظلم لم يطلب كشفه إلا من المدفونين في التراب، وإذا أراد أن يظلم أحدًا فاستعاذ بالله أو ببيته لم يعذه، ولو استعاذ بصاحب التربة أو بتربته لم يقدم عليه أحدًا ولم يتعرض له بالأذى حتى إن بعض الناس أخذ من التجار أموالًا عظيمة أيام موسم الحج، ثم بعد أيام أظهر الإفلاس، فقام عليه أهل الأموال، فالتجأ إلى قبر في جدة يقال له: المظلوم[(١)]، فما تعرض له أحد بمكروه خوفًا من سر المظلوم وأشباه هذا من الكفر، وهذا الخوف لا يكون العبد مسلمًا إلا بإخلاصه لله تعالى وإفراده بذلك دون من سواه»[(٢)].

فهذا هو الخوف الذي يعد من الشرك، أما ما يقع طبيعة وعادة فليس مقصودًا هنا.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة، وتارة يقع طبيعة وعادة، وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته.

فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلى من

---

(١) كان هذا في الماضي، أما اليوم ولله الحمد فلا يوجد شيء من ذلك لا في جدة ولا في غيرها من مدن هذه البلاد، حرسها الله من كل شرك وفتنة وسائر بلاد المسلمين.

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص٤١٦- ٤١٨)، وانظر: القول السديد، السعدي (ص١٣٢)، القول المفيد (٢/ ٦٧-٦٨).

يخافه، وكان يدعو إلى طاعة باطنة وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه، كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لأنه أشرك في هذه العبادة -التي هي من أعظم واجبات القلب- غير الله مع الله، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه لله.

وأيضًا فمن خشي الله وحده على هذا الوجه فهو مخلص موحد، ومن خشي غيره فقد جعل لله ندًّا في الخشية، كمن جعل لله ندًّا في المحبة؛ وذلك كمن يخشى من صاحب القبر أن يوقع به مكروهًا، أو يغضب عليه فيسلبه نعمة أو نحو ذلك، مما هو واقع من عباد القبور.

وإن كان الخوف طبيعيًّا كمن يخشى من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري، فهذا النوع ليس عبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافي الإيمان، وهذا إذا كان خوفًا محققًا قد انعقدت أسبابه فليس بمذموم، وإن كان هذا خوفًا وهميًّا كالخوف الذي ليس له سبب أصلا، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ ﷺ من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة؛ ولهذا كان الإيمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع، حتى إن خواص المؤمنين وأقوياءهم تنقلب المخاوف في حقهم أمنًا وطمأنينة لقوة إيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية، وكمال توكلهم»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «**الخوف أقسام:**

الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع، وهو ما يسمى بخوف السر؛ وهذا لا يصلح إلا لله سبحانه، فمن أشرك فيه مع الله غيره؛ فهو مشرك شركًا أكبر، وذلك مثل: من يخاف من الأصنام أو الأموات، أو من يزعمونهم أولياء ويعتقدون نفعهم وضرهم؛ كما يفعله بعض عباد القبور: يخاف من صاحب القبر أكثر مما يخاف الله.

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص١٣٢).

الثاني: الخوف الطبيعي والجِبِلِّي، فهذا في الأصل مباح؛ لقوله تعالى عن موسى: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾ [القصص: ٢١]، وقوله عنه أيضًا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ٣٣﴾ [القصص:٣٣]، لكن إن حمل على ترك واجب أو فعل محرم فهو محرم، وإن استلزم شيئًا مباحًا كان مباحًا، فمثلًا من خاف من شيء لا يؤثر عليه وحمله هذا الخوف على ترك صلاة الجماعة مع وجوبها؛ فهذا الخوف محرم، والواجب عليه ألا يتأثر به. وإن هدده إنسان على فعل محرم، فخافه وهو لا يستطيع أن ينفذ ما هدده به؛ فهذا خوف محرم لأنه يؤدي إلى فعل محرم بلا عذر، وإن رأى نارًا ثم هرب منها ونجا بنفسه؛ فهذا خوف مباح، وقد يكون واجبًا إذا كان يتوصل به إلى إنقاذ نفسه»[١].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «**الخوف كما عرفه العلماء: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، وهو ثلاثة أقسام:**

الأول: خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أو ميت أو غائب من جن أو إنس أن يصيبه بما يكره... وهذا الخوف من غير الله هو الواقع اليوم من عباد القبور وغيرها من الأوثان؛ يخافونها ويخوِّفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا النوع من الخوف من أهم أنواع العبادة، يجب إخلاصه لله وحده؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾ [المائدة: ٣]، وهذا الخوف من أعظم مقامات الدين وأجلها، فمن صرفه لغير الله؛ فقد أشرك بالله الشرك الأكبر، والعياذ بالله.

الثاني من أنواع الخوف: أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفًا من بعض الناس. فهذا محرم، وهو شرك أصغر، وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٦٧-٦٨).

ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥]، وهذا أيضًا هو الخوف المذكور في الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يحقر أحدكم نفسه**». قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «**يرى أمرًا لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول فيَّ كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس. فيقول الله عز وجل: فإياي كنت أحق أن تخشى**».

الثالث من أنواع الخوف: الخوف الطبيعي، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك. فهذا ليس بمذموم؛ كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾»[1].

۞ ثامنًا: شرك الرجاء:

وهو رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كَمَنْ يدعو الأموات أو غيرهم راجيًا حصول مطلوبه من جهتهم، فهذا شرك أكبر[2]؛ لأن الرجاء عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فدلت الآيتان على أن الرجاء عبادة؛ لأن الله قد مدح أهله المتصفين به.

۞ تاسعًا: شرك الرياء:

قال الحافظ ابن حجر: «الرياء -بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد- وهو مشتق من الرؤية، والمراد به: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٦٥-٦٦).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٢٣).

صاحبها، والسمعة -بضم المهملة وسكون الميم- مشتقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء، لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر»[(١)].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، والعمل الصالح هو الخالي من الرياء، المقيَّد بالسنَّة[(٢)]. قال الحافظ ابن كثير: «﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ما كان موافقًا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ»[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**»[(٤)]، وسمي الرياء شركًا خفيًّا؛ لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، ويخفي في قلبه أنه لغيره، وإنما تزين بإظهاره أنه لله بخلاف الشرك الجلي[(٥)].

حكم العمل الذي خالطه رياء:

اعلم أن العمل لغير الله أقسام[(٦)]:

١- أن يكون العمل رياء محضًا، فلا يراد به سوى مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، وكذلك وصف الله الكفار بالرياء في

(١) فتح الباري (١١/ ٣٣٦)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص٤٥٢).

(٢) الداء والدواء (ص٣٠٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٥).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (ح١١٢٥٢)، وابن ماجه (ح٤٢٠٢)، وإسناده حسن (انظر: مصباح الزجاجة ٤/ ٢٣٧، صحيح الجامع رقم ٢٦٠٧).

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص٤٥٩).

(٦) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩-٨٤).

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧]، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

٢- أن يكون العمل لله ويشاركه الرياء، **وله أحوال:**

أ- فإن شاركه من أصله، فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه، ومنها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركَه**»(١).

ب- وإن كان أصل العمل لله، ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا ودفعه، فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك، ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف، حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن البصري وغيره، وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل مرتبط آخره بأوله، كالصلاة والصيام والحج، فأما ما لا ارتباط فيه، كالقراءة والذكر، وإنفاق المال ونشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديد نية.

أما إذا عمل العمل لله خالصًا، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره ذلك، وهذا المعنى جاء في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»(٢).

۞ عاشرًا: إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

والمراد به: أن يعمل الإنسان عملًا صالحًا يريد به الدنيا(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٨٥).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٦٤٢).
(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٤٦١).

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وأثاثها[(١)] ﴿وَزِينَتَهَا﴾ يطلب به ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾ أجور ﴿أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ وثوابها ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ يقول: وهم في الدنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾، يقول: لا ينقصون أجرها، ولكنهم يوفونه فيها»[(٢)].

وبين الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا عموم وخصوص مطلق، يجتمعان فيما إذا أراد الإنسان بعمله التزين عند الناس، والتصنع لهم والثناء، فهذا رياء، وهو أيضًا إرادة الدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم والإكرام، ويفارق الرياء لكونه عمل عملًا صالحًا أراد به عرضًا من الدنيا، كمن يجاهد ليأخذ مالًا، أو يجاهد للمغنم، أو غير ذلك، بخلاف المرائي؛ فإنه إنما يعمل ليراه الناس ويعظموه، والذي يعمل لأجل الدراهم أعقل من المرائي، وكلاهما خاسر[(٣)].

وحكم العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها فيه تفصيل[(٤)]:

١- فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب، وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن؛ فإن المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان لا بد أن يريد الله والدار الآخرة.

٢- وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان، فهذا وإن كان مؤمنًا فإنه ناقص الإيمان، وعمله ناقص لفقده كمال

(١) كذا في نسخة د. التركي! وفي نسخة الشيخ شاكر (١٥/ ٢٦٢): «إياها».
(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٤٦).
(٣) انظر: حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن قاسم (ص٢٦٨).
(٤) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص١٣٠).

الإخلاص.

٣- وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصًا تامًّا، ولكنه يأخذ على عمله جُعلًا يستعين به على العمل والدين، كالجعالات التي تُجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها، فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له معينًا له على قيام الدين؛ ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءًا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة(١).

۞ حادي عشر: شرك الطاعة:

وهو طاعة المخلوق في تحريم الحلال وتحليل الحرام، واعتقاد جواز ذلك فهذا شرك بهذا الاعتبار؛ حيث جعل التحليل والتحريم لغير الله، كما بينه الله تعالى في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ أي: علماءهم ﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وفسرها النبي ﷺ بطاعتهم في تحريم الحلال، وتحليل الحرام في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن**»، وسمعته يقرأ في «سورة براءة»: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه**»(٢).

❊ ❊ ❊

(١) كان شيخنا صالح البليهي وهو يقرر لنا هذه المسألة يقربها لنا بالمثال، فيقول: فرق بين من يحج ليأخذ، ومن يأخذ ليحج، فالأول مذموم والثاني محمود.

(٢) سبق تخريجه.

وحكم هؤلاء الذين أطاعوا رؤساءهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكون على وجوه:

الأول: أن يعلموا أن رؤساءهم بدلوا دين الله فيتبعوهم مختارين على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا الرسول ﷺ، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، فاعتقد أن ما قاله ذلك المحلِّل أو المحرِّم أفضل مما قاله الله ورسوله، أو مثله فإنه يكون مشركًا.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف**»[1].

الثالث: إن كان المتبع للمجتهد عاجزًا عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد؛ فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ كما في القبلة.

الرابع: إن قلد شخصًا دون نظيره بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق؛ فهذا من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعه مصيبًا لم يكن عمله صالحًا، وإن كان متبوعه مخطئًا كان آثمًا.

وأما حكم المحرِّم للحلال والمحلِّل للحرام:

١- فإن كان مجتهدًا قصده اتباع الرسول ﷺ، لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع؛ فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه.

---

(١) أخرجه البخاري (ح٧٢٥٧)، ومسلم (ح١٨٤٠).

٢- وإن كان عاجزًا عن إظهار الحق الذي يعلمه؛ فهذا يكون كمَنْ عرف أن دين الإسلام حق وهو بين النصارى؛ فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق؛ لا يؤاخذ بما عجز عنه.

٣- وإن كان يحرم الحلال ويحلل الحرام معتقدًا أن ذلك أفضل من شرع الله أو مثله أو مستحلًّا له، فهو كفر.

٤- أن يحرم الحلال ويحلل الحرام لغلبة هوى مع اعتقاده أن شرع الله هو الحق فهذا عاصٍ[(١)].

۞ ثاني عشر: شرك الطواف:

وهو أن يطوف لغير الله، وذلك أن الطواف عبادة لله؛ لأن الله قد أمر به، وما أمر الله به أمر إيجاب أو استحباب فهو عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك، قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

أما إن طاف لله بغير ما شرع الله الطواف به، فهذا بدعة، ووسيلة إلى الوقوع في الشرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الطواف إلا بالبيت المعمور، فلا يجوز الطواف بصخرة بيت المقدس، ولا بحجرة النبي ﷺ، ولا بالقبة التي في جبل عرفات ولا غير ذلك، وكذلك اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاستلام ولا التقبيل إلا للركنين اليمانيين؛ فالحجر الأسود يستلم ويقبل واليماني يستلم، وقد قيل: إنه يقبل، وهو ضعيف، وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه ولا تقبيله؛ كجوانب البيت والركنين الشاميين؛ ومقام إبراهيم والصخرة والحجرة النبوية وسائر قبور الأنبياء والصالحين»[(٢)].

والطواف بغير ما شرعه الله هو من فعل أهل الجاهلية، عن أبي رجاء العطاردي، قال: «كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرًا هو أخير منه ألقيناه،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠-٧٢)، فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ١٨٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٢١).

وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثم طُفنا به»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**[(٢)]»[(٣)]، قال البغوي: «ومعنى الخبر: حتى ترجع دوس عن الإسلام، فتطوف نساؤهم بذي الخَلَصَة، وتضطرب ألياتها، كذلك فعلهم في الجاهلية»[(٤)].

قال الإمام النووي: «لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ... هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، ولا يغترُّ بمخالفة كثيرين من العوامِّ وفعلهم ذلك»[(٥)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الطواف بالأنبياء والصالحين فحرام بإجماع المسلمين، ومن اعتقد ذلك دينًا فهو كافر، سواء طاف ببدنه أو بقبره»[(٦)].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «أما الطواف بالقبور وتظليلها فبدعة يحرم فعلها، ووسيلة عظمى لعبادة أهلها من دون الله، وقد تكون شركًا إذا قصد أن الميت بذلك يجلب له نفعًا أو يدفع عنه ضرًّا أو قصد بالطواف التقرب إلى الميت»[(٧)].

۞ ثالث عشر: شرك الحلف بغير الله:

الحلف بغير الله من الشرك الأصغر؛ لحديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه سمع رجلًا

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٣٧٦).

(٢) **الخلصة** -بفتح الخاء واللام والصاد- هو: بيت صنم كان ببلاد دَوس. انظر: فتح الباري، ابن حجر (١/ ١١٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح٧١١٦)، ومسلم (ح٢٩٠٦).

(٤) شرح السنة (١٥/ ٩٠).

(٥) المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٧٥).

(٦) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٠٨).

(٧) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ١٨٦).

يقول: والكعبة، فقال: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[(١)]، وقد حمل العلماء ذلك على الشرك الأصغر، ويؤيد ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله**»[(٢)].

قال الإمام البخاري: «ولم ينسبه إلى الكفر»[(٣)]، «فأمر ﷺ من حلف من المسلمين باللات والعزى أن يقول بعد ذلك: لا إله إلا الله؛ لمنافاة الحلف بغير الله كمال التوحيد الواجب؛ وذلك لما فيه من إعظام غير الله بما هو مختص بالله وهو الحلف به، وما ورد في بعض الأحاديث من الحلف بالآباء فهو قبل النهي عن ذلك جريًا على ما كان معتادًا في العرب في الجاهلية»[(٤)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ركب وهو يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ: «**ألا، إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله، أو ليصمت**»[(٥)].

قال الإمام ابن عبد البر: «وفي هذا الحديث من الفقه أنه لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل في شيء من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجتمع عليه»[(٦)].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره وأنا صادق»[(٧)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (ح٦٠٧٢)، وأبو داود (ح٣٢٥١)، والترمذي (ح١٥٣٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع برقم ٦٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٦٥٠)، ومسلم (ح١٦٤٧).

(٣) صحيح البخاري (٨/ ١٣٣).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٣٤٥).

(٥) أخرجه البخاري (ح٦١٠٨)، ومسلم (ح١٦٤٦).

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٤/ ٣٦٦)، وانظر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار (١٥/ ٩٥).

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٨٣)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد =

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله، أو بصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره... ولا اعتبار بمن قال من المتأخرين: إن ذلك على سبيل كراهة التنزيه، فإن هذا قول باطل، وكيف يقال ذلك لما أطلق عليه الرسول ﷺ أنه كفر أو شرك، بل ذلك محرم؛ ولهذا اختار ابن مسعود رضي الله عنه أن يحلف بالله كاذبًا، ولا يحلف بغيره صادقًا، فهذا يدل على أن الحلف بغير الله أكبر من الكذب، مع أن الكذب من المحرمات في جميع الملل، فدل ذلك أن الحلف بغير الله من أكبر المحرمات»[(١)].

لكن الحلف بغير الله قد يكون شركًا أكبر، وذلك إذا اقترن به تعظيم المحلوف به كتعظيم الله.

يقول الشيخ ابن عثيمين: «والحلف بغير الله شرك أكبر؛ إن اعتقد أن المحلوف به مساوٍ لله تعالى في التعظيم والعظمة، وإلا فهو شرك أصغر»[(٢)].

۞ رابع عشر: الشرك في الألفاظ:

والمراد به: التشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ، كقول: لولا الله وفلان، وهذا بالله وبك، وكإضافة الأشياء ووقوعها لغير الله، كقول: لولا الحارس لأتانا اللصوص، ولولا الدواء الفلاني لهلكت، ولولا حذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل، فكل هذا ينافي التوحيد.

والواجب أن تضاف الأمور ووقوعها ونفع الأسباب إلى إرادة الله، وإلى الله ابتداء، ويذكر مع ذلك مرتبة السبب ونفعه، فيقول: لولا الله ثم كذا؛ ليعلم أن الأسباب مربوطة بقضاء الله وقدره، فلا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله ندًّا في قلبه وقوله وفعله[(٣)].

= (٤/ ١٧٧)، وصححه الألباني (إرواء الغليل برقم ٢٥٦٢).

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٥١١).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢١٤).

(٣) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص١٤٣).

عن ابن عباس في قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] قال: «الأنداد هو: الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء، في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله، وحياتك يا فلانة، وحياتي. ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلان، فإن هذا كله به شرك»[(١)].

عن ابن عباس، أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله، وشئت، فقال له النبي ﷺ: «**أجعلتني واللهَ عدلًا، بل ما شاء الله وحده**»[(٢)].

وعن قتيلة بنت صيفي الجهنية قالت: أتى حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون، قال: «**سبحان الله، وما ذاك؟**»، قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة، قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا[(٣)]، ثم قال: «**إنه قد قال: فمن حلف فليحلف برب الكعبة**»، ثم قال: يا محمد، نعم القوم أنتم، لولا أنكم تجعلون لله ندًّا، قال: «**سبحان الله، وما ذاك؟**»، قال: تقولون: ما شاء الله وشئت، قال: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا، ثم قال: «**إنه قد قال، فمن قال: ما شاء الله، فليفصل بينهما، ثم شئت**»[(٤)].

لكن التشريك في الألفاظ قد يكون شركًا أكبر إذا اعتقد القائل أن من أشركه مع الله مساوٍ لله في تدبيره جل وعلا.

يقول الشيخ ابن عثيمين: «وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، فيه شرك؛ لأنه شَرَكَ غير الله مع الله بالواو؛ فإن اعتقد أنه يساوي الله ﷻ في

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٢).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) **أي**: أخَّر الجواب عن اليهودي شيئًا من الزمن. (الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ١٤/ ١٦٦).
(٤) أخرجه أحمد في المسند (ح٢٧٠٩٣)، والنسائي بنحوه (ح٣٧٧٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣١)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة برقم ١٣٦).

التدبير والمشيئة فهو شرك أكبر، وإن لم يعتقد ذلك، واعتقد أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء فهو شرك أصغر، وكذلك قوله: لولا الله وفلان»[(١)].



(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢١٢).



المبحث الرابع

السحر

تعريفه وأنواعه وحكم الشرع في السحر والساحر وبعض صوره المعاصرة والوقاية منه وعلاجه

۞ أولًا: تعريف السحر:

السحر في اللغة: عبارة عمَّا خفي ولَطُف سببه[(١)].

وأما في الاصطلاح فهو -كما قال الإمام الشافعي: «السحر: اسم جامع لمعانٍ مختلفة»[(٢)]؛ ولذا يتعذر تعريفه بتعريف جامع مانع.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حده بحدٍّ جامع مانع؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعًا لها مانعًا لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافًا متباينًا»[(٣)].

ومن أحسن تعاريفه قول الإمام ابن قدامة بأن: «السحر: عزائم ورقى وعقد تؤثر في الأبدان، والقلوب، فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء

---

(١) لسان العرب (٤/ ٣٤٨).

(٢) الأم (٢/ ٥٦٦).

(٣) أضواء البيان (٤/ ٤١).

وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه[١]»[٢].

۞ ثانيًا: أنواع السحر:

للسحر أنواع كثيرة جدًّا، قال الرازي: «**اعلم أن السحر على أقسام:**

الأول: سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر، وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة، وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام مبطلًا لمقالتهم ورادًّا عليهم في مذهبهم[٣].

النوع الثاني: سحر أصحاب الأوهام والنفس القوية[٤].

النوع الثالث: الاستعانة بالأرواح الأرضية[٥].

النوع الرابع: التخيلات والأخذ بالعيون[٦].

النوع الخامس: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى[٧].

النوع السادس: الاستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبلد عقله وقلَّت فطنته[٨].

النوع السابع: تعليق القلب، وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم

---

(١) **أي:** يمنع الجماع بينهما.

(٢) الكافي في فقه الإمام أحمد (٤/ ٦٤)، وانظر في تعريفه أيضًا: أحكام القرآن (١/ ٤٨)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٩٧)، كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٩٣٥).

(٣) وهذا سحر التنجيم.

(٤) وهذا أقرب إلى العين.

(٥) وهذا هو السحر الذي يستعين صاحبه بالجن.

(٦) وهذا سحر التخييل.

(٧) وهذا ضرب من الرياضة ومهارة الحركة وخفة اليد.

(٨) وهذا سحر الأدوية وتسميته سحرًا مجاز؛ لأنه لا يعتمد على الاستعانة بالشياطين، بل على الأدوية، ومنه المخدرات والمسكرات

الأعظم، وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك، وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة، فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل حينئذٍ ما يشاء[١].

النوع الثامن: السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة، وذلك شائع في الناس[٢]، فهذا جملة الكلام في أقسام السحر»[٣].

قال الشيخ الشنقيطي بعدما ساق كلام الرازي: «ولأهل العلم فيه تقسيمات متعددة يرجع غالبها إلى هذه الأقسام المذكورة»[٤]، **وهذه الأقسام ترجع في الغالب إلى نوعين: (١)** سحر الحقيقة، **(٢)** سحر التخييل.

١- **أما سحر الحقيقة** فيدل عليه قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الناس: ١، ٤] قال ابن قدامة: «يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه»[٥].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سحر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا، فقال: «**يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب**[٦]، **قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم** - رجل من بني زريق حليف

---

(١) وهذه إحدى وسائل السحرة في الوصول إلى أغراضهم، وهي تقوم على محض الكذب والادعاء.

(٢) وتسمية النميمة سحرًا لمشابهتها السحر في الأثر، وهو التفريق بين الناس.

(٣) تفسير الرازي (٣/ ٦١٩-٦٢٥) باختصار.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٤٧).

(٥) الكافي في فقه الإمام أحمد (٤/ ٦٤). (٦) مطبوب أي: مسحور (فتح الباري ١٠/ ٢٢٨).

ليهود كان منافقًا - **قال: وفيم؟ قال: في مُشْطٍ ومُشَاطة**[١]، **قال: وأين؟ قال: في جُفِّ**[٢] **طَلْعَةِ ذَكَر، تحت رَاعُوفَة**[٣] **في بئر ذَرْوَان**[٤]» قالت: فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه، فقال: «**هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نُقَاعَة الحِنَّاء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين**» قال: فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا؟ - أي: تَنَشَّرْت - فقال: «**أما الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًّا**»[٥].

٢- **وأما سحر التخييل**، فيدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٥، ٦٦]، قال ابن كثير: «وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد، بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها، وإنما كانت حيلة»[٦].

وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم أن السحر كله تخييل لا حقيقة له مطلقًا[٧]، وهذا ليس بصحيح على إطلاقه، بل منه ما هو تخييل، ومنه ما له حقيقة[٨]، وقد سبق ذكر النصوص الدالة على ذلك، والواقع يؤكد حقيقته وتأثيره.

---

(١) **المشاطة** -بضم الميم- هي الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحه (شرح النووي على مسلم ١٤/ ١٧٧).

(٢) هو وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذي يكون عليه، ويطلق على الذكر والأنثى؛ فلهذا قيده في الحديث بقوله: «**طلعة ذكر**» (شرح النووي على مسلم ١٤/ ١٧٧).

(٣) **الراعوفة:** حجر يوضع على رأس البئر لا يستطاع قلعه، يقوم عليه المستقي، وقد يكون في أسفل البئر (فتح الباري ١٠/ ٢٣٤).

(٤) هي بئر بالمدينة في بستان بني زريق (شرح النووي على مسلم ١٤/ ١٧٧).

(٥) أخرجه البخاري (ح٥٧٦٥)، ومسلم (ح٢١٨٩).

(٦) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٠٢).

(٧) انظر: متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار (١/ ١٠١).

(٨) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٢٥-٣٢٦).

۞ ثالثًا: حكم الشرع في السحر:

ذهب الجمهور؛ أبو حنيفة[(١)]، ومالك[(٢)]، وأحمد[(٣)] إلى أن السحر كفر، وذهب الشافعي إلى أنه ليس بكفر إلا إذا تضمن ما يقتضي الكفر، فقال: «يقال للساحر: صِفِ السحر الذي تسحر به؛ فإن كان ما يسحر به كلام كفر صريح استتيب منه، فإن تاب وإلا قتل، وأخذ ماله فيئًا، وإن كان ما يسحر به كلامًا لا يكون كفرًا وكان غير معروف، ولم يضر به أحدًا نهي عنه، فإن عاد عزِّر»[(٤)].

وأما حكم تعلمه وتعليمه فإن العلماء اتفقوا على حرمته، قال ابن قدامة: «تَعَلُّم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافًا بين أهل العلم»[(٥)]، واختلفوا في تكفيره، فالجمهور لم يفرقوا في الحكم بين تعلمه وتعليمه وفعله، وقالوا: كل ذلك كفر[(٦)]، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، قال الحافظ ابن حجر: «فإن ظاهرها أنهم كفروا بذلك، ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر»[(٧)].

وأما الشافعية فذهبوا إلى التفصيل في حكم تعلمه وتعليمه كما فصلوا في فعله، قال النووي: «وأما تعلمه وتعليمه فحرام، فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر وإلا فلا»[(٨)].

الترجيح:

«وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف، فإن من لم يكفِّر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك، وليس كذلك، بل لا يأتي السحر الذي من قِبَل الشياطين إلا

(١) انظر: البناية شرح الهداية (٧/ ٢٩٧).
(٢) انظر: النوادر والزيادات على ما في المدونة من الأمهات (١٤/ ٥٣٢).
(٣) انظر: المغني (١٢/ ٣٠٠).
(٤) الأم (٢/ ٥٦٦-٥٦٧)، وانظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦).
(٥) المغني (١٢/ ٣٠٠).
(٦) انظر: المغني (١٢/ ٣٠٠).
(٧) فتح الباري (١٠/ ٢٢٥).
(٨) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦).

بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب، ولهذا سماه الله كفرًا في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢] . . . وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سمي سحرًا فعلى سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحرًا، ولكنه يكون حرامًا لمضرته، ويعزر من يفعله تعزيرًا بليغًا»(١).

رابعًا: عقوبة الساحر:

اختلف في عقوبة الساحر على قولين:

القول الأول: أنه يقتل حدًّا لردته، وهذا هو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد -رحمهم الله- لكفره بسحره مطلقًا، وهو اختيار اللجنة الدائمة، حيث قالت: «إذا أتى الساحر في سحره بمكفر قتل لردته حدًّا، وإن ثبت أنه قتل بسحره نفسًا معصومة قتل قصاصًا، وإن لم يأت في سحره بمكفر ولم يقتل نفسًا؛ ففي قتله بسحره خلاف، والصحيح: أنه يقتل حدًّا لردته، وهذا هو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد - رحمهم الله؛ لكفره بسحره مطلقًا لدلالة آية: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ الآية [البقرة: ١٠٢]، على كفر الساحر مطلقًا؛ ولِمَا ثبت في صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة أنه قال: «كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، فقتلنا ثلاث سواحر»، ولِمَا صح عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها «أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت»، رواه مالك في الموطأ»(٢).

ومما يدل على ذلك أيضًا حديث جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**حد الساحر ضربة بالسيف**»(٣).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٣٢٦-٣٢٧).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٥٥١- ٥٥٢).

(٣) أخرجه الترمذي (ح١٤٦٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٦١)، والحاكم (٤/ ٤٠١)=

قال الترمذي: «هذا حديث، لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه... والصحيح عن جندب موقوفًا، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس»(١).

وقال ابن قدامة: «حد الساحر القتل، روي ذلك عن عمر، وعثمان بن عفان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبد الله، وجندب بن كعب، وقيس ابن سعد، وعمر بن عبد العزيز، وهو قول أبي حنيفة ومالك»(٢).

القول الثاني: أنه لا يقتل إلا إذا قتل بسحره أو تضمن سحره كفرًا كالاستعانة بالشياطين، وهو قول الشافعي، قال ابن قدامة: «ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر»(٣)، وقال الترمذي: «قال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملًا دون الكفر فلم نر عليه قتلًا»(٤).

وقال الشيخ الشنقيطي: «الأظهر عندي أن الساحر الذي لم يبلغ به سحره الكفر ولم يقتل به إنسانًا أنه لا يقتل؛ لدلالة النصوص القطعية، والإجماع على عصمة دماء المسلمين عامة إلا بدليل واضح، وقتل الساحر الذي لم يكفر بسحره لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ، والتجرؤ على دم مسلم من غير دليل صحيح من كتاب أو سنة مرفوعة غير ظاهر عندي، والعلم عند الله تعالى، مع أن القول بقتله مطلقًا قوي جدًّا لفعل الصحابة له من غير نكير»(٥).

وعند التحقيق يتضح أن ليس بين القولين اختلاف، فليس بين من يحكم بقتله مطلقًا وبين من لم يحكم بقتله إلا إذا أتى بمكفر خلاف حقيقي؛ ذلك أن

= وضعفه الألباني مرفوعًا وصحَّحه موقوفًا (سلسلة الأحاديث الضعيفة ح١٤٤٦).

(١) سنن الترمذي (٣/ ١١٢).

(٢) المغني لابن قدامة (١٢/ ٣٠٢)، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٩٠).

(٣) المغني (١٢/ ٣٠٢).

(٤) سنن الترمذي (٣/ ١١٢).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٥٥)، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٥٥١-٥٥٣).

من لم يحكم بقتله فلظنه أن السحر يتأتى بدون الشرك، وليس كذلك، بل لا يأتى السحر الذي من قِبَل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب، ولهذا سماه الله كفرًا في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾؛ وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سمي سحرًا فعلى سبيل المجاز؛ كتسمية القول البليغ والنميمة سحرًا، ولكنه يكون حرامًا لمضرته، وهذا لايحكم بقتله إلا إن قتل بما يستخدم من الأدوية ونحوها، بل يعزر من يفعله تعزيرًا بليغًا. كما تبين هذا في القول الراجح في حكم السحر[(١)].

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد قال: «فمن كان سحره بواسطة الشياطين فإنه يكفر لأنه لا يتأتى ذلك إلا بالشرك غالبًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها فلا يكفر، ولكن يعتبر عاصيًا معتديًا»[(٢)].

واختلف في قبول توبته، قال ابن قدامة: «هل يستتاب الساحر؟ فيه روايتان **إحداهما:** لا يستتاب، وهو ظاهر ما نقل عن الصحابة، فإنه لم ينقل عن أحد منهم أنه استتاب ساحرًا، وفي الحديث الذي رواه هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة أن الساحرة سألت أصحاب النبي ﷺ وهم متوافرون، هل لها من توبة؟ فما أفتاها أحد. ولأن السحر معنى في قلبه، لا يزول بالتوبة، فيشبه من لم يتب.

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٢٦-٣٢٧).
(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٩٠).

والرواية الثانية: يستتاب، فإن تاب قبلت توبته؛ لأنه ليس بأعظم من الشرك، والمشرك يستتاب، ومعرفته السحر لا تمنع قبول توبته، فإن الله تعالى قبل توبة سحرة فرعون وجعلهم من أوليائه في ساعة، ولأن الساحر لو كان كافرًا فأسلم صح إسلامه وتوبته، فإذا صحت التوبة منهما صحت من أحدهما، كالكفر، ولأن الكفر والقتل إنما هو بعمله بالسحر، لا بعلمه، بدليل الساحر إذا أسلم، والعمل به يمكن التوبة منه، وكذلك اعتقاد ما يكفر باعتقاده، يمكن التوبة منه كالشرك»(١).

ومحل الخلاف في سقوط عقوبة القتل عنه في الدنيا إذا تاب، أما قبول توبته عند الله فليس بينهم خلاف في ذلك، فإن الله يتوب على من تاب، ولذا قال ابن قدامة في التعقيب على الخلاف في هذه المسألة: «وهاتان الروايتان في ثبوت حكم التوبة في الدنيا، من سقوط القتل ونحوه، فأما فيما بينه وبين الله تعالى، وسقوط عقوبة الدار الآخرة عنه فتصح، فإن الله تعالى لم يسد باب التوبة عن أحد من خلقه، ومن تاب إلى الله قَبِل توبته، لا نعلم في هذا خلافًا»(٢).

وقال الشيخ ابن باز: «إذا تاب الساحر توبة صادقة فيما بينه وبين الله نفعه ذلك عند الله، فالله يقبل التوبة من المشركين وغيرهم، كما قال جل وعلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥]، وقال جل وعلا: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، لكن في الدنيا لا تقبل.

الصحيح: أنه يقتل، فإذا ثبت عند حاكم المحكمة أنه ساحر يقتل، ولو قال: إنه تائب، فالتوبة فيما بينه وبين الله صحيحة، إن كان صادقًا تنفعه عند الله، أما في الحكم الشرعي فيقتل، كما أمر عمر بقتل السحرة؛ لأن شرهم عظيم، قد يقولون: تبنا، وهم يكذبون، يضرون الناس، فلا يسلم من شرهم بتوبتهم

(١) المغني (١٢/ ٣٠٣).
(٢) المغني (١٢/ ٣٠٣)، وانظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦).

التي أظهروها ولكن يقتلون، وتوبتهم إن كانوا صادقين تنفعهم عند الله»[(١)].

۞ خامسًا: بعض صور السحر المعاصرة:

صور السحر المعاصرة هي نفس صور السحر القديمة، ولا تختلف عنها إلا فيما يلي:

١- استخدام التقنية لتعليمه والترويج له:

وقد أعلن بعض العاملين في هذا المجال[(٢)] عن أن معظم ما يتم تعليمه من السحر يتمُّ من خلال الإنترنت ووسائل التعليم المتطورة والتكنولوجية، وذلك خوفًا من الملاحقات الأمنية، كما أشار الدكتور عبد الهادى حماد (أستاذ التاريخ الحديث) أن كنيسة الويكان في الولايات المتحدة هي الأكبر في العالم والأسرع نموًّا في تعليم السحر ونشره، مؤكدًا أن هذه الكنيسة سجلت فى الفترة الأخيرة عددًا من الطلاب وصل لربع مليون دارس على مستوى العالم، مؤكدًا أن فكر هذه الطائفة يأخذ من البوذية والهندوسية، وأنها تمارس السحر، كما تقوم بتعليمه ونشره في أنحاء العالم المختلفة، وقامت بتعليم نحو ١٠ آلاف شخص ما بين مصري وعربي وأوربي[(٣)].

٢- زيادة انتشارها لدى أكثر شعوب العالم:

تزداد ظاهرة السحر نفوذًا وانتشارًا في هذا العصر - عصر التقدم المادي - فأكثر شعوب العالم تقدمًا ماديًّا تجري فيها طقوس السحر على نطاق واسع وبطرق متنوعة كأمريكا وفرنسا وألمانيا، فما يظنه بعض الناس من أن هذا اللون من الدجل مقصور اليوم على الأمم المتخلفة، فهو غير صحيح[(٤)].

«ويقدر عدد السحرة والمشعوذين في فرنسا بحوالي ثلاثين ألفًا، ويتجاوز

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ١١١).

(٢) وهو المهندس نادر إبراهيم زينهم (مهندس اتصالات ويعمل في عالم الروحانيات).

(٣) انظر: «https//:fmisr.com/showthread.php?t=427757» بتاريخ: ٩/ ١٢/ ٢٠١٩م.

(٤) انظر: عالم السحر والشعوذة، د. عمر الأشقر (ص٥٥).

مجموع مبيعاتهم السنوية الثلاثة مليارات فرنك، مع أنه يستحيل معرفة الأرقام بدقة، لأن المادة ٤٠٥ من القانون الجزائي حظرت السحر؛ إذ نصت على عقوبات بالسجن من سنة إلى خمس سنوات بحق المشعوذين والعرافين»[(١)]، «وتحوي ألمانيا ٨٠ ألف ساحرة»[(٢)]، «وفي عام ١٩٨٨ ألقت الشرطة الفرنسية القبض في مدن عديدة وخاصة في مدينة باريس على عدد كبير من النصابين والمحتالين، كانوا يدعون السحر والتنبؤ بالمستقبل والكتابة لابتزاز الأموال»[(٣)].

وإضافة إلى ذلك فإن كثيرًا من بلدان المسلمين تنتشر فيها مظاهر السحر وأنواعه بسبب ضعف الإيمان بالله تعالى، وظهور الجهل بأحكام الشريعة، وسذاجة الكثير من المسلمين وجهلهم بحال هؤلاء السحرة المشعوذين، وتعطيل أحكام الله تعالى في هؤلاء السحرة.

٣- إنشاء الجمعيات والمعاهد وعقد المؤتمرات والندوات:

إن السحر قد واكب التطور المادي في هذا العصر، فأقيمت الجمعيات والمعاهد لتعليم السحر سواء عن طريق الانتظام أو الانتساب، كما نظمت المؤتمرات والندوات في هذا المجال[(٤)].

٤- ظهوره بأسماء وعناوين خادعة:

«الأغرب من كل شيء هو أن السواد الأعظم من هؤلاء السحرة يمارسون نشاطهم بشكل علني أو شبه علني تحت عناوين خادعة، فقسم منهم يملك مكاتب أو عيادات معروفة، والقسم الآخر يجلب الزبائن إليه عبر إعلانات مبوبة في بعض الصحف والمجلات الهامشية أو المتخصصة في مجال العلوم

(١) عالم السحر والشعوذة (ص٥٦-٥٧).
(٢) عالم السحر والشعوذة (ص٥٨).
(٣) عالم السحر والشعوذة (ص٦٠).
(٤) انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية (ص٥٠١).

غير الطبيعية»[١].

قال د. عمر الأشقر: «وهؤلاء المشعوذون يستخدمون في أداء طقوسهم السحرية أمورًا كثيرة مثل الميدالية الملفوفة بخيط، والخرزة لجلب الحظ وللمحبة، أو لجلب الرزق، أو للتفريق بين الزوجين، كما يستخدمون الفنجان وقراءة الكف، والبخور والودع، ويطلبون من زبائنهم مطالب غريبة، فقد يطلب الواحد منهم نعجة سوداء أو خروفًا أبيض، أو ذا قرون، وقد يطلبون ذبح ديك ودفنه في المقبرة»[٢].

۞ سادسًا: الوقاية من السحر:

من أهم الأسباب التي يُتقَى بها السحر قبل حصوله التحصين بالأذكار الشرعية كأذكار الصباح والمساء، وأذكار دخول المنزل والخلاء والخروج منهما وعند النوم ونحو ذلك مما يقي الإنسان شر الشيطان.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح**»[٣]، وصح عنه أيضًا ﷺ أنه قال: «**من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»[٤]، وقال النبي ﷺ: «**من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**»[٥]، ومن ذلك أن يقول المسلم في أول النهار وأول الليل ثلاث مرات: «**باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**»[٦].

---

(١) عالم السحر والشعوذة (ص٦١).

(٢) عالم السحر والشعوذة (ص٦٨) بتصرف يسير.

(٣) أخرجه البخاري (ح٢٣١١).

(٤) أخرجه البخاري (ح٤٠٠٨)، ومسلم (ح٨٠٧).

(٥) أخرجه مسلم (ح٢٧٠٨).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (ح٤٤٦)، وأبو داود (ح٥٠٨٨) والترمذي (ح٣٣٨٨)، وصحَّحه الألباني.

قال الشيخ ابن باز: «وهذه الأذكار والتعوذات من أعظم الأسباب في اتقاء شر السحر وغيره من الشرور لمن حافظ عليها بصدق وإيمان وثقة بالله واعتماد عليه وانشراح صدر لما دلت عليه»[(١)].

۞ سابعًا: علاج السحر:

من أهم الأسباب في علاج السحر ما يلي:

١- «القراءة؛ فإن لها أثرًا عظيمًا في إزالة السحر؛ وهو أن يقرأ على المسحور أو في إناء آية الكرسي وآيات السحر التي في سورة الأعراف، وفي سورة يونس، وفي سورة طه، ومعها سورة الكافرون، وسورة الإخلاص، والمعوذتين، ويدعو له بالشفاء والعافية»[(٢)].

٢- بذل الجهود في معرفة موضع السحر في أرض أو جبل أو غير ذلك، فإذا عرف واستخرج وأتلف بطل السحر[(٣)]، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسولَ الله ﷺ رجلٌ من بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيَّل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «**يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلع نخلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان**» فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: «**يا عائشة، كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رؤوس نخلها رءوس الشياطين**» **قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافاني الله، فكرهت أن أثور على الناس فيه شرًّا»** فأمر بها فدفنت[(٤)].

---

(١) حكم السحر والكهانة (٣/ ٢٧٧-٢٧٨)، ضمن مجموع فتاوى ابن باز.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ١٤٤). (٣) انظر: حكم السحر والكهانة (٣/ ٢٨٠).

(٤) أخرجه البخاري (ح٥٧٦٣)، ومسلم (ح٢١٨٩).

٣- الإكثار من الضراعة إلى الله، وسؤاله سبحانه أن يكشف الضرَّ ويزيل البأس[١].

٤- «ذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه: أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل[٢] ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله»[٣].



(١) انظر: حكم السحر والكهانة (٣/ ٢٧٨)، ضمن مجموع فتاوى ابن باز.

(٢) أي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ...﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ ...﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ...﴾.

(٣) فتح الباري (١٠/ ٢٣٣)، وانظر: مجموع فتاوى ابن باز (٢٦/ ١٦٨).



المبحث الخامس

الشعوذة

تعريفها، وصورها، والفرق بينها وبين السحر

۞ أولًا: تعريفها:

قال ابن منظور: «الشعوذة: خفة في اليد، وأَخْذٌ كالسحر يُري الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين»[(١)]، وتسمى أيضًا الشعبذة، «ومعنى الشعبذة: تخيل الخيالات الباطلة، ويتوهم لأشياء حقائق، كما يفعل المشعبذ بأخذ ثوب أحد، وتمزيقه تخييلًا، ثم ينفضه صحيحًا، فهو أحد الحيل»[(٢)].

قال أبو السعود: «وأما الشعوذة وما يجري مجراها من إظهار الأمور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الأدوية والأحجار، فإطلاق السحر عليها بطريق التجوز، أو لما فيها من الدقة»[(٣)].

قال ابن الهمام الحنفي: «ولا تقبل شهادة أهل الشعبذة، وهو الذي يسمى في ديارنا دِكَاكًا؛ لأنه إما ساحر أو كذاب، أعني: الذي يأكل منها ويتخذها

(١) لسان العرب (٣/ ٤٩٥).
(٢) المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٤١٣).
(٣) تفسير أبي السعود (١/ ١٣٧-١٣٨).

مكسبة»[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر: «وأما النوع الآخر [أي: من السحر] الذي هو من باب الشعوذة، فلا يكفر به من تعلمه أصلًا»[(٢)].

۞ ثانيًا: صور الشعوذة:

صورها كثيرة لا حصر لها؛ لأنها تعتمد على الحيل والخداع، **ومن صورها ما يلي:**

١- دخول النار بعد دهن الجسم بمادة واقية غير مرئية، وقد استخدم هذه الحيلة فرقة البطائحية من غلاة الصوفية، كما حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في حكاية مناظرته لهم[(٣)].

٢- حمام يطير من قبعة فارغة في نظر المشاهد، لكنه في حقيقة الحال قد وضع في كمِّ قميصه الواسع حمامة.

۞ ثالثًا: الفرق بين الشعوذة والسحر:

الفرق بينهما من وجوه:

١- أن الشعوذة لا حقيقة لها، بل هي أعمال خادعة وحيل متنوعة، بخلاف السحر فإن له حقيقة.

٢- أن السحر له تأثير فيقتل ويؤذي ويمرض، بخلاف الشعوذة.

٣- أن الشعوذة تعتمد على خفة اليد والحيلة، أما السحر فيعتمد على الاستعانة بالشياطين.

٤- أن السحر كفر بخلاف الشعوذة فإنها محرمة.

٥- أن الساحر يقتل عند جماهير أهل العلم، بخلاف المشعوذ، فلا يقتل

(١) فتح القدير، للكمال ابن الهمام (٧/ ٤١٤).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٢٢٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٤٥) وما بعدها.

إجماعًا، بل يعزر، قال البهوتي: «ويعزَّر من يدخل النار ونحوه ممن يعمل الشعبذة ونحوها»[(١)].

٦- أن الشعوذة لا تسمى سحرًا إلا بطريق التجوز، بخلاف السحر فلا يسمى شعوذة.



(١) كشاف القناع عن متن الإقناع (١٤/ ١٢٥).



المبحث السادس

النُّشرة

تعريفها وأقسامها وحكمها

۞ أولًا: تعريف النشرة:

قال ابن القيم: «النشرة: حل السحر عن المسحور»[(١)].

وقال ابن حجر: «النُّشرة بالضم، وهي ضرب من العلاج يعالج به من يظن أن به سحرًا أو مسًّا من الجن، قيل لها ذلك لأنه يُكشَف بها عنه ما خالطه من الداء»[(٢)].

۞ ثانيًا: أقسامها وحكمها:

النشرة نوعان:

الأول: حَلُّ السحر بسحر مثله، وهو محرم.

الثاني: حلُّ السحر بالرقى والأدعية المباحة، وهو جائز.

قال ابن القيم: «وهي نوعان: حل سحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان؛ فإن السحر من عمله، فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور، والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات

(١) إعلام الموقعين (٤/ ٣٠١).

(٢) فتح الباري، ابن حجر (١٠/ ٢٣٣)، وانظر: المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٦٤).

والأدوية المباحة، فهذا جائز، بل مستحب، وعلى النوع المذموم يحمل قول الحسن: لا يحلُّ السحرَ إلا ساحر»[(١)].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه في هذه المسألة: أن استخراج السحر إن كان بالقرآن كالمعوذتين، وآية الكرسي ونحو ذلك مما تجوز الرقية به فلا مانع من ذلك، وإن كان بسحر أو بألفاظ عجمية، أو بما لا يفهم معناه، أو بنوع آخر مما لا يجوز فإنه ممنوع»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «حَلُّ السحر عن المسحور (النشرة) الأصح فيها أنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن تكون بالقرآن الكريم، والأدعية الشرعية، والأدوية المباحة فهذه لا بأس بها؛ لما فيها من المصلحة وعدم المفسدة، بل ربما تكون مطلوبة؛ لأنها مصلحة بلا مضرة.

القسم الثاني: إذا كانت النشرة بشيء محرم كنقض السحر بسحر مثله، فهذا موضع خلاف بين أهل العلم: فمن العلماء من أجازه للضرورة[(٣)]، ومنهم من منعه؛ لأن النبي ﷺ سئل عن النشرة فقال: «**هي من عمل الشيطان**»[(٤)] وإسناده

(١) إعلام الموقعين (٤/ ٣٠١).

(٢) أضواء البيان (٤/ ٥٧)، وانظر: حكم السحر والكهانة (٣/ ٢٨٠)، ضمن مجموع فتاوى ابن باز، التحصين من كيد الشياطين (ص٩٥- ٩٦).

(٣) جاء في الروض المربع: «ويجوز الحل بسحر ضرورة» (الروض المربع، ص: ٦٨٤)، وفي كشاف القناع: «والمذهب جوازه ضرورة» (كشاف القناع ١٤/ ٢٧٦)، وقال ابن كثير: «وهل يسأل الساحر حلَّ سحره؟ فأجاز سعيد بن المسيب فيما نقله عنه البخاري، وقال عامر الشعبي: لا بأس بالنشرة، وكره ذلك الحسن البصري، وفي الصحيح عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله، هلا تنشَّرت، فقال: «**أما الله فقد شفاني، وخشيت أن أفتح على الناس شرًّا**» [أخرجه البخاري (ح٥٧٦٥)]» (تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح١٤١٣٥)، وأبو داود (ح٣٨٦٨)، وصححه الحاكم ووافقه=

جيد رواه أبو داود، وعلى هذا يكون حل السحر بالسحر محرمًا، وعلى المرء أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والتضرع لإزالة ضرره، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ويقول الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]»[1].



= الذهبي (٤/ ٤٦٤)، وقال الهيثمي: «رواه البزار، والطبراني في الأوسط... ورجال البزار رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٥/ ١٠٢).

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ١٧٧).



المبحث السابع

الكهانة

تعريفها وحكمها

۞ أولًا: تعريف الكهانة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الكهانة... الإخبار ببعض الغائبات عن الجن»[(١)]، يعني: بواسطة الجن.

والكاهن: هو الذي يدعي مطالعة عالم الغيب، ويُخبر الناس عن الكوائن[(٢)].

ويطلق اسم الكاهن على العراف والذي يضرب الحصى والمنجم[(٣)].

والعرَّاف: صيغة مبالغة من العارف، أو نسبة؛ أي: من ينتسب إلى العرافة[(٤)].

وبعض العلماء يفرق بينهما، فيقول بأن الكاهن يخبر عمَّا يكون في المستقبل، والعراف هو الذي يكتشف بعض ما يقع في الماضي، كالدلالة على المسروق أو مكان الضالة. قال الإمام البغوي: «الكاهن: هو الذي يخبر

(١) النبوات (١/ ١٦٦).

(٢) انظر: معالم السنن (٤/ ٢٢٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٣-١٩٤).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٣٢).

عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار، ومطالعة علم الغيب، وكان في العرب كهنة يدعون معرفة الأمور، فمنهم من كان يزعم أن له رئيسًا من الجن، وتابعة تلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يدعي أنه يستدرك الأمور بفهم أعطيه، والعرَّاف هو الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها، كالمسروق من الذي سرقها، ومعرفة مكان الضالة، وتتهم المرأة بالزنا، فيقول: من صاحبها؟ ونحو ذلك من الأمور، ومنهم من يسمي المنجِّم كاهنًا»(١).

أما الفرق بين الساحر والكاهن، فإن الكاهن يخبر بالمغيبات بزعمه، والساحر يفعل، قال الإمام أحمد: «الكاهن يدعي الغيب، والساحر يعقد ويفعل كذا»(٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الكاهن إنما عنده أخبار، والساحر عنده تصرف؛ بقتل، وإمراض، وغير ذلك»(٣).

۞ ثانيًا: حكم سؤال الكاهن:

سؤال العراف أو الكاهن ونحوهما ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يسأله عن شيء وإن لم يصدقه فيما يقول فهذا حرام؛ لحديث صفية، عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»(٤)، فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه؛ إذ لا عقوبة إلا على فعل محرم.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدقه، فهذا كفر؛ لحديث أبي هريرة، والحسن، عن النبي ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا، أو عرافًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»(٥)، ولأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن، حيث قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

---

(١) شرح السنة (١٢/ ١٨٢).
(٢) أحكام أهل الملل للخلال (ص٢٠٨).
(٣) النبوات (٢/ ١٠٤٥).
(٤) أخرجه مسلم (ح٢٢٣٠).
(٥) أخرجه أحمد في المسند (ح٩٥٣٦)، وإسناده صحيح (انظر: صحيح الجامع برقم ٥٩٣٩).

القسم الثالث: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فهذا مطلوب، وقد يكون واجبًا، ولا يدخل في النهي بحالٍ، كما يدل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ لابن صائد: «**قد خبأت لك خبيئًا، فما هو؟**» قال: الدخ، قال: «**اخسأ**»[1][2].

قال الإمام النووي: «والصحيح المشهور أنه ﷺ أضمر له آية الدخان، وهي قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾ [الدخان: ١٠]، قال القاضي: وأصح الأقوال أنه لم يهتد من الآية التي أضمر النبي ﷺ إلا لهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان إذا ألقى الشيطان إليهم بقدر ما يخطف قبل أن يدركه الشهاب»[3].



(١) أخرجه البخاري (ح٦١٧٢).
(٢) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٣٣-٥٣٤).
(٣) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٤٩).



المبحث الثامن

التنجيم

تعريفه وأنواعه وأحكامه

۞ أولًا: معنى التنجيم:

التنجيم: لغة: النظر في النجوم[(١)]، قال الزمخشري: «نجَّم فلان تنجيمًا: قضى في النجوم»[(٢)]؛ أي: حكم في الحوادث والقضايا بما يدعيه من علم التنجيم.

وأما اصطلاحًا، فهو: «الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية»[(٣)].

۞ ثانيًا: أنواع التنجيم وأحكامه:

علم التنجيم نوعان:

١- مباح، وتعلمه مستحب، ويسمى علم التسيير.

٢- محظور، وتعلمه محرم، ويسمى علم التأثير.

---

(١) جمهرة اللغة (١/ ٤٩٥).

(٢) أساس البلاغة (٢/ ٢٥٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)، وانظر في تعريفه أيضًا: معالم السنن (٤/ ٢٢٩)، شرح السنة (١٢/ ١٨٣).

وقد ذكر هذا التقسيم غير واحد من أهل العلم كالخطابي[(١)]، والخطيب البغدادي[(٢)]، والبغوي[(٣)].

قال ابن رجب: «علم تأثير النجوم باطل محرم، والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم وتقريب القرابين لها كفر، وأما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزًا عند الجمهور»[(٤)].

وقال الشيخ السعدي: «**التنجيم نوعان:**

نوع يسمى علم التأثير: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية، فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد؛ لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله، ولما فيه من فساد العقل لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.

النوع الثاني: علم التسيير: وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع، إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات، أو إلى الاهتداء به في الجهات. فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه، وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني»[(٥)].

۞ ثالثًا: صور التنجيم المعاصرة:

حقيقة التنجيم واحدة في الماضي والحاضر، ولا اختلاف إلا في الوسائل، حيث يتم نشر التنجيم والدعاية له في العصر الحاضر عبر وسائل مختلفة

---

(١) انظر: معالم السنن، للخطابي (٤/ ٢٢٩-٢٣٠).

(٢) انظر: القول في النجوم (ص١٢٦، ١٦٩).

(٣) انظر: شرح السنة (١٢/ ١٨٣).

(٤) بيان فضل علم السلف على علم الخلف (ص٤٧).

(٥) القول السديد (ص١٠٨)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٧٨-٣٧٩، ٣٨٤).

وأساليب متنوعة، **ومنها:**

١- نشر التنجيم عبر المجلات والصحف، تحت عنوان: الأبراج، أو الحظ والأبراج، أو حظك والنجوم، أو حظك من السماء، أو نحو هذه العناوين.

٢- تأليف الكتب ونشرها، وقد تخصصت بعض دور النشر بطباعة هذا الدجل.

٣- إنشاء معاهد لتعليم هذه الخرافات، وتنتشر الآن في كثير من أنحاء العالم؛ معاهد تتيح للباحث دراسات في كيفية صناعة التنجيم.

٤- إنشاء اتحاد للمنجمين، فقد أنشئ في العالم أكثر من اتحاد للمنجمين، ولكن أشهرها وأوسعها صيتًا هو الاتحاد العالمي للفلكيين الروحانيين في فرنسا[(١)].



(١) للتوسع انظر: التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام، عبد المجيد المشعبي (ص١٣٥) وما بعدها.



المبحث التاسع

المراد بالجن وحكم الإيمان بوجودهم وأصل خلقهم وصفاتهم

وجوانب ضعفهم وأصنافهم والفرق بينهم وبين الشياطين

وطرق الاحتراز منهم

۞ أولًا: المراد بالجن:

قال ابن فارس: «الجيم والنون أصل واحد، وهو **الستر والتستر**»[(١)].

والجن عالم غير عالم الإنسان سموا بذلك؛ لاجتنانهم عن الأبصار، أي: استتارهم، ولأنهم استجنوا من الناس فلا يُرَون، والجمع جِنَان، والجِنِّيُّ منسوبٌ إلى الجِنِّ أَو الجِنَّةِ[(٢)].

أما الجن اصطلاحًا فقد اختلفت عبارات أهل العلم في تعريفهم، قال ابن حزم: «هم أجسام رقاق صافية هوائية، لا ألوان لها، وعنصرهم النار»[(٣)].

وقال الرازي: «أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، ولها عقول وأفهام وقدرة على أعمال صعبة شاقة»[(٤)].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٤٢١).
(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور (١/ ٧٠٣).
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٩)، وانظر: تفسير ابن فورك (٣/ ٥٨).
(٤) تفسير الرازي (١/ ٧٩).

وقال البيضاوي: «الجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية»(١).

وقال الخازن: «اختلفوا في ماهيتهم، فقيل: الجن حيوان هوائي يتشكل بأشكال مختلفة»(٢).

وقال أبو حيان: «هم أجسام لطيفة معلوم من هذه الشريعة وجودهم»(٣).

وهذه التعاريف تدور على ذكر شيء من أوصافهم، والحق أنه لا يعلم كيفيتهم إلا الله تعالى، ولذا لا يُعْلم تعريف دقيق لهم سوى ما جاءت به نصوص القرآن والسنة من أنهم عالم غير عالم الإنسان خلقهم الله من نار، وعقلاء مكلفون، وأعطاهم الله قدرة على التشكل في صور مختلفة.

۞ ثانيًا: حكم الإيمان بوجود الجن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجود الجن ثابت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واتفاق سلف الأمة وأئمتها»(٤).

* أما الكتاب، فقد جاء ذكر الجن في كثير من آيات القرآن، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وغيرها من الآيات.

* وكذلك وردت السنة النبوية بذكر الجن في أحاديث كثيرة، منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن عفريتًا من الجن تفلَّت عليَّ البارحة** -أو كلمة نحوها- **ليقطع عليَّ الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي**

(١) تفسير البيضاوي (٥/ ٢٥١).
(٢) تفسير الخازن (٤/ ٣٤٨).
(٣) البحر المحيط (٥/ ٣٢).
(٤) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٦).

سليمان: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥]»[(١)].

❊ وأما الإجماع، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمدًا ﷺ إليهم... وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواترًا معلومًا بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون، ليسوا صفاتٍ وأعراضًا قائمةً بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواترًا عن الأنبياء تواترًا ظاهرًا تعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسل أن تنكرهم»[(٢)].

۞ ثالثًا: أصل خلق الجن:

خلق الجن من نار، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٧]؛ «أي: من النار الشديدة الحرارة»[(٣)]، وقال ابن عباس: «الجانُّ خلق من لهب النار»[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥﴾ [الرحمن: ١٥].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[(٥)].

قال الإمام النووي: «الجانُّ: الجن، والمارج: اللهب المختلط بسواد النار»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٦١)، ومسلم (ح٥٤١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠).
(٣) تفسير السعدي (ص٤٣١).
(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٣).
(٥) أخرجه مسلم (ح٢٩٩٦).
(٦) شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٢٣-١٢٤).

وكان خلق الجن قبل خلق الإنس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ قال: «وهو إبليس، خلق قبل آدم، وإنما خلق آدم آخر الخلق»[(١)].

۞ رابعًا: صفات الجن:

للجن صفات كثيرة وردت في الكتاب والسنة، ومن أهمها ما يلي:

١- أنهم يتشكلون في صور مختلفة:

للجن قدرة على التشكل في صور وأشكال مختلفة، منها:

أ) أنهم يتصورون أحيانًا في صورة إنسان، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج، وعليَّ عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة**»، قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالًا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك، وسيعود**»، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعليَّ عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك**»، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**»، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات، أنك تزعم لا تعود، ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٦٣).

من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة**»، قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: «**ما هي؟**»، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي ﷺ: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة**»، قال: لا، قال: «**ذاك شيطان**»(١).

قال ابن هبيرة: «فيه إثبات وجود الجن، وأنهم يتصورون في الصور الكثيرة»(٢).

وقال الحافظ ابن حجر في ذكر فوائد الحديث: «إنه [يعني الشيطان] قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [الأعراف: ٢٧]؛ مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها... وأن الجن يأكلون من طعام الإنس وأنهم يظهرون للإنس لكن بالشرط المذكور(٣)، وأنهم يتكلمون بكلام الإنس، وأنهم يسرقون ويخدعون»(٤).

ب) وقد يتصورون في صورة حيوان من بعير أو حمار أو كلب أو قط أسود أو حية ونحو ذلك، فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم يصلي، فإنه يستره إذا كان بين يديه مثلُ آخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل، فإنه يقطع صلاتَه الحمارُ، والمرأةُ، والكلبُ الأسود**» قلت: يا أبا ذر، ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال:

(١) أخرجه البخاري (ح٢٣١١).
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٧).
(٣) يعني بتشكلهم في غير صورهم الحقيقية التي خلقوا عليها.
(٤) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٤٨٩).

يا بن أخي، سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: «**الكلب الأسود شيطان**»[(١)].

وعن نافع قال: كان عبد الله بن عمر يومًا عند هدم له، فرأى وبيص جان فقال: اتبعوا هذا الجان فاقتلوه، قال أبو لبابة الأنصاري: إني سمعت رسول الله ﷺ «نهى عن قتل الجِنَّان التي تكون في البيوت، إلا الأَبْتَر وذا الطُّفْيَتين، فإنهما اللذان يخطفان البصر، ويتتبعان ما في بطون النساء»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الجن يتصورون في صور الإنس والبهائم، فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم»[(٣)].

٢- أنهم يرون الإنس، والإنس لا يرونهم في صورهم الحقيقية:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وعن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَتْرُ ما بين أعين الجِنِّ وعورات بني آدم إذا دخل أحدهم الخلاء، أن يقول: باسم الله**»[(٤)].

أما رؤية الإنس للجن، فيروى عن الإمام الشافعي أنه قال: «من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته، يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [الأعراف: ٢٧]»[(٥)].

ولعل الشافعي يعني: من زعم أنه رآهم في صورهم التي خلقوا عليها، وإلا فلا ريب في رؤية الإنس لهم في صورهم التي يتشكلون بها كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة، ولهذا قال الحافظ ابن حجر: «وهذا محمول على من يدعي رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها، وأما من ادَّعى أنه يرى شيئًا منهم بعد أن يتصوَّر على صور شتى من الحيوان فلا يقدح فيه، وقد تواردت

---

(١) أخرجه مسلم (ح٥١٠).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٢٣٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٤٤).

(٤) أخرجه الترمذي (ح٦٠٦)، وابن ماجه (ح٢٩٧)، وصححه الألباني (إرواء الغليل ح٥٠).

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٤١)، مناقب الشافعي، للآبري (ص٩١).

الأخبار بتصورهم في الصور»[١].

٣- أنهم يأكلون ويشربون:

سبق في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن**» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: «**لكم كل عظم ذُكِر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم**»، فقال رسول الله ﷺ: «**فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم**»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه؛ فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله**»[٣].

٤- أنهم يتناكحون ويتناسلون:

قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ﴾ [الكهف: ٥٠].

قال الحسن البصري: «هم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم»[٤].

روى مجالد عن الشعبي قال: إني لقاعد يوما إذ أقبل رجل فقال: أخبرني هل لإبليس زوجة؟ قلت: إن ذلك العرس ما شهدته، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ فعلمت أنه لا تكون الذرية إلا من الزوجة، فقلت: نعم[٥].

وقال الألوسي: «الظاهر أن المراد من الذرية الأولاد، فتكون الآية دالة على أن له أولادًا، وبذلك قال جماعة»[٦].

---

(١) فتح الباري (٦/ ٣٤٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٠٢٠).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٥٤٠).

(٥) تفسير البغوي (٥/ ١٧٩).

(٦) تفسير الألوسي (٨/ ٢٧٨).

٥- أن لهم قدراتٍ وأعمالًا خارقة للعادة:

منها: سرعة الحركة والانتقال، كما يدل عليه قوله سبحانه: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل: ٣٩].

ومنها: الصعود إلى السماء، قال جل وعلا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن: ٨، ٩].

ومنها: علمهم بالصناعات، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٢، ١٣].

ومنها: قدرتهم على الوسوسة لبني آدم وإغوائهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وعن صفية بنت حيي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم**»(١).

٦- أنهم مكلفون:

قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (ح٢٠٣٨)، ومسلم (ح٢١٧٥).

طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣١].

قال القرطبي: «الجن مخاطبون مكلفون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالإنس سواء، مؤمنهم كمؤمنهم، وكافرهم ككافرهم، لا فرق بيننا وبينهم في شيء من ذلك»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هم [أي: الجن] مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم؛ فإنهم ليسوا مماثلي الإنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساويًا لما على الإنس في الحد، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعًا بين المسلمين»[(٢)].

۞ خامسًا: جوانب ضعف الجن:

يظهر ضعف الجن وعجزهم من خلال ما يلي:

١- ما أخبرنا الله به جل وعلا من ضعف كيدهم، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، «أي: مكره ومكر من اتبعه»[(٣)]، «فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ فإنه في غاية الضعف»[(٤)].

٢- ما جاء في السنة من أنه يضعف ويخنس إذا ذكر العبد ربه، فعن أبي المليح، عن رجل، قال: كنت رديف النبي ﷺ، فعثرت دابة، فقلت: تَعِس الشيطان، فقال: «**لا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قل: باسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب**»[(٥)]، وأنه يهرب من البيت الذي تقرأ فيه «سورة البقرة»، فعن

---

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ١٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٣٣).

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ٢٨٠).

(٤) تفسير السعدي (ص١٨٧).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٣٤/ ١٩٨)، وأبو داود (ح٤٩٨٢)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٧٤٠١).

أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»(١)، وأنه لا يستطيع فتح باب مغلق ذكر اسم الله عليه، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إذا كان جُنْح الليل، أو أمسيتم، فكفُّوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعةٌ من الليل فحلُّوهم، فأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأَوْكُوا قِرَبَكم واذكروا اسم الله، وخمِّروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تَعرُضُوا عليها شيئًا، وأطفئوا مصابيحكم**»(٢)، قال النووي: «هذا الحديث فيه جمل من أنواع الخير والآداب الجامعة لمصالح الآخرة والدنيا، فأمر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بهذه الآداب التي هي سبب للسلامة من إيذاء الشيطان، وجعل الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأسباب أسبابًا للسلامة من إيذائه فلا يقدر على كشف إناء، ولا حل سقاء، ولا فتح باب، ولا إيذاء صبي وغيره إذا وجدت هذه الأسباب»(٣).

٣- أنه ليس له سلطان إلا على من اتبعه من الغاوين، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢]، قال ابن كثير: «أي: الذين قدرت لهم الهداية، فلا سبيل لك عليهم، ولا وصول لك إليهم»(٤)، وقد اعترف الشيطان بذلك، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

٤- خوف الشيطان من عباد الله الصالحين، كما قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لعمر ابن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**والذي نفسي بيده، ما لقيكَ الشيطان قط سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجِّك**»(٥)، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إن المؤمن ليُنْضي شياطينَه، كما يُنْضي أحدكم بعيره في السفر**»(٦)، قال المناوي: «أي:

(١) أخرجه مسلم (ح٧٨٠).
(٢) أخرجه البخاري (ح٥٦٢٣)، ومسلم (ح٢٠١٢).
(٣) شرح النووي على مسلم (١٣/ ١٨٥). (٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٥).
(٥) أخرجه البخاري (ح٣٢٩٤)، ومسلم (ح٢٣٩٦).
(٦) أخرجه أحمد في المسند (١٤/ ٥٠٤)، وحسنه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٣٥٨٦).

يُهزله ويجعله نضوًا؛ أي: مهزولًا؛ لكثرة إذلاله له وجعله أسيرًا تحت قهره وتصرفه، ومن أعز سلطان الله أعزه الله، وسلطه على عدوه، وحكم عكسه عكس حكمه»[(١)].

٥- الشيطان لا يستطيع التمثل في صورة النبي ﷺ في الرؤيا: فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي**»[(٢)]، قال الحافظ ابن حجر: «يشير إلى أن الله تعالى وإن أمكنه من التصور في أي صورة أراد، فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي ﷺ»[(٣)].

٦- لهم حدود معينة لا يستطيعون تجاوزها، قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ [الرحمن: ٣٣ - ٣٥]، قال ابن جزي: «أي: لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة، وليس لكم قوة»[(٤)].

سادسًا: أصناف الجن:

الجن أصناف مختلفة من حيث تشكلهم وقدرتهم وأماكنهم وأديانهم ومذاهبهم وصلاحهم وفسادهم، **ويتبين ذلك فيما يلي:**

١- الجن من حيث تشكلهم على ثلاثة أصناف، فعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجنُّ ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيَّات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون**»[(٥)].

---

(١) فيض القدير (٢/ ٣٨٥).
(٢) أخرجه البخاري (ح١١٠)، ومسلم (ح٢٢٦٦).
(٣) فتح الباري (١٢/ ٣٨٦).
(٤) تفسير ابن جزي (٢/ ٣٢٩).
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٥)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: «رجاله وُثِّقوا، وفي بعضهم خلاف» (مجمع الزوائد ٨/ ١٣٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٣١١٤).

٢- ومن حيث قدرتهم، فإن فيهم الضعفاء وفيهم الأقوياء، قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٣٩، ٤٠]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إن عفريتًا من الجن تَفَلَّت عليَّ البارحة** -أو كلمة نحوها- **ليقطع عليَّ الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان:** ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥]»[(١)].

٣- ومن حيث مواطنهم؛ فإنهم ينتسبون إلى أماكن ومواطن مختلفة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إِدَاوَةً لِوَضُوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها، فقال: «**من هذا؟**» فقال: أنا أبو هريرة، فقال: «**ابغني أحجارًا أستنفض بها، ولا تأتني بعظم ولا بروثة**». فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي، حتى وضعتها إلى جنبه، ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت، فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: «**هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين**[(٢)]**، ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم ألا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعامًا**»[(٣)].

٤- ومن حيث دياناتهم وفرقهم؛ فإن فيهم المؤمن والكافر والصالح والفاسد والسني والبدعي، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: ١١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أي: على مذاهب شتى

(١) سبق تخريجه.

(٢) «هي مدينة بالشام مباركة وجنها سادات الجن وأكثر عددًا... وحكي أنهم من نصيبين قرية باليمن غير التي في العراق، وقيل: إنهم من نينوى وأن جن نصيبين أتوه بعد ذلك بمكة» (بهجة المحافل وبغية الأماثل ليحيى العامري ١/ ١٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح٣٨٦٠).

كما قال العلماء، منهم المسلم والمشرك والنصراني والسني والبدعي»[(١)]، وقال القرطبي: «المعنى: أي: لم يكن كل الجن كفارًا، بل كانوا مختلفين، منهم كفار، ومنهم مؤمنون صلحاء، ومنهم مؤمنون غير صلحاء، وقال المسيب: كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوسًا، وقال السدي في قوله تعالى: ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ قال: في الجن مثلكم؛ قدرية، ومرجئة، وخوارج، ورافضة، وشيعة، وسنية»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [الجن: ١٤، ١٥]، قال ابن القيم: «قد تضمنت هذه الآيات انقسامهم إلى ثلاث طبقات: صالحين، ودون الصالحين، وكفار، وهذه الطبقات بإزاء طبقات بني آدم؛ فإنها ثلاثة: أبرار، ومقتصدون، وكفار، فالصالحون بإزاء الأبرار، ومن دونهم بإزاء المقتصدين، والقاسطون بإزاء الكفار... ولما كان الإنس أكمل من الجن وأتم عقولًا ازدادوا عليهم بثلاثة أصناف أخر ليس شيء منها للجن، وهم: الرسل، والأنبياء، والمقربون، فليس في الجن صنف من هؤلاء»[(٣)].

۞ سابعًا: الفرق بين الجن والشياطين:

الفرق بين الجن والشياطين من وجهين:

الوجه الأول: أن لفظ (الجن) يشمل المؤمن والكافر منهم، بخلاف لفظ (الشيطان) فإنه مختص بالكافر، ذكر الحافظ ابن حجر أن الجن والشياطين اسمان «لمسمى واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم: إنه شيطان»[(٤)]، وقال ابن عقيل: «الشياطين العصاة من الجن، وهم ولد إبليس، والمردة أعتاهم وأغواهم، وهم أعوان إبليس ينفذون

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٠٥).
(٢) تفسير القرطبي (١٩/ ١٥).
(٣) طريق الهجرتين (ص٤١٥-٤١٦).
(٤) فتح الباري (٨/ ٦٧٥).

بين يديه في الإغواء كأعوان الشياطين»[(١)].

الوجه الثاني: أن الشياطين يكونون من الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢]، أما اسم الجن فمختص بهم، قال الحافظ ابن كثير: «الشيطان مشتق من البُعْد -على الصحيح؛ ولهذا يسمُّون كل ما تمرد من جني وإنسي وحيوان: شيطانًا»[(٢)].

وقال ابن رسلان: «العاصي يقال له في اللغة: شيطان؛ سواء كان من الجن أو الإنس؛ إذ العرب في لغتها توقع اسم الشيطنة على العصاة من أولاد آدم كما توقع مثله في العصاة من الجن، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾»[(٣)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: الشياطين يكونون من الجن والإنس؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾، بل يكون الشيطان من غير العقلاء؛ كما قال النبي ﷺ: «**الكلب الأسود شيطان**»[(٤)]، وأما الجن فإنهم من ذرية إبليس، كما قال تعالى ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]»[(٥)].

❊ ❊ ❊

(١) آكام المرجان في أحكام الجان (ص٢٣-٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١١٥)، وانظر: تفسير الرازي (١٩/ ١٣٨)، لسان العرب (١٣/ ٢٣٧)، المصباح المنير (١/ ٣١٣).

(٣) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (٤/ ٢٧٩)، وانظر: مجموع فتاوى ابن باز (٩/ ٣٧٠).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، على هذا الرابط:
https//:binothaimeen.net/content/11625.

۞ ثامنًا: طرق الاحتراز منهم:

١- الإخلاص لله:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

قال الإمام الواحدي: «قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: الذين أخلصوا دينهم وعبادتهم لك عن كل شائب يناقض الإيمان والتوحيد»[(١)].

وقال الإمام الطبري: «﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٤٠]، يقول: إلا من أخلصته بتوفيقك فهديته، فإن ذلك ممن لا سلطان لي عليه، ولا طاقة لي به، وقد قرئ: «إلَّا عِبَادَك مِنْهُمُ المُخْلِصِين»، فمن قرأ ذلك كذلك، فإنه يعني به: إلا من أخلص طاعتك، فإنه لا سبيل لي عليه»[(٢)].

٢- قراءة القرآن:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»[(٣)].

وسبق حديث أبي هريرة وقول الشيطان له: «إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح»، وتصديق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له[(٤)].

وعن عائشة: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم

---

(١) التفسير البسيط (١٢/ ٦٠٦).
(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٦٨).
(٣) أخرجه مسلم (ح٧٨٠).
(٤) سبق تخريجه.

نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ...﴾ [سورة الإخلاص] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ ...﴾ [سورة الفلق] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ...﴾ [سورة الناس]، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات(١).

٣- ذِكْر الله تعالى:

عن أبي المليح، عن رجل، قال: كنت رديف النبي ﷺ، فعثرت دابة، فقلت: تَعِس الشيطان، فقال: «**لا تقل: تَعِس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قل: باسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة؛ عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»(٣).

٤- الاستعاذة بالله:

وقد ورد الحث على الاستعاذة بالله في مواضع، منها:

عند تلاوة القرآن: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: ٩٨].

عند وسوسة الشيطان وإغوائه: قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ [فصلت: ٣٦].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٥٠١٧).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه البخاري (ح١١٤٢)، ومسلم (ح٧٧٦).

عند وسوسة الشيطان بالشبهات والشكوك: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**»(١).

عند الوسوسة في الصلاة: عن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك شيطان يقال له: خنزب**(٢)**، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفُل على يسارك ثلاثًا**» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني(٣).

عند الغضب: عن سليمان بن صُرَدٍ، قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يستبَّان، فأحدهما احمر وجهه، وانتفخت أَوْداجه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد**» فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: وهل بي جنون؟!(٤).

عند دخول الخلاء: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»(٥)، **والمراد:** ذكران الشياطين وإناثهم(٦).

عند رؤية ما يكره في النوم: عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**الرؤيا الصالحة من الله، والحُلْم من الشيطان، فإذا حَلَم أحدكم حُلْمًا يخافه؛ فليبصق عن يساره، وليتعوذ بالله من شرها، فإنها لا تضره**»(٧).

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٢٧٦)، ومسلم (ح١٣٤).

(٢) ضبطوه بفتح الخاء والزاي وكسرهما وضم الخاء وفتح الزاي. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٩٠).

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٢٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (ح٣٢٨٢)، ومسلم (ح٢٦١٠).

(٥) أخرجه البخاري (ح٦٣٢٢)، ومسلم (ح٣٧٥). (٦) انظر: فتح الباري (١/ ٢٤٣).

(٧) أخرجه البخاري (ح٣٢٩٢).

عند نزول دار أو منزل: عن خولة بنت حكيم السلمية، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من نزل منزلًا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك**»(١).

تعويذ الأهل والأبناء: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين، ويقول: «**إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**»(٢).

٥- لزوم جماعة المسلمين:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: «**أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف، ويشهد الشاهد ولا يُستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بُحْبُوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن**»(٣).



(١) أخرجه مسلم (ح٢٧٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٣٧١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٦٨-٢٦٩)، الترمذي (ح٢١٦٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح» (مسند أحمد ١/ ٢١٥).



المبحث العاشر

تلبس الجن بالإنس

المراد به ومناقشة منكريه

۞ أولًا: المراد بتلبس الجن بالإنس:

هو دخول الجني بدن الإنسي وتأثيره عليه بدنيًّا أو عقليًّا أو نفسيًّا.

۞ ثانيًا: مناقشة منكري تلبس الجن بالإنس:

ذهب المعتزلة ومن وافقهم إلى إنكار تلبس الجن بالإنس ودخول الجني بدن الإنسي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أنكر طائفة من المعتزلة... دخول الجن في بدن المصروع، ولم ينكروا وجود الجن؛ إذ لم يكن ظهور هذا في المنقول عن الرسول كظهور هذا، وإن كانوا مخطئين في ذلك»[(١)].

وتأولوا ما ورد في ذلك من الآيات على الوسوسة والإغواء، قال القاضي عبد الجبار: «وربما قيل: إن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥] كيف يصح ذلك، وعندكم أن الشيطان لا يقدر على مثل ذلك؟

وجوابنا: إن مس الشيطان إنما هو بالوسوسة، كما قال تعالى في قصة أيوب: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، كما يقال فيمن تفكر في شيء

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٢).

يغمه: قد مسه التعب، وبين ذلك قوله في صفة الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢]، ولو كان يقدر على أن يخبط لصرف همته إلى العلماء والزهاد وأهل العقول، لا إلى من يعتريه الضعف، وإذا وسوس ضعف قلب من يخصه بالوسوسة، فتغلب عليه المِرّة فيتخبط، كما يتفق ذلك في كثير من الإنس إذا فعلوا ذلك بغيرهم»(١).

«والآية التي ذكروها في معرض الاستدلال على مُدَّعاهم لا تدل عليه؛ إذ السلطان المنفي فيها إنما هو القهر والإلجاء إلى متابعته، لا التعرض للإيذاء والتصدي لما يحصل بسببه الهلاك»(٢).

وذهب أهل السنة والجماعة إلى ثبوته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة»(٣).

وقد دل عليه من القرآن قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، قال الإمام ابن حزم: «فذكر ﷻ تأثير الشيطان في المصروع إنما هو بالمماسة»(٤)، وقال القرطبي: «في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس»(٥)، وقال الألوسي: «اعتقاد السلف وأهل السنة أن ما دلت عليه [يعني آية البقرة] أمور حقيقية واقعة كما أخبر الشرع عنها، والتزام تأويلها كلها يستلزم خبطًا طويلًا لا يميل إليه إلا المعتزلة ومن حذا حذوهم، وبذلك ونحوه خرجوا عن قواعد الشرع القويم، فاحذرهم قاتلهم الله أنَّى يؤفكون»(٦).

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن (ص٥٤)، وانظر: مقالات الإسلاميين (ص٤٣٤-٤٣٥).
(٢) روح المعاني (٢/ ٤٨).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٦).
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ١٠).
(٥) تفسير القرطبي (٣/ ٣٥٥).
(٦) روح المعاني (٢/ ٤٨).

كما دل على ذلك كثير من الأحاديث، منها: حديث عثمان بن أبي العاص قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ابن أبي العاص؟**» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «**ما جاء بك؟**» قلت: يا رسول الله، عرض لي شيء في صلواتي حتى ما أدري ما أصلي، قال: «**ذاك الشيطان، ادنه**» فدنوت منه، فجلست على صدور قدمي، قال: فضرب صدري بيده، وتفل في فمي وقال: «**اخرج عدو الله**» ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: «**الحَقْ بعملك**» قال: فقال عثمان: «فلعمري ما أحسبه خالطني بعد»[(١)].

قال الشيخ الألباني: «وفي الحديث دلالة صريحة على أن الشيطان قد يتلبس الإنسان، ويدخل فيه ولو كان مؤمنًا صالحًا، وفي ذلك أحاديث كثيرة»[(٢)].

وعن يعلى بن مرة، عن أبيه، أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ معها صبي لها به لَمَمٌ، فقال النبي ﷺ: «**اخرج عدو الله، أنا رسول الله**» قال: فبرئ، فأهدت إليه كبشين، وشيئًا من أقِط، وشيئًا من سمن، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**خذ الأقِط والسمن وأحد الكبشين، ورُدَّ عليها الآخر**»[(٣)].

وعن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي

(١) أخرجه ابن ماجه (ح٣٥٤٨)، وقال البوصيري: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» (مصباح الزجاجة ٤/ ٨٠)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٢٩١٨).
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ١٠٠٢).
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٩/ ٩٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٤) وصححه، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٩/ ٦).

ألا أتكشف، فدعا لها[(١)].

قال الحافظ ابن حجر بعد أن جمع طرق الحديث ورواياته: «وقد يؤخذ من الطرق التي أوردتها أن الذي كان بأم زفر كان من صرع الجن، لا من صرع الخلط»[(٢)].

وقال أبوسلمة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه ونفثه ونفخه**»، قال: وكان رسول الله ﷺ يقول: «**تعوذوا بالله من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه**» قالوا: يا رسول الله، وما همزه ونفخه ونفثه؟ قال: «**أما همزه، فهذه الموتة التي تأخذ بني آدم، وأما نفخه فالكِبْر، وأما نفثه فالشِّعر**»[(٣)].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»[(٤)].

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل قلت لأبي: إن أقوامًا يقولون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع فقال: «يا بُني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه». قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقًا: «وهذا الذي قاله أمر مشهور؛ فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويُضرب على بدنه ضربًا عظيمًا لو ضرب به جمل لأثر به أثرًا عظيمًا، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب ولا بالكلام الذي يقوله، وقد يجر المصروع وغير المصروع، ويجر البساط الذي يجلس عليه، ويحول آلات ويَنْقُل من مكان إلى مكان، ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علمًا ضروريًّا بأن الناطق على لسان الإنسي،

(١) أخرجه البخاري (ح٥٦٥٢).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١١٥).
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٢/ ١٢٨-١٢٩)، وقال الشيخ الألباني: «رجال إسناده ثقات رجال الصحيح، لكنه مرسل» (أصل صفة صلاة النبي ﷺ ١/ ٢٧١).
(٤) سبق تخريجه.

والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان، وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك»[١].



(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٦-٢٧٧).



المبحث الحادي عشر

الاستعانة بالجن

صورها وأحكامها

للاستعانة بالجن صور متعددة:

الصورة الأولى: أن يستعين بهم كالإنس في أمر لا يقدر عليه إلا الله؛ فهذا شرك بالإجماع، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦]، قال الإمام ابن أبي العز: «لا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾، قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح، ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ يعني الإنس للجن باستعاذتهم بهم، ﴿رَهَقًا﴾ أي: إثمًا وطغيانًا وجراءة وشرًّا، وذلك أنهم قالوا: قد سُدْنا الجن والإنس! فالجن تعاظم في أنفسها، وتزداد كفرًا إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة»(١).

الصورة الثانية: الاستعانة بهم في أمور محرمة دون الشرك، كالتسبب في أذى آدمي مسلم من أكل ماله أو إزهاق روحه، فهذا من الكبائر، وهو من التعاون على الإثم والعدوان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن كان يستعمل

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٧٦٥).

الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله؛ إما في الشرك، وإما في قتل معصوم الدم، أو في العدوان عليهم بغير القتل، كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص؛ إما فاسق، وإما مذنب غير فاسق»(١).

الصورة الثالثة: أن يستعمل الإنس الجن في طاعة الله تعالى، فهذا مشروع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «من كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله ﷺ من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ويأمر الإنس بذلك، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه»(٢).

الصورة الرابعة: الاستعانة بهم في أمور مباحة، وبأسباب مباحة، **فهذا فيه خلاف بين أهل العلم على قولين:**

القول الأول: الجواز، وهو ما يفهم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: «ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له»(٣).

واستدل لهذا القول بما يلي:

أولًا: النقل، وهو أن نبي الله سليمان عليه السلام كان يسخر الجن ويستخدمهم، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٢، ١٣]، وشرع من قبلنا شرع

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٠٧-٣٠٨)، وانظر: النبوات (١/ ٥٢٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٠٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٠٧)، وانظر: النبوات لابن تيمية (١/ ٥٢٨)، مجلة المنار (٩/ ١٥٨).

لنا ما لم يأت في شرعنا ما يخالفه.

ثانيًا: القياس، وهو أن استعانة الإنس بالجن في الأمور المباحة كاستعانة الإنس بالإنس[(١)].

القول الثاني: التحريم، وهو قول الإمام مالك[(٢)]، والإمام أحمد[(٣)]، واختاره الشيخ الألباني[(٤)]، واللجنة الدائمة[(٥)]، **واستدلوا بما يلي:**

١- عموم قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

٢- أنه لم ينقل عن الرسول ﷺ ولا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه استعان بهم، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

٣- الجهل بحال الجن من الصدق والكذب، كما جاء في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال عن الشيطان الذي كان يأتيه ليسرق من طعام الزكاة: «**صدقك وهو كذوب**»[(٦)].

٤- أن استخدام سليمان عليه السلام للجن كان من خصائصه التي خصه الله بها، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن عفريتًا من الجن تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان؛ رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئًا**»[(٧)].

الترجيح: الراجح هو القول بالتحريم لعموم الآيات ولجهالة حالهم، وسدًّا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٨٧). (٢) انظر: الذخيرة، للقرافي (١٠/ ٥٧).

(٣) انظر: الأحكام السلطانية، لأبي يعلى الفراء (ص٣٠٨)، الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ١٩٨).

(٤) انظر: موسوعة الألباني في العقيدة (٣/ ١٠٦٧).

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٢٠٧). (٦) أخرجه البخاري (ح٢٣١١).

(٧) أخرجه البخاري (ح٣٤٢٣).

لذريعة الشرك وأسبابه.

معونة الجني للإنسي بدون طلب:

قد ينفع الجني الإنسي دون طلب منه، فيكون معونة وليس استعانة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من الجن المؤمنين من يعاون المؤمنين، ومن الجن الفساق والكفار من يعاون الفساق، كما يعاون الإنس بعضهم بعضًا»[(١)].

ومن شواهد معونة الجني المؤمن قصة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه بعث جيشًا، وأمَّر عليهم رجلًا يدعى: سارية قال: فبينا عمر يخطب، فجعل يصيح وهو على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، قال: فقدم رسول الجيش فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدونا فهزمونا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتًا ينادي: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فشددنا ظهورنا بالجبل[(٢)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما نادى: يا سارية الجبل قال: إن لله جنودًا يبلغون صوتي. وجنود الله هم من الملائكة ومن صالحي الجن فجنود الله بلغوا صوت عمر إلى سارية وهو أنهم نادوه بمثل صوت عمر وإلا نفس صوت عمر لا يصل نفسه في هذه المسافة البعيدة»[(٣)].

وفي خبر آخر أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل جيشًا، فقدم شخص إلى المدينة، فأخبر أنهم انتصروا على عدوهم، وشاع الخبر فسأل عمر عن ذلك فذكر له، فقال: هذا أبو الهيثم بريد المسلمين من الجن، وسيأتي بريد الإنس، فجاء بعد ذلك بعدة أيام[(٤)].

وقد حكى شيخ الإسلام عن نفسه شيئًا من ذلك، فقال: «وتارة يأتون إلى

---

(١) النبوات لابن تيمية (١/ ٥٢٧).

(٢) أخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص٣١٤)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٨٨).

(٤) آكام المرجان في أحكام الجان (ص١٩٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٨٨-٨٩).

من هو خالٍ في البرية، وقد يكون ملكًا أو أميرًا كبيراً، ويكون كافرًا وقد انقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت، فيأتيه في صورة إنسي ويسقيه ويدعوه إلى الإسلام ويتوِّبه، فيسلم على يديه ويتوِّبه ويطعمه ويدله على الطريق، ويقول: من أنت؟ فيقول: أنا فلان، ويكون من مؤمني الجن، كما جرى مثل هذا لي، كنت في مصر في قلعتها، وجرى مثل هذا إلى كثير من الترك من ناحية المشرق، وقال له ذلك الشخص: أنا ابن تيمية، فلم يشك ذلك الأمير أني أنا هو، وأخبر بذلك ملك ماردين، وأرسل بذلك ملك ماردين إلى ملك مصر رسولًا وكنت في الحبس، فاستعظموا ذلك، وأنا لم أخرج من الحبس، ولكن كان هذا جنيًّا يحبنا، فيصنع بالترك التتر مثل ما كنت أصنع بهم لما جاؤوا إلى دمشق؛ كنت أدعوهم إلى الإسلام، فإذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ما تيسر، فعمل معهم مثل ما كنت أعمل، وأراد بذلك إكرامي ليظن ذاك أني أنا الذي فعلت ذلك، قال لي طائفة من الناس: فلم لا يجوز أن يكون مَلَكًا؟ قلت: لا، إن الملَك لا يكذب، وهذا قد قال: أنا ابن تيمية، وهو يعلم أنه كاذب في ذلك»[١].

وبهذه المناسبة أذكر أني سألت شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منزله: هل كان لكم صلة بالجن أو سؤال منهم لكم في مسائل من العلم؟ فنفى ذلك بطرافة قائلًا: (بسم الله الرحمن الرحيم!!)[٢].



(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٩٢-٩٣).

(٢) وحدثني والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان إذا حان وقت الصلاة ولم يستيقظ سمع صوتًا يناديه: (عبد الله قم للصلاة)، قال: وربما غمز رجلي لإيقاظي، وذكر الشيخ ابن جبرين أن مثل هذا مما تواتر نقله عن بعض الصالحين. انظر: فتوى مكتوبة بتاريخ ٢٤ شعبان سنة ١٤١٨ هـ، بواسطة: كتاب القول المعين (ص١٢٧). رابط الموضوع:
https//:www.alukah.net/sharia/0٤40559/#ixzz67acoJnuI



المبحث الثاني عشر

التطير

تعريفه وأمثلته وأحكامه وكفارته

۞ أولًا: تعريف التطير:

هو: التشاؤم عند سماع شيء أو رؤيته، وهو ضد الفأل، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء[(١)].

وقال ابن الأثير: «الطِّيَرة -بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تُسكن: هي التشاؤم بالشيء»[(٢)].

قال ابن القيم: «التطير هو: التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع»[(٣)]، وأصله مأخوذ من الطير؛ لأن العرب في الجاهلية كانوا يتشاءمون ويتفاءلون بالطير[(٤)]، فكان الواحد من أهل الجاهلية إذا أراد سفرًا نَفَّر الطير، فإذا اتجهت يمنة مضى في سفره، وإذا اتجهت يسرة تشاءم ورجع، قال النووي: «كانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح[(٥)]، فينفرون الظباء والطيور؛ فإن أخذت

(١) انظر: لسان العرب (٤/ ٥١١)، (١١/ ٥١٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٥٢).

(٣) مفتاح دار السعادة (٣/ ١٥٢٣).

(٤) فصار المعنى اللغوي أضيق من المعنى الاصطلاحي، وهذا خلاف الأصل الغالب.

(٥) «هو من البارح ضد السانح، فالسانح ما مر من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك =

ذات اليمين تبركوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها، فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم»[(١)].

وقال ابن حجر: «وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك»[(٢)].

وأحسن ما قيل في تعريفه: هو ما ورد في حديث الفضل بن عباس، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يومًا فبرح ظبي، فمال في شقه، فاحتضنته، فقلت: يا رسول الله، تطيرت؟ قال: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**»[(٣)].

فالتطير هو: ترك ما عزم المرء على فعله تشاؤمًا من مرئي، أو مسموع، أو معلوم[(٤)].

۞ ثانيًا: أمثلته:

من أمثلة التطير: «التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت، قالوا: إنها ناعبة أو مخبرة بشر، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور أو الأعرج أو المهزول، أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه وهو

= إلى يمينك، والعرب تتيمن به لأنه أمكن للرمي والصيد، والبارح ما مر من يمينك إلى يسارك، والعرب تتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف». النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١١٤).

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٨-٢١٩)، وانظر: فتح الباري (١٠/ ٢١٢-٢١٣).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢١٢-٢١٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٢٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده ضعيف». انظر: مسند أحمد (٢/ ٤١١).

(٤) **المرئي:** كرؤية قبيح. **والمسموع:** كسماع كلمة سيئة. **والمعلوم:** كالتشاؤم من يوم، أو شهر، أو عدد، كما سيأتي في أمثلته.

ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقدًا عدمَ نجاحها، وكثير من أهل البيع لا يبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار، حتى يبيع من غيره تشاؤمًا به وكراهة له، وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيرًا قط، وكثير من الناس يتشاءم بما يعرض له نفسه في حال خروجه كما إذا عثر أو شِيكَ يرى أنه لا يجد خيرًا، ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام، أو ببعض الساعات كالحادي والعشرين من الشهر، وآخر أربعاء فيه ونحو ذلك؛ فلا يسافر فيها كثير من الناس ولا يعقد فيها نكاحًا، ولا يعمل فيها عملًا مهمًّا ابتداء، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحس، وكذا التشاؤم ببعض الجهات في بعض الساعات فلا يستقبلها في سفر ولا أمر حتى تنقضي تلك الساعة أو الساعات»(١).

ومن أمثلة التطير المعاصرة: تشاؤم كثير من الناس بالرقم (١٣)، لدرجة أن بعض شركات الطيران في الغرب قامت بإلغاء هذا الرقم من مقاعدها، وكذا بعض الفنادق مما أدى إلى حدوث ارتباك واضطراب، وبعض المرضى يخشون على حياتهم إذا هم رقدوا في أَسِرَّة أو غُرف تحمل رقم (١٣)(٢).

ومن أمثلة التطير ما عليه بعض الفرق كالإثني عشرية الرافضة الذين يعتقدون بتأثير الأيام والليالي في النفع والضر، ويدَّعون أن في بعض الأيام شؤمًا لا تقضى فيه الحاجات. ونسبوا هذا التشاؤم كذبًا إلى بعض أئمة آل البيت- وحاشاهم من ذلك- فقالوا- كما جاء في مصادرهم المعتمدة لديهم: قال أبو عبد الله- يعنون جعفرًا الصادق: «لا تخرج يوم الجمعة في حاجة، فإذا كان يوم السبت وطلعت الشمس فاخرج في حاجتك»(٣)، وقال: «السبت لنا، والأحد لبني أمية»(٤)، وقال: «فأي يوم أعظم شؤمًا من يوم الإثنين.. لا

(١) معارج القبول (٣/ ٩٩٠).
(٢) انظر: دراسة حديث الشؤم في ثلاثة، د. صالح العصيمي (ص٢٣-٢٤).
(٣) من لا يحضره الفقيه (١/ ٩٥)، وسائل الشيعة (٨/ ٢٥٣).
(٤) من لا يحضره الفقيه (٢/ ٣٤٢)، وسائل الشيعة (٨/ ٢٥٣).

تخرجوا يوم الإثنين، واخرجوا يوم الثلاثاء»[(١)]، وقال أبو عبد الله: «لا تسافر يوم الإثنين ولا تطلب فيه حاجة»[(٢)]، وقال: «آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر»[(٣)].

ولا يزال هؤلاء الرافضة يتعلقون بهذه الأوهام، فقد زعم كبيرهم خميني أن هناك أيامًا منحوسة من كل شهر، وأن لانتقال القمر إلى بعض الأبراج تأثيرًا سلبيًّا، يستلزم التوقف عن إيقاع الزواج فيه حتى يتجاوز القمر ذلك البرج المعين، فيقول: «يكره إيقاعه [يعني الزواج] والقمر في برج العقرب، وفي محاق الشهر، وفي أحد الأيام المنحوسة في كل شهر وهي سبعة: يوم (٣)، ويوم (٥)، ويوم (١٣)، ويوم (١٦)، ويوم (٢١)، ويوم (٢٤)، ويوم (٢٥) [وذلك من كل شهر]»[(٤)].

۞ ثالثًا: أحكامه:

التطير محرم وهو من الشرك؛ لحديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك**» ثلاثًا، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل[(٥)].

قال النووي: «أي: اعتقاد أنها تنفع أو تضر؛ إذا عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك؛ لأنهم جعلوا لها أثرًا في الفعل والإيجاد»[(٦)].

وقال ابن حجر: «وقوله: (وما منَّا إلا) من كلام ابن مسعود أدرج في الخبر، وقد بينه سليمان بن حرب شيخ البخاري فيما حكاه الترمذي عن

(١) من لا يحضره الفقيه (١/ ٩٥)، وسائل الشيعة (٨/ ٢٥٤).
(٢) المحاسن (ص٣٤٦)، وسائل الشيعة (٨/ ٢٥٥).
(٣) الخصال (٢/ ٢٧)، وسائل الشيعة (٨/ ٢٥٧).
(٤) تحرير الوسيلة (٢/ ٢٣٨).
(٥) أخرجه أبو داود (ح٣٩١٠)، وصححه الألباني.
(٦) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٩).

البخاري عنه، وإنما جعل ذلك شركًا لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعًا أو يدفع ضرًّا فكأنهم أشركوه مع الله تعالى. وقوله: (ولكن الله يذهبه بالتوكل) إشارة إلى أن من وقع له ذلك فسلم لله ولم يعبأ بالطيرة أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك»(١).

وقال ابن القيم: «الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله تعالى والخوف من غيره وعدم التوكل عليه والثقة به»(٢).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «قوله: «**الطيرة شرك**» صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله»(٣).

والطيرة من الشرك الأصغر، إلا إذا اعتقد أن ما تشاءم به مؤثر بذاته دون الله تعالى، فيكون شركًا أكبر، قال الشيخ ابن عثيمين: «هي نوع من أنواع الشرك... فإذا تطير إنسان بشيء رآه أو سمعه، فإنه لا يعد مشركًا شركًا يخرجه من الملة، لكنه أشرك من حيث إنه اعتمد على هذا السبب الذي لم يجعله الله سببًا، وهذا يضعف التوكل على الله ويوهن العزيمة، وبذلك يعتبر شركًا من هذه الناحية... لكن لو اعتقد هذا المتشائم المتطير أن هذا فاعل بنفسه دون الله، فهو مشرك شركًا أكبر؛ لأنه جعل لله شريكًا في الخلق والإيجاد»(٤).

ومما يدل على تحريم التطير أيضًا ما يلي:

أولًا: أن الله تعالى لم يحكِ «التطير إلا عن أعداء الرسل، كما قالوا لرسلهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ [يس: ١٨، ١٩]، وكذلك حكى الله سبحانه عن قوم فرعون، فقال: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢١٣) (٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٦).
(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص٣٧٥).
(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٧٤-٥٧٥).

وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]، يعني: إذا أصابهم الخصب والسعة والعافية ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ﴾ أي: نحن الجديرون الحقيقون به، ونحن أهله، وإن أصابهم بلاء وضيق وقحط ونحوه قالوا: هذه بسبب موسى وأصحابه أصبنا بشؤمهم، ونفض علينا غبارهم، كما يقوله المتطير لمن يتطير به؛ فأخبر سبحانه أن طائرهم عنده، كما قال تعالى عن أعداء رسوله ﷺ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ﴾ [النساء: ٧٨]، فهذه ثلاثة مواضع حكى فيها التطير عن أعدائه، وأجاب سبحانه عن تطيرهم بموسى وقومه بأن طائرهم عند الله، لا بسبب موسى، وأجاب عن تطير أعداء رسول الله ﷺ بقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾، وأجاب عن الرسل -لمن تطير بهم- بقوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ﴾، وأما قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فقال ابن عباس: طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم»[(١)]، «يعني نحسكم وشركم معكم، وهو كفركم وضلالكم هو الذي أصابكم وحصل به البلاء عليكم»[(٢)].

ثانيًا: جاءت السنة بالنهي عن التطير، ومن ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه السابق.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا طيرة، وخيرها الفأل**» قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**»[(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة**»[(٤)].

قال النووي: «وأما الفأل... وقد فسره النبي ﷺ بالكلمة الصالحة

(١) مفتاح دار السعادة (٣/ ١٤٧٦-١٤٧٧).
(٢) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز، على هذا الرابط: «https//:2u.pw/WOHqc».
(٣) أخرجه البخاري (ح٥٧٥٤)، ومسلم (ح٢٢٢٣).
(٤) أخرجه البخاري (ح٥٧٥٦)، ومسلم (ح٢٢٢٤).

والحسنة والطيبة، قال العلماء: يكون الفأل فيما يسر وفيما يسوء والغالب في السرور، والطيرة لا يكون إلا فيما يسوء. قالوا: وقد يستعمل مجازًا في السرور»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كان ﷺ يعجبه الفأل ويكره الطيرة؛ لأن الفأل تقوية لما فعله بإذن الله والتوكل عليه، والطيرة معارضة لذلك، فيكره للإنسان أن يتطير، وإنما تضر الطيرة من تطير؛ لأنه أضر نفسه، فأما المتوكل على الله فلا»[(٢)].

والفأل لا يطلب بل إذا سمعه أو رآه استبشر به، قال شهاب الدين النفراوي: «وأما إذا قصد سماع الفأل ليعمل على ما يسمع من خير أو شر فلا يجوز؛ لأنه من الأزلام المحرمة التي كانت تفعلها الجاهلية، وهي قداح يكون في بعضها: افعل، وفي بعضها: لا تفعل، والثالث: لا شيء فيه، فإن خرج الذي فيه: افعل مَشى، وإن خرج الذي فيه: لا تفعل رجع، وإن خرج: الذي لا شيء فيه أعاد الاستقسام»[(٣)].

۞ رابعًا: معنى حديث: «الشؤم في ثلاثة»:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة، والشؤم في ثلاث: في المرأة، والدار، والدابة**»[(٤)]، **وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث:**

١- «فقال مالك وطائفة: هو على ظاهره، وإن الدار قد يجعل الله تعالى سكناها سببًا للضرر أو الهلاك، وكذا اتخاذ المرأة المعينة أو الفرس أو الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى، ومعناه: قد يحصل الشؤم في هذه الثلاثة كما صرح به في رواية: «**إن يكن الشؤم في شيء**»[(٥)]، وقال الخطابي

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٩-٢٢٠). (٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٨١).
(٣) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢/ ٣٤٢).
(٤) أخرجه البخاري (ح٥٧٥٣)، ومسلم (ح٢٢٢٥).
(٥) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٢٠-٢٢٢).

وكثيرون: هو في معنى الاستثناء من الطيرة، أي: الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس أو خادم فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المرأة[١]، وقال الحافظ ابن رجب: «والتحقيق أن يقال في إثبات الشؤم في هذه الثلاث: . . . إن هذه الثلاث أسباب يقدر الله تعالى بها الشؤم واليمن»[٢]، وقد رجح هذا القول الشوكاني، فقال: «والراجح ما قاله مالك، وهو الذي يدل عليه حديث أنس الذي ذكرنا[٣]، فيكون حديث الشؤم مخصصًا لعموم حديث: «**لا طيرة**» فهو في قوة: «**لا طيرة إلا في هذه الثلاث**»[٤]، واختاره الشيخ ابن باز، فقال: «وهذه هي المستثناة وليست من الطيرة الممنوعة؛ لأن بعضهم يقول: إن بعض النساء أو الدواب فيهن شؤم وشر بإذن الله، وهو شر قدري، فإذا ترك البيت الذي لم يناسبه، أو طلق المرأة التي لم تناسبه، أو الدابة أيضًا التي لم تناسبه فلا بأس فليس هذا من الطيرة»[٥].

٢- وقالت طائفة أخرى: الشؤم في هذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها وتطير بها، فيكون شؤمها عليه، ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشؤومة عليه، قالوا: ويدل عليه حديث أنس: «**الطيرة على من تطير**»[٦]، وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سببًا لحلول المكروه به، كما

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٢٠-٢٢٢).

(٢) لطائف المعارف (ص٧٥).

(٣) يعني حديث أنس بن مالك، قال: قال رجل يا رسول الله: إنا كنا في دار كثير فيها عددنا، وكثير فيها أموالنا، فتحولنا إلى دار أخرى فقل فيها عددنا، وقَلَّت فيها أموالنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ذروها ذميمة**» أخرجه أبو داود (ح٣٩٢٤)، والبزار في مسنده (ح٦٤٢٧)، وابن حبان (ح٦١٢٤)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٧٩٠).

(٤) نيل الأوطار (٧/ ٢١٩).

(٥) مجموع فتاوى ابن باز (٢٥/ ٩٨).

(٦) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٦/ ٩٨)، وابن حبان (ح٦١٢٣)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٧٨٩).

يجعل الثقة به والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به[(١)].

٣- وقالت طائفة: ليس المقصود بالشؤم هنا التطير المنهي عنه، بل المقصود بشؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم، وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب، وشؤم الفرس ألا يغزى عليها، وقيل: غلاء ثمنها وجماحها، وشؤم الخادم: سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض إليه[(٢)]. قال الشيخ حافظ حكمي: «الشؤم ضد اليمن، وهو عدم البركة، والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة العاقر التي لا تلد أو اللَّسِنة المؤذية أو المبذرة بمال زوجها سفاهة ونحو ذلك. وكذا الدار الجدبة أو الضيقة أو الوبيئة الوخيمة المشرب أو السيئة الجيران وما في معنى ذلك، وكذا الدابة التي لا تلد ولا نسل لها، أو الكثيرة العيوب الشينة الطبع وما في معنى ذلك، فهذا كله شيء ضروري مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية؛ فإن ذلك أمر آخر عند من يعتقده ليس من هذا؛ لأنهم يعتقدون أنها نحس على صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها وانتفائها، فيعتقدون أنه إن كان غنيًّا افتقر ليس بتبذيرها بل لنحاستها عليه، وإنه إن يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه لا بسبب محسوس، بل عندهم أن لها نجمًا لا يوافق نجمه بل ينطحه ويكسره، وذلك من وحي الشيطان يوحيه إلى أوليائه من المشركين، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، حتى إن رجلًا في زماننا هذا كان يشعوذ على الناس بذلك ويفرق به بين المرء وزوجه، فتنبه له بعض العامة ممن يحضر مجالس الذكر ويسمع ذم المنجمين وتكذيبهم بالآيات والأحاديث

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (٣/ ١٥٥٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٢٠-٢٢٢)، وانظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣/ ٩٩٢- ٩٩٣).

فقال له: إني أريد أن أنكح امرأة، ما ترى فيها هل هي سعد لي أو نحس علي؟ فعرض ذلك على قواعده الشيطانية ثم قال له: دعها فإنك إن أخذتها لا تبلي معها ثوبًا، يعني يموت سريعًا لا تطول معها صحبته، وكانت تلك المرأة التي سأله عنها وسمَّاها له هي زوجته، وقد طالت صحبته معها وله منها نحو خمسة من الأولاد، فدعاهم كلهم بأسمائهم حتى حضروا فقال له: هؤلاء أولادي منها.

ولهذا نظائر كثيرة من خرافاتهم، والمقصود: أن الشؤم المثبت في هذا الحديث أمر محسوس ضروري مشاهد ليس من باب الطيرة المنفية التي يعتقدها أهل الجاهلية ومن وافقهم»[(١)].

٤- وقيل: إن المقصود بالتطير هنا هو: الإخبار عما تعتقده الجاهلية[(٢)]، ويدل على ذلك ما جاء عن أبي حسان الأعرج، أن رجلين دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة رضي الله عنه يحدث أن نبي الله ﷺ، كان يقول: «**إنما الطيرة في المرأة، والدابة، والدار**» قال: فطارت شقة منها في السماء، وشقة في الأرض[(٣)]، فقالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول، ولكن نبي الله ﷺ كان يقول: «**كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة**»، ثم قرأت عائشة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ إلى آخر الآية [الحديد: ٢٢][(٤)].

٥- وقالت طائفة أخرى: لم يجزم النبي ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة، بل علقه على الشرط، فقال: «**إن يكن الشؤم في شيء**»، قالوا: ولعل الوهم وقع

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣/ ٩٩٢-٩٩٣).

(٢) انظر: عارضة الأحوذي، ابن العربي (١٠/ ٢٦٤)، فتح الباري (٦/ ٦١).

(٣) قال ابن الأثير: «هو مبالغة في الغضب والغيظ، يقال: قد انشق فلان من الغضب والغيظ، كأنه امتلأ باطنه منه حتى انشق» (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٩١).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤٣/ ١٩٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢١) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٤٤٥٢).

من ذلك، وهو أن الراوي غلط، وقال: الشؤم في ثلاثة[(١)]، وإنما الحديث عن ابن عمر، قال: ذكروا الشؤم عند النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**إن كان الشؤم في شيء ففي الدار، والمرأة، والفرس**»[(٢)].

قال الشيخ الألباني: «الحديث يعطي بمفهومه أن لا شؤم في شيء، لأن معناه: لو كان الشؤم ثابتًا في شيء ما، لكان في هذه الثلاثة، لكنه ليس ثابتًا في شيء أصلًا، وعليه فما في بعض الروايات بلفظ: «**الشؤم في ثلاثة**»، أو «**إنما الشؤم في ثلاثة**» فهو اختصار، وتصرف من بعض الرواة. والله أعلم»[(٣)].

الترجيح:

ولعل الراجح هو ما ذهبت إليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من تفسير الحديث وأقسمت على صحته بأن هذا كان من اعتقاد أهل الجاهلية، ويثبت ذلك عموم النهي عن التطير، وأن رسول الله ﷺ كان يكره الطيرة ويعجبه الفأل، وأنه لم يعهد أن الصحابة كانوا يتطيرون بهذه الثلاث، فلم يعرف عنهم أن منهم من طلق امرأته متعلِّلًا بشؤمها الذاتي؛ لأن «من اعتقد أن رسول الله ﷺ نسب الطيرة والشؤم إلى شيء من الأشياء على سبيل أنه مؤثر لذلك دون الله، فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله وضل ضلالًا بعيدًا»[(٤)]، وقد تكون هذه الثلاث مصدر خير وبركة، «ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل الله تعالى من خيرها وخير ما جبلت عليه، ويستعيذ به تعالى من شرها وشر ما جبلت عليه»[(٥)].

ثم إنني بعد اختياري لقول عائشة رضي الله عنها وقفت فيما بعد على ترجيح الإمام الطحاوي له، حيث قال: «وقد روي عن عائشة إنكارها لذلك، وإخبارها أن

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (٣/ ١٥٥٠-١٥٥١).

(٢) أخرجه البخاري (ح٥٠٩٤)، ومسلم (ح٢٢٢٥).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٨٠٤). (٤) مفتاح دار السعادة (٣/ ١٥٥٥).

(٥) لطائف المعارف (ص٧٥).

رسول الله ﷺ إنما قال ذلك إخبارًا منه عن أهل الجاهلية أنهم كانوا يقولونه غير أنها ذكرته عنه عليه السلام بالطيرة لا بالشؤم، والمعنى فيهما واحد، وإذا كان ذلك كذلك كان ما روي عنها مما حفظته عن رسول الله ﷺ من إضافته ذلك الكلام إلى أهل الجاهلية أولى مما روي عن غيرها فيه عنه ﷺ؛ لحفظها عنه في ذلك ما قصر غيرها عن حفظه عنه فيه، فكانت بذلك أولى من غيرها، لا سيما وقد روي عن رسول الله ﷺ في نفي الطيرة والشؤم»[(١)].

أو أن يفسر حديث: «**الشؤم في ثلاث**»؛ بأن المقصود بشؤم الدار: ضيقها، وشؤم المرأة: سوء خلقها، وشؤم الدابة: كثرة عيوبها، كما جاء في القول الثالث، فإن هذا ليس من التطير؛ لأن ذلك يستند إلى أمر محسوس مشاهد، فلا علاقة له بالتطير المذموم؛ لأن التطير وَهْمٌ وهذه العيوب أمور محسوسة وواقعة.

وقد يستدل على ذلك بحديث: «**من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقوة ابن آدم ثلاثة، من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء**»[(٢)]. وهذا والذي قبله هما أولى ما يحمل عليه الحديث، والله أعلم.

۞ خامسًا: كفارة التطير:

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ردته الطيرة من حاجة، فقد أشرك**»، قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: «**أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»[(٣)]، «يعني: أن الأمر كله بيدك،

(١) شرح مشكل الآثار (٢/ ٢٥٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (ح ١٤٤٥)، قال محققوه: حديث صحيح، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح ١٠٤٧).

(٣) أخرجه أحمد (١١/ ٦٢٣)، والطبراني في الكبير (١٣/ ٢٢)، قال الهيثمي: «رواه أحمد، والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات»، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ٣/ ٥٤).

ولا إله غيرك»[١].

وعن عروة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ذُكِرَت الطيرة عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**أحسنها الفأل ولا ترد مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[٢]، والمراد بالحسنات هنا: النعم، وبالسيئات هنا: المصائب[٣].



(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٦/ ٤١٦).

(٢) أخرجه أبو داود (ح٣٩١٩)، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ح١٩٩).

(٣) انظر: مرقاة المفاتيح (٧/ ٢٩٠٢).



المبحث الثالث عشر

التمائم

تعريفها وحكمها وصورها المعاصرة

۞ أولًا: تعريف التمائم:

التمائم في اللغة جمع تميمة، وهي عوذة تعلق على الإنسان(١).

قال ابن الأثير: «التمائم جمع تميمة، وهي: خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام»(٢).

وقال ابن عبد البر: «ومعناها عند أهل العلم: ما علق في الأعناق من القلائد خشية العين أو غيرها من أنواع البلاء»(٣).

وكل ما علق على الإنسان لدفع العين يُسمى: تميمة، قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «إن ما علق لدفع العين وغيرها فهو تميمة من أي شيء كان، وهذا هو الصحيح»(٤).

(١) انظر: لسان العرب (١٢/ ٦٩).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٩٧)، وانظر: معالم السنن (٤/ ٢٢٠).
(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧/ ١٦٢)، وانظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٨٧٨)، تيسير العزيز الحميد (ص١٣٣).
(٤) تيسير العزيز الحميد (ص١٣٣).

❁ ثانيًا: حكم تعليق التمائم:

لا يجوز تعليق التمائم لعموم حديث عقبة بن عامر الجهني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: «**إن عليه تميمة**»، فأدخل يده فقطعها، فبايعه، وقال: «**من علّق تميمة فقد أشرك**»[(١)].

وعن أبي بشير الأنصاري (أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره؛ فأرسل رسولًا: ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت[(٢)].

وعن عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من تعلق تميمة، فلا أتمَّ الله له، ومن تعلق ودعة، فلا ودع الله له**»[(٣)].

قال ابن عبد البر: «فكأن المعنى في هذا الحديث: أن من تعلق تميمة خشية ما عسى أن ينزل أو لا ينزل قبل أن ينزل فلا أتمَّ الله عليه صحته وعافيته، ومن تعلق ودعة - وهي مثلها في المعنى- فلا ودع الله له، أي: فلا ترك الله له ما هو فيه من العافية أو نحو هذا، والله أعلم. وهذا كله تحذير ومنع مما كان أهل الجاهلية يصنعون من تعليق التمائم والقلائد يظنون أنها تقيهم وتصرف البلاء عنهم، وذلك لا يصرفه إلا الله عَزَّوَجَلَّ وهو المعافي والمبتلي لا شريك له»[(٤)].

وقال الشيخ ابن باز: «وتسمى الرقى المعلقة: (التمائم) وتسمى: الحروز والجوامع؛ والصواب فيها أنها محرمة ومن أنواع الشرك»[(٥)]، فإن اعتقد أنها سبب فهو شرك أصغر؛ لأنه جعل ما ليس بسببٍ شرعًا ولا تجربة سببًا، وإن

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٦٣٧)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٤٩٢).
(٢) أخرجه البخاري (ح٣٠٠٥)، ومسلم (ح١٠٥).
(٣) أخرجه أحمد (ح١٧٤٠٤)، وابن حبان (ح٦٠٨٦)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، ورجالهم ثقات» (مجمع الزوائد ٥/ ١٠٣).
(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧/ ١٦٣)
(٥) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٣٨١-٣٨٢).

اعتقد أنها تنفع بذاتها فهو شرك أكبر(١).

۞ ثالثًا: حكم تعليق التمائم من القرآن:

أما التمائم التي تكون من القرآن أو من الأدعية المأثورة فقد اختلف أهل العلم في تعليقها، فقالت طائفة بجواز تعليقها، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وبحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «ليست التميمة ما تعلق به بعد البلاء، إنما التميمة ما تعلق به قبل البلاء»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: «**باسم الله، أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**» قال: فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه(٣).

وقال آخرون بالتحريم، وهو الصحيح.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «**هذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:**

الأول: عموم النهي ولا مخصص للعموم.

والثاني: سد الذريعة؛ فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أنه إذا علق فلا بد أن يمتهنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك»(٤).

---

(١) انظر: القول المفيد (١/ ١٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٢) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد (١١/ ٢٩٥-٢٩٦)، وأبو داود (ح٣٨٩٣)، والترمذي (ح٣٥٢٨) وحسنه، وقال الألباني: «هذه الزيادة منكرة» (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٥٢٩) يعني قول الراوي: فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده... إلخ.

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٢٧-١٢٨)، وانظر: معارج القبول بشرح سلم =

وفرق بعض العلماء بين تعليق التمائم التي من القرآن والأدعية المباحة قبل نزول البلاء وبعده، فمنعوا تعليقها قبل نزول البلاء وأباحوه بعد نزول البلاء، لحديث عائشة السابق: «ليست التميمة ما تعلق به بعد البلاء، إنما التميمة ما تعلق به قبل البلاء»[(١)].

قال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد بن حنبل: ما يكره من المعاليق؟ قال: كل شيء يعلق فهو مكروه، قال: من يعلق تميمة وُكِلَ إليها. قال إسحاق: كما قال، إلا أن يفعله بعد نزول البلاء، فهو حينئذ مباح له؛ لما قالت عائشة رضي الله عنها ذلك[(٢)].

وقال القرطبي: «قال مالك: لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله عز وجل على أعناق المرضى على وجه التبرك بها إذا لم يرد معلقها بتعليقها مدافعة العين، وهذا معناه: قبل أن ينزل به شيء من العين، وعلى هذا القول جماعة من أهل العلم، لا يجوز عندهم أن يعلق على الصحيح من البهائم أو بنى آدم شيء من العلائق خوف نزول العين، وكل ما يعلق بعد نزول البلاء من أسماء الله عز وجل وكتابه رجاء الفرج والبرء من الله تعالى، فهو كالرقي المباح الذي وردت السنة بإباحته من العين وغيرها»[(٣)].

۞ رابعًا: صور التمائم المعاصرة:

تعددت أسماء التمائم في الماضي[(٤)]، ولم تختلف حقيقتها في العصر الحاضر، فلا تزال التمائم -كما يقول الشيخ الألباني- «فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين، ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين

= الوصول (٢/ ٥١٠)، مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٣٨١-٣٨٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه (٢/ ٦٠٥).

(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ٣١٩)، وانظر: التمهيد، لابن عبد البر (١٧/ ١٦٠-١٦٥).

(٤) انظر أسماءها في الماضي في: المفصل في أديان العرب قبل الإسلام (ص٦٧٤) وما بعدها.

أمامهم في السيارة يعلقونها على المرآة! وبعضهم يعلق نعلًا في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها! وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان! كل ذلك لدفع العين زعموا»[1].

ومن صور التمائم المعاصرة في بعض البلاد الإسلامية أنه عند الزفاف «تقوم العروس عند دخولها البيت الجديد بتعليق تميمة، تكون عجينة غالبًا على باب البيت، أو خرزة زرقاء، أو ما شابه ذلك، والعبرة في ذلك هو دفع الحسد عن البيت وأهله كما زعموا، وأن تدوم العلاقة بين الزوجين بأفضل حال»[2].



(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٨٩٠).

(٢) منكرات الأفراح، لغانم غالب غانم (ص٩٣).



المبحث الرابع عشر

الرقى

تعريفها وحكمها

۞ أولًا: تعريف الرقى:

الرقى لغة: جمع رقية، والرقية عوذة يتعوذ بها[(١)].

ومعناها في الاصطلاح: هي ما يقرأ على المريض للاستشفاء. قال ابن الأثير: «الرقية: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات»[(٢)].

۞ ثانيًا: حكم الرقى:

الرقية جائزة بالإجماع إذا كانت بالأدعية المشروعة وما في معناها مع اعتقاد أنها لا تؤثر بذاتها، لما ثبت أن النبي ﷺ رَقَى ورُقِيَ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرني رسول الله ﷺ، أو أمر أن يسترقى من العين»[(٣)].

وعن عوف بن مالك الأشجعي، قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم**

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢ / ٤٢٦)، لسان العرب (١٤/ ٣٣٢).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٥٤)، وانظر: فتح الباري (١٠ / ١٩٥).
(٣) صحيح البخاري (٥٧٣٨).

يكن فيه شرك»[١].

قال ابن حجر: «أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: **(١)** أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، **(٢)** وباللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره، **(٣)** وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها؛ بل بذات الله تعالى»[٢].

وجاء في جواب اللجنة الدائمة عن حكم الرقى: «الرقية مشروعة إذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله الحسنى وبالأدعية المشروعة وما في معناها، مع اعتقاد أنها أسباب، وأن مالك الضرر والنفع والشفاء هو الله سبحانه... أما الرقى المنهي عنها فهي الرقى المخالفة لما ذكرنا، كما صرح بذلك أهل العلم»[٣].

وأما حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى، والتمائم، والتولة شرك**»[٤]، **فالمراد:** الرقى الشركية، كالرقى بأسماء الشياطين أو الرقى بما لا يفهم معناه لاحتمال أن يكون فيها شرك. قال الهروي القاري – عند شرحه لحديث: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»: «**(إن الرقى):** أي: رقية فيها اسم صنم أو شيطان أو كلمة كفر، أو غيرها مما لا يجوز شرعًا، ومنها ما لم يعرف معناها»[٥].

وقال أبو العباس القرطبي: «قول أنس: (رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين، والحمة[٦]، والنملة[٧])؛ دليل على أن الأصل في الرقي كان

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٢٠٠).

(٢) فتح الباري (١٠/ ١٩٥-١٩٦)، وانظر: النووي على مسلم (١٤/ ١٦٨).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٣١٦).

(٤) أخرجه أبو داود (ح٣٨٨٣)؛ وابن ماجه (ح٣٥٣٠)، وصححه الألباني.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٨٧٨).

(٦) **الحمة** -بالتخفيف: السم، وقد يشدد (النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٤٦)، والمراد: حصول لدغة من ذوات السموم كالعقرب والحية، فيعالج سمها بالرقية.

(٧) **النملة:** قروح تخرج في الجنب (النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٢٠). =

ممنوعًا، كما قد صرح به حيث قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرَّقْي[1]، وإنما نهى عنه مطلقًا؛ لأنهم كانوا يرقون في الجاهلية برقي هو شرك، وبما لا يفهم، وكانوا يعتقدون أن ذلك الرقي يؤثر، ثم إنهم لما أسلموا وزال ذلك عنهم نهاهم النبي ﷺ عن ذلك عمومًا، ليكون أبلغ في المنع، وأسدَّ للذريعة، ثم إنهم لما سألوه، وأخبروه: أنهم ينتفعون بذلك؛ رخص لهم في بعض ذلك، وقال: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك**»[2]، فجازت الرقية من كل الآفات من الأمراض، والجراح، والقروح، والحمة، والعين، وغير ذلك؛ إذا كان الرقي بما يفهم، ولم يكن فيه شرك، ولا شيء ممنوع. وأفضل ذلك، وأنفعه: ما كان بأسماء الله تعالى وكلامه، وكلام رسوله ﷺ»[3].

۞ ثالثًا: حكم كتابة آيات قرآنية ووضعها في ماء ثم شربه للاستشفاء:

الأفضل القراءة على المريض والنفث عليه، لكن يجوز أن يقرأ في الماء ثم يشربه المريض أو يغتسل منه، أو يكتب آيات من القرآن ويمحو أثر الكتابة بالماء ثم يشرب منه أو يغتسل به، وذلك في قول طائفة من السلف كابن عباس وأبي قلابة، كما نص على جوازه طائفة من الأئمة كالإمام أحمد وغيره، وعليه عمل السلف، **ومما يدل على ذلك:**

أولًا: عموم قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، قال القرطبي: «اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: **أحدهما:** أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى.

= والحديث أخرجه مسلم (ح٢١٩٦).

(١) أخرجه مسلم (٢١٩٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٥٨٠-٥٨١).

الثاني: شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحوه»[١]، ولا مانع من حمل الآية على المعنيين معًا. وقد استدل بعض أهل العلم[٢] على جواز ذلك بحديث ثابت بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

ثانيًا: عمل جماعة من السلف بذلك، قال الإمام ابن القيم: «ورأى جماعة من السلف أن تكتب له الآيات من القرآن، ثم يشربها، قال مجاهد: لا بأس أن يكتب القرآن، ويغسله، ويسقيه المريض، ومثله عن أبي قلابة، ويذكر عن ابن عباس أنه أمر أن يكتب لامرأة تعسر عليها ولادها أثر من القرآن ثم يغسل وتسقى، وقال أيوب: رأيت أبا قلابة كتب كتابًا من القرآن، ثم غسله بماء وسقاه رجلًا كان به وجع»[٤].

ثالثًا: تواردت نصوص الأئمة وفتاوى كبار العلماء على جواز ذلك، قال الإمام النووي: «قال القاضي حسين والبغوي وغيرهما: وإذا كتب قرآنًا على حلوى وطعام فلا بأس بأكله»[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا كُتب شيء من القرآن أو الذكر في إناء أو لوح ومحي بالماء وغيره وشرب ذلك فلا بأس به، نص عليه أحمد وغيره، ونقلوا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يكتب كلمات من القرآن والذِّكر ويأمر بأن

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٣١٦).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٥٢)، (٨/ ٩٤).

(٣) ونصه: عن ثابت بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ دخل عليه وهو مريض، فقال: «**اكشف البأس رب الناس عن ثابت بن قيس بن شماس**» ثم أخذ ترابًا من بطحان فجعله في قدح ثم نفث عليه بماء وصبه عليه. أخرجه أبو داود (ح٣٨٨٥)، والنسائي في السنن الكبرى (ح١٠٧٨٩)، وضعفه الألباني (انظر: السلسلة الضعيفة ح١٠٠٥). **لكن يرد على هذا الاستدلال أمران:**

الأول: أن الحديث ضعيف.

الثاني: أن ريقه ﷺ بركة بالإجماع، فلا يقاس عليه سواه.

(٤) زاد المعاد (٤/ ١٥٧).

(٥) المجموع شرح المهذب (٢/ ٧٠)، وانظر: التبيان في آداب حملة القرآن، النووي (ص١٧١-١٧٢).

تسقى لمن به داء، وهذا يقتضي أن لذلك بركة»[(١)].

وقال أيضًا: «يجوز أن يَكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئًا من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى، كما نص على ذلك أحمد وغيره.

قال عبد الله بن أحمد: قرأت على أبي، ثنا يعلى بن عبيد؛ ثنا سفيان؛ عن محمد بن أبي ليلى عن الحكم؛ عن سعيد بن جبير؛ عن ابن عباس قال: إذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب: باسم الله، لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله، رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قال أبي: ثنا أسود بن عامر بإسناده بمعناه، وقال: يكتب في إناء نظيف فيسقى، قال أبي: وزاد فيه وكيع: فتسقى وينضح ما دون سرتها[(٢)]»[(٣)].

وقال الإمام ابن مفلح: «قال صالح: ربما اعتلَلْتُ فيأخذ أبي قدَحًا فيه ماء فيقرأ عليه، ويقول لي: اشرب منه واغسل وجهك ويديك، ونقل عبد الله أنه رأى أباه يعوِّذ في الماء ويقرأ عليه ويشربه ويصب على نفسه منه»[(٤)].

وقال الشيخ ابن باز: «لا حرج في القراءة في الماء والزيت في علاج المريض والمسحور والمجنون، ولكن القراءة على المريض بالنفث عليه أولى وأفضل وأكمل»[(٥)].

وجاء في «فتاوى اللجنة الدائمة»: «أما كتابة الآيات بماء الورد والزعفران ونحو ذلك ثم غمرها في الماء وشربها، أو القراءة على العسل واللبن ونحوها ودهن الجسم بالمسك وماء الورد المقروء عليه آيات قرآنية فلا بأس به، وعليه

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٩٩).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في مسائل الإمام أحمد بروايته (ص٤٤٧-٤٤٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٤).

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٤٥٦).

(٥) مجموع فتاوى ابن باز (٩/ ٤٠٩).

عمل السلف الصالح»[١].



(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٩٧).



المبحث الخامس عشر

التوسل

تعريفه وأقسامه وحكم كل قسم مع أدلته

۞ أولًا: تعريف التوسل:

التوسل لغة: هو التقرب، والوسيلة: هي القربة والواسطة، يقال: توسل إلى ربه بوسيلة: تقرب إليه بعمل(١).

أما التوسل اصطلاحًا: فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لفظ (الوسيلة) و(التوسل) فيه إجمال واشتباه يجب أن تعرف معانيه، ويُعطى كل ذي حق حقه، فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه، وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك»(٢)، ثم بين هذا الإجمال فأوضح معنى الوسيلة في القرآن، والسنة، وكلام الصحابة، ومعنى التوسل عند المتأخرين.

معنى الوسيلة في القرآن:

معناها: القربة، ومعنى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: اطلبوا القربة إليه؛ يعني: التقرب إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٣/ ٤٨)، القاموس المحيط (ص١٣٧٩).
(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٤).

ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥](١). قال شيخ الإسلام: «الوسيلة التي أمر الله أن تُبتغَى إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي: ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات»(٢).

معنى الوسيلة في السنة:

هي درجة في الجنة للنبي ﷺ خاصة، قال شيخ الإسلام: «لفظ (الوسيلة) في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ: «**سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة حلَّت عليه شفاعتي يوم القيامة**»(٣)، وقوله ﷺ: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد حلت له الشفاعة**»(٤)، فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة»(٥)، والوسيلة بهذا المعنى غير مرادة في بحثنا هذا.

معنى التوسل في كلام الصحابة:

قال: «وأما التوسل بالنبي ﷺ... في كلام الصحابة رضي الله عنهم فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته»(٦).

معنى التوسل في كلام المتأخرين:

«التوسل به ﷺ في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به، كما يقسمون ويسألون بغيره من الأنبياء والصالحين، ومن يعتقدون فيه الصلاح»(٧)؛ يعني: «أن يسأل اللهَ عز وجل بذات ذلك المخلوق، ويقسم عليه

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢٩٠)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٣)، زاد المسير، لابن الجوزي (٢/ ٣٤٨)، فتح القدير (٢/ ٣٨).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (ح٣٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (ح٦١٤).

(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٥).

(٦) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٦).

(٧) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٦).

تعالى به، أو يسأل ذلك المخلوق نفسه على معنى أنه وسيلة من وسائل الله يتقرب بذاته ويسأل منه شفاعته»[(١)].

۞ ثانيًا: حكم التوسل:

التوسل قسمان: (١) توسل مشروع، (٢) وتوسل ممنوع.

فالمشروع: هو التوسل إلى الله بما شرعه الله ورسوله ﷺ.

والممنوع: هو التوسل إلى الله بما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ.

أنواع التوسل المشروع:

١- **التوسل إلى الله بأسمائه،** قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ أي: ادعوا الله متوسلين بأسمائه وصفاته، قال شيخ الإسلام: «وأما سؤال الله بأسمائه وصفاته التي تقتضي ما يفعله بالعباد من الهدى والرزق والنصر فهذا أعظم ما يسأل الله تعالى به»[(٢)].

٢- **التوسل إلى الله بصفاته العلا،** ومن أمثلة دعاء الله بصفاته ما ورد في دعاء الاستخارة: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك...**»[(٣)].

٣- **التوسل إلى الله بربوبيته،** مثل ما كان النبي ﷺ يقوله إذا قام من الليل يفتتح الصلاة: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض...**» الحديث[(٤)].

٤- **التوسل إلى الله بأفعاله،** ومنه: «**اللهم صلِّ على محمدٍ وآل محمدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيم وآل إبراهيم**»[(٥)]، و«**اللهم أحسنت خَلْقي، فأحسِنْ خُلُقي**»[(٦)].

٥- **التوسل إلى الله بالإيمان بالله سبحانه،** ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٣١٠).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١١٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٣٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (ح٧٧٠).

(٥) أخرجه البخاري (ح٣٣٧٠).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٣٧٣)، وقال محققوه: «إسناده حسن».

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ١٦]، حيث توسلوا إلى الله بالإيمان به، ثم سألوه المغفرة والرحمة، وقوله سبحانه: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

٦- **التوسل إلى الله بالإيمان برسوله ومحبته واتباعه**، قال ابن أبي العز: «وتارة يقول [يعني: الداعي]: باتباعي لرسولك ﷺ ومحبتي له وإيماني به وسائر أنبيائك ورسلك وتصديقي لهم، ونحو ذلك، فهذا من أحسن ما يكون في الدعاء والتوسل والاستشفاع»(١).

٧- **التوسل بدعاء النبي ﷺ في حياته**، ومنه قول الأعرابي حين أصابت الناسَ سَنَةٌ على عهد رسول الله ﷺ قال: «يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة، فوالذي نفسي بيده ما وضعهما حتى ثار السحاب أمثال الجبال»(٢)، ومنه قول عمر رضي الله عنه: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»، قال: فيسقون(٣)؛ يعني: نتوسل بدعائه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما التوسل بدعائه وشفاعته -كما قال عمر رضي الله عنه- فإنه توسل بدعائه لا بذاته؛ ولهذا عدلوا عن التوسل به ﷺ إلى التوسُّل بعمه العباس رضي الله عنه، ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائمًا»(٤)، والتوسل بدعائه إنما يكون في حياته ﷺ لا بعد موته، والتوسل بشفاعته يكون يوم القيامة، يقول شيخ

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (ح٩٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح١٠١٠).

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٧).

الإسلام ابن تيمية: «التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته»[(١)].

٨- **التوسل إلى الله بأعمال صالحة معينة عملها العبد**؛ «لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله ويتوجه بها ويسأله بها؛ لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله»[(٢)]، كقصة الثلاثة الذين أخبرنا رسول الله ﷺ بحالهم، فقال: «**بينما ثلاثة نفر يمشون، أخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله، فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم، قال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار، كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم حلبت، فبدأت بوالدي أسقيهما قبل بني، وإني استأخرت ذات يوم، فلم آتِ حتى أمسيت، فوجدتهما ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما، وأكره أن أسقي الصبية، والصبية يتضاغون عند قدمي حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلته ابتغاء وجهك، فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله، فرأوا السماء، وقال الآخر: اللهم إنها كانت لي بنت عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت منها، فأبت عليَّ حتى أتيتها بمائة دينار، فبغيت حتى جمعتها، فلما وقعت بين رجليها، قالت: يا عبد الله اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت، فإن كنت تعلم أني فعلته ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة، ففرج، وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجيرًا بفرق أرز، فلما قضى عمله، قال: أعطني حقي، فعرضت عليه، فرغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرًا وراعيها، فجاءني فقال: اتق الله، فقلت: اذهب إلى ذلك البقر ورعاتها، فخذ، فقال: اتق الله ولا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فخذ، فأخذه، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقي، ففرج الله**»[(٣)]، فهؤلاء الثلاثة

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٨٧). (٢) شرح الطحاوية (١/ ٣٠٠).
(٣) أخرجه البخاري (ح٢٣٣٣)، ومسلم (ح٢٧٤٣).

توسلوا إلى الله بأعمال صالحة معينة أخلصوا فيها العمل لله، فالأول توسل ببره بوالديه، والثاني توسل إلى الله بعفته عن الحرام، والثالث توسل إلى الله بوفائه وأمانته.

٩- التوسل بدعاء الصالحين، ويدل عليه حديث أم الدرداء ﵂، أن النبي ﷺ كان يقول: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل**»(١)، وهذا إنما يكون في حياة الداعي؛ لأنه بموته قد انقطع عمله، وأن يكون في حضوره، فلا يطلب الدعاء من الغائبين؛ لأنهم لا يسمعون.

١٠- التوسل إلى الله بذكر حال الداعي المبينة لاضطراره وحاجته، كقول موسى -عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤](٢)، وكقول زكريا -عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤].

أنواع التوسل غير المشروع:

التوسل غير المشروع ينقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: التوسل بذات المخلوق، فيدعو المخلوق أو يستغيث به -سواء كان النبي ﷺ أو غيره- فيما لا يقدر عليه إلا الله، كقوله: يا حسين أغثني، يا عبد القادر اشفني من مرضي، ونحو ذلك، فهذا شرك أكبر، وهذا ليس بتوسل في الحقيقة، وإنما سموه توسلًا ليقبل، وإلا فهو عبادة للأموات، والعبادة حق الله جل وعلا، لا يجوز أن يشرك معه غيره في أي نوع من أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥]،

(١) أخرجه مسلم (ح٢٧٣٣).
(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٣٤٢).

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧][1].

القسم الثاني: أن يطلب من الميت أن يدعو له، أو يشفع له عند الله، وهذا النوع شرك أيضًا، وهو ما كان عليه أهل الجاهلية الذين قالوا كما حكى الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨﴾ [يونس: ١٨][2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحُجَّاب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل»[3].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم؛ كفر إجماعًا»[4].

القسم الثالث: التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره من عباد الله الصالحين، كأن يقول المتوسل: بحق فلان أو بجاهه وحرمته ونحو ذلك[5].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤). (٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦).

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦).

(٤) نواقض الإسلام (٢/ ٣٦١)، ضمن (الدرر السنية في الأجوبة النجدية)، وانظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (٥/ ٥٣٥)، الإقناع، الحجاوي (٤/ ٢٩٧).

(٥) وقد أجازه العز بن عبد السلام بالنبي ﷺ خاصة، معلقًا القول به على صحة حديث الأعمى. =

وحكم هذا النوع أنه بدعة مذمومة؛ لعدم ورود نص بذلك، قال ابن أبي العز: «وتارة يقول [أي: الداعي]: بجاه فلان عندك، يقول: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده أن فلانًا عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا، وهذا أيضًا محذور، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه، يطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمِّنون على دعائه، كما في الاستسقاء وغيره»[١].

وقال الشيخ ابن باز: الدعاء ووسائل الدعاء توقيفية، ولم يرد في الشرع ما يدل على التوسل بجاه محمد ﷺ، بل هذا مما أحدثه الناس، فالتوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه الأنبياء أو بحق النبي أو بحق الأنبياء أو بجاه فلان أو بجاه علي أو بجاه أهل البيت، كل هذا من البدع، والواجب ترك ذلك، لكن ليس بشرك وإنما هو من وسائل الشرك، فلا يكون صاحبه مشركًا، ولكن أتى بدعة تنقص الإيمان وتضعف الإيمان عند جمهور أهل العلم[٢].

القسم الرابع: الإقسام على الله بالمتوسل به: كأن يقول: اللهم إني أقسمت عليك بفلان أن تشفي مريضي أو تقضي حاجتي ونحو ذلك.

وحكم هذا النوع التحريم أيضًا؛ وذلك لما يلي:

أولًا: أن الإقسام بالمخلوق لا يجوز شرعًا، وقد قال النبي ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[٣]، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ألا، إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله، أو ليصمت**»[٤]. فإذا كان الإقسام

= انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٣١٠).

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٩٨)، وانظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٣٢٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٧/ ١٢٩-١٣٠).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (ح٦٠٧٢)، وأبو داود (ح٣٢٥١)، والترمذي (ح١٥٣٥)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (ح٦١٠٨)، ومسلم (ح١٦٤٦).

بالمخلوق شركًا، فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق؟! فهذا تقرب إلى الله تعالى بالشرك به.

ثانيًا: أنه ليس لأحد حق على الله عَزَّوَجَلَّ إلا ما أوجبه الله على نفسه، قال ابن أبي العز: «فإن الداعي تارة يقول: بحق نبيك أو بحق فلان، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته، **فهذا محذور من وجهين:**

أحدهما: أنه أقسم بغير الله.

والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقًّا.

ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وكذلك ما ثبت في «الصحيحين» من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو رديفه: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده؟** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حقهم عليه أن لا يعذبهم**»[(١)]، فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق»[(٢)].

۞ ثالثًا: شبهات دعاة التوسل المحرم والجواب عليها:

اعتمد دعاة التوسل المحرم على بعض «الأحاديث... الضعيفة الواهية، بل الموضوعة، ولا يوجد في أئمة الإسلام من احتج بها ولا اعتمد عليها»[(٣)]، **ومن ذلك ما يلي:**

١- الحديث الذي يُروى عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إني أتعلم القرآن وينفلت مني، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قل: اللهم إني أسألك بمحمد نبيك، وبإبراهيم**

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٩٤-٢٩٥).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٧٧-١٧٨).

خليلك، وبموسى نجيك، وعيسى روحك...» الحديث.

وهذا الحديث لا يصح، قال العراقي: «رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه... وعبد الملك وأبوه ضعيفان، وهو منقطع بين هارون وأبي بكر»[١]، والمصادر التي أخرجت الحديث المذكور تضم أحاديث كثيرة موضوعة، وعبد الملك بن هارون بن عنترة من المعروفين بالكذب، قال يحيى بن معين: كذاب، وقال السعدي: دجال كذاب، وقال البخاري: منكر الحديث[٢].

٢- حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب مرفوعًا وموقوفًا عليه أنه لما اقترف آدم الخطيئة قال: «**يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي...»** الحديث.

وهذا الحديث موضوع لا يصح، رواه الحاكم، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد»، لكن تعقبه الذهبي بقوله: «قلت: بل موضوع»[٣]، وقال شيخ الإسلام: «ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه، فإنه نفسه قد قال في كتاب «المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم»: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه[٤]»[٥].

٣- حديث عثمان بن حنيف، أن رجلًا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادعُ الله أن يعافيني، قال: «**إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك**». قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني**

(١) المغني عن حمل الأسفار (ص٣٧٤).

(٢) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٧٩).

(٣) المستدرك (٢/ ٦١٥).

(٤) انظر: المدخل إلى الصحيح، للحاكم (ص١٥٤).

(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٨٢).

أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمدٍ نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفِّعْه فيَّ»[(١)].

وهذا من أشهر الأحاديث التي يحتج بها دعاة التوسل الممنوع[(٢)]، ولا حجة فيه لأهل التوسل المبتدع، فإنه يدل على أنه طلب من الرسول في حياته أن يدعو له، وهذا مما لا خلاف في مشروعيته، ومما يدل عليه قول الأعمى: «**ادع الله أن يعافيني**»، وقوله ﷺ: «**إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت**»، وقول الأعمى: «**فادعه**»، وقوله: «**اللهم فشفِّعْه فيَّ**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، ودعا له النبي ﷺ؛ ولهذا قال: «**وشفِّعْه فيَّ**»، فسأل الله أن يقبل شفاعة رسوله فيه وهو دعاؤه، وهذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره»[(٣)].

وقال الشيخ الألباني: «هذا الحديث لا حجة لهم فيه على التوسل المختلف فيه، وهو التوسل بالذات، بل هو دليل آخر على النوع الثالث من أنواع التوسل المشروع الذي أسلفناه[(٤)]؛ لأن توسل الأعمى إنما كان بدعائه»[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ٤٧٨)، والترمذي (ح٣٥٧٨)، وابن ماجه (ح١٣٨٥)، والحاكم (١/ ٧٠٠)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) اختلف العلماء في صحة هذا الحديث لاختلافهم في أبي جعفر راوي الحديث، فإن كان الخطمي فهو ثقة والحديث صحيح، وإن كان غيره فهو إذًا الرازي، وهو صدوق، ولكنه سيئ الحفظ، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي» (سنن الترمذي ٥/ ٤٦١)، قال الألباني: «وعلى هذا فالإسناد جيد لا شبهة فيه» (التوسل أنواعه وأحكامه، ص: ٦٩).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٠١).

(٤) وهو التوسل بدعائه ﷺ.

(٥) التوسل أنواعه وأحكامه (ص٧٠).

وأما رواية الطبراني أن رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف، فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائتِ الميضأة[1] فتوضأ، ثم ائتِ المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم، إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربك عز وجل فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك[2]. وقال الطبراني: «لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي وهو ثقة»[3]، فالصحيح أنه ضعيف، قال الشيخ الألباني: «إن هذه القصة ضعيفة منكرة؛ لأمور ثلاثة: ضعف حفظ المتفرد بها، والاختلاف عليه فيها، ومخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث، وأمر واحد من هذه الأمور كافٍ لإسقاط هذه القصة، فكيف بها مجتمعة؟!»[4].

٤- حديث: «إذا سألتم اللهَ فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم».

والجواب: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث، مع أن جاهه عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين»[5]، وقال الشيخ الألباني: «هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة، وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة»[6].

٥- حديث: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور أو فاستعينوا بأهل

---

(١) **الميضأة:** ما يتوضأ منه. انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي (٢/ ١٥٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣٠٦).

(٣) المعجم الصغير للطبراني (١/ ٣٠٦).

(٤) التوسل أنواعه وأحكامه (ص٨٦).

(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٧٥).

(٦) التوسل أنواعه وأحكامه (ص١١٥).

القبور».

والجواب: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة»[(١)].

وقال أيضًا: «هذا الحديث من الأكاذيب التي وضعت ليقام بها دين أهل الشرك، كما يقولون: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به). وإنما يحسِّن الظنَّ بالأحجار المشركون الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨] وقال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]»[(٢)].



(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٦)، وانظر: الرد على البكري (٢/ ٥٧٧).

(٢) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، ابن تيمية (ص١٤٢)، تحقيق: سليمان الغصن.



المبحث السادس عشر

التبرك

تعريفه وأنواعه المشروعة والممنوعة

۞ أولًا: تعريف التبرك:

البركة في اللغة تطلق على معنيين:

الأول: الثبوت، قال ابن فارس: «الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء»[(١)].

والثاني: الزيادة، قال الخليل: «البركة من الزيادة والنماء»[(٢)].

وقد جمع بينهما ابن القيم، فقال: «البركة: كثرة الخير ودوامه، ولا أحدَ أحقُّ بذلك وصفًا وفعلًا منه تبارك وتعالى، وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين»[(٣)].

«والتبرك بالشيء: طلب البركة بواسطته»[(٤)]، والبركة إنما تطلب من الله جل وعلا، لا من المخلوقين؛ لأن كثرة الخير ودوامه إنما تكون من الله، قال

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٢٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٢٧، ٢٣٠).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٦٨١)، وانظر أيضًا: المفردات في غريب القرآن (ص١١٩)، تفسير الرازي (١٤/ ٢٧٢)، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٩٤).

(٤) التبرك أنواعه وأحكامه، د. ناصر الجديع (ص٣٠).

تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

۞ ثانيًا: أنواع التبرك:

التبرك نوعان:

الأول: مشروع، وهو التبرك بما ثبتت بركته بالشرع، كالتبرك بالقرآن الكريم، والتبرك بشرب ماء زمزم، وتبرك الصحابة رضي الله عنهم بجسد النبي ﷺ وآثاره، كريقه وعرقه ووَضوئه وفضل شربه وثيابه، والتبرك بمجالسة الصالحين(١).

الثاني: ممنوع، وهو التبرك بأمر غير مشروع التبرك به؛ لعدم ورود الدليل عليه، أو التبرك بأمر مشروع على غير الوجه المشروع؛ لأن التبرك عبادة، والعبادة توقيفية، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله ورسوله؛ لحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم**»(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركًا بها وتعظيمًا لها»(٣).

والتبرك غير المشروع (الممنوع) ينقسم من حيث حكمه إلى قسمين:

الأول: تبرك شركي: وهو أن يعتقد المتبرِّك أن المتبرَّك به -وهو المخلوق- يهَبُ البركة بنفسه، فيبارك في الأشياء بذاته استقلالًا فهذا شرك؛ لأن الله تعالى وحده موجد البركة وواهبها، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**البركة من**

(١) انظر تفصيل هذه الأنواع في: التبرك أنواعه وأحكامه (ص٤١) وما بعدها.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (ح٢١٨٩٧)، والترمذي (ح٢١٨٠)، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٣٧).

الله»[(١)]، فطلبها من غيره، أو اعتقاد أن غيره يهبها بذاته شرك أكبر؛ لأن طلب البركة من غير الله هو كطلب الرزق من غير الله، فدعوى أن مخلوقًا بيده البركة من دون الله شرك في الربوبية، وطلبها من المخلوقين شرك في الألوهية، فالله هو الذي بيده البركة، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١]، وقال سبحانه: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٣]، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، وقال النبي ﷺ: **«وبارك لي فيما أعطيت»**[(٢)].

الثاني: تبرك بدعي: وهو التبرك بما لم يرد دليل شرعي يدل على جواز التبرك به، معتقدًا أن الله جعل فيه بركة، أو التبرك بالشيء الذي ورد التبرك به على غير الوجه المشروع، وهذا بلا شك محرم؛ لأن فيه إحداث عبادة أو كيفية عبادة لا دليل عليها من كتاب أو سنة، ولأنه جعل ما ليس بسبب سببًا، فهو من الشرك الأصغر؛ ولأنه يؤدي إلى الوقوع في الشرك الأكبر، وذلك كالتبرك بالأشجار والأحجار، أو التبرك بقبور الصالحين، وذواتهم، وآثارهم، أو التبرك والغلو بالمقامات والبقع الفاضلة، كمقام إبراهيم، وحجرة النبي ﷺ، وصخرة بيت المقدس، وكل ذلك محرم وطريق للشرك الأكبر[(٣)].

أما استلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة، فهذا عبودية لله؛ لأنه طاعة لله ورسوله ﷺ؛ ولذا أثر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله، وقال: «إني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك»[(٤)]، فهذا طاعة لأمر الله؛ وذلك تعظيم للمخلوق، وتألُّه له، فالفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٥٧٩).

(٢) أخرجه أبو داود (ح١٤٢٥)، والترمذي (ح٤٦٤)، والنسائي (ح١٧٤٥)، وابن ماجه (ح١١٧٨)، وصححه الألباني (صحيح أبي داود ١٢٨١).

(٣) انظر: مجموع ابن باز (٢٨/ ٢٨٦).

(٤) أخرجه البخاري (ح١٥٩٧).

الذي هو إخلاص وتوحيد، ودعاء المخلوق الذي هو شرك وتنديد.

۞ ثالثًا: حكم التبرك بآثار رسول الله ﷺ:

التبرك بآثار رسول الله ﷺ فيه تفصيل:

١- التبرك بأعضاء جسده الشريف، وهو جائز لفعل الصحابة رضي الله عنهم وإقرار النبي ﷺ لهم، ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها[١]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاؤوه في الغداة الباردة، فيغمس يده فيها[٢].

٢- التبرك بآثار رسول الله ﷺ المنفصلة عن جسده الشريف؛ يعني: التبرك بما مس جسده وانفصل عنه من وَضوء أو عرق أو شعر ونحو ذلك، فهذا جائز لفعل الصحابة رضي الله عنهم مع إقرار النبي ﷺ لذلك، ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى مِنًى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: «خذ»، وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس، وفي رواية: فبدأ بالشق الأيمن، فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثم قال بالأيسر فصنع به مثل ذلك، ثم قال: «**ها هنا أبو طلحة؟**» فدفعه إلى أبي طلحة[٣].

وفي حديث صلح الحديبية أن عروة بن مسعود قال في وصف أصحاب رسول الله ﷺ: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٥٠١٦)، ومسلم (ح٢١٩٢).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٣٢٤).
(٣) أخرجه مسلم (ح١٣٠٥).
(٤) أخرجه البخاري (ح٢٧٣١).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها، وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأُتيت فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك، على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق، واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها[(١)] فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ فقال: «**ما تصنعين يا أم سليم؟**» فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: «**أصبت**»[(٢)].

وهذه الآثار لم يبق منها شيء، فالتبرك بها لا يمكن لعدم وجودها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن صخرة بيت المقدس: «وما يذكره بعض الجهال فيها من أن هناك أثر قدم النبي ﷺ وأثر عمامته وغير ذلك، فكله كذب»[(٣)].

ويقول الشيخ الألباني: «ونحن نعلم أن آثاره ﷺ من ثياب أو شعر أو فضلات قد فقدت، وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين، وإذا كان الأمر كذلك فإن التبرك بهذه الآثار يصبح أمرًا غير ذي موضوع في زماننا هذا»[(٤)].

٣- التبرك بآثاره المكانية، كحجرته ومنبره والمواطن التي نزل بها كغار حراء وغار ثور، فلا يشرع التبرك بها؛ إذ لا يعرف عن أحد من الصحابة أنه قصدها للتبرك بها والدعاء عندها، فلم يثبت عن أحد من الصحابة أنهم كانوا «يذهبون إلى غار حراء ليصلوا فيه أو يدعوا، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى ليصلوا فيه ويدعوا، أو إلى غير هذه الأمكنة من الجبال التي يقال: إن فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم، ولا إلى مشهد مبني على

(١) هي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها. انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٣٣١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٣)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٦٣).

(٤) التوسل أنواعه وأحكامه (ص١٤٤)، وانظر: الآثار النبوية، أحمد تيمور باشا (ص٧٩، ٩٩).

أثر نبي من الأنبياء. وأيضًا فإن المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه بالمدينة النبوية دائمًا لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله، ولا الموضع الذي صلى فيه بمكة وغيرها»(١).

وأما ما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما من تتبعه للأمكنة التي صلى فيها النبي ﷺ ليصلي فيها(٢)، فليس فيه أنه فعل ذلك بقصد التبرك بها، إنما فعله مبالغة منه في الاقتداء والاتباع لرسول الله ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد تنازع العلماء فيما إذا فعل [أي: النبي ﷺ] فعلًا من المباحات لسبب، وفعلناه نحن تشبهًا به مع انتفاء ذلك السبب، فمنهم من يستحب ذلك، ومنهم من لا يستحبه، وعلى هذا يخرَّج فعل ابن عمر رضي الله عنهما، بأن النبي ﷺ كان يصلي في تلك البقاع التي في طريقه؛ لأنها كانت منزلَه، لم يتحرَّ الصلاة فيها لمعنى في البقعة، فنظير هذا: أن يصلي المسافر في منزله، وهذا سنة، فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلى فيها اتفاقًا، فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة، بل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار يذهبون من المدينة إلى مكة حجَّاجًا وعُمَّارًا ومسافرين، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي ﷺ، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحبًّا لكانوا إليه أسبق، فإنهم أعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم»(٣).

وعن نافع قال: بلغ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه أن ناسًا يأتون الشجرة التي بويع تحتها، قال: فأمر بها فقطعت(٤).

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٣٣٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب المساجد التي على طرق المدينة، والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ (١/ ١٠٣) وما بعدها.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٧٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣٧٥)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ١٠٠)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر (انظر: فتح الباري ٧/ ٤٤٨).

وعن مروان بن سويد الأسدي قال: خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة، فلما أصبحنا صلى بنا الغداة، ثم رأى الناس يذهبون مذهبًا فقال: أين يذهب هؤلاء؟ قيل: يا أمير المؤمنين، مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ هم يأتون يصلون فيه، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبِيَعًا، من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصلِّ، ومن لا فليمضِ، ولا يعتمدها»[(١)]. قال الشيخ ابن باز: «وقد ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أنكر تتبع آثار الأنبياء، وأمر بقطع الشجرة التي بويع النبي ﷺ تحتها في الحديبية لما قيل له: إن بعض الناس يقصدها؛ حماية لجناب التوحيد، وحسمًا لوسائل الشرك والبدع والخرافات الجاهلية»[(٢)].

٤- التبرك الأسمى والأعلى يكون باتباع شريعته ﷺ والتمسك بسنته والاهتداء بهديه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أهل المدينة لما قدم عليهم النبي ﷺ في بركته لما آمنوا به وأطاعوه فببركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة، بل كل مؤمن آمن بالرسول وأطاعه حصل له من بركة الرسول بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله»[(٣)].

۞ رابعًا: حكم التبرك بآثار الصالحين:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم، والتمسح بهم أو بثيابهم، وحمل المولود إلى أحد منهم ليحنكه بتمرة حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين، والتبرك بعرقهم ونحو ذلك، وقد أكثر من ذلك أبو زكريا النووي

---

(١) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (٢/ ٨٧)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٢/ ٥٤٤)، (١٤/ ٣٩٦)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، كما قال الألباني (انظر: تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي ص: ٥٠).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٠٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ١١٣).

في «شرح مسلم» في الأحاديث التي فيها أن الصحابة فعلوا شيئًا من ذلك مع النبي ﷺ، وظن أن بقية الصالحين في ذلك كالنبي ﷺ، **وهذا خطأ صريح لوجوه:**

منها: عدم المقاربة فضلًا عن المساواة للنبي ﷺ في الفضل والبركة.

ومنها: عدم تحقق الصلاح، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب، وهذا أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص، كالصحابة الذين أثنى الله عليهم ورسوله، أو أئمة التابعين، ومن شهر بصلاح ودين كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح وقد عدم أولئك[1]، أما غيرهم، فغاية الأمر أن نظن أنهم صالحون فنرجو لهم.

ومنها: أنَّا لو ظننا صلاح شخص، فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء، والأعمال بالخواتيم، فلا يكون أهلًا للتبرك بآثاره.

ومنها: أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته، ولا بعد موته، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، فهلا فعلوه مع أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ونحوهم من الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة؟ وكذلك التابعون، هلا فعلوه مع سعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين، وأويس القرني، والحسن البصري ونحوهم ممن يقطع بصلاحهم؟ فدل أن ذلك مخصوص بالنبي ﷺ.

ومنها: أن فعل هذا مع غيره ﷺ لا يؤمن أن يفتنه، وتعجبه نفسه، فيورثه العُجْب والكبر والرياء، فيكون هذا كالمدح في الوجه بل أعظم»[2].



(١) ومع الشهادة لهم بالصلاح فلم يقع من الصحابة التبرك بهم، فلم يتبركوا بأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين وهم الخلفاء الراشدون، ولو كان مشروعًا لسبقونا إليه.

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص١٥٠-١٥١)، وانظر: الاعتصام (١/ ٤٨٢)، الحِكَم الجديرة بالإذاعة (ص٤٦).



المبحث السابع عشر

الأعياد الشرعية والبدعية

المراد بها وأنواعها وأحكامها

۞ أولًا: المراد بالأعياد:

العيد اسم لكل ما يعود ويتكرر[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائد: إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، أو نحو ذلك. فالعيد: يجمع أمورًا، منها: يوم عائد كيوم الفطر، ويوم الجمعة. ومنها: اجتماع فيه، ومنها: أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقًا، وكل هذه الأمور قد تسمى عيدًا»[٢].

فمثال إطلاق العيد على الزمان، تسمية يوم الجمعة عيدًا، كما في حديث ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذا يوم عيد، جعله الله للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل، وإن كان طيب فليمس منه، وعليكم بالسواك**»[٣]، وعن

(١) تهذيب اللغة (٣/ ١٣٢)، لسان العرب (٣/ ٣١٥)، القاموس المحيط (ص٣٠٢).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٩٦).
(٣) أخرجه ابن ماجه (ح١٠٩٨)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٨٦).

عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب**»(١).

ومثال إطلاق العيد على المكان، حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»(٢).

ومثال إطلاقه على مجموع اليوم والعمل فيه، حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا**»(٣).

۞ ثانيًا: أنواع الأعياد وأحكامها:

الأعياد قسمان:

الأول: أعياد شرعية: وهي عيد الأضحى وعيد الفطر، وعيد أسبوعي، وهو يوم الجمعة، فعن أنس رضي الله عنه، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «**ما هذان اليومان؟**» قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر**»(٤)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه؛ إذ لا يجمع بين البدل والمبدل منه؛ ولهذا لا تستعمل هذه العبارة

---

(١) أخرجه أبو داود (ح٢٤١٩)، والترمذي (ح٧٧٣)، والنسائي (ح٣٠٠٤)، وصححه الألباني (إرواء الغليل ٤/ ١٣٠).

(٢) أخرجه أبو داود (ح٢٠٤٢)، وأحمد في المسند (١٤/ ٤٠٣)، وصححه الألباني (أحكام الجنائز ص: ٢١٩).

(٣) أخرجه البخاري (ح٩٥٢)، ومسلم (ح٨٩٢).

(٤) أخرجه أبو داود (ح١١٣٤)، والنسائي (ح١٥٥٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٤٤٦٠).

إلا فيما ترك اجتماعهما. . . فقوله ﷺ: «**إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما**» يقتضي ترك الجمع بينهما، لا سيما وقوله: «**خيرًا منهما**» يقتضي الاعتياض بما شرع لنا، عما كان في الجاهلية»(١).

وقال الحافظ ابن حجر: «واستنبط منه كراهة الفرح في أعياد المشركين والتشبه بهم»(٢).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: «**تعيين يوم ثالث من السنة للمسلمين فيه عدة محاذير شرعية:**

أحدها: المضاهاة بذلك للأعياد الشرعية.

المحذور الثاني: أنه مشابهة للكفار من أهل الكتاب وغيرهم في إحداث أعياد لم تكن مشروعة أصلًا، وتحريم ذلك معلوم بالبراهين والأدلة القاطعة من الكتاب والسنة، وليس تحريم ذلك من باب التحريم المجرد، بل هو من باب تحريم البدع في الدين، وتحريم شرع دين لم يأذن به الله»(٣).

الثاني: أعياد بدعية: وهي موافقة الكفار في أعيادهم، أو إحداث أعياد لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ، قال تعالى في مدح عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢]، قال الإمام ابن كثير: «قال أبو العالية، وطاوس، ومحمد بن سيرين، والضحاك، والربيع بن أنس، وغيرهم: هي أعياد المشركين»(٤).

وعن ثابت بن الضحاك، قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلًا ببوانة فأتى النبي ﷺ، فقال: إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة، فقال النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قالوا: لا، قال: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**»، قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: «**أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاء**

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٨٦-٤٨٧). (٢) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٤٢).
(٣) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣/ ١٠٩).
(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٠).

لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»[١]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجه الدلالة: أن هذا الناذر كان قد نذر أن يذبح نعمًا -إما إبلًا، وإما غنمًا، وإما كانت قضيتين- بمكان سماه، فسأله النبي ﷺ: «**هل كان بها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قال: لا، قال: «فهل كان بها عيد من أعيادهم؟» قال: لا، قال: «**أوفِ بنذرك**»، ثم قال: «**لا وفاء لنذر في معصية الله**»، وهذا يدل على أن الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم معصية لله»[٢].

وعن أم سلمة رضي الله عنها، تقول: كان رسول الله ﷺ يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام، ويقول: «**إنهما يوما عيد المشركين، فأنا أحب أن أخالفهم**»[٣]، قال الحافظ ابن حجر: «أشار بقوله: (يوما عيد) إلى أن يوم السبت عيد عند اليهود، والأحد عيد عند النصارى، وأيام العيد لا تصام فخالفهم بصيامها»[٤].



(١) أخرجه أبو داود (ح٣٣١٣)، وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة ح٢٨٧٢).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٩٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٤/ ٣٣٠-٣٣١)، والنسائي في الكبرى (ح٢٧٨٩)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٤٨٠٣).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٣٦٢).



المبحث الثامن عشر

برامج التدريب والاستشفاء المعاصر

صورها وأحكامها

انتشرت في عصرنا برامج للتدريب والاستشفاء ظاهرها أنها برامج طبية ونفسية فتهافت عدد من الناس عليها، واستشرت لدى شرائح متنوعة في المجتمعات الإنسانية، وصارت عند البعض وسيلة لكسب المال بطريق الخداع، وقد تم إجراء دراسات علمية عليها وتبين عدم جدواها، وأدرك أهل الاختصاص أنها تحمل في باطنها أصولًا من المعتقدات الهندوسية والبوذية والطاوية.

وفيما يلي عرض نماذج منها:

❁ أولًا: برامج التدريب:

ومن أشهرها ما يلي:

١- البرمجة اللغوية العصبية:

«يتكون مصطلح البرمجة اللغوية العصبية من ثلاثة ألفاظ مركبة: لفظ (البرمجة)، ويشير إلى أن الناس يتصرفون وفق برامج وأنظمة شخصية تتحكم في طرق تعاملهم مع شؤون الحياة المختلفة، و(اللغوية) وفيها إشارة إلى أساليب التعبير والتواصل التي تتم من خلالها البرمجة، سواء كانت منطوقة أو

لم تكن، و(العصبية) وتشير إلى تأثر المخ والعمليات العصبية بالبرمجة اللغوية، وعليه، فإنه يمكن تعريف البرمجة اللغوية العصبية بأنها: تقنية نفسية تعمل على تغيير هيكلة التفكير والسلوك من خلال تأثير اللغة والألفاظ على التكوين العصبي للإنسان...»[(١)].

يقول الدكتور روبرت كارول (أستاذ الفلسفة والتفكير الناقد بكلية ساكرمنتوا بكاليفورنيا): «يدعي أهل البرمجة أنها تساعد الإنسان على التغيير بتعليمه كيف يبرمج دماغه، فيقولون: إننا أعطينا أدمغة، ولم نعط معها دليل تعليمات التشغيل، فالبرمجة اللغوية العصبية تقدم لك دليل مستخدم للدماغ؛ ولذلك يطلق عليها أحيانًا (برامج للدماغ)»[(٢)].

نشأتها:

تأسست وتطورت في السبعينيات الميلادية؛ أي: ما بين عامي ١٩٧٣-١٩٧٨م على يد مجموعة من طائفة العصر الجديد الباطنية[(٣)(٤)].

وهي من أشهر برامج التدريب الوافدة، وأولها دخولًا إلى العالم العربي والإسلامي، وهي تدريبات مقتبسة من خليط من العلوم والفلسفات والاعتقادات والممارسات، تهدف لإعادة صياغة صورة الواقع في ذهن الإنسان، بحيث تصبح داخل الفرد وتنعكس على تصرفاته، وهي مبنية على أفكار فلسفية باطنية مستمدة من البوذية تعتقد بأن للإنسان إمكانات وقدرات غير محدودة يمكنه تحصيلها عن طريق العقل الباطن، وتجعله يستغني عن أي مصدر خارجي[(٥)].

---

(١) حركة العصر الجديد، د. هيفاء الرشيد (ص٤٣٣).

(٢) علاجات نفسية (ص٦٩).

(٣) للتعرف على هذه الطائفة، ينظر: حركة العصر الجديد، مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها، د. هيفاء الرشيد (ص٢٢، وما بعدها).

(٤) انظر: علاجات نفسية، د. فوز كردي (ص٦٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص٨٧-٩٠).

٢- قانون الجذب:

وهو قانون «يزعم أنصاره أنه قانون كوني يمكِّن الإنسان من اجتذاب كل ما يريده من الحياة (الصحة، السعادة، الثروة، الحب. . .) إلى نفسه، يعتمد هذا القانون على الاعتقاد بأن التركيز على شيء ما يبعث إليه ذبذبات من طاقة الإنسان، ومن ثَمَّ فهو الذي يحصل عليه بغض النظر عن إرادته له؛ ولذلك يتم التدريب على كيفية التركيز على ما يريده الإنسان لتتوجه إليها الطاقة/ الذبذبات المزعومة فيجذبها، وهذا الأمر ليس له دليل علمي، بل يتعارض مع الحقائق العلمية»[(١)].

وقانون الجذب مبدأ قديم له أصل في الفلسفة الشرقية، وفي الفكر الباطني، وهو قائم على أن الفكر هو الذي يخلق الواقع، وأن ما يفكر فيه الإنسان يتجلى عبر تحول الفكرة المجردة إلى حدث أو وجود محسوس، فالإنسان -حسب هذا القانون- مسؤول مطلق عن حياته، وهو الذي يصنع قدره بنفسه[(٢)].

٣- المشي على الجمر:

أصل تدريب المشي على الجمر مأخوذ من الديانات الشرقية، فهو عند الهندوس طقس سنوي لإظهار القداسة للرهبان والنساك، وفي البوذية يعتبر رمزًا للتغلب على العجز البشري، **وصورته:** هي مشي المتدربين حفاة على جمر ملتهب لمحاولة التحرر من إسار العقل المانع من انطلاق الخيال والقوى الكامنة، والتأكيد على مبدأ انعدام المستحيل، فيدخل المتدرب في حالة من الحماس والاندفاع فيمشي على الجمر وهو يردد: النار باردة، النار باردة[(٣)].

---

(١) علاجات نفسية (ص٧٥). وانظر: مقال الفأل المفترى عليه، د. هيفاء الرشيد (ص١٢).

(٢) انظر مقال: الفأل المفترى عليه، د. هيفاء بنت ناصر الرشيد (ص١٢-١٣).

(٣) انظر: أثر الفلسفة الشرقية (ص٩٣-٩٤).

ومن الهندوسية انتقل إلى البوذية[١]، وأتباع الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية في بلاد البلقان وأوروبا الشرقية[٢]، والرافضة[٣]، ثم أصبحت ضمن تطبيقات العصر الجديد، وأقيمت لها الدورات التدريبية في كبرى الشركات الأمريكية والأوروبية[٤].

تقول إحدى المدربات: «إن النار قد تحرق، وقد تشفي، الفرق يكمن في إرادتنا وإيماننا، الجسد لا يمكن أن يمشي على الجمر، ولكن الروح تستطيع من خلال حركتها خلال الجسد... إن المشي على الجمر هو الانفتاح على الجميع من خلال تحوير الوعي... فإذا اعتقد الإنسان أن النار ستحرقه فإنها ستحرقه، ولكن حرارة النار ليست حقيقية، ولا يمكن أن تخدع الروح اليقظة»[٥].

وهذه دعاوى وهمية؛ لأنها خارجة عن المعقول والمحسوس؛ ولذا قالت اللجنة الدائمة: إنها من «الأمور الخارجة عن العادة البشرية، كل ذلك يعتبر من الدجل والشعوذة والسحر»[٦].

٤- تحليل الشخصية:

هي دعوى معرفة أسرار الإنسان وخصائص شخصيته بمعرفة اللون الذي يفضله، أو نوعية توقيعه أو حروف اسمه وأمثال ذلك، فيزعمون أن من يبدأ اسمه بحرف كذا شخصيته كذا، ومن يحب اللون كذا فهو كذا[٧].

فهي كدعاوى الكهانة الكاذبة أو التنجيم المحرم، ولا يدخل في ذلك ما يقوم به أهل الاختصاص في الطب النفسي من الاعتماد على المعارف العلمية

(١) انظر: المشي على الجمر، د. هيفاء الرشيد (ص١٨).
(٢) انظر: المصدر السابق (ص٢١).
(٣) انظر: المصدر السابق (ص٢٥).
(٤) انظر: المصدر السابق (ص٣٢).
(٥) حركة العصر الجديد (ص٤١٨).
(٦) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/ ٢٦٩).
(٧) انظر: وقفات مع الفكر العقدي الوافد (ص٢٥).

والطرق الاستقرائية في الكشف عن الحالة المرضية النفسية للإنسان.

۞ ثانيًا: برامج الاستشفاء:

ومن أشهرها ما يلي:

١- الطاقة الكونية:

تعريفها: «هي طاقة فلسفية يعتقد أصحاب الديانات الشرقية أنها سبب وجود كل شيء، وهي جوهر كل شيء، وهي مانحة السعادة والحكمة والصحة، وأنه انقسم منها جزء يوجد بشكل حر منساب في الكون، ويمكن للإنسان التدرب على كيفية استمداده والاتحاد معه، من أجل تحصيل السعادة والحكمة والصحة»[(١)].

و«الطاقة الكونية بأسمائها المختلفة هي أصل الفلسفة الشرقية، وهي أصل في برامج التدريب والاستشفاء المنبثقة عنها»[(٢)].

«وهي مبدأ وفلسفة ليس له علاقة بالعلم، ولا باسم الطاقة المعروف في الفيزياء، إلا أن مروجيها يستخدمون هذا الاسم فيشكلون على الناس»[(٣)].

أسماؤها: يطلق عليها في الفلسفة الغربية الروحية وبرامج العصر الجديد أسماء ذات صبغة علمية أو دعائية، منها: (الطاقة الروحية)، و(قوة الحياة) باعتبارها مصدر الحياة ومنبعها بزعمهم، و(قوة الشفاء) باعتبار ما ينسب لها من قدرات شفائية، و(الطاقة الكونية) لكونها أصل الكون وهي مبثوثة فيه كما يدعون، و(الطاقة البشرية) باعتبار أنها قابلة للاستمداد عند البشر ومن ثَمَّ إيصالهم من خلالها إلى ما يؤملون بحسب الفلسفة الشرقية[(٤)]، وهي تسمى

---

(١) أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة، د. فوز بنت عبد اللطيف كردي، (ص٤٥).

(٢) المصدر السابق (ص٢٤).

(٣) المصدر السابق (ص٤٤).

(٤) انظر: أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة (ص٤٤-٤٥).

بأسمائها الأصلية في اللغات الشرقية[١].

جذورها: هي «نظرية فلسفية عقدية قامت على أساس التصور العام للكون والوجود والحياة عند من لم يعرفوا النبوات أو يكفرون بها، ومن ثَمَّ يحاولون الوصول إلى معرفة الغيب، وتفسير ما وراء عالم الشهادة بعقولهم وخيالاتهم»[٢].

وهي تقوم على عقيدة إلحادية، وهي عقيدة وحدة الوجود وأن المخلوقات هي عين الخالق، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

يقول صاحب كتاب أسرار الطاقة: «عندما تدرك بأنك موجود في كل الوجود... ستشعر بأنك جزء لا ينفصل عن الوحدة الكونية، ومن الطاقة الكامنة فيك المتجسدة من طاقة الخالق، وهنا أعود لأذكركم بالحلاج:

روحه روحي وروحي روحه إن يشأ شئت وإن شئت يشأ

وحينها ستصبح الناظر والمنظور، والقارئ والمقروء، وستصبح الوجه والمرآة، وتصبح كأعظم الكلمات في كتب الأناشيد (الحلقة الكاملة) المتعبد مع الله واحد، الطالب والمطلوب واحد»[٣].

إذن فلسفة الطاقة الكونية «ترتبط ارتباطًا كليًّا بتصورهم الفلسفي للوجود،

---

(١) «من تلك التسميات (التشي) وهو الاسم المعروف في عقائد الصين وتطبيقاتها الحياتية الاستشفائية والقتالية، ومنها (الكي) في عقائد اليابان والتطبيقات العلاجية عندهم، وهي (البرانا) عند الهندوس وممارسي التنفس العميق، وهي المسماة (الكا) عند الفراعنة، واسمها (إلكترا) في وثنية روما القديمة، وهي (قوة ساي) عند الماركسيين في الاتحاد السوفيتي وأتباعهم» (حقيقة العلاج بالطاقة بين العلم والقرآن ص٢٥).

(٢) حقيقة العلاج بالطاقة بين العلم والقرآن، د. عبد الغني مليباري، ود. فوز كردي (ص٢٤)، ضمن كتاب: مقالات وأسئلة وإجابات حول أبرز التطبيقات للمذاهب الباطنية الروحية المعاصرة، جمع وترتيب: خلود السالم.

(٣) أسرار الطاقة، حكم الزمان حمزة (ص١٦٦-١٦٧)، نقلًا عن: أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة (ص٢٤).

وهي تعبير عن عقيدة وحدة الوجود المتجذرة في تلك الفلسفات»[(١)].

وبهذه الطاقة المزعومة يتحول المخلوق إلى كائن يصنع المعجزات والخوارق، يقول للشجرة: (موتي) فتموت، وللمريض: (كن معافى) فيتعافى، وللصحيح: (كن مريضًا) فيصاب بالمرض، تقول مريم نور (وهي إحدى أوائل المدربين على تطبيقات الاستشفاء الوافدة في العالم العربي والإسلامي) في تعريفها للمانترا[(٢)]: «كلمة واحدة فقط تقوم بتكرارها وتكرارها، بحيث تتركز طاقة العقل كلها في هذه الكلمة وحدها، عندها تتحول هذه الكلمة إلى عدسة تجمع كل الطاقة الموجودة في عقلك مما يجعلك قويًّا ومؤثرًا، حتى إنك تستطيع عمل المعجزات فقط بالتفكير... إذا كنت ممن يتقنون المانترا فإنك تستطيع أن تقول للشجرة: فلتموتي، فإنها ستموت، كما يمكنك أن تقول لأحد الأشخاص: كن معافى، فإنه سيتعافى من المرض، وإذا قلت لأحدهم: كن مريضًا، فإنه سيصاب بالمرض»[(٣)]، وهذا دجل وتخريف يكفي مجرد عرضه لمعرفة زيف هذه الدعاوى.

وبحث العلاج بالطاقة تندرج تحته كثير من الممارسات، منها:

١- العلاج بالريكي «وهو فرع علاجي متخصص من فروع العلاج بالطاقة، تشمل تمارين وتدريبات يزعم المدربون فيها أنهم يفتحون منافذ الاتصال بالطاقة الكونية (كي)، ويساعدون الناس على طريقة تدفيقها في أجسامهم؛

---

(١) حركة العصر الجديد، د. هيفاء بنت ناصر الرشيد (ص٤٥٨).

(٢) المانترا لفظة خاصة تُكَرَّر بهدوء لفتح ما يسمونه: (الشاكرات)، وغالبًا ما تكون أسماء لما يقدس في أديان الشرق، ويعتقد الشرقيون أن المانترا تعمل على جمع الطاقة كما لو كانت عدسة، فيصبح الشخص قادرًا بقوة الطاقة على التصرف في الأشياء المحسوسة وغير المحسوسة بمجرد النظر والأمر. ينظر: فصل المانترا من مذكرة ستة أيام في دار السلام لمريم نور، نقلًا عن: أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة (ص٣١) الهامش.

(٣) أثر الفلسفة الشرقية (ص٣٢).

مما يزيد قوة الجسم وحيويته، ويعطي الجسم قوة إبراء ومعالجة ذاتية، كما تعطي صاحبها بعد ذلك القدرة على اللمسة العلاجية -بزعمهم- التي تجعلهم معالجين روحيين محترفين، وهي ممارسات وثنية يختلط فيها الدجل بالشعوذة والسحر، وإن ادعى أصحابها تنمية القوى البشرية أو المعالجة النفسية»[(١)].

٢- «ومنها: أسورة الطاقة وهي أنواع متعددة، منها: النحاسية، ومنها: الستيل، ومنها: المطاطية، ومنها: أنواع بقطع مغناطيس صغيرة، ويزعم أنها تحسن الصحة وتزيد الحيوية العامة للجسم عن طريق تحسين سريان الطاقة وتحقيق الاتزان لجسم الإنسان، والحقيقة أنها مجرد أوهام يتعلق بها فتقدح في توحيدهم لله»[(٢)]؛ لأنها لا تختلف عن التمائم الشركية إلا بالتسمية.

٣- ومن ذلك ما يسمى بقرص الطاقة الحيوي، حيث يزعمون بأنه وسيلة علاجية ناجعة، وهو أيضًا نوع من التمائم الشركية، كما أنها نوع من الغش والخداع[(٣)].

---

(١) علاجات نفسية، د. فوز كردي (ص٧١-٧٢)، ضمن كتاب: مقالات وأسئلة وإجابات حول أبرز التطبيقات للمذاهب الباطنية الروحية المعاصرة.

(٢) علاجات نفسية، د. فوز كردي (ص١٠٦).

(٣) وقد وجد من يسوق له في بلادنا، فبادرت الجهات الرقابية إلى منعه والتحذير منه، «جاء في جريدة الوطن السعودية أن المتحدث الإعلامي بوزارة الصحة الدكتور خالد مرغلاني قال: «إن وزارة الصحة بدأت بمتابعة عملية النصب الترويجية لما يعرف بقرص الطاقة البايو ديسك التي قام بها عدد من الأشخاص في منطقة نجران مستغلين حاجة المرضى والناس للعلاج وترويج منتجات غير مرخصة وغير شرعية قد تؤدي إلى الضرر الحتمي على حياة المواطن والمقيم»، ونفى مرغلاني أن يكون قرص الطاقة مرخصًا من وزارة الصحة معتبرًا أن هذا المنتج غير مسموح من الوزارة وغير مسجل لديها وأن مروجه قد يرتكب جريمة في حق الناس عن طريق الإضرار بصحتهم واستنزاف جيوبهم» (قرص الطاقة الحيوية تمائم العصر، د. فوز كردي (ص١٠٧)، ضمن كتاب: مقالات وأسئلة وإجابات حول أبرز التطبيقات للمذاهب الباطنية الروحية المعاصرة).

٢- الاستشفاء بالألوان:

إن من الألوان ما يسر النفس ويبعث على الارتياح، لكن لا يعد عند أهل الاختصاص علاجًا، بينما يقدم كنوع من العلاج في بعض عيادات الطب البديل[(١)]، «وتستخدم الألوان كوسيلة لتحقيق الهدف الأول للفلسفة الشرقية، فاللون وسيلة للاتحاد بالكلي[(٢)]، ويتم العلاج بالألوان كتطبيق علاجي عن طريق اكتشاف المعالج اللون المناسب للمريض، والذي فيه سر شفائه أو سعده عن طريق... حث المريض على ارتداء الملابس ذات اللون المناسب لطاقته، أو الالتفاف بالأقمشة الملونة، أو باستخدام مصابيح ملونة تسلط أشعتها على المريض، أو عن طريق تناول أغذية تحمل اللون الذي يحتاجه المريض»[(٣)].

ويزعمون أن للألوان تأثيرًا على صحة الإنسان، ورد في مجلة الطب البديل أن «اللون الفيروزي يستخدم لعلاج الحساسية المفرطة وتسكين الآلام، وأيضًا لإثارة الإلهام، واللون الوردي مثير للبهجة ويستخدم لتحسين المزاج، واللون البني يستخدم في تسكين حالات اضطرابات التفكير ويساعد على توازن العقل»[(٤)].

---

(١) الطب البديل مصطلح واسع يضم الضار والنافع، «لكنه حديثًا جمع مع ذلك وصفات شركية وطقوسًا وثنية مختلفة... ورفضت هذه البرامج في الأوساط العلمية؛ لكونها لا تقوم على أصول علمية صحيحة» (أثر الفلسفة الشرقية ص: ٤٣) الهامش.

(٢) الكلي عندهم هو أصل كل شيء، وإليه يعود كل شيء، وهو لا يرى ولا شكل له، وليس له بداية ولا نهاية، ويترجم خطأ في بعض الترجمات بـ(الله) أو (God) للتشابه في المعتقد بين الله والكلي أو محاولة للتقريب بين ما يخبر به الأنبياء وما يخبر به الحكماء، وتسمى هذه العقيدة عندهم عقيدة الوحدة. انظر: أثر الفلسفة الشرقية (ص٢١-٢٢).

(٣) المصدر السابق (ص٧٩-٨٠).

(٤) مجلة الطب البديل (عدد٥٩، يناير ٢٠٠٩)، نقلًا عن: أكذوبة الطاقة، ناهد طليمات (ص٣٨).

وهذه مجرد أوهام لا أساس لها من الصحة، وقد صان الإسلام العقل، وحفظ للمسلم اعتقاده من الاعتماد على الأوهام والخرافات، وجعل ما ليس بسبب سببًا من الشرك الأصغر كما سيأتي.

واستخدام الألوان في العلاج جزء أصيل من الفلسفة الشرقية الملحدة[١].

٣- الاستشفاء بالأحجار الكريمة:

وهو أحد فروع الطب البديل والعلاج بالطاقة الكونية، «حيث يدعي أهل هذا العلاج بأن الأحجار الكريمة والبلورات لها خصائص سرية تحسن صحة البدن والنمو الروحي والاستقرار النفسي، وبحسب الناحية النفسية تحدد الأحجار المناسبة، منها: ما يزيد قدرة الشخص على التواصل الاجتماعي، ومنها ما يعالجه عضويًّا، ومنها: ما يزيد من الثقة بالنفس، ومنها ما يعادل النفسية بصحة عامة ويضمن الطمأنينة والتفاؤل! ولذا يوجهون طلاب العلاج إلى اختيار الأحجار المناسبة بدقة بحسب ما يوصي الخبراء، ويتم تحديد الحجر المناسب لكل شخص وفقًا لبرجه وتاريخ مولده، ثم يعلقها المريض أو يتختم بها أو يشرب ماء نقيعها أو يبتلع مسحوقها، وإما أن تلبس كحلي أو يحتفظ بها في جيب أو توضع في غرفة بحسب نوعية الأثر المطلوب تحقيقه، ويتم استخراج معادن وأحجار تتميز بجمال أشكالها واستخدامها للعلاج واستجلاب الحظ، ويزعمون أن لهذه الأحجار قوى مغناطيسية وإشعاعات وترددات ذبذبية تؤثر على جسم الإنسان، وهو من المعتقدات الخرافية الوثنية، والاعتقاد بخصائص الأحجار مستمد من الفلسفة الشرقية والمعتقدات الوثنية القائمة على الأسرار المتوارثة، وليس له أي أسس علمية أو دلائل منطقية يقوم عليها[٢].

وهي نوع من التمائم الشركية التي كان أهل الجاهلية يفعلونها، وجاء

---

(١) وقفات مع الفكر العقدي الوافد، د. فوز كردي (ص٣٢).

(٢) انظر: علاجات نفسية، د. فوز كردي (ص٧٣، ٨٠).

الإسلام بإبطالها والنهي عنها.

ومن خصائص الأحجار الشفائية: ما يزعمونه من العلاج بالقوة النفسية «وفيه يوجه الشخص طالب العلاج لاقتناء شكل هرمي، ويفضل أن يكون أخضر اللون يجلس فيه ليستمد طاقة وقوة نفسية كونية تعالج أمراضه كلها النفسية والعضوية، وتمنحه الراحة والحيوية والقدرة على مواجهة ضغوط الحياة، هكذا يزعمون غافلين عما يقعون فيه من الشرك بالله، والاعتماد على أسباب يدل العقل والشرع على بطلانها»[(١)].

٤- العلاج بخط الزمن:

«العلاج بخط الزمن ممارسة من ممارسات البرمجة اللغوية العصبية، التي يدعي مخترعوها أنها طريقة معالجة تمكن من معالجة الإنسان من الأمراض النفسية ومحو مسبباتها بطريقة سريعة تعتمد على التعامل مع الذاكرة وفهم طريقة تخزين المعلومات فيها»[(٢)].

و«يعرف خط الزمن بأنه الرموز الشفرية للذكريات في عقل الإنسان، إنه الطريقة التي يشفر الناس بها ذكرياتهم ويختزنونها، وبه يميز الإنسان بين الذكريات الماضية وأحلام المستقبل، ويزعم المعالجون بخط الزمن أنه بإزالة بعض الذكريات يمكن تغيير سلوكيات الإنسان، وطباعه الشخصية، حيث تسهم الذكريات -سواء كانت في الوعي أو اللاوعي- في بنية شخصيته وسلوكه... أما استخدام هذه الفرضية في العلاج فيكون عن طريق التخيل، حيث ينتقل الإنسان بخياله عبر خط زمنه؛ ليجد الذكريات المؤلمة التي تؤثر عليه، فيزيلها عن طريق إبعادها بخياله»[(٣)].

ويتضمن البرنامج تدريبات تستخدم لتطوير الذات أو للعلاج من المخاوف والصدمات النفسية المختلفة، ويعتمد على القدرة على اكتشاف خط الزمن

---

(١) علاجات نفسية، د. فوز كردي (ص٧٣).
(٢) علاجات نفسية (ص٦٨).
(٣) حركة العصر الجديد (ص٤٤٩).

الخاص بالشخص، والذي تم عليه تخزين أحداث ماضي الإنسان وذكرياته والأحداث الحاضرة من تجاربه وقراراته، ويزعمون أنه يمكن للإنسان إذا ما وصل إلى خطه أن يتجاوز حدود الزمان والمكان، ويتنقل بحرية بين الأحقاب الزمنية الثلاثة (الماضي والحاضر والمستقبل)، ويمكنه التأثير بتقنيات خاصة فيمسح هذا الماضي ويلغيه، ويقوي الحاضر وينميه، ويؤثر في المستقبل بصور شتى[(١)].

وهي أوهام لا أصل لها من عقل أو شرع، وتبعد الإنسان عن مصادر العلاج الشرعية.

۞ ثالثًا: حكمها:

أولًا: مما سبق يتبين أن هذه البرامج التدريبية هي في أصلها مستمدة من «فلسفات ديانات الشرق؛ من البوذية والطاوية والهندوسية وغيرها، بما تحمله من فكر الخرافة والوهم والطقوس والمعتقدات المنحرفة التي غزت مجتمع العالم باسم: البرمجة اللغوية العصبية والطاقة الحيوية أو الكونية وتطبيقاتها المتعددة، وتسللت عبر المظلة الواسعة لاسم (الطب البديل) أو (التكاملي) كي تحظى بالقبول في الوسط الطبي والعلمي، ومن خلال برامج التدريب والتنمية البشرية»[(٢)].

ثانيًا: اعترف الكثير ممن التحق بهذه الدورات وأمضى في تدريبات البرمجة اللغوية العصبية ودورات الطاقة وأمثالها السنوات الطوال بأنه لم يستفد منها شيئًا بعد أن خسر الأموال الطائلة وأهدر الأوقات الطويلة، وحرم بركة الأذكار والتحصينات الشرعية بعد أن زاحمتها هذه التدريبات الوهمية[(٣)].

---

(١) انظر: أثر الفلسفة الشرقية (ص٩١).

(٢) مجموع الفتاوى الشرعية في حكم البرمجة اللغوية العصبية وتطبيقات الطاقة الكونية، جمع: خلود السالم (ص١٠).

(٣) انظر: اعترافات وتساؤلات، د. فوز كردي (ص٧٨)، ضمن كتاب: مقالات وأسئلة =

ثالثًا: قامت الجهات العلمية المسؤولة في الولايات المتحدة الأمريكية بتمويل أبحاث عام ١٩٨٧ م بعد انتشار دورات تطوير القدرات تحت مظلة (تحسين الأداء البشري)، وتكونت لجنة من كل من الأكاديميات القومية للعلوم والهندسة والطب والبحث العلمي، وعُهد لمجموعات مختلفة بمراجعة البحوث حسب الإجراءات المعتمدة لدى أكاديميات البحوث الأربع، وانتهت الدراسة إلى «أنه ليس هناك شواهد علمية لدعم الادعاء بأن الـ NLP[(١)] استراتيجية فعالة للتأثير على الآخرين، وليس هناك تقويم للـ NLP كنموذج لأداء الخبير»، وبعد سنوات تتابعت تقارير اللجان العلمية والأكاديمية على تأكيد نفس النتيجة[(٢)].

رابعًا: الحكم الشرعي في هذه الأسباب المزعومة للسعادة وتطوير الذات وأمثالها يتبين في قاعدة جامعة، وهي: أن اتخاذ أي سبب لجلب نفع أو دفع ضر لا بد لجوازه من تحقق أحد أمرين: إما ثبوت نفعه شرعًا، أو ثبوت نفعه تجربة وحسًّا، مع تعلق القلب بالرب جل وعلا، وقطع التعلق بالأسباب، واعتقاد أنها مجرد وسيلة، فإن كان لم يثبت نفعه بالشرع أو التجربة فاتخاذه حينئذٍ وسيلة للسعادة من الشرك.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وطريق العلم بأن الشيء سبب:**

❁ إما عن طريق الشرع، وذلك كالعسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾ [النحل: ٦٩]، وكقراءة القرآن؛ فيها شفاء للناس، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

❁ وإما عن طريق القدَر، كما إذا جربنا هذا الشيء فوجدناه نافعًا في هذا

= وإجابات حول أبرز التطبيقات للمذاهب الباطنية الروحية المعاصرة.

(١) هي اختصار للبرمجة اللغوية العصبية.

(٢) مهمة جادة للتأكد من صحة ادعاءات البرمجة، د. فوز كردي (ص٧٧-٧٨)، ضمن كتاب: مقالات وأسئلة وإجابات حول أبرز التطبيقات للمذاهب الباطنية الروحية المعاصرة.

الألم أو المرض، ولكن لا بد أن يكون أثره ظاهرًا مباشرًا»[(١)].

❋ أما إذا تعلق بسبب وهو ليس بسبب قدرًا ولا شرعًا، كلبس الحلقة[(٢)]، والخيط، والتميمة، ونحوها؛ فإن اعتقد أن هذه المعلقات أو الملبوسات هي الواقية الشافية بذاتها فهذا شرك أكبر، شرك في الربوبية، حيث اعتقد شريكًا مع الله في الخلق والتدبير، وشرك في الألوهية، حيث تعلق قلبه طمعًا ورجاء بغير الله.

❋ أما إذا اعتقدها سببًا لرفع البلاء، فقد جعل ما ليس سببًا شرعيًّا ولا قدريًّا سببًا، فهذا شرك أصغر؛ لأنه وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو مخالفة للشرع ومناقضة للعقل؛ لأن الشرع ينهى عن ذلك، والعقل الصريح ينكره، وأما القدر فليس هذا من الأسباب التي يحصل بها المقصود، فهو أراد رفع القدر المكتوب بغير الله[(٣)].

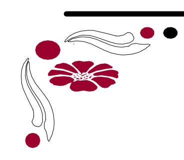
وقد سبق بيان ذلك مفصلًا بأدلته في مبحث التمائم.



(١) القول المفيد (١/ ١٦٥).

(٢) **الحلقة:** هي كل شيء استدار من صُفرة ونحوها (حاشية كتاب التوحيد ص: ٧٤).

(٣) انظر: القول المفيد (١/ ١٦٥).




ملخص الفصل الثاني

تبين من خلال دراسة هذا الفصل ما يلي:

❑ **الشرك بالله:** أن تجعل لله تعالى نِدًّا، والند هو المثيل والنظير، فكل من أشرك بالله في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، فقد جعل لله ندًّا ومثيلًا ونظيرًا.

❑ **الشرك ثلاثة أنواع:** ١- شرك في الربوبية، وهو إثبات فاعل مستقل غير الله، كمن يجعل الحيوان مستقلًّا بإحداث فعله، ٢- شرك في الإلهية، وهو عبادة غير الله تعالى. ٣- شرك في الأسماء والصفات، وهو إثبات شيء مما اختص الله به من الأسماء والصفات لغيره.

❑ **ينقسم الشرك في الألوهية إلى نوعين:** ١- شرك أكبر ينقل عن الملة، ٢- شرك أصغر لا ينقل عن الملة، وزاد بعضهم قسمًا ثالثًا سماه: (الشرك الخفي)، **والتحقيق:** أن الشرك الخفي ليس نوعًا مستقلًّا بنفسه، بل قد يكون أكبر، وقد يكون أصغر، فهو مندرج تحتهما.

❑ **الشرك الأكبر:** هو أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كما يحب الله ويرجوه ويخافه، أو يصرف له أي نوع من أنواع العبادة.

❑ **الشرك الأصغر:** كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا كالحلف بغير الله ويسير الرياء.

❑ **ضوابط تمييز الشرك الأصغر من الأكبر في النصوص كثيرة، منها:** ١- النص الصريح عليه، ٢- أن يأتي منكَّرًا غير معرَّف، ٣- الاستدلال بفهم الصحابة من النص، فهم أعلم الأمة بمعاني نصوص الكتاب والسنة، ٤- أن يدل

السياق على أنّ المراد به ما دون الشرك الأكبر.

❑ **الشرك الأصغر له صور كثيرة، يمكن حصرها فيما يلي: ١- شرك قولي:** وهو ما كان باللسان، **ومثاله:** الحلف بغير الله. **٢- شرك عملي:** وهو ما كان بأعمال الجوارح، **ومثاله:** التطير (إذا لم يعتقد تأثيرها بذاتها). **٣- شرك قلبي: ومثاله:** يسير الرياء، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا.

❑ اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الشرك الأصغر لا يخرج من الملة، لكنه يُنقص التوحيد، ولا يخلد صاحبه في النار، واختلفوا هل لا يغفر الله له شركه إن مات عليه، بل يعاقب عليه وإن دخل بعد ذلك الجنة؟ أو هو تحت مشيئة الله كسائر الكبائر؟ على قولين.

❑ **الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر: ١-** الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة (على خلاف)، **٢-** الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه، **٣-** الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها، **٤-** الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار، وأما الأصغر فلا يخلد صاحبه في النار، **٥-** الشرك الأكبر لا يعامل صاحبه معاملة المسلمين؛ فلا يرث ولا يورث، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، وأما الشرك الأصغر فصاحبه يعامل معاملة المسلمين.

❑ **من أشهر شبهات المشركين:** شبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد، وأنهم ورثوا هذه العقيدة خلفًا عن سلف، وكذلك ظنهم أن مجرد النطق بـ«لا إله إلا الله» يكفي لدخول الجنة، ولو فعل الإنسان ما فعل؛ فإنه لا يكفر، وقولهم: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله؛ لأنهم أهل صلاح ومكانة عند الله، وغير ذلك من الشبهات. وقد أبطل القرآن الكريم هذه الشبهات، وجاءت السنة النبوية بتقرير وتأكيد ما جاء في القرآن.

❑ **من مظاهر الانحراف في توحيد الألوهية:** **١-** الذبح لغير الله، **٢-** النذر لغير الله، **٣-** ودعاء غير الله، **٤-** الاستعاذة بغير الله، **٥-** الاستغاثة بغير الله، **٦-** شرك المحبة، **٧-** شرك الخوف، **٨-** شرك الرجاء، **٩-** شرك الرياء، **١٠-** إرادة الإنسان بعمله الدنيا، **١١-** شرك الطاعة، **١٢-** شرك الطواف، **١٣-** الحلف بغير الله، **١٤-** الشرك في الألفاظ.

❑ **السحر:** عزائم ورقى وعقد تؤثر في الأبدان، والقلوب، فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، وغير ذلك، **والسحر نوعان:** **١-** سحر الحقيقة، **٢-** سحر التخييل، وأما حكمه؛ فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر، وإلا فلا، وإذا أتى الساحر في سحره بمكفر قتل لردته حدًّا، وإن ثبت أنه قتل بسحره نفسًا معصومة قتل قصاصًا، وإن لم يأتِ في سحره بمكفر ولم يقتل نفسًا ففي قتله بسحره خلاف.

❑ **النشرة حل السحر عن المسحور**، فإن كان بالقرآن والرقى الشرعية فهو مشروع، وإن كان بالاستعانة بالشياطين والجن فهو شرك، وإن كان بما لا يفهم معناه فهو محرم.

❑ **الكهانة:** ادعاء علم الغيب، والكاهن هو الذي يخبر عما يكون في المستقبل، والعرَّاف هو الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها، كالمسروق من الذي سرقه، ومعرفة مكان الضالة، وسؤال الكاهن أو العراف سؤالًا مجردًا عن تصديقه فيما يقول محرم، فإن صدقه كفر، وإن سأله امتحانًا ليظهر كذبه وعجزه فهو جائز، وقد يكون واجبًا.

❑ **التنجيم:** الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، **وعلم التنجيم نوعان:** **١-** مباح، وتعلمه فضيلة، ويسمى علم التسيير.

٢- محظور، وتعلمه محرم، ويسمى علم التأثير.

❑ الجن أجسام عاقلة خفية لطيفة لا يعلم كيفيتهم إلا الله تعالى، ووجوب الإيمان بوجودهم ثابت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واتفاق سلف الأمة

وأئمتها، وخلقوا من نار.

❑ **للجن صفات كثيرة وردت في الكتاب والسنة، ومن أهمها:** ١- أنهم يتشكلون في صور مختلفة، ٢- أنهم يرون الإنس، والإنس لا يرونهم في صورهم الحقيقية، ٣- أنهم يأكلون ويشربون، ٤- أنهم يتناكحون ويتناسلون، ٥- أن لهم قدرات وأعمالًا خارقة للعادة، ٦- أنهم مكلفون.

❑ **يظهر ضعف الجن وعجزهم من خلال ما يلي:** ١- ما أخبرنا الله به جل وعلا من ضعف كيدهم، ٢- ما جاء في السنة من أنه يضعف ويخنس إذا ذكر العبد ربه، ٣- أنه ليس له سلطان إلا على من اتبعه من الغاوين، ٤- خوف الشيطان من عباد الله الصالحين، ٥- عجزهم عن الإتيان بالمعجزات، ٦- لا يستطيعون أن يتمثلوا بالرسول ﷺ في الرؤيا، ٧- لهم حدود معينة لا يستطيعون تجاوزها.

❑ **الجن أصناف مختلفة، فهم من حيث تشكلهم ثلاثة أصناف:** ١- صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، ٢- وصنف حيَّات وكلاب، ٣- وصنف يحلون ويظعنون، ومن حيث قدرتهم؛ فيهم الضعفاء وفيهم الأقوياء، ومن حيث دينهم وصلاحهم؛ فيهم المؤمن والكافر والصالح والفاسد.

❑ **الجن والشياطين اسمان لمسمى واحد والفرق بينهما من وجهين:** ١- باعتبار الإيمان والكفر، فلا يطلق لفظ الشيطان إلا على الكافر منهم، بخلاف لفظ الجن فيدخل فيه المؤمن والكافر. ٢- باعتبار الإطلاق، فيطلق لفظ الشيطان على الأشرار من الجن والإنس، بخلاف لفظ الجن فيختص بهم.

❑ **طرق الاحتراز من الجن ما يلي:** ١- الإخلاص لله، ٢- قراءة القرآن، ٣- ذكر الله تعالى، ٤- الاستعاذة بالله، ٥- لزوم جماعة المسلمين.

❑ **تلبس الجن بالإنس:** هو دخول الجني بدن الإنسي وتأثيره عليه بدنيًّا أو عقليًّا أو نفسيًّا، وأنكره طائفة من المعتزلة، ودلائل الكتاب والسنة مصرحة ببطلان قولهم.

❑ **للاستعانة بالجن صور متعددة:** ١- أن يستعين بهم كالإنس في أمر لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك بالإجماع، ٢- الاستعانة بهم في أمور محرمة دون الشرك، كالتسبب في أذى آدمي مسلم من أكل ماله أو إزهاق روحه، فهذا من الكبائر، وهو من التعاون على الإثم والعدوان، ٣- أن يستعمل الإنس الجن في طاعة الله تعالى بأن يأمرهم بما أمر الله به ورسوله، فهذا مشروع، ٤- الاستعانة بهم في أمور مباحة، وبأسباب مباحة، فهذا فيه خلاف بين أهل العلم على قولين، والراجح هو القول بالتحريم، وقد ينفع الجني الإنسي دون طلب منه، فيكون معونة وليس استعانة.

❑ **التطير:** هو التشاؤم عند سماع شيء أو رؤيته، وهو من عمل أهل الجاهلية، فإن اعتقد أنها تنفع وتضر بذاتها كان شركًا أكبر، وإن اعتقد أنها سبب كان محرمًا ووسيلة إلى الشرك.

❑ **التمائم**: كل ما علق لدفع العين وغيرها من أي شيء كان، فإن علقها معتقدًا أنها سبب فهو شرك أصغر؛ لأنه جعل ما ليس بسببٍ شرعًا ولا تجربة سببًا، وإن اعتقد أنها تنفع بذاتها فهو شرك أكبر، أما التمائم التي تكون من القرآن أو من الأدعية المأثورة فقد اختلف أهل العلم في تعليقها، والصحيح التحريم لعموم الأدلة المانعة، وسدًّا للذريعة.

❑ **الرقى: كل ما يقرأ على المريض للشفاء، وحكمها يختلف باختلاف أنواعها، وهي ثلاثة أنواع:** ١- رقى شركية، كالرقية بأسماء الشياطين. ٢- رقى بدعية، كالرقية بما لا يفهم معناه. ٣- رقى شرعية، وهي ما كان بالقرآن والأدعية المشروعة مع اعتقاد أنها سبب من الأسباب، وأن الشافي هو الله تعالى، أما كتابة آيات قرآنية ووضعها في ماء ثم شربه للاستشفاء، فالأصل فيه الجواز، لكثرة عمل السلف به.

❑ **الوسيلة في القرآن معناها**: التقرب إلى الله بطاعته، وأما التوسل بالنبي ﷺ في كلام الصحابة رضي الله عنهم فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته، وأما التوسل به

ﷺ في عرف كثير من المتأخرين فيراد به: الإقسام والسؤال به، كما يقسمون ويسألون بغيره من الأنبياء والصالحين، ومن يعتقدون فيه الصلاح.

❑ **التوسل قسمان:** ١- توسل مشروع، ٢- وتوسل ممنوع. **فالمشروع:** هو التوسل إلى الله بما شرعه الله ورسوله ﷺ، ومنه: التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، والتوسل إلى الله بأعمال صالحة معينة عملها العبد، والتوسل بدعاء الصالحين، **والممنوع:** هو التوسل إلى الله بما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ، **وهو ينقسم إلى أربعة أقسام:** ١- التوسل بذات المخلوق، فيدعو المخلوق أو يستغيث به -سواء كان النبي ﷺ أو غيره- فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا شرك. ٢- أن يطلب من الميت أن يدعو الله له، أو يشفع له عند الله، وهو شرك أيضًا. ٣- التوسل بجاه المخلوق، سواء كان النبي ﷺ أو غيره، وهو بدعة مذمومة. ٤- الإقسام على الله بالمتوسل به، وهو محرم.

❑ **التبرك قسمان:** ١- مشروع، ٢- ممنوع، **والتبرك الممنوع ينقسم إلى قسمين:** ١- تبرك شركي: وهو أن يعتقد المتبرِّك أن المتبرَّك به -وهو المخلوق- يهب البركة بنفسه، فيبارك في الأشياء بذاته استقلالًا. ٢- تبرك بدعي: وهو التبرك بما لم يرد دليل شرعي يدل على جواز التبرك به، معتقدًا أن الله جعل فيه بركة، أو التبرك بالشيء الذي ورد التبرك به في غير ما ورد في الشرع التبرك به فيه، وهذا بلا شك محرم؛ لأن فيه إحداث عبادة لا دليل عليها.

❑ **التبرك بآثار رسول الله ﷺ فيه تفصيل:** ١- التبرك بأعضاء جسده الشريف، وهو جائز لفعل الصحابة رضي الله عنهم وإقرار النبي ﷺ لهم، ٢- التبرك بآثار رسول الله ﷺ المنفصلة عن جسده الشريف، يعني: التبرك بما مس جسده وانفصل عنه من وَضوء أو عرق أو شعر ونحو ذلك، فهذا جائز لفعل الصحابة رضي الله عنهم مع إقرار النبي ﷺ لذلك، ٣- التبرك بآثاره المكانية، كحجرته ومنبره والمواطن التي نزل بها كغار حراء وغار ثور، فلا يشرع التبرك بها، ٤- التبرك

الأسمى والأعلى يكون باتباع شريعته ﷺ والتمسك بسنته والاهتداء بهديه.

❑ **العيد:** اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، **والأعياد قسمان:** ١- أعياد شرعية: وهي عيد الأضحى وعيد الفطر، وعيد أسبوعي، وهو يوم الجمعة، ٢- أعياد بدعية: وهي موافقة الكفار في أعيادهم، أو إحداث أعياد لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ.

❑ **البرمجة اللغوية العصبية:** هي تقنية نفسية تعمل على تغيير هيكلة التفكير والسلوك من خلال تأثير اللغة والألفاظ على التكوين العصبي للإنسان، وهي من أشهر برامج التدريب الوافدة، وأولها دخولًا إلى العالم العربي والإسلامي، وهي تدريبات مقتبسة من خليط من العلوم والفلسفات والاعتقادات والممارسات.

❑ **قانون الجذب** هو القانون الذي عن طريقه يجذب الإنسان إلى حياته كل ما يُكرس له انتباهه وطاقته وتركيزه، سواء كان سلبيًّا أو إيجابيًّا.

❑ **المشي على الجمر:** هي مشي المتدربين حفاة على جمر ملتهب لمحاولة التحرر من إسار العقل المانع من انطلاق الخيال والقوى الكامنة، والتأكيد على مبدأ انعدام المستحيل، فيدخل المتدرب في حالة من الحماس والاندفاع، فيمشي على الجمر وهو يردد: النار باردة، النار باردة، وأصل تدريب المشي على الجمر مأخوذ من الديانات الشرقية.

❑ **الطاقة الكونية:** هي طاقة فلسفية يعتقد أصحاب الديانات الشرقية أنها سبب وجود كل شيء، وهي جوهر كل شيء، وهي مانحة السعادة والحكمة والصحة، وأنه يمكن للإنسان التدرب على كيفية استمدادها والاتحاد معها، من أجل تحصيل السعادة والحكمة والصحة.

❑ **الاستشفاء بالألوان:** يستخدم وسيلة لتحقيق الهدف الأول للفلسفة الشرقية، فاللون وسيلة للاتحاد بالكلي الذي هو أصل كل شيء في اعتقادهم، ويتم العلاج بالألوان كتطبيق علاجي عن طريق اكتشاف المعالج اللون

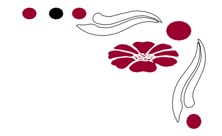
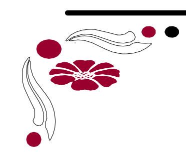
المناسب للمريض، والذي فيه سر شفائه أو سعده.

❑ **الاستشفاء بالأحجار الكريمة:** هو أحد فروع الطب البديل، حيث يدعي أهل هذا العلاج بأن الأحجار الكريمة والبلورات لها خصائص سرية تحسن صحة البدن والنمو الروحي والاستقرار النفسي، وبحسب الناحية النفسية تحدد الأحجار المناسبة.

❑ **العلاج بخط الزمن:** ممارسة من ممارسات البرمجة اللغوية العصبية، التي يدعي مخترعوها أنها طريقة معالجة تمكن من معالجة الإنسان من الأمراض النفسية ومحو مسبباتها بطريقة سريعة تعتمد على التعامل مع الذاكرة وفهم طريقة تخزين المعلومات فيها.

❑ هذه البرامج السابقة هي في أصلها مستمدة من فلسفات ديانات الشرق؛ من البوذية والطاوية والهندوسية وغيرها، بما تحمله من فكر الخرافة والوهم والطقوس والمعتقدات المنحرفة، فلا يجوز المشاركة فيها، ولا الدعوة إليها ونشرها، بل يجب التحذير منها.



أسئلة تطبيقية

س١: عرف الشرك الأصغر، واذكر حكمه، مع ذكر ضوابط التمييز بين الشرك الأكبر والأصغر، وما هي الفروق بين الشرك الأكبر والأصغر؟

س٢: من شبهات عباد القبور دعواهم أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكيف ترد عليهم؟

س٣: ما حكم الذين أطاعوا رؤساءهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله؟ بين ذلك مفصلًا.

س٤: ما حكم الشرع في السحر؟ وما عقوبة الساحر؟ وما هي سبل الوقاية من السحر؟

س٥: عرف التبرك لغة واصطلاحًا، وما هي أقسامه؟ وما حكمه شرعًا؟ موضحًا حكم التبرك بآثار الصالحين.

س٦: عرف المصطلحات التالية: (الطيرة، النشرة، التمائم)، واذكر حكمها تفصيلًا.

س٧: ما الفرق بين السحر والكهانة والعرافة والتنجيم؟ وما حكمها؟

س٨: أنكر طائفة من المعتزلة دخول الجن في بدن المصروع. فكيف ترد عليهم؟

س٩: للاستعانة بالجن صور متعددة، اذكرها مع بيان حكمها بإيجاز.

س١٠: التوسل في عرف الصحابة غير التوسل في عرف كثير من المتأخرين. وضح ذلك، ثم اذكر أقسام التوسل الممنوع.

س١١: انتشرت في عدد من البلدان دورات البرمجة اللغوية العصبية، فما المراد بها؟ وما موقف الإسلام منها؟

س١٢: علل ما يأتي:

١- الشرك الخفي ليس نوعًا مستقلًّا بنفسه.

٢- الاستغاثة قد تكون شركًا وقد تكون جائزة.

٣- النذر لغير الله تعالى قد يكون شركًا أكبر أو أصغر.

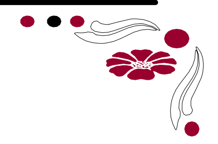
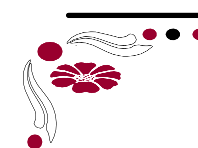
٤- الراجح تحريم تعليق التمائم وإن كانت من القرآن.

٥- الاستشفاء بالألوان والأحجار خرافة.





فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة



دراسات

في علم العقيدة

الجزء الثالث

الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر

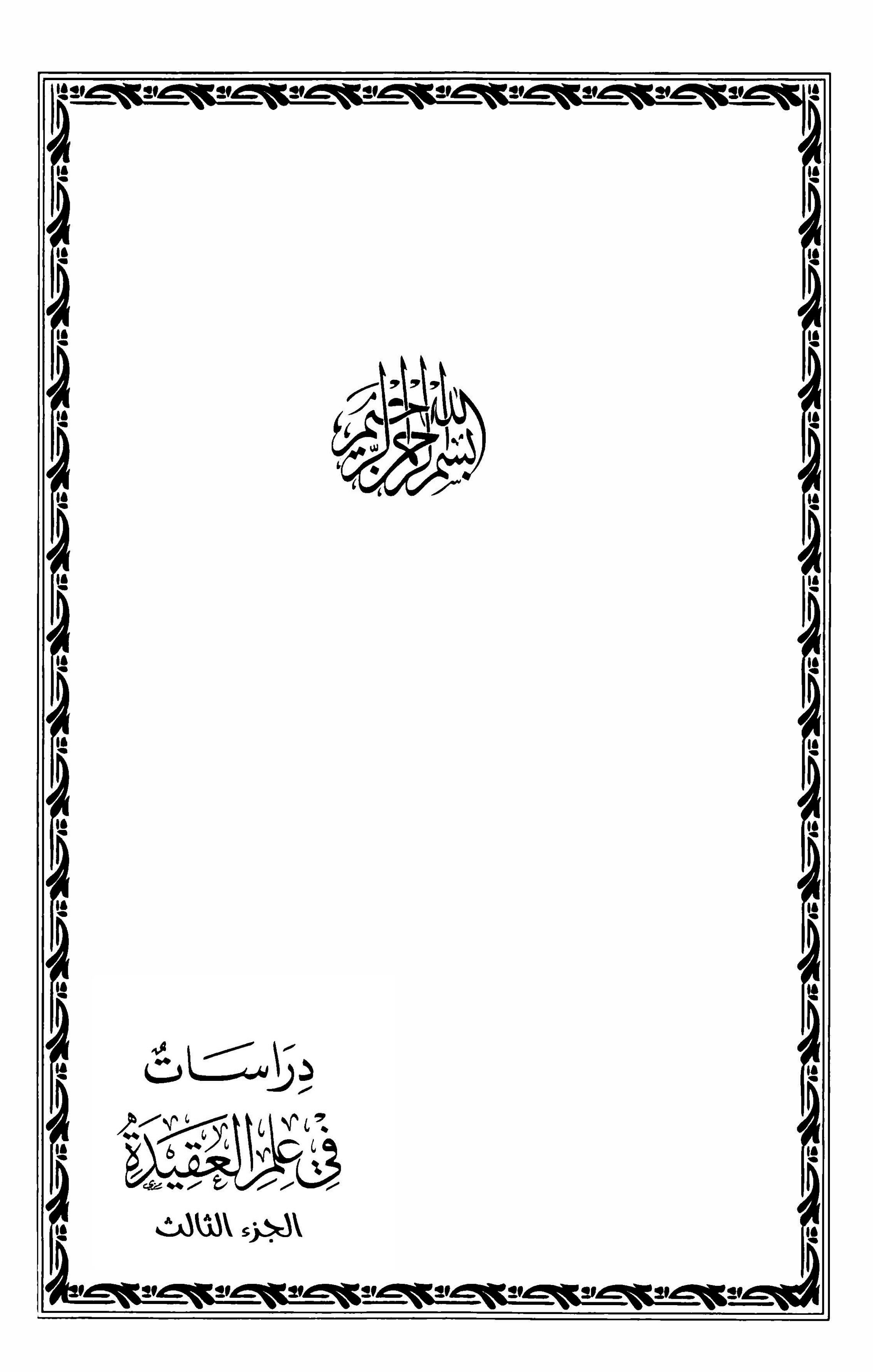
تأليف

أ. د. ناصر بن عبد الله القفاري

جامعة القصيم كلية الشريعة والدراسات الإسلامية






بسم الله الرحمن الرحيم
دراسات
في علم العقيدة
الجزء الثالث



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القفاري، ناصر بن عبد الله.
دراسات في علم العقيدة/ ناصر بن عبد الله القفاري - الرياض، ١٤٤٢هـ.
٤ مج.
ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)
١- العقيدة الإسلامية. أ- العنوان.
ديوي: ٢٤٠ ١٤٤٢/٦٩٦٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٦٩٦٩ ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م



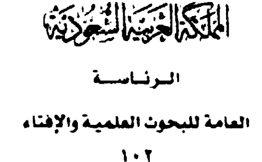
دار العقيدة للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف 0503310067

المملكة العربية السعودية

الرئاسة

العامة للبحوث العلمية والإفتاء

١٠٢



الرقم : ....

التاريخ : ....

المشفوعات : ....

الموضوع : ....

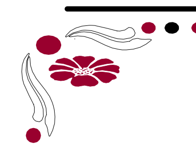
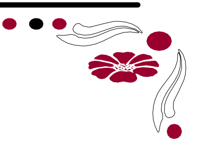
الحمد لله . والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد : فقد اطلعت على كتاب (دراسات في علم العقيدة) بأجزائه الأربعة لفضيلة الدكتور : ناصر بن عبدالله القفاري الأستاذ بجامعة القصيم . فوجدته كتابا جيدا مفيدا في موضوعه يجدر بكل طالب علم الاطلاع عليه . فجزاه الله خير الجزاء ونفع بعلمه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

٢/٦/١٤٤١هـ

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. **وبعد:**

فهذا هو الجزء الثالث من سلسلة «دراسات في علم العقيدة»[١] وُضِعَ وَفْق الخطة الدراسية لتخصص الشريعة والدراسات الإسلامية الموافقة للمعايير الأكاديمية لمحتوى برامج الشريعة في مؤسسات التعليم العالي المعتمد في الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي.

وهذه الدراسة -كسابقاتها- تعتمد في نصوصها ومادتها - أولًا - على الكتاب والسنة؛ لأن الاعتقاد لا يؤخذ إلا عن الله ورسوله ﷺ، ثم الرجوع إلى ما قرره سلف الأمة وأئمتها؛ لأن علمهم قبسٌ من مشكاة النبوة، فهم أقرب لعصر التنزيل، وأعلم الأمة بالتأويل، وقد عمدت إلى نقل نصوصهم بحروفها؛ ليتعود الطالب على فهم كلامهم، ولأن كلام السابقين قليل اللفظ كثير البركة.

وقد أكرر النقل عن أهل العلم في المسألة الواحدة؛ ليكون أدعى إلى تصورها وتثبيتها من خلال تعدد أقوال الأئمة في المعنى الواحد بألفاظ

(١) وقد طبع سابقًا باسم (محاضرات في العقيدة).

مختلفة.

وهذه الدراسة مقصورة على مسائل عقدية مهمة، تتعلق ببعض أركان الإيمان الستة، **وهي**: الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر.

وكان من أهداف هذا المقرر بيان حقيقة الإيمان بهذه الأركان، ودراسة أهم المسائل المتعلقة بها، مع الاعتماد على الدليل من الكتاب والسنة، لتثبيت الإيمان في القلوب، وتقريره في النفوس، بعيدًا عن لوثات أهل الكلام، مع نقل كلام أئمة أهل السنة المحققين، والتعرض لمقالات وعقائد المخالفين، مع بيان بطلانها.

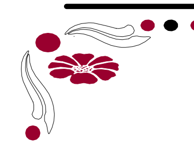
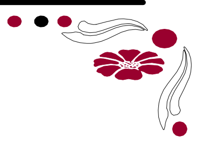
والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصًا، ولسنة نبيه موافقًا، ولعباده نافعًا.

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري
n0380@hotmail.com



الفصل الأول

الإيمان بالملائكة

الفصل الأول

۞ **ويشتمل على ما يلي:**

١- تعريف الملائكة، ومفهوم الإيمان بهم.

٢- حكم الإيمان بالملائكة، وحكم إنكارهم.

٣- الأدلة على الإيمان بالملائكة.

٤- أصناف الملائكة ووظائفهم.

٥- صفات الملائكة وأدلة ذلك.

٦- ثمرات الإيمان بالملائكة.





المبحث الأول

تعريف الملائكة، ومفهوم الإيمان بهم

۞ أولًا: تعريف الملائكة:

الملائكة لغة: جمع ملك، وأصله من: ألك بمعنى: أرسل، وألكني: أرسلني، وهو مشتق من الألوكة، والمألُكة، وهي: الرسالة، وألَكه يألِكه ألْكًا: أبلغه الألُوك؛ أي: الرسالة(١).

والملائكة اصطلاحًا: هم رسل الله في تنفيذ أمره الكوني، وتبليغ أمره الديني، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اسم (الملائكة)، و(الملَك) يتضمن أنهم رسل الله، كما قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١]، وكما قال: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات: ١]؛ فالملائكة: رسل الله في تنفيذ أمره الكوني؛ الذي يدبر به السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وكما قال: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وأمره الديني(٢)؛ الذي تنزل به الملائكة، فإنه قال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٠/ ٣٩٣)، النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (١/ ٦١)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (١/ ٢٤).

(٢) أي: وتبليغ أمره الديني.

فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]»[(١)].

واختار هذا التعريف الإمام ابن أبي العز الحنفي، فقال: «لفظ الملَك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسِله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله للواحد القهار، وهم ينفذون أمره ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٧، ٢٨]»[(٢)].

۞ ثانيًا: مفهوم الإيمان بالملائكة:

مفهوم الإيمان بالملائكة يشمل أمورًا أربعة، وهي: الإيمان بوجودهم، وأسمائهم، وصفاتهم، وأعمالهم[(٣)]، **وبيانها كما يلي**[(٤)]:

الأول: الإيمان بوجودهم:

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، كما سيأتي.

فنؤمن بوجودهم وأن عددهم لا يعلمه إلا الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [المدثر: ٣١]، وفي حديث الإسراء: «**...فرفع لي البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...**» متفق عليه. وفي الحديث: «**إنِّي أرَى ما لا ترَونَ، وأسمعُ ما لا تسمَعون، أَطَّتِ السماءُ وحق لها أن تَئِطَّ؛ ما فيها موضِعُ أربعِ أصابعَ إلا ومَلَكٌ واضِعٌ جبهَتَهُ لله ساجدًا**»[(٥)].

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ١١٩).

(٢) شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢/ ٤٠٧)، وانظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (٢/ ١٢٧)، معارج القبول، لحافظ حكمي (٢/ ٦٥٦).

(٣) انظر: تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي (١/ ٣٩٣)، شعب الإيمان، للبيهقي (١/ ٢٩٦).

(٤) انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية، لابن عثيمين (ص٤٢) ضمن كتاب: الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح٢١٥١٦)، والترمذي في سننه (ح٢٣١٢) وحسَّنه، =

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الذي في الكتاب والسنة من ذكر الملائكة وكثرتهم أمر لا يحصر»(١).

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه:

كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك، ومن لم نعلم أسماءهم نؤمن بهم إجمالًا.

فأما أسماء من علمنا من الملائكة فهم:

١- جبريل:

ومعنى جبريل: عبد الله(٢)، وقد وصفه الله جل جلاله بأنه ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]؛ أي: شديد القوة الظاهرة والباطنة، ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم: ٦]؛ أي: قوة وخلق حسن وجمال ظاهر وباطن.

ووصفه الله بأنه: ﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]، فوصفه الله بالكريم لكرم أخلاقه، فهو أفضل الملائكة، وأعظمهم رتبة عند ربه، وأنه ذو قوة على ما أمره الله به، ومن قوته: أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم. ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي: مقرب عند الله له منزلة رفيعة. ﴿مَكِينٍ﴾؛ أي: له مكانة ومنزلة فوق منازل الملائكة كلهم. ﴿مُّطَاعٍ﴾؛ أي: مطاع في الملأ الأعلى لديه من الملائكة المقربين جنود. ﴿أَمِينٍ﴾؛ أي: ذي أمانة، فيقوم بما أمره الله به، ولا يتعدى ما أمر به(٣).

ويسمى أيضًا (الروح)، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧] يعني: جبريل عليه السلام(٤)، وقال سبحانه: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ [القدر: ٤].

= والحاكم في المستدرك (ح٨٧٢٦) وصححه، ووافقه الذهبي.

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٢٠).

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/ ١١٩).

(٣) انظر: تفسير السعدي (ص٩١٢). (٤) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢١٩).

٢- ميكائيل:

ومعنى ميكائيل: عبيد الله[(١)].

وقد ورد ذكره في كتاب الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾ [البقرة: ٩٨].

❑ وفي السنة من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته فقال: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض...**»[(٢)]، كما ورد ذكره في أحاديث أخر.

٣- إسرافيل:

لم يرد ذكر (إسرافيل) في القرآن، وإنما جاء ذكره في السنة من حديث عائشة السابق: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[(٣)].

قال ابن القيم: «فتوسل إليه سبحانه بربوبيته العامة والخاصة لهؤلاء الأملاك الثلاثة الموكلين بالحياة؛ فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم[(٤)]، فسأله رسوله بربوبيته لهؤلاء أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه؛ لما في ذلك من الحياة النافعة»[(٥)].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير (١/ ١١٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (ح٧٧٠).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سيأتي الكلام عن هذه المسألة في فصل (الإيمان باليوم الآخر).

(٥) إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٨).

٤- مالك:

وهو اسم خازن النار، وقد ورد ذكره في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

وفي السنة من حديث سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي ﷺ: «**رأيتُ الليلةَ رجلينِ أتياني، قالا: والذي يُوقِدُ النارَ مالكٌ خازنُ النارِ، وأنا جبريلُ، وهذا ميكائيلُ**»(١).

٥- هاروت وماروت:

وقد ورد ذكرهما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقد اختلف العلماء فيهما: هل هما بشران؟ أم ملكان؟

قال الحافظ ابن كثير: «وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء، وأنهما أنزلا إلى الأرض، فكان من أمرهما ما كان»(٢).

وقال العلامة ابن باز: «والأظهر: أنهما ملكان نزلا ابتلاءً وامتحانًا، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾، وقال بعض أهل العلم: إنهما مَلِكان من بني آدم ابتُلِيَ الناس بهما، والقول الأول هو الأظهر، والقراءة على هذا في القول الأول بفتح اللام، وعلى القول الثاني بكسرها»(٣).

٦- منكر ونكير:

جاء في «الصحيح» عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**العبدُ إذا وضعَ في قبرهِ وتَوَلَّى وذهبَ أصحابهُ، حتى إنه ليسمعُ قرعَ نِعالِهِم، أتاهُ ملكانِ فأقعداهُ...**» الحديث(٤). ولم يذكر فيه اسم الملَكين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٣٢٣٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٢).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ١١٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (ح١٣٣٨)، ومسلم في صحيحه (ح٢٨٧٠).

لكن وردت تسمية الملكين الموكلين بسؤال القبر بأن أحدهما منكر والآخر نكير في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قُبِرَ الميتُ** (أو قال: **أحدكم) أتاهُ ملكانِ أسودانِ أزرقانِ، يقال لأحدهما: المنْكرُ، والآخر: النكِيرُ**...» الحديث[(١)]، وهو حديث حسن كما قال الألباني[(٢)].

وهما منكران؛ لأن الميت لا يعرفهما، لا لأنهما منكران في ذواتهما، كما نبه عليه المُنَاوي[(٣)]، والمباركفوري[(٤)].

وللملائكة ألقاب عامة، منها:

١- **الملأ الأعلى:** قال تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الصافات: ٨]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩﴾ [ص: ٦٩]، قال القرطبي: «الملأ الأعلى هم الملائكة»[(٥)].

٢- **جنود الرب:** قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، «يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدتهم إلا الله»[(٦)]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ [الأحزاب: ٩]، قال الشوكاني: «والمراد بقوله: ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ﴾: الملائكة. قال المفسرون: بعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب»[(٧)].

٣- **الأشهاد:** قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي

(١) أخرجه الترمذي في سننه (ح١٠٧١)، وحسنه.
(٢) صحيح الترمذي (ح١٠٧١).
(٣) انظر: فيض القدير، للمناوي (٢/ ٣٧٢).
(٤) انظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري (٤/ ١٥٥).
(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٢٦).
(٦) تفسير البغوي (٨/ ٢٧١).
(٧) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٠٥).

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، قال مجاهد: «الأشهاد: الملائكة»(١)، ويشاركهم في هذا الاسم غيرهم، كما قال سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم:

وللملائكة صفات كثيرة في الكتاب والسنة، تدل على عِظَم خلقهم وجليل منزلتهم، كما سيأتي في المبحث الرابع.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى:

وللملائكة أعمال كثيرة في الكتاب والسنة، منها ما نعلم ومنها ما لا نعلم، وسيأتي الحديث تفصيلًا عن وظائفهم وأعمالهم في المبحث الرابع.



(١) تفسير مجاهد (ص٣٨٦)، وقيل: الأشهاد: الخلائق، وقيل: الأنبياء. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٧).



المبحث الثاني

حكم الإيمان بالملائكة، وحكم إنكارهم

❋ الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، فلا يصح إيمان العبد إلا به، فمن أنكر وجود الملائكة بعد قيام الحجة؛ كفر، فقد قرن الله الكفر بالملائكة بالكفر به، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

❋ والإيمان بالملائكة من البر، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

❋ والإيمان بهم من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

❋ والكفر بهم من الضلال البعيد، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

❋ والتعرض لهم، أو التنقص من مقامهم لا يصدر إلا ممن لا يؤمن بالآخرة، قال - جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٢٧].

❋ وكل من عاداهم أو عادى أحدًا منهم، فقد عادى الله - جل وعلا: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨].



المبحث الثالث

الأدلة على الإيمان بالملائكة

كل آية ذُكر فيها الملائكة، فهي دليل على وجوب الإيمان بهم.

قال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]، وقال: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقال: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: ٣٨].

قال ابن القيم: «لا تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر الملائكة تصريحًا، أو تلويحًا، أو إشارة»(١).

وقال ابن أبي العز: «والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، وبراءتهم من

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٣١).

الذنوب، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو، والطهارة والقوة والإخلاص»[(١)].

وكما جاءت الآيات في ذكر الملائكة، فقد استفاض مثله في السنة المطهرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وما في القرآن والأحاديث وكلام السلف من ذكر الملائكة وأحوالهم يفوق الإحصاء»[(٢)].

وأجمع المسلمون على أن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان، وأن «الملائكة من الأعيان لا من الأعراض، فهي من المخلوقات باتفاق المسلمين، وليس بين أهل الملل خلاف في أن الملائكة جميعهم مخلوقون»[(٣)].



(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٠٩-٤١٩)، وانظر: إغاثة اللهفان (٢/ ١٣١).
(٢) الرد على المنطقيين، لابن تيمية (ص٤٩٨).
(٣) انظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لابن تيمية (ص٢٣٢).



المبحث الرابع

أصناف الملائكة ووظائفهم

۞ أولًا: أصناف الملائكة:

١- **الزبانية:** وهم ملائكة العذاب[١]، قال تعالى: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ [العلق: ١٨]، مأخوذ من الزَّبْن وهو الدفع، قال ابن عباس: يريد زبانية جهنم، سموا بها؛ لأنهم يدفعون أهل النار إليها[٢].

٢- **المعقبات:** قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]؛ وذلك لأنهم يتعاقبون في الليل والنهار على العبد. قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه؛ حرس بالليل، وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات»[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم، وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون**»[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٨).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٨١).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٧).

(٤) سبق تخريجه.

٣- **الحفظة:** كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]؛ لأنهم يحفظون بني آدم بأمر الله.

٤- **السفرة:** كما قال تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥﴾ [عبس: ١٥]، «وهم الملائكة الذين هم السفراء بين الله وبين عباده»(١).

٥- **الكروبيون:** وهو وإن لم يرد في الكتاب والسنة، لكنه مشهور لدى أهل العلم، والأصل فيه ما ورد عن ابن عباس موقوفًا: «. . . ثم يأتي الربُّ -تبارك وتعالى- في الكُرُوبِيِّينَ، وهم أكثرُ من أهلِ السماواتِ والأرضِ»(٢)، وسموا بذلك: إما لقربهم من الله بالعبادة؛ لأنه مشتق من (كرب) بمعنى: (قرب)(٣)، أو لقوتهم وشدتهم؛ لأنه مشتق من (كرب) بمعنى: اشتد وقوي، ويحتمل المعنيين معًا، والله أعلم(٤).

۞ ثانيًا: وظائف الملائكة:

للملائكة وظائف وأعمال كثيرة في الكتاب والسنة، منها ما نعلم ومنها ما لا نعلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن المعلوم: أن الملائكة لهم من العلوم والأحوال والإرادات والأعمال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال»(٥).

فمما علمناه من أعمالهم ووظائفهم(٦):

١- **أن منهم الموكل بالوحي** من الله تعالى إلى رسله- عليهم الصلاة

---

(١) تفسير السعدي (ص٩١١).

(٢) أخرجه الدارمي في: الرد على بشر المريسي (ص٥٣)، والحاكم في المستدرك (ح٨٦٩٩)، وقال الذهبي: «إسناده قوي»، وقال ابن كثير: «مداره على علي بن زيد بن جدعان، وفيه ضعف، وفي سياقاته غالبًا نكارة شديدة». تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٧).

(٣) انظر: بغية المرتاد، لابن تيمية (ص٢٣٠).

(٤) انظر: محاضرات في الإيمان بالملائكة (ص٣٤) وما بعدها.

(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ١٢١).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٢١-١٢٧)، البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ٤١) وما بعدها، معارج القبول (٢/ ٦٥٨).

والسلام- وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

٢- **ومنهم الموكل بالقطر والنبات،** وهو ميكائيل عليه السلام، على المشهور عند أهل العلم.

٣- **ومنهم الموكل بالنفخ في الصُّور،** وقد ورد في بعض الأحاديث أنه إسرافيل عليه السلام، وكلها لا تخلو من ضعف[١]، ولكن قال القرطبي: «الأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام»[٢]، فإن كان الإجماع ثابتًا فيصار إليه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينظر متى يؤمر**»، قال المسلمون: يا رسول الله، فما نقول؟! قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**»[٣].

٤- **ومنهم الموكل بقبض الأرواح؛** وهو ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١]، وشاع لدى كثير من الناس أن اسمه «عزرائيل» ولم يثبت، وإنما ورد في بعض الإسرائيليات، ولذا فالصواب أنه لا يسمى إلا «ملك الموت»، كما جاء في القرآن. قال الحافظ ابن كثير: «وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل، والله أعلم»[٤].

٥- **ومنهم الموكل بالجبال؛ وهو ملك الجبال،** وقد ورد ذكره في حديث

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٧-٢٨٨)، فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٦٨-٣٦٩).
(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (ص٤٨٨).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح١١٠٣٩)، والترمذي في السنن (ح٣٢٤٣) وحسنه.
(٤) البداية والنهاية (١/ ٤٩).

خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوته إياهم وعدم استجابتهم له، وفيه يقول النبي ﷺ: «...**فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال. فسلم عليّ ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»(١).

والأخشبان: هما جبلا مكةَ: أبو قبيس والذي يقابله.

٦- **ومنهم الملك الموكل بالرحم**، على ما دل عليه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل وكّل ملكًا يقول: يا ربِّ! نطفة؟ يا ربِّ! علقة؟ يا ربِّ، مضغة؟ فإذا أراد أن يقضي خلقه، قال: أذكر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ فما الرزق والأجل؟ فيكتب في بطن أمه**»(٢).

٧- **ومنهم حملة العرش**، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧]. قال بعض المفسرين: الذين حول العرش هم الملائكة (الكروبيون)(٣).

٨- **ومنهم خزنة الجنة**، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣﴾ [الرعد: ٢٣]، وقد اشتهر أن خازن الجنة اسمه (رضوان)، ولم ترد هذه التسمية في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة، وإنما جاء ذكره في بعض الأحاديث التي في ثبوتها

---

(١) صحيح البخاري (ح٣٢٣١)، وصحيح مسلم (ح١٧٩٥).
(٢) صحيح البخاري (ح٣١٨)، صحيح مسلم (ح٢٦٤٦).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢١٢).

نظر[١].

٩- ومنهم خزنة النار- عياذًا بالله منها- وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر[٢]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧، ١٨].

وفي حديث سَمُرَة بن جُنْدُب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**رأيت الليلة رجلين أتياني فقالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل**»[٣].

١٠- ومنهم زوار البيت المعمور: يدخل في كل يوم منهم البيت المعمور سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه، على ما ثبت من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**... ثم رُفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم**»[٤].

١١- ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادَوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا**»[٥].

وقد ثبت أيضًا أنهم يبلغون النبي ﷺ من أمته السلام، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض،**

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٣٥٣).

ومع ذلك فقد أثبته بعض العلماء. انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم (ص١٠٩)، البداية والنهاية (١/ ١١٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٦٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٣٢٣٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٣٢٠٧)، ومسلم في صحيحه (ح١٦٤) واللفظ لمسلم.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٦٤٠٨)، ومسلم في صحيحه (ح٢٦٨٩) واللفظ للبخاري.

يبلغوني من أمتي السلام»[(١)] .

١٢- ومنهم الحفظة الكرام الكاتبون، وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم، وحفظ المؤمنين ونصرهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وقال سبحانه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، قال ابن عباس: «ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خلوا عنه»[(٢)]، وقال مجاهد: «مع كل إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله»[(٣)].

وعن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والتعري؛ فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ**»[(٤)] .

قال ابن كثير: «فاثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات»[(٥)] .

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨].

قال الإمام النووي: «اختلف السلف والعلماء في أنه: هل يكتب جميع ما يلفظ به العبد وإن كان مباحًا لا ثواب فيه ولا عقاب لعموم الآية؟ أم لا يكتب إلا ما فيه جزاء من ثواب أو عقاب؟ وإلى الثاني ذهب ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من العلماء، وعلى هذا تكون الآية مخصوصة، أي: ما يلفظ من قول يترتب عليه جزاء»[(٦)] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح٣٦٦٦)، والترمذي في السنن (ح٣٦٠٠) وحسنه، والنسائي في سننه (ح١٢٨٢)، وصححه الألباني.

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٤٥٨).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٤٥٨).

(٤) أخرجه الترمذي (ح٢٨٠٠)، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ح٢١٩٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٧).

(٦) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٩)، وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٨).

«ثم قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية؛ لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٢]، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَة فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَلَيْهِ سَيِّئَة، وَإِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَة، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا**»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**قَالَتِ الْـمَلَائِكَة: ذَاكَ عَبْدٌ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَة، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوه، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَة، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي**»[٢]»[٣].

قال الحافظ ابن حجر: «وفيه دليل على أن الملك يطلع على ما في قلب الآدمي؛ إما بإطلاع الله إياه، أو بأن يخلق له علمًا يدرك به ذلك»[٤].

١٣- **ومنهم الموكلون بسؤال العباد في قبورهم**، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد إذا وُضِع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا**»[٥].



(١) أخرجه مسلم (ح١٢٨).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٥٠١)، ومسلم (ح١٢٩).
(٣) شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢/ ٥٦١).
(٤) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٢٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٥٣).
(٥) أخرجه البخاري (ح١٣٧٤)، ومسلم (ح٢٨٧٠)، واللفظ للبخاري.



المبحث الخامس

صفات الملائكة وأدلة ذلك

للملائكة صفات كثيرة، منها:

١- **أنهم مخلوقون من نور:** لحديث: «**خُلقت الملائكة من نور**»(١).

٢- **القدرة على التشكُّل بقدرة الله:** كمجيء جبريل في صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرَى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة، فلما انصرف قال النبي ﷺ: «**يا عمر! أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل؛ أتاكم يعلمكم دينكم**»(٢).

وإبراهيم جاءته الملائكة في صورة بشر، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۞٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٦٩، ٧٠]. وفي قصة مريم حينما أرسل الله لها جبريل قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

٣- **القدرات الخارقة التي خصهم الله بها:** قال جل وعلا: ﴿فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۞٧٤﴾ [الحجر: ٧٤]، قال السدي: «لما أصبحوا

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (ح٨).

-يعني: قوم لوط- نزل جبرائيل، فاقتلع الأرض من سبع أرضين، فحملها حتى بلغ السماء الدنيا، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وأصوات ديوكهم، ثم قلبها فقتلهم، فذلك حين يقول: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣﴾ [النجم: ٥٣] المنقلبة حين أهوى بها جبرائيل الأرض فاقتلعها بجناحه، فمن لم يمت حين أسقط الأرض أمطر الله عليه، وهو تحت الأرض الحجارة، ومن كان منهم شاذًّا في الأرض، وهو قول الله: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤﴾ [الحجر: ٧٤]، ثم تتبعهم في القرى، فكان الرجل يأتيه الحجر فيقتله، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢]»[١].

وجاء في حديث خروج النبي ﷺ إلى الطائف: «... **فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت؛ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟**» فقال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا**»[٢].

٤- **أن لهم أجنحة:** قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١]، وقد رأى النبي ﷺ جبريل، وله ستمائة جناح[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى**

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٥٣٦).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٣٢٣١)، ومسلم في الصحيح (ح١٧٩٥).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٣٢٣٢).

حاجتكم»، قال: «**فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا**»(١).

٥- **لا يأكلون ولا يشربون:** قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود: ٦٩، ٧٠].

قال الحافظ ابن حجر: «وفي قصة الملائكة مع إبراهيم وسارة ما يؤيد أنهم لا يأكلون، وأما ما وقع في قصة الأكل من الشجرة؛ أنها شجرة الخلد التي تأكل منها الملائكة، فليس بثابت»(٢).

وقد ورد أن الذِّكْر والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير يغنيهم عن الطعام والشراب. عن عائشة، أن رسول الله ﷺ ذكر جهدًا شديدًا يكون بين يدي الدجال، فقلت: يا رسول الله، فأين العرب يومئذٍ؟ قال: «**يا عائشة، العرب يومئذٍ قليل**»، فقلت: ما يجزئ المؤمنين يومئذٍ من الطعام؟ قال: «**ما يجزئ الملائكة: التسبيح، والتكبير، والتحميد، والتهليل**»(٣).

٦- **أنهم ليسوا إناثًا:** قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الصافات: ١٤٩ - ١٥٧].

٧- **أنهم يمكن رؤيتهم:** فقد يراهم الأنبياء في صورهم الحقيقية. وأما غير

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٦٤٠٨).
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٦/ ٣٠٦).
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤١/ ٤١٩)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ١٥٩)، وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة ح٣٠٧٩).

الأنبياء فلا يرونهم إلا في حال تمثلهم بصورة أخرى، كما دلت على ذلك الأدلة، وقد ثبت أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام في صورته التي خُلق عليها مرتين[(١)]، رآه مرة بالأفق من ناحية المشرق، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: ٢٣]، ورآه مرة ثانية ليلة الإسراء في السماء، وهذا ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]، وعن عائشة رضي الله عنها، أنها سألت النبي ﷺ عن تفسير الآيتين المتقدمتين، فقال: «**إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ ما بين السماء إلى الأرض**»[(٢)].

وقال الله تعالى عن مريم - عليها السلام: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، وعن سعد رضي الله عنه، قال: رأيت بشمال النبي ﷺ ويمينه رجلين، عليهما ثياب بيض يوم أحد، ما رأيتهما قبلُ ولا بعدُ[(٣)]. قال ابن بطال: «الرجلان اللذان كانا يوم أحد عن يمين النبي وعن شماله كانا ملَكين، والله أعلم»[(٤)].

٨- **أنهم يموتون:** قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، قال الحافظ ابن كثير: «فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخِرًا كما كان أولًا»[(٥)].

---

(١) انظر: صحيح البخاري (ح٤٨٥٥)، وصحيح مسلم (ح١٧٧).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٧٧).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٥٨٢٦).
(٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٩/ ١٠٤).
(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٧).



المبحث السادس

ثمرات الإيمان بالملائكة

۞ من ثمرات الإيمان بالملائكة ما يلي:

١- الاستجابة لأمر الله بالإيمان بهم، كما في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٢- الإيمان بعظمة الله تعالى وكمال قدرته وسلطانه؛ حيث خلق هذه المخلوقات العظيمة.

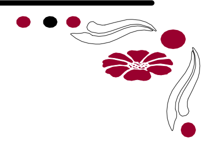
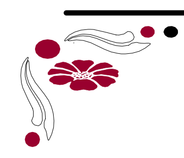
٣- محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل، واستغفارهم للمؤمنين.

٤- الطمأنينة والراحة والثقة بوجود ملائكة الرحمن مع العبد يحفظونه.

٥- شكر الله تعالى أن وكل بعباده ملائكة تقوم بحفظهم والاستغفار لهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧][1].



(١) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة، لابن عثيمين (ص٣٢).

ملخص الفصل الأول

❋ **الملائكة اصطلاحًا:** هم رسل الله في تنفيذ أمره الكوني، وتبليغ أمره الديني، ومفهوم الإيمان بالملائكة يشمل أمورًا أربعة، وهي: الإيمان بوجودهم، وأسمائهم، وصفاتهم، وأعمالهم.

❋ من الإيمان بالملائكة: الإيمان بوجودهم وأن عددهم لا يعلمه إلا الله، والإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه؛ كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك، ومن لم نعلم أسماءهم نؤمن بهم إجمالًا.

❋ **للملائكة ألقاب عامة، منها:** الملأ الأعلى، وجنود الرب، والأشهاد.

❋ الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، فلا يصح إيمان العبد إلا به، فمن أنكر وجود الملائكة بعد قيام الحجة كفر، وكل آية ذكر فيها الملائكة، فهي دليل على وجوب الإيمان بهم.

❋ **الملائكة أصناف كثيرة، منها:** **(١)** الزبانية: وهم ملائكة العذاب. **(٢)** المعقبات: الذين يتعاقبون في الليل والنهار على العبد. **(٣)** الحفظة: الذين يحفظون بني آدم بأمر الله. **(٤)** السفرة: وهم السفراء بين الله وبين عباده. **(٥)** الكروبيون: وسموا بذلك: إما لقربهم من الله بالعبادة، أو لقوتهم وشدتهم.

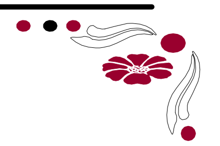
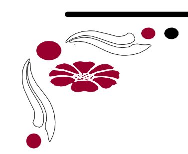
❋ **للملائكة وظائف وأعمال كثيرة ورد ذكر جملة منها في الكتاب والسنة، ومنها:** **(١)** أن منهم الموكل بالوحي وهو جبريل عليه السلام. **(٢)** ومنهم الموكل بالقطر والنبات، وهو ميكائيل عليه السلام، على المشهور عند أهل العلم. **(٣)** ومنهم الموكل بالنفخ في الصُّور، وهو إسرافيل عليه السلام على المشهور. **(٤)** ومنهم الموكل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت. **(٥)** ومنهم الموكل

بالجبال، وهو ملك الجبال. (٦) ومنهم الملك الموكل بالرحم. (٧) ومنهم حملة العرش. (٨) ومنهم خزنة الجنة. (٩) ومنهم خزنة النار-عياذًا بالله منها- وهم الزبانية. (١٠) ومنهم زوار البيت المعمور. (١١) ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر. (١٢) ومنهم الحفظة الكرام الكاتبون. (١٣) ومنهم الموكلون بسؤال العباد في قبورهم.

❁ **للملائكة صفات كثيرة، منها:** (١) أنهم مخلوقون من نور. (٢) القدرة على التشكل بقدرة الله. (٣) القدرات الخارقة التي خصهم الله بها. (٤) أن لهم أجنحة. (٥) لا يأكلون ولا يشربون. (٦) أنهم ليسوا إناثًا. (٧) أنهم يمكن رؤيتهم، فقد يراهم الأنبياء في صورهم الحقيقية، وأما غير الأنبياء فلا يرونهم إلا في حال تمثلهم بصورة أخرى. (٨) أنهم يموتون.

❁ **من ثمرات الإيمان بالملائكة ما يلي:** (١) الاستجابة لأمر الله بالإيمان بهم. (٢) الإيمان بعظمة الله تعالى وكمال قدرته وسلطانه؛ حيث خلق هذه المخلوقات العظيمة. (٣) محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل، واستغفارهم للمؤمنين. (٤) الطمأنينة والراحة والثقة بوجود ملائكة الرحمن مع العبد يحفظونه. (٥) شكر الله تعالى أن وكل بعباده ملائكة تقوم بحفظهم والاستغفار لهم.



أسئلة تطبيقيـة

س١: عَرِّف الملائكة لغة واصطلاحًا.

س٢: الإيمان بالملائكة من أركان الإيمان الستة، وضح ذلك مع ذكر الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع.

س٣: الإيمان بالملائكة يشمل أمورًا أربعة، اذكرها، مع ذكر الأدلة في كلٍّ باختصار.

س٤: للملائكة صفات كثيرة في الكتاب والسنة، اذكرها باختصار مع الاستدلال عليها.

س٥: للملائكة أعمال كثيرة في الكتاب والسنة، اذكرها باختصار مع الاستدلال عليها.

س٦: من ألقاب الملائكة: الزبانية، المعقبات، الكروبيون. استدل على ذلك، مع بيان معناها.

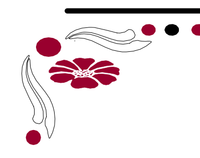
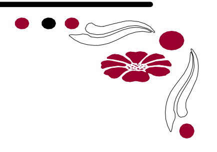
س٧: اذكر أهم ثمرات الإيمان بالملائكة.





الفصل الثاني

الإيمان بالكتب

الفصل الثاني

❁ **ويشتمل على ما يلي:**

١- الكتب؛ تعريفها، ومفهوم الإيمان بها.

٢- حكم الإيمان بالكتب، وأدلة ذلك.

٣- الحكمة من إنزال الكتب.

٤- الكتب المنزلة، أشهرها، وما حصل لأكثرها من تحريف، وموقف المسلم من كتب أهل الكتاب.

٥- معنى الإيمان بالقرآن وخصائصه.

٦- ثمرات الإيمان بالكتب.

٧- مقالات المخالفين في الإيمان بالكتب.





المبحث الأول

الكتب

تعريفها، ومفهوم الإيمان بها

أولًا: تعريف الكتب الإلهية:

الكتب لغة: جمع كتاب، بمعنى مكتوب(١).

وشرعًا: هي الكتب التي أنزلها الله على رسله رحمة بعباده وهداية لهم؛ ليصلوا بها إلى تحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة(٢).

ثانيًا: مفهوم الإيمان بالكتب:

مفهوم الإيمان بكتب الله عز وجل يتضمن أربعة أمور(٣):

الأول: الإيمان بأن جميعها منزل من عند الله عز وجل، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد؛ فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يسمعه الرسول الملكي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]، وقال

(١) وهذا جارٍ في لغة العرب، حيث تأتي (فعال) بمعنى: (مفعول)، مثل: إله بمعنى: مألوه، وغراس بمعنى: مغروس، وفراش بمعنى: مفروش.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٥/ ١٢٠)، (٦/ ٩١).

(٣) انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية، لابن عثيمين (ص٤٦-٤٧)، معارج القبول (٢/ ٦٧٢-٦٧٥).

تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ [النجم: ١٠]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢]، وقال: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦].

ومنها: ما خطه الله بيده جل وعلا، كما قال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

الثاني: الإيمان بكل كتاب أنزله الله، حيث نؤمن بما علمنا منها باسمه، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالًا، حيث نؤمن بأن الله أنزل سوى هذه الكتب المنصوص عليها بأسمائها في القرآن، كتبًا أخرى أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها، قال تعالى: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ [الشورى: ١٥]؛ يعني: كل الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله، ما علمناه منها بأسمائها، وما لم نعلمه.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، وطريق معرفة ما صح من أخبار الكتب السابقة هو القرآن أو السنة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها[(١)]، وهو القرآن الذي يختص دون

(١) اتفق الأصوليون على أن شرع من قبلنا يكون شرعًا لنا إذا ثبت أنه كان شرعًا لمن قبلنا، ثم ثبت بشرعنا أنه شرع لنا، كالقصاص؛ فإنه ثبت بشرعنا أنه كان لمن قبلنا في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ...﴾ الآية [المائدة: ٤٥]. ثم صرح لنا في شرعنا بأنه شرع لنا في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ...﴾ الآية [البقرة: ١٧٨].

واتفقوا على أنه لا يكون شرعًا لنا في حالتين:

أحدهما: ما لم يثبت بشرعنا أصلًا، كالمأخوذ من الإسرائيليات.

الثانية: ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعًا لهم، وصرح في شرعنا بنسخه، كالإصر والأغلال =

غيره من الكتب بوجوب اتباعه على هذه الأمة تصديقًا لأخباره وعملًا بأحكامه؛ لأن جميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]؛ أي: حاكمًا عليه، وهي أيضًا لم تسلم من التحريف والتغيير، قال جل وعلا: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥].

قال الإمام محمد بن نصر المروزي في تعليقه على حديث جبريل: «وأما قوله: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ فأن تؤمن بما سمى الله من كتبه في كتابه، من التوراة، والإنجيل، والزبور خاصة، وتؤمن بأن لله سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها، وتؤمن بالفرقان، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الكتب، إيمانك بغيره من الكتب إقرارك به بالقلب واللسان، وإيمانك بالفرقان إقرارك به، واتباعك ما فيه»[(١)].

وقال الإمام ابن أبي العز: «وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين: فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى؛ وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب»[(٢)].

= التي كانت عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومحل الخلاف هو فيما ثبت بشرعنا أنه شرع لمن قبلنا، ولم يصرَّح بنسخه في شرعنا، هل يكون شرعًا لنا؟ فذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنه شرع لنا، وذهب الشافعي في المشهور عنه إلى أنه ليس شرعًا لنا، والقولان روايتان عن الإمام أحمد. ينظر: روضة الناظر، لابن قدامة (١/ ٤٥٩)، مذكرة في أصول الفقه، للشنقيطي (ص١٩٣).

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٣)، وانظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣١٢).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٤٢٤-٤٢٥).



المبحث الثاني

حكم الإيمان بالكتب، وأدلة ذلك

الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله هو الركن الثالث من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وأمر الله نبيه ﷺ بالإيمان بها، والأمر له ﷺ أمر لأمته، قال جل وعلا: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ [الشورى: ١٥].

وأمر الله المؤمنين بالإيمان بجميع ما أنزل الله من كتب على رسله، فقال سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد: ٢٥].

فمن كذب بواحد منها فقد كذب بها جميعًا؛ لأنها كلها من عند الله، وجحد شيء منها كفر وضلال، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

قال ابن القيم: «من لم يؤمن بهذه الخمسة، لم يدخل في باب الإيمان، ولا يستحق اسم المؤمن»[(١)].

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٦)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٤-١٣٥).

ومن السنة: حديث جبريل: لما سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر...**» الحديث[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإيمان بالكتب والرسل هو عمود الإيمان وقاعدته وجماعه»[٢].



(١) أخرجه مسلم (ح٨).
(٢) الجواب الصحيح (٥/ ٩٤).



المبحث الثالث

الحكمة من إنزال الكتب

۞ الحكمة من إنزال الكتب ما يلي:

١- الهداية إلى الطريق الموصل للسعادة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

٢- الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٣- إقامة الحجة على الخلق، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]، قال الإمام ابن قدامة: «يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل»[(١)].

٤- تأييد الرسل وإظهار صدقهم، كما قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران: ١٨٤].

٥- الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، قال سبحانه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

---

(١) لمعة الاعتقاد (ص٢٤).

فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

٦- إقامة العدل بين الناس، قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

٧- هداية الناس وإنقاذهم من الضلال، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: «**تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله**»(١).

٨- «العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به»(٢).

٩- «ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم هذه الكتب - القرآن العظيم - مناسبًا لجميع الخلق في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة»(٣).



(١) أخرجه مسلم (ح١٢١٨).
(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة، لابن عثيمين (ص٣٢).
(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة، لابن عثيمين (ص٣٢-٣٣).



المبحث الرابع

الكتب المنزلة

أشهرها، وما حصل لأكثرها من تحريف، وموقف المسلم من كتب أهل الكتاب

۞ أولًا: أشهر الكتب المنزلة:

١- **القرآن** المنزل على محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩].

٢- **التوراة** المنزلة على موسى عليه السلام، قال سبحانه: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣﴾ [آل عمران: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦﴾ [النجم: ٣٦]، وصحف موسى هي نفسها التوراة، على الصحيح، وقيل: هي كتاب أنزل على موسى قبل التوراة(١).

٣- **الإنجيل** المنزل على عيسى عليه السلام، قال جل وعلا: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٦﴾ [المائدة: ٤٦].

---

(١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٣٦٥)، التفسير البسيط، للواحدي (٢٣/ ٤٥١).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨].

٤- **الزبور** الذي أوتيه داود عليه السلام، قال جل وعلا: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

٥- **صحف** إبراهيم عليه السلام، قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان**»[(١)].

۞ ثانيًا: ما حصل لأكثرها من تحريف:

أخبرنا الله جل وعلا عن تحريف أهل الكتاب لكتبهم، فقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال جل وعلا: قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، والتحريف يتضمن «**خمسة أمور:**

أحدها: لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به، بحيث لا يتميز الحق من الباطل.

الثاني: كتمان الحق.

الثالث: إخفاؤه وهو قريب من كتمانه.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ١٩١)، والطبراني في الأوسط (٤/ ١١١)، وقال الهيثمي: «فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث. وبقية رجاله ثقات» (مجمع الزوائد ١/ ١٩٧)، وقال الألباني: «هذا إسناد حسن، رجاله ثقات» (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ١٠٤).

الرابع: تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه.

الخامس: ليُّ اللسان به؛ ليلتبس على السامع اللفظ المنزل بغيره»[(١)].

وقد وكل الله حفظ الكتب السابقة إلى أهلها فحرفوها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأهل الكتاب -اليهود والنصارى- مع المسلمين متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف بها، إما عمدًا، وإما خطأ في ترجمتها، وفي تفسيرها، وشرحها وتأويلها»[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم: «واليهود تقر أن السبعين كاهنًا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التوراة... واليهود تقر أن السامرة حرفوا مواضع في التوراة وبدلوها تبديلًا ظاهرًا وزادوا ونقصوا، والسامرة تدعي ذلك عليهم»[(٣)].

والتوراة الحالية ليست نسخة واحدة مجمعًا عليها من اليهود والنصارى، إنما هي ثلاث نسخ مختلفة: التوراة السامرية، والتوراة العبرية، والتوراة اليونانية، فالتوراة السامرية تؤمن بها فرقة السامرة من اليهود، والتوراة العبرية يؤمن بها جمهور اليهود وفرقة البروتستانت من النصارى، والتوراة اليونانية تعترف بها فرقة الكاثوليك من النصارى، وكل فرقة لا تعترف بالنسخة التي عند غيرها، وتوجد بين النسخ الثلاث اختلافات وتناقضات كثيرة[(٤)].

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم (ص٣١٢).

(٢) الجواب الصحيح (٥/ ١٢٣).

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٤١٦).

(٤) للتفصيل والاستزادة يراجع: إظهار الحق، لرحمت الله الهندي (٢/ ٤٢٩).

كما أن النصارى يعترفون بأن هذه الأناجيل التي بأيديهم ليست منزلة من عند الله، بل هي من وضع أربعة أشخاص وضعوها في أزمنة مختلفة؛ ولهذا قال الإمام ابن حزم: «وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤونة كلها[(١)]؛ لأنهم لا يدَّعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح، ولا أن المسيح أتاهم بها، بل كلهم أولهم عن آخرهم... لا يختلفون في أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة»[(٢)].

۞ ثالثًا: موقف المسلم من كتب أهل الكتاب:

موقف المسلم من كتب أهل الكتاب على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يجب الإيمان بصدقه، وهو ما علمنا صحته من الكتاب أو السنة.

والثاني: ما يجب الإيمان بكذبه، وهو ما علمنا كذبه من الكتاب أو السنة.

والثالث: ما يجب التوقف فيه، فلا يصدق، ولا يكذب، وهو المسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته للاستشهاد لا للاعتضاد، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما أخبرونا به عن الأنبياء؛ إن علمنا صدقهم فيه صدقناهم فيه، وإن علمنا كذبهم فيه كذبناهم فيه، وإن لم نعلم صدقه ولا كذبه لم نصدقه ولم نكذبه، بل نقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]»[(٤)].

والأمثلة على ذلك كالتالي:

فمثال الأول: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء حبر من الأحبار إلى

(١) يعني: مؤونة إثبات أن أناجيلهم ليست من عند الله.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٢).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٩).
(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٩٥).

رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧][1].

ومثال الثاني: عن جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣][2].

ومثال الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم،** ﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]»[3].

والتحدُّث بهذا النوع جائز إذا لم يُخْش محذور، عن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار**»[4].



(١) أخرجه البخاري (ح٤٨١١)، ومسلم (ح٢٧٦٨).
(٢) أخرجه البخاري (ح٤٥٢٨)، ومسلم (ح١٤٣٥).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٤٨٥).
(٤) أخرجه البخاري (ح٣٤٦١).



المبحث الخامس

معنى الإيمان بالقرآن وخصائصه

۞ أولًا: معنى الإيمان بالقرآن:

قال الإمام البيهقي: «**الإيمان بالقرآن يتشعب شعبًا:**

فأولاها: الإيمان بأنه كلام الله تبارك وتعالى، وليس من وضع محمد ﷺ، ولا من وضع جبريل عليه السلام.

والثانية: الاعتراف بأنه معجز النظم، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدروا عليه.

والثالثة: اعتقاد أن جميع القرآن الذي توفي النبي ﷺ عنه هو هذا الذي في مصاحف المسلمين، لم يفت منه شيء، ولم يضع بنسيان ناس ولا ضلال صحيفة، ولا موت قارئ، ولا كتمان كاتم، ولم يحرف منه شيء، ولم يزد فيه حرف، ولم ينقص منه حرف»(١).

ويشمل أيضًا: تصديق أخباره، والعمل بأحكامه، وتلاوته وتدبره.

۞ ثانيًا: خصائص القرآن:

اختص الله سبحانه القرآن العظيم باعتباره آخر الكتب المنزلة بمزايا وخصائص عما سبقه من الكتب، **فمن خصائص القرآن التي انفرد بها عن الكتب**

---

(١) شعب الإيمان (١/ ٣٢٦).

السابقة، ما يلي:

١- أن الله سبحانه تعهد بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف مطلقًا، يقول القاضي عياض: «وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض، المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة] إلى آخر: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الناس] أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفًا قاصدًا لذلك، أو بدّله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفًا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدًا لكل هذا؛ أنه كافر»(١).

٢- أنه مهيمن على جميع الكتب السابقة، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالسلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة»(٢)، ومن وجوه هيمنة القرآن على الكتب السابقة أنه بين كل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها، وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله، ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات، حاكم في الأمريات(٣).

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (٢/ ٣٠٤-٣٠٥)، وانظر: لمعة الاعتقاد، لابن قدامة المقدسي (ص٢٠)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٢٢)، تفسير الرازي (١٩/ ١٦٠- ١٦١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٤).

٣- أنه «الكتاب الذي **لا يصير منسوخًا** البتة»[١].

٤- أنه المتعبد بتلاوته، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[٢].

٥- أن الله يسره للذكر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

٦- أنه معجز بألفاظه ومعانيه، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

٧- أنه شفاء لأمراض القلوب والأبدان، قال جل وعلا: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٨- أنه **قرر** ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بيانًا وتفصيلًا، وبين الأدلة والبراهين على ذلك، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧]، وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

٩- أنه بين ما حرف وبدل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضًا ما كتموه مما أمر الله ببيانه.



(١) مفاتيح الغيب، للرازي (١٢/ ٣٧١).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٩١٠)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٦٤٦٩).



المبحث السادس

ثمرات الإيمان بالكتب

۞ **الإيمان بالكتب له ثمرات جليلة، منها**[(١)]:

١- **الوصول لمقام العبودية لله وحده، وهو أشرف المقامات**؛ لأن الكتب المنزلة من عند الله إنما جاءت بتقرير هذا التوحيد وبيانه؛ «فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده، ولا يدعى معه إله آخر»[(٢)]، وهي الغاية من خلق الجن والإنس.

٢- **الهداية لأقوم طريق وأكمل سبيل في حياة الأفراد والجماعات**، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

٣- **الوصول للحياة الحقيقية التي تزكو بها النفوس وتسعد بها القلوب**، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى: ٥٢].

---

(١) انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية (ص٤٦-٤٧).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله (ص١٨٨).

٤- **الحصول على المنهج الأكمل في الأخلاق**، ولذا كان النبي ﷺ خلقه القرآن، وبالأخلاق بقاء الأمم ورقيها.

٥- **الهداية إلى الشريعة التي إليها يتحاكم الناس**، وبها يتحقق العدل بينهم، ويسود الأمن في حياتهم؛ لأنها من الخالق جل وعلا الذي خلق الإنسان وهو أعلم بما يصلحه ويسعده، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

٦- **العلم برحمة الله تعالى بعباده**، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

٧- **العلم بحكمة الله تعالى في شرعه**، حيث شرع لكل قوم أو أمة ما يناسب أحوالهم، كما قال الله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

٨- **حمد الله ﷻ على نعمته**، حيث أنزل علينا كتابًا يبين لنا طريق سعادتنا في دنيانا وأخرانا.





المبحث السابع

مقالات المخالفين في الإيمان بالكتب

أولًا: المكذبون بالكتب كلها، وهم أعداء الرسل من الكفار والمشركين، ومن سلك سبيلهم؛ كالذين قالوا: إنها أساطير الأولين.

ثانيًا: الذين آمنوا ببعض الكتب، وكفروا بالبعض الآخر، وقالوا -كما حكى القرآن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]؛ كاليهود والنصارى الذين كذبوا بالقرآن، وتكذيبهم بالقرآن هو تكذيب لجميع الكتب التي أنزلها الله.

ثالثًا: الذين آمنوا بها ظاهرًا وكفروا بها باطنًا، ومنهم: غلاة الصوفية الذين اتخذوا من وساوس شياطينهم وحيًا، وتفاخروا بهذا الكفر والضلال حتى صار أحدهم يقول: «حدثني قلبي عن ربي»، قال ابن القيم نقلًا عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: «حدثني قلبي عن ربي» فصحيح أن قلبه حدثه، ولكن عمن؟ عن شيطانه أو عن ربه؟ فإذا قال: حدثني قلبي عن ربي، كان مسند الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به، وذلك كذب»[(١)].

وكحال آخرين أيضًا من غلاة الصوفية -وهم زنادقة التيجانية وأتباعهم- الذين يفضلون قراءة ما يسمونه: «صلاة الفاتح لما أغلق» على قراءة القرآن

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٦٤).

العظيم، ويزعمون أن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ستة آلاف مرة[(١)].

رابعًا: الذين يفضلون أحكام البشر على شريعة رب العالمين ممن وضعوا الدساتير الوضعية والقوانين البشرية، وفضلوها على شريعة الله وفرضوها على الناس، ونحَّوا شريعة رب العالمين ظلمًا وعدوانًا. قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «الحاكم بغير ما أنزل الله كافر؛ إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة، وإما كفر عمل، لا ينقل عن الملة؛ **أما الأول: وهو كفر الاعتقاد، فهو أنواع:**

أحدها: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله.

الثاني: أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقًّا، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه، وأتم وأشمل.

الثالث: أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنه مثله.

الرابع: أن يعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله.

الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية، إعدادًا وإمدادًا، وإرصادًا وتأصيلًا وتفريعًا، وتشكيلًا وتنويعًا، وحكمًا وإلزامًا، ومراجع مستمدات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى، وقوانين كثيرة؛ كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك.

السادس: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل، من البوادي ونحوهم، من حكايات آبائهم وأجدادهم، وعاداتهم»[(٢)].

---

(١) انظر: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، لعلي حرازم (١/ ١٠٠).

(٢) تحكيم القوانين، لمحمد بن إبراهيم، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٢٠٦)، بتصرف واختصار.

خامسًا: الفرق الباطنية؛ الذين سلكوا مسالك شتى في جحد ما أنزل الله على نبيه، **ومن ذلك:**

- **أولًا: التأويل الباطني لآيات القرآن وصرفها عن ظاهرها،** فقالوا: إن الرسول ﷺ بعث بالتنزيل، وعلي رضي الله عنه بعث بالتأويل، فجاؤوا بشريعة اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين باسم التأويل، وقد جعلوا التأويل الباطني رسالة جديدة حملها الأئمة بعد قيام الرسول ﷺ بتبليغ الظاهر، فقد جاء في أحد الرسائل الإسماعيلية أنه «لما كان الدين ظاهرًا وباطنًا قام النبي ﷺ بتبليغ الظاهر، وصرف إلى وصيه نصف الدين، وهو الباطن»(١).

وعلم التأويل هو معجزة الأئمة كما أن التنزيل -أي القرآن- معجزة الرسول ﷺ(٢)، وهم يحاولون بهذه الوسيلة هدم كل النصوص التي قام عليها كيان الإسلام.

- **ثانيًا: دعاوى تنزل كتب إلهية على أئمتهم، ومن ذلك:**

❋ **الدروز:** الذين وضعوا كتابًا سموه «المنفرد بذاته» يضاهئون به القرآن العظيم.

❋ **والبابية:** -وهم منبثقون عن الإثني عشرية- وضعوا كتابًا سموه «البيان».

❋ **والبهائية:** -وهم منبثقون عن الإثني عشرية أيضًا- وضعوا كتابًا سموه «الأقدس».

❋ **والإثنا عشرية** التي تسمى في عصرنا بالشيعة، وقد توسعوا في الافتراء، وأتوا بما تصطك منه أسماع العقلاء، وتقشعر منه جلود المؤمنين.

فمن مفترياتهم أو مصاحفهم المفتراة التي يدعون أنها من الوحي المنزل على أئمتهم(٣):

(١) أربع رسائل إسماعيلية: الرسالة الأولى: مسائل مجموعة من الحقائق والأسرار (ص٣٠).

(٢) انظر: تأويل الدعائم، للنعمان بن محمد المغربي (١/ ٦١).

(٣) وهذه الافتراءات ثابتة في مصادرهم المعتمدة لديهم والمنصوص على اعتمادها في دستور =

أ- مصحف فاطمة:

حيث يزعمون نزول مصحف على فاطمة بعد وفاة رسول الله ﷺ، حتى قالوا: «مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، ما فيه من قرآنكم حرف واحد»[(١)].

ب- كتاب أنزل على الرسول قبل أن يأتيه الموت - كما يفترون:

يقولون: «إن الله تعالى أنزل على نبيه كتابًا قبل أن يأتيه الموت، فقال: يا محمد، هذا الكتاب وصيتك إلى النجيب من أهل بيتك، فقال: ومن النجيب من أهلي يا جبرائيل؟ فقال: علي بن أبي طالب عليه السلام»[(٢)].

جـ- لوح فاطمة:

نسبوا إلى فاطمة أنها قالت في وصفه: «هذا لوح أهداه الله تعالى إلى رسوله-صلى الله عليه وآله- فيه اسم أبي، واسم بعلي، واسم ابني، واسم الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك»[(٣)].

د- اثنتا عشرة صحيفة من السماء تتضمن صفات الأئمة:

يقولون: إن رسول الله ﷺ قال- كما يفترون: «إن الله تبارك وتعالى أنزل عليَّ اثني عشر خاتمًا، واثنتي عشر صحيفة، اسم كل إمام على خاتمه وصفته في صحيفته»[(٤)].

هـ- الجامعة:

يقولون: « . . . وإن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟ . . . صحيفة طولها سبعون ذراعًا بذراع رسول الله -صلى الله عليه وآله- وإملائه من فلق

= دولتهم (إيران)، ويسمونها سنة المعصومين.

(١) أصول الكافي، للكليني (١/ ٢٣٩).

(٢) بحار الأنوار، للمجلسي (٣٦/ ١٩٢-١٩٣)، وانظر: إكمال الدين وإتمام النعمة، للصدوق (ص٣٧٦)، أمالي الصدوق (ص٢٤٠)، أمالي الشيخ (ص٢٨٢)، أصول الكافي (١/ ٢٨٠).

(٣) الكافي (١/ ٥٢٧-٥٢٨)، الوافي، للفيض الكاشاني، (٢/ ٧٢).

(٤) إكمال الدين، للصدوق (ص٢٦٣).

فيه، وخط علي بيمينه فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه، حتى الأرش في الخدش...»[(١)].

وهي رواية طويلة يكذب أولُها آخرَها، وآخرها أولها، ومضامينها لا يصدق بها إلا البلهاء.

و- الجفر:

تقول رواياتهم في صفته بأنه: «وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل»[(٢)]، ومرة تنعته بأنه: «جلد ثور ملئ علمًا»[(٣)]، وفيه -كما يفترون: «زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، وفيه ما يحتاج الناس؛ حتى إن فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وثلث الجلدة، وربع الجلدة، وأرش الخدش»[(٤)].

ز- ديوان الشيعة:

ومن الكتب التي عند أئمتهم- كما يزعمون- كتاب يسمى: «ديوان الشيعة»، أو «الناموس»، أو«السمط» على اختلاف رواياتهم في تسميته، قد سُجل فيه الشيعة بأسمائهم وأسماء آبائهم، وكان أتباع الأئمة- كما تقول أخبارهم التي نسبوها كذبًا لبعض آل البيت- يذهبون إلى الأئمة ليقفوا على أسمائهم في هذا الديوان؛ لأن وجود الاسم فيه هو برهان النجاة[(٥)].

ومزاعمهم في هذا الباب كثيرة[(٦)].

---

(١) الكافي (١/ ٢٣٨- ٢٤٠).

(٢) أصول الكافي (١/ ٢٣٩).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٤١).

(٤) بحار الأنوار (٢٦/ ٣٧)، بصائر الدرجات، للصفّار (ص٤١).

(٥) انظر رواياتهم في هذا في: بحار الأنوار (٢٦/ ١١٧-١٣٢).

(٦) وهناك كتب أخرى غير ما ذكر؛ كصحيفة فاطمة، وهي كما يزعمون «صحيفة بيضاء من درة.. فيها أسماء الأئمة» ومحظور لمسها على سائر الناس «قد نهي أن يمسها إلا نبي، أو وصي نبي، أو أهل بيت نبي»، ثم ذكروا بعض نصوصها ومنها: «أبو القاسم محمد بن عبد الله =

وهي كتب موهومة لا وجود لها، لكنهم أرادوا من خلال هذه المزاعم والافتراءات إقناع أتباعهم بأحقية مذهبهم الذي لم يجدوا له سندًا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فوضعوا هذه الأساطير، وعلقوا وجودها على منتظرهم المعدوم، فصارت فضيحة كبرى، وعارًا يلاحقهم أبد الدهر ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

سادسًا: الحداثيون والعلمانيون الذين قالوا بتاريخية النص القرآني، والمراد به: إخضاع النص القرآني لأثر الزمان والمكان والمخاطب مطلقًا، وغايته: التنصل من سلطة النص القرآني وقدسيته، فالقرآن في زعمهم مرتبط بظروف تاريخية وسياسية واجتماعية، وليست أحكامه مطلقة لكل زمان[(١)].

يقول حسن حنفي: «نصوص الوحي ليست كتابًا أنزل مرة واحدة مفروضًا من عقل إلهي ليتقبله جميع البشر، بل مجموعة من الحلول لبعض المشكلات اليومية التي تزخر بها حياة الفرد والجماعة، وكثير من هذه الحلول قد تغيرت وتبدلت حسب التجربة على مقدار الإنسان وقدرته على التحمل، وكثير من الحلول لم تكن كذلك في بادئ الأمر معطاة من الوحي، بل كانت مقترحات من الفرد أو الجماعة، ثم أيدها الوحي»[(٢)].

ويقول محمد أركون: «ينبغي أن يستيقظ المسلمون، أن يفتحوا عيونهم، أن يقرؤوا القرآن بعيون جديدة، أن يتموضعوا في عصره وبيئته لكي يفهموه على حقيقته، وعندئذ لا يعودون يُسقطون عليه أفكار عصرهم وهمومه»[(٣)].

= المصطفى، أمه آمنة، أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى أمه فاطمة بنت أسد...»، ثم ذكر بقية الاثني عشر بذكر اسمه واسم أمه. انظر: بحار الأنوار (٣٦/ ١٩٣-١٩٤)، إكمال الدين (ص١٧٨)، عيون أخبار الرضا، للصدوق (ص٢٤-٢٥).

(١) انظر: العلمانيون القرآن (ص٣٣٢-٣٣٣).

(٢) التراث والتجديد، حسن حنفي (ص١٣٥-١٣٦).

(٣) قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون (ص٢٨٥).

ويقول نصر حامد أبو زيد: «الخطاب الإلهي خطاب تاريخي، وبما هو تاريخي فإن معناه لا يتحقق إلا من خلال التأويل الإنساني، أنه لا يتضمن معنى مفارقًا جوهريًّا ثابتًا له إطلاقية المطلق وقداسة الإله»[(١)].

ولا شك أن هذه الدعوى ظاهرة البطلان؛ لأنها تنفي كون القرآن هدى للناس، وتزعم أنه ليس وحيًا إلهيًّا، بل هو نص بشري تأثر بالواقع، وانتهت مهمته بوفاة رسول الله ﷺ.



(١) النص والسلطة والحقيقة، نصر حامد أبو زيد (ص٣٣).



ملخص الفصل الثاني

❋ الكتب الإلهية هي الكتب التي أنزلها الله على رسله رحمة بعباده وهداية لهم، ليصلوا بها إلى تحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة.

❋ **مفهوم الإيمان بكتب الله ﷻ يتضمن أربعة أمور:** (١) الإيمان بأن جميعها منزل من عند الله ﷻ، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد. (٢) الإيمان بكل كتاب أنزله الله، حيث نؤمن بما علمنا منها باسمه، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالًا. (٣) تصديق ما صح من أخبارها. (٤) العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، وهو القرآن؛ لأن جميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن.

❋ الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله هو الركن الثالث من أركان الإيمان، فمن كذب بواحد منها فقد كذب بها جميعًا؛ لأنها كلها من عند الله.

❋ **الحكمة من إنزال الكتب ما يلي:** (١) الهداية إلى الطريق الموصل للسعادة في الدنيا والآخرة. (٢) الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده. (٣) إقامة الحجة على الخلق. (٤) تأييد الرسل وإظهار صدقهم. (٥) الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه. (٦) إقامة العدل بين الناس. (٧) هداية الناس وإنقاذهم من الضلال. (٨) العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به. (٩) ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها.

❋ **أشهر الكتب المنزلة:** (١) القرآن المنزل على محمد ﷺ. (٢) التوراة المنزلة على موسى عليه السلام. (٣) الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام. (٤) الزبور الذي أوتيه داود عليه السلام. (٥) صحف إبراهيم عليه السلام.

❊ **أخبرنا الله جل وعلا عن تحريف أهل الكتاب لكتبهم، والتحريف يتضمن خمسة أمور:** (١) لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به، بحيث لا يتميز الحق من الباطل. (٢) كتمان الحق. (٣) إخفاؤه، وهو قريب من كتمانه. (٤) تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه. (٥) ليُّ اللسان به؛ ليلتبس على السامع اللفظ المنزل بغيره.

❊ **موقف المسلم من كتب أهل الكتاب على ثلاثة أقسام:** (١) ما يجب الإيمان بصدقه، وهو ما علمنا صحته من الكتاب أو السنة. (٢) ما يجب الإيمان بكذبه، وهو ما علمنا كذبه من الكتاب أو السنة. (٣) ما يجب التوقف فيه، فلا يصدق، ولا يكذب، وهو المسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته للاستشهاد لا للاعتضاد.

❊ **معنى الإيمان بالقرآن:** (١) الإيمان بأنه كلام الله تبارك وتعالى، وليس من وضع محمد ﷺ، ولا من وضع جبريل عليه السلام. (٢) الاعتراف بأنه معجز النظم. (٣) اعتقاد أن جميع القرآن الذي توفي النبي ﷺ عنه هو هذا الذي في مصاحف المسلمين، لم يحرف منه شيء، ولم يزد فيه حرف، ولم ينقص منه حرف. (٤) تصديق أخباره. (٥) العمل بأحكامه. (٦)، (٧) وتلاوته وتدبره.

❊ **من خصائص القرآن التي انفرد بها عن الكتب السابقة، ما يلي:** (١) أن الله سبحانه تعهد بحفظه. (٢) أنه مهيمن على جميع الكتب السابقة. (٣) أنه الكتاب الذي لا يصير منسوخًا البتة. (٤) أنه المتعبد بتلاوته. (٥) أن الله يسره للذكر. (٦) أنه معجز بألفاظه ومعانيه. (٧) أنه شفاء لأمراض القلوب والأبدان. (٨) أنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد على ذلك بيانًا وتفصيلًا. (٩) أنه بين ما حرف وبدل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضًا ما كتموه مما أمر الله ببيانه.

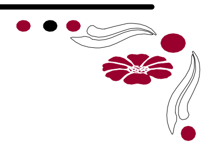
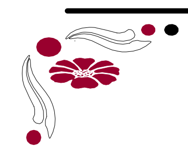
❊ **الإيمان بالكتب له ثمرات جليلة، منها:** (١) الوصول لمقام العبودية لله وحده، وهو أشرف المقامات؛ لأن الكتب المنزلة من عند الله إنما جاءت

بتقرير هذا التوحيد وبيانه. (٢) الهداية لأقوم طريق وأكمل سبيل في حياة الأفراد والجماعات. (٣) الوصول للحياة الحقيقية التي تزكو بها النفوس وتسعد بها القلوب. (٤) الحصول على المنهج الأكمل في الأخلاق. (٥) الهداية إلى الشريعة التي إليها يتحاكم الناس، وبها يتحقق العدل بينهم، ويسود الأمن في حياتهم. (٦) العلم برحمة الله تعالى بعباده؛ حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة. (٧) العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرع لكل قوم أو أمة ما يناسب أحوالهم. (٨) حمد الله ﷻ على نعمته، حيث أنزل علينا كتابًا يبين لنا طريق سعادتنا في دنيانا وأخرانا.

❊ **المخالفون في الإيمان بالكتب طوائف شتى، ومنهم:** (١) المكذبون بالكتب كلها، وهم أعداء الرسل من الكفار والمشركين، ومن سلك سبيلهم. (٢) الذين آمنوا ببعض الكتب، وكفروا بالبعض الآخر، كاليهود والنصارى الذين كذبوا بالقرآن. (٣) الذين آمنوا بها ظاهرًا وكفروا بها باطنًا، ومنهم: غلاة الصوفية الذين اتخذوا من وساوس شياطينهم وحيًا. (٤) الذين يفضلون أحكام البشر على شريعة رب العالمين؛ ممن وضعوا الدساتير الوضعية والقوانين البشرية، وفضلوها على شريعة الله وفرضوا على الناس التحاكم إليها. (٥) الفرق الباطنية؛ الذين سلكوا مسالك شتى في جحد ما أنزل الله على نبيه، ومن ذلك: (أ) التأويل الباطني لآيات القرآن وصرفها عن ظاهرها. (ب) دعاوى تنزل كتب إلهية على أئمتهم، كالدروز الذين وضعوا كتابًا سموه «المنفرد بذاته»، والبابية الذين وضعوا كتابًا سموه «البيان»، والبهائية الذين وضعوا كتابًا سموه «الأقدس»، والإثني عشرية الذين يدعون أن هناك كتبًا نزلت من الله على أئمتهم، منها -كما يزعمون: مصحف فاطمة، وكتاب أنزل على الرسول ﷺ قبل أن يأتيه الموت، ولوح فاطمة، واثنتا عشرة صحيفة من السماء تتضمن صفات الأئمة، والجامعة، والجفر، وديوان الشيعة.

(٦) الحداثيون والعلمانيون الذين قالوا بتاريخية النص القرآني، والمراد به: إخضاع النص القرآني لأثر الزمان والمكان والمخاطب مطلقًا، وغايته: التنصل من سلطة النص القرآني وقدسيته، فالقرآن في زعمهم مرتبط بظروف تاريخية وسياسية واجتماعية، وليست أحكامه مطلقة لكل زمان.



أسئلة تطبيقية

س١: عرف الكتب لغة واصطلاحًا، موضحًا معنى الإيمان بالكتب الإلهية.

س٢: اذكر أشهر الكتب الإلهية السابقة على القرآن، مع ذكر أدلة تحريفها.

س٣: ما موقف المسلم من الكتب السابقة؟

س٤: بين معنى الإيمان بالقرآن، وأهم الخصائص التي تميز بها عن الكتب السابقة.

س٥: ما هي ثمرات الإيمان بالكتب الإلهية؟

س٦: سلكت الفرق الباطنية مسالك شتى في جحد ما أنزل الله على نبيه ﷺ، اشرح ذلك، واذكر بعض الكتب التي زعموا أنها تنزل على أئمتهم.

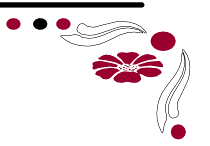
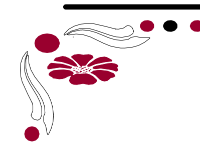
س٧: ما المراد بتاريخية النص؟ ومن الذي قال به؟ وما الغرض من هذه الدعوى؟ وكيف ترد عليها؟





الفصل الثالث

الإيمان بالرسل

الفصل الثالث

۞ ويشتمل على ما يلي:

١- تعريف النبي والرسول، والفرق بينهما.

٢- الوحي؛ تعريفه، وأنواعه مع الأدلة.

٣- معنى الإيمان بالرسل.

٤- حكم الإيمان بالرسل مع الأدلة.

٥- حاجة البشر إلى الرسل، والرد على منكري النبوة.

٦- الرسل الذين ذكروا في القرآن، وعدد الأنبياء والرسل على وجه العموم، والمختلف في نبوتهم، والقول الراجح في ذلك.

٧- منزلة الأنبياء والمرسلين، وخصائصهم، ووظائفهم.

٨- تفاضل الرسل فيما بينهم.

٩- عصمة الأنبياء والرسل.

١٠- دلائل النبوة، وآيات الرسل والأنبياء، تعريفها، وعلاقتها بمصطلح المعجزة، وأنواع الآيات، وأمثلة على آيات الأنبياء والرسل.

١١- الفرق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء وخوارق السحرة والكهان.

١٢- دين الأنبياء واحد، وأدلته.

١٣- مبشرات نبوة النبي محمد ﷺ، وأدلة ثبوت نبوته ﷺ، والرد على الشبهات حولها.

١٤- معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ.

١٥- خصائص رسالة نبينا محمد ﷺ.

١٦- ختم النبوة.

١٧- الإسراء والمعراج؛ تعريفهما، والأدلة عليهما، ودلالتهما.

١٨- ثمرات الإيمان بالرسل.





المبحث الأول

تعريف النبي والرسول، والفرق بينهما

۞ أولًا: معنى الرسول والنبي لغة:

النبي لغة: مشتق من النبأ، وهو الخبر، وسمي النبي نبيًّا؛ لأن الله أنبأه، أي: أخبره، وأوحى إليه ﴿قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]، أو لأنه ينبئ عن الله أي: يخبر، فالنبيء: المخبِر عن الله ﷻ؛ لأنه أنبأ عنه، وقيل: مشتق من النَّبْوة، وهي ما ارتفع من الأرض[١]؛ لأن النبي ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة.

ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية المعنى الأول[٢].

وليس هناك ما يمنع من حمله على الجميع؛ لأن النبي يخبره الله، وهو يخبر عن الله، وهو ذو رفعة وقدر عظيم.

والرسول مشتق من الإرسال، قال ابن منظور: «الإرسال: التوجيه، وقد أَرْسَل إليه، والاسمُ الرِّسالة، والرَّسالة، والرسول، والرَّسِيل»[٣]، ووجه

(١) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (١٥/ ١٩٤)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٦/ ٢٥٠٠)، لسان العرب، لابن منظور (١٥/ ٣٠٢).

(٢) انظر: النبوات، لابن تيمية (٢/ ٦٨٨).

(٣) لسان العرب (٣/ ١٦٤٤)، وانظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري (١/ ٣٤).

التسمية: أن الرسول مرسل من عند الله.

۞ ثانيًا: معنى الرسول والنبي اصطلاحًا والفرق بينهما:

يتبين معنى الرسول والنبي من خلال معرفة الفرق بينهما، حيث ذهب بعضهم إلى القول بأنه لا فرق بين الرسول والنبي، وهم جمهور المعتزلة، قال القاضي عبد الجبار: «اعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبي»(١).

والحق أن هناك فرقًا بين الرسول والنبي؛ فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا، بدليل قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]، والعطف عند علماء العربية يقتضي المغايرة(٢).

ويدل على الفرق أيضًا قوله جل وعلا: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١﴾ [مريم: ٥١]، فوصفه بالنبوة والرسالة، والرسالة صفة زائدة عن النبوة، لأنه لا وجه للقول بالترادف.

ولذا قال القاضي عياض: «الصحيح، والذي عليه الجمُّ الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا»(٣).

وقد اختلف القائلون بالتفريق في معنى النبي والرسول وتحديد الفرق بينهما **على أقوال:**

القول الأول: أن الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وهو قول الجمهور(٤).

واعترض بعضهم على هذا القول بوجوه:

١- أن الله ﷻ نص في كتابه على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في

---

(١) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار (ص٥٦٧)، وانظر: تفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٦).

(٢) انظر: تفسير الزمخشري (٣/ ١٦٤)، تفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٦)، مجموع الفتاوى (٧/ ١٧٢).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (١/ ٢٥١).

(٤) انظر: أعلام الحديث، للخطابي (١/ ٢٩٨)، شرح الطحاوية، لابن أبي العز (١/ ١٥٥).

قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]، والإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

٢- أن ترك البلاغ لا يجوز؛ لأنه كتمان لوحي الله ﷻ، فكلٌّ من الرسول والنبي مأمور بالتبليغ.

٣- أن العلماء، وهم أقل رتبة من الأنبياء، مأمورون بالبلاغ.

٤- واحتج بعضهم بحديث: «**عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد**»[١]، فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم[٢]، ولكن الاعتراض بهذا الحديث غير متوجه؛ لأن النبي إذا أفرد بالذكر قد يدخل فيه الرسول.

القول الثاني: أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي من أوحي إليه بتجديد شرع من قبله، وهو اختيار الألوسي[٣]، والألباني[٤]، والأشقر[٥].

وقد اعترض على هذا القول بآدم -عليه الصلاة والسلام- **ووجه ذلك**: أن آدم هو أول الأنبياء فلم يتقدم عليه رسول، فكيف يقال بأن النبي هو من بعث بتقرير شرع من قبله؟![٦]، ويضاف إلى ذلك بأنه ليس من شروط الرسول أن يأتي بشرع جديد، فإن داود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين وهما على شريعة التوراة لم يأتيا بشرع جديد[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٥٧٥٢)، ومسلم (ح٢٢٠).

(٢) انظر: الرسل والرسالات، لعمر الأشقر (ص١٥).

(٣) انظر: روح المعاني، للألوسي (٩/ ١٦٥).

(٤) انظر: متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص٣٦).

(٥) انظر: الرسل والرسالات، للأشقر (ص١٥).

(٦) ذكر لي شيخنا محمد بن عثيمين رحمه الله أنه كان يميل إلى هذا القول، ثم عدل عنه إلى قول الجمهور، وذلك لأنه يرد عليه مسألة آدم عليه السلام.

(٧) انظر: النبوات (٢/ ٧١٧-٧٢١).

القول الثالث: قال الفراء: «الرسول: النبي المرسل، والنبي: المحدَّث الذي لم يرسل»[(١)]، ومراده: أن الرسول الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل عليه السلام إليه عيانًا، والنبي الذي تكون نبوته إلهامًا أو منامًا[(٢)].

القول الرابع: قال الزمخشري: «الرسول: الذي معه كتاب من الأنبياء، والنبى: الذي ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب، كيوشع»[(٣)].

القول الخامس -وهو أرجحها: أن الرسول يبعث لقوم كافرين، والنبي يبعث إلى مؤمنين، وهو اختيار ابن تيمية[(٤)]، وهو أسلم الأقوال من الاعتراضات.



(١) معاني القرآن، للفراء (٢/ ٢٢٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٨٠).

(٣) تفسير الزمخشري (٣/ ٢٢)، وانظر: فيض القدير، للمناوي (١/ ١٥).

(٤) انظر: النبوات (٢/ ٧١٧-٧٢١).



المبحث الثاني

الوحي

تعريفه، وأنواعه مع الأدلة

۞ أولًا: معنى الوحي:

الوحي لغة:

قال أبو منصور الأزهري: «قال أبو إسحاق: وأصل الوحي في اللغة كلها: إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحيًا، قلت: وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحيًا، والكتابة تسمى وحيًا»[(١)].

و«**القول الجامع في معنى الوحي اللغوي** أنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره... ووحي الله تعالى إلى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة، وهما: الخفاء والسرعة»[(٢)].

الوحي شرعًا:

أن يُعلِمَ الله تعالى من اصطفاه من عباده كلَّ ما أراد إطلاعه عليه من أنواع الهداية والعلم، ولكن بطريقة سريعة خفية غير معتادة للبشر[(٣)].

---

(١) تهذيب اللغة (٥/ ٢٩٧)، وانظر: مقاييس اللغة (٦/ ٩٣)، لسان العرب (٦/ ٤٧٨٧).

(٢) الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا (ص٢٥).

(٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد الزرقاني (١/ ٦٣)، مباحث في علوم القرآن، =

۞ ثانيًا: أنواع الوحي:

بين الله تعالى أنواع الوحي في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، فقد ذكر تعالى في هذه الآية «أن تكليمه تعالى... **يكون على أحد هذه الأوجه:**

١- إما أن يكلمه الله وحيًا؛ بأن يُلقي الوحي في قلب الرسول، من غير إرسال ملك، ولا مخاطبة منه شفاها.

٢- أو يكلمه منه شفاهًا، لكن من وراء حجاب، كما حصل لموسى بن عمران، كليم الرحمن.

٣- أو يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، فيرسل رسولًا كجبريل أو غيره من الملائكة، ﴿فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بإذن ربه، لا بمجرد هواه»[1].

فحصرت الآية التكليم في ثلاثة أقسام:

الأول: الوحي، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾، «وفسره بعضهم بالإلقاء في القلب سواء كان في اليقظة أو في المنام، والإلقاء أعم من الإلهام؛ فإن إيحاء أم موسى إلهام، وإيحاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلقاء في المنام وليس إلهامًا، وإيحاء الزبور إلقاء في اليقظة -كما روي عن مجاهد- وليس بإلهام»[2].

❊ أما في اليقظة فيلقي الله أو الملَك الموكل بالوحي في قلب نبيه ما يريد، مع تيقنه أن ما ألقي إليه من قِبل الله تعالى.

وذلك مثل ما ورد في حديث: «**إن روح القدس نفث في رُوعي: لن تموت نفس**

= لمناع القطان (ص٢٩)، دراسات في علوم القرآن، لفهد الرومي (ص١٧٧).

(١) تفسير السعدي (ص٧٦٢)، وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢١٧)، تفسير البغوي (٧/ ٢٠٠-٢٠١)، معاني القرآن (٦/ ٣٢٦-٣٢٧)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢/ ١٨٥).

(٢) روح المعاني، للألوسي (١٣/ ٥٤).

حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[(١)].

❊ وأما في المنام، فإن رؤيا الأنبياء وحي؛ وذلك مثل: رؤيا إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- أن يذبح ابنه، ورؤيا نبينا محمد -صلوات الله وسلامه عليه- في منامه أنهم سيدخلون البلد الحرام، وقد كان. وفي الحديث الصحيح: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَقِ الصبح»[(٢)].

والثاني: تكليم الله نبيه بما يريد من وراء حجاب، إما في اليقظة، وإما في المنام، فيسمع الكلام من غير أن يبصر السامع من يكلمه، كما كان لموسى عليه السلام، وكذا الملائكة الذين كلمهم الله تعالى في قضية خلق آدم عليه السلام ونحوهم، وهو المراد بقوله سبحانه: ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾.

والثالث: إرسال الملَك، كالغالب من حال نبينا ﷺ وهو حال كثير من الأنبياء عليهم السلام، وزَعْم أنه من خصوصيات أولي العزم من المرسلين غير صحيح، وهو المراد بقوله عز وجل: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ أي: ملَكًا ﴿فَيُوحِيَ﴾ ذلك الرسول إلى المرسل إليه الذي هو الرسول البشري ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بأمره تعالى وتيسيره سبحانه ﴿مَا يَشَآءُ﴾ أن يوحيه، وهذا يدل على أن المراد من الأول الوحي من الله تعالى بلا واسطة؛ لأن إرسال الرسول جعل فيه إيحاء ذلك الرسول.

والملك المختص بالوحي هو جبريل عليه السلام، والوحي الذي يكون بواسطة جبريل عليه السلام يعرف بـ(الوحي الجليّ)، **وله ثلاث حالات:**

١- **أن يأتي جبريل** عليه السلام **في صورته التي خلقه الله عليها**، وهذه الحالة نادرة،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن مسعود رضي الله عنه (١٣/ ٢٢٧)، والبزار في المسند عن حذيفة رضي الله عنه (ح٢٩١٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء عن أبي أمامة رضي الله عنه (١٠/ ٢٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٠٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣)، ومسلم (ح١٦٠).

وقليلة، وقد ورد أن النبي ﷺ لم ير جبريل على هذه الحالة إلا مرتين: مرة في الأرض، وهو نازل من غار حراء، ومرة أخرى في السماء، عند سدرة المنتهى ليلة المعراج[(١)].

٢- **أن يأتي جبريل** عليه السلام **في صورة رجل**؛ كدحية الكلبي، أو أعرابي مثلًا، ويراه الحاضرون ويسمعون قوله، ولا يعرفون هويته، ولكن النبي ﷺ يعلم علم اليقين أنه جبريل.

٣- **أن يأتي الملَك ولا يُرى**، ولكن يصحب مجيئه صوت كصلصلة الجرس، أو دويٌّ كدوي النحل، وقد دل على هاتين الحالتين حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليَّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول**» قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا[(٢)].

والوحي بجميع أنواعه يصحبه علم يقيني ضروري من الموحى إليه بأن ما ألقي إليه حق من عند الله، ليس من خطرات النفس ولا نزغات الشيطان، وهذا العلم اليقيني لا يحتاج إلى مقدمات، وإنما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية، كالجوع والعطش والحب والبغض[(٣)].



(١) أخرجه أحمد في المسند عن ابن مسعود رضي الله عنه (ح ٣٨٦٤)، وعن عائشة رضي الله عنها (ح ٢٥٩٩٣)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٢) أخرجه البخاري (ح٢)، ومسلم (ح٢٣٣٣)، واللفظ للبخاري.

(٣) انظر: تفسير الألوسي (١٣/ ٥٤)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد أبي شهبة (ص٨٥-٨٧).



المبحث الثالث

معنى الإيمان بالرسل

۞ الإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، وأنَّ جميعهم صادقون مصدَّقون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلَّغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا حرفًا، ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفًا ولم ينقصوه، وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين(١).

الثاني: الإيمان بكل نبي أرسله الله؛ مَنْ علمنا اسمه منهم نؤمن باسمه، ومن لم نعلم نؤمن به إجمالًا.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارهم، ولا يصح من أخبارهم، إلا ما جاء في كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٦ - ١٩]، وما صح عن رسول الله ﷺ.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد ﷺ، المرسل إلى جميع الناس، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

---

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٦٧٧).

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، فقد ختم الله به المرسلين، وجعله آخر النبيين، وجعل كتابه مهيمنًا على سائر الكتب قبله، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].





المبحث الرابع

حكم الإيمان بالرسل مع الأدلة

الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان، لا يصح الإيمان إلا به، ومن أدلة ذلك أن الله سبحانه قرن الإيمان برسله بالإيمان به، فقال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال - جل وعلا: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

كما قرن الله - جل وعلا - الكفر به بالكفر برسله، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]، وهذا ما أجمع عليه المسلمون، وعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وبجميع ما أنزله الله من الكتب، فمن كفر بنبي واحد تعلم نبوته، مثل: إبراهيم، ولوط، وموسى، وداود، وسليمان، ويونس، وعيسى، فهو كافر عند جميع المسلمين، حكمه حكم الكفار، وإن كان مرتدًّا استتيب، فإن تاب وإلا قتل، ومن سب نبيًّا واحدًا من الأنبياء قتل أيضًا باتفاق المسلمين»(١).

(١) الجواب الصحيح (٢/ ٣٧١)، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٥).

وقد جعل الله سبحانه حكم من كفر برسالة واحد منهم كمن كفر بجميعهم، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وقال ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: ١٤١]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠]، فجعلهم الله - جل وعلا - مكذبين لجميع الرسل، مع أنهم لم يكذبوا سوى رسولهم، وهذا يبين أن من كذب رسولًا واحدًا كمن كذب الرسل جميعًا، وهو يدل على أن النصارى الذين يكذبون محمدًا ﷺ هم مكذبون بعيسى، واليهود الذين يكذبون محمدًا ﷺ هم مكذبون لموسى -صلوات الله عليهم أجمعين- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من أطاع رسولًا واحدًا فقد أطاع جميع الرسل، ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع، ومن عصى واحدًا منهم فقد عصى الجميع، ومن كذب واحدًا منهم فقد كذب الجميع؛ لأن كل رسول يصدق الآخر، ويقول: إنه رسول صادق ويأمر بطاعته، فمن كذب رسولًا فقد كذب الذي صدقه، ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته»[(١)].

❁ ويجب الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بيانًا لا يسع أحدًا ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ [النحل: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

❁ ويجب الإيمان بما تضمنته رسالاتهم من أخبار وأحكام وشرائع وما أنزل عليهم من كتب، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٨٠)، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٥٢٣).

تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

* ويجب الاهتداء بهديهم، والاقتداء بسيرهم واقتفاء آثارهم، كما قال سبحانه بعد أن ذكر عددًا من أنبيائه ورسله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

كما يجب الإيمان بخاتم الرسل محمد ﷺ، فيجب تصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالًا وتفصيلًا، واعتقاد أن رسالته ناسخة لما قبلها(١).



(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٢٣-٤٢٤).



المبحث الخامس

حاجة البشر إلى الرسل

والرد على منكري النبوة

۞ أولًا: حاجة البشر إلى الرسل:

يتبين ذلك من وجوه:

١- أن «حاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب؛ فإن آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها، مات قلبه موتًا لا ترجى الحياة معه أبدًا، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبدًا»(١).

٢- أن البشر مهما أوتوا من عقول، لا يستطيعون أن يصلوا إلى الحق والهدى الذي فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

٣- أن «سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة... والعبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهذا وصف المؤمن كان ميتًا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٦-٩٧).

وجعل له نورًا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات، وسمى الله تعالى رسالته روحًا، والروح إذا عدم فقد فقدت الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢]»[(١)].

وقال الإمام ابن القيم: «لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال»[(٢)].

٤- أنه لا سبيل لمعرفة العبد بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته على سبيل التفصيل إلا عن طريق الرسل، فلا سبيل إلى أن يهتدي إلى الطريق الموصل إليه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه، ويعرف حاله ومصيره بعد الموت إلا بواسطة الرسل، قال الإمام ابن أبي العز مبينًا هذه الأصول الثلاثة التي لا تعرف على سبيل التفصيل إلا من جهة الرسل -عليهم الصلاة والسلام: «اقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها، **ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان:**

أحدهما: تعريف الطريق الموصل إليه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٣-٩٤).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٦٨).

والثاني: تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم المقيم»[(١)].

٥- أن الله - جل وعلا - أخبر أن المقتضي الباعث لإرسال الرسل هو رحمته للعالمين، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ولذلك كان إرسال الرسل من أجلِّ وأعظم نِعَم الله على خلقه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

٦- أن «الرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة؛ فإن الإنسان مضطر إلى الشرع؛ فإنه بين حركتين: حركة يجلب بها ما ينفعه؛ وحركة يدفع بها ما يضره، والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، والشرع نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمنًا»[(٢)].

۞ ثانيًا: الرد على منكري النبوات:

يزعم منكرو النبوات أنه يمكنهم الاستغناء عن الرسل بعقولهم، وأشهر من عرف عنهم إنكار النبوات هم البراهمة، وقد نقل أصحاب المقالات شبهاتهم، وبينوا وجوه بطلانها، **فمن شبهاتهم ما يلي:**

الشبهة الأولى: أن الله تعالى قد أغنى عنهم -كما يزعمون- بما دلت عليه العقول، **وهذا فاسد من وجهين:**

الأول: أنه لا يمكن أن تستغني العقول عن بعثة الرسل؛ لأن ما يأتي به الرسل هو من عند الله خالق الإنسان، وهو أعلم بما يصلحه ويفسده، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٩).

والثاني: أنه لا مدخل للعقول فيما تأتي به الرسل من الوعد والوعيد والجنة والنار، وما يشرعونه من أوصاف التعبد الباعث على التأله، فلا يغني العقل عن بعثة الرسل[١].

الشبهة الثانية: «أن بعثة الرسل إلى من يعلم من حاله أنهم لا يقبلون منهم ما بلغوه إليهم عبث يمنع من حكمة الله تعالى، **وهذا فاسد من وجهين:**

أحدهما: أنه ليس بعبث أن يكون فيهم من لا يقبله، كما لم يكن فيما نصبه الله تعالى من دلائل العقول على توحيده عبثًا، وإن كان منهم من لا يستدل به على توحيده كذلك بعثة الرسل.

والثاني: أن وجود من يقبله فيهم على هذا التعليل يوجب بعثة الرسل وهم يمنعون من إرسالهم إلى من يقبل ومن لا يقبل فبطل هذا التعليل»[٢].

الشبهة الثالثة: قولهم: «ليس الخلق أهلًا أن يرسل الله إليهم رسولًا، كما أن أطراف الناس ليسوا أهلًا أن يرسل السلطان إليهم رسولًا»[٣]، وأجاب عن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «هذا جهل واضح في حق المخلوق والخالق، فإن من أعظم ما تحمد به الملوك خطابهم بأنفسهم لضعفاء الرعية، فكيف بإرسال رسول إليهم؟!

وأما في حق الخالق فهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وهو قادر مع كمال رحمته، فإذا كان كامل القدرة كامل الرحمة، فما المانع أن يرسل إليهم رسولًا رحمة منه؟ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال النبي ﷺ: «**إنما أنا رحمة مهداة**»، ولأن هذا من جملة إحسانه إلى الخلق بالتعليم والهداية وبيان ما ينفعهم وما يضرهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ

---

(١) انظر: أعلام النبوة للماوردي (ص٣٦-٣٧).

(٢) أعلام النبوة للماوردي (ص٣٧)، وانظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص١٤٢).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية (٥/ ٧٤)، تحقيق: محمد رشيد رضا.

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فبين تعالى أن هذا من منته على عباده المؤمنين، فإن كان المنكر ينكر قدرته على ذلك فهذا قدح في كمال قدرته، وإن كان ينكر إحسانه بذلك فهذا قدح في كمال رحمته وإحسانه، فعلم أن إرسال الرسول من أعظم الدلالة على كمال قدرته وإحسانه، والقدرة والإحسان من صفات الكمال لا النقص، وأما تعذيب المكذبين فذلك داخل في القدر لما له فيه من الحكمة»[١].

الشبهة الرابعة: «أن ما يظهرونه من المعجز الخارج عن العادة قد يوجد مثله في أهل الشعبذة والمخرقة وأهل النِّيرَنجيَّات[٢]، وليس ذلك من دلائل صدقهم، فكذلك أحكام المعجزات، **وهذا فاسد من وجهين:**

أحدهما: أن الشعبذة تظهر لذوي العقول، وتندلس على الغِرِّ الجهول، فخالفت المعجزة التي تذهل لها العقول.

والثاني: أن الشعبذة تستفاد بالتعليم فيتعلمها من ليس يحسنها، فيصير مكافئًا لمن أحسنها ويعارضها بمثلها، والمعجزة مبتكرة لا يتعاطاها غير صاحبها، ولا يعارضه أحد بمثلها، كما انقلبت عصى موسى حية تسعى تلتقف ما أفكه السحرة فخرُّوا له سجدًا»[٣].

وسيأتي تفصيل الفرق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة والكهان في المبحث الحادي عشر.



(١) مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية (٥/ ٧٤-٧٥).

(٢) **النِّيرَنْج:** أمر يشبه السحر فيه تدليس. انظر: المحكم لابن سيده (٧/ ٣٨٩)، تاج العروس (٦/ ٢٣٦).

(٣) أعلام النبوة للماوردي (ص٣٨).



المبحث السادس

الرسل الذين ذكروا في القرآن

وعدد الأنبياء والرسل على وجه العموم، والمختلف في نبوتهم، والقول الراجح في ذلك

۞ أولًا: الرسل الذين ذكروا في القرآن:

ذكر الله - جل وعلا - في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيًّا ورسولًا بأسمائهم، منهم ثمانية عشر في «سورة الأنعام»، وهم الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

وبقيتهم وهم سبعة ذكروا في مواضع متفرقة من القرآن الكريم، وهم: آدم، وهود، وشعيب وصالح، وذو الكفل، ونبينا محمد -عليهم الصلاة والسلام.

وقد جمعهم الناظم في قوله:

في (تلك حجتنا) منهم ثمانيةٌ   من بعد عشرٍ ويبقى سبعة وهموا

إدريسُ هودُ شعيبٌ صالحٌ وكذا ذو الكِفْل آدمُ بالمختار قد خُتِموا[(١)]

قال ابن كثير: «وهذه تسمية الأنبياء الذين نص على أسمائهم في القرآن، وهم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس، واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى -عليهم الصلاة والسلام- وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد ﷺ»[(٢)].

۞ ثانيًا: عدد الأنبياء والرسل على وجه العموم:

لا يعلم عدد الأنبياء والرسل إلا الله تعالى الذي أرسلهم، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، قال ابن عطية: «قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ يقتضي كثرة الأنبياء دون تحديد بعدد، وقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]»[(٣)].

وقد ورد في عددهم عدة أحاديث، لكن الراجح أنها ضعيفة لا تصح[(٤)]، منها حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وعشرون ألفًا**» قلت: يا رسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر جمًّا غفيرًا**»[(٥)].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لمحمد هراس (ص٦٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٩).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٣٧).

(٤) انظر للتفصيل: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٠٩)، تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٩-٤٧٣).
وقد صحح الحديث الشيخ الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٦٣).

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٧)، وإسناده ضعيف جدًّا.

قال ابن عطية: «وما يذكر من عدد الأنبياء فغير صحيح، الله أعلم بعدتهم، صلى الله عليهم»[(١)].

وقال الشيخ ابن باز: «ليس في عدد الأنبياء والرسل خبر يعتمد عليه، فلا يعلم عددَهم إلا اللهُ سبحانه وتعالى، لكنهم جمٌّ غفير، قص الله علينا أخبار بعضهم، ولم يقص علينا أخبار البعض الآخر؛ لحكمته البالغة جل وعلا»[(٢)].

۞ ثالثًا: الأنبياء المختلف في نبوتهم:

هناك من اختلف في نبوته؛ كذي القرنين، وتبَّع، وذي الكفل، والخضر.

❊ أما ذو القرنين؛ فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما ذو القرنين المذكور في القرآن فهو من أهل الإيمان والتوحيد، وقد اختلف في نبوته، والصحيح أنه لم يكن نبيًّا»[(٣)].

❊ وأما تُبَّع؛ فقد قال القرطبي: «واختلف هل كان نبيًّا أو ملكًا، فقال ابن عباس: كان تبع نبيًّا، وقال كعب: كان تبع ملكًا من الملوك»[(٤)]، والأولى التوقف في نبوته؛ لعدم ورود دليل صحيح يثبت نبوته.

وكذا التوقف في نبوة ذي القرنين؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما أدري تبع أنبيًّا كان أم لا؟ وما أدري ذا القرنين أنبيًّا كان أم لا؟**»[(٥)]، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدري فغيره أولى.

❊ وأما ذو الكفل؛ فقال ابن كثير: «الظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونًا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي -عليه من ربه الصلاة

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٣٧).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٢/ ٦٧).

(٣) الرد على البكري، لابن تيمية (١/ ١٥٦-١٥٧).

(٤) تفسير القرطبي (١٦/ ١٤٦).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٩٢) وصححه، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٥٥٢٤).

والسلام-، وهذا هو المشهور، وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبيًّا، وإنما كان رجلًا صالحًا وحكمًا مقسطًا عادلًا»[١].

❊ وأما الخضر؛ فقد قال الإمام القرطبي: «والخضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته»[٢]، لكن نسب شيخ الإسلام ابن تيمية القول بعدم نبوته إلى أكثر العلماء، فقال: «أكثر العلماء على أنه لم يكن نبيًّا»[٣]، والأولى التوقف في نبوته، لعدم ورود الأدلة الصريحة في ذلك.



(١) البداية والنهاية (١/ ٥١٦).
(٢) تفسير القرطبي (١١/ ١٦)، وانظر: البداية والنهاية (٢/ ٢٤٨-٢٤٩).
(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٣٨).



المبحث السابع

منزلة الأنبياء والمرسلين، وخصائصهم، ووظائفهم

۞ أولًا: منزلة الأنبياء والمرسلين:

١- أفضل الخلق:

الأنبياء والمرسلون هم أفضل الخلق، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩]، قال القرطبي: «لما ذكر مراتب أوليائه في كتابه بدأ بالأعلى منهم وهم النبيون، ثم ثنَّى بالصدِّيقين»[(١)]، وقال سبحانه: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦]، قال الشيخ السعدي: «﴿وَكُلًّا﴾ من هؤلاء الأنبياء والمرسلين

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٢٧٣).

﴿فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأن درجات الفضائل أربع، وهي التي ذكرها الله بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فهؤلاء من الدرجة العليا، بل هم أفضل الرسل على الإطلاق، فالرسل الذين قصهم الله في كتابه، أفضل ممن لم يقص علينا نبأهم بلا شك»[١].

وأما السنة، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**»[٢]، وهو دليل على أن الأنبياء أمثل الخلق وأفضلهم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله اختار أصحابي على العالمين، سوى النبيين والمرسلين**»[٣].

وأما الإجماع، فقد قال الإمام ابن حزم: «ولا خلاف بين المسلمين في أن الأنبياء عليهم السلام أرفع قدرًا ودرجة، وأتم فضيلة عند الله عز وجل، وأعلى كرامة من كل مَن دونهم، ومن خالف في هذا فليس مسلمًا»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأنبياء أفضل الخلق باتفاق المسلمين، وبعدهم الصديقون والشهداء والصالحون»[٥].

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء»[٦].

---

(١) تفسير السعدي (ص٢٦٣-٢٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٣٩٨)، وابن ماجه (ح٤٠٢٣)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٩٩٢).

(٣) أخرجه البزار كما في كشف الأستار عن زوائد البزار (٣/ ٢٨٨)، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات» (مجمع الزوائد ١٠/ ١٦).

(٤) المحلى بالآثار (١/ ٤٥).

(٥) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤١٧).

(٦) الطحاوية مع شرح ابن أبي العز (٢/ ٧٤١).

٢- الاصطفاء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، قال ابن كثير: «أي: هو أعلم حيث يضع رسالته، ومن يصلح لها من خلقه»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والله سبحانه قد أخبر أنه يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس، والاصطفاء افتعال من التصفية، كما أن الاختيار افتعال من الخيرة، فيختار من يكون مصطفى، وقد قال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾، فهو أعلم بمن يجعله رسولًا ممن لم يجعله رسولًا، ولو كان كل الناس يصلح للرسالة لامتنع هذا»[٢].

وعن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[٣].

والأنبياء والرسل هم أحسن الناس نسبًا، كما قال هرقل ملك الروم: «. . . سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. . .»[٤].

وجميع الرسل بعد نوح من ذرية نوح، لأنه لم يبق من ذرية آدم بعد الطوفان سوى ذرية نوح، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧﴾ [الصافات: ٧٧]، وجميع الرسل بعد إبراهيم من ذرية إبراهيم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٢).
(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٤٣٧).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٢٧٦).
(٤) أخرجه البخاري (ح٧).

٣- الكمال في تحقيق العبودية:

وقد وصف الله عز وجل نبيه بالعبودية في أشرف المقامات:

* **مقام الوحي**، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠].

* **ومقام الإسراء**، قال سبحانه: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

* **ومقام الدعوة إلى الله**، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

* **ومقام إنزال القرآن**، قال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

* **ومقام التحدي**، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

وكذلك الأنبياء جاء وصفهم بالعبودية، وهي أشرف المقامات في كثير من آيات القرآن، قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: ٤٥-٤٧].

وقال جل وعلا: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٣].

وقال عز وجل: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الصافات: ١٠٩ - ١١١].

وقال سبحانه: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الصافات: ١٢٠ - ١٢٢].

وقال جل وعلا: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠].

ثانيًا: خصائص الأنبياء والرسل:

خص الله عز وجل الأنبياء والرسل بخصائص امتازوا بها عن سائر البشر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا ريب أن الله خص الأنبياء بخصائص، لا توجد

لغيرهم»[(١)]، **ومنها:**

١- الوحي:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]. قال ابن عباس: علَّم الله تعالى رسوله التّواضع؛ لئلّا يزهى على خلقه، فأمره أن يُقِرَّ على نفسه بأنه آدمي كغيره، إلا أنه أُكرم بالوحي[(٢)].

٢- الحرية:

من خصائص الرسل والأنبياء الحرية، فلم يكن نبي من الأنبياء رقيقًا؛ لأن الرِّق عجز حكمي يقوم بالإنسان سببه الكفر[(٣)]، والأنبياء منزهون عن ذلك، كما أن الرق نقص بشري؛ لأنه وصف أدنى من الحرية، والرقيق مملوك لسيده يباع ويشترى، فكيف يكون نبيًّا يسوس أمة ويقودها، قال السفاريني: «الرِّق: وصف نقص لا يليق بمقام النبوة، والنبي يكون داعيًا للناس آناء الليل وأطراف النهار، والرقيق لا يتيسر له ذلك، وأيضًا الرِّقِّية: وصف نقص يأنف الناس ويستنكفون من اتباع من اتصف بها وأن يكون إمامًا لهم وقدوة، وهي أثر الكفر، والأنبياء منزهون عن ذلك»[(٤)].

٣- الذكورة:

لم يبعث الله نبيًّا إلى قومه إلا كان رجلًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس في النساء نبية»[(٥)].

وقد أجمع أهل العلم على أن الله - جل وعلا - لم يرسل رسولًا إلا كان

---

(١) النبوات (٢/ ٨٢٠).

(٢) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي (٣/ ١٧٢).

(٣) انظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني (٤/ ٤٥)، حاشية الروض المربع، لابن قاسم (٦/ ١١٩).

(٤) لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (٢/ ٢٦٥).

(٥) الجواب الصحيح (٢/ ٣٤٩).

رجلًا، فكل الرسل من الرجال، كما تدل على ذلك صيغة الحصر في قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ [يوسف: ١٠٩]، «فأخبر أنه لم يرسل إلا رجالًا يُوحى إليهم، لم يرسل إليهم ملائكة ولا نساء»(١).

وهذا يبين خطأ من قال: إن من النساء نبية(٢).

٤- الرسل من الإنس:

ذهب جمهور العلماء إلى أن الرسل من الإنس فقط، وليس في الجن رسل، واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقوله تعالى عن

(١) المصدر السابق (٦/ ٣٨٢).

(٢) وهو قول ابن حزم، وقد أجاب على الآية المذكورة بقوله: «لم يدَّعِ أحدٌ أن الله تعالى أرسل امرأة، وإنما الكلام في النبوة دون الرسالة»، واستدل على ذلك بأن «لفظ (النبوة) مأخوذ من الإنباء وهو الإعلام، فمن أعلمه الله تعالى بما يكون قبل أن يكون أو أوحى إليه منبئًا له بأمر ما فهو نبي بلا شك» (الفصل ٥/ ١٢-١٤)، وهو من أقواله الشاذة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأبو محمد [يعني ابن حزم] مع كثرة علمه وتبحره وما يأتي به من الفوائد العظيمة، له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه، كما يعجب مما يأتي به من الأقوال الحسنة الفائقة، وهذا كقوله: إن مريم نبية، وإن آسية نبية، وإن أم موسى نبية، وقد ذكر القاضي أبو بكر والقاضي أبو يعلى وأبو المعالي وغيرهم الإجماع على أنه ليس في النساء نبية، والقرآن والسنة دلَّا على ذلك؛ كما في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقوله: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ [المائدة: ٧٥]، ذكر أن غاية ما انتهت إليه أمه الصديقية» (مجموع الفتاوى ٤/ ٣٩٦).

وحكي مثل قول ابن حزم عن الأشعري، انظر: فتح الباري (٦/ ٤٤٧)، لوامع الأنوار (٢/ ٢٦٦).

وقال القرطبي بنبوة مريم -عليها السلام: «لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك، كما أوحى إلى سائر النبيين» (تفسير القرطبي ٤/ ٨٣)، وانظر: الصفدية، لابن تيمية (١/ ١٩٨)، مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٦).

إبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، وقوله جل وعلا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

قال القرطبي: «وإنما الرسل من الإنس لا من الجن»(١).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «الرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد وغيره من السلف والخلف، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر»(٢).

٥- تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة الإسراء والمعراج قال: والنبي صلى الله عليه وسلم نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «**يا عائشة إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي**»(٤).

٦- لا تأكل الأرض أجسادهم:

وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله** عز وجل **حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»(٥).

٧- يخيَّرون عند الموت بين الدنيا والآخرة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخيَّر بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه، وأخذته بحة،

---

(١) تفسير القرطبي (١١/ ١٢).
(٢) شرح الطحاوية (١/ ١٦٨).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٥٧٠).
(٤) أخرجه البخاري (ح١١٤٧)، ومسلم (ح٧٣٨).
(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢٦/ ٨٤)، وأبو داود (ح١٠٤٧)، وابن ماجه (ح١٠٨٥) وإسناده صحيح.

يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية [النساء: ٦٩]، فظننت أنه خُيِّر[(١)].

٨- أحياء في قبورهم يصلون:

عن أنس رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**»[(٢)]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**أتيت** -وفي رواية: **مررت**- **على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره**»[(٣)].

و«حياة الأنبياء والشهداء وسائر الأولياء حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله، وليست كالحياة التي كانت لهم في الدنيا»[(٤)].

٩- يدفنون حيث يموتون:

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لن يقبر نبي إلا حيث يموت**»، فأخروا فراشه، وحفروا له تحت فراشه[(٥)].

ولذلك دفن الصحابة النبي ﷺ في غرفة عائشة حيث قُبِض.

١٠- لا يورثون بعد موتهم:

عن أبي بكر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركنا فهو صدقة**»[(٦)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والفرق بين الأنبياء وغيرهم: أن الله تعالى صان الأنبياء عن أن يورثوا دنيا، لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا، وخلفوها لورثتهم»[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٤٣٥)، ومسلم (ح٢٤٤٤).
(٢) أخرجه البزار (ح٦٨٨٨)، وأبو يعلى (ح٣٤٢٥) وإسناده صحيح.
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٣٧٥).
(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ١٧٣-١٧٤).
(٥) أخرجه الإمام أحمد (ح٢٧)، والحديث قوي بمجموع طرقه.
(٦) أخرجه البخاري (ح٣٧١٢)، ومسلم (ح١٧٥٩).
(٧) منهاج السنة النبوية (٤/ ١٩٥).

۞ ثالثًا: وظائف الأنبياء والرسل:

١- أعظم وظائفهم -وهو مفتاح رسالتهم وجوهر دعوتهم- **الدعوة إلى إفراد الله وحده بالعبادة**، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٢- **هم الواسطة بين الله وخلقه في تبليغ شريعته**، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال جل وعلا: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨]، قال ابن كثير: «يعني: إنما على الرسول أن يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فاحرصوا لأنفسكم أن تكونوا من السعداء»[(١)].

وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]، قال الشيخ السعدي: «هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلِّها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية، فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشَّر ويسَّر، وعلَّم الجُهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٦٩-٢٧٠).

(٢) تفسير السعدي (ص٢٣٩).

٣- **التبشير والإنذار،وإقامة الحجة على الناس،** قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥﴾ [النساء: ١٦٥]، قال الواحدي: «وفي قوله: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ دليل على أنهم بعثوا ببيان الطاعة والمعصية؛ لأنهم إنما يبشرون بالثواب على الطاعة، وينذرون بالعقاب على المعصية، ولا يصح ذلك إلا بعد الكشف عنهما، وفي قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ دليل على أنه لو لم يبعث الرسل لكان للناس حجة في ترك الطاعة والتوحيد والمعرفة»[(١)].

٤- **بيان ما أنزل الله عليهم من الوحي للناس،** قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].



(١) التفسير البسيط (٧/ ١٩٧).



المبحث الثامن

تفاضل الرسل فيما بينهم

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وقال جل وعلا: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]؛ فالرسل والأنبياء بعضهم أفضل من بعض، والرسل أفضل من الأنبياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الحقيقة التي اتفق عليها المسلمون أن الرسول أفضل من النبي الذي ليس برسول، والنبي أفضل من الولي الذي ليس بنبي، والرسالة تنتظم النبوة والولاية، كما أن النبوة تنتظم الولاية»[(١)]، وقال ابن كثير: «ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم»[(٢)].

وقد ورد ذكر أولي العزم في موضعين من القرآن في «سورتي الأحزاب والشورى»، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧]، وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

وقد اختلف العلماء في تعيينهم[(٣)]، والمشهور أنهم هؤلاء الخمسة

---

(١) الصفدية (١/ ٢٥٢) بتصرف يسير. (٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٨٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٧٦) وما بعدها، تفسير القرطبي (٦/ ٢٢٠-٢٢١).

المذكورون في الآيتين السابقتين، يقول أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «خيار ولد آدم خمسة: نوح، وإبراهيم، وعيسى، وموسى، ومحمد. وخيرهم محمد ﷺ، وصلى عليهم أجمعين»[(١)].

ف«أفضلهم محمد ﷺ؛ لقوله ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»[(٢)]، وصلاتهم خلفه ليلة المعراج[(٣)]، وغير ذلك من الأدلة.

ثم إبراهيم؛ لأنه أبو الأنبياء وملته أصل الملل؛ ثم موسى، لأنه أفضل أنبياء بني إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم؛ ثم نوح وعيسى، لا يجزم بالمفاضلة بينهما، لأن لكلٍّ منهما مزية»[(٤)].

وأما قوله ﷺ: «**لا تفضلوا بين أنبياء الله**»[(٥)]، فهو محمول على النهي عن التفضيل إذا كان على وجه الانتقاص من المفضول، وقيل: إنه نهي عن التفضيل الخاص، أي: لا يفضَّل بعض الرسل على بعضٍ بعينه[(٦)].



(١) أخرجه البزار في مسنده، البحر الزخار (١٧/ ١٤١)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (ح٤٧١٢)، ومسلم (ح١٩٤).

(٣) انظر: صحيح مسلم (ح١٧٢).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٥/ ٧٣).

(٥) أخرجه البخاري (ح٣٤١٤)، ومسلم (ح٢٣٧٣).

(٦) انظر: شرح الطحاوية (١/ ١٦٠).



المبحث التاسع

عصمة الأنبياء والرسل

۞ أولًا: تعريف العصمة:

العصمة في اللغة: المنع، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٤٣]؛ أي: يمنعني، وتطلق العصمة أيضًا على الحفظ(١).

والعصمة شرعًا: حفظ الله لأنبيائه من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات(٢).

ونقل الزبيدي عن المناوي قوله: «العصمة مَلَكَة اجتناب المعاصي مع التمكُّن منها»(٣).

۞ ثانيًا: عصمة الأنبياء والرسل قبل النبوة:

الأنبياء والرسل معصومون من الوقوع في الكفر قبل النبوة، فلم يعرف عن نبي أو رسول أنه كان مشركًا قبل البعثة، وهو قول أكثر أهل السنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كثير من أهل السنة يقولون: إن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة»(٤).

---

(١) انظر: لسان العرب (١٢/ ٤٠٤).

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٥٠١- ٥٠٢).

(٣) تاج العروس (٣٣/ ١٠٠)، وانظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص٥٧٠).

(٤) تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء (١/ ١٨١).

وقال الإمام البغوي: «وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي»[(١)].

وقال القاضي عياض: «الصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك، وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا، ونشأتهم على التوحيد والإيمان... ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدًا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك»[(٢)].

وقال القرطبي: «غير جائز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو لله تعالى موحد وبه عارف، ومن كل معبودٍ سواه بريء»[(٣)].

أما عصمتهم من الذنوب قبل النبوة، فقد اختلف فيها، قال القاضي عياض: «وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة؛ فمنعها قوم، وجوزها آخرون، والصحيح -إن شاء الله: تنزيههم من كل عيب، وعصمتهم من كل ما يوجب الريب، فكيف والمسألة تصورها كالممتنع؛ فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع»[(٤)].

ويرى الإمام ابن حزم أنهم معصومون من كل ذنب يعابون به بعد النبوة كالسرقة والزنا والكذب ونحوها، يقول: «إن الله عز وجل قد طَهَّر أنبياءه وصانهم من كل ما يعابون به؛ لأن العيب أذى، وقد حرم الله عز وجل أن يؤذى رسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧]، فبيقين ندري أن الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذَون به بعد النبوة، فدخل في ذلك السرقة والعدوان والقسوة والزنا

(١) تفسير البغوي (٧/ ٢٠١).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٠٩-١١٠).

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ٢٥).

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٤٧).

واللياطة والبغي وأذى الناس في حريمهم وأموالهم وأنفسهم، وكل ما يعاب به المرء ويتشكى منه ويؤذَى بذكره»[(١)].

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن النبوة لا تستلزم العصمة من الذنوب قبلها، فيقول: «وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبيًّا لا يخطئ، أو لا يذنب فليس في النبوة ما يستلزم هذا، وقول القائل: لو لم يكن كذلك لم تحصل ثقة فيما يبلغونه عن الله، كذب صريح؛ فإن من آمن وتاب حتى ظهر فضله وصلاحه ونبأَّه الله بعد ذلك كما نبأ إخوة يوسف، ونبأ لوطًا وشعيبًا وغيرهما وأيَّده الله تعالى بما يدل على نبوته؛ فإنه يوثق فيما يبلغه كما يوثق بمن لم يفعل ذلك، وقد تكون الثقة به أعظم إذا كان بعد الإيمان والتوبة قد صار أفضل من غيره، والله تعالى قد أخبر أنه يبدل السيئات بالحسنات للتائب، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، ومعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم من عهد الرسول ﷺ وقبل أن يصدر منهم ما يدعونه من الأحداث كانوا من خيار الخلق، وكانوا أفضل من أولادهم الذين ولدوا بعد الإسلام»[(٢)].

والراجح أنهم معصومون قبل النبوة من كل ما يعابون به بعد النبوة؛ لأن هذا يؤدي إلى عدم قبول دعوتهم، ويمنع كمال التأسي بهم.

۞ ثالثًا: عصمة الأنبياء والرسل بعد النبوة:

١- عصمتهم فيما يبلغونه عن الله تعالى:

الأنبياء معصومون في تبليغ شرع الله - جل وعلا - بإجماع أهل العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأنبياء -صلوات الله عليهم- معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة؛ ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه... بخلاف غير الأنبياء، فإنهم ليسوا معصومين كما

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٥).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٩٦-٣٩٧).

عصم الأنبياء، ولو كانوا أولياء لله؛ ولهذا من سب نبيًّا من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء، ومن سب غيرهم لم يقتل، وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة»[(١)]، «فإن كل من أرسله الله لا بد أن يكون صادقًا في كل ما يبلغه عن الله، لا يكذب فيه عمدًا ولا خطأ، وهذا أمر اتفق عليه الناس كلهم، المسلمون، واليهود، والنصارى، وغيرهم، اتفقوا على أن الرسول لا بد أن يكون صادقًا معصومًا فيما يبلغه عن الله، لا يكذب على الله خطأ ولا عمدًا؛ فإن مقصود الرسالة لا يحصل بدون ذلك، كما قال موسى ﷺ لفرعون: ﴿يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٤-١٠٥]»[(٢)]، وقال الرازي: «أجمعوا على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة في هذا الباب لا بالعمد ولا بالسهو، وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع»[(٣)]، وقال السفاريني: «وقد أجمعت الأمة على أن ما كان طريقه الإبلاغ فالأنبياء والرسل معصومون فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف الواقع»[(٤)].

٢- عصمتهم من الكفر والشرك:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأنبياء كلهم منزهون عن الشرك، وعن التكذيب بشيء من الحق الذي بعث الله به نبيًّا»[(٥)]، وقال الرازي: «أجمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة إلا الفضلية من الخوارج؛ فإنهم يجوزون الكفر على الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام، وذلك لأن عندهم يجوز صدور الذنوب عنهم، وكل ذنب فهو كفر عندهم، فبهذا الطريق جوزوا صدور الكفر عنهم، والروافض؛ فإنهم يجوزون عليهم إظهار كلمة الكفر على سبيل التقية»[(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٩-٢٩٠).
(٢) الجواب الصحيح (١/ ١٤١).
(٣) عصمة الأنبياء (ص٧).
(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٠٧).
(٥) النبوات لابن تيمية (٢/ ١٠٨٦).
(٦) عصمة الأنبياء، للرازي (ص٧).

لكن هذا ليس هو مذهب الفضلية كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وإنما هو من لوازمه، ولازم المذهب ليس بمذهب إلا أن يلتزمه صاحبه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وما يحكى عن الفضلية أنهم جوزوا الكفر على النبي، فهذا بطريق اللازم لهم؛ لأن كل معصية عندهم كفر، وقد جوزوا المعاصي على النبي، وهذا يقتضي فساد قولهم بأن كل معصية كفر، وقولهم بجواز المعاصي عليهم، وإلا فلم يلتزموا أن يكون النبي كافرًا، ولازم المذهب لا يجب أن يكون مذهبًا»[(١)].

٣- عصمتهم من الكبائر:

قال القاضي عياض: «أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات»[(٢)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام»[(٣)]، «وجمهور المسلمين على تنزيههم من الكبائر لا سيما الفواحش، وما ذكر الله تعالى عن نبي كبيرة فضلًا عن الفاحشة، بل ذكر في قصة يوسف ما يبين أنه يصرف السوء والفحشاء عن عباده المخلصين»[(٤)].

٤- عصمتهم من تعمد الذنب:

نقل السفاريني عن الحافظ زين الدين العراقي قوله: «النبي ﷺ معصوم من تعمد الذنب بعد النبوة بالإجماع»[(٥)]، وقال الرازي: «إن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد، أما على سبيل السهو فهو جائز»[(٦)].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤١٨-٤١٩).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٤٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩).

(٤) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٢٦-٤٢٧).

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٠٤).

(٦) عصمة الأنبياء (ص٩).

٥- عصمتهم من الصغائر:

اختلف في ذلك على أقوال، قال القاضي عياض: «وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري، وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين... وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف، وقالوا: العقل لا يحيل وقوعها منهم، ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين، وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر»(١).

والراجح -كما تدل عليه النصوص- أنهم قد يقعون في الصغائر بغير تعمد، لكنهم لا يقرون عليها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «عامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر، ولا يُقَرُّون عليها، ولا يقولون: إنها لا تقع بحال»(٢)، وقال: «هم معصومون من الإقرار على الذنوب، وأن الله يستدركهم بالتوبة التي يحبها الله - ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] - وإن كانت حسنات الأبرار سيئات المقربين، وأن ما صدر منهم من ذلك إنما كان لكمال النهاية بالتوبة، لا لنقص البداية بالذنب، وأما غيرهم فلا تجب له العصمة، وإنما يدعي العصمة المطلقة لغير الأنبياء الجهال من الرافضة، وغالية النساك»(٣).

ويقول التفتازاني: «المذهب عندنا منع الكبائر بعد البعثة مطلقًا، والصغائر عمدًا لا سهوًا، لكن لا يُصِرون ولا يقَرُّون، بل يُنبَّهون فيَتنبهون، وذهب إمام الحرمين منا، وأبو هاشم من المعتزلة إلى تجويز الصغائر عمدًا»(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم على ما أخبر الله به في كتابه، وما ثبت عن رسوله من توبة الأنبياء عليهم السلام من

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٤٤).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٠).
(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٤١٥).
(٤) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ١٩٣).

الذنوب التي تابوا منها، وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم؛ فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وعصمتهم هي من أن يقروا على الذنوب والخطأ؛ فإن من سوى الأنبياء يجوز عليهم الذنب والخطأ من غير توبة، والأنبياء عليهم السلام يستدركهم الله فيتوب عليهم ويبين لهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحج: ٥٢، ٥٣]»[1].



(١) جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٢٦٩)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.



المبحث العاشر

دلائل النبوة، وآيات الرسل والأنبياء

تعريفها، وعلاقتها بمصطلح المعجزة، وأنواع الآيات وأمثلة على آيات الأنبياء والرسل

۞ أولًا: تعريف آيات الأنبياء:

الآيات: جمع آية، **والآية في اللغة:** العلامة[(١)].

وفي الاصطلاح: هي الآيات والبراهين التي لا يقدر عليها إلا الله، ولا يمكن معارضتها بمثلها، والتي يجريها الله تعالى على أيدي أنبيائه، فتدل على صدقهم[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «أمر خارق للعادة يظهره الله سبحانه وتعالى على يد الرسول شهادة بصدقه»[(٣)].

فلا تتحقق الآية حتى يجتمع فيها أمران:

الأول: كونها خارقة للعادة، أي: غير جارية على ما اعتاده الناس.

الثاني: سلامتها عن المعارضة.

(١) انظر: العين (٨/ ٤٤١)، الصحاح، للجوهري (٦/ ٢٢٧٥).
(٢) انظر: النبوات (١/ ٢٤٢)، (٢/ ٨٦٣).
(٣) شرح العقيدة السفارينية، للعثيمين (١/ ٥٥٥).

۞ ثانيًا: علاقة دلائل النبوة وآيات الأنبياء بمصطلح المعجزة:

أطلق المتكلمون على آيات الأنبياء اسم المعجزات، وعرفوا المعجزة بأنها «أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة»[(١)]، والأولى أن تسمى: الآيات، والدلائل، والبينات، والأعلام، والبراهين، وقد كان سلف الأمة وأئمتها من المصنفين في هذا الباب يسمون مصنفاتهم بـ «دلائل النبوة»[(٢)]، و«أعلام النبوة»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدلَّ على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجودًا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ: (الآية) و(البينة) و(البرهان)»[(٤)]، فالصواب تسميتها: (آيات) كما سماها الله جل وعلا؛ لأنها جمعت بين كون البشر لا يستطيعون أن يأتوا بمثلها، وكونها دليلًا على صدق دعوى النبوة والرسالة.

وقد حصر جمهور المتكلمين طريق إثبات النبوة في المعجزات، حتى صار تقرير النبوات بالمعجزات من أعظم الطرق عند أهل الكلام والنظر[(٥)]، ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن دلائل النبوة ليست محصورة في المعجزات، ولهذا فإن من النظار من يجعل المعجزة دليلًا، ويجعل مع المعجزة أدلة أخرى، وهذا أصح الطرق كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[(٦)].

---

(١) شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني (٢/ ١٧٦)، وانظر نقد هذا التعريف في: النبوات، لابن تيمية (١/ ١٦٣، ١٧٤، ٤٩٨).

(٢) مثل: دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، ودلائل النبوة، للبيهقي، ودلائل النبوة، لأبي القاسم الأصبهاني.

(٣) مثل: أعلام النبوة، للماوردي.

(٤) الجواب الصحيح (٥/ ٤١٤)، وانظر: النبوات (٢/ ٧٨٥).

(٥) انظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، للباقلاني (ص٣٧-٣٨).

(٦) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية (ص١٣٧).

ومن حصر دلائل النبوة في المعجزات قررها بطرق مضطربة، قال الإمام ابن أبي العز: «والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك بطرق مضطربة[١]، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ونحو ذلك»[٢].

فوقعوا في أخطاء منهجية في تقرير هذا الدليل، وصفها الإمام ابن أبي العز بالاضطراب، ومن ذلك أن منهم من أنكر كرامات الأولياء وحقيقة السحر.

۞ ثالثًا: أنواع آيات الأنبياء:

الآيات من حيث الزمن نوعان:

الأول: ما مضى وصار معلومًا بالخبر، كمعجزات موسى وعيسى.

الثاني: ما هو باق إلى اليوم؛ كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد ﷺ[٣].

وأما أنواعها بالنسبة لحياة كل نبي، فهي متنوعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «آيات الأنبياء ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث وحين المبعث، في حياتهم، وبعد موتهم؛ فقبل المبعث مثل: إخبار من تقدم من الأنبياء به، ومثل: الإرهاصات الدالة عليه، وأما حين المبعث...، وأما في حياته فمثل: نصره، وإنجائه، وإهلاك أعدائه، وأما بعد موته فمثل: نصر أتباعه، وإهلاك أعدائه... والأنبياء صلوات الله عليهم، وأتباعهم المؤمنون، وإن كانوا يبتلون في أول الأمر فالعاقبة لهم»[٤]؛ لأن «آيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول، وقبيل مولده، وبعد مماته، لا تختص بحياته فضلًا عن أن

(١) انظر وجه اضطرابها في: النبوات (١/ ٤٨٠) وما بعدها.
(٢) شرح الطحاوية (١/ ١٤٠).
(٣) انظر: الجواب الصحيح (٥/ ٤٢٠-٤٢١).
(٤) الجواب الصحيح (٦/ ٤٠٨).

تختص بحال دعوى النبوة، أو حال التحدي كما ظنه بعض أهل الكلام»(١).

۞ رابعًا: أمثلة على آيات الأنبياء والرسل:

لكل نبي من الأنبياء آية أيده الله بها؛ لتكون دليلًا على نبوته، قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، وقال جل وعلا: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٠١]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ﴾ [التوبة: ٧٠].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»(٢).

وكما أن الأنبياء دينهم واحد وهو الإسلام؛ فإن آية كل نبي آية لجميع إخوانه من الأنبياء والرسل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «آية كل نبي آية لجميع الأنبياء»(٣).

فمن أمثلة آيات الأنبياء التي ورد ذكرها في القرآن ما يلي:

١- آية نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

كانت آية نبي الله صالح هي الناقة، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

(١) المصدر نفسه (٦/ ٣٨٠).
(٢) أخرجه البخاري (ح٤٩٨١)، ومسلم (ح١٥٢).
(٣) النبوات، لابن تيمية (١/ ٥١٨).

وعن جابر رضي الله عنه، قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر، قال: «**لا تسألوا الآيات، وقد سألها قوم صالح، فكانت ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم، فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يومًا، ويشربون لبنها يومًا، فعقروها، فأخذتهم صيحة أهمد الله مَن تحت أديم السماء منهم، إلا رجلًا واحدًا كان في حرم الله**»، قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: «**هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه**»[(١)].

٢- آية خليل الله إبراهيم عليه السلام:

وكانت آية نبي الله إبراهيم نجاته من الحرق بالنار بعد أن ألقاه فيها قومه، قال سبحانه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [العنكبوت: ٢٤]، وقال جل وعلا: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨، ٦٩]. قال ابن كثير: «وذلك أنهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مُدة طويلة، وحوطوا حولها، ثم أضرموا فيها النار، فارتفع لها لهب إلى عنان السماء: ولم توقَد نار قط أعظم منها، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفة المنجنيق، ثم قذفوا به فيها، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وخرج منها سالمًا بعد ما مكث فيها أيامًا. ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إمامًا. فإنه بذل نفسه للرحمن، وجسده للنيران، وسخا بولده للقربان، وجعل ماله للضيفان، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان. وقوله: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾ أي: سلمه الله منها، بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا»[(٢)].

* * *

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٢/ ٦٦)، وقال الهيثمي: «رجال أحمد رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٧/ ٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧١).

٣- آية كليم الله موسى عليه السلام:

تعددت الآيات التي أيد الله بها نبيه موسى عليه السلام، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١].

ومن هذه الآيات التسع ما جاء في قوله جل وعلا: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١﴾ [طه: ١٧ - ٢١].

قال ابن كثير: «هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام، ومعجزة عظيمة، وخرق للعادة باهر، دال على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عز وجل، وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل... وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩﴾ أي: هذه العصا التي في يدك يا موسى، ألقها ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠﴾ أي: صارت في الحال حية عظيمة - ثعبانًا طويلًا يتحرك حركة سريعة - فإذا هي تهتز كأنها جان، وهو أسرع الحيات حركة، ولكنه صغير، فهذه في غاية الكبر، وفي غاية سرعة الحركة، ﴿تَسْعَىٰ﴾ أي: تمشي وتضطرب»(١).

ومن الآيات أنه كان إذا أدخل يده في جيبه خرجت بيضاء تتلألأ، قال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝١٢ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣﴾ [النمل: ١٢، ١٣]، وقال سبحانه: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝٢٢ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۝٢٣﴾ [طه: ٢٢، ٢٣]، قال ابن كثير: «وذلك أن موسى عليه السلام كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها، تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر، وقوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: من غير برص ولا أذى، ومن غير شَيْنٍ»(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٧٨-٢٧٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٨٠).

وباقي الآيات التسع ذكرها الله في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠ - ١٣٣].

يقول الشيخ السعدي: «قال الله تعالى في بيان ما عامل به آل فرعون في هذه المدة الأخيرة، أنها على عادته وسنته في الأمم، أن يأخذهم بالبأساء والضراء، لعلهم يضرعون. الآيات: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ أي: بالدهور والجدب، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: يتعظون أن ما حل بهم وأصابهم معاتبة من الله لهم، لعلهم يرجعون عن كفرهم، فلم ينجع فيهم ولا أفاد، بل استمروا على الظلم والفساد ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ أي: الخصب وإدرار الرزق ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ﴾ أي: نحن مستحقون لها، فلم يشكروا الله عليها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: قحط وجدب ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ﴾ أي: يقولوا: إنما جاءنا بسبب مجيء موسى، واتباع بني إسرائيل له، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: بقضائه وقدرته، ليس كما قالوا، بل إن ذنوبهم وكفرهم هو السبب في ذلك، بل ﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فلذلك قالوا ما قالوا. ﴿وَقَالُوا۟﴾ مبينين لموسى أنهم لا يزالون، ولا يزولون عن باطلهم: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: قد تقرر عندنا أنك ساحر، فمهما جئت بآية، جزمنا أنها سحر، فلا نؤمن لك ولا نصدق، وهذا غاية ما يكون من العناد، أن يبلغ بالكافرين إلى أن تستوي عندهم الحالات، سواء نزلت عليهم الآيات أم لم تنزل. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ أي: الماء الكثير الذي أغرق أشجارهم وزروعهم، وأضر بهم ضررًا كثيرًا ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ فأكل ثمارهم وزروعهم، ونباتهم ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ قيل: إنه الدباء،

أي: صغار الجراد، والظاهر أنه القمل المعروف ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ فملأت أوعيتهم، وأقلقتهم، وآذتهم أذية شديدة ﴿وَٱلدَّمَ﴾ إما أن يكون الرعاف، أو كما قال كثير من المفسرين: أن ماءهم الذي يشربون انقلب دمًا، فكانوا لا يشربون إلا دمًا، ولا يطبخون إلا بدم.

﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ أي: أدلة وبينات على أنهم كانوا كاذبين ظالمين، وعلى أن ما جاء به موسى، حق وصدق ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ لما رأوا الآيات ﴿وَكَانُوا۟﴾ في سابق أمرهم ﴿قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ فلذلك عاقبهم الله تعالى، بأن أبقاهم على الغي والضلال»(١).

ومن الآيات إنزال المنِّ والسلوى، قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: ٥٧].

وانفلاق البحر لما ضربه بعصاه، قال جل وعلا: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الشعراء: ٦٣ - ٦٧].

وضربه الحجر فانفلق منه اثنتا عشرة عينًا، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأعراف: ١٦٠].

وإحياء الموتى، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا

(١) تفسير السعدي (ص٣٠٠-٣٠١).

كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣].

٤- آية نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام:

تعددت آيات نبي الله عيسى عليه السلام، فكان من معجزاته أنه يصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، وكان يمسح الأكمه فيبرأ بإذن الله، ويبرئ كذلك الأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، ويخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وقد ذكر الله - جل وعلا - هذه الآيات، فقال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩]، قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: ويجعله رسولًا إلى بني إسرائيل، قائلًا لهم: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ﴾ وكذلك كان يفعل: يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه، فيطير عيانًا بإذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة يدل على أن الله أرسله.

﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ قيل: هو الذي يبصر نهارًا ولا يبصر ليلًا، وقيل بالعكس. وقيل: هو الأعشى، وقيل: الأعمش، وقيل: هو الذي يولد أعمى، وهو أشبه؛ لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ معروف.

﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ﴾ قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحَّار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من الأبرار، وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من

الآيات بما لا سبيل لأحد إليه، إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة. فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه، والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد؟ وكذلك محمد ﷺ بعثه الله في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدًا.

وقوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ أي: أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدخر له في بيته لغده ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في ذلك كله ﴿لَآيَةً لَّكُمْ﴾ أي: على صدقي فيما جئتكم به. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾»[1].



(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤-٤٥).



المبحث الحادي عشر

الفرق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء وخوارق السحرة والكهان

۞ أولًا: الفرق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء:

١- الفرق بينهما في اللفظ؛ حيث شاع عند المتأخرين تخصيص اسم (المعجزة) بالنبي، وتخصيص اسم (الكرامة) بالولي، قال ابن أبي العز: «المعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة، وفي عرف أئمة أهل العلم المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها الآيات، ولكن كثيرٌ من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما: الأمر الخارق للعادة»(١).

٢- الفرق بينهما في المرتبة، فلا تبلغ كرامات الأولياء درجة معجزات الأنبياء، كما أنهم لا يبلغون في الفضل منزلة الأنبياء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينًا مراتب خوارق العادات: «المراتب ثلاثة: آيات الأنبياء، ثم كرامات الصالحين، ثم خوارق الكفار والفجار؛ كالسحرة والكهان، وما يحصل لبعض المشركين، وأهل الكتاب، والضُّلَّال من المسلمين»(٢)، فـ«كرامات الأولياء معتادةٌ من الصالحين، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك؛

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٤٦).   (٢) النبوات (١/ ١٤١).

فانشقاق القمر، والإتيان بالقرآن، وانقلاب العصا حيَّة، وخروج الدابة من صخرة، لم يكن مثله للأولياء، وكذلك خلق الطير من الطين»(١).

٣- أن كل كرامة للولي فهي معجزة للنبي؛ لأنها ما حصلت إلا ببركة اتباع النبي، قال الشهرستاني: «اعلم أن كل كرامة تظهر على يد ولي فهي بعينها معجزة لنبي... فلا تكون الكرامة قط قادحة في المعجزات، بل هي مؤيدة لها دالة عليها راجعة عنها وعائدة إليها»(٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «آية كل نبي آية لجميع الأنبياء؛ كما أن آيات أتباعهم آياتٌ لهم أيضًا»(٣)، و«كرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول، لا تدل على أن الولي معصومٌ، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله»(٤).

۞ ثانيًا: الفرق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**بينها [يعني آيات الأنبياء] وبين غيرها من الفروق ما لا يكاد يحصى:**

الأول: أن النبي صادقٌ فيما يخبر به عن الكتب، لا يكذب قط، ومن خالفهم من السحرة، والكهّان، لا بُد أن يكذب؛ كما قال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

الثاني: من جهة ما يأمر به هذا ويفعله، ومن جهة ما يأمر به هذا ويفعله؛ فإن الأنبياء لا يأمرون إلَّا بالعدل، وطلب الآخرة، وعبادة الله وحده، وأعمالهم البر والتقوى، ومخالفوهم يأمرون بالشرك، والظلم، ويعظمون الدنيا، وفي أعمالهم الإثم والعدوان.

الثالث: أن السحر، والكهانة، ونحوهما أمور معتادة معروفة لأصحابها،

(١) النبوات (٢/ ٨٠٢-٨٠٣).

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني (ص٢٧٧)، وانظر: النبوات (١/ ١٤١).

(٣) النبوات، لابن تيمية (١/ ٥١٨).

(٤) النبوات (١/ ١٤١-١٤٣).

ليست خارقة لعادتهم، وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم ولمن اتَّبعهم.

الرابع: أن الكهانة والسحر ينالهما الإنسان بتعلّمه وسعيه واكتسابه، وهذا مجرّبٌ عند الناس، بخلاف النبوة؛ فإنّه لا ينالها أحدٌ باكتسابه.

الخامس: أنَّ النبوّة لو قُدِّر أنها تنال بالكسب، فإنّما تُنال بالأعمال الصالحة، والصدق، والعدل، والتوحيد، ولا تحصل مع الكذب على من دون الله، فضلًا عن أن تحصل مع الكذب على الله؛ فالطريق الذي تحصل به لو حصلت بالكسب مستلزمٌ للصدق على الله فيما يُخبر به.

السادس: أن ما يأتي به الكهان، والسحرة، لا يخرج عن كونه مقدورًا للجن والإنس، وهم مأمورون بطاعة الرسل، وآيات الرسل لا يقدر عليها؛ لا جن، ولا إنس، بل هي خارقة لعادة كل من أُرسل النبي إليه، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨].

السابع: أنَّ هذه يمكن أن تُعارض بمثلها، وآيات الأنبياء لا يمكن أحد أن يعارضها بمثلها.

الثامن: أن تلك ليست خارقة لعادات بني آدم، بل كل ضربٍ منها معتادٌ لطائفة غير الأنبياء، وأما آيات الأنبياء فليست معتادة لغير الصادقين على الله، ولمن صدقهم.

التاسع: أن هذه لا يقدر عليها مخلوق؛ لا الملائكة، ولا غيرهم؛ كإنزال القرآن، وتكليم موسى، وتلك تقدر عليها الجن والشياطين.

العاشر: أنَّه إذا كان من الآيات ما يقدر عليه الملائكة؛ فإن الملائكة لا تكذب على الله، ولا تقول لبشر: إنَّ الله أرسلك، ولم يرسله، وإنما يفعل ذلك الشياطين، والكرامات معتادة في الصالحين منّا، ومَنْ قبلنا، ليست خارقة لعادة الصالحين. وآيات الأنبياء خارقة لعادة الصالحين؛ وهذه تُنال بالصلاح، بدعائهم، وعبادتهم، ومعجزات الأنبياء لا تُنال بذلك، ولو طلبها

النّاس؛ حتى يأذن الله فيها. ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ [الأنعام: ٣٧].

الحادي عشر: أنَّ النبي قد تقدمه أنبياء، فهو لا يأمر إلا بجنس ما أمرت به الرسل قبله، فله نظراء يعتبر بهم، وكذلك الساحر، والكاهن له نظراء يعتبر بهم.

الثاني عشر: أنَّ النبي لا يأمر إلا بمصالح العباد في المعاش والمعاد؛ فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ فيأمر بالتوحيد، والإخلاص، والصدق، وينهى عن الشرك، والكذب، والظلم؛ فالعقول، والفطر توافقه، كما توافقه الأنبياء قبله؛ فيصدقه صريح المعقول وصحيح المنقول الخارج عمّا جاء به، والله أعلم»(١).

۞ ثالثًا: الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة:

١- أن الكرامة للولي إنما تقع للمؤمن التقي، فإذا وقع الخارق للعادة على يد معرض عن الشرع واقع في المعاصي، فهي من الأحوال الشيطانية.

٢- أن كرامات الأولياء سببها التقوى والعمل الصالح، وأعمال المشعوذين سببها الكفر والفسوق والفجور والاستعانة بالشياطين.

٣- أن كرامات الأولياء يستعان بها على البر والتقوى، أو على أمور مباحة، وأعمال المشعوذين والدجالين يستعان بها على أمور محرمة، من الشرك والكفر وقتل النفوس.

٤- أن كرامات الأولياء تقوى بذكر الله وتوحيده، وخوارق السحرة والمشعوذين تبطل أو تضعف عند ذكر الله وقراءة القرآن والتوحيد(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن

(١) النبوات (١/ ٥٦٠).
(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للفوزان (ص٢١٨).

من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى، وهو غلط ممن يقوله، فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق، وأولى ما ذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك، فإن كان متمسكًا بالأوامر الشرعية والنواهي، كان ذلك علامة ولايته، ومن لا فلا»[1].



(١) فتح الباري، لابن حجر (٧/ ٣٨٣).



المبحث الثاني عشر

دين الأنبياء واحد، وأدلته

دين الأنبياء واحد وهو الإسلام، فهو «الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد دينًا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو دين الأنبياء وأتباعهم»(١).

ومن الأدلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، قال الإمام ابن كثير: «قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد ﷺ»(٢).

ومن الأدلة أيضًا: قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣]، قال أهل التفسير: شرع لكم ولمن قبلكم دينًا واحدًا(٣).

وكان كل نبي إنما يدعو قومه إلى الإسلام، فقد «أخبر الله تعالى بذلك عن نوح ومن بعده إلى الحواريين، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ فَإِن

(١) الجواب الصحيح (١/ ٨١). (٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥).
(٣) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ٤٦)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٦٠٧).

تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧١ - ٧٢]، وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢]، وقال تعالى عن يوسف الصِّدِّيق: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال تعالى عن موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وأخبر تعالى عن السحرة أنهم قالوا لفرعون: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وقال تعالى عن بلقيس ملكة اليمن: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وقال تعالى عن أنبياء بني إسرائيل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى عن المسيح: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓا ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١]، فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم هو دين الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وعبادته تعالى في كل زمان ومكان، بطاعة رسله عليهم السلام»(١).

ومما يدل على أن دين الأنبياء واحد وهو الإسلام من السنة، قوله ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعلَّات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»(٢)، أي: كأبناء أمهات شتى

(١) الجواب الصحيح (١/ ٨١-٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٤٤٣).

من رجل واحد، والمقصود: أن الأنبياء بعثوا متفقين في أصول التوحيد، مختلفين في فروع الشرع.

وأعظم أصول التوحيد التي اتفق عليها الرسل -عليهم الصلاة والسلام- الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وكذلك يتفق الرسل في أصول التشريعات ومقاصدها العامة؛ كحفظ الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل، وكذلك أصول المحرمات وأمهاتها؛ كالإشراك بالله، والزنا، وقتل النفس بغير حق، وأكل مال الغير، وشهادة الزور، وغيرها، وأصول الأخلاق؛ مثل: الصدق، والعدل، والإحسان، والعفاف، والبر، والرحمة، وغيرها.

وأما الاختلاف بينهم ففي الشرائع، والمناهج، والأحكام الفرعية، كما قال سبحانه: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «دين الأنبياء واحد، وملتهم واحدة وهي الأمة، وإنما تنوعت شرائعهم ومناهجهم»[١].



(١) الرد على الإخنائي (ص٤٧٣).



المبحث الثالث عشر

مبشرات نبوة النبي محمد ﷺ

وأدلة ثبوت نبوته ﷺ، والرد على الشبهات حولها

۞ أولًا: المبشرات بنبوة نبينا محمد ﷺ:

تعريفها:

التبشير هو الإخبار بما يسر، والمبشرات هي الأمور السارة[1]، قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، والمراد بالمبشرات هنا: ما ورد في الكتب السابقة من الإخبار ببعثة رسول الله ﷺ؛ «فإن مجيء الرسول إلى الناس نعمة عظيمة، ووجه إيثار هذا اللفظ: الإشارة إلى ما وقع في الإنجيل من وصف رسالة الرسول الموعود به بأنها بشارة الملكوت»[2].

طرق ثبوتها:

١- الأدلة من الكتاب والسنة على أن صفته موجودة في الكتب السابقة:

ثبت في الكتاب والسنة ما يدل على أن صفته ونبوته موجودة في الكتب السابقة، ومنها: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء:

---

(١) انظر: الصحاح (٢/ ٥٩٠)، مقاييس اللغة (١/ ٢٥١)، لسان العرب (٤/ ٦٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٨١).

١٩٧]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وقوله جل وعلا: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، وقوله جل جلاله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

قال الرازي: «وهذا يدل على أن نعته وصحة نبوته مكتوب في التوراة والإنجيل؛ لأن ذلك لو لم يكن مكتوبًا لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله؛ لأن الإصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات، والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله، وينفر الناس عن قبول قوله، فلما قال ذلك دل هذا على أن ذلك النعت كان مذكورًا في التوراة والإنجيل، وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأهل الكتاب يجدونه مكتوبًا في الكتب التي بأيديهم، وهو في كثير منها أصرح مما هو في كتاب موسى خاصة، فإذا أريد بالتوراة جنس الكتب فلا يستريب عاقل في كثرة ذكره ونعته ونعت أمته في تلك الكتب، ومعلوم أن الله أراد بذلك الاستشهاد بوجوده في تلك الكتب، وإقامة الحجة بذكره فيها، فإذا كان ذكره في غير كتاب موسى أكبر وأظهر عندهم، كان الاستدلال بذلك أولى من تخصيص الاستدلال بكتاب موسى»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

وقال جل وعلا على لسان نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ

---

(١) تفسير الرازي (١٥/ ٣٨١).

(٢) الجواب الصحيح (٥/ ٢٤١-٢٤٢).

يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ﴾ [الصف: ٦].

وعن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟ قال: «أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا»(١).

ومن ذلك ما أخبر به أبو سفيان عندما استدعاه هرقل في بلاد الشام ليسأله عن حال النبي صلى الله عليه وسلم، يقول هرقل في آخرها: «وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشَّمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه»(٢).

وعن أبي صخر العقيلي، قال: حدثني رجل من الأعراب، قال: جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغت من بيعتي قلت: لألقين هذا الرجل فلأسمعنَّ منه، قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون، فتبعتهم في أقفائهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشرًا التوراة يقرؤها، يعزي بها نفسه على ابن له في الموت، كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل تجد في كتابك ذا صفتي ومخرجي؟**»، فقال برأسه هكذا، أي: لا، فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: «**أقيموا**

---

(١) أخرجه البخاري (ح٢١٢٥).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧).

اليهود عن أخيكم»، ثم ولي كفنَه وجنَنَه[١] والصلاةَ عليه[٢].

قال الماوردي: «وقد تقدمت بشائر من سلف من الأنبياء بنبوة محمد ﷺ مما هو حجة على أممهم ومعجزة تدل على صدقه عند غيرهم بما أطلعه الله تعالى على غيبه ليكون عونًا للرسول وحثًّا على القبول»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مما ينبغي أن يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة، أن شهادة الكتب المتقدمة لمحمد ﷺ إما شهادتها بنبوته، وإما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله، وهو حجة على أهل الكتاب وعلى غير أهل الكتاب من أصناف المشركين الملحدين»[٤].

وقال أيضًا: «وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد ﷺ باسمه ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر ذلك فيها، وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي ﷺ ما ليس في أخرى»[٥].

٢- ما ورد في التوراة والإنجيل من المبشرات بنبوة محمد ﷺ:

أما ما ورد في التوراة والإنجيل من المبشرات بنبوة محمد ﷺ، فإن الذي يرجع إلى التوراة التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم لا يشك بأنه دخلها كثير من التحريف في ألفاظها ومعانيها، ومع ذلك فقد بقي فيها شيء من الحق، قال الإمام ابن حزم: «إن كفَّار بني إسرائيل بدَّلوا التوراة والزبور، فزادوا ونقصوا، وأبقى الله تعالى بعضَها حجةً عليهم»[٦].

ومما بقي في كتبهم من البشارات ما جاء في سفر التثنية (٣٣: ١-٢):

---

(١) أي: دفنه وستره.
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٨/ ٤٧٦)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٣٢٦٩).
(٣) أعلام النبوة للماوردي (ص١٤٩).
(٤) الجواب الصحيح (٥/ ١٩٧).
(٥) الجواب الصحيح (٣/ ٥٠-٥١).
(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٥٧).

«وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران»، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن قتيبة قوله: «ليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن (فاران) هي مكة، فإن ادعوا أنها غير مكة، فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم»(١).

وفي سفر التثنية أيضًا (١٨ : ١٨) يقول موسى مخاطبًا بني إسرائيل: «قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به». قال الإمام ابن القيم: «قال المسلمون: البشارة صريحة في النبي العربي الأمي محمد بن عبد الله ﷺ لا تحتمل على غيره، لأنها إنما وقعت بنبي من إخوة بني إسرائيل لا من بني إسرائيل أنفسهم، والمسيح من بني إسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح لقال: (أقيم لهم نبيًّا من أنفسهم)، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولا يقال في لغة أمة من الأمم: إن بني إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل، كما أن إخوة زيد لا يدخل فيهم زيد نفسه»(٢).

وجاء في إنجيل متى (٢١ : ٤٣) قول المسيح: «أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره». قال الإمام ابن القيم: «وتأمل قوله فيها: (إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى)، كيف تجده مطابقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥﴾ [الأنبياء: ١٠٥]»(٣).

وجاء في إنجيل يوحنا (١٥ : ٢٦): «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي».

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٢٠٠).
(٢) هداية الحيارى (١/ ٣١٧).
(٣) هداية الحيارى (١/ ٣٣٨).

وفي يوحنا أيضًا (١٦ : ٧): «لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم»، والمعزي معناه: روح الحق الذي يفرق بين الحق والباطل[١].

وفي يوحنا (١٦ : ١٢-١٤): «إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم».

هذه بعض البشارات الثابتة في كتبهم أبقاها الله حجة عليهم، مع أنهم حاولوا ما وسعتهم المحاولة أو الحيلة إتلافها وتحريفها، يقول المستشرق مونتجمري واط عن القديس توما الأكويني: «على الرغم من قوله: إن الإنجيل تنبأ به، يؤكد التدقيق في ذلك أنه أتلف كافة الأدلة الواردة في العهدين القديم والجديد»[٢].

قال الإمام ابن القيم: «**الأخبار والبشارة بنبوته ﷺ في الكتب المتقدمة عرفت من عدة طرق:**

أحدها: ما ذكرناه[٣]، وهو قليل من كثير وغيض من فيض.

الثاني: إخباره ﷺ لهم أنه مذكور عندهم، وأنهم وعدوا به، وأن الأنبياء بشرت به، واحتجاجه عليهم بذلك، ولو كان هذا الأمر لا وجود له البتة، لكان مغريًا لهم بتكذيبه منفرًا لأتباعه محتجًّا على دعواه بما يشهد ببطلانها.

الثالث: أن هاتين الأمتين معترفون بأن الكتب القديمة بشرت بنبي عظيم الشأن، يخرج في آخر الزمان، نعته كيت وكيت، وهذا مما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى، فأما المسلمون فلما جاءهم آمنوا به وصدقوه،

---

(١) انظر: موسوعة بيان الإسلام (٥/ ٢٦).
(٢) تأثير الإسلام في أوروبا، وليام مونتجمري واط (ص١٣٣)، ترجمة: سارة إبراهيم الذيب.
(٣) أي من نصوص التوراة والإنجيل، وستأتي.

وعرفوا أنه الحق من ربهم. وأما اليهود فعلماؤهم عرفوه وتيقنوا أنه محمد بن عبد الله، فمنهم من آمن به ومنهم من جحد نبوته، وقال للأتباع: إنه لم يخرج بعد.

* وأما النصارى فوضعوا بشارات التوراة والنبوات التي بعدها على المسيح، ولا ريب أن بعضها صريح فيه، وبعضها ممتنع حمله عليه، وبعضها محتمل.

* وأما بشارات المسيح فحملوها كلها على الحواريين، وإذا جاءهم ما يستحيل انطباقه عليهم، حرفوه أو سكتوا عنه، وقالوا: لا ندري من المراد به.

الرابع: اعتراف من أسلم منهم بذلك، وأنه صريح في كتبهم، وعن المسلمين الصادقين منهم تلقى المسلمون هذه البشارات وتيقنوا صدقها بشهادة المسلمين منهم بها، مع تباين أعصارها وأمصارها وكثرتهم واتفاقهم على لفظها، وهذا يفيد القطع بصحتها ولو لم يقر بها أهل الكتاب، فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها وإنما يغالطون في تأويلها والمراد بها؟! وكل واحد من هذه الطرق الأربعة كاف في العلم بصحة هذه البشارات»[1].

٣- الإرهاصات:

ويلحق بالمبشرات ما يسمى بالإرهاصات التي كانت توطئة لنبوته ﷺ، ومن أشهرها حادثة الفيل، قال الإمام الماوردي: «وآية الرسول ﷺ من قصة الفيل: أنه كان في زمانه حملًا في بطن أمه بمكة؛ لأنه ولد بعد خمسين يومًا من الفيل... **فكانت آيته في ذلك من وجهين:**

أحدهما: أنهم لو ظفروا لسَبَوا واسترقُّوا، فأهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله أن يجري عليه السبي حملًا ووليدًا.

والثاني: أنه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به رفع أصحاب الفيل

(١) هداية الحيارى (٢/ ٤١٤-٤١٥).

عنهم، وما هم أهل كتاب؛ لأنهم كانوا بين عابد صنم أو متدين وثن، أو ثائل[(١)] بالزندقة، أو مانع من الرجعة[(٢)]، ولكن لما أراده الله تعالى من ظهور الإسلام تأسيسًا للنبوة وتعظيمًا للكعبة، وأن يجعلها قبلة للصلاة، ومنسكًا للحج»[(٣)]، وقال الإمام ابن القيم: «وكان أمر الفيل تقدمة قدمها الله لنبيه وبيته، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب، وكان دينهم خيرًا من دين أهل مكة إذ ذاك؛ لأنهم كانوا عباد أوثان فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرًا لا صنع للبشر فيه، إرهاصًا وتقدمة للنبي ﷺ الذي خرج من مكة، وتعظيمًا للبيت الحرام»[(٤)]، وقال الإمام ابن كثير: «ولم يكن ما فعله بأصحاب الفيل نصرة لقريش إذ ذاك على النصارى الذين هم الحبشة؛ فإن الحبشة إذ ذاك كانوا أقرب لها من مشركي قريش، وإنما كان النصر للبيت الحرام، وإرهاصًا وتوطئةً لبعثة محمد ﷺ»[(٥)].

ومن الإرهاصات ما جاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله، ما كان أول بدء أمرك؟ قال: «**دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام**»[(٦)]، قال ابن كثير: «قيل: كان منامًا رأته حين حملت به، وقصته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم، وكان ذلك توطئة، وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلًا للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها»[(٧)].

---

(١) كذا بالأصل! ولعلها: (قائل).

(٢) يعني: إنكار البعث والنشور.

(٣) أعلام النبوة للماوردي (ص٢٠٧-٢٠٨).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٧٥).

(٥) البداية والنهاية (٣/ ١٥٣).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٤).

وعن حسان بن ثابت، أنه قال: والله إني لغلام يفعة ابن ثمان سنين، أو سبع، أعقل ما سمعت، إذ سمعت يهوديًّا يصرخ على أطمة يثرب: يا معشر اليهود، حتى اجتمعوا إليه، فقالوا له: ويلك ما لك؟ قال: «طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به»(١).

وما روي من ارتجاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته وخمود نيران فارس عند مولده وغير ذلك من الدلالات فليس فيه شيء يثبت(٢)، وقال الإمام الذهبي: «هذا حديث منكر غريب»(٣).

۞ ثانيًا: أدلة ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أرسل [الله] محمدًا ﷺ بآيات متعددة لعموم دعوته وشمولها، فإن الأدلة كلما كثرت، وتواردت على مدلول واحد كان أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق، فقد يعرف دلالة أحد الأدلة من لا يعرف الآخر، وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا، وقد يرسل الأنبياء بآيات متتابعة، وتقسي قلوب الكفار عن الإيمان لتتابع الآيات آية بعد آية لينتشر ذلك، ويظهر، ويبلغ ذلك قومًا آخرين فيكون ذلك سببًا لإيمانهم، كما فعل بآيات موسى، وآيات محمد، كما ذكر في التوراة أنه يقسي قلب فرعون لتظهر عجائبه وآياته، وكما صد المكذبين عن الإيمان بمحمد ﷺ حتى يمانعوه، ويسعوا في معارضته، والقدح في آياته، فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن، وغيره من آياته فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه»(٤).

ودلائل نبوة نبينا ﷺ أنواع، يندرج تحتها أفراد كثيرة لا تحصى.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص٧٥)، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص١٣).

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٢٦)، صحيح السيرة النبوية (ص١٤).

(٣) تاريخ الإسلام (١/ ٤٩١).

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٦/ ٤٢٩-٤٣٠).

وسنكتفي بذكر أنواع الآيات مع ذكر بعض الأمثلة لها:

النوع الأول: آيات النبوة:

الآيات الدالة على نبوته ﷺ كثيرة جدًّا، حتى ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنها تزيد على ألف معجزة[١]، وإذا كان من المتعذر الإحاطة بها، **فإن ذلك لا يمنع من ذكر جملة منها:**

فمنها: إخباره ﷺ **بأمور غيبية مستقبلية** تحققت في حياته، أو بعد وفاته وفق ما أخبر عنها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وآياته ﷺ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية، وإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة، لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله، فضلًا عن غير النبيين؛ ففي القرآن من إخباره عن الغيوب شيء كثير، وكذلك في الأحاديث الصحيحة مما أخبر بوقوعه، فكان كما أخبر»[٢]. **ومن ذلك:**

١- عن عدي بن حاتم، قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «**يا عدي، هل رأيت الحيرة**[٣]؟» قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: «**فإن طالت بك حياة، لترين الظعينة**[٤] **ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله** - قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعَّار طيئ[٥] الذين قد سعروا البلاد -[٦] **ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى**[٧]»، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «**كسرى بن هرمز،**

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (١/ ٣٩٩)، مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٥).

(٢) الجواب الصحيح (٦/ ٨٠).

(٣) **الحيرة** -بالكسر: بلد بالعراق خرِّبت. انظر: فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٠٩).

(٤) **الظعينة:** هي المرأة، وسميت ظعينة؛ لأنها تظعن مع الزوج، وتنتقل بانتقاله. انظر: معالم السنن، للخطابي (١/ ٥٤).

(٥) جمع داعر، وهو الخبيث من الرجال. انظر: أعلام الحديث، للخطابي (٣/ ١٥٩٩).

(٦) يعني: أوقدوها بالسعير، أي: بنار الشر والفتنة. انظر: أعلام الحديث (٣/ ١٥٩٩).

(٧) هو ملك الفرس.

ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله منه[١]**، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فليقولن له: ألم أبعث إليك رسولًا فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالًا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم»** قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: «**اتقوا النار ولو بشقة تمرة، فمن لم يجد شقة تمرة فبكلمة طيبة**» قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة، لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ: يخرج ملء كفه[٢]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا الذي أخبر به من خروج الرجل بملء كفه من ذهب أو فضة فلا يجد من يقبله ظهر كما أخبر في زمن عمر بن عبد العزيز»[٣].

٢- وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال: «**اعدُدْ ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كعُقاص الغنم**[٤]**، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا**»[٥]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ففتح بيت المقدس بعد موته في خلافة عمر بن الخطاب، ثم بعد ذلك وقع الطاعون العظيم بالشام، طاعون عمواس في خلافة عمر أيضًا، ومات فيه معاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح، وخلق

(١) **أي**: لعدم الفقراء في ذلك الزمان. انظر: فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٦١٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٥٩٥).

(٣) الجواب الصحيح (٦/ ٨٣).

(٤) هو داء يأخذ الدواب، فيسيل من أنوفها شيء، فتموت فجأة. انظر: فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٢٧٨).

(٥) أخرجه البخاري (ح٣١٧٦).

كثير، وكان ذلك أول طاعون وقع في الإسلام، فكان ما أخبر به، حيث أخذهم طاعون كعقاص الغنم، ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان حتى كان أحدهم يعطى مائة دينار فيسخطها، وكثر المال حتى كانت الفرس تُشترى بوزنها، ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يبق بيت من العرب إلا دخلته لما قتل عثمان، ووقعت الفتنة بين المسلمين أو الملوك يوم الجمل ويوم صفين»(١).

٣- وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»(٢).

قال ابن تيمية: «فوقع هذا كما أخبر به، بعد موت الرسول ﷺ بنحو ثلاثين سنة، وهو سنة أربعين من الهجرة، لما أصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين اللتين كانتا متحاربتين بصفين، عسكر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعسكر معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(٣).

ومنها: الآيات الحسية، مثل:

١- **انشقاق القمر**، «فقد ذكر الله انشقاق القمر، وبين أن الله فعله، **وأخبر به لحكمتين عظيمتين:**

إحداهما: كونه من آيات النبوة، لما سأله المشركون آية، فأراهم انشقاق القمر.

والثانية: أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السماوات، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، فذكر اقتراب الساعة، وانشقاق القمر، وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب؛ لأنه أقرب إلى الأرض من

(١) الجواب الصحيح (٦/ ٨٦).
(٢) أخرجه البخاري (ح٢٧٠٤).
(٣) الجواب الصحيح (٦/ ٩٢).

الشمس والنجوم، وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفلك؛ إذ هو الجسم المستنير الذي يظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهورًا لا يتمارى فيه، وأنه -نفسه- إذا قبل الانشقاق فقبول محله أولى بذلك، وقد عاينه الناس وشاهدوه»[(١)].

٢- تكثير الماء والطعام والثمار، فأما تكثير الماء فعن أنس، أن النبي ﷺ «**دعا** بإناء من ماء، فأتي بقدح رحراح[(٢)]، فيه شيء من ماء، فوضع أصابعه فيه» قال أنس: «فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه» قال أنس: فحزرت من توضأ، ما بين السبعين إلى الثمانين[(٣)].

وأما تكثير الطعام: فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصًا شديدًا[(٤)]، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجت إلي جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بُهيمةٌ داجنٌ[(٥)] فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغي، وقطَّعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنَّا صاعًا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ فقال: «**يا أهل الخندق، إن جابرًا قد صنع سؤرًا**[(٦)]**، فحي هلا بكم**»، فقال

(١) الجواب الصحيح (٦/ ١٥٩-١٦٠).

(٢) **القدح الرحراح**: هو الواسع الصحن، القريب القعر. انظر: أعلام الحديث (١/ ٢٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (ح٢٠٠)، ومسلم (ح٢٢٧٩).

(٤) أي: رأيته ضامر البطن، **وأخمص**: حالة البطن من الجوع. انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٦/ ٥١٣).

(٥) تصغير بَهمَة، والبَهم صغار الغنم، والداجن ما ألِف البيت. انظر: المعلم بفوائد مسلم، للمازري (٣/ ١١٧).

(٦) هو -بالفارسية: الطعام الذي يُدعى إليه الناس، وقيل: الطعام مطلقًا. انظر: مصابيح الجامع، للدماميني (٦/ ٣٩٦).

رسول الله ﷺ: «**لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء**»، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلتِ، فأخرجت له عجينًا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: «**ادع خابزة فلتخبز معي، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها**» وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو[(١)].

وأما تكثير الثمار: فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: أن أباه استشهد يوم أحد وترك ست بنات وترك عليه دينًا، فلما حضر جداد النخل أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله قد علمت أن والدي استشهد يوم أحد، وترك عليه دينًا كثيرًا، وإني أحب أن يراك الغرماء، قال: «**اذهب فبيدر كل تمر على ناحيته**»، ففعلت ثم دعوته، فلما نظروا إليه أغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون أطاف حول أعظمها بيدرًا ثلاث مرات، ثم جلس عليه، ثم قال: «**ادع أصحابك**»، فما زال يكيل لهم حتى أدى الله أمانة والدي، وأنا والله راض أن يؤدي الله أمانة والدي، ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة، فسلم والله البيادر كلها حتى أني أنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ، كأنه لم ينقص تمرة واحدة[(٢)].

٣- ومن آياته الحسية تسخير الأحجار له ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه، حدثهم قال: صعد النبي ﷺ أحدًا ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف، وقال: «**اسكن أحد**- أظنه ضربه برجله- **فليس عليك إلا نبي، وصديق، وشهيدان**»[(٣)].

وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤١٠١)، ومسلم (ح٢٠٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٧٨١).

(٣) أخرجه البخاري (ح٣٦٩٩).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٢٧٧).

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله[١].

النوع الثاني: قرائن الأحوال:

«النبوة يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرِّف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟ وما أحسن ما قال حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لو لم يكن فيه آيات مبينة   كانت بديهته تأتيك بالخبر»[٢]

البراهين الدالة على أن قرائن الأحوال من دلائل النبوة:

البرهان الأول:

أنه ما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور، واستحواذ الشياطين عليه - ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور، ويأمرهم بأمور، ولابد أن يفعل أمورًا يبين بها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه وما يفعله، ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق ضده، بل كل شخصين ادعيا أمرًا: أحدهما صادق، والآخر كاذب - لا بد أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة؛ إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور، يدل على ذلك ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي**

---

(١) أخرجه الترمذي (ح٣٦٢٦)، والحاكم في المستدرك (ح٤٢٣٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.
(٢) شرح الطحاوية (١/ ١٤٠-١٤١).

إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابًا»[١][٢].

البرهان الثاني:

أن الناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة، حتى في المدعي للصناعات والمقالات؛ كمن يدعي الفلاحة والنساجة والكتابة، وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك.

والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال. فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟[٣].

البرهان الثالث:

لا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري، كما يعرف الرجل رضا الرجل وحبه وبغضه وفرحه وحزنه وغير ذلك مما في نفسه، بأمور تظهر على وجهه، قد لا يمكن التعبير عنها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [محمد: ٣٠]، ثم قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، وقد قيل: ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه[٤].

۞ الأدلة على أن قرائن الأحوال من آيات صدق النبي ﷺ:

وإذا كانت قرائن الأحوال دليلًا صحيحًا على إثبات النبوة، فإنها كذلك دليل على إثبات صدق محمد ﷺ.

قال الإمام ابن أبي العز: «فإذا كان صدق المخبر وكذبه يعلم بما يقترن به من القرائن، فكيف بدعوى المدعي أنه رسول الله، كيف يخفى صدق هذا

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٠٩٤)، ومسلم (ح٢٦٠٧).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ١٤١-١٤٣).

(٣) انظر: شرح الطحاوية (١/ ١٤٣).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (١/ ١٤٣-١٤٤).

من كذبه؟ وكيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة؟»[(١)].

الدليل الأول: قول خديجة رضي الله عنها حين قال لها لما جاءه الوحي: «**إني قد خشيت على نفسي**»، فقالت لما علمت منه ﷺ أنه الصادق البار: كلا- والله- لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَل[(٢)]، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق[(٣)]. فهو لم يَخَفْ من تعمد الكذب، فهو يعلم من نفسه ﷺ أنه لم يكذب، وإنما خاف أن يكون قد عرض له عارض سوء، وهو المقام الثاني، فذكرت خديجة ما ينفي هذا، وهو ما كان مجبولًا عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وقد علم من سنة الله أن من جبله على الأخلاق المحمودة، ونزهه عن الأخلاق المذمومة فإنه لا يخزيه.

الدليل الثاني: قول النجاشي لما استخبرهم عما يخبر به واستقرأهم القرآن فقرؤوا عليه، فقال: إن هذا والذي جاء به موسى عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة[(٤)].

الدليل الثالث: قول ورقة بن نوفل لما أخبره النبي ﷺ بما رآه، وكان ورقة قد تنصر، وكان يكتب الإنجيل بالعربية، فقالت له خديجة: أي عم، اسمع من ابن أخيك ما يقول، فأخبره النبي ﷺ بما رأى فقال: هذا هو الناموس[(٥)] الذي

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ١٤٤).

(٢) قوله: (**تحمل الكَلَّ**)؛ أي: من لا يقدر على العمل والكسب. فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (ح٣)، ومسلم (ح١٦٠).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (ح ١٧٤٠)، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح غير إسحاق، وقد صرح بالسماع». مجمع الزوائد (٦/ ٢٧).

(٥) **الناموس في اللغة:** صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر، واتفقوا على أن جبريل عليه السلام يسمى الناموس، واتفقوا على أنه المراد هنا، وسمي بذلك؛ لأن الله تعالى خصه بالغيب=

كان يأتي موسى[(١)].

الدليل الرابع: استدلال هرقل ملك الروم على صدق النبي ﷺ، فإن النبي ﷺ لما كتب إليه كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام، طلب من كان هناك من العرب، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى الشام، وسألهم عن أحوال النبي ﷺ، فسأل أبا سفيان، وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه، فصاروا بسكوتهم موافقين له في الأخبار، سألهم: هل كان في آبائه من ملك؟ فقالوا: لا، قال: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فقالوا: لا، وسألهم: أهو ذو نسب فيكم؟ فقالوا: نعم، وسألهم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقالوا: لا، ما جربنا عليه كذبًا، وسألهم: هل اتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم؟ فذكروا أن الضعفاء اتبعوه؟ وسألهم: هل يزيدون أم ينقصون؟ فذكروا أنهم يزيدون، وسألهم: هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ فقالوا: لا، وسألهم: هل قاتلتموه؟ قالوا: نعم، وسألهم عن الحرب بينهم وبينه؟ فقالوا: يدال علينا مرة وندال عليه أخرى، وسألهم: هل يغدر؟ فذكروا أنه لا يغدر، وسألهم: بماذا يأمركم؟ فقالوا: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. وهذه أكثر من عشر مسائل، ثم بين لهم ما في

= والوحي. انظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٠٣).

(١) أخرجه البخاري (ح٣)، ومسلم (ح١٦٠).

قال الإمام النووي: «ورويناه في غير الصحيح نزل على عيسى ﷺ، وكلاهما صحيح». شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٠٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «وقوله: (على موسى)، ولم يقل: (على عيسى) مع كونه نصرانيًّا؛ لأن كتاب موسى عليه السلام مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى، وكذلك النبي ﷺ، أو لأن موسى بعث بالنقمة على فرعون ومن معه، بخلاف عيسى؛ كذلك وقعت النقمة على يد النبي ﷺ بفرعون هذه الأمة، وهو أبو جهل بن هشام ومن معه ببدر، أو قاله تحقيقًا للرسالة؛ لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتاب، بخلاف عيسى فإن كثيرًا من اليهود ينكرون نبوته». فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٦).

هذه المسائل من الأدلة، فقال: سألتكم: هل كان في آبائه من مَلِك؟ فقلتم: لا، قلت: لو كان في آبائه من ملك لقلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتكم: هل قال هذا القول فيكم أحد قبله؟ فقلتم: لا، فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله لقلت: رجل ائتم بقول قيل قبله، وسألتكم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقلتم: لا، فقلت: قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله، وسألتكم: أضعفاء الناس يتبعونه أم أشرافهم؟ فقلتم: ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل؛ يعني: في أول أمرهم، ثم قال: وسألتكم: هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلتم: بل يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتكم: هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ فقلتم: لا، وكذلك الإيمان، إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

وهذا من أعظم علامات الصدق والحق، فإن الكذب والباطل لا بد أن ينكشف في آخر الأمر، فيرجع عنه أصحابه، ويمتنع عنه من لم يدخل فيه، والكذب لا يروج إلا قليلًا ثم ينكشف.

وسألتكم: كيف الحرب بينكم وبينه؟ فقلتم: إنها دول، وكذلك الرسل تبتلى وتكون العاقبة لها، قال: وسألتكم: هل يغدر؟ فقلتم: لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وهو لما كان عنده من علمه بعادة الرسل وسنة الله فيهم أنه تارة ينصرهم وتارة يبتليهم، وأنهم لا يغدرون - علم أن هذه علامات الرسل، وأن سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أن يبتليهم بالسراء والضراء؛ لينالوا درجة الشكر والصبر.

والله تعالى قد بين في القرآن ما في إدالة العدو عليهم يوم أُحد من الحكمة، فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] الآيات، وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت: ١، ٢] الآيات، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على سنته في خلقه وحكمته التي بهرت العقول.

قال: وسألتكم عما يأمر به؟ فذكرتم أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، وهذه صفة نبي، وقد كنت أعلم أن نبيًّا يبعث، ولم أكن أظنه منكم، ولوددت أني أخلص إليه، ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت إليه، وإن يكن ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين. وكان المخاطب بذلك أبو سفيان بن حرب، وهو حينئذٍ كافر من أشد الناس بغضًا وعداوة للنبي ﷺ، قال أبا سفيان ابن حرب: فقلت لأصحابي ونحن خروج: لقد أَمِرَ أمرُ ابنِ أبي كبشة(١)، إنه ليعظمه ملك بني الأصفر، وما زلت موقنًا بأن أمر النبي ﷺ سيظهر، حتى أدخل الله عليَّ الإسلام وأنا كاره(٢)(٣).

النوع الثالث: الآثار الباقية في العالم:

«وأيضًا: فإن الله سبحانه أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة، كتواتر الطوفان، وإغراق فرعون وجنوده، ولما ذكر سبحانه قصص الأنبياء نبيًّا بعد نبي، في «سورة الشعراء»، كقصة موسى وإبراهيم ونوح ومن بعده، يقول في آخر كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٨، ٩].

وبالجملة: فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول: إنه رسول الله، وأن أقوامًا اتبعوهم، وأن أقوامًا خالفوهم، وأن الله نصر الرسل والمؤمنين، وجعل العاقبة لهم، وعاقب أعداءهم، هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها. ونقل أخبار هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار من مضى من الأمم من ملوك

---

(١) **معنى (أَمِرَ):** عظم وارتفع، و(ابن أبي كبشة) أراد به النبي ﷺ؛ لأن أبا كبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جدٍّ غامض. انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (ح٧)، ومسلم (ح١٧٧٣).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٤٠-١٥٠).

الفرس وعلماء الطب؛ كبقراط، وجالينوس، وبطليموس، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وأتباعه.

ونحن اليوم إذا علمنا بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم - علمنا يقينًا أنهم كانوا صادقين على الحق **من وجوه متعددة:**

منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك، وبقاء العاقبة لهم.

ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه -كغرق فرعون وغرق قوم نوح وبقية أحوالهم- عرف صدق الرسل.

ومنها: أن من عرف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأن فيما جاؤوا به من الرحمة والمصلحة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع ما يضرهم - ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحمٍ بَرٍّ، يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق»[(١)].

ومن الآثار الدالة على صدق الرسل: ما أخبر الله جل وعلا من بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة، وكيف جعل أفئدة من الناس تهوي إليها، مع أنها «بيت من حجارة بوادٍ غير ذي زرع، ليس عندها أحد يحفظها من عدو، ولا عندها بساتين وأمور يرغب الناس فيها، فليس عندها رغبة ولا رهبة، ومع هذا فقد حفظها بالهيبة والعظمة، فكل من يأتيها يأتيها خاضعًا ذليلًا متواضعًا في غاية التواضع، وجعل فيها من الرغبة ما يأتيها الناس من أقطار الأرض محبة، وشوقًا، من غير باعث دنيوي، وهي على هذه الحال من ألوف من السنين؛ وهذا مما لا يعرف في العالم لبنية غيرها»[(٢)].

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٥١-١٥٣).
(٢) النبوات (١/ ٥١٠-٥١١).

النوع الرابع: كرامات الأولياء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كرامات الأولياء هي من دلائل النبوة؛ فإنها لا توجد إلا لمن اتبع النبي الصادق، فصار وجودها كوجود ما أخبر به النبي من الغيب»[(١)]، «وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ»[(٢)].

ولذا كان «من أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات؛ كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة»[(٣)].

تعريفها:

الكرامة: «أمرٌ خارق للعادة، يُظهِرُه الله تعالى على يدِ وليٍّ من أوليائِه؛ تكريمًا له، أو نصرةً لدينِ الله»[(٤)]، **والولي:** هو كل مؤمن تقي؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. «فأولياء الله المتقون هم: المقتدون بمحمد ﷺ، فيفعلون ما أمر به وينتهون عما عنه زجر؛ ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين، وخيار أولياء الله كراماتهم لحجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين، كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك»[(٥)].

---

(١) النبوات، لابن تيمية (١/ ٥٠١-٥٠٢)، وانظر: (١/ ٥٤١، ٦٠٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٥).

(٣) الواسطية (ص١٢٣).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٣١١)، وانظر: لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (٢/ ٣٩٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٤).

وفوائدها:

١- بيان قدرة الله.

٢- نصرة الدين أو تكريم الولي.

٣- زيادة الإيمان والتثبيت للولي الذي ظهرت على يده وغيره.

٤- أنها من البشرى لذلك الولي.

٥- أنها معجزة للرسول الذي تمسك الولي بدينه؛ لأنها كالشهادة للولي بأنه على حق[١].

والكرامة نوعان:

١- **في العلوم والمكاشفات:** بأن يحصل للولي من العلم ما لا يحصل لغيره، أو يكشف له من الأمور الغائبة عنه ما لا يكشف لغيره، كما حصل لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين كشف له وهو يخطب في المدينة عن إحدى السرايا المحصورة في العراق، فقال لقائدها واسمه سارية بن زنيم: الجبل يا سارية، فسمعه القائد فاعتصم بالجبل.

٢- **في القدرة والتأثيرات:** بأن يحصل للولي من القدرة والتأثيرات ما لا يحصل لغيره، كما وقع للعلاء بن الحضرمي حين عبر البحر يمشي على متن الماء[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما المعجزات التي لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم، فمثل: قول عمر في قصة سارية، وإخبار أبي بكر بأن ببطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلًا، وقصة صاحب موسى في علمه بحال الغلام.

والقدرة، مثل: قصة الذي عنده علم من الكتاب، وقصة أهل الكهف،

(١) انظر: التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، لعبد الرحمن السعدي (ص١٢٥-١٢٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٦)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٣١١).

وقصة مريم، وقصة خالد بن الوليد، وسفينة مولى رسول الله ﷺ، وأبي مسلم الخولاني، وأشياء يطول شرحها، فإن تعداد هذا مثل المطر، وإنما الغرض: التمثيل بالشيء الذي سمعه أكثر الناس، وأما القدرة التي لم تتعلق بفعله، فمثل: نصر الله لمن ينصره، وإهلاكه لمن يشتمه»(١).

النوع الخامس: أعظم الآيات (القرآن الكريم):

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤتَ من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد: أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره»(٣).

ويجمل العلامة ابن عثيمين وجوه الإعجاز بقوله: «**القرآن آية من آيات النبي ﷺ الدالة على صدقه من عدة أوجه:**

الأول: عجز الخلق كلهم أن يأتوا مجتمعين أو منفردين بمثل هذا القرآن، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]؛ يعني: لا يمكن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم معينًا لبعض؛ وذلك لأن القرآن كلام الله ولا يمكن أن يشبهه شيء من كلام المخلوقين، لا من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى، ولا من حيث التأثير، ولا من حيث الثمرة والآثار الحميدة.

الثاني: من حيث اللفظ في قوته، ورصانته، وتركيبه، وأسلوبه، ونظمه، وبيانه، ووضوحه، وشموله للمعاني العديدة الواسعة التي لا تزال تظهر عند

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣١٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتح الباري (٩/ ٦).

التأمل والتفكير، حتى كأنك لتسمع الآية التي ما تزال تقرؤها فينقدح لك منها معنى جديد، كأنك لم تسمع الآية من قبل، وكأن الآية نزلت لتوِّها من أجله . . .

الوجه الثالث من إعجاز القرآن: من حيث أهدافه العالية، وآدابه الكاملة، وتشريعاته المُصْلحة، فقد جاء بإصلاح العقيدة من الإيمان بالله، وبما له من الأسماء والصفات والأفعال، والإيمان بجميع ملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وما يتعلق بذلك، وجاء بإخلاص العبادة لله، وتحرير الفكر، والعقل، والشعور من عبادة غير الله والتعلق به خوفًا، ورجاء، ومحبة، وتعظيمًا، وجاء بالآداب الكاملة التي يشهد بكمالها وصلاحها وإصلاحها كل عقل سليم، أمر بالبر والصلة، والصدق، والعدل، والرحمة، والإحسان، ونهى عن كل ما يخالف ويناقض من الظلم، والبغي، والعدوان.

أما تشريعاته؛ فناهيك بها من نُظُم مُصلحة للعباد والبلاد في المعاش، والمعاد، وإصلاحًا في العبادة، وإصلاحًا في المعاملة في الأحوال الشخصية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفردية، والكمالية فيما لو اجتمع الخلق كلهم على سنِّ نظم تماثلها أو تقاربها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

الوجه الرابع من إعجاز القرآن: قوة تأثيره على النفوس والقلوب، فإنه ينفذ إلى القلب نفوذ السهم في الرمية، ويسيطر على العقول سيطرة الشمس على أفق الظلام، كما شهد بذلك المُوَالي والمعادي، حتى إن الرجل العادي -فضلًا عن المتعلم- ليسمع القرآن فيجد من نفسه جاذبية عظيمة تجذبه إليه قسرًا، يعرف أن هذا ليس من كلام البشر . . .

الوجه الخامس من إعجاز القرآن: تلك الآثار الجليلة التي حصلت لأمة القرآن باتباعه والعمل بأهدافه السامية، وتعاليمه الرشيدة، فقد ارتقى بأمة القرآن التي اعتنت به لفظًا وفهمًا وتطبيقًا، ارتقى بها إلى أوج العلا في العبادة

والآداب والكرامة والعزة»[(١)].

ويضاف إلى ما سبق من وجوه إعجاز القرآن الكريم:

الوجه السادس: الإعجاز العلمي: والمقصود به: إخبار القرآن عن حقائق علمية لم تكن معروفة للبشرية يوم نزوله على نبينا ﷺ، ولم يكتشفها العلم إلا في وقتنا الحاضر، وهو يعد دليلًا على صدق نبوته ﷺ، وأن هذا القرآن وحي من عند الله.

ففي عصرنا، ومع التقدم العلمي والتقني تكشفت آيات باهرة من الإعجاز العلمي في القرآن، **ومن أمثلة ذلك ما يلي:**

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

حيث كان الناس قديمًا في زمن النبوة وبعده بأكثر من عشرة قرون يعتقدون أن الإنسان يخلق كقزم كامل من دم الحيض أو داخل البويضة، أو في رأس الحيوان المنوي بعد اكتشافهما في القرن السابع عشر والثامن عشر، إلى أن ظهر سبالا نزالي في نهاية القرن الثامن عشر ليبطل كل هذه النظريات، ويثبت أن الإنسان يخلق من كلٍّ من الحيوان المنوي والبويضة، كما أثبت علم الأجنة مراحل تخليق الإنسان كما جاء بها القرآن. فمن أخبر محمدًا ﷺ بكل هذه الحقائق والتفاصيل الدقيقة التي لم تكتشف إلا بعد زمن النبوة بعشرة قرون؟![(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٥/ ٣٠٧-٣١٠)، وانظر للتفصيل: إعجاز القرآن، للباقلاني (ص٣٣-٣٥)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لعياض (١/ ٢٥٨-٢٧٠)، الجواب الصحيح (٥/ ٤٢٢-٤٣٦)

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منهج للتدريس الجامعي، إعداد مجموعة من الباحثين (ص٦٧) وما بعدها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: ٥٦].

فبين الله تعالى أن الجلد هو محل العذاب، وربط بين الجلد والإحساس بالألم، وأنه حين يتلاشى الجلد ويحترق يتلاشى الإحساس بألم العذاب، فيستبدل بجلد جديد ليستمر الإحساس بالألم ويدوم العذاب للكافرين، وقد كشف العلم الحديث أن النهايات العصبية المتخصصة للإحساس بالحرارة وآلام الحريق لا توجد بكثافة إلا في الجلد، ولم يكن بوسع أحد قبل اكتشاف المجهر وتقدم علم التشريح الدقيق أن يعرف هذه الحقيقة التي أشار إليها القرآن منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان(١).

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج: ٥].

ذكر القرآن اهتزاز التربة وربوها -يعني: زيادتها وانتفاخها- بعد نزول الماء عليها، وهما عمليتان دقيقتان غير مشاهدتين ولا محسوستين، ولم يدرك العلم الحديث هاتين الحقيقتين إلا بعد اختراع المجهر الضوئي عام ١٥٩٠م، وهو الأداة التي من خلالها لوحظ هذا الاهتزاز، وقد أثبت العلم الحديث أن نزول الماء على التربة يترتب عليه أن حبيبات التربة ذات الشحنات السالبة المتشابهة تكون في حالة تنافر واهتزاز مستمر وحركة دائمة، وأن الماء يحيط بالحبيبات ويغلفها فتربو وتزداد، وبعد وجود الماء تدب الحياة في كل البذور الكامنة في الأرض، وتظهر أنواع النباتات والأشجار، وهو ما أخبر به القرآن قبل أربعة عشر قرنًا ﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ﴾ [الحج: ٥](٢).

وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ [القيامة: ٤]؛ فيه من الإعجاز أن البنان تحتوي على البصمات التي هي في غاية من الدقة، حيث لا يتشابه اثنان

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (ص٨١).
(٢) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (ص١٠٤-١٠٥).

في خريطة البصمات، فأقسم الله تعالى بالقيامة أنه قادر على أن يرد هذه البنان يوم القيامة كما كانت وبنفس الخريطة والدقة، وذلك في معرض الرد على المشركين الذين ينكرون المعاد ويستبعدون حشر الأجسام بعد كونها ترابًا، وهذا الأمر؛ أي: عدم تطابق البصمات لم يكتشف إلا في القرن التاسع عشر الميلادي على يد العالم الإنجليزي السير فرانسيس غالتون عام ١٨٩٢م؛ فهو أول من أثبت أنه لا توجد بصمتا إصبعين متطابقتان، حتى في التوائم، كما أكد أن صورة البصمة لأي إصبع تبقى كما هي طوال حياته، ثم أصبح نظام التعرف على المجرمين من خلال بصمات أصابعهم نظامًا عالميًّا تطبقه دوائر الشرطة في العالم إلى اليوم(١).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وهي الجبال، وقد لاحظ العلماء أن امتداد الجبال في باطن الأرض يزيد عن ارتفاعها فوق سطحها؛ مما يمكِّن هذه الجبال من القيام بدورها في تثبيت الأرض، كما تقوم الأوتاد بتثبيت الخيمة(٢).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٦]، وقد اكتشف العلم الحديث أن القمر جِرْم بارد عاكس للضوء، خلافًا لحال الشمس السراج، وحجمه الذي هو أصغر من الشمس، رغم ما يظهر للرائي من كِبَر شكله الظاهر لنا الذي يتبدل من هلال إلى بدر حسب أوضاعه (منازله) النسبية للشمس والقمر(٣).

---

(١) انظر:

http//:fatwa.islamweb.net/fatwa.

https//:ar.wikipedia.org/wiki.

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن، صلاح الدق، بحث منشور على موقع الألوكة، على هذا الرابط: «https//:www.alukah.net/sharia/0/114148/».

(٣) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن، صلاح الدق، بحث منشور على موقع الألوكة، على هذا الرابط: «https//:www.alukah.net/sharia/0/114148/».

وقال جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يونس: ٦٧]، وقد بين الطب الحديث أن الجهاز العصبي ينقسم إلى شقين: (١) الباراسمبثاوي الذي يعمل ليلًا ويبعث الهدوء والسكينة، ويهدئ ضغط الدم وخفقان القلب، ويعمل على اختزان الطاقة، (٢) السمبثاوي الذي ينشط نهارًا، وهو مسؤول عن النشاط والحركة واستهلاك الطاقة، ويرتفع معه ضغط الدم، ويزيد التوتر والخفقان(١).

والأمثلة في هذا الباب كثيرة، ولكثرتها وأهميتها أنشئت مراكز علمية للاهتمام بالإعجاز العلمي في القرآن ورعايته؛ كالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن، التابعة لرابطة العالم الإسلامي في المملكة العربية السعودية، ونادي الإعجاز العلمي بالمعهد العالي للحضارة الإسلامية بجامعة الزيتونة بتونس، والهيئة العالمية للإعجاز العلمي في الأزهر، كما أقيمت مؤتمرات عن آفاق الإعجاز العلمي في القرآن؛ مما ساعد في إسلام عدد كبير من العلماء الغربيين.

۞ ثالثًا: الشبهات حول نبوة رسول الله ﷺ والرد عليها:

أولًا: شبهات المشركين:

١- شبهة السحر:

ادعى المشركون أن ما جاء به محمد ﷺ من الوحي ما هو إلا سحر مبين، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾ [ص: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [سبأ: ٤٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ﴾ [الصافات: ١٤، ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن، صلاح الدق، بحث منشور على موقع الألوكة، على هذا الرابط: «https//:www.alukah.net/sharia/0/114148/».

لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأحقاف: ٧]، وقال - جل وعلا: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزخرف: ٣٠].

الرد عليهم:

بين الله سبحانه بطلان شبهة السحر بأن السحر لا يأتي إلا عن طريق الشياطين، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أما القرآن فهو تنزيل من حكيم حميد، ولا يستطيع الشياطين أن يتنزلوا به، قال سبحانه: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢]، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «زعموا أن الشياطين تنزلت به على محمد ﷺ، فأخبرهم الله ﷻ أنها لا تقدر على ذلك ولا تستطيعه، وما ينبغي لهم أن ينزلوا به وهو محجور عليهم»[(١)].

فأخبر تعالى أن ذلك ممتنع عليهم من وجوه:

الأول: أنه ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾؛ أي: ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونور وهدى وبرهان عظيم، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾.

الثاني: قوله: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، أي: ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

الثالث: أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته، لما وصلوا إلى ذلك؛ لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله؛ لأن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا في مدة إنزال القرآن على رسوله ﷺ، فلم يخلص أحد من الشياطين

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٤-٢٨٢٥)، وانظر: تفسير الطبري (١٧/ ٦٥٢-٦٥٣).

إلى استماع حرف واحد منه، لئلا يشتبه الأمر، وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ولرسوله؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾، كما قال تعالى مخبرًا عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: ٨-١٠][(١)].

الرابع: أنه لو كان القرآن سحرًا لاستطاع المشركون أن يأتوا بمثله؛ لأن السحر مكتسب، ولكنهم لم يتمكنوا أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله ولا بسورة من مثله.

٢- شبهة الجنون:

ادعى المشركون عنادًا واستكبارًا أن محمدًا ﷺ مجنون، وأن ما جاء به من الهدى والحق من آثار هذا الجنون، قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القلم: ٥١]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [الحجر: ٦]، وقال جل جلاله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المؤمنون: ٧٠].

وقال جل وعلا: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

الرد عليهم:

وقد بيَّن الله تعالى بطلان شبهة الجنون بقوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦]، **وبيان ذلك من وجوه:**

الأول: قال القرطبي: «المعنى: ثم تتفكروا: هل جربتم على صاحبكم

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٦٥).

كذبًا، أو رأيتم فيه جِنَّة، أو في أحواله من فساد، أو اختلف إلى أحد ممن يدعي العلم بالسحر، أو تعلم الأقاصيص وقرأ الكتب، أو عرفتموه بالطمع في أموالكم، أو تقدرون على معارضته في سورة واحدة، فإذا عرفتم بهذا الفكر صدقه، فما بال هذه المعاندة؟!»[(١)]، وقال البيضاوي: «إن ما عرفوا من رجاحة عقله كافٍ في ترجيح صدقه، فإنه لا يَدَعُه أن يتصدى لادعاء أمر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان، فيفتضح على رؤوس الأشهاد ويلقي نفسه إلى الهلاك، فكيف وقد انضم إليه معجزات كثيرة؟!»[(٢)].

الثاني: أنهم قد شهدوا بكمال عقله، حتى إنهم كانوا يلقبونه بـ(الصادق الأمين)، وكانوا يتحاكمون إليه عند الاختلاف كما في قصة بناء الكعبة، واختلافهم فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه[(٣)]، فكيف يتهمونه بعد ذلك بالجنون؟!

الثالث: أنه ﷺ لكمال عقله – بعد تأييد الله له – استطاع سياسة العرب بعد أن كانوا كالوحوش الشاردة المتنافرة التي يأكل بعضها بعضًا، حتى انقادوا له والتفوا حوله، وقاتلوا عنه أهلهم وذويهم، واستطاع ﷺ أن يجعل من رعاة الإبل والغنم سادة للشعوب والأمم في مدة لا تتجاوز ربع قرن من الزمان، ومن المحال أن يفعل ذلك كله من يصفونه بالجنون.

الرابع: كيف يُنسب النبي ﷺ إلى الجنون وهو يأتيهم بحكمة وموعظة يعجز حكماء الجن والإنس عن الإتيان بمثلها، ومن المعلوم أن هذه الحكمة ليست من علم المجانين، ولا مما يمكن تحصيله في حال الجنون؛ لأن المجنون إذا أفاق من غشيته، تكلم بكلام لا يعبأ بمثله، ولا يكتَرثُ له[(٤)].

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٣١١-٣١٢).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٢٥٠-٢٥١).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٩٦-١٩٧).

(٤) انظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٠/ ١٣٥).

الخامس: قال سبحانه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [التكوير: ٢٢ - ٢٧]، قال ابن كثير: «قوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه، وبيان كونه جاء من عند الله ﷻ، كما قال الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين، وأمرهم فتلَوا عليه شيئًا من قرآن مسيلمة الذي هو في غاية الهذيان والركاكة، فقال: ويحكم!! أين يذهب بعقولكم؟! والله إن هذا الكلام لم يخرج من إلٍّ، أي: من إله»(١).

٣- شبهة الشعر:

زعم المشركون أن محمدًا ﷺ شاعر، وأن ما جاء به من الوحي شعر، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء: ٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١]، وقال جل وعلا: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٦].

الرد عليهم:

قال الله جل جلاله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤١ - ٤٧]، **فتبين بطلان هذه الشبهة من وجهين:**

الأول: أن القرآن وحي من الله وليس بقول شاعر؛ لأن القرآن بنظمه وأسلوبه يباين جميع أنواع الشعر، قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾؛ لأنه مباين لصنوف الشعر كلها ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾؛ لأنه ورد بسب

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٠).

الشياطين وشتمهم، فلا ينزلون شيئًا على من يسبهم»[١].

الثاني: وهو رد على هذه الشبهة خصوصًا وعلى جميع الشبهات عمومًا، وهو أنه ﷺ لو تقول على الله لعاجله بالعقوبة، قال الإمام ابن كثير: «يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾، أي: محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفتريًا علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئًا من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة. ولهذا قال: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ قيل: معناه لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا منه بيمينه. ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ قال ابن عباس: وهو نياط القلب، وهو العرق الذي القلب معلق فيه... وقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾، أي: فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئًا من ذلك. والمعنى في هذا: بل هو صادق بار راشد؛ لأن الله ﷻ مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات»[٢].

الثالث: لو كان القرآن من جنس أشعارهم لاستطاعوا أن يأتوا بمثله، والحال أنهم عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، فثبت يقينًا أنه ليس من جنس كلامهم.

٤- شبهة التلقي عن السابقين:

من الشبه الباطلة التي افتراها المشركون: زعمهم تلقي النبي ﷺ عن السابقين من أهل الكتاب، قال سبحانه في حكاية هذه الشبهة: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: ٢٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٤، ٥].

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٧٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢١٨).

الرد عليهم:

بَيَّن الله بطلان دعواهم تلقيه عن السابقين من وجوه عديدة، منها:

الأول: قال الشوكاني: «أجاب سبحانه عن هذه الشبهة بقوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦]، أي: ليس ذلك مما يُفترى ويفتعل بإعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث الملفقة وأخبار الأولين، بل هو أمر سماوي أنزله الذي يعلم كل شيء لا يغيب عنه شيء من الأشياء، فلهذا عجزتم عن معارضته ولم تأتوا بسورة منه، وخص السر؛ للإشارة إلى انطواء ما أنزله سبحانه على أسرار بديعة لا تبلغ إليها عقول البشر، والسر: الغيب، أي: يعلم الغيب الكائن فيهما»(١).

الثاني: قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «قالوا: إنما يعلِّم محمدًا عبدُ بن الحضرمي وهو صاحب الكتب، فقال الله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]»(٢).

وقال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلًا منهم: إنما يعلِّم محمدًا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله، يقول الله تعالى ذكره مكذبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون؟ إن لسان الذي تلحدون إليه، يقول: تميلون إليه بأنه يعلم محمدًا أعجمي، وذلك أنهم فيما ذكر كانوا يزعمون أن الذي يعلم محمدًا هذا القرآن عبد رومي، فلذلك قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ يقول: وهذا القرآن لسان عربي مبين»(٣).

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٧٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨٩)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٣٦٤).

الثالث: لقد حوى القرآن العظيم من قصص السابقين ما لم يأتِ في كتاب آخر، «مثل ما أخبرهم عن قصة آدم، وسجود الملائكة له، وتزيين إبليس له حتى أكل من الشجرة، وهبط هو وزوجه، وأخبرهم عن قصة نوح ومكثه فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، وهذا في التوراة الموجودة بأيدي أهل الكتاب، مقدار لبثه في قومه قبل الغرق وبعده، وأخبرهم عن قصة الخليل، وما جرى له مع قومه، وإلقائه في النار، وذبح ولده، ومجيء الملائكة إليه في صورة ضيفان، وتبشيره بإسحاق ويعقوب، وذَهَاب الملائكة إلى لوط، وما جرى للوط مع قومه، وإهلاك الله مدائن قوم لوط، وقصة إسرائيل مع بنيه؛ كقصة يوسف، وما جرى له بمصر، وقصة موسى مع فرعون، وتكليم الله إياه مرة بعد مرة، وآياته كالعصا، واليد البيضاء، والقمل، والضفادع، والدم، وفلق البحر، وتظليل الغمام على بني إسرائيل، وإطعامهم المن والسلوى، وانفجار الماء من الحجر اثنتي عشرة عينًا لسقيهم وعبادتهم العجل، وقتل بعضهم بعضًا لما تاب الله عليهم، وقصة البقرة، ونتق الجبل فوقهم، وقصة داود وقتله لجالوت، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله: موتوا ثم أحياهم، وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، وغير ذلك من أحوال بني إسرائيل. إلى أن ذكر قصة زكريا وابنه يحيى، وعيسى ابن مريم، وأحوال المسيح وآياته، ودعائه لقومه، والآيات التي بعث بها، وتفاصيل ذلك، وذكر قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار مفصلة مبينة بأحسن بيان وأتم معرفة، مع علم قومه الذين يعرفون أحواله من صغره إلى أن ادعى النبوة: أنه لم يتعلم هذا من بشر، بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك، ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك، لا يهودي ولا نصراني، ولا غيرهم. فكان هذا من أعظم الآيات والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به وأنبأه به الله، ومثل هذا الغيب لا يعلمه إلا نبي، أو من أخذ عن نبي، فإذا لم يكن هو أخذه عن

نبي، تعين أن يكون نبيًّا»[(١)].

الرابع: ما كان رسول الله ﷺ ولا قومه يعلمون بخبر الأمم السابقة من قبل، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩]، قال الرازي: «والمعنى: إنك ما كنت تعرف هذه القصة، بل قومك ما كانوا يعرفونها أيضًا، ونظيره أن تقول لإنسان: لا تعرف هذه المسألة لا أنت ولا أهل بلدك. **فإن قيل:** أليس قد كانت قصة طوفان نوح عليه السلام مشهورة عند أهل العلم؟ **قلنا:** تلك القصة بحسب الإجمال كانت مشهورة، أما التفاصيل المذكورة فما كانت معلومة»[(٢)].

الخامس: أن القرآن الكريم قد ذم اليهود والنصارى وأبطل دينهم وبين تحريفهم لكتبهم، وخالف النبي ﷺ كثيرًا من أحكامهم وشرائعهم حتى صارت مخالفتهم أصلًا في الشريعة، فكيف يقال بأن القرآن مأخوذ عنهم؟!

ومما يبطل هذه الشبهات المتقدمة كلها: اعتراف المشركين ببطلانها وبراءة النبي ﷺ منها جميعًا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قام النضر بن الحارث بن كِلْدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فقال: يا معشر قريش! إنه والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله، لقد كان محمد فيكم غلامًا حدثًا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر! لا والله ما هو بساحر، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن! لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر! لا والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه، وقلتم: مجنون! ولا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، يا معشر قريش، انظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم، وكان النضر من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له

---

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٣٢٣-٣٢٥). (٢) تفسير الرازي (١٨/ ٣٦١).

العداوة[١].

ثانيًا: شبهات المستشرقين:

١- شبهة السحر:

يقول المستشرق مرجليوث: إن «الباعث على بعثة الرسول إنما هي أعمال الشعوذة، لقد عرف محمد خدع الحواة[٢]، وحيل الروحانيين، ومارسها في دقة وفي لباقة، وقد كان يعقد في دار الأرقم جلسات روحانية»[٣].

هذه الشبهة من هذا المستشرق وأمثاله هي محاكاة وتقليد لأهل الجاهلية الأولى من المشركين، وقد سبق بيان بطلانها.

٢- شبهة التلقي عن ورقة بن نوفل:

يقول مونتجمري وات: «من الأسهل أن نفترض أن محمدًا كان على صلة متتابعة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة سابقة على الوحي، والأفكار الإسلامية اللاحقة قد تكون اختلطت إلى حد كبير بأفكار ورقة»[٤].

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

الأول: أن لقاء ورقة بالنبي ﷺ لم يكن فيه أي تلقٍّ ولا تعليم، ففي «الصحيحين» أن خديجة رضي الله عنها لما رجع النبي ﷺ من غار حراء، ذهبت به إلى ورقة ليستفسر منه عن حقيقة ما رأى، جاء في الحديث: «... فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠١-٢٠٢).

(٢) جمع حاوٍ، وهو الذي يرقي الحيات ويجمعها، والرجل الذي يقوم بأعمال غريبة تشبه السحر. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٢١٠).

(٣) مقدمة كتاب محمد رسول الله، إيتيين دينيه (ص٤٦)، د. عبد الحليم محمود.

(٤) محمد في مكة، مونتجمري وات (ص١٢٠)، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ (نسخة إلكترونية).

الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نَزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أومخرجيَّ هم**»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركْني يومك أنصرْك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي»[(١)].

الثاني: «قد استقصى المحدِّثون والمؤرخون كل ما عرف عن ورقة هذا مما صح سنده، ومما لم يصح له سند؛ كدأبهم فى كل ما له علاقة بالنبي ﷺ والإسلام، فلم يذكر أحد منهم أنه عرف عنه دعوة إلى النصرانية أو كتابة فيها»[(٢)].

الثالث: «دلت النصوص على عدم وجود صلة سابقة بين محمد ﷺ وورقة ابن نوفل، حتى إن فكرة الاتصال بورقة لم تطرأ على بال الرسول الكريم سعيًا لإزالة الإشكال عن نفسه، بل كانت الفكرة من اقتراح خديجة رضي الله عنها»[(٣)].

الرابع: لم يحدث لقاء النبي ﷺ بورقة سوى مرة واحدة، ولم يلبث ورقة أن تُوفي بعد هذا اللقاء بقليل، قال الحافظ ابن حجر: «قوله: (ولم ينشب ورقة أن توفي)، أي: قبل أن يشتهر الإسلام، ويؤمر النبي ﷺ بالجهاد»[(٤)].

٢- شبهة التلقي عن بحيرا الراهب:

ومن افترى هذه الدعوى من المستشرقين درمنغام[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣)، ومسلم (ح١٦٠).

(٢) الوحي المحمدي (ص٦٥).

(٣) وحي الله حقائقه وخصائصه (ص١٤٦).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٤٧٦).

(٥) انظر: الوحي المحمدي (ص٦٨).

والرد على هذه الشبهة من وجوه:

١- يقول الشيخ محمد رشيد رضا في الرد على هذا الافتراء: إن «كل ما عرفه المسلمون من رواة السيرة النبوية: أن النبي ﷺ لما خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام وهو ابن تسع سنين، وقيل: ١٢ سنة، رآه هذا الراهب مع قريش ورأى سحابة تظلله من الشمس، وذكر لعمه أنه سيكون له شأن، وحذره من اليهود، وفى المسألة روايات بمعناها ضعيفة الأسانيد... وليس في شيء من تلك الروايات أنه ﷺ سمع من بحيرا شيئًا من عقيدته أو دينه»(١).

٢- إن «محمدًا ﷺ لم يذهب مع عمِّه إلى التجارة في الشام إلا وهو طفل -كما تقدم- وقد أعاده إلى مكة قبل إتمام رحلته، ثم سافر إليها فى تجارة خديجة وهو شاب مرة واحدة، ولم يتجاوز سوق مدينة بصرى في المرتين، والقوافل التي تذهب إلى الشام لم تكن تمر بمدين وهي في أرض سيناء، ولم تكن هذه القوافل تضيِّع شيئًا من وقتها للبحث مع العرب أو الأعراب في طريقها عن أنبائها والتاريخ القديم لبلادها، ولم يعرف عن تجارها أنهم كانوا يعنون بلقاء أحبار النصارى ومباحثتهم في دينهم وكتبهم، فمن أين جاء لدرمنغام أن محمدًا ﷺ هو الذي كان يشتغل في تلك التجارة بالبحث عن الأمم والتواريخ والكتب والأديان، ويعنى بلقاء رؤسائها والبحث معهم كما يفعل رواد العلم والتاريخ، وجواسيس السياسة من الإفرنج في هذا العصر، إنما اخترع هذا؛ لأنه لا يستطيع تعليل ما جاء في القرآن من قصص الرسل إلا به»(٢).

٣- شبهة الحالة النفسية للرسول ﷺ:

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «زعم درمنغام أن ما ذكره من تغلغل النصرانية فى بلاد العرب أوجد فيها حالة نفسية أدت إلى زيادة إمعانهم فيما

(١) الوحي المحمدي (ص٦٥).

(٢) الوحي المحمدي (ص٦٨-٦٩)، وانظر: النبأ العظيم، لمحمد دراز (ص٨٦-٨٧).

كانوا يسمونه فى الجاهلية التحنث أو التحنف[(١)]، وزعمه هذا له أصل، ولكنه زاد فيه وكبره وفرع عليه قوله: «وكان محمد يجد في التحنث طمأنينة لنفسه أن كان له بالوحدة شغف، وأن كان يجد فيها الوسيلة إلى ما برح شوقه يشتد إليه من نشدان المعرفة، واستلهام ما في الكون من أسبابها، فكان ينقطع كل رمضان طول الشهر في غار حراء بجبل أبي قبيس مكتفيًا بالقليل من الزاد يحمل إليه، ليمضي أيامًا طويلة بالغار في التأمل والعبادة، بعيدًا عن ضجة الناس وضوضاء الحياة»[(٢)]. وأقول: إن روايات المحدثين تفيد أنه حُبِّب إليه الخلاء والوَحْدة والتحنُّث في غار حراء في العام الذي جاءه فيه الوحي، وكان هو يحمل الزاد، وما كان أحد يحمله إليه، وما ذكره ابن إسحاق من تعبده فيه في شهر رمضان كل سنة إنما كان في زمن فترة الوحي. . . ولم يكن في أعوام ولا شهور قبله. وأما قوله: «إنه كان يتوسل بذلك إلى ما اشتد شوقه إليه من المعرفة وابتغاء الإلهام مما في الكون من أسبابها»، فهو مما يخطر فى بال الباحث فى حياة رجل صدر عنه عقب هذه الخلوة ما صدر من علم ومعرفة وإصلاح، وإرشاد إلى النظر والتفكير فى آيات السموات والأرض، ولكن لم يُرْو عنه ﷺ أنه كان يقصد ذلك ويبتغيه، ولا رُوي عن أصحابه وأترابه الذين كانوا يعرفون سيرته الطاهرة وآمنوا به كأبي بكر وعثمان وعميه حمزة والعباس، ولا عن ربيبه وصفيه وابن عمه علي، ولا حبه ومولاه زيد بن حارثة رضي الله عنهم»[(٣)].

ويقول الشيخ محمد دراز: «فلينظر العاقل: هل كان هذا النبي الأمي -صلوات الله عليه- أهلًا بمقتضى وسائله العلمية؛ لأن تجيش نفسه بتلك المعاني القرآنية؟! سيقول الجهلاء من الملحدين: نعم؛ فقد كان له من ذكائه

(١) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام، جولدتسيهر (ص٢١)، موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٩/ ٩١١٥).

(٢) انظر: الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، إميل درمنغام (ص٧١)، ترجمة: عادل زعيتر.

(٣) الوحي المحمدي (ص٧٢).

الفطري وبصيرته النافذة ما يؤهله لإدراك الحق والباطل من الآراء، والحسن والقبيح من الأخلاق، والخير والشر من الأفعال، حتى لو أن شيئًا في السماء تناله الفراسة أو تلهمه الفطرة أو توحي به الفكرة، لتناوله محمد بفطرته السليمة وعقله الكامل وتأملاته الصادقة.

ونحن قد نؤمن بأكثر مما وصفوا من شمائله، ولكننا نسأل: هل كل ما في القرآن مما يستنبطه العقل والتفكير، ومما يدركه الوجدان والشعور؟ اللهم كلا، ففي القرآن جانب كبير من المعاني النقلية البحتة التي لا مجال فيه للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعلم. ماذا يقولون فيما قصه علينا القرآن من أنباء ما قد سبق، وما فصله من تلك الأنباء على وجهه الصحيح كما وقع؟ أيقولون: إن التاريخ يمكن وضعه أيضًا بإعمال الفكر ودقة الفراسة؟ أم يخرجون إلى المكابرة العظمى فيقولون: إن محمدًا قد عاصر تلك الأمم الخالية، وتنقل فيها قرنًا، فشهد هذه الوقائع مع أهلها شهادة عيان، أو أنه ورث كتب الأولين وعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين في علم دقائقها؟! إنهم لا يسعهم أن يقولوا هذا ولا ذاك؛ لأنهم معترفون مع العالم كله بأنه ﷺ لم يكن من أولئك ولا من هؤلاء»[(١)].



(١) النبأ العظيم (ص٦٥).



المبحث الرابع عشر

معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ

تتضمن شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ ما يلي:

أولًا: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، كما قال سبحانه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن: ٨]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ثانيًا: الإيمان بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ثالثًا: الإيمان بأن هديه أكمل هدي، وشريعته أكمل شريعة، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

رابعًا: الاقتداء به ﷺ، فهو المثل الأعلى، والقدوة الكبرى والأسوة الحسنة في حياة المسلمين على مستوى الأفراد والأسر، والمجتمعات والدول، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، ومعنى (أسوة)؛ أي: قدوة يقتدى بها،

ويتأسى بهديه وشمائله.

خامسًا: محبته ﷺ أعظم من محبة النفس والولد والوالدين والناس أجمعين، وأصل محبته وحقيقتها اتباعه ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين**»(١).

سادسًا: توقيره وتعظيمه التعظيم اللائق به، من غير غلو ولا تقصير، فلا يرفع إلى مقام الألوهية، ولا يقصر في حقوقه الشرعية، كما قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح: ٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١]، وقال سبحانه: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

قال شيخنا ابن عثيمين: «وتوقيره ﷺ في حياته: توقير سنته وشخصه الكريم، وتوقيره بعد مماته توقير سنته وشرعه القويم»(٢).

سابعًا: الصلاة والسلام عليه ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى عليَّ واحدة، صلى الله عليه عشرًا**»(٣).

ثامنًا: الدفاع عن شريعته وهديه بما يستطيع الإنسان، بحسب ما تتطلبه الحال؛ فإذا كان العدو يهاجم بالحجج والشبه، فمدافعته بالعلم ودحض حججه وشبهه وبيان فسادها، وإن كان يهاجم بالسلاح والمدافع فمدافعته بمثل ذلك(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (ح٤٤).

(٢) حقوق دعت إليها الفطرة (ص١٣).

(٣) أخرجه مسلم (ح٤٠٨).

(٤) انظر: حقوق دعت إليها الفطرة (ص١٤).



المبحث الخامس عشر

خصائص رسالة نبينا محمد ﷺ

جاء في نصوص الكتاب والسنة بيان جملة من خصائص رسالة نبينا ﷺ، ومن أهمها ما يلي:

١- عمومها:

فقد كان الأنبياء السابقون يبعثون إلى قومهم خاصة، أما نبينا ﷺ فرسالته إلى الناس عامة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨]، وغيرها من الآيات.

وقال ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا؛ فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[1]، وقال ﷺ: «**لا يسمع بي رجل من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار**»[2].

(١) أخرجه البخاري (ح٣٣٥)، ومسلم (ح٥٢١).

(٢) أخرجه مسلم (ح١٥٣).

قال ابن أبي العز الحنفي: «وكونه ﷺ مبعوثًا إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وأما قول بعض النصارى: إنه رسول إلى العرب خاصة، فظاهر البطلان؛ فإنهم لما صدَّقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به، وقد قال: إنه رسول الله إلى الناس عامة، والرسول لا يكذب، فلزم تصديقه حتمًا، فقد أرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض، إلى كسرى وقيصر، والنجاشي، والمقوقس، وسائر ملوك الأطراف، يدعو إلى الإسلام»(١).

٢- نسخها لجميع الرسالات قبلها:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**»(٢).

٣- كمالها:

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٤- خاتمة الرسالات:

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

٥- يسرها:

تميزت الرسالة المحمدية باليسر والسهولة في التشريعات والأحكام، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (ح١٥٣).

عن النبي ﷺ قال: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا**»(١).

٦- حفظ الله لكتابها:

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، بينما استحفظ الله ما سبقه من الكتب إلى من أنزلت عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

٧- استمرار معجزتها إلى يوم القيامة:

لقد كانت معجزات الأنبياء السابقين معجزات مادية انتهت بموتهم ولم يبقَ منها إلا الخبر عنها، أما معجزة الرسالة المحمدية وهي القرآن الكريم فهي آية باقية، وحجة قائمة، لا تنقضي عجائبه، ولا يحاط بوجوه إعجازه.

٨- ومن خصائص هذه الرسالة أن الله تعالى خص نبيها محمدًا ﷺ بخصائص لا تحصى، منها ما يلي:

١- أنه صاحب المقام المحمود:

وهو شفاعته في أهل الموقف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم، وهو أصح الأقوال في تفسير المقام المحمود(٢)(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا (أي:

(١) أخرجه البخاري (ح٣٩).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٥٢٦)، تفسير القرطبي (١٠/ ٣٠٩).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٦٦).

جماعات)، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في آخر حديث الشفاعة، أنه تلا هذه الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، قال: وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ(٢).

۞ ٢- تفضيل أمته على سائر الأمم:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال سبحانه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ومعلوم أن تفضيل أمته يقتضي تفضيله من باب أولى.

۞ ٣- سبق أمته الأممَ في دخول الجنة:

لعموم قوله ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة**»(٣).

۞ ٤- أنه صاحب لواء الحمد:

لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ؛ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي...**» الحديث(٤).

وفي حديث آخر، قال ﷺ: «**... ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر**»(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لواء الحمد بيد النبي ﷺ يوم القيامة صورة ومعنى، إشارة إلى سيادته لجميع الخلائق، فيكون الخلق تحت لوائه... وهو الذي يتقدم للشفاعة، فيحمد ربه بمحامد لا يحمده بها غيره، وهو محمد وأحمد، وأمته الحمَّادون الذين يحمدون على السراء والضراء، وهو أول من

(١) أخرجه البخاري (ح٤٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح٧٤٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (ح٢٣٨)، ومسلم (ح٨٥٥). (٤) أخرجه الترمذي (ح٣١٤٨) وحسنه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح١٠٩٨٧)، وابن ماجه في السنن (ح٤٣٠٨) بسند صحيح.

يدعى إلى الجنة فلا تفتح لأحد قبل صاحب لواء الحمد ﷺ»[(١)].

۞ ٥- أنه إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم:

لحديث أبي بن كعب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غيرَ فَخْرٍ**»[(٢)].

قال المناوي: «لما كان ﷺ أفضلَ الأولين والآخرين كان إمامَهم فهم به مقتدون، وتحت لوائه داخلون، (وخطيبَهم) بما يفتح الله عليه من المحامد التي لم يحمده بها أحد قبله، فهو المتكلم بين الناس إذا سكتوا عن الاعتذار، فيعتذر لهم عند ربهم، فيطلق اللسان بالثناء على الله بما هو أهله، ولم يؤذن لأحد في التكلم غيره، (وصاحب شفاعتهم)؛ أي: الشفاعة العامة بينهم، أو صاحب الشفاعة لهم»[(٣)].

۞ ٦- أن له الوسيلة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة؛ صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**»[(٤)].

۞ ٧- أنه أُعطي مفاتيح خزائن الأرض:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**... وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض؛ أو مفاتيح الأرض**»[(٥)].

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، اختصرها بدر الدين البعلي (ص٥٧٩)، انظر: شرح المشكاة، للطيبي (ص٣٦٤٦)، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، للقرطبي (٣/ ٥٢٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح٢١٢٤٥)، والترمذي في السنن (ح٣٦١٣) وحسنه، وابن ماجه في سننه (ح٤٣١٤).

(٣) فيض القدير، للمناوي (١/ ٤٢٧).

(٤) أخرجه مسلم (ح٣٨٤).

(٥) أخرجه البخاري (ح١٣٤٤)، ومسلم (ح٢٢٩٦).

قال القاضي عياض: «يتأول على سلطانها وملكها، وفتح بلادها، وخزائن أموالها، كما كان بحمد الله»(١).

وقال الإمام النووي: «هذا من أعلام النبوة؛ فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأمته ووقع كما أخبر ﷺ، ولله الحمد والمنة»(٢).

۞ ٨- أنه اختبأ دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها**، - زاد مسلم: **فتعجل كل نبي دعوته**- **وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة**»(٣).

۞ ٩- أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجزها في الدنيا، وإني قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر...**» الحديث(٤).

۞ ١٠- أنه أول شافع وأول مشفع:

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر**»(٥).

۞ ١١- أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٧/ ٢٣٤).
(٢) شرح النووي على مسلم (٥/ ٥).
(٣) أخرجه البخاري (ح٦٣٠٤)، ومسلم (ح١٩٩).
(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح٢٥٤٦) وإسناده صحيح.
(٥) سبق تخريجه.

قال الحافظ ابن كثير: «هذا من خصائصه -صلوات الله وسلامه عليه- التي لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره (غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ، وهو -صلوات الله وسلامه عليه- في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة»(١).

۞ ١٢- أن الله أعطاه الكوثر:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر: ١].

وعن أنس رضي الله عنه، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**أنزلت عليَّ آنفًا سورة**»، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر]، ثم قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم...**» الحديث(٢).



(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٨).
(٢) أخرجه مسلم (ح٤٠٠).



المبحث السادس عشر

ختم النبوة

ختم الله جل وعلا بنبوة نبينا محمد ﷺ النبوات، وأكمل به الرسالات، فهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده، وكل من ادعى النبوة بعده فهو كذاب أفاك دجَّال، ومن سنن الله سبحانه أن كل من ادعى النبوة بعده تجري على يديه من الأقوال والأعمال التي تفضحه وتبين كذبه، كما أن من سنته سبحانه ألا يؤيده وينصره ولا يبقي ذكره فتخلد دعوته؛ ولذلك لم يبقَ من دعوات المتنبئين الذين ظهروا على مدار التاريخ مع كثرتهم أحد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «ولهذا قد يمكِّن الله كثيرًا من الملوك الظالمين مدة، وأما المتنبئون الكذابون فلا يطيل تمكينهم، بل لا بد أن يهلكهم؛ لأن فسادهم عام في الدين والدنيا والآخرة»(١).

وقد دل على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقد قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، قال الإمام ابن كثير: «فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى؛ لأن

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥١٨).

مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة»[١]، ثم قال: «فمن رحمة الله تعالى بالعباد: إرسال محمد -صلوات الله وسلامه عليه- إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر تعالى في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضالٌّ مضل، ولو تخرق وشعبذ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرجيات، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على يد الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، ما علم كل ذي لب وفهم وحِجًا أنهما كاذبان ضالان -لعنهما الله- وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها»[٢].

وقال القاسمي: «وإنما ختمت النبوة به؛ لأنه شرع له من الشرائع ما ينطبق على مصالح الناس في كل زمان وكل مكان؛ لأن القرآن الكريم لم يدع أمًّا من أمهات المصالح إلا جلَّاها، ولا مكرمة من أصول الفضائل إلا أحياها، فتمت الرسالات برسالته إلى الناس أجمعين، وظهر مصداق ذلك بخيبة كل من ادعى النبوة بعده، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين»[٣].

وقال الزمخشري: «فإن قلت: كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان؟ قلت: معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا يَنَبَّأ أحد بعده، وعيسى ممن نُبِّئَ قبله، وحين ينزل ينزل عاملًا على شريعة محمد ﷺ، مصليًا إلى قبلته، كأنه

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨).
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣٠-٤٣١).
(٣) محاسن التأويل (٨/ ٨٠).

بعض أمَّته»[(١)].

وأما السنة فقد تواترت الأحاديث عنه ﷺ أنه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده، قال عبد القاهر البغدادي: «وقد تواترت الأخبار عنه بقول: (لا نبي بعدي)، ومن رد حجة القرآن والسنة فهو الكافر»[(٢)]، وقال ابن حزم: «وقد صح عن رسول الله ﷺ بنقل الكواف التي نقلت نبوته وأعلامه وكتابه أنه أخبر أنه لا نبي بعده»[(٣)].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحِلَّت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون**»[(٤)].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: خلَّف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي**»[(٥)]، وهو حديث متواتر[(٦)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلَّا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[(٧)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم**

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٥٤٤-٥٤٥).
(٢) أصول الدين (ص١٦٣).
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٦٧-٦٨).
(٤) أخرجه مسلم (ح٥٢٣).
(٥) أخرجه مسلم (ح٢٤٠٤).
(٦) انظر: قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، للسيوطي (ص٢٨١).
(٧) أخرجه البخاري (ح٣٥٣٥)، ومسلم (ح٢٢٨٦).

الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي»(١).

وقد أجمع المسلمون على أن نبينا محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ومن أنكر ذلك فهو كافر، ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب، وقد نقل ابن حزم الإجماع على «أنه لا نبي مع محمد ﷺ ولا بعده أبدًا»(٢)، وقال الغزالي: «إن الأمة فهمت بالإجماع من هذا اللفظ [يعني قوله ﷺ: «**لا نبي بعدي**»] ومن قرائن أحواله أنه أفهم عدم نبي بعده أبدًا، وعدم رسول لله أبدًا، وأنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص، فمنكر هذا لا يكون إلا منكر الإجماع»(٣).

وقال القاضي عياض: «من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ أو بعده؛ كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، وكالخرَّمية القائلين بتواتر الرسل، وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة عليٍّ رضي الله عنه في الرسالة للنبي ﷺ وبعده، فكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة، وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان وأشباه هؤلاء، أو من ادعى النبوة لنفسه، أو جوَّز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة، وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدَّعِ النبوة، أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين، فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين، وأنه أرسل كافة للناس، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأن مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص، فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعًا إجماعًا وسمعًا»(٤).

وقال الإمام ابن أبي العز: «لما ثبت أنه خاتم النبيين، علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب، ولا يقال: فلو جاء المدعي للنبوة بالمعجزات الخارقة

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٤٥٥)، ومسلم (ح١٨٤٢).

(٢) مراتب الإجماع (ص١٧٣).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٣٧).

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٨٥-٢٨٦).

والبراهين الصادقة كيف يقال بتكذيبه؟ لأنَّا نقول: هذا لا يتصور أن يوجد، وهو من باب فرض المحال؛ لأن الله تعالى لما أخبر أنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مدعٍ يدعي النبوة، ولا يظهر أمارة كذبه في دعواه»[(١)].

وقال الآلوسي: «وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السُّنَّة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافه، ويقتل إن أصرَّ»[(٢)].



(١) شرح الطحاوية (١/ ١٦٧).
(٢) روح المعاني (١١/ ٢١٩-٢٢٠).



المبحث السابع عشر

الإسراء والمعراج

تعريفهما، والأدلة عليهما، ودلالتهما

۞ أولًا: تعريفهما:

الإسراء لغة: السير ليلًا[١]، والمراد به: انتقال النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

والمعراج لغة: آلة الصعود، وكل شيء عرجتَ فيه، فصعدتَ من سفل إلى علو فهو معراج[٢]، والمقصود به: صعود الرسول ﷺ من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا، «لكن لا نعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته»[٣].

۞ ثانيًا: الأدلة عليهما:

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٥٢)، لسان العرب (١٤/ ٣٧٧)، فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٩٩)، الروض الأنف للسهيلي (٣/ ٢٥٢).

(٢) انظر: جمهرة اللغة (٣/ ١٢٤١)، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٠٣)، شرح الطحاوية (١/ ٢٧٠).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٧٠).

ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ - ١٨].

وجاء في حديث الإسراء: «أنه ﷺ أسري بجسده في اليقظة، على الصحيح، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، راكبًا على البراق صحبة جبريل عليه السلام، فنزل هناك، صلى بالأنبياء إمامًا، وربط البراق بحلقة باب المسجد. وقد قيل: إنه نزل بيت لحم وصلى فيه، ولا يصح عنه ذلك البتة، ثم عرج به من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل، ففتح لهما، فرأى هناك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الثانية. فاستفتح له، فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، فلقيهما، فسلم عليهما، فردَّا عليه السلام، ورحبا به، وأقرا بنبوته ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف، فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فرأى فيها هارون بن عمران، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء السادسة، فلقي فيها موسى فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته... ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقي فيها إبراهيم، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رفع له البيت المعمور، ثم عرج به إلى الجبار، جل جلاله وتقدست أسماؤه، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر على موسى، فقال: بِمَ أمرت؟ قال؟ بخمسين صلاة، فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار أن نعم إن شئت، فعلا به جبريل حتى

أتى به إلى الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه»[١].

قال الحافظ ابن كثير: «قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه «التنوير في مولد السراج المنير» حديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، واعترض فيه الزنادقة الملحدون: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف: ٨]»[٢].

۞ ثالثًا: هل كان الإسراء بالروح أم بالجسد؟

الصواب الذي تواردت به الأخبار، وقال به أكثر أهل العلم، وهو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه -كما قال الحافظ ابن حجر- أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد جميعًا، قال الإمام الطبري: «الصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ»[٣].

وقال الإمام ابن القيم: «أُسْرِي بروحه وجسده إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى فوق السماوات بجسده وروحه إلى الله ﷻ، فخاطبه وفرض عليه الصلوات، وكان ذلك مرة واحدة، هذا أصح الأقوال»[٤].

وقال الحافظ ابن كثير: «الأكثرون من العلماء على أنه أُسْري ببدنه وروحه يقظة لا منامًا»[٥].

وقال الحافظ ابن حجر: «الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٧٣-٢٧٥)، وانظر: صحيح البخاري (ح٣٨٨٧).
(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٥). (٣) تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٦).
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٩٧).
(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣).

ينبغي العدول عن ذلك؛ إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل»[(١)].

والدليل على أن الإسراء والمعراج كانا بروحه وجسده ما يلي:

١- «أن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزًا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره»[(٢)]، و«العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد»[(٣)]، قال ابن أبي العز الحنفي: «ومما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة، قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح، فيكون الإسراء بهذا المجموع»[(٤)].

٢- «لا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلًا على نبوته، ولا حجة له على رسالته... إذ لم يكن منكرًا عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟»[(٥)].

٣- قوله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، «فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظمًا، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه، ولما ارتد جماعة ممن كان قد أسلم»[(٦)].

٤- أن وقوع الإسراء والمعراج بالروح والجسد معًا «لا يمتنع ذلك عقلًا، ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر»[(٧)].

(١) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٩٧).
(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤).
(٤) شرح الطحاوية (١/ ٢٧٦-٢٧٧).
(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٦-٤٤٧).
(٦) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣-٤٤).
(٧) شرح الطحاوية (١/ ٢٧٧).

٥- قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، «أي: اختبارًا وامتحانًا»[١]، وذلك لا يكون إلا إذا كانت بالروح والجسد؛ لأنه ليس في إسراء الروح فقط فتنة ولا غرابة؛ ولذلك كذب بها المشركون حين سمعوها، فقد كانوا يقطعون هذه المسافة على ظهور الإبل أيامًا عديدة.

٦- قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: ١٧]، «والبصر من آلات الذات لا الروح»[٢].

٧- «أنه ﷺ حُمِلَ على البراق، وهو دابة بيضاء برَّاقة لها لمعان، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح؛ لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه، والله أعلم»[٣].

واستدل القائلون بأن الإسراء كان بروحه دون جسده بقول عائشة رضي الله عنها: «ما فقد جسد رسول الله ﷺ، ولكن الله عز وجل أسرى بروحه»[٤].

وأجيب عن هذا الاستدلال بأنه لم يثبت عن عائشة، قال ابن عبد البر: «وإنكار عائشة رضي الله عنها الإسراء بجسده لا يصح عنها، ولا يثبت قولها: (ما فُقِدَ جسد رسول الله ﷺ ولكن أُسْرِي بروحه)، وقد قال بعضهم عنها: (ما فَقَدت جسدَ رسول الله ﷺ في تلك الليلة)، وهذا من الكذب الواضح؛ لأنَّ عائشة لم تكن وقت الإسراء معه، وإنما ضمَّها بعد ذلك بسنين كثيرة بالمدينة»[٥].

وقال محمد بن يوسف الصالحي: «وأما ما يعزى لعائشة رضي الله عنها، فلم يرد بسند يصلح للحجة، بل في سنده انقطاعٌ وراوٍ مجهول... وقال أبو الخطاب ابن دحية في التنوير: (إنه حديث موضوع عليها)، وقال في معراجه الصغير:

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٩٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤).
(٣) المصدر السابق.
(٤) السير والمغازي، لابن إسحاق (ص٢٩٥).
(٥) الأجوبة عن المسائل المستغربة من كتاب البخاري (ص١٥٦-١٥٧).

(قال إمام الشافعية القاضي أبو العباس بن سريج: هذا حديث لا يصح، وإنما وضع ردًّا للحديث الصحيح). انتهى»[١].

۞ رابعًا: تاريخها:

شاع عند كثير من المسلمين أن ليلة الإسراء والمعراج كانت ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وهذا لا يصح البتة، فلم يدل عليه دليل ثابت، وقد اختلف أهل العلم في تحديد سنتها وشهرها ويومها على أقوال كثيرة[٢].

ونقل الإمام ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: «لم يقم دليل معلوم لا على شهرها ولا على عُشرها ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة ليس فيها ما يقطع به»[٣].

كما أنه لا يشرع تخصيص ليلة الإسراء والمعراج بعبادة، وقد نقل ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: «لا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها، لا سيما على ليلة القدر، ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور ولا يذكرونها؛ ولهذا لا يعرف أي ليلة كانت، وإن كان الإسراء من أعظم فضائله ﷺ، ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان ولا ذلك المكان بعبادة شرعية»[٤].

۞ خامسًا: دلالتهما:

١- الإسراء والمعراج آيتان من آيات الله جل وعلا الدالة على إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ؛ لما اشتملت عليه من الدلائل والآيات الخارقة للعادة

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٧٠)، وانظر: مقال (في الإسراء والمعراج)، للشيخ أحمد شاكر (مجلة المنار ٣٥/ ٧١٤).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٠٣)، ويراجع: سبل الهدى والرشاد (٣/ ٦٤).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٥٨).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٥٩).

والخارجة عن قدرة البشر.

٢- الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولًا قبل المعراج أن في ذلك إظهارًا لصدق دعوى الرسول ﷺ المعراجَ حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس فنعته لهم وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك؛ إذ لا يمكن إطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته(١).

٣- في إمامة رسول الله ﷺ لإخوانه الأنبياء إشارة إلى أن دينهم واحد، وهو ما دل عليه الكتاب والسنة، ومن لطائف ما ذكره ابن جرير الطبري أنه نزل على النبي ﷺ ليلة الإسراء في بيت المقدس قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥](٢).



(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٧٦-٢٧٧).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٦٠٥).



المبحث الثامن عشر

ثمرات الإيمان بالرسل

۞ للإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

أولًا: تحقيق السعادة في الدنيا، التي هي مطلب كل إنسان، قال جل وعلا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، فالسعادة متوقفة على الإيمان بما جاءت به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من الهدى ودين الحق.

ثانيًا: تحقيق النجاة في الآخرة؛ لأن النجاة في الآخرة متوقفة على الإيمان بما جاء به الرسل من الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فقد جاءت النصوص بأنه لا يخلد في النار موحد، وأن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وأسعد الناس بشفاعته ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه.

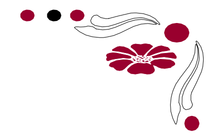
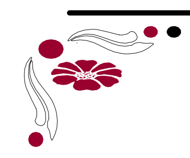
ثالثًا: التحرر من عبودية المخلوق، والخضوع والذل له بالإيمان بما جاء به الرسل من عبودية الله وحده لا شريك له، والكفر بما سواه، فيتحرر المخلوق بتحقيق العبودية لله من رق المخلوق وعبوديته والتحري لنفعه، والخوف من ضره، والنظر لمدحه وقدحه، وهذه قمة العزة والحرية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

رابعًا: العلم برحمة الله تعالى بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله المستقيم، وعبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

خامسًا: حمد الله وشكره على هذه النعمة الكبرى، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، فبين أن إكمال الدين وإتمام الرسالة نعمة، وهي تستوجب الشكر والحمد باتباع ما جاء به الرسول ﷺ.

سادسًا: معرفة الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومعرفة الطريق الموصل إليه سبحانه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه، ومعرفة حال الناس وما يصيرون إليه بعد انتقالهم من هذه الدنيا الفانية إلى دار البقاء والخلود، وهو ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر من الجنة والنار، وما قبل ذلك من الحساب والحوض، والميزان والصراط، وغيرها من أحوال اليوم الآخر، وهذه هي الأصول الثلاثة التي اتفقت عليها رسالات الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وبها تتحقق هداية الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة.



ملخص الفصل الثالث

❊ **النبي لغة:** مشتق من النبأ، وهو الخبر، وقيل: مشتق من النَّبْوة، **وأما شرعًا** فذهب جمهور المعتزلة إلى أنه لا فرق بين الرسول والنبي، والحق أن هناك فرقًا بين الرسول والنبي، وقد اختلف القائلون بالتفريق في معنى النبي والرسول وتحديد الفرق بينهما على أقوال، **منها:** (١) أن الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وهو قول الجمهور. (٢) أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي من أوحي إليه بتجديد شرع من قبله. (٣) أن الرسول هو: النبي المرسل، والنبي هو: المحدَّث الذي لم يرسل. (٤) أن الرسول: الذي معه كتاب، والنبي: الذي ينبئ عن الله ﷻ وإن لم يكن معه كتاب، كيوشع. (٥) أن الرسول هو الذي يبعث لقوم كافرين، والنبي هو الذي يبعث إلى قوم مؤمنين، وهو أرجحها.

❊ **الوحي لغة:** الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجَّه إليه بحيث يخفى على غيره، **وشرعًا:** أن يُعلِمَ الله تعالى من اصطفاه من عباده كلَّ ما أراد إطلاعه عليه من أنواع الهداية والعلم، ولكن بطريقة سريعة خفية غير معتادة للبشر، **ويكون على أحد هذه الأوجه:** (١) إما أن يلقي الوحي في قلب الرسول، من غير إرسال ملك، ولا مخاطبة منه شفاهًا. (٢) أو يكلمه شفاهًا، لكن من وراء حجاب، كما حصل لكليم الله موسى عليه السلام. (٣) أو يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، فيرسل جبريل فيوحي بإذنه ما يشاء.

❊ **الإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:** (١) الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، وأنَّ جميعهم صادقون مصدَّقون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون. (٢) الإيمان بكل نبي أرسله الله؛ مَنْ علمنا اسمه منهم نؤمن باسمه، ومن لم نعلم نؤمن به إجمالًا. (٣) تصديق ما صح من

أخبارهم، ولا يصح من أخبارهم، إلا ما جاء في كتاب الله. (٤) العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد ﷺ.

❊ الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان، لا يصح الإيمان إلا به، وقد اتفق المسلمون على وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، فمن كفر برسالة واحد منهم كان كمن كفر بجميعهم.

❊ **يتبين حاجة البشر إلى الرسل من وجوه:** (١) أن حاجة العبد إلى الرسالة ضرورية أعظم من حاجة المريض إلى الطب. (٢) أن البشر مهما أوتوا من عقول، لا يستطيعون أن يصلوا إلى الحق والهدى الذي فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة. (٣) أن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم موقوفة على اتباع الرسالة. (٤) أنه لا سبيل لمعرفة العبد بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته على سبيل التفصيل إلا عن طريق الرسل. (٥) أن الله جل وعلا أخبر أن المقتضي الباعث لإرسال الرسل هو رحمته للعالمين. (٦) أن الرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده.

❊ يزعم منكرو النبوات أنه يمكنهم الاستغناء عن الرسل بعقولهم، وأشهر من عرف عنهم إنكار النبوات هم البراهمة، وقد نقل أصحاب المقالات شبهاتهم، وبينوا وجوه بطلانها.

❊ ذكر الله جل وعلا في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيًّا ورسولًا بأسمائهم، منهم ثمانية عشر في «سورة الأنعام»، وبقيتهم وهم سبعة ذكروا في مواضع متفرقة من القرآن الكريم، وهناك من اختلف في نبوته؛ كذي القرنين، وتبَّع، وذي الكفل، والخضر.

❊ لا يعلم عدد الأنبياء والرسل إلا الله تعالى الذي أرسلهم، وقد ورد في عددهم عدة أحاديث، لكن الراجح أنها ضعيفة لا تصح.

❊ **تتبين منزلة الأنبياء والمرسلين من وجوه:** (١) أفضل الخلق. (٢) الاصطفاء. (٣) الكمال في تحقيق العبودية.

❁ **خص الله الأنبياء بخصائص لا توجد لغيرهم، ومنها:** (١) الوحي. (٢) الحرية. (٣) الذكورة. (٤) كونهم من الإنس. (٥) تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. (٦) لا تأكل الأرض أجسادهم. (٧) يخيَّرون عند الموت بين الدنيا والآخرة. (٨) أحياء في قبورهم يصلون. (٩) يدفنون حيث يموتون. (١٠) لا يورثون بعد موتهم.

❁ **وظائف الأنبياء والرسل:** (١) أعظم وظائفهم الدعوة إلى إفراد الله وحده بالعبادة. (٢) أنهم الواسطة بين الله وخلقه في تبليغ شريعته. (٣) التبشير والإنذار، وإقامة الحجة على الناس. (٤) بيان ما أنزل الله عليهم من الوحي للناس.

❁ **اتفق المسلمون على أن الرسول أفضل من النبي** الذي ليس برسول، وأن أولي العزم من الرسل أفضلهم، وأما قوله ﷺ: «**لا تفضلوا بين أنبياء الله**»، فهو محمول على النهي عن التفضيل إذا كان على وجه الانتقاص من المفضول، **وقيل:** إنه نهي عن التفضيل الخاص؛ أي: لا يفضَّل بعض الرسل على بعضٍ بعينه.

❁ **العصمة لغة:** المنع، **وشرعًا:** حفظ الله لأنبيائه من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات، والأنبياء والرسل معصومون من الوقوع في الكفر قبل النبوة، فلم يعرف عن نبي أو رسول أنه كان مشركًا قبل البعثة، وهم معصومون قبل النبوة من كل ما يعابون به بعد النبوة، ومعصومون من الخطأ في تبليغ شرع الله جل وعلا بالإجماع، والقول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، واختلف في عصمتهم من الصغائر على أقوال، والراجح الذي دلت عليه النصوص، أنهم قد يقعون في الصغائر بغير تعمد، لكنهم لا يقرون عليها، بل يستدركهم الله بالتوفيق للتوبة.

❁ **الآيات:** جمع آية، **والآية في اللغة:** العلامة، **وفي الاصطلاح:** الآيات والبراهين التي لا يقدر عليها إلا الله، ولا يمكن معارضتها بمثلها، والتي يجريها الله تعالى على أيدي أنبيائه، فتدل على صدقهم، وقد أطلق المتكلمون

على آيات الأنبياء اسم المعجزات، وعرفوا المعجزة بأنها: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة، والأولى أن تسمى: الآيات، والدلائل، والبينات، والأعلام، والبراهين؛ ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجودًا في الكتاب والسنة، وقد حصر جمهور المتكلمين طريق إثبات النبوة في المعجزات، حتى صار تقرير النبوات بالمعجزات من أعظم الطرق عند أهل الكلام والنظر، ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن دلائل النبوة ليست محصورة في المعجزات.

❁ **آيات الأنبياء من حيث الزمن نوعان:** (١) ما مضى وصار معلومًا بالخبر، كمعجزات موسى وعيسى عليهما السلام. (٢) ما هو باقٍ إلى اليوم؛ كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد ﷺ. وأما أنواعها بالنسبة لحياة كل نبي، فهي متنوعة؛ فمنها ما يكون قبل المبعث، ومنها ما يكون حين المبعث، في حياتهم، وبعد موتهم.

❁ **الفرق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء:** (١) الفرق بينهما في اللفظ؛ حيث شاع عند المتأخرين تخصيص اسم (المعجزة) بالنبي، وتخصيص اسم (الكرامة) بالولي. (٢) الفرق بينهما في المرتبة، فلا تبلغ كرامات الأولياء درجة معجزات الأنبياء، كما أنهم لا يبلغون في الفضل منزلة الأنبياء. (٣) أن كل كرامة للولي فهي معجزة للنبي؛ لأنها ما حصلت إلا ببركة اتباع النبي.

❁ **الفرق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة:** (١) أن النبي صادقٌ فيما يخبر به لا يكذب قط، ومن خالفهم من السحرة والكهان لا بد أن يكذب. (٢) الأنبياء لا يأمرون إلَّا بعبادة الله وحده، وأعمالهم البر والتقوى، ومخالفوهم يأمرون بالشرك والظلم، وفي أعمالهم الإثم والعدوان. (٣) السحر والكهانة ونحوهما أمور معتادة معروفة لأصحابها، ليست خارقة لعادتهم، وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم ولمن اتَّبعهم. (٤) الكهانة والسحر يناله الإنسان بتعلُّمه وسعيه واكتسابه، بخلاف النبوة؛ فإنَّه لا ينالها أحدٌ باكتسابه. (٥) لو

قُدِّر أن النبوة تنال بالكسب، فإنّما تُنال بالأعمال الصالحة والصدق والعدل والتوحيد، لا تحصل مع الكذب، كما هو حال السحرة والكهان. (٦) أن ما يأتي به الكهان والسحرة لا يخرج عن كونه مقدورًا للجن والإنس، وآيات الرسل لا يقدر عليها لا جن ولا إنس، بل هي خارقة لعادة كل من أُرسل النبي إليه. (٧) أنَّ خوارق السحرة يمكن أن تُعارض بمثلها، وآيات الأنبياء لا يقدر أحد أن يعارضها بمثلها. (٨) أن خوارق السحرة ليست خارقة لعادات بني آدم، بل كل ضربٍ منها معتادٌ لطائفة غير الأنبياء، وأما آيات الأنبياء فليست معتادة لغير الصادقين على الله، ولمن صدَّقهم. (٩) أن آيات الأنبياء لا يقدر عليها مخلوق لا الملائكة ولا غيرهم؛ كإنزال القرآن وتكليم موسى، وخوارق السحرة تقدر عليها الجن والشياطين. (١٠) النبي لا يأمر إلا بجنس ما أمرت به الرسل قبله، فله نظراء يعتبر بهم، وكذلك الساحر والكاهن له نظراء يعتبر بهم. (١١) النبي لا يأمر إلا بمصالح العباد في المعاش والمعاد، بخلاف السحرة والكهان.

❁ **الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة:** (١) أن الكرامة للولي إنما تقع للمؤمن التقي، فإذا وقع الخارق للعادة على يد معرض عن الشرع، واقع في المعاصي فهي من الأحوال الشيطانية. (٢) أن كرامات الأولياء سببها التقوى والعمل الصالح، وأعمال المشعوذين سببها الكفر والفسوق والفجور والاستعانة بالشياطين. (٣) أن كرامات الأولياء يستعان بها على البر والتقوى، أو على أمور مباحة، وأعمال المشعوذين والدجالين يستعان بها على أمور محرمة، من الشرك والكفر وقتل النفوس. (٤) أن كرامات الأولياء تقوى بذكر الله وتوحيده، وخوارق السحرة والمشعوذين تبطل أو تضعف عند ذكر الله وقراءة القرآن والتوحيد.

❁ دين الأنبياء واحد وهو الإسلام، فهو الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد دينًا غيره، وهو دين جميع الأنبياء

وأتباعهم.

❁ **المبشرات هي:** ما ورد في الكتب السابقة من الإخبار ببعثة رسول الله ﷺ؛ وطريق ثبوتها: **(١)** الأدلة من الكتاب والسنة على أن صفته موجودة في الكتب السابقة. **(٢)** ما ورد في التوراة والإنجيل من المبشرات بنبوة محمد ﷺ. **(٣)** الإرهاصات التي كانت توطئة لنبوته ﷺ، ومن أشهرها حادثة الفيل.

❁ **دلائل نبوة نبينا ﷺ أنواع يندرج تحتها أفراد كثيرة لا تحصى، ومنها:** **(١)** آيات النبوة؛ كإخباره ﷺ بأمور غيبية مستقبلية تحققت في حياته، أو بعد وفاته وفق ما أخبر عنها، والآيات الحسية، مثل: انشقاق القمر، وتكثير الماء والطعام والثمار، وتسخير الأحجار له ﷺ، ونحوها. **(٢)** قرائن أحواله وسيرته ﷺ. **(٣)** الآثار الباقية في العالم، ومنها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك، وبقاء العاقبة لهم. ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم، ومنها: أن من عرف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل. **(٤)** كرامات الأولياء. **(٥)** القرآن الكريم، وهو أعظم الآيات وأظهرها على نبوته ﷺ.

❁ **شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ تتضمن ما يلي:** **(١)** طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع. **(٢)** الإيمان بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده. **(٣)** الإيمان بأن هديه أكمل هدي، وشريعته أكمل شريعة. **(٤)** الاقتداء به ﷺ، **(٥)** محبته ﷺ أعظم من محبة النفس والولد والوالدين والناس أجمعين. **(٦)** توقيره وتعظيمه التعظيم اللائق به، من غير غلو ولا تقصير. **(٧)** الصلاة والسلام عليه ﷺ، **(٨)** الدفاع عن شريعته وهديه بما يستطيع الإنسان، بحسب ما تتطلبه الحال.

❋ **من أهم خصائص رسالة نبينا ﷺ ما يلي:** **(١)** عمومها. **(٢)** نسخها لجميع الرسالات قبلها. **(٣)** كمالها. **(٤)** خاتمة الرسالات. **(٥)** يسرها. **(٦)** حفظ الله لكتابها. **(٧)** استمرار معجزتها إلى يوم القيامة.

❋ **خص الله نبينا محمدًا ﷺ بخصائص لا تحصى، منها ما يلي:** **(١)** أنه صاحب المقام المحمود. **(٢)** تفضيل أمته على سائر الأمم. **(٣)** سبق أمته الأممَ في دخول الجنة. **(٤)** أنه صاحب لواء الحمد. **(٥)** أنه إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم. **(٦)** أنه أعطي الوسيلة. **(٧)** أنه أعطي مفاتيح خزائن الأرض. **(٨)** أنه اختبأ دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة. **(٩)** أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة. **(١٠)** أنه أول شافع وأول مشفع. **(١١)** أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. **(١٢)** أن الله أعطاه الكوثر.

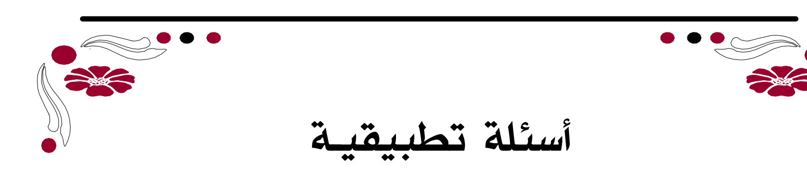
❋ ختم الله جل وعلا بنبوة نبينا محمد ﷺ النبوات، وأكمل به الرسالات، فهو خاتم الأنبياء، لا نبي بعده، وكل من ادعى النبوة بعده فهو كذَّاب أفاك دجَّال، وقد دل على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ الكتاب والسنة والإجماع، فمن أنكر ذلك فهو كافر، ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب.

❋ **الإسراء:** انتقال النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. والمعراج: صعود الرسول ﷺ من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا، والحق الذي لا ينبغي العدول عنه أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد جميعًا يقظة لا منامًا، وقد شاع عند كثير من المسلمين أن ليلة الإسراء والمعراج كانت ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وهذا لا يصح البتة، فلم يدل عليه دليل ثابت، وقد اختلف أهل العلم في تحديد سنتها وشهرها ويومها على أقوال كثيرة، والإسراء والمعراج آيتان من آيات الله جل وعلا الدالة على إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ؛ لما اشتملت عليه من الدلائل والآيات الخارقة للعادة والخارجة عن قدرة البشر.

❋ **للإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:** **(١)** تحقيق السعادة في الدنيا.

(٢) تحقيق النجاة في الآخرة. **(٣)** التحرر من عبودية المخلوق. **(٤)** العلم برحمة الله تعالى بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله المستقيم، وعبادة الله وحده لا شريك له. **(٥)** حمد الله وشكره على هذه النعمة الكبرى. **(٦)** معرفة الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومعرفة الطريق الموصل إليه سبحانه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه، ومعرفة حال الناس وما يصيرون إليه بعد انتقالهم من هذه الدنيا الفانية إلى دار البقاء والخلود.





أسئلة تطبيقيـة

س١: عرف النبي والرسول لغة واصطلاحًا، موضحًا الفرق بينهما، وأقوال العلماء في ذلك، مع الترجيح.

س٢: للأنبياء خصائص امتازوا بها عن سائر البشر، اذكرها باختصار، واشرح خمسًا منها مع ذكر الأدلة.

س٣: جاء في نصوص الكتاب والسنة بيان جملة من خصائص رسالة النبي ﷺ. اذكر خمسًا منها مع الأدلة.

س٤: عرف الوحي لغة وشرعا، واذكر أنواعه، ومثل لكل نوع بمثال، مع ذكر الحالات التي يأتي بها الملك الموكل بالوحي.

س٥: عرف آيات الأنبياء لغة واصطلاحًا، موضحًا تعريف المتكلمين للمعجزة، وما رأيك في حصر جمهور المتكلمين طريق إثبات النبوة في المعجزات؟

س٦: ورد في الكتاب والسنة ذكر آيات الأنبياء السابقين، اشرح خمسًا منها بأدلتها.

س٧: آيات نبينا ﷺ أنواع يندرج تحتها أعيان كثيرة لا تحصى، اذكر هذه الأنواع إجمالًا، ثم اشرح خمسًا منها بالأدلة.

س٨: من خصائص الأنبياء العصمة. اذكر معناها، وآراء العلماء في عصمتهم من الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها.

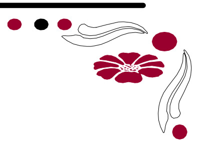
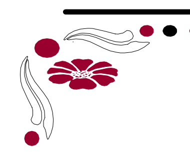
س٩: هناك فروق واضحة بين معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، وخوارق السحرة. اشرح ذلك بإيجاز مع المقارنة والتحليل.

س١٠: هل تجوز المفاضلة بين الأنبياء؟ وضح ذلك بالأدلة.



الفصل الرابع

الإيمان باليوم الآخر

الفصل الرابع

❁ **ويشتمل على ما يلي:**

١- اليوم الآخر؛ تعريفه، ومعنى الإيمان به، وأدلته.

٢- أشراط الساعة؛ تعريفها، وأقسامها.

٣- أشراط الساعة الصغرى.

٤- أشراط الساعة الكبرى.

٥- أحكام الموت والبرزخ.

٦- النفخ في الصور.

٧- البعث.

٨- الحشر.

٩- العرض.

١٠- الحساب.

١١- الجزاء.

١٢- الميزان.

١٣- الحوض.

١٤- الصراط.

١٥- الشفاعة.

١٦- الجنة.

١٧- رؤية الله في الجنة؛ أدلتها، وصفتها.

١٨- النار.





المبحث الأول

اليوم الآخر

۞ أولًا: تعريفه، ومعنى الإيمان به:

اليوم الآخر: هو ما يكون بعد الموت من أحوال البرزخ، وأهوال القيامة، والجنة والنار.

ومعنى الإيمان به: «التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك، ويدخل في ذلك: الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع، وتفاصيل المحشر: نشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط، والحوض، والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله ﷻ، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم ﷻ»[1].

فالإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بخمسة أمور:

١- بفتنة القبر ونعيمه وعذابه.

٢- وأشراط الساعة التي تكون قبل يوم القيامة.

٣- والبعث؛ وهو إخراج الناس من قبورهم وإحياؤهم بعد موتهم.

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ حكمي (ص٥٥).

٤- وأهوال يوم القيامة، وهو ما يحصل في ذلك اليوم من أمور عظام؛ كنشر الصحف، ووضع الموازين، وورود الحوض، والعبور على الصراط، وغيرها من أحوال ذلك اليوم العظيم.

٥- الجنة وما فيها من نعيم مقيم، والنار وما فيها من عذاب أليم.

۞ ثانيًا: حكمه:

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، لا يصح إيمان عبد إلا به، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ...﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩]. وفي حديث جبريل لما سئل ﷺ عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)].

فمن كذَّب باليوم الآخر فهو كافر، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام: ٢٩، ٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: ٥].

قال الإمام ابن عبد البر: «وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث بعد الموت فليس بمؤمن ولا مسلم، ولا ينفعه ما شهد به»[(٢)].

۞ ثالثًا: أدلة الإيمان باليوم الآخر:

الأدلة على إثبات اليوم الآخر كثيرة جدًّا لا تكاد تحصى، فقد «دل عليه الكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة السليمة»[(٣)].

(١) أخرجه مسلم (ح٨).

(٢) الاستذكار، لابن عبد البر (٧/ ٣٣٩).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٥٨٩).

وسنشير فيما يلي إلى جملة من أنواع الأدلة في تقرير المعاد:

النوع الأول: الأدلة النقلية، ومنها:

١- أن الله أقسم به في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة: ١]، وأمر نبيه أن يقسم بالله على وقوعه في ثلاثة مواضع من القرآن، فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣﴾ [يونس: ٥٣]، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ﴾ [سبأ: ٣]، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن: ٧].

٢- أن الله أخبر عن اقترابه، فقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١]، ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢﴾ [المعارج: ١، ٢] إلى أن قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦، ٧].

٣- أن الله مدح المؤمنين به، كما في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة: ٤].

٤- أن الله ذم المكذبين بالمعاد، فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥]، ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]، ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ۝٦٦﴾ [النمل: ٦٦]، ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: ٣٨] إلى أن قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩]، ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾ [غافر: ٥٩]، ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ۝٩٧ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ [الإسراء: ٩٧ - ٩٩].

٥- أن الله جل وعلا فصل القول في اليوم الآخر تفصيلًا عظيمًا، وبيَّنه بيانًا مفصلًا في سور كثيرة من القرآن، كما في «سورة الواقعة»، و«الحاقة»، و«التكوير»، و«الانفطار»، و«الانشقاق»، و«الزلزلة»، و«القارعة»، كلها في شأن القيامة وأحوالها.

قال الإمام ابن أبي العز: «إن القيامة الكبرى معروفة عند الأنبياء، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم»[(١)]، و«محمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفي، بين تفصيل الآخرة بيانًا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء»[(٢)].

النوع الثاني: الأدلة العقلية:

وهي كثيرة جدًّا، ومن أعظم البراهين العقلية في تقرير البعث ما جاء في كتاب الله جل وعلا، **ومن ذلك ما يلي:**

١- الاستدلال بخلق السماوات والأرض على البعث، فإن من خلق السماوات والأرض وما فيها من عجائب المصنوعات قادر على إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٦-١١]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٩٠-٥٩١). (٢) شرح الطحاوية (٢/ ٥٨٩-٥٩٠).

ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨١ - ٨٣].

٢- الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥]، وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٨، ٧٩][(١)].

٣- الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى: قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٥٠]، وقال جل وعلا: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٩ - ١١].

٤- الاستدلال بما وقع من إحياء الموتى؛ فذكر الله في «سورة البقرة» خمس وقائع[(٢)]:

الأولى: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ

---

(١) انظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢/ ٥٩٦-٥٩٧).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، للبراك (ص٢٤٤).

ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦].

الثانية: قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ومنها: قصة أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الكهف: ١٨- ١٩].

٥- الاستدلال باليقظة من النوم على البعث؛ فالنوم أخو الموت، قال

تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: ٤٢].

«فبين سبحانه أنه يتوفى الأنفس على نوعين: فيتوفاها حين الموت، ويتوفى الأنفس التي لم تمت بالنوم، ثم إذا ناموا فمن مات في منامه أمسك نفسه، ومن لم يمت أرسل نفسه؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقول إذا أوى إلى فراشه: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**»، وكان إذا استيقظ يقول: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»[(١)]، فقد سمى النوم موتًا والاستيقاظ حياة»[(٢)].

النوع الثالث: الإجماع:

أجمع المسلمون وسائر أهل الأديان الكتابية على إثبات يوم القيامة، فمن أنكره أو شك فيه فهو كافر[(٣)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مذهب سائر المسلمين، بل وسائر أهل الملل إثبات القيامة الكبرى، وقيام الناس من قبورهم»[(٤)]، وقال الإمام الشوكاني: «والحاصل أن هذا [أي: المعاد] أمر اتفقت عليه الشرائع، ونطقت به كتب الله ﷻ سابقها ولاحقها، وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم، ولم يخالف فيه أحد منهم، وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل، ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك قط»[(٥)].

النوع الرابع: الأدلة الفطرية:

الفطرة السالمة من الشبهات والشهوات تهتدي بذاتها إلى الإيمان بالبعث، وإن خفيت معالم هذه الفطرة لشبهة أو شهوة فلا تلبث أن تستيقظ في أوقات

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٣١٢).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٥).
(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٤/ ٢٩٥).
(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٢).
(٥) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، للشوكاني (ص١٤).

الشدة، حيث تجد كل نفس تتجه ضرورة إلى الله، وتجد راحتها وسلوتها في انتظار حياة أخرى تنعم فيها وتسعد، ويؤخذ فيها حق المظلوم من الظالم حين لا يؤخذ حقه في هذه الحياة، ويلقى المحسن ثواب إحسانه، والمسيء عقاب سيئاته.

النوع الخامس: الأدلة العلمية:

كما أثبت العلم أن هذا الكون حادث وكائن بعد أن لم يكن، فقد أثبت أيضًا بأن مصيره إلى الفناء والزوال لا محالة، يقول وحيد الدين خان: «دراسة علم الفلك تؤكد إمكان اصطدام الأجرام السماوية، والحديث عن وجود النظام الشمسي يدور حول وقوع صدام كبير بين بعض الأجرام السماوية قديمًا، فإذا استطعنا أن نتصور هذا التصادم على نطاق أوسع لاستطعنا أن نفهم جيدًا ذلك الإمكان الذي نحن بصدده، فهذا الواقع هو بعينه ما نسميه القيامة». وبعد أن استعرض عددًا من الظواهر الطبيعية المدمرة؛ كالزلازل والبراكين انتهى إلى القول بأن «نظام الكون الموجود حاليًّا سوف يدمَّر يومًا... فالقيامة حقيقة معلومة في أعماقنا، ونحن اليوم نعرفها في حد الإمكان، ولسوف نلقاها غدًا في صورة الواقع»[١].

۞ رابعًا: أسماء اليوم الآخر، ودلالتها، وأدلتها:

لليوم الآخر أسماء كثيرة، وقد ذكر الإمام القرطبي أكثر من خمسين اسمًا، وبين معانيها[٢].

ومن أسمائه:

١- **اليوم الآخر:** لأنه لا يوم بعده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢].

---

(١) الإسلام يتحدى... مدخل علمي إلى الإيمان، لوحيد الدين خان (ص٨٣).
(٢) انظر: التذكرة، للقرطبي (ص٥٤٤) وما بعدها.

٢- **يوم الفصل:** لأن فيه الفصل بين الناس بالعدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ: ١٧].

٣- **يوم الحساب:** لأن فيه محاسبة الناس على أعمالهم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧، ٨].

٤- **يوم الخلود، ودار الخلد:** لأن الحياة فيها خالدة دائمة، قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ [ق: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [فصلت: ٢٨].

٥- **الواقعة:** لتحقق وقوعها، قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ [الواقعة: ١، ٢].

٦- **التغابن:** قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ﴾ [التغابن: ٩]، سمي بذلك؛ لأن الناس يتغابنون في المنازل عند الله: فريق في الجنة وفريق في السعير[١].

٧- **الغاشية:** قال سبحانه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾ [الغاشية: ١]؛ لأنها تغشى الناس وتعمهم[٢].

٨- **الصاخَّة:** قال جل وعلا: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ [عبس: ٣٣، ٣٤]؛ يعني: صيحة القيامة؛ سميت بذلك؛ لأنها تصخ الأسماع؛ أي: تبالغ في الأسماع حتى تكاد تصمها[٣].

٩- **الطامَّة:** قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [النازعات: ٣٤]، سُميت بذلك؛ لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع[٤]، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦][٥].

---

(١) انظر: التذكرة (ص٥٧٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٤).
(٣) تفسير البغوي (٨/ ٣٣٩).
(٤) طمَّ الأمر، إذا علا وغلب. انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٤٠٦).
(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٧).

١٠- **يوم التناد:** قال جل وعلا: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ [غافر: ٣٢]، وسُمي يوم التناد؛ لأنه يوم ينادي الناس بعضهم بعضًا، وقرئ (التنادِّ) - بتشديد الدال- من ندَّ البعير: إذا شرد وذهب(١).

۞ خامسًا: منازل الآخرة:

منازل الآخرة ثلاثة:

الأول: القبر، فعن هانئ مولى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان عثمان، إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**»(٢).

الثاني: أرض المحشر التي يكون فيها أحوال القيامة وأهوالها، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨]، قال الشوكاني: «والتبديل قد يكون في الذات كما في: (بدلت الدراهم دنانير)، وقد يكون في الصفات كما في: (بدلت الحلقة خاتمًا)، والآية تحتمل الأمرين، وقد قيل: المراد تغير صفاتها، وبه قال الأكثر، وقيل: تغير ذاتها»(٣).

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة نقي(٤)**» قال سهل، أو غيره: «ليس فيها مَعْلَم لأحد»(٥).

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٥٠٣)، والترمذي (ح٢٣٠٨) وحسنه، وابن ماجه (ح٤٢٦٧)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح١٦٨٤).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٤٢).

(٤) **عفراء:** أي: شديدة البياض، قرصة النقِي: الدقيق النقي من الغش والنخال. انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٧٥).

(٥) أخرجه البخاري (ح٦٥٢١)، ومسلم (ح٢٧٩٠).

الثالث: الجنة والنار، وسيأتي الحديث عنهما مفصلًا إن شاء الله تعالى.

سادسًا: آثار الإيمان باليوم الآخر على وجه الإجمال:

من ثمرات الإيمان باليوم الآخر ما يلي:

١- الحرص على طاعة الله تعالى رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته خوفًا من عقاب ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

٢- تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها[(١)]، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا بن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا، والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا، من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا بن آدم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا، والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[(٢)].

٣- عِظَم الأجر وجَزالة المثوبة لمن آمن باليوم الآخر؛ فإنَّ الإيمان باليوم الآخِر من الإيمان بالغيب الذي وعد الله أهله بالاهتداء والفلاح، قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٣ - ٥].

٤- استشعار كمال عدل الله وحكمته وقدرته في ذلك اليوم، حيث يظهر فيه تمام ملكه وسلطانه، ويقتص فيه من الظالم، ويجازي كل إنسان بعمله، قال جل وعلا: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦].

(١) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة، لابن عثيمين (ص٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٨٠٧).



المبحث الثاني

أشراط الساعة

۞ أولًا: تعريف أشراط الساعة:

قال الحافظ ابن حجر في تعريفها: «العلامات التي يعقبها قيام الساعة»[(١)].

والساعة: القيامة[(٢)]، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣]. قال الزجاج: «الساعة في القرآن: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سُمِّيَتْ بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم إلا من شاء الله بصيحة واحدة»[(٣)]، وقال القرطبي: «الساعة: كلمة يعبر بها في العربية عن جزء الزمان غير محدود، وفي العرف على جزء من أربعة وعشرين جزءًا من يوم وليلة، واللذين هما أصل الأزمنة... وحقيقة الإطلاق فيها: أن الساعة بالألف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه، وهو المسمى بالآن، وسميت به القيامة؛ إما لقربها فإن كل آتٍ قريب، وإما أن تكون سُميت بها تنبيهًا على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود وتكسر

(١) فتح الباري (١٣/ ٧٩)، وانظر: المصدر السابق (١١/ ٣٥٢)، المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (١/ ٤٢٢).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٠٩).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٨٩).

العظام، وقيل: إنما سميت بالساعة؛ لأنها تأتي بغتة في ساعة»[١]، وقال الشوكاني: «وسميت ساعة؛ لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا»[٢].

۞ ثانيًا: أقسامها:

* قسمها البيهقي وغيره من حيث قدرها إلى قسمين، فقال: «الأشراط منها صغار وقد مضى أكثرها، ومنها كبار ستأتي»[٣].

وقسمها القرطبي بحسب مخالفتها للعادة إلى نوعين: نوع معتاد، ونوع غير معتاد[٤]، فمن المعتاد: ولادة الأمة ربتها، وتطاول رعاة البهم بالبنيان، ومن غير المعتاد: طلوع الشمس من مغربها.

* ومنهم من قسمها بحسب قربها من الساعة وحصولها، قال الطيبي: «الآيات أمارات للساعة إما على قربها وإما على حصولها؛ فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف. ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس»[٥]، وهذا التقسيم يتعلق بالأشراط الكبرى.

* ومنهم من قسمها بحسب مكان وقوعها إلى قسمين: أرضية، وسماوية، قال ابن أبي العز: «وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها، على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية»[٦]، ويبدو أن هذا التقسيم يتعلق أيضًا بالأشراط الكبرى.

* وقسم شيخنا ابن عثيمين أشراط الساعة بحسب وقت ظهورها إلى ثلاثة

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٥٤٦).
(٢) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٣٢).
(٣) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٨٥).
(٤) انظر: فتح الباري (١/ ١٢١).
(٥) فتح الباري (١١/ ٣٥٢-٣٥٣).
(٦) شرح الطحاوية (٢/ ٧٥٨).

أقسام، فقال: «أشراط الساعة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم مضى، وقسم ما زال يأتي، وقسم أكبر وهو الأشراط القريبة منها، وهي الأشراط الكبار، فمن الأشياء التي مضت: بعثة النبي ﷺ؛ فإن بعثته وجعله آخر الرسل تدل على أن الساعة قريبة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»[(١)]، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى؛ يعني: أننا مقترنان، وليس بيننا إلا مثل ما بين السبابة والوسطى.

❊ وهناك أشراط ما زالت تقع، مثل: كثرة المال، وكثرة الهرْج- يعني: القتل- وتقارب الزمان، وغير ذلك.

❊ وقسم ثالث لم يأتِ بعد، وهو الأشراط الكبيرة؛ كنزول عيسى ابن مريم ﷺ، والدجال، ويأجوج ومأجوج، وما أشبهها»[(٢)].

۞ ثالثًا: قرب قيام الساعة:

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ١ - ٧]، وقال سبحانه: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، قال الإمام الطبري: «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾: دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾: افتعلت من القرب، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٠٣)، ومسلم (ح٨٦٧).
(٢) شرح السفارينية (ص٤٢٩-٤٣٠).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٣).

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهذه من هذه، أو: كهاتين**» وقرن بين السبابة والوسطى[(١)].

قال الإمام ابن القيم: «الدنيا كلها كيوم واحد، بعث رسول الله ﷺ في آخره قبل غروب شمسه بيسير»[(٢)].

وقال السفاريني: «فإن قيل: كيف يوصف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعه ألف ومائة ونيف وسبعون عامًا[(٣)]؟ فالجواب: أن الأجَل إذا مضى أكثره وبقي أقله حسن أن يقال فيه: اقترب الأجل، ولا ريب أن أجل الدنيا قد مضى أكثره وبقي أقله»[(٤)].

۞ رابعًا: استئثار الله بعلم وقتها:

وقت قيام الساعة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وهو مما استأثر الله بعلمه، فلم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا، فضلًا عما سواهما، فلا يعلم متى تقوم الساعة إلا علام الغيوب جل وعلا.

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال جل وعلا: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٦]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ

---

(١) أخرجه البخاري (ح٥٣٠١)، ومسلم (ح٢٩٥٠).

(٢) عدة الصابرين (ص٢٤٤).

(٣) هذا بحسب زمنه.

(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٦٥).

بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال جل جلاله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾ [فصلت: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف: ٨٥].

وفي حديث جبريل أنه قال للنبي ﷺ: فأخبرني عن الساعة، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»(١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: «**تسألوني عن الساعة؟ وإنما علمها عند الله**»(٢).

۞ خامسًا: الحكمة من ذلك:

لعل من الحكمة في إخفاء وقت الساعة وتقدم أشراطها: حث العباد على العمل الصالح، قال الآلوسي: «وإنما أخفى سبحانه أمر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك؛ فإنه أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية، كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك، ولو قيل بأن الحكمة التكوينية تقتضي ذلك أيضًا لم يبعد»(٣)، وقال العلامة السعدي: «لما كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دنيوية، بل المصلحة في خفائه عليهم، طوى علم ذلك عن جميع الخلق، واستأثر بعلمه»(٤).



(١) أخرجه مسلم (ح٨).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٥٣٨).
(٣) روح المعاني (٥/ ١٢٥).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص٩١٠).



المبحث الثالث

أشراط الساعة الصغرى

۞ أولًا: تعريفها:

هي: الأشراط المعتادة[١]، وهي التي تسبق الأشراط الكبرى، وسُميت صغرى بالنسبة إلى الأشراط الكبرى.

۞ ثانيًا: أمثلتها وأدلتها:

وردت أحاديث كثيرة فيها ذكر كثير من أشراط الساعة الصغرى، ومنها:

١- فتح بيت المقدس:

عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أُدم، فقال: «**اعدد ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس...**» الحديث[٢].

وقد تم فتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سنة ست عشرة من الهجرة[٣].

٢- ظهور الفتن من المشرق:

ففي حديث ابن عمر، أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق،

(١) انظر: فتح الباري (١/ ١٢١).
(٢) أخرجه البخاري (ح٣١٧٦).
(٣) انظر: البداية والنهاية (٧/ ٥٥-٥٧).

يقول: «**ألا إن الفتنة هاهنا، ألا إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان**»[(١)]، وقد ظهرت من المشرق فتن كثيرة، كفتنة التجهم والتجسيم والرفض والقدر والتصوف والإلحاد وغيرها، ومن المشرق يخرج الدجال، كما سيأتي.

٣- ضياع الأمانة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «**أين– أراه– السائل عن الساعة**» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «**فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة**»[(٢)].

٤- قبض العلم وظهور الجهل:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم ويثبت الجهل**»[(٣)].

ورفع العلم إنما يكون بقبض العلماء، ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقِ عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[(٤)].

٥- انتشار الزنا:

في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا**»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٠٥). (٢) أخرجه البخاري (ح٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (ح٨٠)، ومسلم (ح٢٦٧١).

(٤) أخرجه البخاري (ح١٠٠)، ومسلم (ح٢٦٧٣).

(٥) أخرجه البخاري (ح٨٠)، ومسلم (ح٢٦٧١).

٦- كثرة القتل:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرْج**»، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «**القتل القتل**»(١).

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**بين يدي الساعة أيام الهرج، يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل**»، قال أبو موسى: والهرج: القتل بلسان الحبشة(٢).

٧- كثرة الزلازل:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج -وهو القتل القتل- حتى يكثر فيكم المال فيفيض**»(٣).

٨- قتال اليهود:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود**»(٤).

٩- ظهور المهدي:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا**»، قال: «**ثم يخرج رجل من عترتي -أو من أهل بيتي- من يملؤها قسطًا وعدلًا، كما ملئت ظلمًا وعدوانًا**»(٥).

والأحاديث الواردة في المهدي أربعة أقسام: صحاح، وحِسان، وغرائب،

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٥٧).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٠٦٦).
(٣) أخرجه البخاري (ح١٠٣٦).
(٤) أخرجه مسلم (ح٢٩٢٢).
(٥) أخرجه أحمد في المسند (ح١١٣١٣)، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

وموضوعة[(١)].

وليس المهدي الذي وردت به الأحاديث هو مهدي الرافضة الذي لا وجود له إلا في خيالاتهم حتى صاروا ضحكة بين الأمم[(٢)]، قال ابن القيم: «ولقد أصبح هؤلاء [يعني: الروافض] عارًا على بني آدم، وضُحكة يسخر منهم كل عاقل»[(٣)].



(١) انظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم (ص١٤٨)، شرح العقيدة السفارينية، لابن عثيمين (ص٤٥١).

(٢) انظر تفصيل ذلك في فصل (المهدية والغيبة) من: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٣) وما بعدها.

(٣) المنار المنيف (ص١٥٢-١٥٣).



المبحث الرابع

أشراط الساعة الكبرى

۞ أولًا: تعريفها:

قال الحافظ ابن حجر في تعريفها: «هي التي تضمنها حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم، وهي: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها كالحامل المتم[(١)]، ونزول عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، والريح التي تهب بعد موت عيسى فتقبض أرواح المؤمنين»[(٢)].

۞ ثانيًا: حصرها:

هي عشر علامات جاء النص عليها في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر، قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى**

---

(١) أخرج الإمام أحمد في مسنده (٦/ ١٩-٢٠) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إن الساعة كالحامل الـمُتِمِّ؛ التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلًا أو نهارًا**»، قال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح». (مسند أحمد ٣/ ٤٨٤).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٨٥).

محشرهم»[١].

۞ ثالثًا: ترتيبها:

لم يرد نص في ترتيب أشراط الساعة، وقد ورد في بعض الأحاديث ذكر أولها خروجًا، كما في حديث عبد الله بن عمرو، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا**»[٢].

ورجح طائفة من أهل العلم من مجموع الروايات أن خروج الدابة هو أول الآيات الأرضية التي ليست بمألوفة، وأن طلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات السماوية[٣].

قال الحافظ ابن حجر: «وقد ثبت أن الآيات العظام مثل السِّلْك، إذا انقطع تناثر الخرز بسرعة»[٤]، وهو يشير إلى حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «الأمارات خرزات منظومات بسِلْك، فإذا انقطع السلك تبع بعضه بعضًا»[٥].

وفيما يلي ذكر الآيات العشر وأدلتها:

١- طلوع الشمس من مغربها:

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٠١). (٢) أخرجه مسلم (ح٢٩٤١).

(٣) انظر: النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (١/ ٢١٤)، فتح الباري (١١/ ٣٥٣).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٧٧).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٩)، وصححه، ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد في المسند من حديث عبد الله بن عمرو (ح ٧٠٤٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح» (مسند أحمد ٦/ ٤٦٨).

إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والمراد: طلوع الشمس من مغربها، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها**» ثم قرأ الآية(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا**»(٢).

٢- خروج الدابة:

وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢﴾ [النمل: ٨٢]، هذا ما ذهب إليه كثير من أهل العلم.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا**»(٣).

٣- ظهور المسيح الدجال:

سمي بالمسيح؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينيه: كافر**»(٤). وسُمِّي

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٦٣٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٩٣٣).

بالدَّجَّال من الدجل، وهو التلبيس والتمويه والكذب والادعاء، وقد جاء على وزن (فعَّال)، وهو من صيغ المبالغة لكثرة كذبه وتمويهه[١].

زمانه: «غير محدد، فلا نعلمه؛ لأنه لا يعلم متى تكون الساعة إلا الله، فكذلك أشراطها لا نعلم منها إلا ما ظهر، فوقت خروجه غير معلوم لنا»[٢].

مكانه: يخرج من جهة المشرق، ثم يسير فلا يترك بلدًا إلا دخله إلا مكة والمدينة، لأن الملائكة تحرسهما. قال ابن حجر: «وأما من أين يخرج؟ فمن قِبَل المشرق جزمًا»[٣].

أتباعه: يتبع الدجالَ سبعون ألفًا من يهود أصبهان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة**»[٤].

صفته: تضمنت الأحاديث صفة عينه وأنه أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام النبي ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «**إني أنذركموه، وما من نبي إلا قد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكن سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور**»، وزاد مسلم: أن رسول الله ﷺ قال يومَ حذَّر الناسَ الدجَّالَ: «**إنه مكتوب بين عينيه: كافر، يقرؤه من كره عمله، أو يقرؤه كل مؤمن**»[٥].

فِتْنَتُه: أخبر النبي ﷺ أن فتنته أعظم فتنة، وكان النبي ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال[٦]، ومن فتنته أن الدجال «**يمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف**

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٢/ ١٠٢).
(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، لابن عثيمين (٣/ ١٩١).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٩١).
(٤) أخرجه مسلم (ح٢٩٤٤).
(٥) أخرجه مسلم (ح١٦٩).
(٦) أخرجه البخاري (ح٨٣٢).

فيقطعه جَزْلَتَيْنِ رميةَ الغرض(١)**، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه، يضحك**»(٢).

نهايته: أخبر النبي ﷺ أن نبي الله عيسى ابن مريم ينزل من السماء عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيطلب الدجال حتى يدركه بباب لُدٍّ(٣)، فيقتله(٤).

ومجمل اعتقاد أهل السنة في الدجال بينه القاضي عياض بقوله: «وهذه الأحاديث التي أدخلها مسلم في قصة الدجال حجة أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص معين، ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من قدرته ليتميز الخبيث من الطيب؛ من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب الذي معه، وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر، والأرض أن تنبت، فيكون ذلك كله بقدر الله ومشيئته، ثم يعجزه الله بعد ذلك كما قال: «**ولن يسلط على غيره**»، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ثانية، ولا على غيره، ويبطل أمره بعد، ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا. هذا مذهب أهل السنة، وجماعة أهل الفقه والحديث ونظارهم، خلافًا لمن أنكر أمره وأبطله من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة»(٥).

٤- نزول المسيح عيسى ابن مريم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما**

(١) **أي:** قطعتين، **ومعنى رمية الغرض:** أنه يجعل بين القطعتين مقدار رميته. انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٦٧).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٩٣٧).
(٣) **هي:** بلدة قريبة من بيت المقدس. انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٦٨).
(٤) أخرجه مسلم (ح٢٩٣٧).
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٤٧٤- ٤٧٥).

فيها»، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩][(١)].

٥- خروج يأجوج ومأجوج:

خروج يأجوج ومأجوج ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦]، قال القرطبي: «في الكلام حذف، أي: حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤].

وسموا يأجوج ومأجوج من الأجيج، أي: أجيج النار، والنار إذا اضطرمت اضطربت وصار لهبها يتداخل بعضه في بعض، وذلك لكثرتهم، فهم كثيرون جدًّا[(٣)].

٦- الدخان:

قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان: ١٠، ١١].

وقد ذهب ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أن هذه الآية قد وقعت ومضت، فقال: «خمس قد مضين: اللزام، والروم، والبطشة، والقمر[(٤)]، والدخان»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٢٢٢٢)، ومسلم (ح١٥٥).

(٢) تفسير القرطبي (١١/ ٣٤١). (٣) انظر: شرح السفارينية (ص٤٥٩).

(٤) **(اللزام)** هو القتل الذي أصاب المشركين يوم بدر، وهو قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]، و**(الروم)** يعني انتصار الروم على فارس، و**(القمر)** يعني انشقاق القمر، و**(البطشة)** ما وقع يوم بدر، و**(الدخان)**: سَنَةٌ أصابت قريشًا بدعوة النبي ﷺ. انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (٢٣/ ٧١).

(٥) أخرجه البخاري (ح٤٨٢٥)، ومسلم (ح٢٧٩٨).

وذهب ابن عباس إلى أن الدخان آية لم تأت بعد، وستكون قرب يوم القيامة، فعن عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: «ما نمت الليلة حتى أصبحت»، قلت: لم؟ قال: «قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت»[(١)].

وقال النووي: «يحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار»[(٢)].

٧، ٨، ٩- الخسوفات الثلاثة:

وقد وردت في حديث حذيفة السابق، وفيه: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات** -فذكر- **ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**»[(٣)].

وعن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب**»، فقالت: يا رسول الله يُخسف بالأرض وفيهم الصالحون؟، فقال لها رسول الله ﷺ: «**إذا كان أكثر أهلها الخبث**»[(٤)].

قال الحافظ ابن حجر: «وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرًا زائدًا على ما وُجِدَ، كأن يكون أعظم منه مكانًا أو قدرًا»[(٥)].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧)، وانظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص١٢٦٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ٧٤)، والكبير (٢٣/ ٢٧١)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حكيم بن نافع، وثقه ابن معين وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات». (مجمع الزوائد ٨/ ١١).

(٥) فتح الباري (١٣/ ٨٤).

١٠- النار التي تحشر الناس:

من أشراط الساعة الكبرى خروج نار عظيمة، وهي آخر أشراط الساعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة، جاء في حديث حذيفة: «**... وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**»[(١)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب...**» الحديث[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: «ويجمع بينهما بأن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات[(٣)]، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلًا، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها؛ فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا»[(٤)].

وهذا الحشر المذكور في الأحاديث يكون في الدنيا، وليس المراد به حشر الناس بعد البعث من القبور، قال النووي: «قال العلماء: وهذا الحشر في آخر الدنيا قبيل القيامة وقبيل النفخ في الصور»[(٥)].

۞ رابعًا: ضوابط تنزيل ما أخبر به النبي ﷺ من أشراط الساعة على الواقع:

لا يجوز تنزيل نصوص أشراط الساعة على الواقع إلا بضوابط[(٦)]:

الضابط الأول: التحقق من ثبوت النص وصحته؛ لأن الأحاديث الموضوعة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٣٢٩).

(٣) أي: الآيات الواردة في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) فتح الباري (١٣/ ٨٢).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٩٤-١٩٥)، وانظر: النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (١/ ٢٨٧-٢٨٨).

(٦) للتوسع انظر: معالم ومنارات في تنزيل نصوص الفتن والملاحم وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث، عبد الله العجيري.

والضعيفة في هذا الباب كثيرة، قال شيخنا ابن عثيمين: «وليعلم أن بعض العلماء- رحمهم الله- أفرط في سياق الأشراط، وذكر ما لا يصح عن النبي ﷺ، فذكر أحاديث لا زمام لها ولا صحة لها، ولهذا يجب التحرز من الكتب المؤلفة في هذا، مثل الإشاعة في أشراط الساعة، فإن فيه أشياء كثيرة غير صحيحة»(١).

الضابط الثاني: التحقق من فهم معناه على الوجه الصحيح بالرجوع إلى الراسخين في العلم من سلف الأمة وأئمتها، قال الإمام أحمد: «إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام»(٢).

الضابط الثالث: جمع الروايات الصحيحة في المسألة؛ لأن روايات الحديث يفسر بعضها بعضًا، فما أطلق في رواية قد يقيد في رواية أخرى، قال الحافظ ابن حجر: «الأحاديث إذا ثبتت وجب ضم بعضها إلى بعض؛ فإنها في حكم الحديث الواحد، فيحمل مطلقها على مقيدها ليحصل العمل بجميع ما في مضمونها»(٣).

الضابط الرابع: ما أشكل فهمه من أحاديث الفتن وأشراط الساعة يرد إلى عالمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه.

الضابط الخامس: أن يكون النص هو الأصل في الحكم على الواقع، ولا يجعل الواقع أصلًا والنص فرعًا، وهذا مزلة أقدام، ومضلة أفهام، فنحن مكلفون بتطبيق ما ورد في النصوص، لا بتطبيق الوقائع على النصوص.

الضابط السادس: الحذر من تأويلها قبل اكتمال صفاتها؛ فلا يجوز تنزيلها

(١) شرح السفارينية (ص٤٣٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٢١).

(٣) فتح الباري (١١/ ٢٧٠).

على الواقع إلا بعد اكتمال جميع صفاتها، وظهور كافة علاماتها؛ لأن تأويلها قبل ذلك هو من القول على الله بلا علم، وهو من أعظم المحرمات، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

فمثلًا لا يصح تأويل أحاديث المهدي -على القول بثبوتها- إلا بعد اكتمال علاماتها وصفاتها، فإذا ملأ الدنيا كلها عدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وتحققت فيه سائر الصفات الواردة الثابتة، يقال حينئذ: هذا هو المهدي، وذلك لأن التأويل الخاطئ لأحاديث الفتن والملاحم والأشراط كثير، وقد يترتب على بعض هذه التأويلات فتن وشرور عظيمة، ويكفي النظر في مسألة واحدة، وهي مسألة تأويل أحاديث المهدي والنظر في التاريخ الدامي لدعاوى المهدي والمهدوية، وما جرَّته من مصائب على الأمة، كان آخرها ما شاهدناه وعايشناه عام (١٤٠٠هـ)[(١)] لإدراك خطر وضرر تأويل أحاديث الفتن وأشراط الساعة قبل التحقق من اكتمال صفاتها.

الضابط السابع: أن كون الشيء من أشراط الساعة لا يعني أنه بدعة، أو مكروه، أو محرم، بل العلامات قد تكون خيرًا؛ كالمهدي ونزول عيسى ابن مريم، وقد تكون شرًّا؛ كالمسيح الدجال، ويأجوج ومأجوج.

۞ خامسًا: نهاية الدنيا وقيام الساعة:

لا يعلم أحد متى تنتهي الدنيا إلا الله، وقد ورد في بعض الأحاديث بيان بعض الأحداث التي تقع في نهاية الدنيا قبيل قيام الساعة.

---

(١) وقد كان هذا الرجل المدعي بأنه المهدي طالبًا في كلية أصول الدين، ولم يكمل دراسته، ولم يكن لديه شيء يذكر من العلم والفقه والنباهة، إلى درجة أنه كان أحد طلابي الذين درستهم في المستوى الأول إبان ما كنت معيدًا في كلية الشريعة -يوم كان قسم أصول الدين فصلًا من فصولها- فلم أكن أحس بوجوده العلمي، بل لم أعلم أنه من الطلاب حتى أخبرني بذلك فيما بعد زميله د/ علي حسن.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العواف** -يريد: عوافي السباع والطير- **وآخر من يحشر راعيان من مزينة، يريدان المدينة، ينعقان**(١) **بغنمهما فيجدانها وحشًا**(٢)، **حتى إذا بلغا ثنية الوداع، خرَّا على وجوههما**»(٣).

قال الخطابي: «وهذا الحديث يدل أن المدينة تُسكن إلى يوم القيامة وإن خلت فى بعض الأوقات، لقصد هذين الراعيين بغنمهما إلى المدينة، وهذا يكون قرب قيام الساعة، وأن آية قيام الساعة عند موت هذين الراعيين أحرى أن تصير غنمهما وحوشًا، فإن قيل: فما معنى قوله: (آخر من يحشر راعيان من مزينة) ولم يذكر حشرهما، وإنما ذكر أنهما يخران على وجوههما أمواتًا؟ **فالجواب:** أنه لا يُحشر أحدٌ إلا بعد الموت، فهما آخر من يموت بالمدينة، وآخر من يحشر بعد ذلك»(٤).

وفي آخر حديث حذيفة بن أسيد الغفاري الذي فيه تعداد أشراط الساعة أن النبي ﷺ قال: «... **وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**»(٥).

وجاء في آخر حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل في قصة الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج أن النبي ﷺ قال: «... **فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة**»(٦).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**» فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل

(١) **النعيق:** زجر الغنم. (فتح الباري لابن حجر ٤/ ٩١).
(٢) أي: خالية ليس بها أحد، أو سكنتها الوحوش. (فتح الباري لابن حجر ٤/ ٩١).
(٣) أخرجه البخاري (ح١٨٧٤).
(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٥٤٧).
(٥) سبق تخريجه.
(٦) أخرجه مسلم (ح٢٩٣٧).

الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣] أن ذلك تامًّا. قال: «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا طيبة، فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم**»(١).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله**»(٢).

فـ«إذا أذن بانقضاء هذه الدنيا؛ أمر إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ينفخ في الصور النفخة الأولى، فيصعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وتصبح الأرض صعيدًا جُرُزًا، والجبال كثيبًا مهيلًا، ويحدث كل ما أخبر الله به في كتابه، لا سيما في سورتي «التكوير» و«الانفطار»، وهذا هو آخر أيام الدنيا»(٣).

۞ سادسًا: ثمرات الإيمان بأشراط الساعة:

للإيمان بأشراط الساعة ثمرات عديدة، منها:

١- تحقيق الإيمان باليوم الآخر؛ لأن الإيمان بأشراط الساعة من الإيمان باليوم الآخر.

٢- أشراط الساعة تعد من دلائل النبوة؛ لأن كثيرًا منها وقع مطابقًا لخبر الصادق المصدوق ﷺ، فيحصل بالعلم بها زيادة الإيمان ورسوخ اليقين.

٣- إن في ذكر أشراط الساعة دافعًا للمسارعة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ، وللمزيد من العمل الصالح المثمر، وليس وسيلة للضعف أو التخاذل، أو الانتظار، أو التوقف عن العمل لانتظار الساعة، ففي حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا**

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (ح١٤٨).

(٣) شرح العقيدة الواسطية، للهراس (ص٢٠٥).

يقوم حتى يغرسها فَلْيغرسها»[(١)].

٤- تنبيه الناس من غفلتهم، وحثهم على التوبة استعدادًا ليوم الحساب، قال القرطبي: «قال العلماء -رحمهم الله تعالى-: والحكمة في تقديم الأشراط، ودلالة الناس عليها تنبيه الناس من رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، والله أعلم»[(٢)].

وقال الحليمي: «إن الحكمة في تقديم الأشراط دلالة الناس عليها، وإخبارهم بأن منها ما إذا وقع لم ينفع نفسًا إيمانها بتنبيه الناس عن رقداتهم... وليكونوا عند ظهور هذه الأشراط شيئًا فشيئًا كالمريض إذا صادف إشراف الموت عليه شيئًا فشيئًا، فإنه لا يألو في ذلك الوقت أن يتوب ويوصي ونظر لنفسه ولورثته وسائر أصحاب الوسائل عنده، ولذلك ينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة [أكثر][(٣)] نظرًا لأنفسهم وانقطاعًا عن الدنيا، واستبقاء بالساعة، واستعدادًا لها»[(٤)].

وقال الحافظ ابن حجر: «والحكمة في تقدم الأشراط إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد»[(٥)].

وقال شيخنا ابن عثيمين: «المقصود من هذه الأشراط هو إنذار الناس بقرب قيام الساعة، حتى يستعدوا لها ويعملوا لها»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ح٤٧٩)، وأحمد في المسند (ح١٢٩٨١) وإسناده صحيح.
(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص١٢١٧).
(٣) غير موجودة بالأصل، وهي زيادة يقتضيها السياق.
(٤) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٣٤٢-٣٤٣).
(٥) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٥٠).
(٦) شرح العقيدة السفارينية، لابن عثيمين (ص٤٦٦).



المبحث الخامس

أحكام الموت والبرزخ

۞ المسألة الأولى: الاحتضار؛ تعريفه، وأدلته، وأقسام الناس عند حصوله:

أولًا: تعريف الاحتضار:

قال الزبيدي: «احتُضِرَ المريض وحُضِرَ -بالضم، أي: مبنيًّا للمفعول- إذا حضره الموت، ونزل به»(١).

ثانيًا: أدلته وأقسام الناس عند حصوله:

ذكر الله جل وعلا أقسام الناس عند حصول الاحتضار، وأنهم ثلاثة أقسام، فقال سبحانه: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٧]، **فقسمهم ثلاثة أقسام:**

الأول: المقربون، وذكرهم الله في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩].

الثاني: أصحاب اليمين، وذكرهم الله في قوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ [الواقعة: ٩٠، ٩١].

---

(١) تاج العروس (١١/ ٥١)، وانظر: دستور العلماء (٣/ ١٦١)، الكليات (ص٥٧).

الثالث: المكذبون الضالون، وذكرهم الله في قوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾ [الواقعة: ٩٢ - ٩٤].

أما خروج الروح؛ فإن الناس في ذلك قسمان:

الأول: المؤمن، وتخرج روحه بيسر وسهولة ورفق.

الثاني: الكافر، وتخرج روحه بعسر وشدة وألم.

ويشهد لذلك حديث البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يُلْحَد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» مرتين، أو ثلاثًا، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان**»، قال: «**فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِي السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، وتخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض**»، قال: «**فيصعدون بها، فلا يمرون بها- يعني على ملأ من الملائكة- إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى**».

ثم قال: «**وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط**

من الله وغضب. قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، **فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا**. ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]»[(١)].

۞ المسألة الثانية: الموت، حقيقته، ومسمياته، وحكم الإيمان به:

أولًا: حقيقة الموت:

❊ الموت هو مفارقة الأرواح للأجساد.

❊ والموت صفة وجودية، يعني ليس بعدم محض؛ لأن الروح باقية لا تموت، كما سيأتي، ولهذا قال العلماء: الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صِرْف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار[(٢)].

قال الإمام ابن أبي العز: «الموت صفة وجودية، خلافًا للفلاسفة ومن وافقهم. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. والعدم لا يوصف بكونه مخلوقًا. وفي الحديث: «**أنه يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار**»، وهو وإن كان عرَضًا، فالله تعالى يقلبه عينًا»[(٣)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح١٨٥٣٤)، وأبو داود في السنن (ح٤٧٥٣) وإسناده صحيح.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣٧٧).

(٣) شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ٩٣).

ثانيًا: مسمياته:

قال أبو هلال العسكري في أسماء الموت: «هو الموت، والحِمام، والحَتْفُ، والمنيَّة»[(١)].

وذكر ابن سيده من أسماء الموت في لغة العرب أيضًا: الوفاة، والهِمْيَغ، والرَّمْد، والمنون، والحِمام، والسام، والنحب، وغيرها[(٢)].

ثالثًا: حكم الإيمان بالموت:

الإيمان بالموت داخل ضمن الإيمان باليوم الآخر، وهو من أركان الإيمان.

والإيمان بالموت يتناول أمورًا:

منها: الإيمان بتحتمه على من كان في الدنيا من أهل السماوات والأرض، من الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

ومنها: الإيمان بأن كل مخلوق له أجل محدود وأمد ممدود، ينتهي إليه لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٥].

ومنها: الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاء كل عمر إليه لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٌ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٍ تَمُوتُۚ﴾ الآية [لقمان: ٣٤].

ومنها: ذكر العبد الموت وجعله على باله، والتأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع

---

(١) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء (ص١٢٦).

(٢) انظر: المخصص لابن سيده (٢/ ٧١).

قبل دهوم البلاء وحلوله[١]؛ فإن «الغفلة عنه وعدم الإعداد له من أسباب سوء الخاتمة»[٢].

ومنها: أنه لا حرج في كراهية الموت والخوف منه، لحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه**» فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال: «**ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته، أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه**»[٣].

۞ المسألة الثالثة: البرزخ، تعريفه، والأدلة عليه:

البرزخ في اللغة: هو الحاجز بين الشيئين، والمراد بالحياة البرزخية: ما بين الموت إلى يوم القيامة[٤].

فإن ما بين الموت الذي تنتهي به الحياة الدنيا وبين البعث الذي تبدأ به الحياة الأخرى مدة جاءت تسميتها في القرآن بالبرزخ؛ لأنها حاجز بين الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]: «ما بين الموت إلى البعث»[٥].

وجاء تسميتها أيضًا في القرآن بزيارة القبور، كما في قوله سبحانه: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ [التكاثر: ١، ٢] - على المشهور عند المفسرين أن المراد به الموت- وسميت زيارة لقصر مدتها بالنسبة إلى ما

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٧٠٣) وما بعدها.
(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٣١٣).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٦٨٤).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٢).
(٥) تفسير الطبري (١٧/ ١١٠).

بعدها، وهي الحياة الأخرى الباقية(١).

والحياة البرزخية: هي محل عذاب القبر ونعيمه، والبرزخ أعم من القبر؛ لأنه قد يموت إنسان ويلقى على وجه الأرض، فتأكله السباع، فهو حين ذلك لا يكون في قبر، وإنما هو في برزخ، قال الإمام ابن أبي العز: «واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه -قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر- وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور»(٢).

۞ المسألة الرابعة: المراد بالروح، ومستقرها في البرزخ، والفرق بينها وبين النفس، وإبطال دعوى التناسخ وتحضير الأرواح:

أولًا: المراد بالروح:

هي ما به حياة الأبدان؛ لأنها إذا فارقت البدن ذهبت عنه الحياة، وما دامت في البدن فهو حي. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الروح المدبِّرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت»(٣)، و«لا اختصاص للروح بشيء من الجسد، بل هي سارية في الجسد كما تسري الحياة التي هي عرَض في جميع الجسد؛ فإن الحياة مشروطة بالروح، فإذا كانت الروح في الجسد كان فيه حياة، وإذا فارقته الروح فارقته الحياة»(٤).

أما ماهيتها فعلمها عند الله، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]. قال الحافظ ابن كثير: «وقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: من شأنه، ومما استأثر بعلمه دونكم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: وما أطلعكم من علمه إلا على

(١) شرح الطحاوية، للبراك (ص٣٠٠).
(٢) شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢/ ٥٨٠)، وانظر: الروح (ص٧٣).
(٣) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٩).
(٤) مجموع الفتاوى (٩/ ٣٠٢).

القليل، فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى. والمعنى: أن علمكم في علم الله قليل، وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح(١) مما استأثر به تعالى، ولم يطلعكم عليه، كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى»(٢).

وقال الإمام السيوطي: «قال [أي: جلال الدين المحلي] في سورة ص: (والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه) وكنت تبعته أولًا، فذكرت هذا الحد في سورة الحِجْرِ، ثم ضربت عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ الآية، فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه، فالإمساك عن تعريفها أولى»(٣).

ولذلك يجب الاقتصار على ما جاءت به النصوص من ماهية الروح، وقد دلت النصوص على أن «الروح عين موجودة قائمة بنفسها، ليست هي البدن ولا جزءًا من أجزائه، وليست مماثلة له، تخرج من البدن، وتصعد وتعرج، وتذهب وتجيء، وتنعَّم وتعذب، وتتكلم وتسأل وتجيب، ليست من جنس الأجسام المتحيزات المشهودة المعهودة، وهي موصوفة بما نطقت به النصوص حقيقة لا مجازًا، وهذا مذهب الصحابة والتابعين، وجمهور سلف الأمة وأئمة السنة»(٤).

ثانيًا: الروح مخلوقة:

أجمعت الرسل على أن الروح مخلوقة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم،

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قيل: إن الروح هنا ليس هو روح الآدمي، وإنما هو ملَك [كما] في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ [القدر: ٤]، وقيل: بل هو روح الآدمي، والقولان مشهوران» (مجموع الفتاوى ٤/ ٢٢٦-٢٢٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ١١٦) باختصار.

(٣) تفسير الجلالين (ص٣٨٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ١١٦)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٢٧)، (٩/ ٣٠٢)، (١٧/ ٣٤١)، درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٥٢).

وأجمع أهل السنة على ذلك، وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أئمة أهل السنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «روح الآدمي مخلوقة مبدَعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي، الإمام المشهور الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف، أو من أعلمهم، وكذلك أبو محمد بن قتيبة»(١).

وقال ابن القيم: «أجمعت الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- على أنها محدَثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبَّرة، هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل- صلوات الله وسلامه عليهم- كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث، وأن معاد الأبدان واقع، وأن الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم- وهم القرون الفضيلة- على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها مخلوقة، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم أنها قديمة غير مخلوقة»(٢).

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦]، وهي داخلة في هذا العموم، قال ابن القيم: «فهذا اللفظ عام لا تخصيص فيه بوجه ما»(٣).

ثالثًا: هل تموت الروح؟

قال الإمام ابن أبي العز: «اختلف الناس: هل تموت الروح أم لا؟

فقالت طائفة: تموت، لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦﴾ [الرحمن: ٢٦]، قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت.

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢١٦).

(٢) الروح، لابن القيم (ص١٤٤).

(٣) الروح (ص١٤٦).

وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان؛ قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها. والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب»[1].

رابعًا: اتصال الروح بالجسد:

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «**الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرة الأحكام:**

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه. وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا، فالنوم أخو الموت. فتأمَّل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة»[2].

خامسًا: مستقر الأرواح بعد الموت:

هذه مسألة عظيمة اختلف الناس فيها اختلافًا كثيرًا، كما يقول الإمام ابن

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٧٠-٥٧١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (٢/ ٥٧٨-٥٧٩).

القيم[١]، وهي إنما تتلقى من الوحي، وهو العاصم من الاختلاف، والقول الحق أن أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار، قال الإمام أحمد: «أرواح الكفار في النار، وأرواح المؤمنين في الجنة»[٢].

أما منازلهم في الجنة فهي متفاوتة وفق ما جاءت به النصوص:

١- **فمنها** أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- وقد كان دعاء النبي ﷺ عند موته: «**اللهم الرفيق الأعلى**»[٣]، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء.

٢- **ومنها:** أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح الشهداء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش**»[٤].

٣- أرواح المؤمنين طير تعلق في شجر الجنة، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة، حتى يبعثه الله عز وجل إلى جسده يوم القيامة**»[٥].

أقوال المخالفين في مستقر الأرواح:

قالت فرقة: مستقرها العدم المحض، وهذا قول من يقول: إن النفس عرَضٌ من أعراض البدن، كحياته وإدراكه! وقولهم مخالف للكتاب والسنة.

وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أبدان أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح!

---

(١) انظر: الروح (ص٩٠-٩١).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٢٤).
(٣) أخرجه البخاري (ح٦٣٤٨)، ومسلم (ح٢٤٤٤).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢١٨)، وحسنه محققوه.
(٥) أخرجه النسائي (ح٢٠٧٣)، وابن ماجه (ح٤٢٧١)، وصححه الألباني صحيح الجامع (ح٢٣٧٣).

وهذا قول التناسخية منكري المعاد، وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم[(١)].

سادسًا: الفرق بين الروح والنفس:

«اختلف الناس في ذلك، فمن قائل: إن مسمَّاهما واحد، وهم الجمهور، ومن قائل: إنهما متغايران»[(٢)]، والصحيح: أنه لا فرق بينهما، فالروح التي بها حياة البدن هي النفس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت»[(٣)]، «لكن يسمى نفسًا باعتبار تدبيره للبدن، ويسمى روحًا باعتبار لطفه؛ فإن لفظ (الروح) يقتضي اللطف»[(٤)].

قال جل وعلا: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فخاطبها بالرجوع إلى ربها وبالدخول في عباده ودخول جنته... والنفس هنا هي الروح التي تقبض، وإنما تتنوع صفاتها»[(٥)].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، «والمقبوض المتوفى هي الروح»[(٦)].

ويشير الإمام ابن أبي العز الحنفي إلى اتحاد مدلولهما، لكنه يضيف بأنها إذا كانت متصلة بالبدن فالغالب أنها تسمى نفسًا، وإذا لم تكن متصلة فالغالب أنها تسمى روحًا، فيقول: «**التحقيق:** أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما يسمى نفسًا إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها»[(٧)].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٨٤).
(٢) الروح (ص٢١٧).
(٣) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٩).
(٤) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٠).
(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٢٥).
(٦) المصدر السابق.
(٧) شرح الطحاوية (٢/ ٥٦٧).

وقال الإمام ابن القيم: «أما الروح التي تتوفى وتقبض، فهي روح واحدة، وهي النفس»[(١)].

سابعًا: إبطال دعوى التناسخ:

معنى التناسخ:

النسخ لغة: إزالة الشيء ونقله من مكان إلى آخر[(٢)].

والتناسخ في الاصطلاح: انتقال الأرواح من جسد إلى آخر، حيث يزعم أصحاب هذا الاعتقاد أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد (بالموت) إلى أجساد أخرى[(٣)].

نشأة عقيدة التناسخ:

اختلف أهل العلم في نشأتها:

١- **فقيل:** بأنها ظهرت في زمن فرعون موسى، يقول ابن الجوزي: «وقد لبَّس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ، وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في أبدان خيِّرة فاستراحت، وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق، وهذا المذهب ظهر في زمان فرعون موسى»[(٤)].

٢- **وقيل:** إن نشأتها ترجع إلى صابئة حران، يقول الشهرستاني: «إنما نشأ أصل التناسخ والحلول من هؤلاء القوم»[(٥)] يعني: الصابئة الحرنانية، ثم شاعت هذه العقيدة بين أصحاب الملل[(٦)].

٣- **وقيل:** إنها انبثقت من النِّحْلة الهندية، فيذكر البيروني تغلغل عقيدة

---

(١) الروح (ص٢١٩).
(٢) انظر: تاج العروس، للزبيدي (٧/ ٣٥٥).
(٣) انظر: الفصل لابن حزم (١/ ٧٧)، ويراجع تعريفات أخرى في: التعريفات، للجرجاني (ص٩٣)، دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، للأعظمي (ص٦٢٠).
(٤) تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص٧٣).
(٥) الملل والنحل (٢/ ١١٣).
(٦) انظر: الملل والنحل (٣/ ١٠٠).

التناسخ في النحلة الهندية، قائلا: «كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإسبات(١) علامة اليهودية، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحلْه لم يك منها، ولم يعد من جملتها»(٢).

وهذه الأقوال تبين أن دعوى التناسخ من الأوهام التي شاعت بين الفراعنة وعند صابئة حران، وتغلغلت في النحل والملل الهندية.

وقد انتقلت هذه العقيدة إلى بعض الغلاة من الفرق الباطنية المنتسبة إلى التشيع(٣)، وبعض غلاة المعتزلة(٤).

❐ إبطال دعوى التناسخ:

دعوى التناسخ دعوى باطلة، ويكفي في بيان بطلانها مناقضتها لعقيدة الإيمان باليوم الآخر الذي اتفقت عليه الرسالات، وجاء بتقريرها جميع الرسل والأنبياء، وإنما ذهب إليها من لم يؤمن بما جاء به الأنبياء من المعاد واليوم الآخر.

ومما يبطل هذه العقيدة من القرآن قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، **ووجه الاستشهاد بها على بطلان التناسخ:** أن الآية تثبت أن الموت محتوم، فلا حياة للنفس في جسد آخر، والجزاء يكون يوم القيامة لا في الدنيا، وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يس: ٣١].

---

(١) **الإسبات:** الدخول في السبت. انظر: لسان العرب (٣/ ١٩١٢)، ويوم السبت يوم مقدس عند اليهود يحرمون العمل فيه، جاء في سفر الخروج [إصحاح ٣١: ١٥]: «ستة أيام يُصنع عمل، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب، كل من صنع عملًا في يوم السبت يقتل قتلًا».

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، لأبي الريحان البيروني (ص٣٩).

(٣) **وهي:** البيانية والجناحية والخطابية والراوندية. انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٥٤).

(٤) **وهم:** أحمد بن حائط، وتلميذه أحمد بن أيوب بن مانوس، وأحمد القحطي، وأبو مسلم الحراني، وعبد الكريم بن أبي العوجاء. انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٥٥-٢٥٦).

وبالجملة؛ فكل آيات اليوم الآخر تبطل دعوى التناسخ، ووجه الاستشهاد: أن آيات اليوم الآخر تدل على أن الجزاء يكون يوم القيامة، لا في جسد آخر في الدنيا، كما يقوله هؤلاء المبطلون.

قال الإمام ابن حزم: «يكفي من الرد عليهم إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم، وعلى أن من قال بقولهم فإنه على غير الإسلام، وأن النبي ﷺ أتى بغير هذا، وبما المسلمون مجمعون عليه من أن الجزاء لا يقع إلا بعد فراق الأجساد للأرواح بالنكر أو التنعم قبل يوم القيامة، ثم بالجنة أو النار في موقف الحشر فقط إذا جمعت أجسادها مع أرواحها التي كانت فيها»[(١)].

ثامنًا: إبطال دعوى تحضير الأرواح:

❐ تعريفها:

هي: «محاولات ترمي إلى الاتصال بأرواح الموتى عن طريق بعض الوسطاء»[(٢)].

جاء في مجلتهم (عالم الروح): «يمكن الاتصال بأرواح الموتى والإفادة منهم بعلم العالم، وطب الطبيب، وأدب الأديب...» إلخ[(٣)].

هذا ما يقولونه في تعريفها إلا أن حقيقتها وواقعها هي -كما جاء في جواب اللجنة الدائمة- أنها «استخدام الجني واستحضاره بأدعية وتعويذات يقوم بها مستحضره»[(٤)].

❐ وجوه بطلانها:

١- من الأدلة على بطلان تحضير الأرواح وعودتها إلى الحياة مرة أخرى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٧٧).
(٢) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (ص٤٠).
(٣) الموسوعة الشاملة لمذهب الروحية، علي العبيدي (ص١٥).
(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٦٤٤).

فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، فأخبر تعالى أن الروح إذا قبضها الله بالموت لا يملك أحد إرجاعها.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: ٤٢]، فأخبر جل وعلا أنه يمسك الروح المقبوضة المحكوم عليها بالموت فلا يستطيع أحد أن يرسلها.

٢- لم يثبت أن أرواح الأموات تتصل بالأحياء في غير المنام، يقول الشيخ ابن باز: «الذي عليه السلف من أن أرواح الأموات باقية إلى ما شاء الله وتسمع، ولكن لم يثبت أنها تتصل بالأحياء في غير المنام، كما أنه لا صحة لما يدعيه المشعوذون من قدرتهم على تحضير أرواح من يشاؤون من الأموات ويكلمونها ويسألونها، فهذه ادعاءات باطلة ليس لها ما يؤيدها من النقل ولا من العقل»(١). أما اتصال الأموات بالأحياء في المنام فهذا يشهد له الواقع، ويذكر الإمام ابن القيم جملة من الشواهد على ذلك، فيقول: «قد دل التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره، ويخبره الميت بما لا يعلم الحي فيصادف خبره كما أخبر في الماضي والمستقبل، وربما أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه، وربما أخبره بدَين عليه، وذكر له شواهده وأدلته، وأبلغ من هذا أنه يخبر بما عمله من عمل لم يطلع عليه أحد من العالمين، وأبلغ من هذا أنه يخبره أنك تأتينا إلى وقت كذا وكذا، فيكون كما أخبر، وربما أخبره عن أمور يقطع الحي أنه لم يكن يعرفها غيره»(٢).

٣- ومما يدل على بطلانها أنها خرافة كانت منتشرة عند المصريين القدماء

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٣١١).
(٢) الروح (ص٢١).

والآشوريين والهنود والرومان والإسرائيليين[١]، ثم ساهم في انتشارها ما يسمى بـ(الروحية الحديثة)، وهي التي «تدَّعي استحضار أرواح الموتى بأساليب علمية، وتهدف إلى التشكيك في الأديان والعقائد، وتبشر بدين جديد، وتلبس لكل حالة لباسها، ظهرت في بداية هذا القرن في أمريكا، ومن ورائها اليهود ثم انتشرت في العالَمَين العربي والإسلامي»[٢]، وقد انخدع بها كثير ممن فقدوا نور الوحي حتى قيل: إن عدد من ينتمي إلى هذه الجمعيات ويترددون عليها في أمريكا وحدها عشرة ملايين[٣]، وهذا يدل على قدر الخواء الروحي الذي يعيشه هؤلاء، وقدر حاجتهم إلى الإيمان الحق الذي تحيا به الأرواح وتطمئن به القلوب.

٤- أنكر علماء الإسلام دعوى تحضير الأرواح، وقالوا بأنها من أعمال الجن والشياطين، يقول الشيخ محمد الخضر حسين: «رأيي أن إحضار الأرواح إنما هو إحضار للجن»[٤]، ويقول الشيخ محمد عبده: «حضرت في أوربا مؤتمرًا يجمع أكابر هذا الفن، فحضرتْ أرواحُ كَثِيرِين، وبعضهم ممن أعرفه قبل وفاته، ورأيت ذلك مطابقًا لما علمته عن هؤلاء الناس، فسألتهم- وكلهم اتجهوا إلي ليسمعوا سؤالي- فقلت لهم: إن رأيي في هذا أنه عمل من أعمال الجن، وناقشتهم مناقشة جدية في هذا الموضوع إلى أن تحديتهم بإحضار روح المصطفى -عليه الصلاة والسلام- لأسأله عن الأحاديث الصحيحة الواردة عنه، ولأتبين فصاحته وبلاغته في منطقه إذا تكلم في ذلك الوقت، وكثير من المستشرقين الحاضرين يمكنهم الحكم على ذلك، وليقيني بأن النبي ﷺ محفوظ من أن يتمثل الشيطان بصورته ويؤدي ما يؤديه علمت أني سأفوز عليهم، فلم يلبثوا أن عجزوا جميعًا معتذرين بأن هذه روح عالية لا

(١) انظر: دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدي (٤/ ٣٦٦).
(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٨٣٦).
(٣) انظر: الموسوعة الشاملة لمذهب الروحية (١/ ٣٧٥).
(٤) المصدر السابق (١/ ٣٥٢).

يمكن إحضارها، ومن ذلك يتبين جليًّا أن هذا عمل من أعمال الجن»[١].

ويقول الشيخ ابن باز: «شاع بين كثير من الناس من الكتَّاب وغيرهم ما يسمى بعلم تحضير الأرواح، وزعموا أنهم يستحضرون أرواح الموتى بطريقة اخترعها المشتغلون بهذه الشعوذة، يسألونها عن أخبار الموتى؛ من نعيم وعذاب وغير ذلك من الشؤون التي يظن أن عند الموتى علمًا بها في حياتهم، ولقد تأملت هذا الموضوع كثيرًا فاتضح لي أنه علم باطل، وأنه شعوذة شيطانية يراد منها إفساد العقائد والأخلاق، والتلبيس على المسلمين، والتوصل إلى دعوى علم الغيب في أشياء كثيرة»[٢].

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة أن هذه الدعوى «نوع من الشعوذة والكهانة، وهو ممنوع شرعًا؛ لما فيه غالبًا من الشرك والكذب ودعوى علم الغيب ونحو ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦]، وقال: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٢٩﴾»[٣] [الأنعام: ١٢٩].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة أيضًا: «تحضير الأرواح عمل شيطاني، واستخدام للجن ينافي عقيدة التوحيد؛ لأنه لا يتم إلا بأعمال شركية، والذي يتكلم ويعطي المعلومات المذكورة في السؤال ليس هو الأرواح، وإنما هم الشياطين تتكلم بهذه الأشياء تضل بني آدم، أما الأرواح فلا يقدر أحد على إحضارها إلا الله سبحانه وتعالى، فيجب اعتقاد بطلان هذا العمل وإنكاره، وعدم حضوره وعدم تصديقه»[٤].

---

(١) المصدر السابق (١/ ٣٥٢-٣٥٣).
(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٣٠٩).
(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٦٤٤-٦٤٥).
(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٢٥٧).

قلت: وقد يكون منها ما لا حقيقة له أصلًا، وإنما هو من باب الخداع والدجل.

۞ المسألة الخامسة: فتنة القبر وسؤال منكر ونكير، وأدلة ذلك:

أولًا: تعريفها:

هي الاختبار الذي يحصل للميت في قبره، وذلك بأن يأتيه ملكان، فيقعدانه، ويسألانه عن ربه ودينه ونبيه، قال الحافظ ابن حجر: «فتنة القبر هي سؤال الملكين وعذاب القبر»[(١)].

ثانيًا: أدلة فتنة القبر:

فتنة القبر ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال البغوي: «قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ كلمة التوحيد، وهي قول: لا إله إلا الله ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يعني: قبل الموت، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعني في القبر. هذا قول أكثر أهل التفسير. وقيل: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: عند السؤال في القبر، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: عند البعث، والأول أصح»[(٢)]، ويؤيده حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم إذا سئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»[(٣)].

وأما السنة: فعن أسماء، قالت: أتيتُ عائشةَ وهي تصلي فقلت: ما شأن الناس؟ فأشارت إلى السماء، فإذا الناس قيام، فقالت: سبحان الله، قلت:

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٧٧).
(٢) تفسير البغوي (٤/ ٣٤٩).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٦٩٩).

آية؟ فأشارت برأسها: أي نعم، فقمت حتى تجلاني الغَشْيُ، فجعلت أصبُّ على رأسي الماء، فحمد اللهَ ﷻ النبيُّ ﷺ وأثنى عليه، ثم قال: «**ما من شيء لم أكن أُريتُه إلا رأيته في مقامي، حتى الجنة والنار، فأوحي إلي: أنكم تفتنون في قبوركم - مثل أو - قريب** - لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء - **من فتنة المسيح الدجال، يقال ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن** - لا أدري بأيهما قالت أسماء - **فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا واتبعنا، هو محمد ثلاثًا، فيقال: نم صالحًا قد علمنا إنْ كنتَ لموقنًا به. وأما المنافق أو المرتاب** - لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء - **فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر**»(٢).

وجاء في حديث البراء بن عازب الطويل أن النبي ﷺ قال: «**فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله...**» الحديث(٣).

وفي حديث آخر: «**أتاه ملكان أسودان أزرقان؛ يقال: لأحدهما المنكر، وللآخر: النكير**»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إن الميت إذا وضع في قبره؛ إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمنًا؛ كانت الصلاة عند رأسه، والصيام عن يمينه، والزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه؛ فيؤتَى من قِبَل رأسه، فتقول الصلاة: ما قِبَلي مدخل. ثم يؤتى**

(١) أخرجه البخاري (ح٨٦)، ومسلم (ح٩٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٣٦٨)، ومسلم (ح٢٧٠٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح١٨٥٣٤)، وأبو داود في السنن (ح٤٧٥٣) وإسناده صحيح.

(٤) سبق تخريجه.

من يمينه، فيقول الصيام: ما قِبَلي مدخل. ثم يؤتى من يساره، فتقول الزكاة: ما قِبَلي مدخل. ثم يؤتى من قِبَل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان: ما قِبَلي مدخل. فيقال له: اجلس. فيجلس، وقد مثلت له الشمس وقد أخذت في الغروب، فيقال له: هذا الرجل الذي كان فيكم؛ ما تقول فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلي. فيقولون: إنك ستصلي؛ أخبرنا عمَّا نسألك عنه...» الحديث(١).

وكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت؛ فإنه الآن يسأل**(٢)»(٣).

وأجمع السلف على إثبات فتنة القبر، قال الإمام الأشعري: «وقد أجمع على ذلك [أي: عذاب القبر] الصحابة والتابعون -رضي الله عنهم أجمعين»(٤).

وقال القرطبي: «الإيمان بعذاب القبر وفتنته: واجب، والتصديق به: لازم حسب ما أخبر به الصادق، وأن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره بردِّ الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه؛ ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به، ويفهم ما أتاه من ربه، وما أعد له في قبره من كرامة أو هوان، وبهذا نطقت الأخبار عن النبي المختار ﷺ وعلى آله آناء الليل وأطراف النهار، وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٣٥)، وابن حبان كما في موارد الظمآن (ح٧٨١)، وقال البوصيري في الزوائد (٢/ ٤٩١): «رجاله ثقات»، وحسنه الألباني (التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ٥/ ٩٥).

(٢) قال شيخنا عبد الرحمن البراك: «ويظهر لي أنه ليس لنا أن نقول: (**فإنه الآن يسأل**) وإنما نقول: استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت فقط، أما أن نحكم على الميت بأنه الآن يسأل، فهذا لا علم لنا به على الخصوص» (شرح الطحاوية، للبراك ص: ٢٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود (ح٣٢٢١)، والبزار في السنن (ح٤٤٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٠) وصححه، وقال النووي في الخلاصة (٢/ ١٠٢٨): «إسناده حسن».

(٤) الإبانة عن أصول الديانة (ص١٥).

الملة»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر وبنعيمه، فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيِّي، وأما المرتاب فيقول: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق، ثم بعد هذه الفتنة: إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى»[(٢)].

وفي فتنة القبر مسائل، منها:

الأولى: أن السؤال يحصل حين يوضع الميت في قبره، وفي هذا رد على بعض أهل البدع[(٣)] الذي يقولون: إن السؤال يقع بين النفختين[(٤)].

الثانية: هل السؤال للروح أم للبدن؟

قال بعض الناس: إن السؤال للروح، وقال بعضهم: السؤال للبدن، والأحاديث الصحيحة ترد القولين؛ لأن فيها النص على أن الروح تعاد إلى جسد الميت، لكن هذه الإعادة ليست كالحياة المعهودة في الدنيا، فلا يعلم كيفيتها إلا الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «عود الروح إلى بدن الميت في القبر ليس مثل عودها إليه في هذه الحياة الدنيا؛ وإن كان ذاك قد يكون أكمل من بعض الوجوه، كما أن النشأة الأخرى ليست مثل هذه النشأة؛ وإن كانت

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٣٦٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٥).
(٣) وهم بعض المعتزلة. انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٢).
(٤) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٢٧٣).

أكمل منها، بل كل موطن في هذه الدار وفي البرزخ والقيامة له حكم يخصه»[(١)].

الثالثة: كيف يسأل من أكلته السباع أو ذرته الرياح أو تقطعت أوصاله؟

فإن قال قائل: لو أن هذا الرجل تمزق أوصالًا، وأكلته السباع، وذرته الرياح؛ فكيف يكون عذابه، وكيف يكون سؤاله؟!

فالجواب: أن الله ﷻ على كل شيء قدير، وهذا أمر غيبي؛ فالله ﷻ قادر على أن يجمع هذه الأشياء في عالم الغيب، وإن كنا نشاهدها في الدنيا متمزقة متباعدة، لكن في عالم الغيب ربما يجمعها الله، فانظر إلى الملائكة تنزل لقبض روح الإنسان في المكان نفسه؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥﴾ [الواقعة: ٨٥]، ومع ذلك لا نبصرهم. وملك الموت يكلم الروح، ونحن لا نسمع.

وجبريل يتمثل أحيانًا للرسول -عليه الصلاة والسلام- ويكلمه بالوحي في نفس المكان، والناس لا ينظرون ولا يسمعون.

فعالم الغيب لا يمكن أبدًا أن يقاس بعالم الشهادة، وهذه من حكمة الله ﷻ؛ فنفسك التي في جوفك ما تدري كيف تتعلق ببدنك؟! كيف هي موزعة على البدن؟! وكيف تخرج منك عند النوم؟! هل تحس بها عند استيقاظك بأنها ترجع؟! ومن أين تدخل لجسمك؟!

فعالم الغيب ليس فيه إلا التسليم، ولا يمكن فيه القياس إطلاقًا؛ فالله ﷻ قادر على أن يجمع هذه المتفرقات من البدن المتمزق الذي ذرته الرياح، ثم يحصل عليه المساءلة والعذاب أو النعيم؛ لأن الله سبحانه على كل شيء قدير[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٤).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للعثيمين (٢/ ١٢٣-١٢٤).

۞ المسألة السادسة: ضغطة القبر؛ معناها، والأدلة عليها، والفرق بين ضغطة المؤمن وضغطة الكافر:

أولًا: معناها:

قال الفيومي: «ضغطه ضغطًا من باب نَفَع: زَحَمَه إلى حائط وعَصَرَه، ومنه: ضغطة القبر؛ لأنه يضيق على الميت، والضُّغطة -بالضم: الشدة»(١).

و«المراد بضغطة القبر: التقاء جانبيه على جسد الميت»(٢).

ثانيًا: أدلتها:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ قال: «**إن للقبر ضغطة، ولو كان أحدٌ ناجيًا منها نجا منها سعد بن معاذ**»(٣).

قال المناوي: «أفاد الخبر أن ضغطة القبر لا ينجو منها أحد صالح ولا غيره، لكن خص منه الأنبياء»(٤).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ قال عن سعد بن معاذ - حين توفي: «**هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضم ضمة، ثم فرج عنه**»(٥).

وعن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن صبيًّا دفن، فقال رسول الله ﷺ: «**لو أفلت أحدٌ من ضمة القبر؛ لأفلت هذا الصبي**»(٦).

---

(١) المصباح المنير (٢/ ٣٦٢).

(٢) حاشية السيوطي على سنن النسائي (٤/ ١٠١-١٠٢)، لوامع الأنوار، السفاريني (٢/ ١٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٠/ ٣٢٧)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح١٦٩٥).

(٤) فيض القدير (٥/ ٣٣٣).

(٥) أخرجه النسائي (ح٢٠٥٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٦٩٨٧).

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٢١)، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٣/ ٤٧)، وصححه الحافظ ابن حجر (المطالب العالية ١٨/ ٤٧٥)، والألباني (السلسلة الصحيحة ح٢١٦٤).

ثالثًا: وقتها:

لم يرد في تحديد ذلك دليل، ولكن قيل: إن ذلك قبل سؤال الملكين، قال الرملي: «ضغطة القبر قبل سؤال الملكين؛ لأنها تعم المؤمن وغيره، فقد قال ابن أبي مليكة: ما أجير من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها»[(١)]، ولكن المتعين في هذه المسألة وأمثالها من أمور الغيب التوقف حتى يرد دليل يعتمد عليه.

رابعًا: الفرق بين ضغطة المؤمن وضغطة الكافر:

الفرق بينهما من وجهين:

الوجه الأول: أن ضغطة المؤمن منقطعة، وضغطة الكافر مستمرة، فالمؤمن يضم في قبره ثم يفرج عنه ويفسح له في قبره، قال أبو القاسم السعدي: «لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح، غير أن الفرق بين المسلم والكافر فيها دوام الضغط للكافر، وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلى قبره ثم يعود إلى الإفساح له فيه»[(٢)].

وقال أبو المعين النسفي: «ضغطة القبر حق سواء كان مؤمنًا أو كافرًا أو مطيعًا أو فاسقًا، لكن إذا كان كافرًا فعذابه يدوم في القبر إلى يوم القيامة... ثم المؤمن على وجهين: إن كان مطيعًا لا يكون له عذاب القبر، ويكون له ضغطته فيجد هول ذلك وخوفه، لما أنه كان تنعم بنعمة الله تعالى ولم يشكر النعمة، وإن كان عاصيًا يكون له عذاب القبر وضغطة القبر، لكن ينقطع عنه عذاب القبر»[(٣)].

وقال الحكيم الترمذي: «سبب هذا الضغط أنه ما من أحد إلا وقد ألَمَّ بذنب ما فتدركه هذه الضغطة جزاءً لها، ثم تدركه الرحمة»[(٤)].

---

(١) فتاوى الرملي (٤/ ٣٨٤).

(٢) حاشية السيوطي على سنن النسائي (٤/ ١٠١). (٣) بحر الكلام (ص٢١٩-٢٢٠).

(٤) حاشية السيوطي على سنن النسائي (٤/ ١٠٢).

الوجه الثاني: أن ضمة القبر تكون للمؤمن الصالح ضمة رفق وحنان، وأما الكافر فضغطة شدة وعذاب، قال علي القاري: «ضغطة القبر لبعض المؤمنين بل لأكابر الموحدين -كسعد بن معاذ سيد الأنصار الذي حمل جنازته سبعون ألف ملك، واهتز لموته عرش الرحمن- فإنما هو ضمة للأرض كمعانقة الأم المشتاقة لولدها»[(١)]، وقال الشيخ ابن عثيمين: «ضمة القبر للمؤمن كضمة الأم الرحيمة لولدها، يعني: ليس هو ضمًّا يؤلم أو يؤذي»[(٢)].

وقيل: إن ضمة القبر للمؤمن فيها شدة، وتتفاوت شدتها بحسب حاله، وإليه يميل شيخ الإسلام ابن تيمية فيما يفهم من ظاهر كلامه؛ حيث ذكر أن من أسباب مغفرة الذنوب «ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة؛ فإن هذا مما يكفر به الخطايا»[(٣)].

والذي يؤيده ظاهر الأحاديث السابقة؛ هو أن ضغطة القبر للمؤمن فيها شدة؛ فإن التعبير بالنجاة والتفريج والإفلات لا يكون إلا فيما فيه شدة وألم، والله أعلم.

ويستثنى منها الأنبياء، قال الحكيم الترمذي: «وأما الأنبياء فلا يعلم أن لهم في القبور ضمة ولا سؤالًا لعصمتهم»[(٤)].

❋ ❋ ❋

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ١١٨١)، وانظر: حاشية السيوطي على سنن النسائي (٤/ ١٠٣).
(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٧/ ٤٧٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠١).
(٤) حاشية السيوطي على سنن النسائي (٤/ ١٠٣).

۞ المسألة السابعة: أدلة عذاب القبر ونعيمه، والرد على منكري عذاب القبر إجمالًا:

أولًا: أدلة عذاب القبر ونعيمه:

الأدلة من القرآن على إثبات عذاب القبر ونعيمه كثيرة، منها قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، قال الحافظ ابن كثير: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾»[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣]، قال الشوكاني: «أرادوا باليوم الوقت الذي يعذبون فيه الذي مبدؤه عذاب القبر»[٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١]، قال السعدي: «وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة؛ فإنه قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾؛ أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثَمَّ عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار»[٣].

وقوله جل وعلا: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١]، والمراد بقوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: عذاب الدنيا وعذاب القبر، قاله مجاهد، والحسن البصري، وابن جريج، وقتادة[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٦).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٦٠).
(٣) تفسير السعدي (ص٦٥٦).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٥).

وقوله سبحانه: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٥ - ٤٧]، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر، لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو المراد أعم من ذلك»(١).

«**وأما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر** فقد بلغت الأحاديث في ذلك مبلغ التواتر؛ إذ رواها أئمة السنة وحملة الحديث ونقاده عن الجم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ»(٢).

قال الإمام ابن أبي العز: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول؛ فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا»(٣).

ومن هذه الأحاديث ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة**»، فدعا بجريدة رطبة، فشقها نصفين، وقال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليقل: أعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا**

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٧٣).
(٢) معارج القبول (٢/ ٧٢١).
(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٥٧٨).
(٤) أخرجه البخاري (ح٢١٨)، ومسلم (ح٢٩٢).

والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم. قالت: فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها، قالت: فخرجت فدخل علي رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، عجوز من عجائز أهل المدينة دخلت علي، فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم. فقال: «**صدقت. إنهم يعذبون عذابًا يسمعه البهائم كلها**»، فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مغلت[٣] إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين؛ كالإسماعيلية والنصيرية وسائر القرامطة: من بني عبيد وغيرهم الذين بأرض مصر والشام وغيرهما؛ فإن أهل الخيل يقصدون قبورهم لذلك، كما يقصدون قبور اليهود والنصارى، والجهال تظن أنهم من ذرية فاطمة وأنهم من أولياء الله وإنما هو من هذا القبيل، فقد قيل: إن الخيل إذا سمعت عذاب القبر حصلت لها من الحرارة ما يذهب بالمغل»[٤].

وأما الإجماع فقد نقل الإمام الأشعري إجماع أهل السنة على أنهم «يقرون... بعذاب القبر»[٥]، وقال الإمام النووي: «اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة»[٦]، وقال الإمام عبد الغني المقدسي: «الإيمان بعذاب القبر حق واجب، وفرض لازم. رواه عن النبي ﷺ علي بن أبي طالب، وأبو أيوب، وزيد بن ثابت، وأنس بن

(١) أخرجه مسلم (ح٥٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٣٦٦)، ومسلم (ح٥٨٦).

(٣) **مغلت الدابة:** أكلت التراب مع البقل، فأخذها لذلك وجع في بطنها، انظر: تاج العروس (٣٠/ ٤١٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٧).

(٥) مقالات الإسلاميين (ص٢٩٣).

(٦) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢٠٠).

مالك، وأبو هريرة، وأبو بكرة، وأبو رافع، وعثمان بن أبي العاص، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وعائشة زوج النبي ﷺ، وأختها أسماء، وغيرهم رضي الله عنهم، وكذلك الإيمان بمساءلة منكر ونكير»[(١)].

وقال أبو حيان: «والأحاديث الصحيحة قد استفاضت بعذاب القبر، فوجب القول به واعتقاده»[(٢)].

ثانيًا: الرد على منكري عذاب القبر ونعيمه:

المنكرون لعذاب القبر هم الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة[(٣)]، قال الأشعري: «الخوارج لا يقولون بعذاب القبر، ولا ترى أن أحدًا يعذب في قبره»[(٤)]، وقال أيضًا: «اختلفوا في عذاب القبر، فمنهم من نفاه، وهم المعتزلة والخوارج، ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الإسلام»[(٥)]، لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هو قول البغداديين من المعتزلة دون البصرية»[(٦)]، وقال الملطي: «وأنكر جهم عذاب القبر ومنكرًا ونكيرًا»[(٧)].

قال العلامة ابن عثيمين: «وقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع، قالوا: فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، وهذا الزعم باطل»[(٨)].

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص١٧٢-١٧٥).
(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ٢١١).
(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢٠١).
(٤) مقالات الإسلاميين (ص١٢٧). (٥) مقالات الإسلاميين (ص٤٣٠).
(٦) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٤٨)، وراجع كلام المعتزلة في: شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٢)، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، للقاضي عبد الجبار (ص٢٠٢)، الفائق في أصول الدين، لابن الملاحمي (ص٥٤١).
(٧) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص١٢٤).
(٨) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص١٠٨).

والرد عليهم من وجوه، منها:

الأول: أن عذاب القبر ونعيمه ثابت بالقرآن والسنة المتواترة، فلا يجوز معارضة هذه النصوص بالأوهام.

الثاني: أن ما ثبت في الكتاب والسنة وجب تصديقه والإيمان به، سواء أدركته عقولنا وحواسنا أم لا؛ لأنه لا يعارَض الشرع بالعقل، لا سيما في الأمور التي لا مجال للعقل فيها.

الثالث: أن أحوال القبر من أمور الآخرة التي اقتضت حكمة الله أن يحجبها عن حواس الخلق وعقولهم امتحانًا لهم، ولا يجوز أن تقاس بأحوال الدنيا لتباين ما بين الدنيا والآخرة(١).

الرابع: الاعتبار بحال النائم، فقد يرى في نومه أنه في مكان ضيق موحش فيتأذى به، وقد يرى أنه في مكان واسع فسيح فيتنعم به، وغير ذلك مما يشعر به الإنسان في نومه، ومن حوله لا يشعر بما يجري له(٢).

۞ المسألة الثامنة: وقوع العذاب والنعيم على الروح والبدن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تُنعَّم النفس وتُعذَّب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة والكلام، وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث؛ قول من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين، ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين

---

(١) تعليقات على العقيدة الواسطية (٤/ ٢٩٤-٢٩٥) ضمن مجموع فتاوى ورسائل العثيمين.

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص١٠٨).

يقولون: لا يكون ذلك في البرزخ، وإنما يكون عند القيام من القبور، وقول من يقول: إن الروح بمفردها لا تُنعَّم ولا تُعذَّب، وإنما الروح هي الحياة، وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة، وأصحاب أبي الحسن الأشعري كالقاضي أبي بكر وغيرهم، وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وهذا قول باطل؛ خالفه الأستاذ أبو المعالي الجويني وغيره؛ بل قد ثبت في الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وأنها منعمة أو معذبة»[(١)]، وقال أيضًا: «مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأيضًا تتصل بالبدن أحيانًا فيحصل له معها النعيم أو العذاب، ولأهل السنة قول آخر أن النعيم أو العذاب يكون للبدن دون الروح، وعلماء الكلام لهم أقوال شاذة فلا عبرة بها»[(٢)].

ومن أدلة ذلك ما جاء في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل أن النبي ﷺ قال: «**ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه**»، زاد في حديث جرير، قال: «**ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل لصار ترابًا**» قال: «**فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابًا**» قال: «**ثم تعاد فيه الروح**»[(٣)]، «فقد صرح الحديث بإعادة الروح إلى الجسد، وباختلاف أضلاعه، وهذا بيِّنٌ في أن العذاب على الروح والبدن مجتمعَين»[(٤)].

قال الإمام ابن القيم: «إن الله سبحانه جعل الدُّور ثلاثًا: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكامًا تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعًا لها؛ ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٢- ٢٨٣)، وانظر: شرح حديث النزول (ص١٥٠).

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٦٤-٣٦٥).

(٣) أخرجه أبو داود (ح٤٧٥٣)، وصححه الألباني (تخريج مشكاة المصابيح ح١٣١).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٩)، وانظر: المصدر السابق (٤/ ٢٩٥).

وإن أضمرت النفوس خلافه، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعًا لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والْتَذَّت براحتها وكانت هى التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هى التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية والأبدان كالقبور لها، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها تجري أحكام البرزخ على الأرواح، فتسري إلى أبدانها نعيمًا أو عذابًا، كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيمًا أو عذابًا، فأحِطْ بهذا الموضع علمًا واعرفْه كما ينبغى، يُزِلْ عنك كل إشكال يورد عليك من داخل وخارج، وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجًا في الدنيا من حال النائم؛ فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجري على روحه أصلًا والبدن تبع له، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيرًا مشاهَدًا، فيرى النائم في نومه أنه ضرب، فيصبح وأثر الضرب في جسمه، ويرى أنه قد أكل أو شرب، فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فِيهِ، ويذهب عنه الجوع والظمأ، وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك»[(١)].

وقال العلامة ابن عثيمين: «المعروف عند أهل السنة والجماعة أنه في الأصل على الروح، والبدن تابع لها؛ كما أن العذاب في الدنيا على البدن، والروح متابعة له، وكما أن الأحكام الشرعية في الدنيا على الظاهر، وفي الآخرة بالعكس؛ ففي القبر يكون العذاب أو النعيم على الروح، لكن الجسم يتأثر بهذا تبعًا، وليس على سبيل الاستقلال، وربما يكون العذاب على البدن والروح تتبعه، لكن هذا لا يقع إلا نادرًا؛ إنما الأصل أن العذاب على الروح والبدن تبع، والنعيم للروح والبدن تبع»[(٢)].

---

(١) الروح (ص٦٣-٦٤).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (٢/ ١٢٠).

۞ المسألة التاسعة: أنواع عذاب القبر:

عذاب القبر باعتبار دوامه وانقطاعه «**نوعان:**

منه ما هو دائم[(١)]، كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، وكذلك في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: «**ثم يفتح له باب إلى النار، فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة**»[(٢)].

والنوع الثاني: أنه مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه»[(٣)].

وأما باعتبار اختلاف أصناف العذاب بحسب الذنب الذي اقترفه صاحبه في الدنيا، سواء كان للكفار أم للعصاة، فقد جاءت الأحاديث الصحيحة ببيان أنواع من العذاب في القبور، **فمن ذلك:**

١- **الضرب بمطرقة من حديد**، فعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**العبد إذا وضع في قبره، وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة**»، قال النبي ﷺ: «**فيراهما جميعًا، وأما الكافر - أو المنافق - فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين**»[(٤)].

---

(١) وهو عذاب الكافرين.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨/ ٢٩١) لكن بدون قوله: «**فينظر...**»، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٣/ ٣٥٥) بلفظ: «**فينظر إلى مقعده من النار بكرة وعشيًّا**»، قال الهيثمي: «رجاله ثقات» (مجمع الزوائد ٢/ ٣٢٨).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٥٨٢)، وانظر: الروح (ص٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (ح١٣٣٨).

٢- أن يفرش له قبره نارًا، ويلبس نارًا، ويفتح له باب إلى النار، ويضيَّق عليه قبره، ويضرب بمطرقة عظيمة لو ضرب بها جبل لصار ترابًا، ويبشر بالعذاب في الآخرة، ولذلك يتمنى ألا تقوم الساعة، ففي حديث البراء بن عازب: «**... وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السَّفُّود من الصُّوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ**: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]»[(١)].

٣- شقُّ جانبي الفم إلى القفا، ورضخ الرأس بالحجارة، والحرق في تنور من نار، والسباحة في نهر من دم مع الضرب بالحجارة، ففي حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: «**هل رأى أحد منكم من رؤيا**» قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: «**إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي انطلق، وإني انطلقت معهما...**»، ثم ذكر رؤيته ﷺ لرجال يعذبون بأنواع من العذاب، وفي آخر الحديث بين أسباب عذابهم، فقال النبي ﷺ: «**قالا لي: أما إنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة**

(١) سبق تخريجه.

المكتوبة، وأما الرجل الذي أتيت عليه، يشرشر شِدْقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر، فإنه آكل الربا...» الحديث(١).

۞ المسألة العاشرة: أسباب عذاب القبر:

أجمل الإمام ابن القيم أسباب عذاب القبر بقوله: «إنهم يعذبون على جهلهم بالله، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه... فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك، كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، فمستقل ومستكثر، ومصدق ومكذب»(٢).

ومن الأسباب المفصلة التي وردت في بعض الأحاديث ما يلي:

١، ٢- عدم الاستتار من البول والنميمة؛ ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»، ثم أخذ جريدة رطبة، فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة، قالوا: يا رسول الله، لِمَ فعلت هذا؟ قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»(٣). قال ابن القيم: «فهذا ترك الطهارة الواجبة، وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقًا، وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوةَ بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابًا، كما أن في ترك الاستبراء من البول؛ تنبيهًا على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو أشد عذابًا»(٤).

٣- الغلول؛ وهو الخيانة في الغنيمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر، فلم نغنم ذهبًا ولا فضة، إلا الأموال والثياب

---

(١) أخرجه البخاري (ح٧٠٤٧). (٢) الروح (ص٧٧).
(٣) أخرجه البخاري (ح٢١٨)، ومسلم (ح٢٩٢).
(٤) الروح (ص٧٧).

والمتاع، فأهدى رجل من بني الضبيب، يقال له: رفاعة بن زيد، لرسول الله ﷺ غلامًا، يقال له: مِدْعَم، فوجَّه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، حتى إذا كان بوادي القرى، بينما مِدْعَم يحطُّ رَحْلًا لرسول الله ﷺ إذا سهم عائر فقتله، فقال الناس: هنيئًا له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «**كلا، والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم، لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارًا**» فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك - أو شراكين - إلى النبي ﷺ، فقال: «**شراك من نار -أو: شراكان من نار-**»(١).

٤- **من مات وعليه دَين**؛ عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ صاح مرتين، فقال: «**من هاهنا من بني فلان؟**» فلم يجبه أحد، ثم قام في الثالثة رجل فقال: أنا، قال: «**ما منعك أن تجيبني في المرتين الأُولَيَين، إني لم أنوه باسمك إلا لخير، إن صاحبكم محبوس بباب الجنة بدَين عليه**» قال: فقضى عنه حتى ما يطالبه أحد بشيء(٢).

٥- **البكاء بنياحة على الميت إذا أوصى بذلك**؛ عن أبي بردة، عن أبيه، قال: لما أصيب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جعل صهيب يقول: وا أخاه، فقال عمر: أما علمت أن النبي ﷺ قال: «**إن الميت ليعذب ببكاء الحي**»(٣)، قال الإمام النووي: «واختلف العلماء في هذه الأحاديث، فتأولها الجمهور على من وصى بأن يُبكى عليه ويُناح بعد موته، فنفذت وصيته، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم؛ لأنه بسببه ومنسوب إليه، قالوا: فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]»(٤).

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في المسند (ح٩٣٣)، والطبراني في الكبير (٧/ ١٧٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٣٤١٥).
(٣) أخرجه البخاري (ح١٢٩٠).
(٤) شرح النووي على مسلم (٦/ ٢٢٨).

٦- **الكبر والخيلاء**؛ عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يجر إزاره من الخُيلاء، خُسِف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**»(١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حُلَّةٍ، تعجبه نفسه، مُرَجِّلٌ جُمَّتَه، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»(٢).

٧- **الكذب**، لحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه الطويل: «**...أما الذي رأيته يشق شدقه، فكذاب يحدث بالكذبة، فتُحْمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة**»(٣).

٨- **أكل الربا**، لحديث سمرة بن جندب السابق، وفيه: «**فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان**»، ثم قال: «**... والذي رأيته في النهر آكلو الربا**»(٤).

٩- **الزنا**: جاء في حديث سمرة السابق: «**فانطلقنا إلى ثَقب مثل التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نارًا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة**»، ثم قال: «**... والذي رأيته في الثقب فهم الزناة**»(٥).

وغير ذلك من الأسباب، وقد فصل القول فيها الإمام ابن القيم في كتاب (الروح)، فليرجع إليه من أراد الوقوف على الأسباب على سبيل التفصيل(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٤٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (ح٥٧٨٩)، ومسلم (ح٢٠٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (ح١٣٨٦).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) انظر: الروح (ص٧٧-٧٩).

۞ المسألة الحادية عشرة: المستثنون من فتنة القبر وعذابه، مع الأدلة:

الفتنة ليست عامة لكل أحد، بل يسلم منها من شاء الله:

منهم: الأنبياء؛ لأن الأنبياء يسأل عنهم فيقال: من نبيك؟ فهم مسؤول عنهم وليسوا مسؤولين، ولأن النبي أفضل من الشهيد، والشهيد لا يسأل.

ومنهم: الصديقون؛ لأن الصدِّيقين أعلى مرتبة من الشهداء، ولأن الصدِّيق على وصفه مصدَّق، وصادق، وذهب بعض العلماء إلى أنهم يسألون لعموم الأدلة.

ومنهم: الشهيد، لما ورد أن رجلًا قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال ﷺ: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»(١).

ومنهم: المرابطون لا يفتنون؛ لحديث سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتَّان**»(٢).

ومنهم: الصغار والمجانين؛ قال بعض العلماء: إنهم يفتنون، لدخولهم في العموم، ولأنهم إذا سقط التكليف عنهم في حال الحياة، فإن حال الممات تخالف حال الحياة.

وقال بعض العلماء: إن المجانين والصغار لا يسألون؛ لأنهم غير مكلفين، وإذا كانوا غير مكلفين، فإنه لا حساب عليهم؛ إذ لا حساب إلا على من كان مكلفًا يعاقب على المعاصي، وهؤلاء لا يعاقبون، وليس لهم إلا الثواب، إن عملوا عملًا صالحًا يثابون عليه(٣).

---

(١) أخرجه النسائي (ح٢٠٥٣) وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (ح١٩١٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٥٧)، شرح العقيدة الواسطية، للعثيمين (٢/ ١١٢).

۞ المسألة الثانية عشرة: عرض المقعد على الميت، معناه، وأدلته:

أولًا: معناه:

معناه: «أن الميت يعرض عليه في قبره بالغداة والعشي مقعده من الجنة إن كان من أهلها، أو مقعده من النار إن كان من أهلها، ويقال له: هذا مقعدك، وفي هذا تنعيم لمن هو من أهل الجنة، وتعذيب لمن هو من أهل النار بمعاينة ما أعد له، وانتظاره ذلك إلى اليوم الموعود»(١).

ثانيًا: أدلته:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»(٢).

قال الإمام ابن عبد البر: «معنى **(مقعده)** عندي -والله أعلم- مستقره وما يسير إليه من جنة أو نار... ويحتمل أن تكون الهاء في قوله: **(حتى يبعثك الله إليه)** راجعة على الله تعالى ذكره، أي: إلى الله، فإلى الله المصير وإليه ترجع الأمور، والأول أظهر عندي، والله أعلم»(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «وهذا العرض يقع على الروح حقيقة وعلى ما يتصل به من البدن الاتصال الذي يمكن به إدراك التنعيم أو التعذيب»(٤).

۞ المسألة الثالثة عشرة: أسباب النجاة من عذاب القبر:

من الأعمال التي ورد في الكتاب والسنة أنها سبب للنجاة من عذاب القبر ما يلي:

١- **الاستقامة على طاعة الله،** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٣٧٩)، ومسلم (ح٢٨٦٦).

(٣) الاستذكار (٣/ ٨٦).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٦٦).

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

٢- **التقوى**، قال سبحانه: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل: ٥٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

٣- **الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال**، قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٠، ١١].

٤- **المرابطة في سبيل الله**، لحديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتَّان**»(١)، وعن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر**»(٢).

٥- **الشهادة في سبيل الله**، فعن المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه**»(٣).

٦- **الموت بمرض في البطن**، فعن عبد الله بن يسار قال: كنت جالسًا مع

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (ح١٦٦٣)، وابن ماجه (ح٢٧٩٩)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٥١٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي (ح١٦٦٣) وصححه، وابن ماجه (ح٢٧٩٩)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٣٢١٣).

سليمان بن صُرَدٍ، وخالد بن عُرْفُطَة وهما يريدان أن يتبعا جنازة مبطون، فقال: أحدهما لصاحبه، ألم يقل رسول الله ﷺ: «**من يقتله بطنه، فلن يعذب في قبره؟**» فقال: بلى[(١)].

٧- **الاستعاذة بالله من عذاب القبر**، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[(٢)].

٨- **الموت يوم الجمعة أو ليلتها**، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر**»[(٣)].

٩- **قراءة «سورة الملك» والعمل بمقتضاها**، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة تبارك الذي بيده الملك**»[(٤)].

١٠- **الأعمال الصالحة**: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمنًا، كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه، فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه،**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٢٤٢)، والنسائي في السنن (ح٢١٩٠)، وصححه الألباني (أحكام الجنائز ص٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (ح٥٨٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١١/ ١٤٧)، والترمذي (ح١٠٧٤)، وقال: «ليس إسناده بمتصل»، لكن حسنه الألباني (صحيح الجامع ح٥٧٧٣).

(٤) أخرجه الترمذي (ح٢٨٩١)، وابن ماجه (ح٣٧٨٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٠٩١).

فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخل، فيقال له: اجلس فيجلس، وقد مثلت له الشمس وقد أدنيت للغروب، فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه، وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلي، فيقولون: إنك ستفعل، أخبرني عمَّا نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه، وماذا تشهد عليه؟ قال: فيقول: محمد أشهد أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، وينور له فيه، ويعاد الجسد لما بدأ منه، فتجعل نسمته في النسم الطيب؛ وهي طير يعلق في شجر الجنة، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ إلى آخر الآية [إبراهيم: ٢٧]»[1].

المسألة الرابعة عشرة: حكم تلاوة القرآن على القبور، وحكم أخذ الأجرة أو الرزق على ذلك:

قال الإمام ابن أبي العز: «اختلف العلماء في قراءة القرآن عند القبور، على ثلاثة أقوال: هل تكره، أم لا بأس بها وقت الدفن، وتكره بعده؟

فمن قال بكراهتها، كأبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية قالوا: لأنه محدث، لم ترد به السنة، والقراءة تشبه الصلاة، والصلاة عند القبور منهي عنها، فكذلك القراءة.

ومن قال: لا بأس بها -كمحمد بن الحسن وأحمد في رواية- استدلوا بما نقل عن ابن عمر رضي الله عنه أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح «سورة

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٨٠)، وحسنه الألباني (التعليقات الحسان ٥/ ٩٥).

البقرة» وخواتمها، ونقل أيضًا عن بعض المهاجرين قراءة «سورة البقرة».

ومن قال: لا بأس بها وقت الدفن فقط، وهو رواية عن أحمد أخذ بما نقل عن ابن عمر وبعض المهاجرين.

وأما بعد ذلك، كالذين يتناوبون القبر للقراءة عنده فهذا مكروه، فإنه لم تأت به السنة، ولم ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلًا، وهذا القول لعله أقوى من غيره؛ لما فيه من التوفيق بين الدليلين»[١].

والصحيح أن قصد المقابر لتلاوة القرآن عندها بدعة، وأخذ الأجرة على ذلك لا يجوز؛ **لما يلي:**

١- أنه لم يرد في الشرع المطهر ما يدل على ذلك، والعبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما شرعه الله ورسوله.

٢- أن المقابر ليست محلًّا للعبادة، فلا يجوز قصدها للقراءة عندها.

٣- أنه لم يثبت عن النبي ﷺ أنه قرأ على قبور أصحابه الذين ماتوا في حياته، وكذلك الخلفاء الراشدون الذين أمرنا بالاقتداء بهم لم يفعلوا ذلك.

قال الإمام ابن باز: «القراءة على الأموات بدعة، وأخذ الأجرة على ذلك لا يجوز؛ لأنه لم يرد في الشرع المطهر ما يدل على ذلك، والعبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما شرعه الله؛ لقول النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[٢] متفق على صحته»[٣].

۞ المسألة الخامسة عشرة: زيارة القبور المشروعة والممنوعة:

أولًا: معنى الزيارة:

الزيارة لغة: القصد، قال الفيومي: «زاره يزوره زيارة وزَوْرًا: قصده... والمَزَار يكون مصدرًا وموضع الزيارة، والزيارة في العرف: قصد المزور

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٧٥-٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٦٩٧)، ومسلم (ح١٧١٨).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٤٦).

إكرامًا له واستئناسًا به»[(١)].

ومعنى زيارة القبور شرعًا: قصد القبور للسلام على أهلها والدعاء لهم وتذكر الآخرة واتباع السنة، كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها؛ فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة**»[(٢)].

ثم صار هذا اللفظ في عرف كثير من المتأخرين يتناول الزيارة الشرعية (بالمعنى المذكور) كما يتناول الزيارة البدعية الشركية وهو الغالب عند المتأخرين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «صار لفظ (زيارة القبور) في عرف كثير من المتأخرين يتناول الزيارة البدعية والزيارة الشرعية، وأكثرهم لا يستعملونها إلا بالمعنى البدعي لا الشرعي»[(٣)]، وقال أيضًا: «هذا اللفظ قد صار كثير من الناس يريد به الزيارة البدعية، وهي قصد الميت لسؤاله ودعائه والرغبة إليه في قضاء الحوائج ونحو ذلك مما يفعله كثير من الناس، فهم يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا، وهذا ليس بمشروع باتفاق الأئمة»[(٤)].

ثانيًا: أقسامها:

الزيارة ثلاثة أنواع:

الأول: الزيارة الشرعية، وهي زيارة القبور على الوجه المشروع، **وذلك يكون بزيارتها لأحد مقاصد أربعة أو لجميعها:**

(١) **السلام على أهلها**، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[(٥)]، قال شيخ

---

(١) المصباح المنير (١/ ٢٦٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٧/ ٣٤١)، والترمذي (ح١٠٥٤)، وابن ماجه (ح١٥٧١)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٤٧٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١١٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٥٨).

(٥) أخرجه مسلم (ح٢٤٩).

الإسلام ابن تيمية: «الزيارة الشرعية التي سنها رسول الله ﷺ لأمته تتضمن السلام على الميت والدعاء له»[(١)].

(٢) الدعاء لهم «بما كان الرسول ﷺ يدعو به من السلام وسؤال الرحمة، وأما أن يسأل الأموات ويتوسل بهم فإن هذا محرم ومن الشرك؛ ولا فرق في هذا بين قبر النبي ﷺ وقبر غيره»[(٢)]. فعن عائشة، أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غدًا، مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[(٣)]، وهذا من «الإحسان إلى الميت... فإذا زاره وأهدى إليه هدية من دعائه، أو صدقة، أو أهدى قربة، ازداد بذلك سروره وفرحه، كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي له، ولهذا شرع النبي ﷺ للزائرين أن يدعوا لأهل القبور بالمغفرة والرحمة، وسؤال العافية فقط، ولم يشرع أن يدعوهم، ولا يدعوا بهم، ولا يصلى عندهم»[(٤)].

(٣) تذكر الآخرة والاتعاظ، لقوله ﷺ: «**إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تذكِّر الآخرة**»[(٥)]، فينتفع «الزائر بتذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ، فإن هؤلاء القوم الذين هم الآن في بطن الأرض كانوا بالأمس على ظهرها، وسيجري لهذا الزائر ما جرى لهم، فيعتبر ويغتنم الأوقات والفرص، ويعمل لهذا اليوم الذي سيكون في هذا المثوى الذي كان عليه هؤلاء»[(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٦٤-١٦٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٤٣).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٢٤٣)، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٩٣).

(٣) أخرجه مسلم (ح٩٧٤).

(٤) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢١٨).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٣٨/ ١١٣)، والترمذي (ح١٠٥٤)، وقال: «حسن صحيح».

(٦) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٢٤٣)، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٩٣).

(٤) **اتباع السنة**، لقوله ﷺ: «**فزوروها**»، وهذا من «إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ، فيحسن إلى نفسه وإلى المزور»[(١)].

الثاني: الزيارة البدعية، وهي زيارتها «للدعاء عندها، والصلاة عندها، والقراءة عندها، وهذا بدعة غير مشروع»[(٢)]، و«هي من أسباب الشرك بالله تعالى، ودعاء خلقه، وإحداث دينٍ لم يأذن به الله»[(٣)].

الثالث: الزيارة الشركية: وهي «أن يزوروها للذبح للميت والتقرب إليه بذلك، أو لدعاء الميت من دون الله، أو لطلب المدد منه، أو الغوث، أو النصر، فهذا شرك أكبر»[(٤)].

قال الإمام ابن القيم: «وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عباد الأصنام... قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]، فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض، وهو الله وحده... وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم، وهى التى أبطلها الله سبحانه فى كتابه، بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾ [الأنعام: ٥١]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ﴾ [السجدة: ٤]، فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه، بل

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢١٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٤٥)، وانظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٧/ ١٦٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٤٣).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٤٥).

إذا أراد الله سبحانه رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه... وهذا الذى ذكره هؤلاء المشركون فى زيارة القبور هو الشفاعة التى ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله تعالى... وهو الذى بعث الله رسله، وأنزل كتبه بإبطاله... والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله، وإبطال مذهبهم»[(١)].

۞ المسألة السادسة عشرة: انتفاع الأموات بسعي الأحياء، وأقوال العلماء في ذلك مع الاستدلال والمناقشة والترجيح.

أولًا: اتفق أهل السنة على أن الأموات ينتفعون بسعي الأحياء بأمرين:

أحدهما: ما تسبب إليه الميت من أعمال صالحة في حياته، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[(٢)]، «فأخبر أنه إنما ينتفع بما كان تسبب فيه في الحياة، وما لم يكن تسبب فيه في الحياة فهو منقطع عنه»[(٣)].

الثاني: انتفاع الميت بغير ما تسبب به في حياته مما ورد النص عليه، قال الإمام ابن قدامة: «أما الدعاء، والاستغفار، والصدقة، وأداء الواجبات، فلا أعلم فيه خلافًا إذا كانت الواجبات مما يدخله النيابة»[(٤)].

أما الدعاء والاستغفار فيدل عليه دعاء اللاحقين للسابقين من المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، «فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء»[(٥)]. كما دل عليه أيضًا «إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة، والأدعية التي وردت بها السنة في

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢١٨-٢٢٠).
(٢) أخرجه مسلم (ح١٦٣١).
(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٦٦٤-٦٦٥).
(٤) المغني لابن قدامة (٣/ ٥١٩).
(٥) شرح الطحاوية (٢/ ٦٦٥).

صلاة الجنازة مستفيضة، وكذا الدعاء له بعد الدفن»[١]، ومن ذلك حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له بالتثبيت، فإنه الآن يسأل**»[٢]، وحديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غدًا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[٣]، ودل عليه أيضًا ما في كتاب الله تعالى من الأمر بالدعاء للوالدين في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤]، واستغفار الملائكة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الشورى: ٥]، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: ٧] وهو «قطعي في حصول الانتفاع بعمل الغير»[٤].

❊ وأما وصول ثواب الصدقة، فيدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: إن أمي افْتُلِتَتْ نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»[٥]، وحديث جابر بن عبد الله، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ الأضحى بالمصلى، فلما قضى خطبته نزل من منبره وأتي بكبش فذبحه رسول الله ﷺ بيده، وقال: «**باسم الله، والله أكبر، هذا عني، وعمَّن لم يضحِّ من أمتي**»[٦]، قال الحنفية: «أي: جعل ثوابه لأمته، وهذا تعليم منه -عليه الصلاة والسلام- أن الإنسان ينفعه عمل غيره، والاقتداء به هو

(١) المصدر السابق.
(٢) أخرجه أبو داود (ح٣٢٢١)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٩٤٥).
(٣) أخرجه مسلم (ح٩٧٤).
(٤) فتح القدير، لابن الهمام (٣/ ١٤٤).
(٥) أخرجه البخاري (ح١٣٨٨)، ومسلم (ح١٠٠٤).
(٦) أخرجه أبو داود (ح٢٨١٠)، والترمذي (ح١٥٢١)، وصححه الألباني (إرواء الغليل ح١١٣٨).

الاستمساك بالعروة الوثقى»[(١)].

❋ وأما قضاء الدين عن الميت، فيدل عليه حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، إذ أتي بجنازة، فقالوا: صلِّ عليها، فقال: «**هل عليه دَين؟**»، قالوا: لا، قال: «**فهل ترك شيئًا؟**»، قالوا: لا، فصلى عليه، ثم أتي بجنازة أخرى، فقالوا: يا رسول الله، صلِّ عليها، قال: «**هل عليه دَين؟**» قيل: نعم، قال: «**فهل ترك شيئًا؟**»، قالوا: ثلاثة دنانير، فصلى عليها، ثم أتي بالثالثة، فقالوا: صلِّ عليها، قال: «**هل ترك شيئًا؟**»، قالوا: لا، قال: «**فهل عليه دين؟**»، قالوا: ثلاثة دنانير، قال: «**صلوا على صاحبكم**»، قال أبو قتادة: صلِّ عليه يا رسول الله وعليَّ دينه، فصلى عليه[(٢)]، «وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يُسقطه من ذمَّة الميت، ولو كان من أجنبي، ومن غير تركته»[(٣)].

❋ وأما وصول ثواب الحج، فيدل عليه حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن امرأة من جهينة، جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «**نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء**»[(٤)].

المسألة الثانية: اختلف العلماء فيما عدا هذين الأمرين على قولين:

القول الأول: أن أي قربة فعلها الحي وأهداها للميت نفعه ذلك، وهذا يشمل الدعاء والاستغفار والواجب الذي تدخله النيابة وصدقة التطوع والعتق وحج التطوع، فإذا فعلها المسلم وجعل ثوابها للميت المسلم نفعه ذلك إجماعًا، وكذا يصل إليه ثواب القراءة والصلاة والصيام[(٥)]، وهو مذهب الحنفية[(٦)]،

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٢/ ٨٤).
(٢) أخرجه البخاري (ح٢٢٨٩).
(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٦٦٨).
(٤) أخرجه البخاري (ح١٨٥٢)، ومسلم (ح١١٤٩).
(٥) انظر: الإنصاف للمرداوي (٢/ ٥٦٠).
(٦) انظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للزيلعي (٢/ ٨٣).

والحنابلة[(١)].

واستدلوا بما سبق من الأدلة وغيرها، قال الإمام ابن أبي العز: «وكل ذلك جارٍ على قواعد الشرع، وهو محض القياس؛ فإن الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك، كما لم يمنع من هبة ماله في حياته، وإبرائه له منه بعد وفاته»[(٢)].

وقال ابن قدامة بعدما ساق الأدلة على ذلك: «هذه أحاديث صحاح، وفيها دلالة على انتفاع الميت بسائر القرب؛ لأن الصوم والحج والدعاء والاستغفار عبادات بدنية، وقد أوصل الله نفعها إلى الميت، فكذلك ما سواها»[(٣)].

«ولأن الحديث صح عن النبي ﷺ: «**إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**»[(٤)]، والله أكرم من أن يوصل عقوبة المعصية إليه، ويحجب عنه المثوبة، ولأن الموصل لثواب ما سلموه، قادرٌ على إيصال ثواب ما منعوه، والآية[(٥)] مخصوصة بما سلموه[(٦)]، وما اختلفنا فيه في معناه، فنقيسه عليه»[(٧)].

وقال ابن أبي العز الحنفي في الجواب عن استدلالهم بالآية: «والجواب عمّا استدلوا به من قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩] **قد أجاب العلماء بأجوبة، أصحها جوابان:**

أحدهما: أن الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء، وأولد الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير وتودد إلى الناس، فترحموا عليه، ودعوا له، وأهدوا له ثواب الطاعات، فكان ذلك أثر سعيه، بل دخول المسلم

(١) انظر: الفروع، لابن مفلح (٣/ ٤٢٣)، كشاف القناع، للبهوتي (٤/ ٢٣٦).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٦٨).
(٣) المغني لابن قدامة (٣/ ٥٢١).
(٤) أخرجه البخاري (ح١٣٠٤)، ومسلم (ح٩٢٧).
(٥) يعني قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩].
(٦) أي: بما سلموا من المتفق عليه.
(٧) المغني (٣/ ٥٢٢).

مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه، في حياته وبعد مماته، ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم. **يوضحه:** أن الله تعالى جعل الإيمان سببًا لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به فقد سعى في السبب الذي يوصل إليه ذلك.

الثاني -وهو أقوى منه: أن القرآن لم ينفِ انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين من الفرق ما لا يخفى، فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه، وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ المراد به -والله أعلم: أن الإنسان لا يستحق من سعي غيره شيئًا، كما لا يحمل من وزر غيره شيئًا، وليس المراد أنه لا يصل إليه ثواب سعي غيره؛ لكثرة النصوص الواردة في وصول ثواب سعي الغير إلى غيره وانتفاعه به إذا قصده به»[(٢)].

القول الثاني: عدم جواز إهداء ثواب الأعمال إلى الميت إلا بما ورد به الشرع، وإليه ذهب المالكية[(٣)] والشافعية[(٤)].

واستدلوا بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾، قالوا: «وهذا عموم،

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٦٩-٦٧٠).
(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٧/ ٢٥٦)، وانظر: أحكام الجنائز، الألباني (ص١٦٨) وما بعدها.
(٣) انظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٢/ ٥٤٣)، الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي (٢/ ١٠).
(٤) انظر: كتاب الأم، للشافعي (٥/ ٢٥٨)، المهذب في فقه الإمام الشافعي، للشيرازي (٢/ ٣٦٥).

إلا فيما خصه الدليل»[١].

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٢].

الترجيح: الراجح الاقتصار على ما ورد؛ لأن العبادات توقيفية، ولأن الأصل في أفعال العباد أن ثوابها لفاعلها، ولا يخص من هذا العموم إلا ما دل عليه الدليل من الدعاء والصدقة ونحوهما، وأما ما سوى ذلك من العبادات فيبقى على الأصل، ويختص بفاعله ولا يتعداه، وذلك كالإسلام والصلاة وقراءة القرآن؛ لأن التعبد لله جل وعلا مبناه على التوقيف، **ويدل على ذلك ما يلي:**

١- عموم قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩].

٢- عن ابن عباس، قال: «لا يصلي أحدٌ عن أحد، ولا يصوم أحدٌ عن أحد، ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مدًّا من حنطة»[٣].

٣- القياس الصحيح، فكما أنه في الحياة لا يفعله أحد عن أحد، ولا ينوب فيه عن فاعله غيره، فكذلك بعد الممات يختص ثوابه بفاعله ولا يتعداه إلى غيره[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأمر الذي كان معروفًا بين المسلمين في القرون المفضلة أنهم كانوا يعبدون الله بأنواع العبادات المشروعة فرضها ونفلها من الصلاة والصيام والقراءة والذكر وغير ذلك، وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات كما أمر الله بذلك لأحيائهم وأمواتهم في صلاتهم على

---

(١) البيان في مذهب الإمام الشافعي، ليحيى بن أبي الخير العمراني (٨/ ٣١٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (ح١٦٣١).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (ح٢٩٣٠)، وصحَّح إسناده الحافظ ابن حجر (التلخيص الحبير ٢/ ٣٩٩).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٦٥).

الجنازة وعند زيارة القبور وغير ذلك... فلم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعًا، وصاموا وحجوا، أو قرؤوا القرآن يهدون ثواب ذلك لموتاهم المسلمين ولا لخصوصهم، بل كان عادتهم كما تقدم، فلا ينبغي للناس أن يعدلوا عن طريق السلف فإنه أفضل وأكمل، والله أعلم»[١].

وقالت اللجنة الدائمة: «لم يثبت عن النبي ﷺ فيما نعلم أنه قرأ القرآن ووهب ثوابه للأموات من أقربائه أو من غيرهم، ولو كان ثوابه يصل إليهم لحرص عليه، وبينه لأمته لينفعوا به موتاهم، فإنه -عليه الصلاة والسلام- بالمؤمنين رؤوف رحيم، وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده وسائر أصحابه على هديه في ذلك رضي الله عنهم، ولا نعلم أن أحدًا منهم أهدى ثواب القرآن لغيره، والخير كل الخير في اتباع هديه ﷺ وهدي خلفائه الراشدين وسائر الصحابة رضي الله عنهم، والشر في اتباع البدع ومحدثات الأمور... وعلى هذا لا تجوز قراءة القرآن للميت، ولا يصل إليه ثواب هذه القراءة بل ذلك بدعة. أما أنواع القربات الأخرى فما دل دليل صحيح على وصول ثوابه إلى الميت وجب قبوله، كالصدقة عنه والدعاء له والحج عنه، وما لم يثبت فيه دليل فهو غير مشروع حتى يقوم عليه الدليل، وعلى هذا لا تجوز قراءة القرآن للميت ولا يصل إليه ثواب هذه القراءة في أصح قولي العلماء، بل ذلك بدعة»[٢].

وقال العلامة ابن باز: «أما قراءة القرآن فقد اختلف العلماء في وصول ثوابها إلى الميت على قولين لأهل العلم، والأرجح أنها لا تصل لعدم الدليل؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعلها لأمواته من المسلمين؛ كبناته اللاتي متن في حياته عليه الصلاة والسلام، ولم يفعلها الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم- فيما علمنا، فالأولى للمؤمن أن يترك ذلك، ولا يقرأ للموتى ولا للأحياء ولا يصلي لهم، وهكذا التطوع بالصوم عنهم؛ لأن ذلك كله لا دليل عليه، والأصل في

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٢٢-٣٢٣).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٩/ ٤٣)

العبادات التوقيف إلا ما ثبت عن الله سبحانه أو عن رسوله ﷺ شرعيته، أما الصدقة فتنفع الحي والميت بإجماع المسلمين، وهكذا الدعاء ينفع الحي والميت بإجماع المسلمين»[١].



(١) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٤٨).



المبحث السادس

النفخ في الصور

۞ أولًا: تعريف الصور، والمراد بالنفخ فيه:

تعريف الصور:

الصور: قرن يُنفَخ فيه نفختان -على الصحيح؛ النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء، وإطلاق هذا الاسم على القرن معروف في لغة العرب[(١)].

قال ابن فورك: «الصور: قرن ينفخ فيه فيخرج من جوفه صوت عظيم»[(٢)].

المراد بالنفخ في الصور:

قال الحافظ ابن كثير: «اختلف المفسرون في قوله: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ [الأنعام: ٧٣] فقال بعضهم: المراد بالصور هاهنا جمع (صورة) أي: يوم ينفخ فيها فتحيا... والصحيح: أن المراد بالصور: القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام»[(٣)].

وهو يقع عند نهاية الحياة الدنيا وبدء الحياة الآخرة، حيث يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخ في الصور، فلا يبقى أحد من الخلق إلَّا مات إلَّا من استثناه الله.

---

(١) انظر: فتح القدير (٤/ ٤٢٩).

(٢) تفسير ابن فورك (٢/ ١٩٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨١)، وانظر: فتح الباري (١١/ ٣٦٧).

۞ ثانيًا: الأدلة على النفخ في الصور:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالنفخ في الصور، كما ورد في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال جل وعلا: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣﴾ [الحاقة: ١٣].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ فقال: «**قرن ينفخ فيه**»(١).

۞ ثالثًا: الملك الموكل بالنفخ في الصور:

اشتهر أن الملك الموكل بالنفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام، ونقل بعضهم الإجماع عليه، ووقع التصريح به في بعض الأحاديث، وكلها لا تخلو من ضعف(٢).

قال القرطبي: «قال علماؤنا: والأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن طرف صاحب الصور مذ وُكِّل به مستعد ينظر نحو العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان**»(٤).

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه أبو داود (ح٤٧٤٢)، والترمذي (ح٢٤٣٠)، والحاكم في المستدرك (ح٣٦٣١) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٦٨-٣٦٩).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٤٨٨).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٣) وصححه، وقال الذهبي: «صحيح على شرط مسلم»، وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١١/ ٣٦٨).

۞ رابعًا: عدد النفخات، وما يترتب على كل منها:

اختلف في عدد النفخات على قولين:

القول الأول: أن النفخ في الصور نفختان:

الأولى: نفخة الصعق (الإفناء)، وفيها فناء كل شيء إلا من شاء الله.

والثانية: نفخة البعث والنشور (الإنشاء).

ويدل على ذلك آية الزمر، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات: ٦، ٧]. قال ابن عباس: الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية[١]، وهو اختيار القرطبي[٢]، وابن حجر[٣].

القول الثاني: أنها ثلاث نفخات:

الأولى: نفخة الفزع ودليلها آية النمل، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧].

والثانية: نفخة الصعق (الموت).

والثالثة: نفخة البعث كما تدل عليهما آية الزمر كما مر، وممن ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[٤]، وابن كثير[٥]، والسفاريني[٦].

والصحيح أنهما نفختان فقط، كما تدل على ذلك آية الزمر وآيتا «سورة النازعات»، وكما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**بين النفختين أربعون**» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا، قال: أبيت، قال: أربعون

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٥).
(٢) انظر: التذكرة (ص٤٩١).
(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٦٩).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٠)، (١٦/ ٣٥).
(٥) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢٧٩).
(٦) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٦١-١٦٢).

سنة، قال: أبيت، قال: أربعون شهرًا، قال: «**أبيت ويبلى كل شيء من الإنسان، إلا عجب ذنبه، فيه يركب الخلق**»[(١)].

فهما نفختان:

إحداهما: يموت فيها جميع الناس إلا من استثنى الله.

والثانية: يحيا فيها الناس ويبعثون.

خامسًا: حقيقة الصعق، والمستثنون منه:

حقيقة الصعق:

الصعق هو: موت الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله بعد النفخة الأولى.

قال الإمام الطبري: «وقوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] يقول: مات، وذلك في النفخة الأولى»[(٢)].

وقال الحافظ ابن كثير: «نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله كما هو مصرح به مفسرًا في حديث الصور المشهور[(٣)]، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولًا، وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء»[(٤)].

(١) أخرجه البخاري (ح٤٨١٤)، ومسلم (ح٢٩٥٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٤).

(٣) يعني حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لما خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه، شاخص بصره إلى العرش، ينتظر متى يأمره...**» الحديث. أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٨٣)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٣/ ٨٢١)، والبيهقي في البعث والنشور (ح٦٠٩)، وضعفه ابن كثير. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ١١٦).

المستثنون من الصعق:

اختلف العلماء في المراد بالمستثنى في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، على أقوال كثيرة، و«استضعف بعض أهل النظر أكثر هذه الأقوال»[(١)]، وقد ذكرها الحافظ ابن حجر، فقال: «وحاصل ما جاء في ذلك عشرة أقوال»[(٢)] ثم ذكرها، **ومن هذه الأقوال:**

١- أنهم الأنبياء، وإلى ذلك جنح البيهقي.

٢- **وقيل:** موسى وحده.

٣- **وقيل:** جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يموت الثلاثة، ثم يقول الله لملك الموت: مُتْ؛ فيموت.

٤- **وقيل:** الملائكة كلهم.

٥- **وقيل:** الولدان الذين في الجنة والحور العين[(٣)].

والراجح: تفويض من استثناه الله من الصعق إلى علمه جل وعلا؛ لأنه لم يرد نص صحيح صريح في تعيين من استثناه الله تعالى من نفخة الصعق، فالأولى تفويض ذلك إلى الله تعالى، فنبهم ما أبهمه الله، ونقول: الله أعلم، قال قتادة: «قد استثنى الله، والله أعلم إلى ما صارت ثنيته»[(٤)]. قال القاسمي: «وهذا هو الوجه؛ إذ لا يصار إلى بيان المبهمات إلا بقاطع»[(٥)].

ويدل عليه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، فأفاق قبلي أو كان ممن**

(١) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٧١).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٧٠).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٧٠-٣٧١).

(٤) جامع البيان (٢٠/ ٢٥٨).

(٥) محاسن التأويل (٨/ ٢٩٦).

استثنى الله»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «النبي ﷺ قد توقف في موسى، وهل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟ فإذا كان النبي ﷺ لم يُخبَر بكل من استثنى الله، لم يمكنا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يخبر به، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر»[(٢)].



(١) أخرجه البخاري (ح٢٤١١)، ومسلم (ح٢٣٧٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦١).



المبحث السابع

البعث

۞ أولًا: تعريف البعث، وصفته، ومفهوم الإيمان به:

تعريف البعث:

قال الإمام ابن قتيبة: «معنى البعث: الإحياء بعد الموت، والإيقاظ من النوم»(١)، وقال ابن كثير: «البعث: هو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة»(٢).

والبعث والنشور بمعنى واحد(٣).

صفته:

جاء بيان صفة البعث والنشور في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**» قال: أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت(٤)، قال: «**ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا**

(١) المسائل والأجوبة، لابن قتيبة (ص٣١٧). (٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩٥).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٣)، وانظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٥٨).
(٤) **معناه:** أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يومًا أو سنةً أو شهرًا، بل الذي أجزم به أنها أربعون. انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٩١).

عظمًا واحدًا وهو عَجْبُ الذَّنَب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[١].

وجاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**... ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتًا ورفع لِيتًا**»[٢]، قال: «**وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله**»، قال: «**فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل الله** -أو قال: **ينزل الله**- **مطرًا كأنه الطل** -أو **الظل**[٣]- **فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هُم قيام ينظرون**»[٤].

فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية أحيا الله الناس جميعًا ليجازيهم بأعمالهم خيرها وشرها، ثم يحشرون بين يدي الله جل وعلا حفاة غير منتعلين، عراة غير مكتسين، غُرْلًا غير مختونين، بُهْمًا ليس معهم شيء، ويكون على هذه الصفة الأنبياء والرسل، والرجال والنساء، والمسلمون والكفار، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، كما أن الإنسان يخرج من بطن أمه على هذه الصفة فإنه يخرج من بطن الأرض على هذه الصفة.

و«القول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل ترابًا، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظامًا ولحمًا، ثم أنشأه خلقا سويًّا، كذلك الإعادة؛ يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «**كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم، ومنه يركب**»[٥]... وبين لوازم الإعادة

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٩٣٥)، ومسلم (ح٢٩٥٥).

(٢) **اللِّيت:** صفحة العنق وهي جانبه، ومعنى أصغى: أمال. انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٧٦).

(٣) «قال العلماء: الأصح: الطل -بالمهملة- وهو الموافق للحديث الآخر أنه: «**كمني الرجال**» (شرح النووي على مسلم ١٨/ ٧٧).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٩٤٠).

(٥) سبق تخريجه.

ولوازم البداءة فرق؛ فعجب الذنب هو الذي يبقى، وأما سائره فيستحيل، فيعاد من المادة التي استحال إليها»[(١)].

والأجسام التي تعود ليست على هيئة أجسام الناس في الدنيا، بل ينشئها الله نشأة أخرى تناسب الحياة الآخرة ونعيمها وعذابها، كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [الواقعة: ٦٠ - ٦٢].

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة، حتى يقال: إن الصفات هي المغيرة، لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آدم، طوله ستون ذراعًا، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، وروي: أن عرضه سبعة أذرع. وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات، وهذه النشأة فانية معرضة للآفات»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك الإعادة يعيده بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم ومنه يركب**»، وهو إذا أعاد الإنسان في النشأة الثانية لم تكن تلك النشأة مماثلة لهذه؛ فإن هذه كائنة فاسدة، وتلك كائنة لا فاسدة، بل باقية دائمة»[(٣)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «البعث إعادة، وليس تجديدًا، بل هو إعادة لما زال وتحول؛ فإن الجسد يتحول إلى تراب، والعظام تكون رميمًا؛ يجمع الله تعالى هذا المتفرق، حتى يتكون الجسد، فتعاد الأرواح إلى أجسادها»[(٤)].

مفهوم الإيمان بالبعث:

الإيمان بالبعث: هو اليقين الجازم بأن الله تعالى سوف يبعث الخلائق بعد

---

(١) شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢/ ٥٩٩) بتصرف.

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٥٩٩). (٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٤٩).

(٤) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/ ١٢٨).

موتهم عند قيام الساعة، فيعيدهم كما بدأهم أول مرة.

۞ ثانيًا: أكل الأرض للموتى، وما يستثنى منه:

تأكل الأرض أجساد جميع الموتى ويستثنى من ذلك الأنبياء؛ لحديث أوس ابن أبي أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[(١)].

كما أن الأرض تأكل جميع جسد بني آدم ويستثنى من ذلك عجب الذنب؛ لما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا وهو عَجْبُ الذَّنَب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[(٢)]. فدل هذا الحديث على أن جميع بني آدم تأكلهم الأرض ولا تبقي من أجسادهم إلا عجب الذنب[(٣)]، قال الإمام النووي: «قوله: **(عَجْبُ الذَّنَب)** هو بفتح العين وإسكان الجيم، أي: العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب، وهو رأس العصعص، ويقال له: (عجم) بالميم، وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه... وهذا مخصوص فيخص منه الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم؛ فإن الله حرم على الأرض أجسادهم كما صرح به في الحديث»[(٤)].

وقال الإمام ابن عبد البر: «ظاهر هذا الحديث وعمومه يوجب أن يكون بنو

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٦/ ٨٤)، وأبو داود (ح١٠٤٧)، وابن ماجه في سننه (ح١٠٨٥)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (ح٤٩٣٥)، ومسلم (ح٢٩٥٥).

(٣) أثبت مجموعة من العلماء في عدد من التجارب المختبرية استحالة إفناء عجب الذنب، كيميائيًّا بالإذابة في أقوى الأحماض، أو فيزيائيًّا بالحرق، أو بالسحق، أو بالتعريض للأشعة المختلفة، وهذا من دلائل النبوة وآياتها في الإخبار عن هذه الحقيقة العلمية الثابتة التي لم تكتشف إلا في العصر الحديث. انظر:

http//:www.alittihad.ae/details.php?id=65360&y=2014.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٩٢).

آدم كلهم في ذلك سواء، إلا أنه قد روي في أجساد الأنبياء والشهداء أن الأرض لا تأكلهم، وحسبك ما جاء في شهداء أحد وغيرهم. . . وإذا جاز ألا تأكل الأرض عجب الذنب جاز ألا تأكل الشهداء، وذلك كله حكم الله وحكمته»[(١)].

ومن ذلك ما ثبت عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لما حضر أحد دعاني أبي من الليل، فقال: ما أراني إلا مقتولًا في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعزَّ عليَّ منك، غير نفس رسول الله ﷺ، فإن عليَّ دينًا فاقض، واستوصِ بأخواتك خيرًا، فأصبحنا، فكان أول قتيل ودفن معه آخر في قبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته هُنَيَّة غير أذنه[(٢)].

ولذا قال ابن حجر: «وفيه كرامته بوقوع الأمر على ما ظن، وكرامته بكون الأرض لم تُبْلِ جسده مع لبثه فيها، والظاهر أن ذلك لمكان الشهادة»[(٣)].

وقال الإمام ابن أبي العز: «حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في السنن، وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مُدَدٍ من دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة، والله أعلم، وكأنه -والله أعلم- كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول»[(٤)].

وقد يلحق بمن لا تأكل الأرض أجسادهم الصديقون؛ لأنهم أفضل من الشهداء، قال الشيخ ابن عثيمين: «أما الشهداء والصديقون والصالحون فهؤلاء قد لا تأكل الأرض بعضهم كرامة لهم، وإلا فالأصل أنها تأكله ولا

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٨/ ١٧٣).
(٢) أخرجه البخاري (ح١٣٥١).
(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢١٧).
(٤) شرح الطحاوية (٢/ ٥٨٨).

يبقى إلا عجب الذنب»[١].

۞ ثالثًا: عود الأرواح إلى أجسادها عند البعث:

تعود الأرواح إلى أجسادها عند البعث عودة لا يقبل البدن معها موتًا ولا نومًا ولا فسادًا[٢]؛ لما ثبت عن أم هانئ، أنها سألت رسول الله ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تكون النسم طيرًا تعلق بالشجر، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**كل ابن آدم تأكله الأرض، إلا عجب الذنب منه ينبت، ويرسل الله ماء الحياة، فينبتون فيه نبات الخضر، حتى إذا أخرجت الأجساد، أرسل الله الأرواح، وكان كل روح أسرع إلى صاحبه من الطرف، ثم ينفخ في الصور:** ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾»[٤].

قال الإمام ابن القيم: «تنبت أجسادهم في القبور فإذا نفخ في الصور رجعت كل روح إلى جسدها فدخلت فيه فانشقت الأرض عنه فقام من قبره»[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاةً عراةً غرلًا، وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق»[٦].

(١) لقاء الباب المفتوح (١٠/ ٢٠٤) بترقيم الشاملة آليًّا.

(٢) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٥٧٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤٥/ ٣٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٤٣٨)، قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام» (مجمع الزوائد ٢/ ٣٢٩)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٦٧٩).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٦١٦)، وقال الشيخ الألباني: «إسناده جيد» (ظلال الجنة ح٨٩١).

(٥) الروح (ص١٨٥).

(٦) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٥).

۞ رابعًا: أول من يبعث، مع الأدلة:

أول من يبعث هو نبينا محمد ﷺ، ومن الأدلة على ذلك ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**»(١)، والشاهد قوله: (**أول من ينشق عنه القبر**) فدل على أن «أول من تنشق عنه الأرض نبينا محمد ﷺ، وهو أول من يفيق من الصعق»(٢).

۞ خامسًا: بعث العبد على ما مات عليه، ودليله:

يبعث كل إنسان على الحالة التي مات عليها من إيمان أو كفر، ومن طاعة أو معصية، ويدل على ذلك حديث جابر رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»(٣).

قال الإمام النووي: «قال العلماء: معناه: يبعث على الحالة التي مات عليها»(٤).

قال الإمام ابن الجوزي: «اعلم أن الإنسان قد يبقى زمانًا على الكفر ثم ينتقل إلى الإيمان، أو على المعاصي ثم ينتقل إلى الطاعة، وقد يكون على الإيمان والطاعة فينتقل إلى الكفر والمعاصي، فالأحوال تتغير وتتقلب في الدنيا، والعمل على الخواتيم، فإذا مات الإنسان على حالة فقد ختم له بها، فعليها يبعث»(٥).

وقال الإمام ابن القيم: «العبد يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه»(٦).

يعني أنه يبعث كل عبد على ما مات عليه من خير أو شر، وهذا يتضمن حث

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٢٧٨).
(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٤٥٨).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٨٧٨).
(٤) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢١٠).
(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ١١٢).
(٦) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٥).

المسلم على أن يموت على خير الأحوال؛ لأنه سيبعث على الحالة التي كان عليها، وعلى المسارعة إلى الخير؛ فإنه لا يدري أحد متى يموت.

ومما ورد من الشواهد على ذلك:

١- أن من مات وهو محرم يبعث ملبيًّا، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما رجل واقف بعرفة، إذ وقع عن راحلته، فوقصته -أو قال: فأوقصته- قال النبي ﷺ: «**اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبِّيًا**»(١).

٢- من مات شهيدًا يبعث يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يُكْلَمُ أحدٌ في سبيل الله – والله أعلم بمن يكلم في سبيله – إلا جاء يوم القيامة، واللون لون الدم، والريح ريح المسك**»(٢).

٣- من غلَّ من الغنيمة أو من غيرها يبعث بما غل، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، قال القرطبي: «أي: يأتِ به حاملًا له على ظهره ورقبته، معذبًا بحمله وثقله، ومرعوبًا بصوته، وموبخًا بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، ثم قال: «**لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نَفْسٌ لها صياح، فيقول: يا رسول الله،**

(١) أخرجه البخاري (ح١٢٦٥)، ومسلم (ح١٢٠٦).
(٢) أخرجه البخاري (ح٢٨٠٣).
(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٢٥٦).

أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تَخْفِق، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك»(١).

٤- آكل الربا يبعث يوم القيامة كالذي يتخبطه الشيطان من المس، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، قال الحافظ ابن كثير: «أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له»(٢).

٥- الغادر يرفع له لواء يوم القيامة يبين غدرته، ويفضحه على رؤوس الأشهاد، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان**»(٣).

۞ سادسًا: المنكرون للبعث والنشور، والرد عليهم إجمالًا:

١- المنكرون للبعث بالكلية:

وهم «طوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح؛ ولا الأجساد، وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك بيانًا في غاية التمام والكمال»(٤).

٢- المنكرون لبعث الأجساد:

وهم «طوائف من الكفار وغيرهم؛ من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم،

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٨٣١).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٧٠٨).
(٣) أخرجه مسلم (ح١٧٣٥).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٣١٤).

فيقرون بحشر الأرواح فقط، وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط»[(١)].

٣- المؤولون لنصوص المعاد بالرجعة:

أول من قال بالرجعة[(٢)] السبئية، ثم ورثت هذه العقيدة طائفة الإثني عشرية، فأولت نصوص المعاد بالرجعة، ومن شواهد ذلك أن شيخ المفسرين عندهم زعم أن من أعظم الأدلة على الرجعة قوله سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنبياء: ٩٥]، حيث يقول ما نصه: «هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة؛ لأن أحدًا من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم يرجعون يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك»[(٣)].

وقد جعلوا ذلك قاعدة كلية، فكل آية في القرآن ذكر فيها يوم القيامة، فالمراد بها حسب زعمهم الرجعة، فقالوا: «كل ما عبر به بيوم القيامة في ظاهر التنزيل فتأويله بالرجعة»[(٤)].

ومن بدعهم أيضًا: قولهم بأن أمر الآخرة للإمام. جاء في أهم كتاب معتمد لديهم وهو (الكافي): «الآخرة للإمام، يضعها حيث يشاء، ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله»[(٥)].

وأول ما يسأل عنه في القبر بزعمهم هو حب الاثني عشر. قالوا: «أول ما يسأل عنه العبد حبنا أهل البيت»[(٦)].

---

(١) انظر: المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٢) معنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت. انظر: القاموس المحيط (٣/ ٢٨)، مجمع البحرين (٤/ ٣٣٤).

وعرفها الشيعة الإثنا عشرية بأنها: رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت، في صورهم التي كانوا عليها. انظر: أوائل المقالات، للمفيد (ص٥١، ٥٩).

(٣) تفسير القمي (٢/ ٧٦).

(٤) مرآة الأنوار، لأبي الحسن الشريف (ص٣٠٣). (٥) أصول الكافي (١/ ٤٠٩).

(٦) بحار الأنوار (٢٧/ ٧٩)، عيون أخبار الرضا (ص٢٢٢).

وجعلوا أمور الحساب، والصراط والميزان، والجنة والنار بيد الأئمة، قال أبو عبد الله: «إلينا الصراط، وإلينا الميزان، وإلينا حساب شيعتنا»[(١)].

وجعلوا من أصول الأئمَّة الإيمان بأنَّ حساب جميع الخلق يوم القيامة إلى أئمَّتهم[(٢)]، وجاءت عندهم روايات كثيرة تقول: «لا يجوز الصّراط أحد إلا ومعه ولاية من علي»[(٣)]، أو «جواز فيه ولاية علي»[(٤)]، أو «كتاب فيه براءة بولاية علي»[(٥)].

الرد عليهم إجمالًا:

١- يبطل قول منكري البعث بالكلية ما سبق من الأدلة العقلية والنقلية في إثبات المعاد.

٢- ويبطل قول منكري البعث الجسماني الآيات القرآنية المصرحة ببعث الأجساد والنعيم والعذاب الحسي، ومنها قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ومعلوم أن ابتداء خلق الإنسان كان من جسد وروح، فكذلك بعثه وإعادته.

٣- ويبطل قول الشيعة الإثني عشرية أن الآية التي استدلوا بها حجة عليهم، فهي تدل على نفي الرجعة إلى الدنيا؛ إذ معناها كما صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد: حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنوبهم أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة[(٦)].

كما يبطل دعوى الرجعة من أصلها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، فهذه الآية صريحة في نفي

---

(١) رجال الكشي (ص٣٣٧).

(٢) الفصول المهمة في أصول الأئمة (ص١٧١).

(٣) المعالم الزلفى (ص٢٣٩).

(٤) بحار الأنوار (٨/ ٦٨)، البرهان (٤/ ١٧).

(٥) بحار الأنوار (٨/ ٦٦).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٥).

الرجعة مطلقًا[١].

وأما دعواهم أن أمور الآخرة للإمام، فهو شرك صراح يبطله قول الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥﴾ [النجم: ٢٥]، وقوله جل وعلا: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ [القصص: ٧٠].



(١) انظر: مختصر التحفة الإثني عشرية، للآلوسي (ص٢٠١).



المبحث الثامن

الحشر

۞ أولًا: تعريف الحشر، والأدلة عليه:

تعريف الحشر:

الحشر معناه: جمع الخلق بعد إحيائهم من قبورهم وسَوْقهم إلى الموقف للحساب، قال الحافظ ابن حجر: «الحشر... حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعًا إلى الموقف»(١)، وقال البيجوري: «الحشر عبارة عن سوقهم جميعًا إلى الموقف، وهو الموضع الذي يقفون فيه من أرض القدس(٢) المبدلة التي لم يُعْصَ الله عليها لفصل القضاء بينهم»(٣).

أدلة الحشر:

دل على إثبات الحشر الكتاب والسنة والإجماع.

(١) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٧٩).

(٢) يشير إلى حديث ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: قلت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس، قال: «**أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره**» قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال: «**فتهدي له زيتًا يسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه**» أخرجه ابن ماجه (ح١٤٠٧)، وضعفه البوصيري في (مصباح الزجاجة ٢/ ١٤)، والألباني في (ضعيف الجامع ح٢٣٤٥).

(٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد (ص٢٧٨).

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود: ١٠٣].

قال السعدي: «يحشر الله جميع الخلق على تلك الأرض، فلا يغادر منهم أحدًا، بل يجمع الأولين والآخرين، من بطون الفلوات، وقعور البحار، ويجمعهم بعدما تفرقوا، ويعيدهم بعد ما تمزقوا، خلقًا جديدًا، فيعرضون عليه صفًّا ليستعرضهم وينظر في أعمالهم، ويحكم فيهم بحكمه العدل، الذي لا جَوْر فيه ولا ظلم»[(١)].

ومن السنة حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا**» قلت: يا رسول الله، النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «**يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»[(٢)].

وأجمع سلف الأمة وأئمتها على ثبوت الحشر.

والحشر عامٌّ يشمل جميع الخلق حتى البهائم، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ [التكوير: ٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**لتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٤٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٥٢٧)، ومسلم (ح٢٨٥٩) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٥٨٢).

قال الإمام النووي: «هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة»[(١)].

۞ ثانيًا: تبديل الأرض والسماوات يوم القيامة:

دل القرآن والسنة على أن السماوات والأرض تبدل ويخلق الله غيرهما، ومما يدل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

ومن السنة ما ثبت عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة نقي**[(٢)]» قال سهل، أو غيره: «**ليس فيها معلم لأحد**»[(٣)].

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ: «**إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي**»، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: «**أينفعك شيء إن حدثتك؟**» قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: «**سل**» فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هم في الظلمة دون الجسر**»[(٤)].

وعن عائشة، قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٦).

(٢) **عفراء**: أي شديدة البياض، **قرصة النقِي**: الدقيق النقي من الغش والنخال. انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٢١)، ومسلم (ح٢٧٩٠).

(٤) أخرجه مسلم (ح٣١٥).

غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ فأين يكون الناس يومئذٍ يا رسول الله؟ فقال: «**على الصراط**»[(١)].

واختلف أهل العلم في حقيقة هذا التبديل: هل هو تبديل ذات؟ أم تبديل صفات؟ قال الحافظ ابن حجر: «وقد وقع للسلف في ذلك خلاف في المراد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ هل معنى تبديلها تغيير ذاتها وصفاتها؟ أو تغيير صفاتها فقط؟ وحديث الباب[(٢)] يؤيد الأول»[(٣)].

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تبدل أرضًا بيضاء نقية كأنها فضة، لم يسفك فيها دم حرام، ولم يعمل فيها خطيئة»[(٤)].

قال القرطبي: «هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسموات تبدل وتزال، ويخلق الله أرضًا أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط، لا كما قال كثير من الناس: إن تبدل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها، وتسوية آكامها، ونسف جبالها، ومدِّ أرضها»[(٥)].

۞ ثالثًا: صفة حشر الناس بعد البعث:

يحشر جميع الخلق يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وقد جاء في القرآن والسنة هيئات وصفات لحشر الخلق يوم القيامة، ومن ذلك:

١- حشر المتقين إلى الرحمن وفدًا، وحشر المجرمين إلى جهنم وردًا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]، قال الإمام ابن كثير: «يخبر تعالى عن أوليائه

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٧٩١).
(٢) أي: حديث سهل بن سعد المتقدم.
(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٧٥).
(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٧٣٠)، وصححه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١١/ ٣٧٥).
(٥) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٥٠٣).

المتقين، الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوهم فيما أخبروهم، وأطاعوهم فيما أمروهم به، وانتهوا عما عنه زجروهم: أنه يحشرهم يوم القيامة وفدًا إليه. والوفد: هم القادمون ركبانًا، ومنه الوفود وركوبهم على نجائب من نور، من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون على خير موفود إليه، إلى دار كرامته ورضوانه. وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم، فإنهم يساقون عنفًا إلى النار، ﴿وِرْدًا﴾ عِطاشًا، قاله عطاء، وابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد»(١).

٢- حشر الناس حفاة عراة غرلًا، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا**» قلت: يا رسول الله، النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «**يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»(٢).

٣- حشر الكافر على وجهه، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**» قال قتادة: بلى وعزة ربنا(٣).

٤- حشر المتكبرين أمثال الذرِّ، فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار، حتى يدخلوا سجنًا في جهنم، يقال له: بولس، فتعلوهم نار الأنيار، يسقَون من طينة الخبال، عصارة أهل النار**»(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٦٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٢٣)، ومسلم (ح٢٨٠٦).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١١/ ٢٦٠)، والترمذي (ح٢٤٩٢) وحسنه، وصححه الألباني في (صحيح الجامع ح٨٠٤٠).

٥- حشر مَن يسأل الناس ليس في وجهه مزعة لحم، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**ما يزال الرجل يسأل الناس، حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم**»(١).

٦- حشر الغالِّ يحمل ما غل يوم القيامة، فعن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بعثني النبي ﷺ ساعيًا، ثم قال: «**انطلق أبا مسعود، ولا ألفينك يوم القيامة تجيء وعلى ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء، قد غللته**» قال: إذًا لا أنطلق قال: «**إذًا لا أكرهك**»(٢).

٧- حشر هذه الأمة غرًّا محجلين، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**»(٣).

٨- حشر الشهيد وجرحه يسيل دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**كل كَلْمٍ يكلمه المسلم في سبيل الله، يكون يوم القيامة كهيئتها إذ طعنت، تفجر دمًا، اللون لون الدم، والعرف عرف المسك**»(٤).

رابعًا: كسوة العباد يوم المعاد:

يحشر الناس يوم القيامة عراة غير مكتسين؛ لما ثبت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا**»(٥).

لكن جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه لما حضره الموت، دعا

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٤٧٤)، ومسلم (ح١٠٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (ح٢٩٤٧)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٢٤٧)، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٣/ ٨٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح١٥٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح١٣٦)، ومسلم (ح٢٤٦).

(٤) أخرجه البخاري (ح٢٣٧)، ومسلم (ح١٨٧٦).

(٥) أخرجه البخاري (ح٦٥٢٧)، ومسلم (ح٢٨٥٩) واللفظ له.

بثياب جدد فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها**»(١).

وللعلماء في التوفيق بين الحديثين أقوال:

الأول: أنه لا تعارض بين الحديثين؛ لأن المقصود بقوله: «**يبعث في ثيابه**»، **يعني:** يبعث على ما مات عليه من عمل صالح أو عمل سيئ، كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، قال الخطابي: «وقد تأوَّله [يعني: حديث أبي سعيد الخدري] بعض العلماء على خلاف ذلك، فقال: معنى الثياب: العمل، كنى بها عنه، يريد أنه يبعث على ما مات عليه من عمل صالح أو عمل سيء»(٢)، قال الحافظ ابن حجر: «وإطلاق الثياب على العمل وقع في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: ٤] على أحد الأقوال وهو قول قتادة، قال: معناه: وعملك فأَخْلِصْه»(٣)، لكن هذا التأويل مخالف لظاهر الحديث، كما قال الإمام ابن عبد البر(٤).

الثاني: «قد يحتمل أن يكون أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمع الحديث في الشهيد فتأوله على العموم، ويكون الميت المذكور في حديثه هو الشهيد الذي أمر أن يزمل بثيابه، ويدفن فيها ولا يغسل عنه دمه، ولا يُغير شيء من حاله»(٥).

وأرجح الأقوال -إن صح حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنهم «يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة، ثم

---

(١) أخرجه أبو داود (ح٣١١٤)، وابن حبان (ح٧٣١٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٠) وصححه، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح١٩٧١).

(٢) معالم السنن (١/ ٣٠١).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٨٣).

(٤) التمهيد (١٩/ ١٥).

(٥) التمهيد (١٩/ ١٤)، وانظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٥٣٧)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (١٩/ ٣٦٦)، فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٨٣).

يكون أول من يُكسى إبراهيم»[(١)].

وهو اختيار الإمام ابن قتيبة، حيث قال: «البعث غير الحشر وهو قبله... وكأن الناس حين يعادون خلقًا جديدًا تعاد عليهم الأكفان التي ماتوا فيها، فإذا حشروا إلى الله سلبوها، ولقوه عراة كما بدأ خلقهم حين خرجوا من الأرحام عراة، وكانوا في الأرحام مستترين استتار الموتى بالقبور، ومغَشِّين في الأرحام بالمشائم، كما كان أهل القبور مغَشِّين فيها بالأكفان»[(٢)].

۞ خامسًا: أول الخلائق كسوة في المحشر:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ، قال: «**إنكم محشورون حفاة عراة غرلًا**»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، **وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم**»[(٣)].

قال الإمام ابن الجوزي: «قوله: (**أول من يكسى إبراهيم**)؛ وذلك لأنه كان كالعريان من النفس والمال والولد، فأسلم نفسه إلى النيران، وولده إلى القربان، وماله للضيفان، فشُرِّف بابتدائه بالكسوة»[(٤)].

وقال شهاب الدين التوربشتي: «ونرى أن التقديم بهذه الفضيلة إنما وقع لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه أول من عُري في ذات الله، حين أرادوا إلقاءه. **فإن قيل:** أوليس نبينا ﷺ هو المحكوم عليه بالفضل على سائر الأنبياء، وتأخره في ذلك موهم أن الفضل للسابق؟

قلنا: إذا استأثر الله سبحانه عبدًا بفضيلة على آخر، واستأثر المستأثر عليه على المستأثر بتلك الواحدة بعشر أمثالها، أو أفضل كانت السابقة له، ولا يقدح استئثار صاحبه عليه بفضيلة واحدة في فضله، ولا خفاء بأن الشفاعة -

(١) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٨٣).

(٢) المسائل والأجوبة، لابن قتيبة (ص٣١٧-٣١٨).

(٣) أخرجه البخاري (ح٣٣٤٩).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٣٥٦).

حيث لا يؤذن لأحد في الكلام- لم تسبق سابقة الأولى السابقة، ولا فضيلة لذوي الفضائل إلا أتت عليها، وكم له من فضائل مختصة به لم يسبق إليها، ولم يشارك فيها»[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر: «يقال: إن الحكمة في خصوصية إبراهيم بذلك؛ لكونه أُلقي في النار عريانًا، وقيل: لأنه أول من لبس السراويل، ولا يلزم من خصوصيته عليه السلام بذلك تفضيله على نبينا محمد ﷺ؛ لأن المفضول قد يمتاز بشيء يخص به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة، ويمكن أن يقال: لا يدخل النبي ﷺ في ذلك على القول بأن المتكلم لا يدخل في عموم خطابه»[(٢)].

۞ سادسًا: أحوال الناس في المحشر:

وحشر الناس له صور مختلفة؛ فمن ذلك: أن الكفار يحشرون على وجوههم، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلًا قال: يا نبي الله، يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟!**»[(٣)].

ومن ذلك: أن الناس يحشرون على طرائق. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يُحشر الناس ثلاثة أصناف: صنفًا مشاة، وصنفًا ركبانًا، وصنفًا على وجوههم**» قالوا: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ فقال: «**إن الذي أمشاهم على أقدامهم، قادر على أن يمشيهم على وجوههم. أما إنه يتقون بكل حدب وشوك**[(٤)]»[(٥)].

---

(١) الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (٤/ ١١٩٠)، وانظر: شرح المشكاة للطيبي (ص٣٤٩٩).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٣٩٠).

(٣) أخرجه البخاري (ح٤٧٦٠)، ومسلم (ح٢٨٠٦).

(٤) قال عفان (أحد رواة الحديث): «يتقون بوجوههم كل حدب وشوك».

(٥) أخرجه أحمد في المسند (ح ٨٧٥٥)، وحسنه محققوه.

ومنها: أن المتقين يُحشرون على أحسن طريقة وهيئة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٥-٨٦]، أي: عطاشًا.





المبحث التاسع

العرض

۞ أولًا: مجيء الرب تعالى للفصل بين العباد، وتجليه في الموقف:

يجيء الرب تبارك وتعالى -كما يليق بجلاله ويختص بعظمته- يوم القيامة للفصل بين العباد، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

ومما يدل على ذلك من الكتاب: قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠]، قال الإمام ابن كثير: «يعني: يوم القيامة؛ لفصل القضاء بين الأولين والآخرين، فيجزي كل عامل بعمله؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر»(١).

وقال جل وعلا: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

فإذا جاء الله جل وعلا أشرقت الأرض بنور ربها، ووُضع الكتاب، وقضى بين الناس بالحق، قال سبحانه: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩]، قال الإمام ابن كثير: «أي: أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق تبارك وتعالى للخلائق لفصل القضاء، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ قال قتادة: كتاب الأعمال،

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٦٦).

﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قال ابن عباس: يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم، ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾، أي: الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر، ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾، أي: بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾»[١].

ومما يدل على ذلك من السنة: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية**»[٢].

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك، يُحْشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذٍ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذٍ: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ...**»[٣].

وأجمع على ذلك أهل السنة، قال الإمام الأشعري: «ويقرون [أي: أهل السنة] أن الله سبحانه يجيء يوم القيامة، كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١١٨).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٣٨٢)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٩٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح١٧١٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح٨٠٦)، ومسلم (ح١٨٢).

(٤) مقالات الإسلاميين (ص٢٩٥).

وقال الإمام ابن عبد البر: «يتجلى ويجيء بلا كيف، لا يقولون: كيف يجيء؟ وكيف يتجلى؟»[(١)].

۞ ثانيًا: رؤية الرب تعالى في العرصات[(٢)]، وتكليمه الناس:

يرى المؤمنون ربهم في عرصات القيامة، كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «... **فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك**»[(٣)]، يعني: يتجلى لهم في عرصات القيامة.

أما رؤية الكفار لله يوم القيامة فقد اختلف أهل السنة في هذه المسألة على ثلاثة أقوال: «**أحدها:** أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر للكفر ولا المسر له[(٤)]، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغُبَّرات[(٥)] من أهل الكتاب، وذلك في عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة، وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إتيانه سبحانه وتعالى لهم في الموقف الحديث المشهور.

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب - كاللص إذا رأى السلطان -

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٥٣).

(٢) **العرصات** جمع عرصة، وهي: كل موضع واسع لا بناء فيه، **وعرصات القيامة:** مواقف الحساب والعرض وغير ذلك. انظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية (ص٢١٨).

(٣) أخرجه مسلم (ح١٩١).

(٤) **يعني:** لا الكافر ولا المنافق.

(٥) **غبرات:** بقايا. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٧٠).

ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم؛ وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد بن حنبل وإلى سهل بن عبد الله التستري، وهذا مقتضى قول من فسر (اللقاء) في كتاب الله بالرؤية»(١).

أما تكليم الله سبحانه الناس يوم القيامة، فقد ثبت أن الله ﷻ يكلم الناس يوم القيامة بلا حجاب ولا ترجمان، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه**»(٢).

وعن صفوان بن محرز المازني، قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخِذٌ بيده، إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»(٣).

۞ ثالثًا: تعريف العرض، والأدلة عليه:

هو عرض العباد على ربهم، وعرض أعمالهم عليهم(٤).

قال الشيخ حافظ بن حكمي: «**العرض له معنيان:**

معنى عام: وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم ﷻ، بادية له صفحاتهم، لا تخفى عليه منهم خافية، هذا يدخل فيه من يناقش الحساب، ومن لا يحاسب.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٧-٤٨٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٦٦-٤٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٤٤٣)، ومسلم (ح١٠١٦).
(٣) أخرجه البخاري (ح٢٤٤١).
(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، للبراك (ص٣٠٦).

والمعنى الثاني: عرض معاصي المؤمنين عليهم، وتقريرهم بها، وسترها عليهم، ومغفرتها لهم»[(١)].

❋ أما عرض العباد على ربهم فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝٤٨﴾ [الكهف: ٤٧، ٤٨].

❋ وأما عرض الأعمال على العاملين، فيدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وفي حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: «**ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه؛ فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه؛ فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه؛ فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**ليس أحدٌ يُحاسَب يوم القيامة إلا هلك**»، فقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧، ٨]؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنما ذلك العرض، وليس أحدٌ يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب**»[(٣)].

۞ رابعًا: عدد العرضات:

روي أنها ثلاث عرضات، فقد روي عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخِذٌ بيمينه، وآخِذٌ بشماله**»[(٤)].

---

(١) معارج القبول (٢/ ٨٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (ح٧٥١٢)، ومسلم (ح١٠١٦).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٣٧) واللفظ له، ومسلم (ح٢٨٧٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه (ح٤٢٧٧)، والإمام أحمد في مسنده (٣٢/ ٤٨٦)، وقال محققوه: «إسناده =

قال الطيبي: «**قيل: هي ثلاث مرات، فأما المرة الأولى:** فيدفعون عن أنفسهم ويقولون: لم يبلغنا الأنبياء ويحاجُّون الله.

والمرة الثانية: يعترفون بذنوبهم ويعتذرون. ولا تتم قضيتهم في المرتين بالكلية.

والمرة الثالثة: فيطير كتابهم إما باليمين فذلك أهل السعادة، وإما بالشمال فذلك أهل الشقاوة- نعوذ بالله من ذلك- فتتم قضيتهم»[(١)].



= ضعيف لانقطاعه، الحسن البصري لم يسمع من أبي موسى»، وأخرجه الترمذي (ح٢٤٢٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «ولا يصح هذا الحديث من قِبَلِ أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، وقد رواه بعضهم عن علي بن علي وهو الرفاعي، عن الحسن، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى»، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ح٦٤٣٢)، وقال الحافظ ابن حجر: «أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن عن عبد الله بن مسعود موقوفًا» (فتح الباري ١١/ ٤٠٣).

(١) شرح المشكاة للطيبي (ص٣٥١١).



المبحث العاشر

الحساب

۞ أولًا: تعريفه:

الحساب في اللغة: العدُّ، ويطلق بمعنى المحاسبة، ومن أسماء يوم القيامة: يوم الحساب، قال تعالى: ﴿بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

والحساب شرعًا -كما قال القرطبي: «أن الباري سبحانه يعدِّد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة»(١).

وقال الثعلبي: «معنى الحساب: تعريف الله عباده مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم ما نسوه من ذلك»(٢).

وعرفه الشيخ ابن عثيمين بقوله: «إطْلاع العباد على أعمالهم يوم القيامة»(٣).

وكل هذه التعريفات بمعنى واحد، وهو أن الحساب تعريف العباد بأعمالهم.

❊ ❊ ❊

(١) التذكرة (ص٥٦٢).
(٢) تفسير الثعلبي (٢/ ١١٧)، وانظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٧١-١٧٢).
(٣) شرح العقيدة الواسطية، للعثيمين (٢/ ١٥٢).

ثانيًا: الأدلة عليه:

ومن الأدلة على الحساب قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، وقوله جل وعلا: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

ثالثًا: مقدار يوم الحساب:

الحساب يوم واحد مقداره خمسون ألف سنة من أيام الدنيا، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار**»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والله سبحانه يحاسب الخلق في ساعة واحدة(٢)، لا يشغله حساب هذا عن حساب هذا»(٣).

وأقسام الناس بالنسبة إلى الحساب ثلاث درجات:

الأولى: من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، ومنهم عُكَّاشة بن محصن(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (ح٩٨٧).

(٢) يعني: في قدر يسير من الزمن.

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (ح٥٧٠٥)، ومسلم (ح٢٢٠).

والثانية: من يحاسب حسابًا يسيرًا، وينقلب إلى أهله مسرورًا، والحساب هنا بمعنى العرض؛ لما جاء من تفسير ذلك عن النبي ﷺ[(١)].

والثالثة: من يحاسب حسابًا شديدًا، ويكون منهم المسلم والكافر[(٢)].

قال ابن تيمية: «ويحاسب الله الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة؛ وأما الكفار: فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها»[(٣)].

۞ رابعًا: الفرق بين العرض والحساب:

الفرق بينهما من وجوه:

الأول: أن العرض خاصٌّ بالمؤمنين، بخلاف الحساب فهو عامٌّ للمؤمن والكافر.

الثاني: أن العرض جاءت تسميته بالحساب اليسير، بخلاف الحساب فلا يسمى بذلك.

الثالث: أن حقيقة العرض هو «أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف مِنَّة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة»[(٤)]، أما الحساب فهو مناقشة العبد على سيئاته وأعماله، كما دل عليه حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من حوسب يوم القيامة، عُذِّب**» فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فقال: «**ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب**»[(٥)].

الرابع: أن العرض عاقبته النجاة، أما الحساب فعاقبته العذاب، كما دل عليه

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٠٣)، ومسلم (ح٢٨٧٦).

(٢) انظر: التذكرة (ص٦٧٦).

(٣) العقيدة الواسطية (ص٩٨-٩٩).

(٤) فتح الباري (١١/ ٤٠٢).

(٥) أخرجه البخاري (ح١٠٣)، مسلم (ح٢٨٧٦) واللفظ له.

الحديث السابق.

الخامس: جاءت صفة العرض في حديث صفوان بن محرز المازني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا آخِذٌ بيده، إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»[(١)].

أما الحساب فقد جاء بيانه في حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا السابق، وفيه: «**من نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب**»[(٢)].

قال الإمام النووي: «قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **(من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) معنى (نوقش):** استقصي عليه، قال القاضي: **وقوله: (عذِّب) له معنيان:**

أحدهما: أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب؛ لما فيه من التوبيخ.

والثاني: أنه مُفْضٍ إلى العذاب بالنار، ويؤيده قوله في الرواية الأخرى: **(هلك)** مكان: **(عذب)**، هذا كلام القاضي، وهذا الثاني هو الصحيح، **ومعناه:** أن التقصير غالب في العباد، فمن استقصي عليه ولم يُسامَح هلك، ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء»[(٣)].

۞ خامسًا: إثبات أن الله تعالى هو الذي يتولى حساب العباد:

إن الله سبحانه هو الذي يتولى حساب العباد، ومما يدل على ذلك قوله

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢٠٨-٢٠٩).

تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦]، ففي هذه الآيات إخبار من الله سبحانه بأنه هو الذي يحاسب الخلق على أعمالهم ويجازيهم بها.

وقد نفى الله سبحانه قيام أحد غيره بمحاسبة الخلق، فقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥٢]، قال الإمام ابن كثير: «أي: إنما حسابهم على الله عز وجل، وليس عليَّ من حسابهم من شيء، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]، قال الإمام الطبري: «وإنما وصف جل ثناؤه نفسه بسرعة الحساب؛ لأنه جل ذكره يحصي ما يحصى من أعمال عباده بغير عقد أصابع ولا فكر ولا روية فعل العجزة الضعفة من الخلق، ولكنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فيهما، ثم هو مجازٍ عباده على كل ذلك؛ فلذلك جل ذكره امتدح بسرعة الحساب، وأخبر خلقه أنه ليس لهم بمثل فيحتاج في حسابه إلى عقد كفٍّ أو وعي صدر»[(٢)].

وعن صفوان بن محرز المازني، قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخِذٌ بيده، إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ**

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٩).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٥٤٩).

ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»[١].

۞ سادسًا: المستثنون من الحساب، وصفاتهم، وبعض أعيانهم، وعددهم:

المستثنون من الحساب هم الذين جاء ذكرهم في حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لا رقية إلا من عين أو حمة، فذكرته لسعيد بن جبير، فقال: حدثنا ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «**عرضت عليَّ الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رفع لي سواد عظيم، قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: بل هذا موسى وقومه، قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفًا بغير حساب**»، ثم دخل ولم يبين لهم، فأفاض القوم، وقالوا: نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله، فنحن هم، أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام، فإنا ولدنا في الجاهلية، فبلغ النبي ﷺ فخرج، فقال: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**» فقال عكاشة بن محصن: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**» فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ قال: «**سبقك بها عكاشة**»[٢].

ويتبين من الحديث أن صفات المستثنين من الحساب هي كما يلي:

١- **أنهم لا يسترقون**، أي: لا يطلبون الرقية من غيرهم[٣]، أو لا يرقون بالرقى الشركية، أو لا يعتقدون أن الرقى مؤثرة بذاتها[٤].

٢- **أنهم لا يتطيرون**، أي: «لا يتشاءمون بالطيور ونحوها، كما هو عادتهم قبل الإسلام»[٥].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري (ح٥٧٠٥)، ومسلم (ح٢٢٠). (٣) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٧٨).
(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٩٠)، فتح الباري (١١/ ٤٠٨-٤٠٩).
(٥) انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني (٢٠/ ٢١٩).

٣- **أنهم لا يكتوون**، «أي: لا يبلغ بهم التنطع في التداوي إلى الكي، وهو آخر الأدوية»[(١)]، وقال الطيبي: «الكي بالنار من العلاج المعروف في كثير من الأمراض، وقد جاء في أحاديث كثيرة النهي عن الكي، فقيل: النهي إنما كان لتعظيمهم أمرَه، ويرون أنه لا يحصل الشفاء إلا به. وأما إذا اعتقد أنه سبب للشفاء، وأن الله هو الشافي، فلا بأس به، ويجوز أن يكون النهي عنه من قبيل التوكل»[(٢)]، وقال ابن حجر: «قوله: **(لا يكتوون)** معناه: إلا عند الضرورة مع اعتقاد أن الشفاء من الله لا من مجرد الكي»[(٣)].

وقد ورد تعيين بعض أعيانهم، ومنهم عكاشة بن محصن رضي الله عنه، كما في الحديث السابق.

وأما عددهم فلا يحصيه إلا الله، فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«وعدني ربي أن يُدخِلَ الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب ولا عذاب، مع كل ألف سبعين ألفًا، وثلاث حَثَيَات من حَثَيَاتِ ربي»**[(٤)].

۞ سابعًا: عدد الدواوين، ومنزلتها عند الله تعالى:

عدد الدواوين ومنزلتها عند الله من حيث العقوبة والمغفرة يوم القيامة ثلاثة دواوين: **(١)** ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك. **(٢)** وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وهو المظالم بين العباد. **(٣)** وديوان لا يعبأ الله به، وهو تحت مشيئته، وهو المعاصي التي بين العبد وبين ربه[(٥)].

ويدل على ذلك: ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة (٣/ ٦٥).

(٢) الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي (ص١٣٧١).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٤١٠).

(٤) أخرجه الترمذي (ح٢٤٣٧) وحسنه، وابن ماجه (ح٤٢٨٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٧١١١).

(٥) انظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز، على هذا الرابط:
https//:2u.pw/x7mD7.

«**الدواوين عند الله ﷻ ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوان الذي لا يغفره الله: فالشرك بالله، قال الله ﷻ:** ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]. وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله ﷻ يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء. وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا فظلم العباد بعضهم بعضًا، القِصاص لا محالة»[1].

۞ ثامنًا: المساءلة فيما بين الرب تعالى وعبده، ونماذج من المساءلات التي دلت عليها النصوص:

يوقف الله جل وعلا العباد فيسألهم، قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝٤٤﴾ [الزخرف: ٤٤].

ومن أمثلة المساءلات التي دلت عليها النصوص:

١- سؤال العباد عن الرسل: هل بلغوا رسالات ربهم؟ وسؤال الله الرسل، هل أجبتم من قِبَل المدعوين؟ قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦]، وقال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾ [القصص: ٦٥]، وعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال للناس في حجة الوداع: «... **وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد**» ثلاث مرات[2]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٣/ ١٥٥-١٥٦)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، وفيه صدقة ابن موسى، وقد ضعفه الجمهور، وقال مسلم بن إبراهيم: حدثنا صدقة بن موسى وكان صدوقًا، وبقية رجاله ثقات» (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (ح١٢١٨).

رسول الله ﷺ: «**يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]»(١).

٢- **سؤال المشركين عن افترائهم على الله وإشراكهم مع الله غيره**، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: ٥٦]، ودعواهم أن الملائكة إناث، قال جل وعلا: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

٣- **سؤال العبد عن السمع والبصر والفؤاد، هل استعملها في طاعة الله أم في معصيته؟** قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، قال القرطبي: «أي: يُسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع، وقيل: المعنى: أن الله سبحانه وتعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده»(٢).

٤- **السؤال عن الأعمال**، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال يوم النحر: «**... وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم...**»(٣).

٥- **سؤال العبد يوم القيامة عن ذنوبه**، فعن صفوان بن محرز المازني رضي الله عنه، قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده، إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يُدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف**

(١) أخرجه البخاري (ح٣٣٣٩). (٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٥٩).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٤٠٦)، ومسلم (ح١٦٧٩).

ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»[١].

وعن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال: إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي سيئاته في ظهر صحيفته، فيقول له: أنت عملتَ هذا؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول له: إني لم أفضحك به، وإني قد غفرت لك فيقول عند ذلك: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠] حين نجا من فضيحته يوم القيامة[٢].

٦- **سؤال العبد يوم القيامة عن إنكار المنكرات**، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله ليسأل العبد يوم القيامة، حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقَّن الله عبدًا حجتَه، قال: يا رب رجوتك، وفرقتُ من الناس**[٣]»[٤].

٧- **سؤال العبد عن وفائه بالعهود**، قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]، قال الإمام ابن كثير: «﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ﴾ أي: الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونهم بها، فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ أي: عنه»[٥].

٨- **سؤال العبد عن النعيم الذي أنعم الله به عليه في الدنيا**، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر: ٨]، وعن محمود بن لبيد، قال: لما نزلت: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١﴾ [التكاثر: ١]، فقرأها حتى بلغ: ﴿لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ

(١) سبق تخريجه.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧١).
(٣) **أي**: خفت من الناس.
(٤) أخرجه ابن ماجه (ح٤٠١٧)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح١٨١٨).
(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ٧٤).

ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نسأل؟ وإنما هما الأسودان: الماء والتمر، وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر، فعن أي نعيم نسأل؟ قال: «**إن ذلك سيكون**»(١).

٩- سؤال العبد عن صحته وعمره وماله وعلمه، عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»(٢).

١٠- سؤال كل راعٍ عن رعيته، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته**»(٣).



(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩/ ٤٧) وحسنه محققوه، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، وفيه محمد ابن عمرو بن علقمة وحديثه حسن، وفيه ضعف لسوء حفظه، وبقية رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٧/ ١٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٤١٧) وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٧٣٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (ح٨٩٣)، ومسلم (ح١٨٢٩).



المبحث الحادي عشر

الجزاء

۞ أولًا: تعريفه والأدلة عليه:

هو: «الثواب على الأعمال الصالحة، والعقاب على ضدها من الكفر والفسوق والعصيان»(١)، والجزاء هو الغاية من البعث والنشور.

ومن الأدلة عليه: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وجزاء الإيمان والحسنات مبنيٌّ على الفضل والزيادة والمضاعفة، وجزاء السيئات مبني على العدل، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [القصص: ٨٤]، وفي الآية الأخرى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ولا يُعذب أحد بذنب غيره، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، والله تعالى يبين أن دخول أهل الجنةِ الجنةَ بسبب أعمالهم؛ ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، و(الباء) سببية؛ فالإيمان والعمل الصالح سبب دخول الجنة، والكفر والمعاصي سبب

---

(١) شرح الطحاوية، للبراك (ص٣٠٥).

دخول النار ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]، وتفصيل هذا في القرآن كثير جدًّا(١).

۞ ثانيًا: جزاء حسنات الكافر يوم القيامة:

يُجْزَى الكافر على حسناته في الدنيا، أما في الآخرة فليس له فيها نصيب.

والدليل على أنه يُجازى على حسناته في الدنيا: حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه حدَّث عن رسول الله ﷺ، قال: «**إن الكافر إذا عمل حسنة أُطْعِمَ بها طُعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقًا في الدنيا على طاعته**»(٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لا ينفعه؛ إنه لم يقل يومًا: ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»(٣).

وعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت: يا رسول الله، إن أبي كان يصل الرحم، ويفعل كذا وكذا، قال: «**إن أباك أراد أمرًا فأدركه**»، يعني: الذِّكْر(٤).

وأما الدليل على أنه ليس له في الآخرة نصيب، فقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، وقوله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]، قال الإمام ابن كثير: «هذا يوم القيامة، حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشر، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال -التي ظنوا أنها منجاة لهم- شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي؛ إما الإخلاص فيها،

(١) انظر: شرح الطحاوية، للبراك (ص٣٠٤-٣٠٥).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٨٠٨). (٣) أخرجه مسلم (ح٣٦٥).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٢٠٠)، وحسنه محققوه.

وإما المتابعة لشرع الله. فكل عمل لا يكون خالصًا وعلى الشريعة المرضية، فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معًا، فتكون أبعدَ من القَبول حينئذٍ»[(١)].

وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الكافر إذا مات على كفره فليس له ثواب في الآخرة، يقول الإمام النووي: «أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يُجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقربًا إلى الله تعالى، وصرح في هذا الحديث[(٢)] بأن يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي: بما فعله متقربًا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية؛ كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها، وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة ويُجزى بها مع ذلك أيضًا فى الدنيا، ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة، وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده»[(٣)].

ونقل القاضي عياض أيضًا الإجماع «على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا بتخفيف عذابٍ»، لكنهم يتفاوتون في العذاب بقدر ما أحدثوه من الفساد، يقول القاضي عياض: «لكنهم بإضافة بعضهم للكفر كبائر المعاصي، وأعمال الشر، وأذى المؤمنين، وقتل الأنبياء والصالحين، يزدادون عذابًا، كما قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢﴾ [المدثر: ٤٢] الآيات، وكذلك الكافر يُعذَّبُ بكفره، ثم يزداد إجرامه وإفساده فى الأرض وعُتوه، وكثير إحداثه في العباد والبلاد، فذاك يُعذَّبُ أشدَّ العذاب كما قيل في فرعون، ومن لم يكن بهذه السبيل عُذِّب بقدر كفره، فكان أخف عذابًا ممن عُذِّب أشد العذاب، فليس إذًا عذاب أبي طالب كعذاب أبي جهل وإن اجتمعا في الكفر، ولا عذاب عاقر الناقة من قوم ثمود كعذاب غيره من قومه، ولا

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٣).
(٢) يعني: حديث عائشة رضي الله عنها السابق.
(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٥٠).

عذاب قتلة عيسى ويحيى وزكريا وغيرهم من الأنبياء كغيرهم من الكفار، فبهذا تتوجه خِفَّةُ العذاب، لا أنه على المجازاة على أفعال الخير»[(١)].

وقال الشيخ محمد هراس: «والصحيح أن أعمال الخير التي يعملها الكافر يُجازى بها في الدنيا فقط، حتى إذا جاء يوم القيامة وجد صحيفة حسناته بيضاء. وقيل: يخفف بها عنه من عذاب غير الكفر»[(٢)].

۞ ثالثًا: أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وأول ما يُقضى فيه:

أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة**»، قال: «**يقول ربنا جل وعز لملائكته – وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئًا، قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم**»[(٣)].

وأول ما يُقضى فيه بين الناس الدماء، ودليل ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[(٤)]. قال الإمام النووي: «فيه تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها»[(٥)].

ولا تعارض بين الحديثين؛ لأن حديث أبي هريرة رضي الله عنه فيما يتعلق بحقوق

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٩٧).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (ص٢١٠).

(٣) أخرجه أبو داود (ح٨٦٤)، والترمذي (ح٤١٣)، والنسائي (ح٤٦٥)، وابن ماجه (ح١٤٢٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٠٢٠).

(٤) أخرجه مسلم (ح١٦٧٨).

(٥) شرح النووي على مسلم (١١/ ١٦٧).

الله، وحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما يتعلق بحقوق العباد، قال الإمام النووي -تعليقًا على حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس هذا الحديث مخالفًا للحديث المشهور في السنن: «**أول ما يحاسب به العبد صلاته**»؛ لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين الله تعالى، وأما حديث الباب فهو فيما بين العباد، والله أعلم بالصواب»(١).

وقال الحافظ ابن حجر: «ولا يعارض هذا حديث أبي هريرة رفعه: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته**» الحديث أخرجه أصحاب السنن؛ لأن الأول محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق، والثاني فيما يتعلق بعبادة الخالق»(٢).

رابعًا: تعدد الأشهاد على الإنسان يوم القيامة:

يتعدد الشهود على ابن آدم يوم القيامة، ومنهم:

١- **الأنبياء:** قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، قال الإمام البغوي: «قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ أي: فكيف الحال وكيف يصنعون إذا جئنا من كل أمة بشهيد؟ يعني: بنبيها يشهد عليهم بما عملوا، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد، ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ شاهدًا يشهد على جميع الأمم على من رآه وعلى من لم يره»(٣)، وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النحل: ٨٤].

٢- **الملائكة:** قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨]، قال الإمام الشوكاني: «الأشهاد: هم الملائكة الحفظة»(٤)، وفي الآية أقوال أخرى.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١١/ ١٦٧).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٩٦).
(٣) تفسير البغوي (٢/ ٢١٧).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٥٦).

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: ٢١]، قال الإمام ابن كثير: «أي: ملك يسوقه إلى المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله»[(١)].

٣- **الأرض التي يعيش عليها ابن آدم:** قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [الزلزلة: ١ - ٥]، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ قال: «**أتدرون ما أخبارها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا، فهذه أخبارها**»[(٢)].

٤- **الجوارح:** قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: ٢١، ٢٢].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: «**هل تدرون مم أضحك؟**» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فِيهِ، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بُعْدًا لَكُنَّ وسحقًا، فعنكنَّ كنت أناضل**»[(٣)].

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠١).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٣٣٥٣) وقال: «حسن صحيح»، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ح٦٤٥٠).

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٩٦٩)، وانظر: صحيح مسلم (ح٢٩٦٨).

۞ خامسًا: الامتحان يوم القيامة:

ثبت أن من الناس مَن يُمتحن في عرصات القيامة، وهم الذين لم تبلغهم دعوة الإسلام، كأهل الفترة، وهم من عاش في زمن لم يأتهم فيه رسول، أو كانوا في مكان لم تصلهم فيه الدعوة، ومن في حكمهم كأطفال المشركين، والهرم، والمجنون، ونحوهم؛ لأن الله جل وعلا لكمال عدله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ويدل على الامتحان يوم القيامة حديث الأسود بن سريع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن نبي الله ﷺ قال: «**أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هَرِمٌ، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب، لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: ربِّ، لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب، لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب، ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم لَيُطِيعُنَّه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده، لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا**»(١).

قال الحافظ ابن حجر: «وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقي في كتاب «الاعتقاد» أنه المذهب الصحيح، وتُعُقِّب بأن الآخرة ليست دار تكليف فلا عمل فيها ولا ابتلاء، وأجيب بأن ذلك بعد أن يقع الاستقرار في الجنة أو النار، وأما في عرصات القيامة فلا مانع من ذلك، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم: ٤٢]، وفي «الصحيحين»: أن الناس يؤمرون بالسجود فيصير ظهر المنافق طبقًا، فلا يستطيع أن يسجد»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٦/ ٢٢٨)، وحسنه محققوه، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٨٨١).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٣/ ٢٤٦-٢٤٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التكليف إنما ينقطع بدخول دار الجزاء وهي الجنة والنار، وأما عرصات القيامة فيمتحنون فيها كما يمتحنون في البرزخ فيقال لأحدهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟»[١].

وقال الإمام ابن القيم بعد سياق الأحاديث الواردة في امتحان هؤلاء ووجوه ترجيحها: «إنها هي الموافقة للقرآن، وقواعد الشرع، فهي تفصيل لما أخبر به القرآن أنه لا يُعَذَّب أحد إلا بعد قيام الحجة عليه، وهؤلاء لم تقم عليهم حجة الله في الدنيا، فلا بد أن يقيم حجته عليهم، وأحق المواطن أن تقام فيه الحجة يوم يقوم الأشهاد، وتسمع الدعاوى، وتقام البينات، ويختصم الناس بين يدي الرب، وينطق كل أحد بحجته ومعذرته، فلا تنفع الظالمين معذرتهم وتنفع غيرهم»[٢].

وممن يمتحن في الآخرة أيضًا -على أصح الأقوال[٣]- أطفال المشركين، قال الإمام ابن القيم: «المذهب العاشر: أنهم يمتحنون في الآخرة، ويرسل إليهم الله تبارك وتعالى رسولًا، وإلى كل من لم تبلغه الدعوة؛ فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، وعلى هذا، فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار، وهذا قول جميع أهل السنة»[٤].

۞ سادسًا: شهادة الأمة المحمدية على سائر الأمم يوم القيامة:

ثبت في الكتاب والسنة شهادة هذه الأمة على سائر الأمم السابقة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال سبحانه: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٧٣).
(٢) أحكام أهل الذمة (٢/ ١١٤٩-١١٥٠).
(٣) انظر تفصيل الأقوال بأدلتها في: أحكام أهل الذمة (٢/ ١٠٨٦) وما بعدها، فتح الباري (٣/ ٢٤٦-٢٤٧).
(٤) أحكام أهل الذمة (٢/ ١١٣٧).

سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

قال الطبري: «معنى ذلك: وكذلك جعلناكم أمة وسطًا عدولًا لتكونوا شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها، ويكون رسولي محمد ﷺ شهيدًا عليكم بإيمانكم به، وبما جاءكم به من عندي»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى، هل بلغت؟ فيقول نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ والوسط: العدل»(٢).

۞ سابعًا: القصاص يوم القيامة:

تعريفه:

هو: تتبُّع ما بين العباد من المظالم، وإسقاط بعضها ببعض(٣).

أنواعه والأدلة عليه:

١ - **اقتصاص المؤمنين بعضهم من بعض**، ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا، أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا**»(٤)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من كانت عنده**

(١) تفسير الطبري (٢/ ٦٢٩-٦٣٠).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) انظر: فتح الباري (٥/ ٩٦).
(٤) أخرجه البخاري (ح٢٤٤٠).

مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»(١).

٢- اقتصاص جميع الخلق بعضهم من بعض، كما جاء عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة** - أو قال: **العباد - عراة غُرْلًا بُهْمًا**» قال: قلنا: وما بُهْمًا؟ قال: «**ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه مَن قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق، حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق، حتى أقصه منه، حتى اللطمة**» قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله ﷻ عراة غرلًا بهمًا؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**»(٢).

٣- اقتصاص البهائم بعضها من بعض، كما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء، من الشاة القرناء**»(٣).

قال الإمام النووي: «وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف؛ إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة، والجلحاء بالمد هي الجماء التي لا قرن لها، والله أعلم»(٤).

۞ ثامنًا: قضاء الله تعالى لأمة محمد ﷺ قبل الخلائق يوم القيامة:

أول من يقضى بينهم من الأمم يوم القيامة هم أمة محمد ﷺ، فهم وإن كانوا آخر الأمم زمانًا، فهم أول من يقضى بينهم، كما أنهم أول من يحشر،

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٣٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥/ ٤٣٢)، والطبراني في الكبير (١٣/ ١٣٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٥٨٢).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٧).

وأول من يحاسب، وأول من يدخل الجنة، وكل هذه خصائص خص الله بها هذه الأمة إكرامًا لنبينا محمد ﷺ.

ومما يدل على ذلك ما جاء عن أبي هريرة، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة، والسبت، والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق**»، وفي رواية: «**المقضي بينهم**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ، قال: «**نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية، ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون**»(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة لهم في الآخرة؛ بأنهم أول من يحشر، وأول من يحاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة»(٣).

۞ تاسعًا: صحائف الأعمال وصفاتها:

صحائف الأعمال: «هي الكتب التي كتبتها الملائكة، وأحصَوا فيها ما فعله كل إنسان في الحياة الدنيا من الأعمال القولية والفعلية»(٤).

ومن صفات صحائف الأعمال:

١- **أنها تنشر وتفتح يوم القيامة**، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾ [التكوير: ١٠]، ونشرها: هو فتحها وبثها(٥).

(١) أخرجه مسلم (ح٨٥٦).
(٢) أخرجه ابن ماجه (ح٤٢٩٠)، وقال البوصيري: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» (مصباح الزجاجة ٤/ ٢٥٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٦٧٤٩).
(٣) فتح الباري (٢/ ٣٥٤).
(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للفوزان (ص٢٨٩).
(٥) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين (ص١٢١).

٢- أنه قد كتب فيها كل كبير وصغير من أعمال العبد، قال سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣)﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

٣- أن كل إنسان سيقرأ صحيفته التي هي ديوان عمله، قال جل وعلا: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

٤- أن المؤمن يسر بما يجد في صحيفته من حسنات، والكافر يساء بما يجد في صحيفته من الكفر، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧)﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٧].

٥- أن صحائف الأعمال توزن، كما سيأتي في الميزان.

۞ عاشرًا: صفة أخذ الناس صحفهم:

بين الله جل وعلا صفة أخذ الناس صحفهم يوم القيامة، وأنها على هيئتين:

الأولى: أخذ الكتاب باليمين، وهي لأهل الإيمان، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤]، وقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩)﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩].

الثانية: أخذ الكتاب بالشمال، وهي لأهل الكفر، قال جل وعلا: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧)﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢)﴾ [الانشقاق: ١٠ - ١٢]، قال الإمام ابن كثير:

«تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك»[(١)]، وقال الإمام البغوي: «فتغل يده اليمنى إلى عنقه، وتجعل يده الشمال وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، وقال مجاهد: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره»[(٢)]، وقال الإمام الشِّنْقيطي: «لا منافاة بين أخذه بشماله، وإيتائه وراء ظهره؛ لأن الكافر تغل يمناه إلى عنقه، وتجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه»[(٣)].



(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٨).

(٢) تفسير البغوي (٨/ ٣٧٤).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي (ص٢٥٥-٢٥٦)، وانظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٣)، شرح العقيدة الواسطية، للعثيمين (٢/ ١٥٠-١٥١).



المبحث الثاني عشر

الميزان

۞ أولًا: تعريف الميزان:

الميزان هو: ما يوزن به الأعمال لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، وهو غير العدل، كما دل على ذلك الكتاب والسنة[١].

۞ ثانيًا: صفته مع الأدلة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب»[٢]، يعني: نؤمن به، ولا نتكلف طلب علم ما لم يخبر الله به من كيفيته.

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «والذي دلَّت عليه السنة [من صفته]: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان»[٣].

قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

---

(١) انظر: التذكرة (ص٧١٥)، مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٢).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٦٠٩).

۞ ثالثًا: معنى الإيمان بالميزان:

معنى الإيمان بالميزان: هو التصديق بأنه ميزان حقيقي، كما وردت به النصوص، وليس مجازًا عن العدل كما يقوله بعض أهل البدع، قال الحافظ ابن حجر: «قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال»(١).

۞ رابعًا: الأمور التي يقع عليها الوزن (الموزونات):

وردت النصوص في الميزان بالجمع والإفراد مثال الجمع: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾، ومثال الإفراد: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٢).

فقيل: إنها موازين، وهو ظاهر القرآن، وقيل: إنه ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار الموزونات، والله أعلم.

ودلت النصوص على أن الأعمال توزن، وصحف الأعمال توزن، والعامل يوزن.

١- **فالعامل يوزن مع عمله**، ويشهد له حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»(٣).

وروى ابن مسعود: أنه كان يجني سواكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «**مم تضحكون؟**» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: «**والذي نفسي بيده، لهما**

(١) فتح الباري (١٣/ ٥٣٨).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٥٦٣)، ومسلم (ح٢٦٩٤).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٧٢٩)، ومسلم (ح٢٧٨٥).

أثقل في الميزان من أحد»(١).

٢- وقد وردت الأحاديث أيضًا بوزن الأعمال أنفسها، كما في حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان...**» الحديث(٢).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٣).

٣- ووردت النصوص بأن صحف الأعمال توزن كما في حديث صاحب البطاقة(٤).

قال ابن كثير: «وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالُّها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم»(٥).

۞ خامسًا: الرد على من أنكر الميزان إجمالًا:

أنكر الميزان بعض المبتدعة كالجهمية، قال الملطي: «ومنهم [أي: الجهمية] صنف أنكروا الميزان؛ أنكروا أن يكون لله ميزان يزن فيه الخلق وأعمالهم»(٦)، وقال الأشعري: «قال أهل البدع بإبطال الميزان، وقالوا: موازين وليس بمعنى كفات وألسن، ولكنها المجازاة يجازيهم الله بأعمالهم وزنًا بوزن، وأنكروا الميزان، وقالوا: يستحيل وزن الأعراض؛ لأن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٧/ ٩٩)، والطبراني في الكبير (٩/ ٧٨)، وقال الهيثمي: «رواه البزار، والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٦٨٢)، ومسلم (ح٢٦٩٤).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦١٠-٦١٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٠).

(٦) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص٩٨).

الأعراض لا ثقل لها ولا خفة، وقال قائلون بإثبات الميزان، وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين، ولكن إذا كانت حسنات الإنسان أعظم من سيئاته رجحت إحدى الكفتين على الأخرى، فكان رجحانها دليلًا على أن الرجل من أهل الجنة، وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء كان رجحانها دليلًا على أن الرجل من أهل النار»(١)، وهو قول المعتزلة، فقد أنكروا تأويل الميزان بالعدل، وأثبتوا أنه ميزان حقيقي، لكنهم يرون أن الحسنات والسيئات أعراضٌ لا يتصور فيها الوزن(٢).

والرد عليهم من وجوه:

١- أن تأويل الميزان بالعدل، وإنكار كونه ميزانًا حقيقيًّا، تأويل فاسد ليس عليه دليل، بل الأدلة من الكتاب والسنة على بطلانه، وربما يصح تأويل الميزان بالعدل في بعض الآيات لقرينة، لكن ميزان يوم القيامة قد تواترت بذكره حقيقة الأحاديث، فلا يجوز صرفه عن ظاهره بلا دليل، بل صرفه عن ظاهره تحريف وليس بتأويل، قال الإمام ابن كثير: «الميزان في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمن: ٧]، أي: العدل، أمر الله عباده أن يتعاملوا به فيما بينهم، فأما الميزان المذكور في زنة القيامة، فقد تواترت بذكره الأحاديث كما رأيت، وهو ظاهر القرآن، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٩]، وهذا إنما يكون للشيء المحسوس»(٣).

٢- أنه قول مُحْدَث مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، قال الحافظ ابن حجر: «أنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن

(١) مقالات الإسلاميين (ص٤٧٢).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٥)، الفائق في أصول الدين، لابن الملاحمي (ص٥٤١).

(٣) النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٣٥).

العدل[(١)]، فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين»[(٢)].

٣- أن إنكار الميزان أو تأويله بالعدل أو إنكار وزن الحسنات والسيئات فيه معارضة الوحي بالعقل، ومصادمة الشرع بالهوى، قال الحافظ ابن حجر: «وحكى حنبل بن إسحاق في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال ردًّا على من أنكر الميزان ما معناه: قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وذكر النبي ﷺ الميزان يوم القيامة، فمن رد على النبي ﷺ فقد رد على الله ﷿»[(٣)]، وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقَّال والفَوَّال!! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنًا، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحِكَم ما لا اطلاع لنا عليه»[(٤)].

٤- أن هذا التأويل يفتح باب شر لتأويل جميع أحوال القيامة وحملها على غير ظاهرها، قال القرطبي: «قال علماؤنا: ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القُوَى المحمودة، وهذا كله فاسد؛ لأنه رد لما جاء به الصادق»[(٥)].

---

(١) لعله قول بعض المعتزلة، لا جميعهم؛ لأن الموجود في مصادر المعتزلة -كما سبق نقله عنهم- إثبات ميزان حقيقي.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٣٨).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٣٨).

(٤) شرح الطحاوية (٢/ ٦١٣).

(٥) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧٢٤).

۞ سادسًا: المستثَنون من الوزن:

المستثنون من الوزن طائفتان:

الأولى: الكفار؛ لأنهم لا حسنات لهم فتوزن، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥] قال ابن عباس: «يريد أن ليس لهم وزن يوم القيامة، إنما يوزن من له عمل صالح، وكان على التوحيد»[(١)].

وذهب بعض العلماء إلى أن الكفار توزن أعمالهم، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩﴾ [الأعراف: ٩]، وقوله: ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٣]، قال القرطبي: «هذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكفار؛ لأن عامة المعنيين بقوله: ﴿خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ في هذه الآيات هم الكفار»[(٢)]، وقال في معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾: «فلا قدر لهم عندنا يومئذٍ»[(٣)]، والجمع بين القولين: أنه إن أريد بالوزن موازنة الحسنات بالسيئات فلا وزن لهم؛ لأنهم لا حسنات لهم، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾، وإن أريد بالوزن إظهار خفة موازينهم وإقامة الحجة عليهم فهذا حق، وعليه يدل قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ...﴾ الآية، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الكافر لا حسنات له توزن بسيئاته؛ إذ أعماله كلها حابطة، وإنما توزن لتظهر خفة موازينه، لا ليتبين رجحان حسنات له»[(٤)].

---

(١) التفسير البسيط، للواحدي (١٤/ ١٦٦).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧١٥)، وانظر: شعب الإيمان، للبيهقي (١/ ٤٣٨).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧١٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٧).

الثانية: المؤمنون الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

قال الحافظ ابن حجر تعليقًا على قول الإمام البخاري: (وإن أعمال بني آدم، وقولهم يوزن): «ظاهره التعميم لكن خُصَّ منه طائفتان، فمن الكفار من لا ذنب له إلا الكفر ولم يعمل حسنة، فإنه يقع في النار من غير حساب ولا ميزان، ومن المؤمنين من لا سيئة له وله حسنات كثيرة زائدة على محض الإيمان، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، كما في قصة السبعين ألفًا، ومن شاء الله أن يلحقه بهم، وهم الذين يمرون على الصراط كالبرق الخاطف وكالريح وكأجاويد الخيل، ومن عدا هذين من الكفار والمؤمنين يحاسبون، وتعرض أعمالهم على الموازين»(١).

وقال القرطبي: «الميزان حق، ولا يكون في حق كل أحد، بدليل قوله عليه السلام: «**فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه...**» الحديث(٢)، وقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ الآية [الرحمن: ٤١]، وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر، ممن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا من المؤمنين، وقد يكون للكافرين»(٣).

۞ سابعًا: أحوال الناس بعد الوزن:

ينقسم الناس بعد الميزان إلى ثلاثة أقسام:

الأول: من رجحت حسناتهم على سيئاتهم، فهم في الجنة.

الثاني: من رجحت سيئاتهم على حسناتهم من عصاة الموحدين، فهم تحت مشيئة الله.

الثالث: من تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم أصحاب الأعراف، ومآلهم إلى الجنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد يفعل مع سيئاته حسناتٍ توازيها

(١) فتح الباري (١٣/ ٥٣٨).
(٢) أخرجه البخاري (ح٤٧١٢)، ومسلم (ح١٩٤).
(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧١٩).

وتقابلها، فينجو بذلك من النار، ولا يستحق الجنة، بل يكون من أصحاب الأعراف، وإن كان مآلهم إلى الجنة، فليسوا ممن أزلفت لهم الجنة، أي: قربت لهم؛ إذ كانوا لم يأتوا بخشية الله والإنابة إليه»(١).

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يحاسَبُ الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار»، ثم قرأ قول الله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٨، ٩]، ثم قال: «إن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح، قال: فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف»(٢).

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ﴾ [الأعراف: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٨، ٤٩].

قال الإمام ابن القيم: «الأعراف جمع عَرْف، وهو المكان المرتفع، وهو: سورٌ عالٍ بين الجنة والنار»(٣).

وقد اختلف في تعيينهم على أقوال كثيرة، ساقها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أصحها وهو الثابت عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم: أنهم «قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته»(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٧٧).
(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٢١٣).
(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣٨٢)، وانظر: فتح القدير (٢/ ٢٣٦).
(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣٨٢)، وانظر: التذكرة للقرطبي (ص٧٣٦-٧٣٨).

وقال الإمام ابن كثير: «اختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف، مَنْ هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. نص عليه حذيفة، وابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف، رحمهم الله»[(١)].



(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٨).



المبحث الثالث عشر

الحوض

۞ أولًا: تعريف الحوض:

الحوض في اللغة: مجتمع الماء[(١)].

«**وشرعًا:** حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ»[(٢)]، أو هو: حوض عظيم يرده المؤمنون في أرض المحشر، جعله الله إكرامًا لنبيه ﷺ وغياثًا لأمته.

۞ ثانيًا: صفة الحوض:

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر»[(٣)].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: لسان العرب (٧/ ١٤١).

(٢) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين (ص١٢٣).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٨٠-٢٨١).

۞ ثالثًا: الأدلة على الحوض:

الأحاديث الواردة في الحوض كثيرة، رواها من الصحابة بضعة وثلاثون صحابيًّا، بل قال السيوطي: «ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيًّا»(١)، ونص جمع من أهل العلم على أنها متواترة(٢)، وأجمع أهل السنة على ثبوته.

ومن هذه الأحاديث: حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**أنا فرطكم على الحوض**»(٣)، قال الحافظ ابن حجر: «(أنا فَرَطكم) -بفتح الفاء والراء-، أي: السابق إليه»(٤).

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: سمعت النبي ﷺ، يقول: «**أنا فرطكم على الحوض، فمن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا، لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم**»(٥).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**»(٦).

۞ رابعًا: الرد على المخالفين إجمالًا:

ينسب إنكار الحوض للخوارج وبعض المعتزلة، وممن كان ينكره عبيد الله ابن زياد أحد أمراء العراق لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وولده، ثم رجع عنه(٧)، ونسب

---

(١) البدور السافرة في أحوال الآخرة، للسيوطي (ص٢٤١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٣٤٠)، شرح الطحاوية، لابن أبي العز (١/ ٢٧٧)، فتح الباري، لابن حجر (١/ ٢٠٣)، قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة، للسيوطي (ص٢٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٨٩)، ومسلم (ح٢٢٨٩).

(٤) فتح الباري (١١/ ٢٤٥).

(٥) أخرجه البخاري (ح٧٠٥٠)، ومسلم (ح٢٢٩٠).

(٦) أخرجه البخاري (ح٦٥٨٠)، ومسلم (ح٢٣٠٣).

(٧) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٤٦٧-٤٦٨).

الأشعري إنكاره إلى قوم لم يسمهم، فقال: «قال أهل السنة والاستقامة: إن للنبي ﷺ حوضًا يسقي منه المؤمنين، ولا يسقي منه الكافرين، وأنكر قوم الحوض ودفعوه»[(١)].

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن الحوض ثابت بالسنة المتواترة، فمنكره زائغ عن الحق، قال الإمام ابن حزم: «وأما الحوض فقد صحت الآثار فيه، وهو كرامة للنبي ﷺ ولمن ورد عليه من أمته، ولا ندري لمن أنكره متعلَّقًا، ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي ﷺ في هذا وغيره»[(٢)].

وقد ذكر الحافظ ابن كثير عددًا كثيرًا من الصحابة الذين رووا أحاديث الحوض، فقال: «ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي -سقانا الله منه يوم القيامة- من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة المتضافرة، وإن رغمت أنوف كثير من المبتدعة النافرة المكابرة القائلين بجحوده، المنكرين لوجوده، وأَخْلِقْ بهم أن يحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: من كَذَّب بكرامة لم ينلْها. ولو اطلع المنكر للحوض على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالته لم يقُلْها. روى أحاديث الحوض جماعة من الصحابة ﷺ»، ثم ذكر سبعة وثلاثين من الصحابة رووا أحاديث الحوض[(٣)].

الثاني: إجماع السلف على إثبات الحوض والإيمان به، ولم يخالف في ذلك إلا بعض أهل الأهواء، وخلافهم لا يعتد به.

الثالث: ذكر أهل السنة في عقائدهم وجوب الإيمان بالحوض، قال السفاريني: «والحوض والكوثر ثابت بالنص وإجماع أهل السنة والجماعة حتى عده أهل السنة في العقائد الدينية لأجل الرد على أهل البدع والضلال»[(٤)].

(١) مقالات الإسلاميين (ص٤٧٣). (٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٥٥).
(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٤٢٣-٤٢٤).
(٤) شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، للسفاريني (١/ ٥٣٧).

وقال القاضي عياض: «حديث الحوض صحيح، والإيمان به واجب، والتصديق به من الإيمان، وهو على وجهه عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يحال عن ظاهره، خلافًا لمن لم يقل به من المبتدعة النافين له، والمحرفين له بالتأويل عن ظاهره. وهو حديث ثابت متواتر النقل، رواه جماعة من الصحابة»(١).

وقال الإمام أبو العباس القرطبي: «ومما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به، أن الله تعالى قد خص نبيَّه محمدًا ﷺ بالكوثر الذي هو الحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه وآنيته في الأحاديث الكثيرة الصحيحة الشهيرة، التي يحصل بمجموعها العلم القطعي واليقين التواتري؛ إذ قد روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين؛ في «الصحيحين» منهم نيف على العشرين، وباقيهم في غيرهما مما صح نقله واشتهرت روايته، ثم قد رواها عن الصحابة من التابعين أمثالهم، ثم لم تزل تلك الأحاديث مع توالي الأعصار، وكثرة الرواة لها في جميع الأقطار، تتوفر همم الناقلين لها على روايتها وتخليدها في الأمهات وتدوينها، إلى أن انتهى ذلك إلينا، وقامت به حجة الله علينا، فلزمنا الإيمان بذلك، والتصديق به كما أجمع عليه السلف، وأهل السنة من الخلف»(٢).

۞ خامسًا: خصوصية أمة النبي ﷺ بالورود على حوضه وكثرتهم وسيماهم:

هذا الحوض الذي أكرم الله به نبينا محمدًا ﷺ خاص بأمته، لما ورد أن الرسول ﷺ يذود الناسَ عن حوضه كما تذاد الإبل الغريبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن حوضي أبعد من أيلة من عدن لهو أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه،**

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٢٦٠).
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٦/ ٩٠).

كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه» قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: «**نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون عليَّ غرًّا، محجَّلين من أثر الوضوء**»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: «والحكمة في الذَّوْد المذكور أنه ﷺ يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه على ما تقدم أن لكل نبي حوضًا، وأنهم يتباهون بكثرة من يتبعهم، فيكون ذلك من جملة إنصافه ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلًا عليهم بالماء، ويحتمل أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض، والعلم عند الله تعالى»[(٢)].

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «وقد ورد في أحاديث: أن لكل نبي حوضًا، وإن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردًا، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه»[(٣)].

۞ سادسًا: الفرق بين الحوض والكوثر:

الفرق بينهما -كما جاء في النصوص- من وجهين:

الأول: أن الحوض في أرض المحشر، أما الكوثر فهو في الجنة.

الثاني: أن الحوض فرع عن الكوثر؛ لأن ماءه من نهر الكوثر في الجنة؛ لحديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال: «**والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، أَلَا في الليلة المظلمة المصحية**[(٤)] **آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه**

(١) أخرجه مسلم (ح٢٤٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٧٤).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٨١).

(٤) «بتخفيف ألا وهي التي للاستفتاح... **والمراد بالمظلمة:** التي لا قمر فيها مع أن النجوم طالعة؛ فإن وجود القمر يستر كثيرًا من النجوم» (شرح النووي على مسلم ١٥/ ٦٠).

أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل»[(١)][(٢)].

وقد يطلق الكوثر على الحوض من باب التغليب، كما جاء في حديث المختار بن فلفل عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**أنزلت علي آنفًا سورة**»، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر]، ثم قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربي** عَزَّوَجَلَّ**، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم...**» الحديث[(٣)].

قال الحافظ ابن حجر: «وجاء إطلاق الكوثر على الحوض في حديث المختار بن فلفل عن أنس في ذكر الكوثر: هو حوض ترد عليه أمتي[(٤)]»[(٥)].

۞ سابعًا: أول الناس ورودًا الحوض:

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن أول من يشرب من حوض النبي ﷺ هم فقراء المهاجرين، فعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، أول الناس ورودًا عليه فقراء المهاجرين، الشُّعْثُ رؤوسًا، الدُّنْسُ ثيابًا، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد**»[(٦)].

---

(١) **يَشخُب**: يسيل. انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ٦٠).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٣٠٠).

(٣) أخرجه مسلم (ح٤٠٠).

(٤) هو الحديث السابق.

(٥) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٤٦٧).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٣٧/ ٥٠-٥١)، والترمذي (ح٢٤٤٤)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٠٦٠).

۞ ثامنًا: المحرومون من ورود الحوض، وأسباب حرمانهم:

أخبر النبي ﷺ أن هناك من يحرم ويذاد عن الشرب من حوضه ﷺ، **ومنهم:**

١- **المرتدون الذين ارتدوا على أدبارهم القهقرى**، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحدِّث أن رسول الله ﷺ قال: «**يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي، فَيُحَلَّئُون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**»[(١)]، وقد اختلف في حقيقة الردة المذكورة في الحديث، فقيل: هم الذين ارتدوا على عهد أبي بكر رضي الله عنه، فقاتلهم أبو بكر حتى قتلوا وماتوا على الكفر، فهو على ظاهره، والمراد بـ(أمتي): أمة الدعوة، لا أمة الإجابة، وقيل: يحتمل أن يكونوا منافقين، أو من مرتكبي الكبائر[(٢)].

٢- **المبتدعة الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه**، كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن معي رجال منكم ثم ليختلجن دوني، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[(٣)]، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنَّا قد رأينا إخواننا**» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**» فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «**أرأيت لو أن رجلًا له خيل غرٌّ محجَّلة بين ظهري خيل دُهْم بُهْم ألا يعرف خيله؟**» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «**فإنهم يأتون غرًّا محجَّلين من الوضوء، وأنا فرَطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك، فأقول: سُحْقًا سُحْقًا**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٨٥). (٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٧٦)، ومسلم (ح٢٢٩٧).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٤٩). وقد ذكر الإمام النووي أقوال العلماء في المراد بهذا الحديث، =

قال الإمام ابن عبد البر: «كل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، والله أعلم»[(١)][(٢)].

وقال القرطبي: «قال علماؤنا -رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردًا مَن خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم؛ كالخوارج على اختلاف فِرَقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدِّلون، وكذلك الظَّلَمة المسرفون في الجَوْر والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفِّون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع. ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به، ثم يقال لهم: سحقًا، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على

= فقال: «**هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال:**

أحدها: أن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل، فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك، **أي:** لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

والثاني: أن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده فيناديهم النبي ﷺ، وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيُدخلهم الجنة بغير عذاب، قال أصحاب هذا القول: ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل، ويحتمل أن يكون كانوا في زمن النبي ﷺ وبعده، لكن عرفهم بالسيما» (شرح النووي على مسلم ٣/ ١٣٦-١٣٧).

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٠/ ٢٦٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٣٦-١٣٧).

عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر، فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم: سحقًا سحقًا، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. وقد يقال: إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر إنه وإن ورد الحوض وشرب منه فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يعذَّب بعطش، والله أعلم»(١).

۞ تاسعًا: وجود الحوض الآن والأدلة على ذلك:

الحوض موجود الآن، ومما يدل على ذلك حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج يومًا، فصلى على أهل أحُدٍ صلاتَه على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: «**إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن...**»(٢).

قال الإمام النووي: «قوله ﷺ: (وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن) هذا تصريح بأن الحوض حوض حقيقي على ظاهره كما سبق، وأنه مخلوق موجود اليوم»(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «قوله: (والله إني لأنظر إلى حوضي الآن) يحتمل أنه كشف له عنه لما خطب، وهذا هو الظاهر، ويحتمل أن يريد رؤية القلب»(٤).



(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧١٠-٧١١).
(٢) أخرجه البخاري (ح١٣٤٤)، ومسلم (ح٢٢٩٦).
(٣) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٥٩).
(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٧٥).



المبحث الرابع عشر

الصراط

۞ أولًا: تعريفه:

الصراط هو: الجسر الممدود على متن جهنم، قال الإمام البخاري: «باب الصراط جسر جهنم»، قال الحافظ ابن حجر: «أي: الجسر المنصوب على جهنم»[(١)].

وقال الإمام النووي: «هو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم، أي: منازلهم، والآخرون يسقطون فيها، أعاذنا الله الكريم منها»[(٢)].

وقال الإمام ابن أبي العز: «هو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظُّلْمة التي دون الصراط»[(٣)].

۞ ثانيًا: أدلته:

قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝﴾ [البلد: ١١]، قال أبو إسحاق الثعلبي: «قال مجاهد والضحاك والكلبي: هي الصراط يضرب على جهنم»[(٤)]، وهو

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٤٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (٣/ ٢٠)، وانظر: الواسطية (ص٩٩).

(٣) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٠٥).

(٤) الكشف والبيان (١٠/ ٢١٠).

أحد الأقوال في تفسير الآية.

وقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» في «باب الصراط جسر جهنم» حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل، وفيه: «...ويضرب جسر جهنم» قال رسول الله ﷺ: «**فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم**»(١).

وفي حديث أبي هريرة في «الصحيحين»: «**... ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم...**»(٢).

۞ ثالثًا: الرد على المخالفين إجمالًا:

أنكر بعض المعتزلة الصراط، وقالوا: «هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك، واستحق من الله تعالى النار»(٣).

وأنكره أيضًا بعض الجهمية، قال الإمام أبو الحسين الملطي: «ومنهم صنف أنكروا الصراط؛ أن يكون الله عَزَّ وَجَلَّ يجيز على الصراط أحدًا»(٤).

ويرد عليهم من وجوه:

الأول: أن قولهم مبتدع محدَث، مخالف لإجماع سلف الأمة وأئمتها.

الثاني: أنه تأويل للنصوص عن ظاهرها بلا دليل.

الثالث: أن الأحاديث الصحيحة صريحة في إثبات صراط حسي يمر عليه جميع الخلق، وما جاء في وصفه في هذه الأحاديث من أن فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة، وأنه مدحضة مزلة يبطل تأويله بالأدلة الدالة على الطاعات والمعاصي، كما ذهب إليه بعض المعتزلة، ففي حديث أبي هريرة

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح٧٤٣٧)، ومسلم (ح١٨٢).

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٨)، وانظر: مقالات الإسلاميين (ص٤٧٢).

(٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص٩٨).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل: «**وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم**»(١)، وفي حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**... وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار**»(٢).

۞ رابعًا: صفة الصراط:

جاء في السنة النبوية وصف الصراط بعددٍ من الأوصاف، منها:

١- أنه أدق من الشعر.

٢- أنه أحَدُّ من السيف.

٣- أنه مدحضة مزلة، وعليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله.

٤- أن الناس يمرون عليه على قدر أعمالهم، فناج مسلَّم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم.

وقد دل على هذه الصفات أحاديث كثيرة، منها ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**...لجهنم جسر أدق من الشعر، وأحَدُّ من السيف، عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والرِّكاب، والملائكة يقولون: رب سلِّم، رب سلم، فناج مسلَّم، ومخدوش مسلم، ومكور في النار على وجهه**»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**... ثم يؤتى بالجسر، فيُجعل بين ظهري جهنم**»، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «**مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب،**

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٧٣). (٢) أخرجه مسلم (ح١٩٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤١/ ٣٠٣)، قال الهيثمي: «رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقد وُثِّق، وبقية رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٩).

فناج مسلَّم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا»[١].

واختلف العلماء في وصف الصراط بأنه أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف على قولين:

الأول: أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، فهو وصف معنوي لا حسي، قال القرطبي: «ذهب بعض من تكلم على أحاديث هذا الباب في وصف الصراط بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف، أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى لخفائها وغموضها، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي: (دقيقًا)، فضرب المثل له بدقة الشعر، فهذا والله أعلم من هذا الباب.

ومعنى قوله: «وأحَدُّ من السيف»: أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حَدِّ السيف ومضيه إسراعًا منهم إلى طاعته وامتثاله، ولا يكون له مرد كما أن السيف إذا نفذ بحدة وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مردٌّ»[٢].

الثاني: أن الصراط نفسَه أحَدُّ من السيف وأدق من الشعر، وهذا -كما يقول القرطبي: «مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبيه، وأن فيه كلاليب وحسكًا، أي: أن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من يزل ثم يقوم، وفيه أن من الذين يمرون عليه من يعطى النور بقدر موضع قدميه، وفي ذلك إشارة إلى أن للمارِّين عليه موطئ الأقدام، ومعلوم أن دقة الشعر لا يحتمل هذا كله»[٣].

وقد أشار شيخنا ابن عثيمين إلى هذا الخلاف بين أهل العلم في معنى هذا

---

(١) أخرجه البخاري (ح٧٤٣٩).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧٥٨).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧٥٨)، وانظر: فيض القدير (٢/ ١٧١).

الوصف، فقال: «وقد اختلف العلماء في كيفيته؛ فمنهم من قال: طريق واسع يمر الناس على قدر أعمالهم؛ لأن كلمة الصراط مدلولها اللغوي هو هذا، ولأن رسول الله ﷺ أخبر بأنه دحض ومزلة، والدحض والمزلة لا يكونان إلا في طريق واسع؛ أما الضيق فلا يكون دحضًا ومزلة، ومن العلماء من قال: بل هو صراط دقيق جدًّا، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري: أنه أدق من الشعر وأحدُّ من السيف»[١].

والراجح هو القول الأول؛ لوجهين:

الأول: ما ورد في وصفه بأن الملائكة يقفون على جنبيه، وأنه دحض مزلة.

الثاني: أن كلمة الصراط في مدلولها اللغوي تعني: الطريق الواسع، والعلم عند الله جل وعلا.

۞ خامسًا: العبور على الصراط:

اختلف العلماء في العبور على الصراط، هل العبور عام للمؤمنين والكافرين؟ أم يختص بالمسلمين من الأولين والآخرين؟ **على قولين:**

الأول: أنه عام للناس كلهم، قال الإمام النووي: «هو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم؛ أي: منازلهم، والآخرون يسقطون فيها، أعاذنا الله الكريم منها»[٢].

الثاني: أن الكفار والمشركين لا يمرون على الصراط، بل يساقون من أرض المحشر إلى النار، قال الإمام ابن رجب: «فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، إنما يُقْمعون في النار قبل وضع الصراط»[٣]، ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... **فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق،**

(١) شرح الواسطية (٢/ ١٦٠-١٦١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٢٠).

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لابن رجب الحنبلي (ص٢٣٥-٢٣٦)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (١/ ٤٦٥).

وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم»[١]، وهو اختيار ابن حجر[٢]، وابن باز[٣].

۞ سادسًا: صفة العبور على الصراط، وأحوال الناس في ذلك، وأدلته:

صفة عبور الناس على الصراط: هي أنهم يعبرون على قدر أعمالهم، **«فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عَدْوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم؛ فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مَرَّ على الصراط دخل الجنة»**[٤].

وأما أحوالهم فهم على ثلاثة أقسام: (١) ناجٍ مسلَّم. (٢) ومخدوش مسلَّم. (٣) ومكدوس في نار جهنم.

وقد دل على ذلك أحاديث كثيرة، منها: ما جاء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**... فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس**[٥] **في نار جهنم»**[٦]، قال النووي: «معناه: أنهم ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء أصلًا، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٨٣).
(٢) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٥٢).
(٣) انظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز، على هذا الرابط:
https//:2u.pw/G2ZPP.
(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٦-١٤٧).
(٥) **المكدوس:** الملقى. انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ٢٤٨).
(٦) أخرجه مسلم (ح١٨٣).
(٧) شرح النووي على مسلم (٣/ ٢٩).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «... **لجهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب، والملائكة يقولون: رب سلم، رب سلم، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكور في النار على وجهه**»[١].

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «... **وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم كذلك ثم تحل الشفاعة...**»[٢].

۞ سابعًا: المراد بالورود الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١]:

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾ [مريم: ٧١]، وقد اختلف المفسرون في معنى الورود في هذه الآية، ففسرها ابن مسعود رضي الله عنه وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط[٣]، وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالدخول في النار لكنَّ المؤمنين ينجون منها[٤].

والصحيح -وهو الذي رجحه الإمام النووي وشيخ الإسلام وغيرهما- أنه المرور على الصراط؛ لأن الرسول ﷺ فسر الورود بذلك، قال الإمام النووي: «الصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط، وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها، وينجو الآخرون»[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾، فقد فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه مسلم (ح١٩١).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٥٤، ٢٥٦).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٥٣).
(٥) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٥٨).

في صحيحه عن جابر[(١)]: بأنه المرور على الصراط، والصراط هو الجسر؛ فلا بد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة، من كان صغيرًا في الدنيا ومن لم يكن»[(٢)].

وقال الإمام ابن أبي العز: «الأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط»[(٣)].

۞ ثامنًا: القنطرة؛ تعريفها، والأدلة عليها:

هي: صراط خاص بالمؤمنين بين الجنة والنار، وقيل: هي طرف الصراط مما يلي الجنة، قال الحافظ ابن حجر: «واختلف في القنطرة المذكورة، فقيل: هي من تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل: إنهما صراطان، وبهذا الثاني جزم القرطبي»[(٤)].

ومن الأدلة عليها: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا، أذن لهم بدخول الجنة؛ فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا**»[(٥)].

وفي هذا الحديث دلالة على أن القنطرة غير الصراط، وليست من تتمته كما قيل؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا خلص المؤمنون**»، وقوله: «**حبسوا بقنطرة**».

۞ تاسعًا: حبس المؤمنين على القنطرة، والغرض من ذلك:

إذا خلص المؤمنون من الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، والغرض من ذلك: أن يتقاصَّ المؤمنون ما بينهم من مظالم وقعت منهم في الدنيا، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أذن لهم في دخول الجنة.

---

(١) انظر: صحيح مسلم (ح١٩١).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٩)، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٠٧).
(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٦٠٦).
(٤) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٩٩).
(٥) أخرجه البخاري (ح٢٤٤٠).

قال القرطبي: «**اعلم -رحمك الله- أن في الآخرة صراطين:**

أحدهما: مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو من يلتقطه عنق النار.

فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه -ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم- حبسوا على صراط آخر خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله؛ لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه، وأربى على الحسنات بالقصاص جُرْمه»(١).

قال شيخنا ابن عثيمين: «وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة؛ لأن هذا قصاص أخص؛ لأجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص»(٢).



(١) التذكرة (ص٧٦٧-٧٦٨).

(٢) شرح العقيدة الواسطية، للعثيمين (٢/ ١٦٣).



المبحث الخامس عشر

الشفاعة

۞ أولًا: تعريفها:

الشفاعة لغة: من الشفع، وهو ضد الوتر، قال ابن فارس: «الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين، من ذلك: الشفع خلاف الوتر»(١)، وقال الراغب الأصفهاني: «الشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلًا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى، ومنه: الشفاعة في القيامة»(٢).

واصطلاحًا: «التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة»(٣).

۞ ثانيًا: أدلتها:

دل على ثبوت الشفاعة الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، والجمهور على أن المراد بالمقام المحمود

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٠١).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٤٥٧-٤٥٨)، وانظر: تفسير القرطبي (١/ ٣٧٨)، التحرير والتنوير (١/ ٤٨٦)، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٢٩٣).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٣٠)، وانظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٥/ ١٤٣).

الشفاعة، حتى نقل الواحدي الإجماع على ذلك(١).

والمقام المحمود هو ما ثبت في السنة من شفاعته ﷺ في أهل الموقف عند الله ليقضي بينهم، حين يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون، فيذهبون إلى آدم، فنوح، فإبراهيم، فموسى، فعيسى، وكلهم يعتذرون فيأتون إلى النبي ﷺ، فيشفع فيهم إلى الله فيأتي سبحانه وتعالى للقضاء بين عباده(٢).

قال القاضي عياض: «مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلًا ووجوبها بصريح قوله تعالى: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: ١٠٩]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وأمثالها، وبخبر الصادق سمعًا، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحتها في الآخرة لمذنبي المؤمنين، **وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها**، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها»(٣).

۞ ثالثًا: الشفاعة المثبتة، والشفاعة المنفية:

الشفاعة المثبتة:

هي: الشفاعة الشرعية المقبولة، وهي: ما اجتمعت فيها ثلاثة شروط:

١- رضا الله عن الشافع.

٢- إذنه له.

٣- رضاه عن المشفوع له.

ويدل على هذه الشروط الثلاثة قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]، فتضمنت هذه الآية الشروط الثلاثة، إذن الله للشافع في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾،

(١) انظر: التفسير البسيط (١٣/ ٤٤٣).

(٢) انظر: صحيح البخاري (ح٧٥١٠)، وصحيح مسلم (ح١٩٣).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٦٥).

ورضاه عن الشافع والمشفوع له في قوله: ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾.

وقوله جل وعلا: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

الشفاعة المنفية:

وهي: الشفاعة الشركية الباطلة، وهي: ما يعتقده المشركون في آلهتهم أنها تشفع لهم عند الله، وهي شفاعة غير مقبولة عند الله، وتسميتها شفاعة من باب التنزل، فهم يقولون كما حكى القرآن عنهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وإلا فهي في الحقيقة شرك(١).

رابعًا: وقت الشفاعة لمن دخل النار من الموحدين:

وقت الشفاعة لمن دخل النار من الموحدين لا يعلمه إلا الله، فلم يرد في النصوص ما يبينه؛ **ذلك أن عصاة الموحدين ثلاثة أقسام:**

١- قسم يغفر الله له، ولا يدخل النار أصلًا، إما بالشفاعة، أو برحمة الله وعفوه.

٢- وقسم آخر يدخل النار، ويعذَّب بقدر ذنوبه، ثم يخرج.

٣- وقسم يدخل النار ويعذب ما شاء الله، ثم يخرج من النار قبل أن يستكمل ما يستحقه من العذاب بشفاعة الشفعاء، أو برحمة الله سبحانه(٢).

وهذا القدر الذي يعذب به العصاة لا يعلم شدته ولا مدته إلا الله تعالى؛ «فإن أحوالهم في التعذيب تختلف بحسب أعمالهم، وأما الكفار فإنهم في الغمرات»(٣).

---

(١) انظر: شرح السفارينية (ص٤٨٧).

(٢) انظر: فتاوى نور على الدرب (٤/ ٢) ترقيم المكتبة الشاملة.

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٩٤).

فعن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع نبي الله ﷺ، يقول: «**إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى عنقه**»(١).

قال الحافظ ابن رجب: «تفاوت عذاب عصاة الموحدين في النار، بحسب أعمالهم»(٢).

خامسًا: شفاعات سيد المرسلين ﷺ:

الشفاعات الخاصة بالرسول ﷺ ثلاث:

١- **الشفاعة العظمى في أهل الموقف يوم القيامة**، فيشفع لهم حتى يُقْضَى بينهم، وقد تكاثرت النصوص في إثباتها، وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩](٣)، وهي مجمع عليها لم ينكرها أحد(٤).

٢- **الشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها**، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة**»(٥).

٣- **شفاعته في عمه أبي طالب حتى يخفف العذاب عنه**، ودليله حديث العباس ابن عبد المطلب، قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»(٦). قال القرطبي: «فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]. قيل له: لا تنفع في الخروج من النار؛ كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة»(٧).

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٨٤٥).

(٢) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص١٨٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٠٤)، وراجع: صحيح البخاري (ح٤٧١٨، ح٧٤٤٠).

(٤) انظر: لوامع الأنوار، للسفاريني (٢/ ٢١١)، لكن ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن بعض الوعيدية من الخوارج والمعتزلة أنكر الشفاعة مطلقًا. انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٣١٤).

(٥) أخرجه مسلم (ح١٩٦).

(٦) أخرجه البخاري (ح٦٢٠٨)، ومسلم (ح٢٠٩).

(٧) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٦٠٨).

۞ سادسًا: الشافعون، وأنواع الشفاعات:

الشافعون هم: النبيون، والملائكة، والمؤمنون، كما جاء في حديث الشفاعة الطويل: «**فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين**»(١).

والشفاعة نوعان:

الأولى: الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ، وسبق ذكرها.

الثانية: الشفاعة العامة لجميع الخلق من الأنبياء والصالحين، **وهي أنواع:**

١- **الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها**، وهي خاصة بعصاة الموحدين، وقد نص عليها جمع من أهل العلم؛ كالنووي(٢)، وابن تيمية(٣)، وابن حجر(٤)، وابن باز(٥)، واستُدِلَّ عليها بحديث حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، وفيه: «... **ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلِّمْ سلِّمْ**»(٦)، وليس فيه دلالة صريحة على الشفاعة، ولذا توقف الإمام ابن القيم في إثباتها(٧).

لكن يمكن الاستدلال على هذا النوع، بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»(٨)؛ لدخوله في عموم هذا الحديث؛ حيث يشمل الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ومن دخلها

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٨٣).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٣٥).

(٣) انظر: الواسطية (ص١٠١). (٤) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٢٨).

(٥) انظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز، على هذا الرابط:
https//:2u.pw/7MOXI.

(٦) أخرجه مسلم (ح١٩٥).

(٧) انظر: حاشية ابن القيم (تهذيب سنن أبي داود)، ضمن كتاب: عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي (١٣/ ٥٦).

(٨) أخرجه أحمد في المسند (٢٠/ ٤٣٩)، وأبو داود (ح٤٧٣٩)، والترمذي (ح٢٤٣٥)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه الحافظ ابن كثير (تفسير ابن كثير ٢/ ٢٨٤).

أن يخرج منها، والله أعلم.

٢- **الشفاعة لمن دخل النار أن يخرج منها**، والأحاديث فيها متواترة عنه ﷺ، ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين**»[(١)]، وقد أجمع عليها سلف الأمة وأئمتها، وبدَّعوا من أنكرها[(٢)].

٣- **الشفاعة لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم**، وهذه الشفاعة متفق عليها، لم ينازع فيها أحد[(٣)]، قال الإمام ابن القيم: «وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي ﷺ لأبي سلمة، وقوله: «**اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين**»[(٤)]، وقوله في حديث أبي موسى: «**اللهم اغفر لعُبَيدٍ أبي عامر، واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك**»[(٥)]»[(٦)].

٤- **الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم**، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة. قال الحافظ ابن حجر: «ومستندها ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «السابق يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي ﷺ»[(٧)]»[(٨)].

٥- **الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب**، قال الحافظ ابن كثير: «ولم أر لهذا شاهدًا فيما علمت... ثم تذكرتُ حديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير

---

(١) أخرجه مسلم (ح٦٥٥٩).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٤٨).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٤٨).
(٤) أخرجه مسلم (ح٩٢٠).
(٥) أخرجه البخاري (ح٢٨٨٤)، ومسلم (ح٢٤٩٨).
(٦) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (تهذيب سنن أبي داود)، مطبوع بحاشية: عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٣/ ٥٦).
(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٨٩)، لكن قال الهيثمي: «فيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، وهو وضَّاع». مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٨).
(٨) فتح الباري (١١/ ٤٢٨).

حساب، والحديث مخرَّج في «الصحيحين». . . وهو يناسب هذا المقام»[(١)]، وقال الإمام ابن أبي العز: «ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عُكاشة بن محصن، حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب[(٢)]»[(٣)].

وأصرح منه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سألت الله عز وجل الشفاعة لأمتي، فقال: لك سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب. قلت: زدني، قال: لك مع كل ألف سبعون ألفًا. قلت: زدني، قال: فإن لك هكذا وهكذا وهكذا**»، فقال أبو بكر: حسبنا، فقال عمر: يا أبا بكر، دع رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: يا عمر، إنما نحن حفنة من حفنات الله[(٤)].

ويُخرج الله من النار أقوامًا بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

۞ سابعًا: موجبات[(٥)] حصول الشفاعة:

١- **تحقيق التوحيد:** عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه، أو نفسه**»[(٦)]،

(١) النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٢٠٧).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٨٩).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٤٨٢)، والآجري في الشريعة (ح٧٩٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٨٧٩).
(٥) كذا في المنهج المعتمد، وتكرر استعماله في مواضع أخرى، والأَوْلَى التعبير بالأسباب؛ وذلك لأنه يوهم الوجوب على الله، ولا يجب على الله تعالى إلا ما أوجبه على نفسه.
(٦) أخرجه البخاري (ح٩٩).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الشفاعة: سببها توحيد الله وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له، فكل من كان أعظم إخلاصًا كان أحق بالشفاعة كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة؛ فإن الشفاعة من الله مبدؤها وعلى الله تمامها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه، وهو الذي يأذن للشافع، وهو الذي يقبل شفاعته في المشفوع له، وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي بها يرحم الله من يرحم من عباده، وأحق الناس برحمته هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص (لا إله إلا الله) علمًا وعقيدةً وعملًا وبراءة وموالاة ومعاداة، كان أحقَّ بالرحمة»(٢).

٢- **قراءة القرآن:** عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**»(٣).

٣- **الصيام:** عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفِّعني فيه**»، قال: «**فيُشفَّعان**»(٤).

٤- **الدعاء بما ورد عند الأذان:** عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمدًا**

(١) أخرجه مسلم (ح١٩٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤١٤).
(٣) أخرجه مسلم (ح٨٠٤).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١١/ ١٩٩)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٤٠) وصححه ووافقه الذهبي، قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال الطبراني رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٣/ ١٨١)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٣٨٨٢).

الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة»(١).

٥- سكنى المدينة والصبر على شدتها والموت بها: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا يصبر أحدٌ على لأْوَائِهَا**(٢) [يعني المدينة]، **فيموت، إلا كنتُ له شفيعًا -أو شهيدًا- يوم القيامة إذا كان مسلمًا»**(٣).

٦- من صلى على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «**ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلًا، لا يشركون بالله شيئًا، إلا شفعهم الله فيه»**(٤)، وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه»**(٥).

٧- الإكثار من الصلاة: عن زياد بن أبي زياد، مولى بني مخزوم، عن خادم للنبي صلى الله عليه وسلم، رجل أو امرأة، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم مما يقول للخادم: «**ألك حاجة؟**» قال: حتى كان ذات يوم فقال: يا رسول الله، حاجتي، قال: «**وما حاجتك؟**» قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة، قال: «**ومن دلك على هذا؟**»، قال: ربي، قال: «**إمَّا لا**(٦)**، فأَعِنِّي بكثرة السجود»**(٧).

٨- مصاحبة أهل الإيمان والصلاح: جاء في حديث أبي سعيد الخدري الطويل في الشفاعة: «**... فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق، قد تبين لكم من المؤمن يومئذ**

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦١٤).

(٢) **اللأواء:** الشدة والجوع. (شرح النووي على مسلم ٩/ ١٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (ح١٣٧٤).

(٤) أخرجه مسلم (ح٩٤٨).

(٥) أخرجه مسلم (ح٩٤٧).

(٦) قال السندي: «أي: لا تترك هذه الحاجة» (مسند أحمد ٢٥/ ٤٨٠).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥/ ٤٧٩)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٢/ ٢٤٩).

للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم[(١)]**، يقولون: ربنا إخواننا، كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه، وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا»** قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠][(٢)].

۞ ثامنًا: موجبات الحرمان من الشفاعة:

١- **الشرك:** فلا ينال الشفاعة إلا أهل التوحيد، وقد سبق.

٢- **كثرة اللعن:** عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**إن اللعانين لا يكونون شهداء، ولا شفعاء يوم القيامة**»[(٣)].

٣- **إنكار الشفاعة والتكذيب بها:** عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**من كذَّب بالشفاعة فليس له فيها نصيب**»[(٤)].



(١) **معناه:** «أن المؤمنين إذا نجوا من الصراط يناشدون الله فى إخوانهم، ويشفعون فيهم» (شرح صحيح البخاري، لابن بطال ١٠/ ٤٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٤٣٩).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٥٩٨).
(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (٣/ ١٢١١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦/ ١١٨٢)، وصححه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١١/ ٤٢٦).



المبحث السادس عشر

الجنة

۞ أولًا: تعريفها وأسماؤها:

الجنة هي: «الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين»(١).

وللجنة أسماء كثيرة، منها(٢):

١- **دار السلام:** قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، وسميت بذلك؛ لأنها سالمة من كل بلية وآفة ومكروه.

٢- **دار الخلد:** وسميت بذلك؛ لأن أهلها لا يظعنون عنها أبدًا، كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

٣- **دار المقامة:** قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥] أي: أنزلنا دار الإقامة الدائمة، فلا يموتون ولا يتحولون

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين (ص١٣١).
(٢) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٩٤) وما بعدها.

منها أبدًا.

٤- **جنة المأوى:** قال تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: ١٥] والمأوى مفعل من أوى يأوي، إذا انضم إلى المكان، وصار إليه، واستقر به.

٥- **جنات عدن:** قيل: هو اسم جنة من جملة الجنات، والصحيح: أنه اسم لجملة الجنات، وكلها جنات عدن، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١]، وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٣٣﴾ [فاطر: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]، والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن؛ فإنه من الإقامة والدوام، يقال: عَدَنَ بالمكان، إذا أقام به، وعدَنْتُ البلدَ: توطنته، وعَدَنَتِ الإبل مكان كذا: لزمته فلم تبرح منه.

٦- **دار الحيوان:** قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، والمراد الجنة عند أهل التفسير، أي: لهي دار الحياة الدائمة الحقيقية التي لا موت فيها.

٧- **الفردوس:** قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧﴾ [الكهف: ١٠٧]، والفردوس اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات، وأصل الفردوس البستان.

٨- **المقام الأمين:** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١﴾ [الدخان: ٥١]، والمقام الأمين موضع الإقامة، والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه، وهو الذي قد جمع صفاتِ الأمن كلَّها، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج والنغص والنكد.

٩- **مقعد الصدق:** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] فسمى الجنة مقعد صدق؛ لحصول كل ما يراد من المقعد

الحسن فيها.

١٠- جنات النعيم: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [لقمان: ٨] وهذا اسم جامع لجميع الجنات؛ لما تضمنته من الأنواع التي يتنعَّم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة، وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

۞ ثانيًا: الأدلة على الجنة:

الأدلة على الجنة كثيرة جدًّا في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة: ٨٢]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢].

والآيات في ذلك كثيرة جدًّا، فقد ورد ذكر الجنة في القرآن بصيغة المفرد في (٦٦) موضعًا، وجاءت بصيغة الجمع في (٦٩) موضعًا في كتاب الله تعالى(١).

كما استفاضت الأحاديث في ذلك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار**»، ثم يقول الله تعالى: «**أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان...**» الحديث(٢).

وعن أسماء، قالت: أتيت عائشة وهي تصلي فقلت: ما شأن الناس؟ فأشارت إلى السماء، فإذا الناس قيام، فقالت: سبحان الله، قلت: آية؟ فأشارت برأسها: أي نعم، فقمت حتى تجلاني الغشي، فجعلت أصب على رأسي الماء، فحمد الله عز وجل النبي ﷺ وأثنى عليه، ثم قال: «**ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي، حتى الجنة والنار...**» الحديث(٣).

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص١٨٠-١٨١).

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (ح٨٦).

وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**» قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «**رأيت الجنة والنار**»(١).

وغيرها كثير.

۞ ثالثًا: وجود الجنة الآن، ومكانها، والأدلة على ذلك:

دلت نصوص الكتاب والسنة وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الجنة مخلوقة وموجودة الآن، **أما الكتاب** فقوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: ١٣- ١٥]، وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، وهذه الآيات وغيرها صريحة الدلالة على أن الجنة موجودة الآن.

قال الشيخ السعدي: «وفي قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان خلافًا للمعتزلة»(٢).

وأما السنة، فقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى، كما في حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفي آخره: «**... ثم انطلق بي جبرائيل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»(٣).

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن**

(١) أخرجه مسلم (ح٤٢٦).
(٢) تفسير السعدي (ص٤٦).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٤٩)، ومسلم (ح١٦٣).

كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[١].

أما الإجماع، فقد قال الإمام ابن أبي العز: «اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة!! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله! وأنه ينبغي أن يفعل كذا! ولا ينبغي له أن يفعل كذا!! وقاسوه على خلقه في أفعالهم؛ فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة! وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث؛ لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة!! فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم»[٢].

۞ رابعًا: أبدية الجنة مع ذكر الأدلة:

أجمع أهل السنة على أبدية الجنة، وأنها لا تفنى ولا تبيد، وهذا مما يعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ أخبر به، ودلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [النساء: ٥٧].

وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

وأما الأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها فكثيرة، منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول:**

(١) أخرجه البخاري (ح١٣٧٩)، ومسلم (ح٢٨٦٦).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦١٤-٦١٥).

وهل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت»[(١)].

وأما قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٨]؛ أي: غير مقطوع، فقد اختلف السلف في المراد بهذا الاستثناء.

قال الإمام ابن أبي العز: «واختلف السلف في هذا الاستثناء؛ فقيل: معناه إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها، لا لكلهم. وقيل: إلا مدة مقامهم في الموقف. وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف. وقيل: هو استثناء استثناه الرب ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل تجزم بضربه. وقيل: (إلا) بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو ضعيف... وقيل: الاستثناء لإعلامهم، بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، لا أنهم يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ [الإسراء: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، وقوله: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ [يونس: ١٦]. ونظائره كثيرة، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وقيل: إن (ما) بمعنى (من) أي: إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء. وقيل غير ذلك. وعلى كل تقدير، فهذا الاستثناء من المتشابه، وقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ محكم، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤]، وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٧٣٠)، ومسلم (ح٢٨٤٩).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٢٢-٦٢٣)، وانظر: حادي الأرواح (ص٣٤٥-٣٤٧).

والراجح أحد قولين:

١- إما أن الاستثناء يعود إلى المدة التي شاء الله جل وعلا ألا يكونوا في الجنة قبل دخولها، وهي مدة البرزخ والموقف، ويدل على ذلك أنه ختم الآية بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، يعني: غير مقطوع، وهو تأكيد لدوام نعيمها.

٢- أو المراد بالاستثناء بيان عموم مشيئة الله تعالى، وأنه لا يخرج شيء عن مشيئته، قال شيخنا البراك: «وأحسن ما قيل: إن المراد بيان أن بقاءهم إنما هو بمشيئة الله، كما أن بقاء أهل الجنة في الجنة إنما هو بمشيئة الله، فبقاء الرب تعالى ودوام وجوده ذاتي، أما بقاء أهل الجنة أبد الآباد فبإبقائه سبحانه وتعالى ومشيئته»[(١)].

«وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] تبين أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذاك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها»[(٢)].

خامسًا: صفة الجنة:

ورد في الكتاب والسنة بعض صفات الجنة، ومن ذلك:

١- **مكانها: الجنة في السماء**، أي: في العلو، وليس المقصود السماوات، بل عرضها كعرض السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣ - ١٥].

قال الإمام ابن القيم: «وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء، وسميت بذلك؛ لأنها ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها، وما يصعد إليه

(١) شرح العقيدة الطحاوية، للبراك (ص٣١٨).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٢٣-٦٢٤).

فيقبض منها»(١)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة** -أراه- **فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»(٢)، قال الإمام ابن القيم: «قال شيخنا أبو الحجاج المزي: والصواب رواية من رواه (وفوقُه) بضم القاف على أنه اسم لا ظرف، أي: وسقفه عرش الرحمن»(٣).

٢- **أبوابها:** قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال جل وعلا: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: ٥٠]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة**»(٤)، كما ثبت أن عددها ثمانية، ففي حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء**»(٥)، ومن هذه الأبواب باب يسمى الريان لا يدخل منه إلا الصائمون، كما في حديث سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**إن في الجنة بابًا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**»(٦).

٣- **عددها:** قال جل وعلا: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]، ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن: ٦٢]، قال الإمام ابن القيم: «فهذه

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٦٥).
(٢) أخرجه البخاري (ح٢٧٩٠).
(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٦٧).
(٤) أخرجه البخاري (ح١٨٩٨)، ومسلم (ح١٠٧٩).
(٥) أخرجه البخاري (ح٣٤٣٥)، ومسلم (ح٢٨).
(٦) أخرجه البخاري (ح١٨٩٦)، ومسلم (ح١١٥٢).

أربع، وقد اختلف في قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين»[(١)]، وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ، فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك، اجتهدت عليه في البكاء، قال: «**يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**»[(٢)]، وعن عبد الله بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن**»[(٣)].

٤- **بناؤها:** عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: «**لبنة ذهب ولبنة فضة، ومِلاطها**[(٤)] **المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**»[(٥)].

٥- **غرفها:** قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقال جل وعلا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥﴾ [الفرقان: ٧٥]، وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**إن في الجنة غرفًا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها**»، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام،**

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٨٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (ح٤٨٧٨)، ومسلم (ح١٨٠).

(٤) **الملاط:** الطين يجعل بين ساقتي البناء، يملط به الحائط أي: يصلح (جامع الأصول، لابن الأثير ١٠/ ٤٩٨).

(٥) أخرجه الترمذي (ح٢٥٢٦)، وأحمد في المسند (١٣/ ٤١٠)، والطيالسي في المسند (ح٢٧٠٦)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٦).

وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»(١).

٦- آنيتها: آنية طعام أهل الجنة التي يأكلون منها هي الذهب والفضة، قال سبحانه: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١]، وقال جل وعلا: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨]، وعن حذيفة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة**»(٢).

٧- طعامها: في الجنة ما تشتهيه الأنفس من المآكل والمشارب، قال سبحانه: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الطور: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال جل وعلا: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: ٢٠، ٢١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الطور: ١٧ - ١٩]، وقال جل وعلا: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، عن ابن عباس، قال: «ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الأسماء»(٣)، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جُشاء كرشح المسك، يلهمون التسبيح والحمد، كما تلهمون النفس**»(٤).

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه الترمذي (ح١٩٨٤)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢١٢٣).
(٢) أخرجه البخاري (ح٥٤٢٦)، ومسلم (ح٢٠٦٧).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٤١٦).
(٤) أخرجه مسلم (ح٢٨٣٥).

۞ سادسًا: صفة أهلها:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوَّطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة[(١)] الألنجوج عود الطيب[(٢)]، وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعًا في السماء**»[(٣)].

❊ وأكثر أهل الجنة من أمة محمد ﷺ، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟**» قال: فكبرنا، ثم قال: «**أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟**» قال: فكبرنا، ثم قال: «**إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض**»[(٤)].

❊ وأما زوجاتهم فقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ [النساء: ٥٧]، قال الإمام ابن القيم: «المطهرة مَن طَهُرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق، وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن

---

(١) **هي** -بضم اللام وفتح الهمزة وضمها: العود يتبخر به، وهي لفظة فارسية معربة. انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٠).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: «الأَلَنْجُوج -بفتح الهمزة واللام وسكون النون، بجيمين الأولى مضمومة والواو ساكنة- هو العود الذي يتبخر به، ولفظ (الألنجوج) هنا تفسير (الألوة) و(العود) تفسير التفسير» (فتح الباري ٦/ ٣٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (ح٣٣٢٧)، ومسلم (ح٢٨٣٤).

(٤) أخرجه البخاري (ح٦٥٢٨)، ومسلم (ح٢٢١).

يعرض لها دنس أو وسخ»[١]، وقال تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠]، و«الحور: جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين»[٢]، وقال سبحانه في وصفهن: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٨، ٤٩]، «والمفسرون كلهم على أن المعنى قصَرْنَ طرْفَهنَّ على أزواجهنَّ، فلا يطمحن إلى غيرهم»[٣]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لكل امرئ زوجتان من الحور العين، يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم**»[٤]، وجاء في أحاديث أخرى الزيادة على زوجتين، قال الإمام ابن القيم: «الأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين، وليس في الصحيح زيادة على ذلك؛ فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة؛ فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة كالخدم والولدان»[٥].

۞ سابعًا: درجات الجنة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الجنة درجات متفاضلة تفاضلًا عظيمًا، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم»[٦]، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما**

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٢١٧).
(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٢١٨).
(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٢٢٠).
(٤) أخرجه البخاري (ح٣٢٥٤).
(٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٢٣٢).
(٦) مجموع الفتاوى (١١/ ١٨٨).

بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»[١] .

۞ ثامنًا: موجبات دخول الجنة:

❊ جاء في القرآن آيات كثيرة فيها بيان الأعمال التي يستحق فاعلها دخول الجنة، **ومنها:**

١- **الإيمان والعمل الصالح**، قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥].

٢- **الإخلاص:** قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ [الصافات: ٤٠ - ٤٣].

٣- **الصبر والتوكل:** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩].

٤- **الاستقامة على العمل الصالح:** قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

٥- **الخوف من الله:** قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

❊ كما ورد في السنة أحاديث كثيرة فيها أيضًا بيان للأعمال التي توجب دخول الجنة، **ومنها:**

عن جابر، أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ، فقال: أرأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئًا، أأدخل الجنة؟ قال: «**نعم**»، قال: والله لا أزيد على ذلك شيئًا[٢] .

قال الحافظ ابن رجب: «هذا الحديث يدل على أن من قام بالواجبات،

---

(١) أخرجه البخاري (ح٢٧٩٠). (٢) أخرجه مسلم (ح١٥).

وانتهى عن المحرمات دخل الجنة، وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بهذا المعنى، أو ما هو قريب منه»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًّا أتى النبي ﷺ، فقال: دُلَّني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى، قال النبي ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا**»[(٢)].

وعن طلحة بن عبيد الله، أن أعرابيًّا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة؟ فقال: «**الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئًا**»، فقال: أخبرني ما فرض الله عليَّ من الصيام؟ فقال: «**شهر رمضان إلا أن تطوع شيئًا**»، فقال: أخبرني بما فرض الله عليَّ من الزكاة؟ فقال: فأخبره رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك، لا أتطوع شيئًا، ولا أنقص مما فرض الله عليَّ شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «**أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق**»[(٣)].

۞ تاسعًا: موجبات الحرمان من دخول الجنة:

الأعمال التي يستحق فاعلها الحرمان من دخول الجنة[(٤)] كثيرة، **منها ما يلي:**

١- **الشرك:** قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢].

٢- **قتل النفس،** عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٥١٤).
(٢) أخرجه البخاري (ح١٣٩٧)، ومسلم (ح١٤).
(٣) أخرجه البخاري (ح١٨٩١).
(٤) هذا يشمل أسباب الحرمان الدائم كالشرك، والحرمان المنقطع كالنميمة.

«**كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكينًا فحز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة**»[(١)].

٣- **الزنا**: عن سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني، والإمام الكذاب، والعائل المزهوُّ**[(٢)]»[(٣)].

٤- **شرب الخمر**: عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر**»[(٤)].

٥- **قطع الأرحام**: عن جبير بن مطعم، أخبره أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[(٥)]، أي: قاطع رحم.

٦- **النميمة**: عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قَتَّات**»[(٦)]، أي: نمام.

٧- **أذى الجار**: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»[(٧)].

٨- **الكبر**: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَرُ الحق، وغمط الناس**»[(٨)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٤٦٣).

(٢) **أي**: الفقير المتكبر على الناس.

(٣) أخرجه البزار في مسنده (البحر الزخار ٦/ ٤٩٣)، وقال الهيثمي: «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير العباس بن أبي طالب، وهو ثقة» (مجمع الزوائد ٦/ ٢٥٥)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٣٤٦١).

(٤) أخرجه ابن ماجه (ح٣٣٧٦)، وقال البوصيري: «هذا إسناد حسن» (مصباح الزجاجة ٤/ ٣٩).

(٥) أخرجه البخاري (ح٥٩٨٤)، ومسلم (ح٢٥٥٦).

(٦) أخرجه البخاري (ح٦٠٥٦)، ومسلم (ح١٠٥).

(٧) أخرجه مسلم (ح٤٦).

(٨) أخرجه مسلم (ح٩١).

٩- التبرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»(١).



(١) أخرجه مسلم (ح٢١٢٨).



المبحث السابع عشر

رؤية الله في الجنة، أدلتها وصفتها

«رؤية الله سبحانه في الآخرة ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع السلف»[(١)]، وقد تنوعت الأدلة من القرآن على إثبات الرؤية، **ومن أظهرها ثلاثة أنواع:**

الأول: التصريح بالنظر، **والثاني:** نفي الإدراك، **والثالث:** حجب أعداء الله عن رؤية الله[(٢)].

۞ النوع الأول: التصريح بالنظر:

١- **ومن أدلة هذا النوع:** قوله جل وعلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وذكر الإمام ابن أبي العز أنها من أظهر أدلة الرؤية[(٣)].

٢- ومنها قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق: ٣٥]، قال علي ابن أبي طالب وأنس بن مالك رضي الله عنهما: هو النظر إلى وجه الله تعالى[(٤)].

٣- ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، كما روى مسلم في «صحيحه» عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك**

(١) شرح السفارينية (ص٥١٣).

(٢) انظر: شرح السفارينية (ص٥١٤).

(٣) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٠٨).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٠).

وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ»(١) ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أخر، معناها أن الزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى، وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم.

۞ النوع الثاني: نفي الإدراك:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِىۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، **ووجه الاستدلال بها على ثبوت رؤيته من وجوه:**

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، ولم يقل: إني لا أُرَى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعامًا، فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح: أنه لا يؤكل، أما إذا كان طعامًا صح أن يقال: إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى، **يوضحه:**

الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِىۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرًّا، وذلك ممكن،

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٨١).

وقد علق به الرؤية.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما. وبهذا يتبين أن من احتج بهذه الآية على نفي الرؤية فحجته داحضة، وأنه ما من مبطل يستدل بدليل صحيح صريح إلا وهو حجة عليه لا له[1].

٢- ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، والاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو: أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمرًا وجوديًّا، كمدحه بنفي السِّنة والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه، المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم، المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه، المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته؛ ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمرًا ثبوتيًّا، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه،

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٣-٢١٤).

فإن المعنى: أنه يُرَى ولا يُدْرك ولا يُحَاط به، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو: الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢]، فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علمًا، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه[(١)].

۞ النوع الثالث: حجب أعداء الله عن رؤيته:

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] احتج الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي، وقال الحاكم: حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾؟ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا[(٢)].

❊ وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه، الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن.

فمنها: حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا،

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٣-٢١٤).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٢).

قال: «**فإنكم ترونه كذلك...**»، الحديث(١).

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًّا، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها(٢).

وقد نقل الإجماع على ثبوت رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة جماعة من أهل العلم، منهم الإمام أبو الحسن الأشعري، قال: «وقد روي عن أصحاب رسول الله ﷺ أن الله تعالى تراه العيون في الآخرة، وما روى عن أحد منهم أن الله تعالى لا تراه العيون في الآخرة، فلما كانوا على هذا مجتمعين، وبه قائلين، وإن كانوا في رؤيته تعالى في الدنيا مختلفين، ثبتت في الآخرة إجماعًا»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة»(٤).

وقال ابن القيم: «إن الصحابة والتابعين، وجميع أهل السنة والحديث، والأئمة الأربعة، وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة»(٥).

صفتها:

جاء في حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا عند النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة -يعني البدر- فقال: «**إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩](٦).

قال شيخنا عبد الرحمن البراك: «يعني: ترون ربكم رؤية كرؤيتكم للشمس

(١) أخرجه البخاري (ح٨٠٦)، ومسلم (ح١٨٢).
(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢١٥-٢١٨).
(٣) الإبانة (ص٥١).
(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢).
(٥) مختصر الصواعق المرسلة (ص٤١٢).
(٦) سبق تخريجه.

والقمر، **ووجه الشبه بين الرؤيتين:**

أولًا: أنها رؤية بصرية لا علمية، ونفاة الرؤية يفسرون هذه الرؤية بالرؤية العلمية، أي: يزداد علمهم بالله يوم القيامة، لا أنهم يرونه بأبصارهم.

ثانيًا: أنهم يرونه في العلو كما يُرى القمران في العلو.

ثالثًا: أنها رؤية من غير إحاطة، فالمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة من غير إحاطة، كما أن الناس في الدنيا يرون الشمس والقمر من غير إحاطة»[١].



(١) شرح الطحاوية (ص١١٦).



المبحث الثامن عشر

النار

۞ أولًا: تعريف النار:

هي: «الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين»[(١)].

۞ ثانيًا: أسماؤها:

١- **الهاوية**: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٨ - ١١]، قال القرطبي: «وسميت النار هاوية، لأنه يهوى فيها مع بعد قعرها»[(٢)].

٢- **الجحيم**: قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩]، قال القرطبي: «الجحيم: النار الشديدة الاتقاد. يقال: جحم فلان النار إذا شدد إيقادها»[(٣)].

٣- **جهنم**: قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢]، وقال جل وعلا: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨]، قال ابن منظور:

---

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص١٣١).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٧).

(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٢٦٠).

«سميت جهنم؛ لبُعْدِ قعرها»[(١)].

٤- **الحُطَمة**: قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦﴾ [الهمزة: ٤ - ٦]، قال الحافظ ابن كثير: «وهي [أي: الحطمة] اسم من أسماء النار صفة؛ لأنها تحطم من فيها»[(٢)].

٥- **اللَّظى**: قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعارج: ١٥، ١٦]، قال الشوكاني: «(لظى) عَلَمٌ لجهنم، واشتقاقها من التلظي في النار وهو التلهب، وقيل: أصله: لظظ بمعنى دوام العذاب، فقلبت إحدى الظاءين ألفًا»[(٣)].

٦- **سقر**: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [القمر: ٤٨]، وقال جل وعلا: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨﴾ [المدثر: ٢٦ - ٢٨]، قال القرطبي: «وإنما سميت سقر من سَقَرَتْه الشمس: إذا أذابته ولوحته، وأحرقت جلدة وجهه»[(٤)].

٧- **السعير**: قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ١٠، ١١]، قال الشوكاني: «السعير: أشد الحريق، يقال: سعرت النار، فهي مسعورة»[(٥)].

٨- **سجِّين**: قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ [المطففين: ٧-٩]، قال الراغب الأصفهاني: «السجِّين: اسم لجهنم، بإزاء علِّيين، وزيد لفظه تنبيهًا على زيادة معناه»[(٦)].

---

(١) لسان العرب (١٢/ ١١٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٨١).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٤٧).
(٤) تفسير القرطبي (١٩/ ٧٧).
(٥) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣١٠).
(٦) المفردات في غريب القرآن (ص٣٩٩)، وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٩).

۞ ثالثًا: الأدلة على النار:

دل على وجود النار الكتاب والسنة، فقد بلغت المواضع التي ورد فيها ذكر النار في القرآن ١٤٥ موضعًا، منها ١٤ موضعًا في «سورة البقرة»، و١١ موضعًا في «سورة آل عمران»(١)، **ومن ذلك:**

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف: ٤٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧].

كما جاءت الأدلة على النار في أحاديث كثيرة، منها حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحيا، أو الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية**»(٢).

وعن ابن عباس، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن**» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قطُّ**»(٣).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير**»(٤).

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص٧٢٣) وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٢)، ومسلم (١٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (ح٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (ح٤٤)، ومسلم (ح١٩٢).

۞ رابعًا: وجود النار الآن، ومكانها، والأدلة على ذلك:

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على أن النار موجودة الآن.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، قال الحافظ ابن كثير: «وقد استدل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن لقوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾ أي: أرصدت وهيئت»[(١)]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾﴾ [النبأ: ٢١، ٢٢].

ومن السنة: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»[(٢)].

وأما الإجماع فقد قال الإمام ابن أبي العز: «اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة!! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا!! وقاسوه على خلقه في أفعالهم؛ فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة! وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث؛ لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة!! فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم»[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٣٧٩)، ومسلم (ح٢٨٦٦).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٦١٤-٦١٥)، وقد سبق نقله.

۞ خامسًا: أبدية النار:

ذكر الله تعالى أبدية النار في ثلاثة مواضع في حق الكفار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، ولو ذكر الله جل وعلا التأبيد في موضع واحد لكفى، فكيف بثلاثة مواضع؟!

وأما الأدلة من السنة على أبدية النار فكثيرة، منها: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه**»(١).

وحديث أنس رضي الله عنه الطويل في الشفاعة، وفيه أن النبي ﷺ قال: «**... ثم أرجع فأقول: يا رب، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود**»(٢).

وحديث أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم** -أو قال: **بخطاياهم**- **فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل**»(٣).

وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على ذلك، قال الإمام ابن حزم: «اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٤٤)، ومسلم (ح٢٨٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (ح٧٤١٠)، ومسلم (ح١٩٣).

(٣) أخرجه مسلم (ح١٨٥).

صفوان، وأبا الهذيل العلاف، وقومًا من الروافض»[(١)].

وقال القرطبي: «أجمع أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها؛ كإبليس، وفرعون، وهامان، وقارون، وكل من كفر وتكبر وطغى، فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية؛ كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين، كالجهم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع سلف الأمة وأئمتها»[(٣)].

۞ سادسًا: الرد على المخالفين إجمالًا:

ليعلم أن القول الذي يبدع قائله هو القول بفناء الجنة، أو بفناء الجنة والنار، أما القول بفناء النار فقط فهو «قول مرجوح، لكن لا يقال بأنه بدعة، ولا يبدع من قال به»[(٤)]، قال الإمام ابن أبي العز: «وقال ببقاء الجنة وفناء النار جماعة من السلف[(٥)] والخلف»[(٦)].

ولهذا قال الإمام ابن القيم -بعد أن أفاض القول في مسألة أبدية النار: «فإن قيل: فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن التي هي

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٦٩-٧٠).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٩٢٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٧).

(٤) شرح الطحاوية، للبراك (ص٣١٧).

(٥) قال الشيخ الألباني: «لم يثبت القول بفناء النار عن أحد من السلف، وإنما هي آثار واهية لا تقوم بها حجة، وبعض أحاديثه موضوعة، لو صحت لم تدل على الفناء المزعوم، وإنما على بقاء النار، وخروج الموحدين منها» (شرح الطحاوية، بتعليق وتخريج الألباني ص: ٤٢٤).

(٦) شرح الطحاوية (٢/ ٦٢١).

أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟ قيل: إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾»[(١)].

وقد استدل من قال بفناء النار بالاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧].

وقد أجيب عن استدلالهم بالاستثناء المذكور بعدة أجوبة[(٢)]:

١- أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾ معناه: إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين.

٢- أن المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم واستقرارهم في مصيرهم.

٣- أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾ فيه إجمال، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبدًا، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات فالظاهر مقدم على المجمل، كما تقرر في الأصول.

قال شيخنا عبد الرحمن البراك: «وقد أجيب بأجوبة كثيرة عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ﴾، وقوله: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾، وأحسن ما قيل: إن المراد بيان أن بقاءهم إنما هو بمشيئة الله، كما أن بقاء أهل الجنة في الجنة إنما هو بمشيئة الله، فبقاء الرب تعالى ودوام وجوده ذاتي، أما بقاء أهل الجنة أبد الآباد فبإبقائه ومشيئته»[(٣)].

وقد حاول الإمام الشنقيطي الجمع بين الأدلة، فقال: «الذي يظهر لي

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم (٢/ ٧٩١)، وينظر: شفاء العليل، لابن القيم (ص٢٦٤).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب (ص٩٣)، وانظر: فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي، قسم العقيدة (ص٢٤٦).

(٣) شرح الطحاوية، للبراك (ص٣١٨) بتصرف يسير.

-والله أعلم- أن هذه النار التي لا يبقى فيها أحد يتعين حملها على الطبقة التي كان فيها عصاة المسلمين، كما جزم به البغوي في «تفسيره»[(١)]؛ لأنه يحصل به الجمع بين الأدلة، وإعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما، وقد أطبق العلماء على وجوب الجمع إذا أمكن، أما ما يقوله كثير من العلماء من الصحابة ومن بعدهم من أن النار تفنى وينقطع العذاب عن أهلها، فالآيات القرآنية تقتضي عدم صحته»[(٢)].

۞ سابعًا: صفة النار:

١- **مكانها**، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطففين: ٧]، وفي حديث البراء بن عازب: «**فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا**»[(٣)]، وهذا يدل على أن مكانها الأرض السفلى، والظاهر أنها الأرض المبدلة، واختار بعضهم التوقف في تعيين مكانها منهم السيوطي[(٤)].

٢- **أبوابها، للنار سبعة أبواب**، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤]، وعندما يساق الكفار إلى النار تفتح أبوابها، كما قال سبحانه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، وأبواب النار مغلقة على الكافرين، قال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾ [البلد: ١٩، ٢٠]، قال ابن عباس: «عليهم مغلقة»[(٥)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة،**

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٠٠).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص٩٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار، لصديق حسن خان (ص٤٥-٤٨).

(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٢٣).

وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»[١].

٣- **شدة حرها**، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ، قال: «**ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم**»، قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية، قال: «**فضلت عليهن بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها**»[٢].

٤- **سلاسلها وأغلالها**، قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ۝٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ۝٧٢﴾ [غافر: ٧١، ٧٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ [الإنسان: ٤]، وقال جلَّ وعلا: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٢].

٥- **طعام أهل النار**: الضريع والزقوم والغسلين، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٦]، وقال جل وعلا: ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧﴾ [الغاشية: ٦، ٧]، وقال سبحانه: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٦٦﴾ [الصافات: ٦٢ - ٦٦]، وقال جل جلاله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ۝٥٥﴾ [الواقعة: ٥١ - ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ۝٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾ [الحاقة: ٣٦، ٣٧]، قال ابن زيد: «الغسلين والزقوم: شيء لا يعرفه أهل الدنيا»[٣]، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت، لأمَرَّت على أهل الأرض عيشهم، فكيف من ليس لهم طعام إلا**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٢٦٥)، ومسلم (ح٢٨٤٣). (٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٩٤).

الزقوم؟!»[(١)].

٦- **شراب أهلها:** الحميم والغساق وطينة الخبال والمهل، أما الحميم فهو الماء الحار الذي اشتد حره، قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥]، قال الإمام ابن كثير: «أما الحميم فهو: الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق فهو: ضده، وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم»[(٢)]، وقيل: «الغساق: الصديد الذي يخرج من جلودهم، مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه»[(٣)]، أما طينة الخبال فيدل عليه حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**كل مسكر حرام، إن على الله** عَزَّ وَجَلَّ **عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**» قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «**عرق أهل النار**» أو «**عصارة أهل النار**»[(٤)]، وأما المهل فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، قال الإمام ابن كثير: «قال ابن عباس: المهل: ماء غليظ مثل دردي الزيت. وقال مجاهد: هو كالدم والقيح. وقال عكرمة: هو الشيء الذي انتهى حره: وقال آخرون: هو كل شيء أذيب. وقال قتادة: أذاب ابن مسعود شيئًا من الذهب في أخدود، فلما انماع وأزبد قال: هذا أشبه شيء بالمهل. وقال الضحاك: ماء جهنم أسود، وهي سوداء وأهلها سود. وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر، فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها، فهو أسود منتن غليظ حار»[(٥)].

٧- **كسوة أهلها ولباسهم**، يفصل لهم ثياب من نار وقمصان من قطران، قال

---

(١) أخرجه الترمذي (ح٢٥٨٥)، وابن ماجه (ح٤٣٢٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٥٢٥٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٧٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٠).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٠٠٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ١٥٤-١٥٥).

تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٌ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾ [الحج: ١٩]، وقال جل وعلا: ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠]، قال الإمام ابن كثير: «كان ابن عباس يقول: القطران هو: النحاس المذاب»[(١)].

٨- **صفة عذاب أهلها:** أهل النار متفاوتون في العذاب، فعن سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته**»[(٢)]. وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجلٌ توضع في أخمص قدميه جمرة، يغلي منها دماغه**»[(٣)].

قال القرطبي: «ولا شك في أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون، كما قد علم من الكتاب والسنة، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسد في الأرض وكفر، مساويًا لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين»[(٤)].

۞ ثامنًا: صفات أهلها:

جاء بيان صفة أهل النار المستحقين لدخولها في حديث حارثة بن وهب الخزاعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل النار: كل عتل جواظ مستكبر**»[(٥)]، قال الإمام النووي: «أما العُتُلُّ -بضم العين والتاء- فهو الجافي الشديد الخصومة بالباطل، وقيل: الجافي الفظ الغليظ، وأما

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٢)، وانظر: فتح القدير (٣/ ١٤٢).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٨٤٥).
(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٦١)، ومسلم (ح٢١٣).
(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٨٨٦).
(٥) أخرجه البخاري (ح٤٩١٨)، ومسلم (ح٢٨٥٣).

الجَوَّاظ -بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة- فهو الجموع المنوع، وقيل: كثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين، . . . وأما المتكبر والمستكبر فهو صاحب الكبر، وهو بَطَر الحق وغمط الناس»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار: فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عَزَّ وَجَلَّ من خلقه أحدًا، وأما الجنة: فإن الله عَزَّ وَجَلَّ ينشئ لها خلقًا**»[(٢)].

وأما صفة أجسادهم بعد دخولها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ضرس الكافر، أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث**»[(٤)].

۞ تاسعًا: دركاتها:

قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، قال القرطبي: «النار دركات سبعة، أي: طبقات ومنازل، إلا أن استعمال العرب لكل ما تسافل أدراك، يقال: للبئر أدراك، ولما تعالى درج، فللجنة درج، وللنار أدراك. . . فالمنافق في الدرك الأسفل وهي الهاوية، لغلظ كفره وكثرة غوائله وتمكنه من أذى المؤمنين، وأعلى الدركات: جهنم، ثم لظى، ثم

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٨٧-١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح٤٨٥٠)، ومسلم (ح٢٨٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٥١)، ومسلم (ح٢٨٥٢).

(٤) سبق تخريجه.

الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية[(١)]، وقد يسمى جميعها باسم الطبقة الأولى، أعاذنا الله من عذابها بمنه وكرمه»[(٢)].

وأما قعرها، فقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ، إذ سمع وجبة، فقال النبي ﷺ: «**تدرون ما هذا؟**» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها**»[(٣)].

۞ عاشرًا: موجبات دخول النار:

موجبات دخول النار كثيرة جدًّا، منها:

١- **الشرك**: قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

٢- **النفاق**، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء: ١٤٥].

٣- **عدم القيام بفرائض الإسلام**، قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٧].

٤- **قتل النفس**، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾ [النساء: ٩٣].

٥- **أكل مال اليتيم**، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء: ١٠].

٦- **أكل أموال الناس بالباطل**، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

(١) **والصحيح** أنها أسماء لجهنم كما مر، وليست دركات لها.

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٤٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٨٤٤).

تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

٧- **عدم رجاء لقاء الله والركون إلى الدنيا:** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧، ٨].

٨- **أكل الربا،** قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥].

٩- **الركون إلى الظالمين،** قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

۞ حادي عشر: موجبات الوقاية من النار:

موجبات الوقاية من النار كثيرة جدًّا، منها:

١- **التوحيد:** عن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»[1].

٢- **الصيام:** عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «**الصيام جُنَّة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم**- مرتين»[2]، قال الإمام النووي: «معناه: سترة ومانع من الرفث والآثام، ومانع أيضًا من النار»[3].

٣- **الجهاد في سبيل الله:** عن عبد الرحمن بن جبر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٢٥)، ومسلم (ح٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٨٩٤)، ومسلم (ح١١٥١).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٨/ ٣٠-٣١).

قال: «**ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار**»[(١)].

٤- من مات له ثلاثة أبناء: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار، إلا تحلَّة القسم**»[(٢)].

٥- الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها: عن عمارة بن رؤيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يلج النار من صلى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها**»[(٣)].

٦- البكاء من خشية الله: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لا يلج النارَ أحدٌ بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله، ودخان جهنم في منخري امرئ أبدًا**»[(٤)].

سئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: **ما عمل أهل الجنة؟ وما عمل أهل النار؟**

فأجاب: «الحمد لله رب العالمين، **عمل أهل الجنة:** الإيمان والتقوى، وعمل أهل النار: الكفر والفسوق والعصيان، فأعمال أهل الجنة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، والشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ومن أعمال أهل الجنة: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم.

ومن أعمال أهل الجنة: الإخلاص لله، والتوكل عليه، والمحبة له ولرسوله ﷺ، وخشية الله ورجاء رحمته والإنابة إليه والصبر على حكمه والشكر لنعمه. ومن أعمال أهل الجنة: قراءة القرآن وذكر الله ودعاؤه

(١) أخرجه البخاري (ح٢٨١١). (٢) أخرجه مسلم (ح٢٦٣٢).

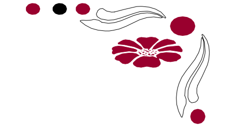
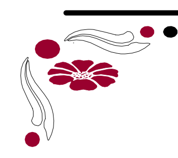
(٣) أخرجه مسلم (ح٦٣٤).

(٤) أخرجه الترمذي (ح١٦٣٣) وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (ح٣١٠٨)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٧٧٧٨).

ومسألته والرغبة إليه. ومن أعمال أهل الجنة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله للكفار والمنافقين. ومن أعمال أهل الجنة: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك؛ فإن الله أعد الجنة للمتقين، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ومن أعمال أهل الجنة: العدل في جميع الأمور، وعلى جميع الخلق حتى الكفار، وأمثال هذه الأعمال.

وأما عمل أهل النار: فمثل الإشراك بالله، والتكذيب بالرسل، والكفر، والحسد، والكذب، والخيانة، والظلم، والفواحش، والغدر، وقطيعة الرحم، والجبن عن الجهاد، والبخل، واختلاف السر والعلانية، واليأس من رَوْح الله، والأمن من مكر الله، والجزع عند المصائب، والفخر والبطر عند النعم، وترك فرائض الله، واعتداء حدوده، وانتهاك حرماته، وخوف المخلوق دون الخالق، ورجاء المخلوق دون الخالق، والتوكل على المخلوق دون الخالق، والعمل رياء وسمعة، ومخالفة الكتاب والسنة، وطاعة المخلوق في معصية الخالق، والتعصب بالباطل، والاستهزاء بآيات الله، وجحد الحق، والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة، ومن عمل أهل النار: السحر، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وتفصيل الجملتين لا يمكن؛ لكن أعمال أهل الجنة كلها تدخل في طاعة الله ورسوله، وأعمال أهل النار كلها تدخل في معصية الله ورسوله؛ ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤]، والله أعلم»(١).

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٢٢).

ملخص الفصل الرابع

❊ **اليوم الآخر:** هو ما يكون بعد الموت من أحوال البرزخ، وأحوال القيامة، والجنة والنار، **ومعنى الإيمان به:** التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك، **والإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بخمسة أمور:** (١) فتنة القبر ونعيمه وعذابه. (٢) أشراط الساعة. (٣) البعث. (٤) أهوال يوم القيامة. (٥) الجنة وما فيها من نعيم مقيم، والنار وما فيها من عذاب أليم.

❊ الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، لا يصح إيمان عبد إلا به، والأدلة على إثباته كثيرة جدًّا لا تكاد تحصى، فقد دل عليه الكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة السليمة.

❊ **لليوم الآخر أسماء كثيرة، منها:** (١) اليوم الآخر. (٢) يوم الفصل. (٣) يوم الحساب. (٤) يوم الخلود، ودار الخلد. (٥) الواقعة. (٦) التغابن. (٧) الغاشية. (٨) الصاخَّة. (٩) الطامَّة. (١٠) يوم التناد.

❊ **منازل الآخرة ثلاثة:** (١) القبر. (٢) أرض المحشر التي يكون فيها أحوال القيامة وأهوالها. (٣) الجنة والنار.

❊ **من ثمرات الإيمان باليوم الآخر ما يلي:** (١) الحرص على طاعة الله تعالى رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته خوفًا من عقاب ذلك اليوم. (٢) تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها. (٣) عِظَم الأجر وجَزالة المثوبة لمن آمن باليوم الآخر. (٤) استشعار كمال عدل الله وحكمته وقدرته في ذلك اليوم.

❊ **أشراط الساعة هي:** العلامات التي يعقبها قيام الساعة، والأشراط منها: (١) صغار وقد مضى أكثرها، ومنها: (٢) كبار ستأتي، وقسمها القرطبي

بحسب مخالفتها للعادة إلى نوعين: (١) نوع معتاد، (٢) ونوع غير معتاد، ومنهم من قسمها بحسب قربها من الساعة وحصولها إلى قسمين: (١) أشراط دالة على قربها (٢) أشراط دالة على حصولها، ومنهم من قسمها بحسب مكان وقوعها إلى قسمين: (١) أشراط أرضية، (٢) أشراط سماوية، ومنهم من قسمها بحسب وقت ظهورها إلى ثلاثة أقسام: (١) قسم مضى، (٢) وقسم ما زال يأتي، (٣) وقسم أكبر وهو الأشراط القريبة منها، وهي الأشراط الكبار.

❊ وقت قيام الساعة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وهو مما استأثر الله بعلمه، فلم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا، فضلًا عما سواهما، فلا يعلم متى تقوم الساعة إلا علَّامُ الغيوب جل وعلا، والحكمة في إخفاء وقتها وتقدُّم أشراطها: حث العباد على الاستعداد لها بالتوبة والعمل الصالح.

❊ **أشراط الساعة الصغرى هي:** الأشراط المعتادة التي تسبق الأشراط الكبرى، ومنها: (١) فتح بيت المقدس. (٢) ظهور الفتن من المشرق. (٣) ضياع الأمانة. (٤) قبض العلم وظهور الجهل. (٥) انتشار الزنا. (٦) كثرة القتل. (٧) كثرة الزلازل. (٨) قتال اليهود. (٩) ظهور المهدي.

❊ **أشراط الساعة الكبرى هي:** العلامات التي جاء النص عليها في حديث حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يرد نص في ترتيبها، وقد ورد في بعض الأحاديث ذكر أولها خروجًا، ورجح طائفة من أهل العلم من مجموع الروايات أن خروج الدابة هو أول الآيات الأرضية، وطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات السماوية، وأشراط الساعة الكبرى هي: (١) طلوع الشمس من مغربها. (٢) خروج الدابة. (٣) المسيح الدجال. (٤) نزول المسيح عيسى ابن مريم. (٥) خروج يأجوج ومأجوج. (٦) الدخان. (٧، ٨، ٩) الخسوفات الثلاثة. (١٠) النار التي تحشر الناس.

❊ **لا يجوز تنزيل نصوص أشراط الساعة على الواقع إلا بضوابط، منها:**

(١) التحقق من ثبوت النص وصحته. (٢) التحقق من فهم معناه على الوجه الصحيح بالرجوع إلى الراسخين في العلم من سلف الأمة وأئمتها. (٣) جمع الروايات الصحيحة في المسألة؛ لأن روايات الحديث يفسر بعضها بعضًا. (٤) ما أشكل فهمه من أحاديث الفتن وأشراط الساعة يرد إلى عالمه. (٥) أن يكون النص هو الأصل في الحكم على الواقع، ولا يجعل الواقع أصلًا والنص فرعًا. (٦) الحذر من تأويلها قبل اكتمال صفاتها. (٧) كون الشيء من أشراط الساعة لا يعني أنه بدعة، أو مكروه، أو محرم.

❋ **للإيمان بأشراط الساعة ثمرات عديدة، منها:** (١) تحقيق الإيمان باليوم الآخر. (٢) أشراط الساعة تعد من دلائل النبوة؛ لأن كثيرًا منها وقع مطابقًا لخبر الصادق المصدوق ﷺ. (٣) في ذكر أشراط الساعة دافع للمسارعة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ، وللمزيد من العمل الصالح المثمر. (٤) تنبيه الناس من غفلتهم، وحثهم على التوبة استعدادًا ليوم الحساب.

❋ **الاحتضار:** احتُضِرَ المريض وحُضِرَ: إذا حضره الموت ونزل به، وقد ذكر الله جل وعلا أقسام الناس عند حصول الاحتضار، وأنهم ثلاثة أقسام: (١) المقربون. (٢) أصحاب اليمين. (٣) المكذبون الضالون. والناس عند خروج الروح قسمان: (١) المؤمن، وتخرج روحه بيسر وسهولة ورفق. (٢) الكافر، وتخرج روحه بعسر وشدة وألم.

❋ **الموت هو:** مفارقة الأرواح للأجساد، وهو صفة وجودية، يعني أنه ليس بعدم محض؛ لأن الروح باقية لا تموت، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته.

❋ **يجب الإيمان بالموت وهو داخل ضمن الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالموت يتناول أمورًا:** (١) الإيمان بتحتُّمه على من كان في الدنيا من أهل السماوات والأرض. (٢) الإيمان بأن كل مخلوق له أجل محدود وأمد ممدود. (٣) الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاء كل

عمر إليه لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به. (٤) ذكر العبد الموت وجعله على باله، والتأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله. (٥) أنه لا حرج في كراهية الموت والخوف منه.

❁ **البرزخ في اللغة:** هو الحاجز بين الشيئين، والمراد بالحياة البرزخية: ما بين الموت إلى يوم القيامة، وهي محل عذاب القبر ونعيمه.

❁ **الروح هي:** ما به حياة الأبدان؛ لأنها إذا فارقت البدن ذهبت عنه الحياة، وما دامت في البدن فهو حي، أما ماهيتها فعلمها عند الله، وقد دلت النصوص على أن الروح عين موجودة قائمة بنفسها، ليست هي البدن ولا جزءًا من أجزائه، وأجمعت الرسل على أن الروح مخلوقة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم، وأجمع أهل السنة على ذلك.

❁ **اختلف الناس:** هل تموت الروح أم لا؟ فقالت طائفة: تموت؛ لأنها نفس، وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان.

❁ **الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق:** (١) تعلقها به في بطن الأم جنينًا. (٢) تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض. (٣) تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه. (٤) تعلقها به في البرزخ. (٥) تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن.

❁ **مستقر الأرواح بعد الموت:** أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار، أما منازل المؤمنين في الجنة فهي متفاوتة، (١) فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- (٢) ومنها: أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح الشهداء، (٣) ومنها أرواح تكون في أجواف طير تعلق في شجر الجنة، وهي أرواح المؤمنين.

❁ **اختلف الناس في الفرق بين الروح والنفس، فمن قائل:** إن مسماهما واحد،

وهم الجمهور، **ومن قائل:** إنهما متغايران، **والصحيح:** أنه لا فرق بينهما، فالروح التي بها حياة البدن هي النفس.

❊ **التناسخ في الاصطلاح:** انتقال الأرواح من جسد إلى آخر، حيث يزعم أصحاب هذا الاعتقاد أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد (بالموت) إلى أجساد أخرى، وقد اختلف أهل العلم في نشأته، **(١)** فقيل بأنها ظهرت في زمن فرعون موسى، **(٢)** وقيل: إن نشأتها ترجع إلى صابئة حران، **(٣)** وقيل: إنها انبثقت من النِّحْلة الهندية، وقد انتقلت هذه العقيدة إلى بعض الغلاة من الفرق الباطنية المنتسبة إلى التشيع، وبعض غلاة المعتزلة، ودعوى التناسخ دعوى باطلة، ويكفي في بيان بطلانها مناقضتها لعقيدة الإيمان باليوم الآخر الذي اتفقت عليه الرسالات، وجاء بتقريرها جميع الرسل والأنبياء، وإنما ذهب إليها من لم يؤمن بما جاء به الأنبياء من المعاد واليوم الآخر.

❊ **دعوى تحضير الأرواح هي:** محاولات ترمي إلى الاتصال بأرواح الموتى عن طريق بعض الوسطاء، وحقيقتها: استخدام الجني واستحضاره بأدعية وتعويذات يقوم بها مستحضره، وهي دعوى باطلة؛ لأنه لم يثبت أن أرواح الأموات تتصل بالأحياء في غير المنام، وهي خرافة كانت منتشرة عند المصريين القدماء والآشوريين والهنود والرومان والإسرائيليين، ثم ساهم في انتشارها ما يسمى بـ(الروحية الحديثة).

❊ **فتنة القبر هي:** الاختبار الذي يحصل للميت في قبره، وذلك حينما يأتيه ملكان، فيقعدانه، ويسألانه عن ربه ودينه ونبيه، وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

❊ **ضغطة القبر هي:** التقاء جانبيه على جسد الميت، ولم يرد في تحديد وقتها دليل، ولكن قيل: إن ذلك قبل سؤال الملكين، والفرق بين ضغطة المؤمن وضغطة الكافر من وجهين: **(١)** أن ضغطة المؤمن منقطعة، وضغطة الكافر مستمرة. **(٢)** أن ضمة القبر تكون للمؤمن الصالح ضمة رفق وحنان، وأما

الكافر فضغطة شدة وعذاب، وقيل: إن ضمة القبر للمؤمن فيها شدة وتتفاوت شدتها بحسب حاله، وهو الذي تؤيده ظاهر النصوص.

❊ أنكر عذابَ القبر الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة، وهو قول باطل؛ لأن عذاب القبر ثابت بالقرآن والسنة المتواترة، فلا يجوز معارضة هذه النصوص بالأوهام، وما ثبت في الكتاب والسنة وجب تصديقه والإيمان به، سواء أدركته عقولنا وحواسنا أم لا؛ لأنه لا يعارَض الشرع بالعقل، لا سيما في الأمور التي لا مجال للعقل فيها.

❊ العذاب والنعيم يقعان على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، فيكون النعيم والعذاب عليهما مجتمعَين، كما يكون للروح منفردة عن البدن، واختلف هل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة.

❊ **عذاب القبر باعتبار دوامه وانقطاعه نوعان:** (١) عذاب دائم، وهو للكفار. (٢) عذاب منقطع، وهو عذاب العصاة.

❊ **أسباب عذاب القبر كثيرة، منها:** (١) عدم الاستتار من البول، (٢) النميمة، (٣) الغلول، وهو الخيانة في الغنيمة. (٤) من مات وعليه دَين. (٥) البكاء بنياحة على الميت إذا أوصى بذلك. (٦) الكِبْر والخيلاء. (٧) الكذب. (٨) أكل الربا. (٩) الزنا.

❊ **فتنة القبر ليست عامة لكل أحد، بل يستثنى منها من شاء الله، ومنهم:** (١) الأنبياء. (٢) الصِّدِّيقون. (٣) الشهداء. (٤) المرابطون. (٥) الصغار والمجانين.

❊ **عرض المقعد على الميت، معناه:** أن الميت يعرض عليه في قبره بالغداة والعشي مقعده من الجنة إن كان من أهلها، أو مقعده من النار إن كان من أهلها، ويقال له: هذا مقعدك، وهذا العرض يقع على الروح حقيقة وعلى ما يتصل به من البدن.

❊ **أسباب النجاة من عذاب القبر كثيرة، منها:** (١) الاستقامة على طاعة الله. (٢) التقوى. (٣) الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال. (٤) المرابطة في سبيل الله. (٥) الشهادة في سبيل الله. (٦) الموت بمرض في البطن. (٧) الاستعاذة بالله من عذاب القبر. (٨) الموت يوم الجمعة أو ليلتها. (٩) قراءة «سورة الملك» والعمل بمقتضاها. (١٠) الأعمال الصالحة.

❊ **اختلف العلماء في قراءة القرآن عند القبور، على ثلاثة أقوال:** (١) الكراهة، وهو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية. (٢) الجواز، وهو قول محمد ابن الحسن وأحمد في رواية، (٣) الجواز وقت الدفن فقط، وهو رواية عن أحمد، والصحيح أن قصد المقابر لتلاوة القرآن عندها بدعة، ولا يجوز أخذ الأجرة على ذلك.

❊ **معنى زيارة القبور شرعًا:** قصد القبور للسلام على أهلها والدعاء لهم وتذكر الآخرة واتباع السنة، ثم صار هذا اللفظ في عرف كثير من المتأخرين يتناول الزيارة الشرعية (بالمعنى المذكور) كما يتناول الزيارة البدعية الشركية، وهو الغالب عند المتأخرين، والزيارة ثلاثة أنواع: (١) الزيارة الشرعية، وهي: زيارة القبور على الوجه المشروع. (٢) الزيارة البدعية، وهي: زيارتها للدعاء عندها، والصلاة عندها، والقراءة عندها، وهي بدعة. (٣) الزيارة الشركية، وهي: أن يزوروها للذبح للميت والتقرب إليه بذلك، أو لدعاء الميت من دون الله، أو لطلب المدد منه، أو الغوث، أو النصر، فهذا شرك أكبر.

❊ **اتفق أهل السنة على أن الأموات ينتفعون بسعي الأحياء بأمرين:** (١) ما تسبب إليه الميت من أعمال صالحة في حياته. (٢) انتفاع الميت بغير ما تسبب به في حياته مما ورد النص عليه، كالدعاء، والاستغفار، والصدقة، واختلف العلماء فيما عدا هذين الأمرين على قولين: (١) أي قربة فعلها الحي وأهداها للميت نفعه ذلك، وهو مذهب الحنفية والحنابلة. (٢) عدم جواز إهداء ثواب الأعمال إلى الميت إلا بما ورد به الشرع، وهو مذهب المالكية والشافعية،

والراجح الاقتصار على ما ورد؛ لأن العبادات توقيفية، ولأن الأصل في أفعال العباد أن ثوابها لفاعلها، ولا يخص من هذا العموم إلا ما دل عليه الدليل من الدعاء والصدقة ونحوهما، وأما ما سوى ذلك من العبادات فيبقى على الأصل، ويختص بفاعله ولا يتعداه.

❁ **الصور:** قرن يُنفَخ فيه نفختان -على الصحيح؛ النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء، وهو يقع عند نهاية الحياة الدنيا وبدء الحياة الآخرة، حيث يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخ في الصور، فلا يبقى أحد من الخلق إلَّا مات إلَّا من استثناه الله، واشتهر أن الملك الموكل بالنفخ في الصور هو إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونقل بعضهم الإجماع عليه، ووقع التصريح به في بعض الأحاديث، وكلها لا تخلو من ضعف.

❁ **اختلف في عدد النفخات على قولين: القول الأول:** أن النفخ في الصور نفختان: **(١)** نفخة الصعق (الإفناء)، **(٢)** نفخة البعث والنشور (الإنشاء). **القول الثاني:** أنها ثلاث نفخات: **(١)** نفخة الفزع. **(٢)** نفخة الصعق (الموت). **(٣)** نفخة البعث. والصحيح أنهما نفختان فقط.

❁ **الصعق:** هو موت الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله بعد النفخة الأولى، واختلف العلماء في المراد بالمستثنى في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، على أقوال كثيرة، منها: **(١)** أنهم الأنبياء. **(٢)** وقيل: موسى وحده، **(٣)** وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. **(٤)** وقيل: الملائكة كلهم. **(٥)** وقيل: الولدان الذين في الجنة والحور العين. والراجح: تفويض من استثناه الله من الصعق إلى علمه جل وعلا؛ لأنه لم يرد نص صحيح صريح في تعيين من استثناه الله تعالى من نفخة الصعق.

❁ **معنى البعث:** الإحياء بعد الموت، وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة، والقول الذي عليه السلف: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل

ترابًا، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، والأجسام التي تعود للبعث ليست على هيئة أجسام الناس في الدنيا، بل ينشئها الله نشأة أخرى تناسب الحياة الآخرة ونعيمها وعذابها، فالبعث إعادة، وليس تجديدًا.

❋ تأكل الأرض أجساد جميع الموتى ويستثنى من ذلك الأنبياء، كما أن الأرض تأكل جميع جسد بني آدم ويستثنى من ذلك عَجْب الذَّنَب، أما الشهداء والصديقون والصالحون فهؤلاء قد لا تأكل الأرض بعضهم كرامة لهم.

❋ تعود الأرواح إلى أجسادها عند البعث عودة لا يقبل البدن معها موتًا ولا نومًا ولا فسادًا، وأول من يبعث هو نبينا محمد ﷺ، ويبعث كل إنسان على ما مات عليه من إيمان أو كفر، ومن طاعة أو معصية.

❋ **المنكرون للبعث والنشور طوائف كثيرة، منهم:** (١) المنكرون للبعث بالكلية، وهم طوائف من الكفار والمشركين. (٢) المنكرون لبعث الأجساد، وهم الفلاسفة. (٣) المؤولون لنصوص المعاد بالرجعة، وهم الإثنا عشرية.

❋ **الحشر معناه:** جمع الخلق بعد إحيائهم من قبورهم وسَوْقهم إلى الموقف للحساب، وقد دل على إثبات الحشر الكتاب والسنة والإجماع، والحشر عام يشمل جميع الخلق حتى البهائم، وقد دلت نصوص القرآن والسنة على أن السماوات والأرض تبدل ويخلق الله غيرهما. واختلف أهل العلم في حقيقة هذا التبديل، هل هو تبديل ذات؟ أم تبديل صفات؟ والأحاديث نصٌّ في أنها تبديل ذات، فالأرض والسموات تبدل وتزال، ويخلق الله أرضًا وسماواتٍ أخرى.

❋ **جاء في القرآن والسنة هيئات وصفات لحشر الخلق يوم القيامة، ومن ذلك:**
(١) حشر المتقين إلى الرحمن وفدًا، وحشر المجرمين إلى جهنم وردًا.
(٢) حشر الناس حفاة عراة غُرْلًا، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام.
(٣) حشر الكافر على وجهه. (٤) حشر المتكبرين أمثال الذرِّ. (٥) حشر من

يسأل الناس ليس في وجهه مزعة لحم. (٦) حشر الغالِّ يحمل ما غل يوم القيامة. (٧) حشر هذه الأمة غرًّا محجلين. (٨) حشر الشهيد وجرحه يسيل دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك.

❊ يجيء الرب تبارك وتعالى -كما يليق بجلاله ويختص بعظمته- يوم القيامة للفصل بين العباد، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، فإذا جاء الله جل وعلا أشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، وقضى بين الناس بالحق.

❊ **يرى المؤمنون ربهم في عرصات القيامة، أما رؤية الكفار لله يوم القيامة فقد اختلف أهل السنة في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:** (١) أن الكفار لا يرون ربهم بحال، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين. (٢) أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها، ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه. (٣) أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب - كاللص إذا رأى السلطان - ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم.

❊ **العرض له معنيان:** (١) معنى عام: وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم ﷻ، ويدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب. (٢) معنى خاص: وهو عرض معاصي المؤمنين عليهم، وتقريرهم بها، وسترها عليهم، ومغفرتها لهم.

❊ **معنى الحساب:** تعريف الله عباده مقادير الجزاء على أعمالهم وإِطْلاعهم على أعمالهم يوم القيامة، والحساب يوم واحد مقداره خمسون ألف سنة من أيام الدنيا، وأقسام الناس بالنسبة إلى الحساب ثلاث درجات: (١) من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب. (٢) من يحاسب حسابًا يسيرًا. (٣) من يحاسب حسابًا شديدًا.

❊ **الفرق بين العرض والحساب من وجوه:** (١) أن العرض خاص بالمؤمنين، بخلاف الحساب فهو عام للمؤمن والكافر. (٢) أن العرض جاءت تسميته بالحساب اليسير، بخلاف الحساب فلا يسمى بذلك. (٣) أن حقيقة العرض

هو عرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف مِنَّة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة، أما الحساب فهو مناقشة العبد على سيئاته وأعماله. (٤) أن العرض عاقبته النجاة، أما الحساب فعاقبته العذاب.

❁ الله سبحانه هو الذي يتولى حساب العباد، وقد نفى الله سبحانه قيام أحد غيره بمحاسبة الخلق، والمستثنون من الحساب هم الذين جاء ذكرهم في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما، وصفاتهم كما يلي: (١) أنهم لا يسترقون، (٢) ولا يتطيرون، (٣) ولا يكتوون. وأما عددهم فلا يحصيه إلا الله.

❁ **عدد الدواوين ومنزلتها عند الله من حيث العقوبة والمغفرة يوم القيامة ثلاثة دواوين:** (١) ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك. (٢) ديوان لا يترك الله منه شيئًا، وهو المظالم بين العباد. (٣) ديوان لا يعبأ الله به، وهو تحت مشيئته، وهو المعاصي التي بين العبد وبين ربه.

❁ **يوقف الله جل وعلا العباد يوم القيامة للحساب فيسألهم، ومن أمثلة المساءلات التي دلت عليها النصوص:** (١) سؤال العباد عن الرسل، هل بلغوا رسالات ربهم؟ وسؤال الله الرسل، هل أجابهم العباد؟ (٢) سؤال المشركين عن افترائهم على الله وإشراكهم مع الله غيره. (٣) سؤال العبد عن السمع والبصر والفؤاد، هل استعملها في طاعة الله أم في معصيته؟ (٤) السؤال عن الأعمال. (٥) سؤال العبد يوم القيامة عن ذنوبه. (٦) سؤال العبد يوم القيامة عن إنكار المنكرات. (٧) سؤال العبد عن وفائه بالعهود. (٨) سؤال العبد عن النعيم الذي أنعم الله به عليه في الدنيا. (٩) سؤال العبد عن صحته وعمره وماله وعلمه. (١٠) سؤال كل راع عن رعيته.

❁ **الجزاء هو:** الثواب على الأعمال الصالحة، والعقاب على ضدها من الكفر والفسوق والعصيان، وهو الغاية من البعث والنشور، وجزاء الحسنات مبنيٌّ على الفضل والزيادة والمضاعفة، وجزاء السيئات مبني على العدل، ويجزى الكافر على حسناته في الدنيا، أما في الآخرة فليس له فيها نصيب،

وقد أجمع العلماء على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم، ولا يثابون عليها بنعيم ولا بتخفيف عذابٍ، لكنهم يتفاوتون في العذاب بقدر ما أحدثوه من الفساد، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، وأول ما يقضى فيه بين الناس الدماء.

❊ **يتعدد الشهود على ابن آدم يوم القيامة، ومنهم:** (١) الأنبياء. (٢) الملائكة. (٣) الأرض التي يعيش عليها ابن آدم، (٤) الجوارح.

❊ من الناس من يمتحن في عرصات القيامة، وهم الذين لم تبلغهم دعوة الإسلام، كأهل الفترة، وهم من عاش في زمن لم يأتهم فيه رسول، أو كانوا في مكان لم تصلهم فيه الدعوة، ومن في حكمهم كأطفال المشركين، والهرم، والمجنون، ونحوهم.

❊ **القصاص يوم القيامة هو:** تتبع ما بين العباد من المظالم، وإسقاط بعضها ببعض، وله ثلاثة أنواع: (١) اقتصاص المؤمنين بعضهم من بعض. (٢) اقتصاص جميع الخلق بعضهم من بعض. (٣) اقتصاص البهائم بعضها من بعض.

❊ **صحائف الأعمال هي:** الكتب التي كتبتها الملائكة، وأحصَوا فيها ما فعله كل إنسان في الحياة الدنيا من الأعمال القولية والفعلية، ومن صفاتها: (١) أنها تنشر وتفتح يوم القيامة. (٢) أنه قد كتب فيها كل كبير وصغير من أعمال العبد. (٣) أن كل إنسان سيقرأ صحيفته التي هي ديوان عمله. (٤) أن المؤمن يسر بما يجد في صحيفته من حسنات، والكافر يساء بما يجد في صحيفته من الكفر.

❊ **أخذ الناس صحفهم يوم القيامة على هيئتين:** (١) أخذ الكتاب باليمين، وهي لأهل الإيمان. (٢) أخذ الكتاب بالشمال، وهي لأهل الكفر.

❊ **الميزان هو:** ما يوزن به الأعمال لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، والذي دلَّت عليه السنة من صفته: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان

مشاهدتان، ومعنى الإيمان بالميزان: هو التصديق بأنه ميزان حقيقي، كما وردت به النصوص، وليس مجازًا عن العدل كما يقوله بعض أهل البدع، ودلت النصوص على أن الأعمال توزن، وصحف الأعمال توزن، والعامل يوزن.

❋ أنكر الميزان بعض المبتدعة كالجهمية، وأما المعتزلة فقد أنكروا تأويل الميزان بالعدل، وأثبتوا أنه ميزان حقيقي، لكنهم يرون أن الحسنات والسيئات أعراضٌ لا يتصور فيها الوزن، وتأويل الميزان بالعدل تأويل فاسد ليس عليه دليل، بل الأدلة من الكتاب والسنة على بطلانه، وإنكار كونه ميزانًا حقيقيًّا أو إنكار وزن الحسنات والسيئات مخالف لما دلت عليه النصوص الصريحة.

❋ **المستثنون من الوزن طائفتان:** (١) الكفار؛ لأنهم لا حسنات لهم فتوزن، وذهب بعض العلماء إلى أن الكفار توزن أعمالهم، والراجح: الجمع بين القولين، وهو أنه إن أريد بالوزن موازنة الحسنات بالسيئات فلا وزن لهم، وإن أريد بالوزن إظهار خفة موازينهم وإقامة الحجة عليهم فهذا حق. (٢) المؤمنون الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

❋ **ينقسم الناس بعد الميزان ثلاثة أقسام:** (١) من رجحت حسناتهم على سيئاتهم، فهم في الجنة. (٢) من رجحت سيئاتهم على حسناتهم من عصاة الموحدين، فهم تحت مشيئة الله. (٣) من تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم أصحاب الأعراف، ومآلهم إلى الجنة.

❋ **الحوض لغة:** مجتمع الماء، وشرعًا: حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ، والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل

زاوية من زواياه مسيرة شهر، وينسب إنكار الحوض للخوارج وبعض المعتزلة، وإنكاره باطل؛ لأن الحوض ثابت بالسنة المتواترة، فمنكره مبتدع زائغ عن الحق.

❊ هذا الحوض الذي أكرم الله به نبينا محمدًا ﷺ خاص بأمته، لما ورد أن الرسول ﷺ يذود الناسَ عن حوضه كما تذاد الإبل الغريبة، وقد ورد في بعض الأحاديث أن لكل نبي حوضًا، وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردًا. والفرق بين الحوض والكوثر من وجهين: (١) أن الحوض في أرض المحشر، أما الكوثر فهو في الجنة. (٢) أن الحوض فرع عن الكوثر؛ لأن ماءه من نهر الكوثر في الجنة.

❊ ثبت في الأحاديث الصحيحة أن أول من يشرب من حوض النبي ﷺ هم فقراء المهاجرين، وأخبر النبي ﷺ أن هناك من يحرم ويذاد عن الشرب من حوضه ﷺ، ومنهم: (١) المرتدون الذين ارتدوا على أدبارهم القَهْقَرى. (٢) المبتدعة الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه.

❊ **الصراط:** هو الجسر الممدود على متن جهنم، وأنكره الجهمية وبعض المعتزلة، وأولوه بأنه الأدلة الدالة على الطاعات التي من تمسك بها دخل الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من فعلها دخل النار، وهو قول مبتدع محدَث، مخالف لإجماع سلف الأمة وأئمتها، وهو تأويل مصرف للنصوص عن ظاهرها بلا دليل.

❊ **جاء في السنة النبوية وصف الصراط بعددٍ من الأوصاف، منها:** (١) أنه أدق من الشعر. (٢) أنه أحَدُّ من السيف. (٣) أنه مدحضة مزلة، وعليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله. (٤) أن الناس يمرون عليه على قدر أعمالهم، فناج مسلَّم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم.

❊ اختلف العلماء في العبور على الصراط، هل العبور عام للمؤمنين والكافرين؟ أم يختص بالمسلمين من الأولين والآخرين؟ **على قولين:** (١) أنه

عام للناس كلهم. (٢) أن الكفار والمشركين لا يمرون على الصراط، بل يساقون من أرض المحشر إلى النار.

❁ **يكون الناس على الصراط ثلاثة أقسام بحسب أعمالهم:** (١) ناجٍ مسلَّم، (٢) ومخدوش مسلَّم، (٣) ومكدوس في نار جهنم.

❁ اختلف المفسرون في معنى الورود في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١]، ففسرها ابن مسعود رضي الله عنه وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط، وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالدخول في النار لكنَّ المؤمنين ينجون منها، والصحيح أنه المرور على الصراط؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم فسر الورود بذلك.

❁ **القنطرة:** صراط خاص بالمؤمنين بين الجنة والنار، وقيل: هي طرف الصراط مما يلي الجنة، والراجح: أن القنطرة غير الصراط، فإذا خلص المؤمنون من الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، والغرض من ذلك: أن يتقاصَّ المؤمنون ما بينهم من مظالم وقعت منهم في الدنيا، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أذن لهم في دخول الجنة.

❁ **الشفاعة لغة:** من الشفع، وهو ضد الوتر، **واصطلاحًا:** التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة، وقد دل على ثبوت الشفاعة الكتاب والسنة والإجماع.

❁ **الشفاعة من حيث ثبوتها قسمان: الأول:** الشفاعة المثبتة، وهي: الشفاعة الشرعية المقبولة، وهي: ما اجتمعت فيها ثلاثة شروط: (١) رضا الله عن الشافع. (٢) إذنه له. (٣) رضاه عن المشفوع له. **الثاني:** الشفاعة المنفية: وهي: الشفاعة الشركية الباطلة، وهي: ما يعتقده المشركون في آلهتهم أنها تشفع لهم عند الله، وهي شفاعة غير مقبولة عند الله.

❁ **وقت الشفاعة لمن دخل النار من الموحدين لا يعلمه إلا الله، فلم يرد في النصوص ما يبينه؛ ذلك أن عصاة الموحدين ثلاثة أقسام:** (١) قسم يغفر الله له، ولا

يدخل النار أصلًا، إما بالشفاعة، أو برحمة الله وعفوه. (٢) قسم آخر يدخل النار، ويعذَّب بقدر ذنوبه، ثم يخرج. (٣) قسم يدخل النار ويعذب ما شاء الله، ثم يخرج من النار قبل أن يستكمل ما يستحقه من العذاب بشفاعة الشفعاء، أو برحمة الله سبحانه.

❁ **الشفاعات الخاصة بالرسول ﷺ ثلاث:** (١) الشفاعة العظمى في أهل الموقف يوم القيامة. (٢) الشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها. (٣) شفاعته في عمه أبي طالب حتى يخفف العذاب عنه.

❁ **الشفاعة من حيث تعدد الشافعين نوعان: الأول:** الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ، وسبق ذكرها. **الثاني:** الشفاعة العامة لجميع الخلق من الأنبياء والصالحين، وهي أنواع: (١) الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها، وهي خاصة بعصاة الموحدين. (٢) الشفاعة لمن دخل النار أن يخرج منها. (٣) الشفاعة لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم، وهذه الشفاعة متفق عليها، لم ينازع فيها أحد. (٤) الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة. (٥) الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

❁ **موجبات حصول الشفاعة:** (١) تحقيق التوحيد. (٢) قراءة القرآن. (٣) الصيام. (٤) الدعاء بما ورد عند الأذان. (٥) سكنى المدينة والصبر على شدتها والموت بها. (٦) من صلى على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله. (٧) الإكثار من الصلاة. (٨) مصاحبة أهل الإيمان والصلاح.

❁ **موجبات الحرمان من الشفاعة:** (١) الشرك. (٢) كثرة اللعن. (٣) إنكار الشفاعة والتكذيب بها.

❁ **الجنة هي:** الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين، ولها أسماء كثيرة، منها: (١) دار السلام. (٢) دار الخلد. (٣) دار المقامة. (٤) جنة المأوى. (٥) جنات عدن. (٦) دار الحيوان. (٧) الفردوس. (٨) المقام الأمين.

(٩) مقعد الصدق. (١٠) جنات النعيم، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الجنة مخلوقة وموجودة الآن.

❁ **أجمع أهل السنة على أبدية الجنة، وأنها لا تفنى ولا تبيد**، واختلف السلف في المراد بالاستثناء في قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ [هود: ١٠٨]؛ أي: غير مقطوع، (١) فقيل: معناه: إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها، لا لِكُلِّهم. (٢) وقيل: إلا مدة مقامهم في الموقف. (٣) وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف. (٤) وقيل: هو استثناء استثناه الرب ولا يفعله. (٥) وقيل: (إلا) بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو ضعيف. (٦) وقيل: الاستثناء لإعلامهم، بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، لا أنهم يخرجون عن مشيئته. (٧) وقيل: إن (ما) بمعنى (مَن) أي: إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء. وقيل غير ذلك. والراجح أحد قولين: (١) إما أن الاستثناء يعود إلى المدة التي شاء الله جل وعلا ألا يكونوا في الجنة قبل دخولها، وهي مدة البرزخ والموقف. (٢) أو المراد بالاستثناء بيان عموم مشيئة الله تعالى، وأنه لا يخرج شيء عن مشيئته.

❁ الأعمال التي يستحق فاعلها دخول الجنة كثيرة، ومنها: (١) الإيمان والعمل الصالح. (٢) الإخلاص. (٣) الصبر والتوكل. (٤) الاستقامة على العمل الصالح. (٥) الخوف من الله.

❁ **الأعمال التي يستحق فاعلها الحرمان من دخول الجنة كثيرة، ومنها:** (١) الشرك. (٢) قتل النفس. (٣) الزنا. (٤) شرب الخمر. (٥) قطع الأرحام. (٦) النميمة. (٧) أذى الجار. (٨) الكبر. (٩) التبرج.

❁ رؤية الله سبحانه في الآخرة ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع السلف، وقد تنوعت الأدلة من القرآن على إثبات الرؤية، ومن أظهرها ثلاثة أنواع:

(١) التصريح بالنظر. (٢) نفي الإدراك. (٣) حجب أعداء الله عن رؤية الله، وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًّا، فهي متواترة، ونقل الإجماع على ثبوت رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة كثير من أهل العلم، ومن صفاتها: (١) أنها رؤية بصرية لا عِلْمية. (٢) أن المؤمنين يرونه في العلو كما يُرى القمران في العلو. (٣) أنها رؤية من غير إحاطة.

❋ **النار هي: الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين، ولها أسماء كثيرة، منها:** (١) الهاوية. (٢) الجحيم. (٣) جهنم. (٤) الحُطَمة. (٥) اللَّظى. (٦) سقر. (٧) السعير. (٨) سجِّين.

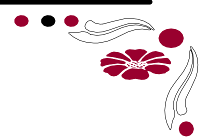
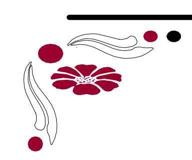
❋ دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على أن النار موجودة الآن، وأنها أبدية لا تفنى ولا تبيد، واتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن صفوان، وأبا الهذيل العلاف، وقومًا من الروافض.

❋ القول الذي يبدع قائله هو القول بفناء الجنة، أو بفناء الجنة والنار، أما القول بفناء النار فقط فهو قول مرجوح، لكن لا يقال بأنه بدعة، ولا يبدع من قال به، وقد قال ببقاء الجنة وفناء النار جماعة من السلف والخلف مستدلين بالاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧]، **وقد أجيب عن استدلالهم بالاستثناء المذكور بعدة أجوبة:** (١) أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ معناه: إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين. (٢) أن المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم واستقرارهم في مصيرهم. (٣) أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فيه إجمال وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبدًا، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات فالظاهر مقدم على المجمل، كما تقرر في الأصول.

❁ **موجبات دخول النار كثيرة جدًّا، منها:** (١) الشرك. (٢) النفاق. (٣) عدم القيام بفرائض الإسلام. (٤) قتل النفس. (٥) أكل مال اليتيم. (٦) أكل أموال الناس بالباطل. (٧) عدم رجاء لقاء الله والركون إلى الدنيا. (٨) أكل الربا. (٩) الركون إلى الظالمين.

❁ **موجبات الوقاية من النار كثيرة جدًّا، منها:** (١) التوحيد. (٢) الصيام. (٣) الجهاد في سبيل الله. (٤) من مات له ثلاثة أبناء. (٥) الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها. (٦) البكاء من خشية الله.



أسئلة تطبيقيـة

س١: ما هو مفهوم الإيمان باليوم الآخر. وما حكم منكره؟ بين ذلك بالأدلة.

س٢: اذكر ثلاثة من الأدلة العقلية القرآنية على إثبات المعاد.

س٣: عرف الروح، وهل هي مخلوقة أم لا؟ وكيف ترد على المخالفين في ذلك؟ وهل تموت الروح أم لا؟ بين ذلك بالأدلة ما أمكن.

س٤: تناسخ الروح عقيدة شاع أمرها بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة. فما معناها؟ وما أصل نشأتها؟ وهل هناك من المنتسبين إلى الإسلام من يعتقدها؟ وكيف ترد على القائلين بها؟ بين ذلك بالأدلة.

س٥: هناك من يدعي إحضار أرواح الموتى ومخاطبتها في اليقظة. بين حقيقة هذه الدعوى، موضحًا تاريخ نشأتها، وموقف علماء الإسلام منها.

س٦: ما هي فتنة القبر؟ وما الأدلة عليها من الكتاب والسنة؟ وهل السؤال في القبر للروح أم للبدن أم لهما معًا؟ وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟ اشرح ذلك بالأدلة.

س٧: ما حكم إهداء ثواب الأعمال إلى الأموات؟ وضح مذاهب الأئمة في ذلك، مع الترجيح، وذِكْر الأدلة من الكتاب والسنة.

س٨: اذكر ثلاثًا من أشراط الساعة الصغرى، وثلاثًا من أشراط الساعة الكبرى، مع ذكر الأدلة.

س٩: (أدلة البعث والمعاد كثيرة لا تكاد تحصى، فقد دل عليه الكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة السليمة). اشرح هذه العبارة شرحًا وافيًّا.

س١٠: من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالنفخ في الصور. فما تعريفه؟ وكم

عدد النفخات فيه؟ بين الراجح في ذلك مع الاستدلال.

س١١: من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالميزان. فما حقيقة الميزان؟ وهل هو واحد أم متعدد؟ وما الذي يوزن؟ وضح ذلك كله بالأدلة.

س١٢: عرف الحساب لغة وشرعًا؟ وما الفرق بينه وبين العرض؟ مع ذكر أقسام الناس بالنسبة إلى الحساب.

س١٣: هل العبور على الصراط عام للمؤمنين والكافرين أم للمؤمنين فقط؟ وما الفرق بين الصراط والقنطرة؟ اشرح ذلك بالأدلة.

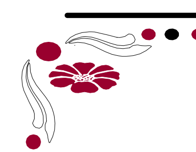
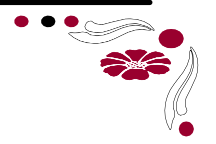
س١٤: الشفاعة قسمان: شفاعة ثابتة، وشفاعة منفية. وضح ذلك بالأدلة.

س١٥: من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان. كيف ترد على القائلين بأن الجنة لم تخلق بعد؟ وبين أقوال الناس في أبدية النار ودوامها، وكيف ترد على القائلين بفنائها؟ وهل القول بفناء النار بدعة أم لا؟ بين ذلك.



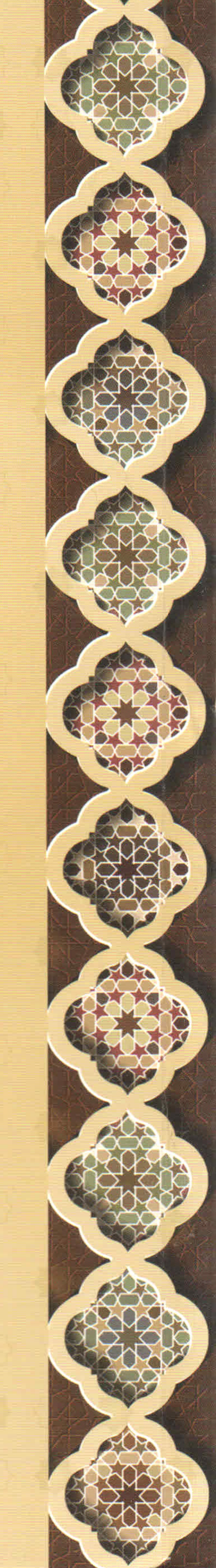


فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات





دراسات

في علم العقيدة

الجزء الرابع

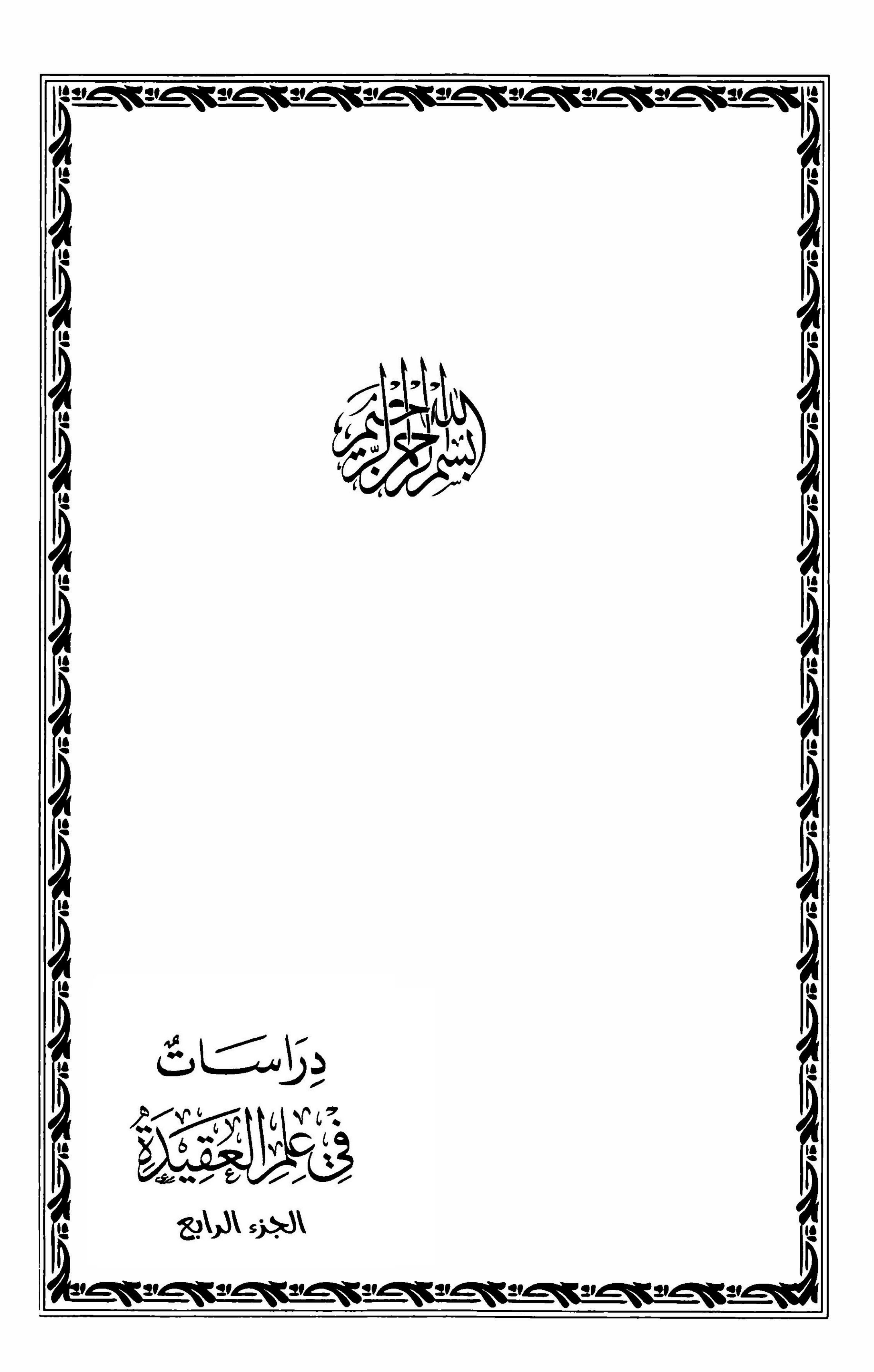
القضاء والقدر، الإيمان، الأسماء والأحكام
الولاية وكرامات الأولياء، الولاء والبراء
الامامة والجماعة، آل البيت والصحابة

تأليف

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري

جامعة القصيم كلية الشريعة والدراسات الإسلامية




بسم الله الرحمن الرحيم
دراسات
في علم العقيدة
الجزء الرابع

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القفاري، ناصر بن عبد الله.

دراسات في علم العقيدة/ ناصر بن عبد الله القفاري - الرياض، ١٤٤٢هـ.

٤ مج.

ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

١- العقيدة الإسلامية. أ- العنوان.

ديوي: ٢٤٠ ١٤٤٢/٦٩٦٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٦٩٦٩ ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

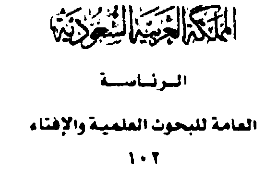
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م



دار العقيدة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

هاتف 0503310067



المملكة العربية السعودية
الرئاسة
العامة للبحوث العلمية والإفتاء
١٠٢

الرقم : ....
التاريخ : ....
المشفوعات : ....
الموضوع : ....

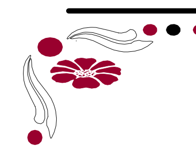
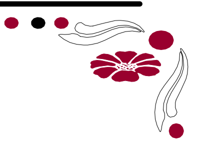
الحمد لله . والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد : فقد اطلعت على كتاب (دراسات في علم العقيدة) بأجزائه الأربعة لفضيلة الدكتور : ناصر بن عبدالله القفاري الأستاذ بجامعة القصيم . فوجدته كتابا جيدا مفيدا في موضوعه يجدر بكل طالب علم الاطلاع عليه . فجزاه الله خير الجزاء ونفع بعلمه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

٢/٦/١٤٤١هـ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

فهذا هو الجزء الرابع من سلسلة «**دراسات في علم العقيدة**»[(١)] وُضِعَ وَفْق الخطة الدراسية لتخصص الشريعة والدراسات الإسلامية الموافقة للمعايير الأكاديمية لمحتوى برامج الشريعة في مؤسسات التعليم العالي المعتمد لدى الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي، يتناول دراسة الركن السادس من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالقضاء والقدر، مع بعض المباحث المتممة لعلم العقيدة، وهي: الإيمان والكفر، والولاية وكرامات الأولياء، والإمامة، والجماعة، وآل البيت والصحابة.

وهذه المادة تعتمد في نصوصها أولًا على الكتاب والسنة؛ لأن الاعتقاد لا يؤخذ إلا عن الله ورسوله ﷺ، كما التزمت بالرجوع إلى ما قرره سلف الأمة وأئمتها؛ لأن علمهم قبسٌ من مشكاة النبوة، وقد عمدت إلى نقل نصوصهم بحروفها ليتعود الطالب على فهم كلامهم، ولأن كلام السابقين قليل اللفظ كثير البركة، كما أَنِّي قد أكرر النقل في المعنى الواحد؛ لأن تنوع الألفاظ في المعنى الواحد يعين الطالب على فهمه، ويساعد على رسوخه في ذهنه.

وبحكم أن الدراسة الجامعية تعتمد في غالبها على المادة المرجعية، بحيث يكلف الطالب بالرجوع في مفردات المنهج إلى مصادره، وأن يجمع منها -بإرشاد أستاذه- مادة تحقق أهداف المنهج، وتفي بمسائله وموضوعاته، إلا أن هذا لم يتحقق، ورأيت أن الطلاب كثيرًا ما ينصرفون

---

(١) وقد طبع أصله سابقًا باسم (مباحث في العقيدة).

عن هذه الطريقة إلى مذكرات يجمعها أحد زملائهم، فيها من الضعف العلمي ما لا يناسب مستوى طلاب العلم في هذه المرحلة المهمة، وحاجتهم إلى التكوين المعرفي والتأصيل العلمي.

ولهذا عمدت في وضع هذا الكتاب إلى الجمع والتأليف بين نصوص أهل العلم في المسائل المتعلقة بالمنهج المقرر.

واللهَ تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصًا، ولسنة نبيه ﷺ موافقًا، ولعباده نافعًا.

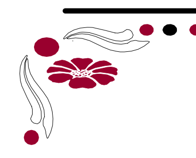
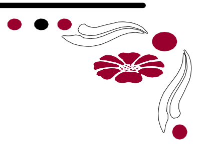
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري
n0380@hotmail.com



الفصل الأول

الإيمان بالقضاء والقدر

الفصل الأول

۞ ويشتمل على ما يلي:

١- المراد بالقضاء والقدر.

٢- الفرق بين القضاء والقدر.

٣- معنى الإيمان بالقضاء والقدر وأهميته.

٤- حكم الإيمان بالقضاء والقدر وأدلته.

٥- الخوض في القدر؛ المراد به، وحكمه.

٦- مراتب القدر: (العلم، الكتابة، الإرادة والمشيئة، الخلق).

٧- علاقة الأسباب بالقدر.

٨- علاقة الدعاء بالقدر.

٩- حكم الاحتجاج بالقدر على المصائب أو المعائب، والجواب عن شبهة الاحتجاج بالقدر على ترك الواجبات وفعل المعاصي.

١٠- مذاهب المخالفين في القدر، والرد عليهم إجمالًا.

١١- مسائل متعلقة بالقضاء والقدر (الهدى والضلال، الحكمة والتعليل، الاستطاعة، التكليف بما لا يطاق، معنى قول النبي ﷺ: «**والشر ليس إليك**»، معنى قول النبي ﷺ: «**يُنسأ له في أثره**»، الرضا بقضاء الله وقدره، المحو والإثبات).

١٢- ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.



المبحث الأول

المراد بالقضاء والقدر[(١)]

۞ أولًا: المراد بالقضاء والقدر لغة:

القضاء في اللغة: الإحكام والإتقان، قال ابن فارس: «القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال الله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ١٢] أي: أحكم خلقهن»[(٢)].

وقال ابن منظور: «يقال: قضى يقضي قضاء، فهو قاضٍ، إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق»[(٣)].

والقدر في اللغة: التقدير والقضاء والحكم. يقال: قدَّر الإله كذا تقديرًا، وهو ما يقدره الله ﷻ من القضاء ويحكم به من الأمور[(٤)].

---

(١) لم يرد الجمع بين القضاء والقدر في القرآن ولا في السنة -حسب علمي- ولم يرد كذلك في عناوين مصنفات السلف الجمع بينهما، بل الغالب في الذكر هو لفظ (القدر) مفردًا، مثل: القدر لابن وهب (ت ١٩٧هـ)، والقدر للفريابي (ت٣٠١هـ)، ولعل من أول من جمع بينهما هو الإمام البيهقي (ت٤٥٨هـ) في كتابه القضاء والقدر، ثم شاع الجمع بينهما في عناوين مصنفات المتأخرين والمعاصرين، ولذلك سنعرف في هذا المبحث بكل من (القضاء والقدر) في اللغة والشرع، ثم نبين الفرق بينهما.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٩٩)، وانظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٧٨).

(٣) لسان العرب (١٥/ ١٨٦).

(٤) انظر: لسان العرب (٥/ ٧٤)، تاج العروس (٧/ ٣٧٠).

۞ ثانيًا: المراد بالقضاء والقدر شرعًا:

أقدم تعريف للقدر شرعًا هو ما روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث قال: «القدر قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ، فمن كذب بالقدر، فقد جحد قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ»[(١)].

وبهذا التعريف عرفه الإمام أحمد، حين سئل عن القدر، فقال: «القدر قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ على العباد»[(٢)]، قال ابن القيم: «واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدًّا، وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين، وهو كما قال أبو الوفاء، فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الرب على خلق أعمال العباد وكتابتها وتقديرها»[(٣)]، فهذا تعريف للقدر من حيث أصله، وهو القدرة.

وعرفه بعض أهل العلم بذكر مراتبه الأربع كلها أو بعضها، قال الخطابي: «معناه: الإخبار عن تقدُّم علم الله سبحانه بما يكون من أفعال العباد... وصدورها عن تقدير منه وخلق لها، خيرها وشرها»[(٤)]، فذكر مرتبتين، هما: العلم، والخلق.

وعرفه النووي بقوله: «معناه: أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القِدَم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدَّرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»[(٥)].

وعرفه ابن كثير بقوله: «هو علمه الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل بَرْئها»[(٦)]، فذكر مرتبة العلم والكتابة.

والحاصل أن القدر يعرَّف على سبيل الإجمال بأنه: «التقدير المطابق

---

(١) الإبانة الكبرى، لابن بطة (٤/ ١٣١). (٢) السنة، لأبي بكر الخلال (٣/ ٥٤٤).
(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم (ص٢٨).
(٤) معالم السنن (٤/ ٣٢٢).
(٥) شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٤).
(٦) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٨٢).

للعلم»[١]، أو يقال: هو قدرة الله، أو تقدير الله تعالى لما كان وما يكون أزلًا وأبدًا، ويعرَّف على سبيل التفصيل بذكر مراتب القدر في التعريف فيقال: هو علمه سبحانه، ومشيئته، وخلقه، وكتابته لما كان وما يكون أزلًا وأبدًا.

وأما القضاء شرعًا، فقد عرفه شيخنا محمد بن عثيمين بقوله: «ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير»[٢].

وسيأتي في المبحث التالي بيان الفرق بينهما.



(١) شرح الطحاوية (٢/ ٣٥٨-٣٥٩)، وانظر تعريفات أخرى للقدر في: فتح الباري لابن حجر (١/ ١١٨)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٤٨)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٥١٢)، تقريب التدمرية (ص٩٥)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٥/ ١٣٧).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨/ ٥٣٩).



المبحث الثاني

الفرق بين القضاء والقدر

اختلف العلماء في الفرق بين القضاء والقدر على قولين:

القول الأول: لا فرق بينهما، فكل واحد منهما يستعمل بمعنى الآخر(١).

قال العلامة ابن باز: «القضاء والقدر، هو شيء واحد، الشيء الذي قضاه الله سابقًا وقدَّره سابقًا، يقال لهذا: القضاء، ويقال له: القدر، يعني ما سبق في علم الله أنه قدره من موت، وحياة، وعزٍّ، وذل، وأمن، وخوف، وغير ذلك كله يسمى قضاء ويسمى قدرًا»(٢).

القول الثاني: أن بينهما فرقًا، واختلف في تحديد هذا الفرق على أقوال، منها:

١- **أن القدر هو التقدير الأزلي السابق، والقضاء:** هو وقوع ما قدره الله، قال ابن الأثير: «القضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدم البناء ونقضه»(٣)، وقال الراغب الأصفهاني: «القدَر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، وقد ذكر بعض العلماء أن

(١) انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٦/ ٤١٣)، فتح البيان في مقاصد القرآن (١١/ ٩٩)، القضاء والقدر، د. عبد الرحمن المحمود (ص٤٤).

(٢) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز: «http://www.binbaz.org.sa/noor/1480».

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٧٨).

القدر بمنزلة المُعد للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل»[(١)].

٢- وقيل بالعكس، وهو أن القضاء هو التقدير السابق، والقدر هو وقوع ما قدره الله، قال الجرجاني: «الفرق بين القدر والقضاء؛ هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها»[(٢)].

والتحقيق: أن القضاء والقدر كلمتان، إن اجتمعتا افترقتا، وإن افترقتا اجتمعتا، فإذا قيل: هذا قدر الله؛ فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرتا جميعًا؛ فلكل واحدة منهما معنى[(٣)]، فيراد بالقدر: التقدير، أو ما قدره الله أزلًا، وبالقضاء: وقوع ما قدره الله عز وجل.



(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص٦٧٥).
(٢) التعريفات للجرجاني (ص٢٢٠). انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٤٩، ٤٧٧).
(٣) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨/ ٥٣٩).



المبحث الثالث

معنى الإيمان بالقضاء والقدر وأهميته

۞ أولًا: معنى الإيمان بالقضاء والقدر:

معنى الإيمان بالقضاء والقدر هو: «ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه؛ بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئًا إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون»[1]، فهو على سبيل الإجمال: الإيمان بتقدير الله تعالى لما كان وما يكون، وذلك يقتضي الإيمان بمراتب القدر الأربع، كما سيأتي.

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٤٩-٤٥٠).

۞ ثانيًا: أهمية الإيمان بالقضاء والقدر:

تتجلى أهميته من خلال ما يلي:

١- أنه أحد أركان الإيمان الستة العظام.

٢- أن من أنكره فهو كافر بالله العظيم.

٣- أن «القدر نظام التوحيد، فمن وحَّد الله وكذَّب بالقدر؛ نقض تكذيبُه توحيدَه»، كما قال ابن عباس[(١)].

٤- ما يتحقق من الإيمان به من الثمرات العظيمة من شجاعة القلب وطمأنينة النفس، وبرد اليقين، ورسوخ الإيمان، وغيرها من الثمرات، قال الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما طُعن: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨][(٢)]، وقالها طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رمي يوم الجمل[(٣)]، وكان عمر بن عبد العزيز يقول: «ما تركتني هذه الدعوات، ولي سرور في غير مواقع القضاء والقدر، اللهم رضِّني بقضائك وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل ما أخَّرت، ولا تأخير ما عجَّلت»[(٤)].

وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.



---

(١) أخرجه الفريابي في القدر (ص١٥٩)، والآجري في الشريعة (٢/ ٨٧٥)، وابن بطة في الإبانة (٤/ ١٥٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٥٨٣).

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٤/ ٨٨).

(٤) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ١٧٦).



المبحث الرابع

حكم الإيمان بالقضاء والقدر وأدلته

الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح الإيمان إلا بها؛ لقول النبي ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**»[(١)].

وقد دل على وجوب الإيمان بالقدر الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فمن الكتاب: قوله جل جلاله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: إنَّا خلقنا كل شيء بمقدار قدَّرناه وقضيناه»[(٢)]، وقال الحافظ ابن كثير: «يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه... وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]؛ أي: قدَّر لكل شيء تقديرًا من الأجل والرزق، فجرت المقادير على ما خلق -على أحد التفسيرين[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (ح١).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦٠).
(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٨٢).
(٤) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٦٩).

وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، قال ابن كثير: «أي: وكان أمره الذي يقدره كائنًا لا محالة، وواقعًا لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»(١).

وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ٢، ٣] قال ابن كثير: «أي: قدَّر قدرًا، وهدى الخلائق إليه، أي: كتب الأعمال والآجال والأرزاق، ثم الخلائق ماشون على ذلك، لا يحيدون عنه، ولا يقدر أحد على الخروج منه»(٢).

ومن السنة: حديث جبريل المشهور، وفيه: أن جبريل سأل النبي ﷺ قال: فأخبرني عن الإيمان، قال ﷺ: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» قال: صدقت(٣). فبين النبي ﷺ أن الإيمان بالقدر أحد أصول الإيمان العظيمة التي لا يتم الإيمان إلا بها.

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة**»(٤)، قال الحافظ ابن حجر: «وفيه أن الله يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات؛ لتصريح الخبر بأنه يأمر بكتابة أحوال الشخص مفصلة، وفيه أنه سبحانه مريد لجميع الكائنات، بمعنى أنه خالقها ومقدرها لا أنه يحبها ويرضاها، وفيه أن جميع الخير والشر بتقدير الله تعالى وإيجاده، وخالف في

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٧).
(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٩٨).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري (ح٣٢٠٨)، ومسلم (ح٢٦٤٣).

ذلك القدرية والجبرية»[(١)].

وعن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝﴾ [القمر: ٤٨، ٤٩][(٢)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله، بَيّن لنا ديننا كأنَّا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «**لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**» قال: ففيم العمل؟ قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت: ما قال؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر**»[(٣)]. قال الإمام النووي: «(جفت به الأقلام) أي: مضت به المقادير، وسبق علم الله تعالى به، وتمت كتابته في اللوح المحفوظ، وجف القلم الذي كتب به، وامتنعت فيه الزيادة والنقصان، قال العلماء: وكتاب الله تعالى ولوحه وقلمه والصحف المذكورة في الأحاديث كل ذلك مما يجب الإيمان به، وأما كيفية ذلك وصفته فعلمها إلى الله تعالى»[(٤)].

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس** - أو **الكيس والعجز**»[(٥)]، قال القاضي عياض: «العجز هنا يحتمل أن يكون على ظاهره، وهو عدم القدرة، وقيل: هو ترك ما يجب فعله، والتسويف فيه وتأخيره عن وقته، قيل: ويحتمل أن يريد بذلك عمل الطاعة، ويحتمل أن يريد عموم أمور الدنيا والآخرة. والكيس ضد العجز، وهو النشاط والحذق بالأمور. . . وإدخال مالكٍ وأهل الصحيح له فى كتاب القدر دليل على أن المراد بالقدر هاهنا: ما قدره تعالى وأراده من خلقه، ومعناه: أن

(١) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٤٩٠).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٦٥٦).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٦٤٨).
(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٩٧-١٩٨).
(٥) أخرجه مسلم (ح٢٦٥٥).

العاجز قد قدر عجزه، والكيِّس قد قدر كيسه»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[(٢)].

وعن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[(٣)].

وعن يحيى بن يعمر، قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجَّين أو معتمرَين فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوُفِّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبَلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتَقَفَّرون العلم[(٤)]، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُف[(٥)]، قال: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني،

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٨/ ١٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٦٦٤).

(٣) أخرجه الترمذي (ح٢٥١٦)، وقال: «حسن صحيح».

(٤) «معناه: يطلبونه ويتتبعونه، هذا هو المشهور، وقيل: معناه: يجمعونه» (شرح النووي على مسلم ١/ ١٥٥).

(٥) «أي: مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه» (شرح النووي على مسلم ١/ ١٥٦).

والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحُد ذهبًا، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»[(١)].

وعن طاوس قال: «أدركتُ ثلاثَمائة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر»[(٢)]. وقال الإمام اللالكائي: «وهو مذهب أهل السنة والجماعة يتوارثونه خلفًا عن سلف، من لدن رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب، والحمد لله على ذلك»[(٣)].

وأما الإجماع، فقد أجمعت الأمة على الإيمان بالقدر، قال أبو الأسود الدؤلي: «ما رأينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت القدر»[(٤)].

وقال الإمام النووي: «وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى»[(٥)].

وقال الإمام عبد الغني المقدسي: «وأجمع أئمة السلف من أهل الإسلام على الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، قليله وكثيره بقضاء الله وقدره، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يجري خير وشر إلا بمشيئته، خلق من شاء للسعادة واستعمله بها فضلًا، وخلق من أراد للشقاء واستعمله به عدلًا، فهو سر استأثر به، وعِلمٌ حجبه عن خلقه»[(٦)].

وقال شيخ الإسلام: «وأما السلف والأئمة كما أنهم متفقون على الإيمان بالقدر وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء من أفعال

(١) أخرجه مسلم (ح٨).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٩١).
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٩٤).
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٦٤٦).
(٥) شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٢، ٤٥٩)، فتح الباري (١١/ ٤٧٨).
(٦) عقيدة الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ص٧٧).

العباد وغيرها وهم متفقون على إثبات أمره ونهيه ووعده ووعيده، وأنه لا حجة لأحد على الله في ترك مأمور ولا فعل محظور. فهم أيضًا متفقون على أن الله حكيم رحيم، وأنه أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين»[١].

وقال ابن حجر: «ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]»[٢].



(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٦٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٧٨).



المبحث الخامس

الخوض في القدر

المراد به وحكمه

۞ أولًا: المراد بالخوض في القدر:

يراد بالخوض في القدر: الكلام فيه بالباطل(١)، **وهو يشمل عدة أمور:**

١- الخوض فيه بغير علم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الخوض في ذلك [أي: القدر] بغير علم تامٍّ أوجب ضلال عامة الأمم؛ ولهذا نهى النبي ﷺ أصحابه عن التنازع فيه»(٢).

٢- الاعتراض على القدر، وترك الرضا والتسليم، كما قال الإمام ابن بطة: «فجميع ما قد رويناه في هذا الباب يلزم العقلاء الإيمان بالقدر والرضا والتسليم لقضاء الله وقدره، وترك البحث والتنقير، وإسقاط لم، وكيف، وليت ولولا، فإن هذه كلها اعتراضات من العبد على ربه، ومن الجاهل على

---

(١) قال ابن منظور: «**الخوض**: اللبس في الأمر، **والخوض من الكلام**: ما فيه الكذب والباطل» (لسان العرب ٧/ ١٤٧)، وقال الزمخشري: «**الخوض**: الدخول في الباطل واللهو» (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢/ ٢٨٨)، ولم يستعمل في القرآن إلا على سبيل الذم، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقال: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٣٧).

العالِم، معارضة من المخلوق الضعيف الذليل على الخالق القوي العزيز، والرضا والتسليم طريق الهدى، وسبيل أهل التقوى، ومذهب مَن شرح الله صدره للإسلام»[١].

٣- الخوض فيه بالعقل، دون الاستناد إلى الوحي؛ لأن القدر غيب، ولا يمكن للعقل إدراك سره على وجه التفصيل، قال الإمام البغوي: «القدر سر من أسرار الله لم يُطلع عليه ملَكًا مقرَّبًا، ولا نبيًّا مرسلًا، لا يجوز الخوض فيه، والبحث عنه بطريق العقل»[٢].

۞ ثانيًا: حكم الخوض في القدر:

لا يجوز الخوض في القدر بغير الحق الذي جاء به الكتاب والسنة، فقد جاء في السنة التحذير من الخوض والجدال في القدر، فعن عبد الله بن عمرو، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم، والناس يتكلمون في القدر، قال: وكأنما تَفَقَّأ في وجهه حبّ الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: «**ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟! بهذا هلك من كان قبلكم**»، قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله ﷺ لم أشهده، بما غبطت نفسي بذلك المجلس، أني لم أشهده[٣].

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا**»[٤]، «يعني: آمنوا بالقدر، وأمسكوا

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٤/ ٣١٦).
(٢) شرح السنة، للبغوي (١/ ١٤٤)، وانظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٤٧٧).
(٣) أخرجه أحمد في المسند (ح٦٦٦٨)، والترمذي (ح٢١٣٣)، وإسناده حسن.
(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٩٦)، قال الهيثمي: «فيه يزيد بن ربيعة، وهو ضعيف» (مجمع الزوائد ٧/ ٢٠٢)، لكن حسنه الحافظ ابن حجر من طريق آخر (فتح الباري ١١/ ٤٧٧)، وقال الألباني: «روي من حديث ابن مسعود، وثوبان، وابن عمر، وطاوس مرسلًا، وكلها ضعيفة الأسانيد، ولكن بعضها يشد بعضًا» (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٧٥).

عن الكلام فيه [يعني بغير الحق]، والمجادلة في ذلك»[١].

قال الإمام الطحاوي: «وأصل القدر: سر الله تعالى في خلقه، لم يَطَّلع على ذلك ملَكٌ مقرَّب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخِذْلان، وسُلَّم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذرَ كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب، كان من الكافرين»[٢]، وقال أيضًا: «فويلٌ لمن ضاع[٣] له في القدر قلبًا سقيمًا (وفي نسخة: فويل لمن صار قلبه في القدر قلبًا سقيمًا)، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرًّا كتيمًا، وعاد بما قال فيه أفاكًا أثيمًا»[٤].

قال ابن أبي العز: «أي طلب بوهمه في البحث عن الغيب سرًّا مكتومًا؛ إذ القدر سرُّ الله في خلقه، فهو يروم ببحثه الاطلاع على الغيب، وقد قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾ [الجن: ٢٦] إلى آخر السورة. وقوله: (وعاد بما قال فيه)، أي في القدر: أفَّاكًا: كذابًا. أثيمًا: أي مأثومًا»[٥].

أما الكلام في القدر بالحق فليس من الخوض المنهي عنه، وهو مشروع بل واجب؛ لأنه بيان للركن السادس من أركان الإيمان.



(١) تفسير الموطأ، للقنازعي (٢/ ٧٣٩).
(٢) الطحاوية مع شرح ابن أبي العز (١/ ٣٢٠).
(٣) الصواب لغةً: أضاع. والظاهر أنها تصحفت من النساخ.
(٤) الطحاوية مع شرح ابن أبي العز (٢/ ٣٦٠).
(٥) شرح الطحاوية (٢/ ٣٦٣-٣٦٤).



المبحث السادس

مراتب القدر

مراتب القدر إجمالًا:

«مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، وهي أربع مراتب: المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها. المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها. المرتبة الثالثة: مشيئته لها. الرابعة: خلقه لها»(١).

وقد نظمها بعضهم في هذا البيت، فقال:

علمٌ كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو إيجادٌ وتكوين

أما مراتب القدر تفصيلًا، فهي كما يلي(٢):

المرتبة الأولى: العلم:

المراد به: الإيمان بأن الله تعالى قد علم بعلمه الأزلي الأبدي ما كان وما يكون من صغير وكبير، وظاهر وباطن مما يكون من أفعاله، أو أفعال مخلوقاته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله

(١) شفاء العليل، لابن القيم (ص٢٩).

(٢) انظر: شفاء العليل (ص٢٩) وما بعدها، معارج القبول (٣/ ٩٢٠)، تقريب التدمرية (ص٩٥-٩٧).

تعالى عَلِمَ ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلًا، وعَلِمَ جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال»(١).

أدلته: قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سبأ: ٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠].

ومن السنة حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: سئل النبي ﷺ عن ذراري المشركين، فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»(٢).

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسًا وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: «**ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار**» قالوا: يا رسول الله فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: «**لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾، إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ - ١٠](٣).

قال ابن القيم: «والله سبحانه قد علم -قبل أن يُوجِد عباده- أحوالهم، وما هم عاملون، وما هم إليه صائرون، ثم أخرجهم إلى هذه الدار ليظهر معلومه الذي علمه فيهم كما علمه، وابتلاهم من الأمر والنهي والخير والشر بما أظهر معلومه، فاستحقوا المدح والذم والثواب والعقاب بما قام بهم من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق، ولم يكونوا يستحقون ذلك وهي في علمه قبل أن يعملوها، فأرسل رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه إعذارًا إليهم وإقامة

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٣٨٤)، ومسلم (ح٢٦٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٦٤٧).

للحجة عليهم؛ لئلا يقولوا: كيف تعاقبنا على علمك فينا، وهذا لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا!! فلما ظهر علمه فيهم بأفعالهم حصل العقاب على معلومه الذي أظهره الابتلاء والاختبار، وكما ابتلاهم بأمره ونهيه ابتلاهم بما زيَّن لهم من الدنيا، وبما ركّب فيهم من الشهوات، فذلك ابتلاء بشرعه وأمره، وهذا ابتلاء بقضائه وقدره»[(١)].

الرد على من أنكره:

لم ينكره سوى القدرية الغلاة[(٢)]، الذين قالوا: إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، وأن الأمر أُنُف؛ أي: مستأنف في علم الله تعالى، فأنكروا علم الله الأزلي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هم الذين كانوا يقولون: إن الله أمر العباد ونهاهم، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار، حتى فعلوا ذلك، فعلمه بعد ما فعلوه، ولهذا قالوا: الأمر أُنُف، أي: مستأنف... يعني أنه مستأنف العلم بالسعيد والشقي، ويبتدئ ذلك من غير أن يكون قد تقدم بذلك علم ولا كتاب، فلا يكون العمل على ما قد قدَّر فيحتذي به حذو القدر، بل هو أمر مستأنف»[(٣)]، وقد انقرضوا ولم يبق لهم باقية، قال الإمام النووي: «وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ولكن يقولون: الخير من الله والشر من غيره

---

(١) شفاء العليل (ص٣٥).

(٢) إنكار علم الله الأزلي هو مذهب القدرية الأوائل، وجمهور المعتزلة يثبتونه، لكن ينسب إلى عمرو بن عبيد المعتزلي إنكاره، ولعله هو الذي عناه الإمام ابن أبي العز بغلاة المعتزلة، قال أبو بكر المروذي: سألت أبا عبد الله -يعني الإمام أحمد بن حنبل- عن عمرو بن عبيد، قال: «كان لا يقر بالعلم، وهذا الكفر بالله ﷻ» (السنة لأبي بكر الخلال ٣/ ٥٢٩)، وانظر: رسالة في تحقيق مسألة علم الله، ضمن: جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ١٧٧)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٨١).

تعالى الله عن قولهم»[١].

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أدلة إثبات علم الله الأزلي المحيط بكل شيء، كقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ٩٨﴾ [طه: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

الثاني: أدلة إثبات علم الله جل وعلا بما لم يكن ولو كان كيف يكون، كقوله سبحانه: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

الثالث: أما قوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ فإنها ترد إلى المحكم من الآيات التي فيها إثبات علم الله المطلق، والمعنى المراد بهذه الآية وأمثالها هو علم الظهور، يعني ظهور علم الله السابق في المكلفين لإقامة الحجة عليهم؛ لأن الله تعالى لا يحاسب العباد إلا على ما ظهر من أعمالهم، وإلا فلو ارتبط الثواب والعقاب بعلم الله الباطن دون ظهور الشيء في الواقع لكان للمكلف حجة، وهذا من كمال عدل الله جل وعلا.

الرابع: أن هذا المذهب يتضمن إنكار علم الله تعالى الأزلي، وهو رد لقول الله ورسوله ﷺ، ولهذا تبرأ منهم الصحابة وكفَّرهم الأئمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هؤلاء [غلاة القدرية] نبغوا في أواخر عصر الصحابة، فلما سمع

---

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٤).

الصحابة بدعهم تبرءوا منهم، كما تبرأ منهم ورد عليهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع وغيرهم، وقد نص الأئمة كمالك والشافعي وأحمد على كفر هؤلاء الذين ينكرون علم الله القديم»[(١)]، وقال أيضًا: «قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ والشافعي وأحمد في القدري: إن جحد علم الله كفر، ولفظ بعضهم: ناظروا القدرية بالعلم؛ فإن أقروا به خُصِموا، وإن جحدوه كفروا، وسئل أحمد عن القدري: هل يكفر؟ فقال: إن جحد العلم كفر»[(٢)].

قال ابن أبي العز الحنفي: «وإذا قيل: فيلزم أن يكون العبد قادرًا على تغيير علم الله، لأن الله علم أنه لا يفعل، فإذا قدر على الفعل قدر على تغيير علم الله.

قيل: هذه مغالطة، وذلك أن مجرد مقدرته على الفعل لا تستلزم تغيير العلم، وإنما يظن من يظن تغيير العلم إذا وقع الفعل، ولو وقع الفعل لكان المعلوم وقوعه لا عدم وقوعه، فيمتنع أن يحصل وقوع الفعل مع علم الله بعدم وقوعه، بل إن وقع كان الله قد علم أنه يقع، وإن لم يقع كان الله قد علم أنه لا يقع، ونحن لا نعلم علم الله إلا بما يظهر، وعلم الله مطابق للواقع، فيمتنع أن يقع شيء يستلزم تغيير العلم، بل أي شيء وقع كان هو المعلوم، والعبد الذي لم يفعل لم يأت بما يغير العلم، بل هو قادر على فعل لم يقع، ولو وقع لكان الله قد علم أنه يقع، لا أنه لا يقع.

وإذا قيل: فمع عدم وقوعه يعلم الله أنه لا يقع، فلو قدر العبد على وقوعه قدر على تغيير العلم؟ قيل: ليس الأمر كذلك، بل العبد يقدر على وقوعه وهو لم يوقعه، ولو أوقعه لم يكن المعلوم إلا وقوعه، فمقدور العبد إذا وقع لم يكن المعلوم إلا وقوعه، وهؤلاء فرضوا وقوعه مع العلم بعدم وقوعه! وهو فرض محال. وذلك بمنزلة من يقول: افرض وقوعه مع عدم وقوعه! وهو

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٨٨).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٩).

جمع بين النقيضين»[(١)].

۞ المرتبة الثانية: الكتابة:

المراد بها: الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، فما من شيء كان أو يكون إلا وهو مكتوب مقدَّر قبل أن يكون، و«ما كتبه سبحانه وأثبته عنده كان في علمه قبل أن يكتبه، ثم كتبه كما في علمه، ثم وُجِدَ كما كتبه»[(٢)]، قال الإمام ابن القيم: «فالرب سبحانه كتب ما يقوله وما يفعله، وما يكون بقوله وفعله، وكتب مقتضى أسمائه وصفاته وآثارها»[(٣)].

أدلتها: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، قال الإمام الطبري: «﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: إن علمه بذلك في كتاب، وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جل ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة»[(٤)]، وقوله سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، قال الشيخ السعدي: «﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ، قد حواها، واشتمل عليها»[(٥)]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ [النمل: ٧٤، ٧٥]، قال

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٣٥٣- ٣٥٤).
(٢) شفاء العليل (ص٣٥).
(٣) شفاء العليل (ص٤٣).
(٤) تفسير الطبري (١٦/ ٦٢٩).
(٥) تفسير السعدي (ص٢٥٩).

الشوكاني: «قال المفسرون: ما من شيء غائب، وأمر يغيب عن الخلق في السماء والأرض ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ إلا هو مبين في اللوح المحفوظ»[(١)].

ومن السنة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»، قال: «**وعرشه على الماء**»[(٢)]، قال النووي: «قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له»[(٣)].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض**»[(٤)].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»[(٥)].

وعن علي رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «**ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتب شقية أو سعيدة**»، فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منَّا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان منَّا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، قال: «**أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة**» ثم قرأ:

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٧٣).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٦٤٣).
(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٠٣).
(٤) أخرجه مسلم (ح٧٤١٨).
(٥) أخرجه أبو داود (ح٤٧٠٠)، والترمذي (ح٣٣١٩)، وصححه الألباني (صحيح الجامع برقم ٢٠١٧).

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ الآية [الليل: ٥، ٦][(١)].

قال ابن القيم: «وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب»[(٢)].

أنواع كتابة المقادير وأدلتها[(٣)]:

الأول: التقدير الأزلي العام الشامل لكل الكائنات، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾ [الحديد: ٢٢]، وكما جاء في حديث عبد الله بن عمرو، وحديث عمران بن حصين السابقين.

الثاني: التقدير العمري عند تخليق النطفة في الرحم، فيكتب إذ ذاك ذكوريتها وأنوثتها، والأجل والعمل، والشقاوة والسعادة، والرزق وجميع ما هو لاقٍ، فلا يزاد فيه ولا ينقص منه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١﴾ [فاطر: ١١].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق، قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٣٦٢)، ومسلم (ح٢٦٤٧).

(٢) شفاء العليل (ص٤١).

(٣) انظر: شفاء العليل (ص٦- ٢٣)، معارج القبول (٣/ ٩٢٨-٩٣٩).

(٤) سبق تخريجه.

الثالث: التقدير الحولي في ليلة القدر، يقدَّر فيها كل ما يكون في السنة إلى مثله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ١ - ٤].

الرابع: التقدير اليومي، وهو سَوْق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ۝٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩]، وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾، قال: «**من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويخفض آخرين**»[١].

أنواع الأقلام:

قال الإمام ابن أبي العز: «وقد جاءت الأقلام في هذه الأحاديث[٢] وغيرها مجموعة، فدل ذلك على أن للمقادير أقلامًا... **والذي دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة...**:

القلم الأول: العام الشامل لجميع المخلوقات...

القلم الثاني: حين خلق آدم، وهو قلم عام أيضًا، لكن لبني آدم، ورد في هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم، عقيب خلق أبيهم.

القلم الثالث: حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة.

القلم الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه، الذي بأيدي الكرام الكاتبين، الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم، كما ورد ذلك في الكتاب والسنة»[٣].

(١) أخرجه ابن ماجه (ح٢٠٢)، وحسنه الألباني.

(٢) مثل حديث: «**رُفعت الأقلام، وجفَّت الصحف**»، وقد سبق تخريجه.

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٣٤٨).

۞ المرتبة الثالثة: المشيئة:

المراد بها: الإيمان بمشيئة الله تعالى وأنها عامة في كل شيء، فما وجد موجود، ولا عدم معدوم من صغير وكبير، وظاهر وباطن في السموات والأرض إلا بمشيئة الله ﷻ سواء كان ذلك من فعله تعالى، أم من فعل مخلوقاته.

أدلتها: دل عليها الكتاب والسنة والإجماع، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، يقول جل جلاله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه، قال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء، لا مكره له**»(٢).

قال ابن القيم: «وهذه المرتبة قد دلَّ عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها

(١) أخرجه مسلم (ح٢٦٥٤).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٤٧٧) واللفظ له، ومسلم (ح٢٦٧٩).

خلقه، وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجِبٌ ومقتضٍ إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»[(١)].

أنواع الإرادة الإلهية وعلاقتها بالأمر الشرعي والمحبة:

الإرادة نوعان:

١- **إرادة كونية قدرية،** وهي بمعنى المشيئة.

٢- **إرادة شرعية دينية،** وهي بمعنى المحبة.

والإرادة أعم من المشيئة؛ لأنها تنقسم إلى كونية ودينية، والمشيئة أخص؛ لأنها لا تنقسم، بل هي مرادفة للإرادة الكونية القدرية، والإرادة الكونية لا بد فيها من وقوع المراد، والدينية لا يلزم منها وقوع المراد، كما سيأتي في الفرق بينهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**الإرادة نوعان:**

١- **إرادة دينية:** وهي المقارنة للأمر والنهي والحب والبغض والرضا والغضب.

٢- **وإرادة كونية:** وهي المقارنة للقضاء والقدر والخلق والقدرة»[(٢)].

وقال أيضًا: «الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة تتعلق بالأمر، وإرادة تتعلق بالخلق. فالإرادة المتعلقة بالأمر أن يريد من العبد فعل ما أمره به، وأما إرادة الخلق فأن يريد ما يفعله هو، فإرادة الأمر هي المتضمنة للمحبة والرضا وهي الإرادة الدينية، والثانية المتعلقة بالخلق هي المشيئة، وهي الإرادة الكونية القدرية.

(١) شفاء العليل (ص٤٣).
(٢) الاستقامة (١/ ٤٣٣).

فالأولى: كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٦] إلى قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [سورة النساء: ٢٨]، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

والثانية: كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقول نوح: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

ومن هذا النوع قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومن النوع الأول قولهم لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله»[(١)].

وقال الإمام ابن القيم: «لفظ الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة كونية شاملة لجميع المخلوقات، كقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، وقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ [الإسراء: ١٦]، وقوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، ونظائر ذلك، وإرادة دينية أمرية لا يجب وقوع مرادها، كقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾»[(٢)] [النساء: ٢٧].

والمخلوقات مع كلٍّ من الإرادتين أربعة أقسام:

«**أحدها:** ما تعلقت به الإرادتان، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة؛ فإن الله أراده إرادة دين وشرع؛ فأمر به وأحبه ورضيه وأراده إرادة كون فوقع، ولولا ذلك لما كان.

والثاني: ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط، وهو ما أمر الله به من الأعمال

(١) منهاج السنة النبوية (٣/ ١٥٦-١٥٧)، وانظر: المصدر السابق (٣/ ١٨٠).
(٢) شفاء العليل (ص٣٢)، وانظر: المصدر السابق (ص٤٨)، شرح الطحاوية (١/ ٨٠-٨١).

الصالحة، فعصى ذلك الأمرَ الكفارُ والفجارُ، فتلك كلها إرادة دين وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع.

والثالث: ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط، وهو ما قدره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها، كالمباحات والمعاصي، فإنه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها؛ إذ هو لا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما كانت ولما وجدت فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والرابع: ما لم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه، فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي»(١).

ويلخص الشيخ ابن عثيمين الفرق بين الإرادتين، فيقول: «**الفرق بينهما:**

أولًا: من حيث المتعلَّق، فالإرادة الشرعية تتعلق بما يحبه الله ﷿ سواء وقع أو لم يقع، وأما الكونية؛ فتتعلق بما يقع، سواء كان مما يحبه الله أو مما لا يحبه.

ثانيًا: الفرق بينهما من حيث حصول المراد، فالشرعية لا يلزم منها وقوع المراد، أما الكونية فيلزم منها وقوع المراد، فقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ هذه إرادة شرعية؛ لأنها لو كانت كونية لتاب على كل الناس، وأيضًا متعلَّقها فيما يحبه الله وهو التوبة، وقوله تعالى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ هذه كونية؛ لأن الله لا يريد الإغواء شرعًا، أما كونًا وقدرًا فقد يريده»(٢).

موقف المخالفين من هذا التقسيم:

لا يفرق المخالفون من الجبرية والقدرية بين الإرادتين، وعدم التفريق بينهما هو أصل ضلال الفرق في هذه المسألة، قال الإمام ابن أبي العز

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١٨٨-١٨٩).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٢٠).

الحنفي: «منشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا، فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوبًا مرضيًّا، وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه، وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قالت القدرية: وقد علم بالكتاب والسنة وإجماع السلف أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح، ولا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، ويكره الكفر والفسوق والعصيان، قالوا: فيلزم من ذلك أن يكون كل ما في الوجود من المعاصي واقعًا بدون مشيئته وإرادته، كما هو واقع على خلاف أمره وخلاف محبته ورضاه، وقالوا: إن محبته ورضاه لأعمال عباده هو بمعنى أمره بها، فكذلك إرادته لها بمعنى أمره بها، فلا يكون قط عندهم مريدًا لغير ما أمر به، وأخذ هؤلاء يتأولون ما في القرآن من إرادته لكل ما يحدث ومن خلقه لأفعال العباد بتأويلات محرفة. وقالت الجهمية ومن اتبعها من الأشعرية وأمثالهم: قد علم بالكتاب والسنة والإجماع أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، ولا يكون خالقًا إلا بقدرته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما في الوجود فهو بمشيئته وقدرته وهو خالقه، سواء في ذلك أفعال العباد وغيرها، ثم قالوا: وإذا كان مريدًا لكل حادث والإرادة هي المحبة والرضا، فهو محب راض لكل حادث، وقالوا: كل ما في الوجود من كفر وفسوق وعصيان فإن الله راض به محب له؛ كما هو مريد له»[(٢)].

والنصوص السابقة التي فيها التفريق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ترد على كلتا الطائفتين وتبطل مذهبهم.

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٣٢٤)، وانظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٢٦٤-٢٦٥).
(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٤٠-٣٤١).

❁ المرتبة الرابعة: الخلق:

المراد بها: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء من صغير وكبير، وظاهر وباطن، وأن خلقه شامل لأعيان المخلوقات، وصفاتها، وما يصدر عنها من أقوال، وأفعال، وآثار، ومن ذلك أنه سبحانه خالق أفعال العباد حقيقة.

أدلتها: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، قال الإمام ابن أبي العز: «أي: كل شيء مخلوق، وكل موجود سوى الله فهو مخلوق، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتمًا»[(١)].

وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال جل جلاله: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

خلق أفعال العباد:

الله خالق كل شيء، ومن ذلك: أفعال العباد، فهي داخلة في عموم الآيات السابقة.

وقد دل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى على وجه الخصوص الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب: قوله جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]، **وقد اختلف المفسرون في معنى (ما) في الآية على وجهين:**

الأول: أن تكون مصدرية، فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق عملكم.

الثاني: أن تكون موصولة، فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه[(٢)].

لأن (ما) الموصولة من صيغ العموم[(٣)].

والأَوْلَى أن تكون (ما) في الآية موصولة، والتقدير: والله خلقكم وخلق

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ١٨١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦).

(٣) انظر: روضة الناظر (٢/ ١٢).

الأصنام التي تعملونها، وضعَّف شيخ الإسلام ابن تيمية القول بأن (ما) في الآية مصدرية(١).

وقال الإمام ابن القيم: «فإن كانت (ما) مصدرية كما قدَّره بعضهم، فالاستدلال ظاهر وليس بقوي؛ إذ لا تناسب بين إنكاره عليهم عبادة ما ينحتونه بأيديهم، وبين إخبارهم بأن الله خالق أعمالهم من عبادة تلك الآلهة ونحتها وغير ذلك، فالأولى أن تكون (ما) موصولة، أي: والله خلقكم وخلق آلهتكم التي عملتموها بأيديكم، فهي مخلوقة له، لا آلهة شركاء معه»(٢).

ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١] قال ابن القيم: «فأخبر أنه هو الذي جعل السرابيل وهي الدروع والثياب المصنوعة، ومادتها لا تسمى سرابيل إلا بعد أن تحيلها صنعة الآدميين وعملهم، فإذا كانت مجعولة لله فهي مخلوقة له بجملتها؛ صورتها ومادتها وهيئاتها»(٣).

«وقد أخبر سبحانه أنه هو الذي جعل أئمة الخير يدعون إلى الهدى وأئمة الشر يدعون إلى النار، فتلك الإمامة والدعوة بجعله فهي مجعولة له وفعل لهم، قال تعالى عن آل فرعون: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١]، وقال عن أئمة الهدى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، فأخبر أن هذا وهذا بجعله مع كونه كسبًا وفعلًا للأئمة، ونظير ذلك قول الخليل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، فأخبر الخليل أنه سبحانه هو الذي يجعل المسلم مسلمًا»(٤).

ومن السنة حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله خلق كل صانع**

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٦٠-٢٦١، ٣٣٦).
(٢) شفاء العليل (ص٥٥).
(٣) شفاء العليل (ص٥٤-٥٥).
(٤) شفاء العليل (ص٥٥).

وصنعته»[١].

وأما الإجماع فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها كما نص على ذلك سائر أئمة الإسلام، الإمام أحمد ومن قبله وبعده، حتى قال بعضهم: من قال: إن أفعال العباد غير مخلوقة، فهو بمنزلة من قال: إن السماء والأرض غير مخلوقة، وقال يحيى بن سعيد العطار: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: أفعال العباد مخلوقة»[٢].

فمذهب أهل السنة الإيمان بأن الله خالق كلِّ شيءٍ من أفعال العباد وغيرها، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه أمر بالطاعة وأحبها ورضيها، ونهى عن المعصية وكرهها، والعبد فاعل حقيقة، والله خالق فعله[٣]، وإضافة أفعال العباد إليهم فعلًا وكسبًا لا ينفي إضافتها إليه سبحانه خلقًا ومشيئة، فهو سبحانه الذي شاءها وخلقها، وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة، فلو لم تكن مضافة إلى مشيئته وقدرته وخلقه لاستحال وقوعها منهم؛ إذ العباد أعجز وأضعف من أن يفعلوا ما لم يشأه الله، ولم يُقْدر عليه ولا خلَقه[٤]، وأهل السنة يقولون: إن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله ومفعول لله، لا يقولون: هو نفس فعل الله، ويفرقون بين الخلق والمخلوق، والفعل والمفعول[٥].

قال ابن أبي العز: «الذي عليه أهل السنة والجماعة: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد. . . وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كونًا، ولا يرضاه دينًا»[٦].

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص٤٦)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح، غير أحمد بن عبد الله أبي الحسين بن الكردي وهو ثقة» (مجمع الزوائد ٧/ ١٩٧).
(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٠٦).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٢).
(٤) انظر: شفاء العليل (ص٥٤).
(٥) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٩٨).
(٦) شرح الطحاوية (١/ ٣٢١).

والتوفيق بين كون فعل العبد مخلوقًا لله وكونه كسبًا للعبد من وجهين:

الأول: أن فعل العبد من صفاته، والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى.

الثاني: أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنية ولولاهما لم يكن فعل، والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى، وخالق السبب خالق للمسبَّب، فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مُسَبَّب إلى سبب لا نسبة مباشرة؛ لأن المباشر حقيقة هو العبد، فلذلك نُسِبَ الفعل إليه كسبًا وتحصيلًا، ونُسِبَ إلى الله خلقًا وتقديرًا، فلكلٍّ من النِّسْبتين اعتبار(١).

وهذا الركن هو الذي وقع فيه النزاع بين أهل السنة وبين مخالفيهم من القدرية والجبرية ومن تابعهم.



(١) انظر: تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص٩٥).



المبحث السابع

علاقة الأسباب بالقدر

الأسباب من القدر؛ فإن الله ربط المسبَّبات بأسبابها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وما قدره الله وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم فإنما قدره الله بأسباب يسوق المقادير إلى المواقيت فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب والله خالق الأسباب والمسببات، ولهذا قال بعضهم: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومَحْو الأسباب أن تكون أسبابًا؛ نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع»(١).

ومما يدل على أن ما قدره الله فإنما قدره بأسباب وأن العمل بالأسباب لا ينافي القدر؛ ما جاء من الأمر باتخاذ الأسباب في الكتاب والسنة، وهو ما عليه عمل الصحابة -رضوان الله عليهم.

فمن أدلة القرآن: قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾ [الأنفال: ٦٠]، فأمر جل وعلا بإعداد ما نستطيع من القوة؛ لأن هذا سبب إرهاب العدو، ويدخل في ذلك جميع أنواع القوة العقلية والبدنية والأسلحة بشتى أنواعها(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٧٠)، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٧٩-٦٨٠).
(٢) انظر: تفسير السعدي (ص٣٢٤).

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء: ١٠٢].

ومن السنة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: قال رجل: يا رسول الله، أعقلُها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «**اعقلْها وتوكل**»(١).

ومن أدلة مشروعية الأخذ بالأسباب عند الصحابة حديث عبد الله بن عباس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد، أبوعبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشأم. قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح(٢) على ظهر فأصبحوا عليه. قال أبوعبيدة بن الجراح: أفرارًا من قدَر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا

---

(١) أخرجه الترمذي (ح٢٥١٧)، وحسنه الألباني (صحيح الجامع برقم ١٠٦٨).

(٢) أي: مسافر راكب على ظهر الراحلة، راجع إلى وطني. شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٠).

عبيدة؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عُدْوَتان[١]، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن ابن عوف - وكان متغيبًا في بعض حاجته - فقال: إن عندي في هذا علمًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**» قال: فحمد اللهَ عمرُ ثم انصرف[٢].

مذاهب الناس في تأثير الأسباب:

انقسم الناس في الأسباب إلى طرفين ووسط:

فالطرف الأول: نفاة أنكروا تأثير الأسباب وجعلوها مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها، حتى قالوا: إن انكسار الزجاجة بالحجر إذا رميتها به حصل عند الإصابة لا بها، وهؤلاء خالفوا السمع، وكابروا الحِسَّ، وأنكروا حكمة الله تعالى في ربط المسبَّبات بأسبابها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن قال: إن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسبابًا، أو أن وجودها كعدمها وليس هناك إلا مجرد اقتران عادي كاقتران الدليل بالمدلول؛ فقد جحد ما في خلق الله وشرعه من الأسباب والحِكَم والعلل، ولم يجعل في العين قوة تمتاز بها عن الخَدِّ تبصر بها، ولا في القلب قوة يمتاز بها عن الرِّجْل يعقل بها، ولا في النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها، وهؤلاء ينكرون ما في الأجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز»[٣].

والطرف الثاني: غلاة أثبتوا تأثير الأسباب، لكنهم غلَوا في ذلك وجعلوها

(١) تثنية عُدْوَة، وهو المكان المرتفع من الوادي، وهو شاطئه. فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (ح٥٧٢٩)، ومسلم (ح٢٢١٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ١٣٦-١٣٩).

مؤثرة بذاتها، وهؤلاء وقعوا في الشرك، حيث أثبتوا موجِدًا مع الله تعالى وخالفوا السمع والحس، فقد دل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أنه لا خالق إلا الله، كما أننا نعلم بالشاهد المحسوس أن الأسباب قد تتخلف عنها مسبَّباتها بإذن الله، كما في تخلف إحراق النار لإبراهيم الخليل حين ألقي فيها فقال الله تعالى: ﴿يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. فكانت بردًا وسلامًا عليه ولم يحترق بها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب؛ فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافيًا في حصول النبات، بل لا بد من ريح مربية بإذن الله، ولا بد من صرف الانتفاء عنه؛ فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع، وكل ذلك بقضاء الله وقدره، وكذلك الولد لا يولد بمجرد إنزال الماء في الفرج، بل كم من أنزل ولم يولد له؛ بل لا بد من أن الله شاء خلقه فتحبل المرأة وتربيه في الرحم، وسائر ما يتم به خلقه من الشروط وزوال الموانع، وكذلك أمر الآخرة ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة، بل هي سبب»(١).

وأما الوسط: فهم الذين هُدُوا إلى الحق وتوسطوا بين الفريقين وأخذوا بما مع كل واحد منهما من الحق، فأثبتوا للأسباب تأثيرًا في مسبباتها لكن لا بذاتها، بل بما أودعه الله تعالى فيها من القوى الموجِبة، وهؤلاء هم الطائفة الوسط الذين وُفِّقوا للصواب وجمعوا بين المنقول والمعقول، والمحسوس.

قال الإمام ابن القيم: «العبد ينال ما قدِّر له بالسبب الذي أُقدر عليه ومُكِّن منه وهُيئ له، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدَر الذي سبق له في أم الكتاب، وكلما زاد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه، وهذا كما إذا قُدِّر له أن يكون من أعلم أهل زمانه فإنه لا ينال ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه، وإذا قُدِّر له أن يرزق الولد لم ينل ذلك إلا بالنكاح أو التسري والوطء، وإذا قُدِّر له أن يستغل من أرضه من المغل(٢) كذا

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٧٠).

(٢) أي: غلة الأرض من الزروع والثمار.

وكذا لم ينله إلا بالبذر وفعل أسباب الزرع، وإذا قُدِّر الشبع والري فذلك موقوف على الأسباب المحصِّلة لذلك من الأكل والشرب واللبس، وهذا شأن أمور المعاش والمعاد، فمن عطل العمل اتكالًا على القَدَر السابق فهو بمنزلة من عطَّل الأكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتكالًا على ما قُدِّر له، وقد فطر الله سبحانه عباده على الحرص على الأسباب التي بها مرام معاشهم ومصالحهم الدنيوية، بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات، فهكذا الأسباب التي بها مصالحهم الأخروية في معادهم، فإنه سبحانه رب الدنيا والآخرة، وهو الحكيم بما نصه من الأسباب في المعاش والمعاد، وقد يسر كلًّا من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة، فهو مهيَّأ له ميسَّر له، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهادًا في فعلها من القيام بها منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه»(١).

وقال الإمام ابن أبي العز: «وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب! وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام، وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكلين، يلبس لأْمَة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب، حتى قال الكافرون: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، ولهذا تجد كثيرا ممن يرى الاكتساب ينافي التوكل يرزقون على يد من يعطيهم، إما صدقة، وإما هدية»(٢).

وقال شيخنا ابن عثيمين: «القدر لا ينافي الأسباب القدرية أو الشرعية التي جعلها الله تعالى أسبابًا، فإن الأسباب من قدر الله تعالى، وربط المسبَّبات بأسبابها هو مقتضى الحكمة التي هي من أجلِّ صفات الله ﷻ، والتي أثبتها الله لنفسه في مواضع كثيرة من كتابه.

---

(١) شفاء العليل (ص٢٥).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٣٥١-٣٥٢).

❊ فمن الأسباب القدرية: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٤٨-٥٠].

❊ ومن الأسباب الشرعية: قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وكل فعل رتب الله عليه عقابًا أو ثوابًا فهو من الأسباب الشرعية باعتبار كونه مطلوبًا من العبد، ومن الأسباب القدرية باعتبار وقوعه بقضاء الله وقدره»[١].



(١) تقريب التدمرية (ص٩٧-٩٨).



المبحث الثامن

علاقة الدعاء بالقدر

الدعاء سبب كسائر الأسباب في حصول ما قدره الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الدعاء في اقتضائه الإجابة كسائر الأعمال الصالحة في اقتضائها الإثابة، وكسائر الأسباب في اقتضائها المسبَّبات، ومن قال: إن الدعاء علامة ودلالة محضة على حصول المطلوب المسؤول ليس بسبب، أو هو عبادة محضة لا أثر له في حصول المطلوب وجودًا ولا عدمًا؛ بل ما يحصل بالدعاء يحصل بدونه فهما قولان ضعيفان، فإن الله علق الإجابة به تعليق المسبب بالسبب كقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**» قالوا: إذًا نكثر، قال: «**الله أكثر**»(١)، فعلق العطايا بالدعاء تعليق الوعد والجزاء بالعمل المأمور به»(٢).

وقال الإمام ابن أبي العز: «الذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٧/ ٢١٣-٢١٤)، وإسناده صحيح.
(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ١٩٢-١٩٣).

له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعدا أو قائما، وإجابة الله لدعاء العبد، مسلمًا كان أو كافرًا، وإعطاؤه سؤله من جنس رزقه لهم، ونصره لهم، وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقًا، ثم قد يكون ذلك فتنة في حقه ومضرة عليه، إذا كان كفره وفسوقه يقتضي ذلك»(١).

وقد «ذهب قوم من المتفلسفة وغالية المتصوفة إلى أن الدعاء لا فائدة فيه! قالوا: لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء، وإن لم تقتضه فلا فائدة في الدعاء.

وجواب الشبهة بمنع المقدمتين: فإن قولهم عن المشيئة الإلهية: إما أن تقتضيه أو لا، ثَمَّ قسم ثالث، وهو: أن تقتضيه بشرطٍ لا تقتضيه مع عدمه، وقد يكون الدعاء من شرطه، كما توجب الثواب مع العمل الصالح، ولا توجبه مع عدمه، وكما توجب الشبع والري عند الأكل والشرب، ولا توجبه مع عدمهما، وحصول الولد بالوطء، والزرع بالبذر، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال: لا فائدة في الأكل والشرب والبذر وسائر الأسباب، فقول هؤلاء كما أنه مخالف للشرع، فهو مخالف للحس والفطرة... وقولهم: إن اقتضت المشيئة المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء؟ قلنا: بل قد تكون إليه حاجة، من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة وآجلة، ودفع مضرة أخرى عاجلة وآجلة.

وكذلك قولهم: وإن لم تقتضه، فلا فائدة فيه؟ قلنا: بل فيه فوائد عظيمة، من جلب منافع، ودفع مضار، كما نبه عليه النبي ﷺ، بل ما يعجل للعبد، من معرفته بربه، وإقراره به، وبأنه سميع قريب قدير عليم رحيم، وإقراره بفقره إليه واضطراره إليه، وما يتبع ذلك من العلوم العَلِيَّة والأحوال الزكية، التي هي من أعظم المطالب.

وهنا سؤال معروف، وهو: أن من الناس من قد يسأل الله فلا يُعطى شيئًا، أو

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٧٦-٦٧٧).

يعطى غير ما سأل؟ **ويجاب عن ذلك بجوابين:**

الأول: أن إجابة دعاء السؤال أعم من إعطاء عين السؤال، كما فسره النبي ﷺ، قال ﷺ: «**ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها**»، قالوا: يا رسول الله، إذًا نكثر، قال: «**الله أكثر**»[(١)]. فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا بد في الدعوة الخالية عن العدوان من إعطاء السؤال معجلًا، أو مثله من الخير مؤجلًا، أو يصرف عنه من السوء مثله.

الثاني: أن الدعاء سببٌ مقتضٍ لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات، من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع، ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة في الظاهر من هذا الباب، وكثيرًا ما تجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكرًا لحسنته، أو صادف وقتَ إجابة، ونحو ذلك فأجيبت دعوته، فيظن أن السر في ذلك الدعاء، فيأخذه مجردًا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعًا في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظن آخرُ أن استعمال هذا الدواء بمجرده كافٍ في حصول المطلوب، فكان غالطًا.

وكذا قد يدعو باضطرار عند قبر، فيجاب، فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن

(١) سبق تخريجه.

السر للاضطرار وصدق اللجأ إلى الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.

فالأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحدِّه فقط، فمتى كان السلاح سلاحًا تامًّا، والساعد ساعدًا قويًّا، والمحل قابلًا، والمانع مفقودًا حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير.

فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثمَّ مانعٌ من الإجابة لم يحصل الأثر»[1].



(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٧٨-٦٨٤) بتصرف واختصار.



المبحث التاسع

حكم الاحتجاج بالقدر على المصائب أو المعائب

والجواب عن شبهة الاحتجاج بالقدر على ترك الواجبات وفعل المعاصي

۞ أولًا: حكم الاحتجاج بالقدر على المصائب أو المعائب:

يجوز الاحتجاج بالقدر على المصائب ولا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعائب (الذنوب)، و«يدل على ذلك أن الله جل وعلا ذم المشركين لاحتجاجهم بالقدر على شركهم، فقال سبحانه: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا

يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾ [الزخرف: ٢٠]، فهذه أربعة مواضع حكى فيها الاحتجاج بالقدر عن أعدائه وشيخهم وإمامهم في ذلك عدوه الأحقر إبليس حيث احتج عليه بقضائه فقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: ٣٩]»[1].

فإن قيل: لماذا أكذبهم جل وعلا مع أن كل شيء راجع لمشيئته؟ قيل: لأنهم أولًا: عارضوا أمره بقدره.

وثانيًا: لأنهم زعموا أن كفرهم واقع برضاه ومحبته. يقول الإمام ابن القيم في بيان ذلك: «فإن قيل: قد علم بالنصوص والمعقول صحة قولهم: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، و﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [النحل: ٣٥]، و﴿لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾، فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]؛ فكيف أكذبهم ونفى عنهم العلم، وأثبت لهم الخرص فيما هم فيه صادقون، وأهل السنة جميعًا يقولون: لو شاء الله ما أشرك به مشرك، ولا كفر به كافر، ولا عصاه أحد من خلقه فكيف ينكر عليهم ما هم فيه صادقون؟»، ثم أجاب على ذلك بقوله: «إنهم لم يذكروا ما ذكروه إثباتًا لقدره وربوبيته ووحدانيته، وافتقارًا إليه وتوكلًا عليه واستعانة به، ولو قالوا كذلك لكانوا مصيبين، وإنما قالوه معارضين به لشرعه ودافعين به لأمره، فعارضوا شرعه وأمره ودفعوه بقضائه وقدره، ووافقهم على ذلك كل من عارض الأمر ودفعه بالقدر، وأيضًا فإنهم احتجوا بمشيئته العامة وقدره على محبته لما شاءه ورضاه به وإذنه فيه، فجمعوا بين أنواع من الضلال معارضة الأمر بالقدر ودفعه به، والإخبار عن الله أنه يحب ذلك منهم ويرضاه حيث شاءه وقضاه، وأن لهم الحجة على الرسل بالقضاء والقدر»[2]، ثم قال ابن القيم: «وتأمل قوله سبحانه بعد

(١) شفاء العليل (ص١٧)، بتصرف يسير. (٢) شفاء العليل (ص١٥).

حكايته عن أعدائه واحتجاجهم بمشيئته وقدره على إبطال ما أمرهم به رسوله وأنه لولا محبته ورضاه به لما شاءه منهم: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٩] فأخبر سبحانه أن الحجة له عليهم برسله وكتبه وبيان ما ينفعهم ويضرهم وتمكنهم من الإيمان بمعرفة أوامره ونواهيه وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول، فثبتت حجته البالغة عليهم بذلك واضمحلت حجتهم الباطلة عليه بمشيئته وقضائه، ثم قرر تمام الحجة بقوله: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فإن هذا يتضمن أنه المتفرد بالربوبية والملك والتصرف في خلقه، وأنه لا رب غيره ولا إله سواه، فكيف يعبدون معه إلهًا غيره، فإثبات القدر والمشيئة من تمام حجته البالغة عليهم وأن الأمر كله لله وأن كل شيء ما خلا الله باطل، فالقضاء والقدر والمشيئة النافذة من أعظم أدلة التوحيد فجعلها الظالمون الجاحدون حجة لهم على الشرك فكانت حجة الله هي البالغة وحجتهم هي الداحضة، وبالله التوفيق»[1].

۞ ثانيًا: وجوه بطلان الاحتجاج بالقدر على المعاصي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قول هؤلاء [يعني الذين يحتجون بالقدر على المعاصي] **يظهر بطلانه من وجوه:**

أحدها: أن الواحد من هؤلاء، إما أن يرى القدر حجة للعبد، وإما ألا يراه حجة للعبد، فإن كان القدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس؛ فإنهم كلهم مشتركون في القدر، وحينئذٍ فيلزم ألا ينكر على من يظلمه ويشتمه ويأخذ ماله ويفسد حريمه ويضرب عنقه، ويهلك الحرث والنسل، وهؤلاء جميعهم كذابون متناقضون؛ فإن أحدهم لا يزال يذم هذا ويبغض هذا ويخالف هذا، حتى إن الذي ينكر عليهم يبغضونه ويعادونه وينكرون عليه، فإن كان القدر حجة لمن فعل المحرمات وترك الواجبات لزمهم ألا يذموا أحدًا، ولا يبغضوا أحدًا، ولا يقولوا في أحد: إنه ظالم ولو فعل ما فعل، ومعلوم أن هذا لا يمكن

(١) شفاء العليل (ص١٧)، بتصرف يسير.

أحدًا فعلُه، ولو فعل الناس هذا لهلك العالم، فتبين أن قولهم فاسد في العقل، كما أنه كفر في الشرع، وأنهم كذابون مفترون في قولهم: إن القدر حجة للعبد.

الوجه الثاني: إن هذا يلزم منه أن يكون إبليس وفرعون وقوم نوح وعاد وكل من أهلكه الله بذنوبه معذورًا، وهذا من الكفر الذي اتفق عليه أرباب الملل.

الوجه الثالث: أن هذا يلزم منه ألا يفرق بين أولياء الله وأعداء الله، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا أهل الجنة وأهل النار، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١]، وذلك أن هؤلاء جميعهم سبقت لهم عند الله السوابق، وكتب الله مقاديرهم قبل أن يخلقهم، وهم مع هذا قد انقسموا إلى سعيد بالإيمان والعمل الصالح وإلى شقي بالكفر والفسق والعصيان، فعلم بذلك أن القضاء والقدر ليس بحجة لأحد على معاصي الله.

الوجه الرابع: أن القدر نؤمن به ولا نحتج به، فمن احتج بالقدر فحجته داحضة، ومن اعتذر بالقدر فعذره غير مقبول، ولو كان الاحتجاج مقبولًا لقبل من إبليس وغيره من العصاة، ولو كان القدر حجة للعباد لم يعذب أحد من الخلق لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولو كان القدر حجة لم تقطع يد سارق، ولا قُتل قاتل، ولا أقيم حد على ذي جريمة، ولا جوهد في سبيل الله، ولا أمر بالمعروف ولا نهي عن المنكر.

الوجه الخامس: أن النبي ﷺ سئل عن هذا، فإنه قال: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقيل: يا رسول الله أفلا ندع العمل، ونتكل على الكتاب؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له**» رواه البخاري ومسلم[1]،

---

(١) سبق تخريجه.

وفي حديث آخر في الصحيح أنه قيل: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويكدحون، أفيما جفت به الأقلام وطويت به الصحف؟ أم فيما يستأنفون مما جاءهم به؟ -أو كما قيل- فقال: «**بل فيما جفت به الأقلام وطويت به الصحف**»، فقيل: ففيم العمل؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»(١).

الوجه السادس: أن يقال: إن الله علم الأمور وكتبها على ما هي عليه؛ فهو سبحانه قد كتب أن فلانًا يؤمن ويعمل صالحًا فيدخل الجنة، وفلانًا يعصي ويفسق فيدخل النار؛ كما علم وكتب أن فلانًا يتزوج امرأة ويطؤها فيأتيه ولد، وأن فلانًا يأكل ويشرب فيشبع ويروى، وأن فلانًا يبذر البذر فينبت الزرع، فمن قال: إن كنت من أهل الجنة فأنا أدخلها بلا عمل صالح كان قوله قولًا باطلًا متناقضًا؛ لأنه علم أنه يدخل الجنة بعمله الصالح، فلو دخلها بلا عمل كان هذا مناقضًا لما علمه الله وقدره.

ومثال ذلك من يقول: أنا لا أطأ امرأة، فإن كان قد قضى الله لي بولد فهو يولد، فهذا جاهل، فإن الله إذا قضى بالولد قضى أن أباه يطأ امرأة فتحبل فتلد، وأما الولد بلا حبل ولا وطء فإن الله لم يقدره ولم يكتبه، كذلك الجنة إنما أعدها الله للمؤمنين، فمن ظن أنه يدخل الجنة بلا إيمان كان ظنه باطلًا، وإذا اعتقد أن الأعمال التي أمر الله بها لا يحتاج إليها ولا فرق بين أن يعملها أو لا يعملها كان كافرًا، والله قد حرم الجنة على الكافرين، فهذا الاعتقاد يناقض الإيمان الذي لا يدخل صاحبه النار»(٢).

۞ ثالثًا: الجواب عن شبهة الاحتجاج بالقدر على ترك الواجبات وفعل المعاصي:

الشبهة الأولى: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن**

(١) أخرجه مسلم (ح٢٦٤٨).
(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٦٣-٢٦٦).

يخلقني بأربعين سنة؟ فحجَّ آدم موسى، فحجَّ آدم موسى» ثلاثًا[(١)]، فقد يفهم من هذا الحديث أن آدم احتج بالقدر على فعل المعصية، **ولأهل السنة على ذلك جوابان:**

الأول: أن آدم لم يحتج بالقدر على المعصية، وإنما احتج بالقدر على المصيبة، والاحتجاج بالقدر يجوز على المصائب لا على المعائب، كما سبق. يقول الإمام ابن أبي العز: «فإن قيل: فما تقولون في احتجاج آدم على موسى عليهما السلام بالقدر، إذ قال له: أتلومني على أمر قد كتبه الله عليَّ قبل أن أخلق بأربعين عامًا؟ وشهد النبي ﷺ أن آدم حجَّ موسى، أي: غلب عليه بالحجة؟ قيل: نتلقاه بالقبول والسمع والطاعة، لصحته عن رسول الله ﷺ، ولا نتلقاه بالرد والتكذيب لراويه، كما فعلت القدرية، ولا بالتأويلات الباردة، بل الصحيح أن آدم لم يحتجَّ بالقضاء والقدر على الذنب، وهو كان أعلمَ بربه وذنبه، بل آحاد بنيه من المؤمنين لا يحتج بالقدر، فإنه باطل، وموسى عليه السلام كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلوم آدم على ذنب قد تاب منه وتاب الله عليه واجتباه وهداه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدمُ بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعائب، وهذا المعنى أحسن ما قيل في الحديث، فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له، فإنه من تمام الرضا بالله ربًّا، وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب، فيتوب من المعائب، ويصبر على المصائب، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ [آل عمران: ١٢٠]»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (ح٦٦١٤)، ومسلم (ح٢٦٥٢).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ١٣٥-١٣٦)، وانظر: شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٠٢-٢٠٣)، فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٥١٠-٥١١)، معالم السنن (٤/ ٣٢٢)، (٤/ ٣٢٣)، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٣١٥-٣١٦).

وقال الإمام ابن القيم: «بل إنما لام موسى آدم على المصيبة التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة، ونزولهم إلى دار الابتلاء والمحنة بسبب خطيئة أبيهم، فذكر الخطيئة تنبيهًا على سبب المصيبة المحنة التي نالت الذرية ولهذا قال له: أخرجتنا ونفسك من الجنة، وفي لفظ: خيبتنا، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة وقال: إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب، أي: أتلومني على مصيبة قدرت عليَّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة، هذا جواب شيخنا[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[2].

الثاني: أن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ احتج بالقدر على المعصية بعد التوبة منها، وهذا جائز، يقول الإمام ابن القيم: «وقد يتوجه جواب آخر وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع؛ لأنه لا يدفع بالقدر أمرًا ولا نهيًا، ولا يبطل به شريعة، بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة، **يوضحه**: أن آدم قال لموسى: أتلومني على أن عملت عملًا كان مكتوبًا عليَّ قبل أن أخلق، فإذا أذنب الرجل ذنبًا، ثم تاب منه توبة وزال أمره حتى كأن لم يكن، فأنبه مؤنب عليه ولامه، حسن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك، ويقول: هذا أمر كان قد قدر عليَّ قبل أن أخلق، فإنه لم يدفع بالقدر حقًّا ولا ذكره حجة له على باطل ولا محذور في الاحتجاج به، وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل بأن يرتكب فعلًا محرمًا أو يترك واجبًا فيلومه عليه لائم، فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيبطل بالاحتجاج به حقًّا ويرتكب باطلًا، كما احتج به المصرُّون على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ

(١) يعني: شيخ الإسلام ابن تيمية.
(٢) شفاء العليل (ص١٨).

ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠] فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه، وأنهم لم يندموا على فعله ولم يعزموا على تركه ولم يقروا بفساده، فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه وندم وعزم كل العزم على ألا يعود، فإذا لامه لائم بعد ذلك قال: كان ما كان بقدر الله»(١).

الشبهة الثانية: احتجاج علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالقدر على ترك قيام الليل، قال الإمام ابن القيم: «فإن قيل: فقد احتج علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالقدر في ترك قيام الليل، وأقره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيح عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرقه وفاطمة ليلًا فقال لهم: «**ألا تصلون؟**» قال: فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثها بعثها، فانصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قلت له ذلك، ولم يرجع إلي شيئًا، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤](٢).

قيل: علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يحتج بالقدر على ترك واجب ولا فعل محرم، وإنما قال: إن نفسه ونفس فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بيد الله، فإذا شاء أن يوقظهما ويبعث أنفسهما بعثها، وهذا موافق لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة ناموا في الوادي: «**إن الله قبض أرواحنا حيث شاء، وردها حيث شاء**»، وهذا احتجاج صحيح صاحبه يعذر فيه، فالنائم غير مفرط، واحتجاج غير المفرط بالقدر صحيح، وقد أرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الاحتجاج بالقدر في الموضع الذي ينفع العبد الاحتجاج به، فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»(٣)»(٤).

(١) شفاء العليل (ص١٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح١١٢٧)، ومسلم (ح٧٧٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) شفاء العليل (ص١٨).



المبحث العاشر

مذاهب المخالفين في القدر والرد عليهم إجمالًا

أ- مذاهب المخالفين في القدر:

مذاهب المخالفين في القدر ترجع على سبيل الإجمال إلى مذهبين متقابلين:

الأول: مذهب القدرية النفاة الذين يقولون: إن العبد يخلق فعله، وهو مذهب القدرية والمعتزلة، ومال إليهم الماتريدية.

الثاني: مذهب الجبرية الذين يقولون: إن العبد مجبور على فعله، وهو مذهب الجهمية، ومال إليهم الأشعرية.

والحق وسط بين المذهبين -بين مذهب القدرية الجفاة الذين غلوا في النفي، ومذهب الجبرية المثبتة الغلاة، الذين غلوا في الإثبات- وهو أن للعبد قدرةً ومشيئةً واختيارًا، وهي تابعة لمشيئة الله جل وعلا، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، «فنص تعالى على أن لنا مشيئة إلا أنها لا تكون منا إلا أن يشاء الله كونها»[١]، وهو القول الوسط الذي عليه أهل السنة والجماعة.

❋ ❋ ❋

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٥).

وأما أقوال المخالفين في القدر على سبيل التفصيل فهي فيما يلي:

۞ أولًا: مذاهب القدرية النفاة:

١- القدرية الأولى:

أول من قال بالقدر هو معبد الجهني بالبصرة في أواخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم[(١)]، روى مسلم في «صحيحه» عن يحيى بن يعمر، قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجَّين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الأمر إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُف...» الحديث[(٢)].

وأصل هذه المقالة ترجع إلى رجل من أهل البصرة اسمه (سيسويه)[(٣)]، وقال الأوزاعي: «أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له: (سوسن)، وكان نصرانيًّا فأسلم ثم تنصر»، فأخذ عنه معبد، وأخذ غيلان القدري عن معبد[(٤)].

٢- المعتزلة:

يقول المعتزلة: إن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدِثون لها،

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (ص١٤)، الملل والنحل (١/ ٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (ح٨).

(٣) وقد اختلف في اسمه، فقيل: يونس الأسواري، ويلقب بـ(سيسويه)، وقيل: (سوسن).

(٤) الشريعة، للآجري (٢/ ٩٥٩)، الإبانة الكبرى لابن بطة (٤/ ٢٩٨)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤/ ٨٢٧).

يقول شيخ المعتزلة القاضي عبد الجبار: «اتفق كل أهل العدل[(١)] على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدِث سواهم، وأن من قال: إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه، وأحالوا حدوث فعل من فاعلَين»[(٢)].

قال ابن أبي العز: «فقالوا: إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها، لا تعلق لها بخلق الله تعالى»[(٣)].

٣- الماتريدية:

ذهب الماتريدية إلى أن أصل فعل العبد مخلوق لله تعالى، وأما صفته وكسبه وكونه طاعة أو معصية فهو فعل العبد وحده، وهم بهذا مالوا إلى مذهب المعتزلة، يقول أبو منصور الماتريدي في تقرير مذهبه في أفعال العباد: «حقيقة ذلك الفعل الذي هو للعباد من طريق الكسب، ولله من طريق الخلق»[(٤)].

وقال أبو المعين النسفي: «وعندنا فعل العبد هو مخلوق الله تعالى ومفعوله، لا فعله وخلقه؛ إذ فعل الله تعالى هو الصفة الأزلية القائمة بذاته، وما هو فعل العبد فهو مفعول الله تعالى، والله تعالى هو الذي تولى إيجاده وإخراجه من العدم إلى الوجود، والعبد اكتسبه وباشره، فلم يكن فعل العبد مثل فعله، ولا خلقه كخلقه، وكيف يكون كذلك ولا خلق للعبد البتة»[(٥)].

---

(١) هكذا يلقبون أنفسهم، ويسمون نفي خلق الله لأفعال العباد عدلًا، وهم يلقبون عند أهل السنة بالقدرية.

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٨/ ٣)، وانظر: شرح الأصول الخمسة (ص٣٢٣).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٦٣٩-٦٤٠)، وانظر: الفرق بين الفرق (ص٩٤).

(٤) التوحيد للماتريدي (ص٢٢٨).

(٥) تبصرة الأدلة (٢/ ٨٩١)، تحقيق: محمد الأنور حامد عيسى.

وقال البزدوي: «أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ومفعولة، والله تعالى هو موجدها ومحدثها ومنشئها، والعبد فاعل على الحقيقة، وهو ما يحصل منه باختيار وقدرة حادثَين، هذا هو فعل العبد، وفعله غير فعل الله تعالى، وفعل الله تعالى هو الإيجاد والإحداث، كإيجاد العين، وللعبد فعل، وليس منه إيجاد»[(١)].

وقال البياضي: «المؤثر في فعل العبد -أي: أصله ووصفه- مجموع خلق الله تعالى واختيار العبد، لا الأول فقط ليكون جبرًا، ولا الثاني فقط ليكون قدَرًا، فكان القول بتأثير القدرتين قدرة الله في الإيجاد، وقدرة العبد في الكسب والاتصاف -كما دل مجموع الكلام- قولًا متوسطًا جامعًا مقتضى جميع الأدلة»[(٢)].

فحاصل مذهبهم أن المؤثر في أصل الفعل هو قدرة الله تعالى، وأن المؤثر في صفة الفعل -يعني: كونه طاعة أو معصية- قدرة العبد، ومقصودهم أن الله تعالى لا يخلق فعل العبد إلا بعد أن يختاره العبد، وقد صرح بذلك أبو المعين النسفي، بقوله: «لولا اختيار العبد وقصده اكتسابه لما خلقه الله تعالى فعلًا له»[(٣)].

وهذا قول باطل؛ لأن حقيقته أن خلق الله تعالى لأفعال العباد إنما هو تابع لإرادتهم واختيارهم، وهو خلاف ما دل عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: ٣٠]، [التكوير: ٢٩]، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن[(٤)].

---

(١) أصول الدين، للبزدوي (ص١٠٤).
(٢) إشارات المرام من عبارات الإمام (ص٢٥٧).
(٣) تبصرة الأدلة (٢/ ٨٩٦).
(٤) انظر: موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري (ص٥٦)، الماتريدية دراسة وتقويمًا (ص٤٤١-٤٤٢).

ثانيًا: مذاهب الجبرية:

١- الجهمية:

ذهب الجهم بن صفوان إلى أن العبد مجبور على فعله، وليس له قدرة واختيار، قال الشهرستاني: «الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى»(١).

وقال الإمام ابن أبي العز: «الجبرية: أصل قولهم من الجهم بن صفوان، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه! وهم عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية إنما نُسبوا إلى القدر لنفيهم إياه... وقد تسمى الجبرية قدرية؛ لأنهم غلوا في إثبات القدر»(٢).

ومن أقوال الجهم بن صفوان التي حكى الأشعري أنه تفرد بها «القول بأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده، وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز، كما يقال: تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس اللهُ سبحانه، إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختيارًا له منفردًا له بذلك، كما خلق له طولًا كان به طويلًا ولونًا كان به متلونًا»(٣).

وقد تابع الجهميةَ في القول بالجبر كثيرٌ من الصوفية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وشاع هذا القول [يعني الجبر] في كثير من الصوفية ومشايخ المعرفة والحقيقة، فصاروا يوافقون جهمًا في مسائل الأفعال والقدر»(٤).

٢- الأشاعرة:

أراد الأشاعرة أن يوفقوا بين الجهمية الجبرية والمعتزلة القدرية فجاؤوا بنظرية الكسب وهي في مآلها جبرية خالصة؛ لأنها تنفي تأثير قدرة العبد في

(١) الملل والنحل (١/ ٨٥).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٧٩٧).
(٣) مقالات الإسلاميين (ص٢٧٩).
(٤) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٥٤).

فعله، ولذا يغلب عليهم مخالفة المعتزلة والميل إلى مذهب الجبرية، وإن لم يصلوا إلى حد موافقة الجهم في غلوه[(١)].

قال الشهرستاني مقررًا مذهب الأشعري في القدر: «العبد قادر على أفعاله؛ إذ الإنسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة، وبين حركات الاختيار والإرادة، والتفرقة راجعة إلى أن الحركات الاختيارية حاصلة تحت القدرة، متوقفة على اختيار القادر، فعن هذا قال [أي: الأشعري]: المكتسَب هو المقدور بالقدرة الحاصلة، والحاصل تحت القدرة الحادثة، ثم على أصل أبي الحسن لا تأثير للقدرة الحادثة في الإحداث... غير أن الله تعالى أجرى سنته بأن يحقق عقيب القدرة الحادثة، أو تحتها، أو معها الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له، ويسمى هذا الفعل كسبًا، فيكون خلقًا من الله تعالى إبداعًا وإحداثًا، وكسبًا من العبد حصولًا تحت قدرته»[(٢)].

فتأمل قوله: «العبد قادر على أفعاله»، وقارنه بقوله: «لا تأثير للقدرة الحادثة في الإحداث» تجد أن إثباتهم للقدرة صوري لا حقيقي، وأن ما يسمونه بالكسب أمر لا حقيقة له.

ولهذا قال التفتازاني: «فالكسب لا يوجب وجودَ المقدور، بل يوجب -من حيث هو كسبٌ- اتصافَ الفاعل بذلك المقدور»[(٣)].

ويضرب بعضهم للكسب مثلًا بـ«الحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل، ويقدر آخر على حمله منفردًا به، إذا اجتمعا جميعًا على حمله كان حصول الحمل بأقواهما، ولا خرج أضعفهما بذلك عن كونه حاملًا، كذلك العبد لا يقدر على الانفراد بفعله، ولو أراد الله الانفراد بإحداث ما هو كسب للعبد

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن المحمود (٣/ ١٣٠٩).
(٢) الملل والنحل (١/ ٩٦-٩٧).
(٣) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ١٢٧).

قدر عليه ووجد مقدوره، فوجوده على الحقيقة بقدرة الله تعالى، ولا يخرج مع ذلك المكتسب من كونه فاعلًا وإن وجد الفعل بقدرة الله تعالى»[١]، وهو وصف لا حقيقة له سوى الجبر.

وقد صرح متأخروهم بأن حقيقة مذهبهم في القدر هو الجبر، قال الرازي: «الإنسان مضطر في صورة مختار»[٢].

الرد على المخالفين في القدر:

قال الإمام ابن أبي العز: «الجبرية غلوا في إثبات القدر، فنفوا صنع العبد أصلًا، كما عملت المشبهة في إثبات الصفات، فشبهوا، والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس، من حيث إن المجوس أثبتوا خالقَين، وهم أثبتوا خالقِين!!

وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. فكل دليل صحيح يقيمه الجبري، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مريد ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش، وهبوب الرياح، وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيمه القدري فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له، مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى، وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضممتَ ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله

(١) انظر: أصول الدين، لعبد القاهر البغدادي (ص١٣٣-١٣٤)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٣٣٨-١٣٣٩).

(٢) المطالب العالية من العلم الإلهي (٩/ ٢٥٨).

ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإن أدلة الحق لا تتعارض، والحق يصدق بعضه بعضًا... ويستفاد من دليل كل فريق بطلان قول الآخرين، ولكن أذكر شيئًا مما استدل به كل من الفريقين، ثم أبين أنه لا يدل على ما استدل عليه من الباطل.

فمما استدلت به الجبرية، قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، فنفى الله عن نبيه الرمي، وأثبته لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد. قالوا: والجزاء غير مرتب على الأعمال، بدليل قوله ﷺ: «**لن يدخل أحد الجنة بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»(١).

ومما استدل به القدرية، قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، قالوا: والجزاء مرتب على الأعمال ترتب العوض، كما قال تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧، والأحقاف: ١٤، والواقعة: ٢٤]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف: ٤٢]، ونحو ذلك.

فأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فهو دليل عليهم، لأنه تعالى أثبت لرسوله ﷺ رميًا، بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء، فابتداؤه الحذف، وانتهاؤه الإصابة، وكل منهما يسمى رميًا، فالمعنى حينئذ -والله تعالى أعلم: وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب، وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى! وما صمت إذ صمت! وما زنيت إذ زنيت! وما سرقت إذ سرقت!! وفساد هذا ظاهر.

وأما ترتب الجزاء على الأعمال، فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهدى

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٤٦٣)، ومسلم (ح٢٨١٦).

الله أهل السنة، وله الحمد والمنة. فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ: «**لن يدخل الجنة أحد بعمله**» باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله! بل ذلك برحمة الله وفضله، والباء التي في قوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ١٧] ونحوها، باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته.

وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، فمعنى الآية: أحسن المصورين المقدرين، والخلق يذكر ويراد به التقدير، وهو المراد هنا، بدليل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، أي: الله خالق كل شيء مخلوق، فدخلت أفعال العباد في عموم (كل)، وما أفسد قولهم في إدخال كلام الله تعالى في عموم: (كل)، الذي هو صفة من صفاته، يستحيل عليه أن يكون مخلوقا! وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من عموم (كل) وهل يدخل في عموم (كل) إلا ما هو مخلوق؟! فذاته المقدسة وصفاته غير داخلة في هذا العموم، ودخل سائر المخلوقات في عمومها... فإنه لا منافاة بين كون العبد محدِثًا لفعله، وكون هذا الإحداث وجب وجوده بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧-٨]، فقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ إثبات للقدر بقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية، وقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩، ١٠] إثبات أيضًا لفعل العبد، ونظائر ذلك كثيرة»(١).

ويكفي في إبطال مذهب الجبرية والقدرية قوله سبحانه: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٣٩-٦٤٤).

يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، فقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ رد على الجبرية؛ حيث أثبت للعبد مشيئة وإرادة واختيارًا، وقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ رد على القدرية؛ حيث أثبت مشيئة لله تعالى سابقة على مشيئة العبد.





المبحث الحادي عشر

مسائل متعلقة بالقضاء والقدر

۞ الأولى: الهدى والضلال:

الهدى والضلال هما «قلب أبواب القدر ومسائله، فإن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجلّ ما يقسمه له الهدى وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال»(١).

ويعتقد أهل السنة أن الهدى والضلال على نوعين(٢):

النوع الأول: هو بيد الله وحده، «وهي هداية التوفيق ومشيئة الله لعبده الهداية، وخلقه دواعي الهدى وإرادته، والقدرة عليه للعبد، وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل»(٣).

ومن أدلتها قول الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ

(١) شفاء العليل (ص٦٥).

(٢) **وهناك نوعان آخران غير مرادين هنا، هما: الهدى العام:** وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها، **والثاني:** الهداية يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار. وقد جعل ابن القيم الهدى والضلال في القرآن أربع مراتب: **الأولى: الهدى العام:** وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها، **والثانية:** الهدى بمعنى الدلالة والتعليم، **والثالثة:** هداية التوفيق، **والرابعة:** الهداية يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار. انظر: شفاء العليل (ص٦٥).

(٣) شفاء العليل (ص٦٥).

وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]، وقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقوله سبحانه: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١].

وأهل السنة مجمعون على أن هذا النوع من الهداية خاص بالله ﷻ لا يشاركه فيه غيره، ولا يقدر عليه أحد سواه؛ «يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلًا»(١).

قال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على أنه تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء»(٢).

قال ابن بطة- بعد أن ذكر عددًا من الآيات الدالة على اختصاص الله تعالى بالهداية- قال: «ففي كل هذه الآيات يُعلم الله ﷻ عباده المؤمنين أنه هو الهادي المضل، وأن الرسل لا يهتدي بها إلا من هداه الله، ولا يأبى الهداية إلا من أضله الله، ولو كان من اهتدى بالرسل والأنبياء مهتديًا بغير هدايته لكان كل من جاءهم المرسلون مهتدين؛ لأن الرسل بعثوا رحمة للعالمين ونصيحة لمن أطاعهم من الخليقة أجمعين، فلو كانت الهداية إليهم لما ضل أحد جاؤوه»(٣).

وروى اللالكائي عن عمر رضي الله عنه أنه خطب بأصحابه بالجابية بحضور زعيم النصارى (الجاثليق)، فاستهل خطبته بما جرت به السنة في الخطبة: «من يضلل الله فلا هادي له، ومن يهده الله فلا مضل له، فقال جاثليق النصارى: إن الله لا يضل أحدًا مرتين أو ثلاثًا، فأنكر الصحابة ذلك عليه مرتين، فقال

---

(١) متن الطحاوية (ص٣٦).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص١٣٥).

(٣) الإبانة الكبرى (٣/ ٢٦٤). وانظر: الشريعة للآجري (٢/ ٧٠٨، وما بعدها)، واعتقاد أئمة الحديث (ص٦٠)، وشرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين (ص٣١٩)، الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص١٣).

عمر لأصحاب رسول الله ﷺ: ما يقول؟ قالوا: يا أمير المؤمنين يزعم أنه لا يضل أحدًا، فقال عمر: كذبت، بل الله خلقك والله أضلك، ثم يميتك فيدخلك النار إن شاء الله، أما والله لولا ولث[(١)] عهد لك لضربت عنقك، قال: فتفرق الناس وما يختلف في القدر اثنان. قال الشيخ أبو القاسم الحافظ: فإن كان في الدنيا إجماع بانتشار من غير إنكار، فهو في هذه المسألة، فمن خالف قوله فيها فهو معاند مشاقق يلحق به الوعيد، وهو داخل تحت قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]»[(٢)].

وقال ابن القيم: «اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه»[(٣)].

وقد يسر الله جل وعلا سبيل الهداية لعباده، فخلقهم على فطرة الإسلام، ومنحهم من العقول ما يميزون به بين الخير والشر، ثم أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وهذه السبيل من أعظم النعم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والله سبحانه تفضل على بني آدم بأمرين؛ هما أصل السعادة:

أحدهما: أن كل مولود يولد على الفطرة، كما في «الصحيحين»، ولمسلم عن عياض بن حمار مرفوعًا: «**إني خلقت عبادي حنفاء...**» الحديث. فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت محبة لله تعبده لا تشرك به شيئا، ولكن يفسدها من يزين لها من شياطين الإنس والجن. قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن

(١) هو الضعيف من العهود. انظر: لسان العرب لابن منظور (٦/ ٤٩١٢).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٧٢٥-٧٢٦).
(٣) شفاء العليل (ص٦٥).

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢]. وتفسير هذه الآية مبسوط في غير هذا الموضع.

الثاني: أن الله تعالى هدى الناس هداية عامة، بما جعل فيهم من العقل، وبما أنزل إليهم من الكتب، وأرسل إليهم من الرسل، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥] وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١ - ٤] وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ١ - ٣] وقال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠] ففي كل واحد ما يقتضي معرفته بالحق ومحبته له، وقد هداه إلى أنواع من العلم يمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الآخرة، وجعل في فطرته محبة لذلك»[(١)].

النوع الثاني: الهدى بمعنى: البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده، وهذا خاص بالمكلفين. ويدل عليها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

قال ابن القيم: «وهذه الهداية لا تستلزم حصول التوفيق واتِّباع الحق وإن كانت شرطًا فيه، أو جزء سبب، وذلك لا يستلزم حصول المشروط والمسبب بل قد يتخلف عنه المقتضى إما لعدم كمال السبب، أو لوجود مانع ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولًا بعد أن عرفوا الهدى فأعرضوا عنه فأعماهم عنه بعد أن أراهموه وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها فإنه يسلبه إياها بعد أن كانت نصيبه وحظه كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وقال تعالى عن قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٠٥).

أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]؛ أي جحدوا بآياتنا بعد أن تيقنوا صحتها، وقال: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آل عمران: ٨٦] وهذه الهداية هي التي أثبتها لرسوله، حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، ونفى عنه ملك الهداية الموجبة وهي هداية التوفيق والإلهام بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]»(١).

المخالفون في ذلك والرد عليهم:

قال الإمام ابن أبي العز: «قالت المعتزلة: الهدى من الله: بيان طريق الصواب، والإضلال: تسمية العبد ضالًّا، أو حكمه تعالى على العبد بالضلال عند خلق العبد الضلال في نفسه.

وهذا مبني على أصلهم الفاسد: أن أفعال العباد مخلوقة لهم، والدليل على ما قلناه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]. ولو كان الهدى بيان الطريق - لما صح هذا النفي عن نبيه، لأنه ﷺ بين الطريق لمن أحب وأبغض. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]، ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١]. ولو كان الهدى من الله البيان، وهو عام في كل نفس - لما صح التقييد بالمشيئة. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥٧]، وقوله ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] فمن هداه إلى الإيمان فبفضله، وله الحمد، ومن أضله فبعدله، وله الحمد»(٢).

قال شيخ الإسلام: «إن كل ما في الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته وقدرته وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي يعطي ويمنع ويخفض ويرفع، ويعز ويذل ويغني ويفقر، ويضل ويهدي، ويسعد ويشقي، ويولي

(١) شفاء العليل (ص٧٩).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ١٣٧-١٣٨).

الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويشرح صدر من يشاء للإسلام ويجعل صدر من يشاء ضيقًا كأنما يصعد في السماء وهو يقلب القلوب؛ ما من قلب من قلوب العباد إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه، وهو الذي حبب إلى المؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون. وهو الذي جعل المسلم مسلمًا والمصلي مصليًا. قال الخليل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] وقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ [السجدة: ٢٤]، وقال عن آل فرعون: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: ٤١]»[١].

۞ الثانية: الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه المسألة كبيرة من أجَلِّ المسائل الكبار التي تكلم فيها الناس»[٢]، وقد صنف فيها شيخ الإسلام رسالة بعنوان: «أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل»[٣].

وقال أيضًا: «الذي عليه جمهور المسلمين من السلف والخلف أن الله تعالى يخلق لحكمة ويأمر لحكمة، وهذا مذهب أئمة الفقه والعلم، ووافقهم على ذلك أكثر أهل الكلام من المعتزلة والكرامية وغيرهم.

وذهب طائفة من أهل الكلام ونفاة القياس إلى نفي التعليل في خلقه وأمره، وهو قول الأشعري ومن وافقه، وقالوا: ليس في القرآن لام تعليل في فعل الله وأمره، ولا يأمر الله بشيء لحصول مصلحة ولا دفع مفسدة، بل ما يحصل من مصالح العباد ومفاسدهم بسبب من الأسباب فإنما خلق ذلك عندها، لا أنه يخلق هذا لهذا، ولا هذا لهذا، واعتقدوا أن التعليل يستلزم الحاجة

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٧٨).
(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٨١).
(٣) انظر: المصدر السابق.

والاستكمال بالغير وأنه يفضي إلى التسلسل.

والمعتزلة أثبتت التعليل، لكن على أصولهم الفاسدة في التعليل والتجويز[(١)]، وأما أهل الفقه والعلم وجمهور المسلمين الذين يثبتون التعليل فلا يثبتونه على قاعدة القدرية ولا ينفونه نفي الجهمية... لكن قول الجمهور: هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة والمعقول الصريح، وبه يثبت أن الله حكيم، فإنه من لم يفعل شيئًا لحكمة لم يكن حكيمًا»[(٢)].

قال ابن القيم: «أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها»[(٣)]، **ثم ذكر كثيرًا من الأدلة على هذا الأصل، ومنها:**

الأول: التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه كقوله: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر: ٥]، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣] وقوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

الثاني: إخباره أنه فعل كذا لكذا، وأنه أمر بكذا لكذا كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٩٧]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ

---

(١) كذا في الأصل! وهو تحريف، ولعل الصواب: «التعديل والتجوير»، وهو قولهم: وجدنا من فعل الجَوْر في الشاهد كان جائرًا، ومن فعل الظلم كان ظالمًا، ومن أعان فاعلًا على فعله ثم عاقبه عليه كان جائرًا عابثًا، قالوا: والعدل من صفات الله تعالى، والظلم والجَوْر منفيان عنه، قال الإمام ابن حزم في إبطال هذا الأصل الفاسد: «وقد علم المسلمون أن الله تعالى عدل لا يجور ولا يظلم، ومن وصفه ﷻ بالظلم والجور فهو كافر، ولكن ليس هذا على ما ظنه الجهال من أن عقولهم حاكمة على الله تعالى في ألا يحسن منه إلا ما حسنت عقولهم، وأنه يقبح منه تعالى ما قبحت عقولهم، وهذا هو تشبيه مجرد لله تعالى بخلقه؛ إذ حكموا عليه بأنه تعالى يحسن منه ما حسن منا، ويقبح منه ما قبح منا، ويحكم عليه في العقل بما يحكم علينا» (الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/ ٥٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧٧-٣٧٨).

(٣) شفاء العليل (ص١٩٠).

سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ [المائدة: ٩٧]، وقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

الثالث: الإتيان بـ«كي» الصريحة في التعليل، كقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧] فعلل سبحانه تسمية الفيء بين هذه الأصناف كي لا يتداوله الأغنياء دون الفقراء والأقوياء دون الضعفاء، وقوله سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣] فأخبر سبحانه أنه قدر ما يصيبهم من البلاء في أنفسهم قبل أن يبرأ الأنفس أو المصيبة أو الأرض أو المجموع، وهو الأحسن(١).

۞ الثالثة: الاستطاعة:

وهي القدرة، أو الطاقة، أو الوسع، وكلها ألفاظ متقاربة(٢). قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «والاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع، والتمكين وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]»(٣).

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرح كلام أبي جعفر المتقدم: «وتنقسم

---

(١) انظر: شفاء العليل (ص١٩٠- ١٩٤).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٣٣).

(٣) متن الطحاوية (ص٧٤).

الاستطاعة إلى قسمين، كما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو قول عامة أهل السنة، وهو الوسط. وقالت القدرية والمعتزلة: لا تكون القدرة إلا قبل الفعل، وقابلهم طائفة من أهل السنة(١)، فقالوا: لا تكون إلا مع الفعل»(٢).

فالذي عليه عامة أهل السنة -وهو الحق- أن الاستطاعة -وهي القدرة- نوعان(٣):

الأولى: استطاعة يتعلق بها التكليف، وهي الاستطاعة الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي والثواب والعقاب، وعليها كلام الفقهاء، وهي الغالبة عند الإطلاق، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقوله ﷺ لعمران بن حصين: «**صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**»(٤)، وقوله ﷺ: «**... إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ...**»(٥).

الثانية: استطاعة يتمكن بها العبد من الفعل، وهي الاستطاعة الكونية التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل، وهي معنى: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ودليلها قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، «والمراد نفي حقيقة القدرة، لا نفي الأسباب والآلات، لأنها كانت ثابتة... وكذا قول صاحب موسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]، وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢]، والمراد منه حقيقة قدرة الصبر، لا أسباب الصبر وآلاته، فإن تلك كانت ثابتة له، ألا ترى أنه عاتبه على ذلك؟ ولا يلام من عدم آلات الفعل وأسبابه

---

(١) هم الأشاعرة.

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٣٣).

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية (٣/ ٤٧)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٤٣٧)، رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (ح ١١١٧).

(٥) أخرجه البخاري (ح ٧٢٨٨)، ومسلم (ح ١٣٣٧).

على عدم الفعل، وإنما يلام من امتنع منه الفعل لتضييعه قدرة الفعل، لاشتغاله بغير ما أمر به، أو شغله إياها بضد ما أمر به»(١).

۞ الرابعة: التكليف بما لا يطاق:

مسألة التكليف بما لا يطاق مما اختلفت فيه الطوائف:

فقالت الجهمية: يجوز التكليف بما لا يطاق مطلقًا، كتكليف الأعمى بالنظر، وتكليف الزَّمِن (المريض العاجز) أن يسير إلى مكة(٢).

وقالت المعتزلة: لا يجوز التكليف بما لا يطاق؛ لأنه قبيح، والله منزه عن فعل القبيح(٣).

وقال الأشاعرة بجواز التكليف بما لا يطاق عقلًا، وعدم وقوعه شرعًا(٤).

والصواب أن «ما لا يطاق يفسر بشيئين: بما لا يطاق للعجز عنه، فهذا لم يكلفه الله أحدًا، ويفسر بما لا يطاق للاشتغال بضده(٥)، فهذا هو الذي وقع فيه التكليف، كما في أمر العباد بعضهم بعضًا، فإنهم يفرقون بين هذا وهذا، فلا يأمر السيد عبده الأعمى بنقط المصاحف! ويأمره إذا كان قاعدًا أن يقوم، ويعلم الفرق بين الأمرين بالضرورة»(٦).

❊ ❊ ❊

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٣٣- ٦٣٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٩٧).

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٣٩٧).

(٤) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٩٦)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة، للجويني (ص٢٢٦)، المطالب العالية من العلم الإلهي، للرازي (٣/ ٣٠٥).

(٥) كاشتغال الكافر بالكفر؛ لأنه هو الذي صده عن الإيمان، وكالقاعد في حال قعوده؛ فإن اشتغاله بالقعود يمنعه أن يكون قائمًا، وهذا لا يدخل فيما لا يطاق؛ فإنه لا يقال للمستطيع المأمور بالحج إذا لم يحج: إنه كُلِّف بما لا يطاق، ولا يقال لمن أمر بالطهارة والصلاة فترك ذلك كسلًا: إنه كُلِّف ما لا يطيق. انظر: منهاج السنة (٣/ ١٠٤-١٠٥).

(٦) شرح الطحاوية (٢/ ٦٣٩)، وانظر: المصدر السابق (٢/ ٦٥٢-٦٥٣).

۞ الخامسة: معنى قول النبي ﷺ: «والشر ليس إليك»:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه كان إذا قام إلى الصلاة، قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا، وما أنا من المشركين...**» الحديث، وفيه: «**لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك...**»(١).

قال الإمام النووي: «وأما قوله: «**والشر ليس إليك**» فمما يجب تأويله؛ لأن مذهب أهل الحق أن كل المحدثات فعل الله تعالى وخلقه سواء خيرها وشرها، وحينئذ يجب تأويله(٢)، **وفيه خمسة أقوال:**

أحدها: معناه: لا يتقرب به إليك قاله الخليل بن أحمد، والنضر بن شميل وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، وأبو بكر بن خزيمة، والأزهري وغيرهم.

والثاني: حكاه الشيخ أبو حامد عن المزني وقاله غيره أيضًا، معناه: لا يضاف إليك على انفراده، لا يقال: يا خالق القردة والخنازير، ويا رب الشر ونحو هذا، وإن كان خالق كل شيء، ورب كل شيء، وحينئذٍ يدخل الشر في العموم.

والثالث: معناه: والشر لا يصعد، إليك إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح(٣).

والرابع: معناه: والشر ليس شرًّا بالنسبة إليك، فإنك خلقته بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (ح٧٧١). (٢) يعني: قوله ﷺ: «**والشر ليس إليك**».

(٣) وذكر هذه الأقوال الثلاثة المتقدمة الإمام البغوي في شرح السنة (٣/ ٣٧).

(٤) قال شيخ الإسلام: «فإنه لا يخلق شرًّا محضًا، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، وهو شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق؛ فالرب منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه، وأما الشر الجزئي الإضافي: فهو خير باعتبار =

والخامس: حكاه الخطابي أنه كقولك: فلان إلى بني فلان، إذا كان عِداده فيهم أو صَفْوُه إليهم»[(١)].

وكل هذه المعاني حق ولا تنافي بينها، ولا مانع من حمل الحديث على هذه المعاني كلها، فإن الاختلاف بينها اختلاف تنوع، فهي كلها تتفق على تنزيه الله تعالى عن الشر، وتصبُّ في هذا المعنى.

ومما يثبت ذلك:

أولًا: أن «الشر لم يضف إلى الله في الكتاب والسنة إلا على أحد وجوه ثلاثة:

* إما بطريق العموم، كقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦].
* وإما بطريقة إضافته إلى السبب، كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢].
* وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾»[(٢)] [الجن: ١٠].

ثانيًا: أنه «ليس من أسماء الله الحسنى اسم يتضمن الشر، وإنما يذكر الشر في مفعولاته؛ كقوله: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وقوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة: ٩٨]، وقوله: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾ [البروج: ١٢ - ١٤]، فبين سبحانه أن بطشه شديد، وأنه هو الغفور الودود»[(٣)].

= حكمته، ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردًا قط، بل إمَّا أن يدخل في عموم المخلوقات، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وإما أن يضاف إلى السبب، كقوله ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾ [الفلق: ٢]، وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾ [الجن: ١٠]». مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٦٦).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٥٩)، وانظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٦٣- ٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٥١١-٥١٢). وانظر: شفاء العليل (ص٢٧٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٩٦- ٩٧).

ثالثًا: أن «جميع ما يحدثه في الوجود من الضرر فلا بد فيه من حكمة، قال الله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، والضرر الذي يحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شرًّا مطلقًا وإن كان شرًّا بالنسبة إلى من تضرر به»(١).

رابعًا: أن «القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه، فإنه علمُ اللهِ، وقدرته، وكتابته، ومشيئته، وذلك خيرٌ محضٌ وكمال من كل وجه، فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه، لا في ذاته ولا في أسمائه، ولا في صفاته ولا في أفعاله، وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدّر، ويكون شرًّا بالنسبة إلى محل، وخيرًا بالنسبة إلى محل آخر، وقد يكون خيرًا بالنسبة إلى المحل القائم به من وجه، كما هو شر له من وجه، بل هذا هو الغالب، وهذا كالقصاص، وإقامة الحدود، وقتل الكفار، فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه، بل من وجه دون وجه، وخير بالنسبة إلى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنَّكال ودفع الناس بعضهم ببعض، وكذلك الآلام والأمراض وإن كانت شرورًا من وجه فهي خيرات من وجوه عديدة... فالخير والشر من جنس اللذة والألم، والنفع والضرر، وذلك في المقضي المقدر لا في نفس صفة الرب وفعله القائم به، فإن قطع يد السارق شر مؤلم ضار له، وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه فعدل وخير وحكمة ومصلحة»(٢).

خامسًا: أن ما يصيب العبد من المصائب فسببها ذنوبه ومعاصيه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وما يصيب العبد من النعم فالله أنعم بها عليه وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]؛ وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] أي ما أصابك من خصب ونصر وهدى فالله أنعم به عليك، وما أصابك من حزن وذل وشر فبذنوبك وخطاياك، وكل الأشياء

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٩٤).

(٢) شفاء العليل (ص٢٦٨-٢٦٩) بتصرف يسير.

كائنة بمشيئة الله وقدرته وخلقه فلا بد أن يؤمن العبد بقضاء الله وقدره، وأن يوقن العبد بشرع الله وأمره»[(١)].

۞ السادسة: معنى قول النبي ﷺ: «ينسأ له في أثره»:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن سرَّه أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه**»[(٢)].

قال الإمام النووي: «(ينسأ) مهموز؛ أي: يؤخر، والأثر: الأجل؛ لأنه تابع للحياة في إثْرها، وبسط الرزق: توسيعه وكثرته، وقيل: البركة فيه، وأما التأخير في الأجل، ففيه سؤال مشهور، وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وأجاب العلماء بأجوبة، الصحيح منها: أن هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك، والثاني: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، فالنسبة إلى علم الله تعالى، وما سبق به قدره لا زيادة، بل هي مستحيلة، وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تُتصوَّر الزيادة، وهو مراد الحديث، والثالث: أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت، حكاه القاضي وهو ضعيف، أو باطل، والله أعلم»[(٣)].

واختار شيخ الإسلام القول الثاني، فقال: «الأجَل أجَلان: أجل مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: «**من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[(٤)]، فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلًا،

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٦٤).
(٢) أخرجه البخاري (ح٢٠٦٧)، ومسلم (ح٢٥٥٧).
(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١١٤-١١٥).
(٤) سبق تخريجه.

وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملَك لا يعلم أيزداد أم لا؛ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر»[(١)].

واعتقاد أهل السنة أن كل من مات فقد مات بأجله مهما تنوعت الأسباب.

يقول الإمام ابن أبي العز: «المقتول ميِّتٌ بأجَله، فعَلِمَ الله تعالى وقدَّر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، وهذا بسبب الحرق، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب، والله سبحانه خلق الموت والحياة، وخلق سبب الموت والحياة، وعند المعتزلة: المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله فكأن له أجلان، وهذا باطل؛ لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلًا يعلم أنه لا يعيش إليه البتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين، كفعل الجاهل بالعواقب. ووجوبُ القصاص والضمان على القاتل؛ لارتكابه المنهي عنه ومباشرته السبب المحظور، وعلى هذا يخرَّج قوله ﷺ: «**صلة الرحم تزيد في العمر**»[(٢)] أي: سبب طول العمر، وقد قدَّر الله أن هذا يصل رحمه فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية، ولكن قدر هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا»[(٣)].

وقال أيضًا: «فإن قيل: هل يلزم من تأثير صلة الرحم في زيادة العمر ونقصانه تأثير الدعاء في ذلك أم لا؟ فالجواب: أن ذلك غير لازم؛ لقوله ﷺ لأم حبيبة رضي الله عنها: «**قد سألتِ الله تعالى لآجال مضروبة...**» الحديث[(٤)] فعلم أن

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٥١٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٨٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ١١٦)، وقال الهيثمي: «إسناده حسن» (مجمع الزوائد ٣/ ١١٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٣٧٦٦).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ١٢٧-١٢٩).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٦٦٣)، ونص الحديث: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية قال: =

الأعمار مقدرة، لم يشرع الدعاء بتغيرها، بخلاف النجاة من عذاب الآخرة؛ فإن الدعاء مشروع له نافع فيه، ألا ترى أن الدعاء بتغيير العمر لما تضمن النفع الأخروي شرع كما في الدعاء الذي رواه النسائي من حديث عمار ابن ياسر، عن النبي ﷺ أنه قال: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»(١) إلى آخر الدعاء»(٢).

وما ذهب إليه الإمام ابن أبي العز من عدم تأثير الدعاء في زيادة العمر ونقصانه خالف فيه آخرون، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الدعاء والسؤال هو سبب لنيل المطلوب المسؤول، ليس وجوده كعدمه في ذلك، ولا هو علامة محضة، كما دل عليه الكتاب والسنة، وإن كان قد نازع في ذلك طوائف من أهل القبلة وغيرهم، مع أن ذلك يقر به جماهير بني آدم من المسلمين واليهود والنصارى، والصابئين، والمجوس، والمشركين»(٣).

وقال الإمام ابن القيم: «الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل»(٤).

ومن الأدلة على تأثير الدعاء في زيادة العمر ونقصانه دعاء النبي ﷺ لأنس ابن مالك رضي الله عنه بزيادة العمر، فعن أنس بن مالك، قال: ذهبت بي أمي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، خويدمك ادع الله له، قال: «**اللهم كثِّر ماله وولده، وأطل عمره، واغفر ذنبه**»، قال أنس: فقد دفنت من صلبي مائة غير اثنين، أو قال: مائة واثنين، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيت

= فقال النبي ﷺ: «**قد سألتِ الله لآجالٍ مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئًا قبل حِلِّه، أو يؤخر شيئًا عن حلِّه، ولو كنتِ سألتِ الله أن يعيذكِ من عذابٍ في النار، أو عذابٍ في القبر، كان خيرًا وأفضل**».

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٠/ ٢٦٤-٢٦٥)، والنسائي (ح١٣٠٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ١٣٠١).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ١٢٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ١٩٤-١٩٥).

(٤) الداء والدواء (ص١١).

حتى سئمت الحياة، وأنا أرجو الرابعة[(١)].

ومن الأدلة أيضًا قصة دعاء سعد بن أبي وقاص على من قال: إن سعدًا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، فقال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياء وسمعة، فأطِلْ عمره، وأطل فقره، وعرِّضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد، قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهنَّ[(٢)].

وأجاب ابن مفلح عن حديث أم حبيبة الذي استدل به الشارح بقوله: «فلم ينهَ، ولم يقل: إن الدعاء لا أثر له في زيادة العمر، وإنما أرشد إلى الأفضل؛ لأنه عبادة»[(٣)].

۞ السابعة: الرضا بقضاء الله وقدره:

عن العباس بن عبد المطلب، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا**»[(٤)].

عن سعد بن أبي وقاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًّا وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا، غفر له ذنبه**»[(٥)].

قال ابن القيم: «وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين، وإليهما ينتهي، وقد تضمنا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته، والرضا برسوله،

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (ح٤٢٣٦)، والبخاري في الأدب المفرد (ح٦٥٣) بلفظ: «وأطِلْ حياته»، وصححه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٤/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (ح٧٥٥).

(٣) الفروع مع تصحيح الفروع (١٠/ ٣٣٥)، وانظر تفصيل المسألة في: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، جيلان العروسي (١/ ٣٥٠) وما بعدها.

(٤) أخرجه مسلم (ح٣٤).

(٥) أخرجه مسلم (ح٣٨٦).

والانقياد له، والرضا بدينه، والتسليم له، ومن اجتمعت له هذه الأربعة: فهو الصِّدِّيق حقًّا»[(١)].

فالرضا بقضاء الله -من حيث هو فعله- واجب؛ لأنه مقتضى وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره.

وأما المقضي؛ فهو ثلاثة أقسام:

الأول: يجب الرضا به؛ وهو الرضا بجميع ما أمر الله به؛ لأنه من الإيمان بالله ورسوله.

الثاني: يحرم الرضا به؛ وهو جميع ما نهى الله عنه ورسوله.

الثالث: يستحب الرضا به على الصحيح؛ وهو الرضا بالمصائب، وأما الصبر عليها فواجب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ينبغي للإنسان أن يرضى بما يقدره الله عليه من المصائب التي ليست ذنوبًا، مثل أن يبتليه بفقر أو مرض أو ذل وأذى الخلق له؛ فإن الصبر على المصائب واجب، وأما الرضا بها فهو مشروع، لكن هل هو واجب أو مستحب؟ على قولين لأصحاب أحمد وغيرهم: أصحهما: أنه مستحب ليس بواجب»[(٢)].

وقال أيضًا: «وأما الرضا فقد تنازع العلماء والمشايخ من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم في الرضا بالقضاء: هل هو واجب أو مستحب؟ على قولين: فعلى الأول يكون من أعمال المقتصدين، وعلى الثاني يكون من أعمال المقربين. قال عمر بن عبد العزيز: الرضا عزيز، ولكن الصبر معوَّل المؤمن... ولهذا لم يجئ في القرآن إلا مدح الراضين لا إيجاب ذلك، وأما الرضا بما أمر الله به فأصله واجب وهو من الإيمان»[(٣)].

وقال ابن القيم: «أجمع العلماء على أنه [الرضا] مستحب، مؤكد استحبابه، واختلفوا في وجوبه على قولين»[(٤)].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧١).
(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ١٩١).
(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٠-٤١).
(٤) مدارج السالكين (٢/ ١٦٩).

وقال شيخنا محمد العثيمين: «أما الرضا بالقدر فهو واجب؛ لأنه من تمام الرضا بربوبية الله، فيجب على كل مؤمن أن يرضى بقضاء الله، ولكن المقضي هو الذي فيه التفصيل، فالمقضي غير القضاء؛ لأن القضاء فعل الله، والمقضي مفعول الله، فالقضاء الذي هو فعل الله يجب أن نرضى به، ولا يجوز أبدًا أن نسخطه بأي حال من الأحوال، **وأما المقضي فعلى أقسام:**

القسم الأول: ما يجب الرضا به.

القسم الثاني: ما يحرم الرضا به.

القسم الثالث: ما يستحب الرضا به.

- فمثلًا المعاصي من مقضيات الله، ويحرم الرضا بالمعاصي، وإن كانت واقعة بقضاء الله، فمن نظر إلى المعاصي من حيث القضاء الذي هو فعل الله يجب أن يرضى، وأن يقول: إن الله تعالى حكيم، ولولا أن حكمته اقتضت هذا ما وقع، وأما من حيث المقضي وهو معصية الله فيجب ألا ترضى به، والواجب أن تسعى لإزالة هذه المعصية منك أو من غيرك.

- وقسم من المقضي يجب الرضا به مثل الواجب شرعًا؛ لأن الله حكم به كونًا، وحكم به شرعًا، فيجب الرضا به من حيث القضاء ومن حيث المقضي.

- **وقسم ثالث:** يستحب الرضا به، ويجب الصبر عليه، وهو ما يقع من المصائب، فما يقع من المصائب يستحب الرضا به عند أكثر أهل العلم ولا يجب، لكن يجب الصبر عليه، والفرق بين الصبر والرضا: أن الصبر يكون الإنسان فيه كارهًا للواقع، لكنه لا يأتي بما يخالف الشرع وينافي الصبر، والرضا: لا يكون كارهًا للواقع فيكون ما وقع وما لم يقع عنده سواء، فهذا هو الفرق بين الرضا والصبر؛ ولهذا قال الجمهور: إن الصبر واجب، والرضا مستحب»[1].

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٩٢-٩٣).

الثامنة: المحو والإثبات:

الاعتقاد بالقدر -كما سبق- يقوم على الإيمان بعلم الله بما كان وما يكون، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه جل وعلا الخالق لكل شيء، وأنه سبحانه قد كتب ذلك كله، وهذه هي أركان القدر الأربعة، ولكن كيف يجمع بين ذلك وبين قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩]؟

وقد اختلف العلماء في معنى المحو والإثبات الوارد في الآية على أقوال:

القول الأول: محو الشرائع والأحكام بالنسخ، عن ابن عباس: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ قال: «من القرآن، يقول: يبدل الله ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يقول: وجملة ذلك عنده في أمِّ الكتاب: الناسخ والمنسوخ، وما يبدل وما يثبت، كل ذلك في كتاب، والسياق أدلُّ على هذا الوجه من الوجه الأول»[(١)].

القول الثاني: محو الذنوب بالتوبة، يقول ابن عباس: «وهو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله، ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة، فهو الذي يمحو، والذي يثبت: الرجل يعمل بمعصية الله، وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله، فهو الذي يثبت»[(٢)].

القول الثالث: محو الأجل بالموت، قال الحسن البصري: «يمحو من جاء أجله فيذهب، والمثبت الذي هو حي يجري إلى أجله»[(٣)].

وهذه الأقوال الثلاثة ليس لها تعلق بمسألتنا؛ لأنها لا تدل على محو ما قدره الله تعالى.

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٦٦-٥٦٧)، وانظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٥٨-٥٥٩)، تفسير القرطبي (٩/ ٣٣١)، شرح الطحاوية ١/ ١٣٢).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٥٦٤-٥٦٥)، وانظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٥/ ٢٩٨).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٥٦٨)، وانظر: تفسير القرطبي (٩/ ٣٣٢).

القول الرابع: محو المقادير، وهو المعنى المقصود هنا، فقد سُمِعَ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول وهو يطوف بالكعبة: «اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبت عليَّ الذنب والشقوة فامحني وأثبتني في أهل السعادة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب»(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «يدبر الله أمر العباد فيمحو ما يشاء، إلا الشقاء والسعادة والموت»(٢).

«**ومعنى هذه الأقوال:** أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها، ويثبت منها ما يشاء»(٣)، و«قال العلماء: إن المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالمًا به فلا محو فيه ولا إثبات، وأما اللوح المحفوظ فهل فيه محو وإثبات على قولين»(٤).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «قيل: الزيادة والنقصان في الصحف التي في أيدي الملائكة، وحمل قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ [الرعد: ٣٨، ٣٩]، على أن المحو والإثبات من الصحف التي في أيدي الملائكة، وأن قوله: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اللوح المحفوظ، ويدل على هذا الوجه سياق الآية، وهو قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، ثم قال: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ﴾ أي: من ذلك الكتاب، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أصله، وهو اللوح المحفوظ»(٥).



(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٦٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٩٠-٤٩١).
(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٥٥٩).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٩).
(٤) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٩٢)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣١٧).
(٥) شرح الطحاوية (١/ ١٣١-١٣٢).



المبحث الثاني عشر

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بقضاء الله وقدره له ثمرات جليلة، منها[(١)]:

أولًا: تحقيق التوحيد، فلا يتم توحيد الله إلا لمن أقرَّ أن الله وحده الخالق لكل شيء، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، قال الإمام ابن القيم: «من لم يؤمن بالقدر فقد انسلخ من التوحيد، ولبس جلباب الشرك، بل لم يؤمن بالله ولم يعرفه»[(٢)].

ثانيًا: السلامة من الكبر والبطر؛ لأن الإيمان بالقدر يجعل الإنسان يمضي في حياته على منهج سواء، لا تبطره النعمة، فهو يعلم أن كل ما أصابه من نعم وحسنات من الله، لا بذكائه وحُسْن تدبيره.

ثالثًا: دوام اللجوء إلى الله والاستعانة به والتوكل عليه، والاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبب كليهما بقضاء الله وقدره. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

رابعًا: راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأنه متى علم العبد أن ما أصابه من

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ٢٦٠-٢٦١)، القضاء والقدر للأشقر (ص١٠٩).
(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٨٣).

مكروه واقع بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشًا، وأروح نفسًا، وأعظم طمأنينة ممن آمن بالقدر، فالإيمان بالقدر يحقق هناء العيش وراحة البال، قال إبراهيم الحربي: «أجمع عقلاء كل أمة أن من لم يَجْرِ مع القدر لم يتهن بعيشه»(١).

خامسًا: طرد القلق والضجر عند فوات المراد، أو حصول المكروه؛ لأن ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائن لا محالة، فيصبر على ذلك ويحتسب الأجر، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

سادسًا: الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإيمان بالقدر يوجب أن يكون العبد صَبّارًا شكورًا، صبورًا على البلاء، شكورًا على الرخاء، إذا أصابته نعمة علم أنها من عند الله فشكره، سواء كانت النعمة حسنة فعلها، أو كانت خيرًا حصل بسبب سعيها، فإن الله هو الذي يسَّر عمل الحسنات، وهو الذي تفضل بالثواب عليها، فله الحمد في ذلك كله، وإذا أصابته مصيبة صبر عليها، وإن كانت تلك المصيبة قد جرت على يد غيره، فالله هو الذي سلط ذلك الشخص، وهو الذي خلق أفعاله، وكانت مكتوبة على العبد»(٢).

سابعًا: «إن العبد إذا علم أن لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر، ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذٍ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل، وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده، فإن المعبود إنما يقصد

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٦٧٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٣٧).

بعبادته جلب المنافع ودفع المضار»[(١)].

ثامنًا: أنه يورث حلاوة الإيمان؛ فلن يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يؤمن بالقدر، عن الوليد بن عبادة، قال: دخلت على عُبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني، إنك لن تطعم طعم الإيمان، ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قال: قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر من شره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك[(٢)].

تاسعًا: أن شهود القدر في الطاعات من أنفع الأمور للعبد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «شهود القدر في الطاعات من أنفع الأمور للعبد، وغيبته عن ذلك من أضر الأمور به؛ فإنه يكون قدريًّا منكرًا لنعمة الله عليه بالإيمان والعمل الصالح، وإن لم يكن قدري الاعتقاد كان قدري الحال، وذلك يورث العجب والكبر، ودعوى القوة والمنة بعمله، واعتقاد استحقاق الجزاء على الله به، فيكون من يشهد العبودية مع الذنوب والاعتراف بها -لا مع الاحتجاج بالقدر عليها- خيرًا من هذا الذي يشهد الطاعة منه لا من إحسان الله إليه، ويكون أولئك المذنبون بما معهم من الإيمان أفضل من طاعة بدون هذا الإيمان»[(٣)].

عاشرًا: الإيمان بالقدر يحقق كمال التوكل على الله، وفَقْد ذلك يورث عجزًا وخِذْلانًا، قال الإمام ابن القيم: «الخذلان أن يخلِّي الله تعالى بين العبد وبين نفسه، ويَكِلَه إليها، والتوفيق ضده ألا يدَعَه ونفسَه، ولا يَكِلَه إليها، بل يصنع له ويلطف به ويعينه ويدفع عنه، ويكلؤه كلاءة الوالد الشفيق للولد

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٨٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٧/ ٣٧٨)، وقال محققوه: «إسناده حسن».

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٣١).

العاجز عن نفسه، فمن خُلِّي بينه وبين نفسه هلك كل الهلاك»[١].

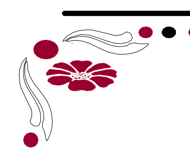
حادي عشر: أن الإيمان بالقدر يستوجب تحريك القلب نحو محبة الله ورجائه وخوفه، وتلك أركان العبادة، وبها تنال السعادة.

ثاني عشر: الإيمان بالقدر يورث كمال الإخلاص لله؛ لأنه لن ينظر إلى مدح الناس وذمهم، ولن ينتظر نفعهم ولن يخشى ضرهم.

ثالث عشر: الإيمان بالقدر يطهر النفس من داء الحسد، فلا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لإيمانه بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وله الحكمة البالغة.



(١) شفاء العليل (ص١٠٠).



ملخص الفصل الأول

❊ **القضاء في اللغة:** الإحكام والإتقان والإتمام، **والقدر في اللغة:** التقدير والقضاء والحكم.

❊ **والقدر شرعًا:** يعرَّف على سبيل الإجمال بأنه: قدرة الله أو تقدير الله تعالى لما كان وما يكون أزلًا وأبدًا، وعلى سبيل التفصيل: هو علم الله ومشيئته، وخلقه وكتابته لما كان وما يكون أزلًا وأبدًا. وأما القضاء شرعًا، فهو: ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير.

❊ **اختلف العلماء في الفرق بين القضاء والقدر على قولين: الأول:** أنه لا فرق بينهما، **والثاني:** أن بينهما فرقًا، واختلف في تحديد هذا الفرق على أقوال، منها: أن القدر هو التقدير الأزلي السابق، والقضاء: هو وقوع ما قدره الله، وقيل العكس. والتحقيق: أن القضاء والقدر كلمتان، إن اجتمعتا افترقتا، وإن افترقتا اجتمعتا، فإذا قيل: هذا قدر الله؛ فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرتا جميعًا؛ فلكل واحدة منهما معنى، فيراد بالقدر: التقدير، أو ما قدره الله أزلًا، وبالقضاء: وقوع ما قدره الله عز وجل.

❊ **معنى الإيمان بالقضاء والقدر:** الإيمان بخلقه سبحانه لكل شيء، ومشيئته لكل ما كان وما يكون، وعلمه بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل بَرْئها.

❊ **أهمية الإيمان بالقضاء والقدر تتبين فيما يلي:** **(١)** أنه أحد أركان الإيمان الستة العظام. **(٢)** أن من أنكره فهو كافر بالله العظيم. **(٣)** أنه نظام التوحيد. **(٤)** يتحقق بالإيمان به ثمرات عظيمة من شجاعة القلب وطمأنينة النفس، وبرد اليقين، ورسوخ الإيمان، وغيرها من الثمرات.

❊ حكم الإيمان بالقدر أنه أحد أركان الإيمان التي لا يصح الإيمان إلا بها،

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

❋ **يراد بالخوض في القدر:** الكلام فيه بالباطل، وهو يشمل: الخوض فيه بغير علم، أو الاعتراض، وترك الرضا والتسليم، أو الخوض فيه بالعقل، دون الاستناد إلى الوحي؛ وجميع ذلك غير جائز.

❋ **للإيمان بالقدر أربع مراتب:** الأولى: العلم؛ والثانية: الكتابة، والثالثة: المشيئة، والرابعة: الخلق.

❋ **كتابة المقادير على أربعة أنواع:** الأول: التقدير العام الشامل لكل الكائنات، المكتوب في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض عندما خلق الله تعالى القلم. الثاني: التقدير العمري عند تخليق النطفة في الرحم. الثالث: التقدير السنوي في ليلة القدر. الرابع: التقدير اليومي، وهو سَوْق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق.

❋ **والأقلام على أنواع؛** القلم الأول: العام الشامل لجميع المخلوقات. القلم الثاني: حين خلق آدم، وهو قلم عام أيضًا، لكن لبني آدم عقيب خلق أبيهم. القلم الثالث: حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بالكلمات الأربع. القلم الرابع: الذي بأيدي الكرام الكاتبين، الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم.

❋ **الإرادة الإلهية نوعان:** إرادة كونية قدرية، وهي بمعنى المشيئة. وإرادة شرعية دينية، وهي بمعنى المحبة؛ فالإرادة أعم من المشيئة، والإرادة تنقسم، والمشيئة لا تنقسم.

❋ **مجمل الفرق بين الإرادتين في أمرين: أولًا:** من حيث المتعلَّق؛ فالإرادة الشرعية تتعلق بما يحبه الله ﷻ، سواء وقع أو لم يقع، وأما الكونية؛ فتتعلق بما يقع، سواء كان مما يحبه الله أو مما لا يحبه. **ثانيًا:** من حيث حصول المراد؛ فالشرعية لا يلزم منها وقوع المراد، أما الكونية؛ فيلزم منها وقوع المراد. وعدم التفريق بين نوعي الإرادة هو أصل ضلال الفِرَق في هذه

المسألة.

❊ مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد أنها مخلوقة لله تعالى، وهي أيضًا فعل العبد، فتنسب إلى الله خلقًا، وتنسب إلى العبد اكتسابًا وفعلًا، بدليل الكتاب والسنة والإجماع. ولا ينافي الإيمان بالقدر أن يكون للعبد إرادة وقدرة يكون بهما فعله. وله مشيئة وإرادة واختيار تابعة لمشيئة الله الشاملة وهذه المسألة هي محور النزاع بين أهل السنة وبين مخالفيهم من القدرية والجبرية.

❊ الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب، وعلى هذا دلت نصوص القرآن والسنة، وعمل الصحابة.

❊ **انقسم الناس في الأسباب إلى طرفين ووسط: فالطرف الأول:** نفاة أنكروا تأثير الأسباب. **والطرف الثاني:** غلاة غلَوا في الأسباب وجعلوها مؤثرة بذاتها، فوقعوا في الشرك. **وأما الوسط، وهم أهل الحق:** فأثبتوا للأسباب تأثيرًا في مسبباتها لكن لا بذاتها، بل بما أودعه الله تعالى فيها من القوى الموجِبة.

❊ الدعاء في اقتضائه الإجابة كسائر الأعمال الصالحة في اقتضائها الإثابة، وكسائر الأسباب في اقتضائها المسبَّبات، وهو من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار.

❊ يجوز الاحتجاج بالقدر على المصائب لا على المعائب.

❊ **مجمل أقوال الناس في القدر ثلاثة: الأول:** قول القدرية النفاة الذين يقولون: إن العبد يخلق فعله، وهو مذهب القدرية والمعتزلة، ومال إليهم الماتريدية. **والثاني:** قول الجبرية الذين يقولون: إن العبد مجبور على فعله، وهو مذهب الجهمية، ومال إليهم الأشعرية. **والثالث:** قول أهل السنة؛ وهو أن للعبد قدرة ومشيئة واختيارًا، وهي تابعة لمشيئة الله جل وعلا.

❊ أول من قال بالقدر هو، معبد الجهني بالبصرة في أواخر عهد الصحابة، وأصل هذه المقالة ترجع إلى رجل من أهل البصرة اسمه (سيسويه)، أو

(سوسن) كان نصرانيًّا فأسلم ثم تنصر، فأخذ عنه معبد، وأخذ غيلان عن معبد.

❊ انقرضت القدرية الأولى القائلون بنفي القدر (المتضمن العلم)، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ولكن يقولون: الخير من الله والشر من غيره.

❊ **الجبر:** هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والقول بأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه. ورأس هذه البدعة هو الجهم بن صفوان، ثم شاع في بعض طوائف الإسلام، كالصوفية.

❊ أراد الأشاعرة أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية فجاؤوا بنظرية الكسب وهي في مآلها جبرية خالصة، وإن لم يصلوا إلى حد موافقة الجهم في غلوه.

❊ **مذهب الماتريدية:** حاصل مذهبهم أن المؤثر في أصل الفعل هو قدرة الله تعالى، وأن المؤثر في صفة الفعل -يعني: كونه طاعة أو معصية- قدرة العبد، ومقصودهم أن الله تعالى لا يخلق فعل العبد إلا بعد أن يختاره العبد، فمالوا إلى المعتزلة.

❊ **الهداية على نوعين: الأول:** هداية التوفيق، وهذه الهداية لا يقدر عليها إلا الله عز وجل، **والثاني:** هداية البيان والدلالة، وهذه ليست خاصة بالله.

❊ خالفت المعتزلة في مفهوم الهدى من الله؛ فحصرته في بيان طريق الصواب، وحصرت الإضلال: في تسمية العبد ضالًّا، أو الحكم عليه بالضلال عند خلق العبد الضلال في نفسه. وهذا مبني على أصلهم الفاسد: أن أفعال العباد مخلوقة لهم.

❊ **الذي عليه أهل السنة في الحكمة والتعليل:** أن الله تعالى يخلق لحكمة ويأمر لحكمة، قال في الحكمة: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ [القمر: ٥] وقال في التعليل: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٩٧] وغيرها.

❊ القدرة (الاستطاعة) هي مناط التكليف، والذي عليه أهل السنة أنها قدرتان: **الأولى:** قبل الفعل لجواز التكليف بالفعل، **والثانية:** مقارنة للفعل لا يتم الفعل إلا بها.

❊ **ما لا يطاق يفسر بشيئين: الأول:** ما لا يطاق للعجز عنه، فهذا لم يكلفه الله أحدًا، والثاني: ما لا يطاق للاشتغال بضده، وهذا هو الذي وقع فيه التكليف.

❊ قول النبي ﷺ: «**والشر ليس إليك**» له عدة معان؛ منها: **(١)** أن الشر لا يتقرب به إليك. **(٢)** أن الشر لا يضاف إليك على انفراده. **(٣)** أن الشر لا يصعد إليك. **(٤)** أن الشر ليس شرًّا بالنسبة إليك.

❊ **الأَجَل أجَلان:** أجل مطلق، وأجل مقيد، فأما المطلق: فهو الذي أمر الله به الملك أن يكتبه ابتداءً، ثم إذا وصل العبد رحمه زاده كذا وكذا، والملَك لا يعلم أيزداد أم لا؟ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر. وهذا يفسر قوله ﷺ: «**من سرَّه أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه**».

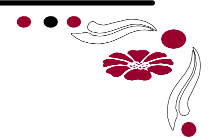
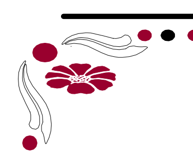
❊ يجب على المسلم أن يصبر على المصائب، وأن يرضى بالأقدار عمومًا- إما وجوبًا، وإما استحبابًا- لأنها من فعل الله تعالى، والرضا بها من تمام الرضا بربوبية الله.

❊ اختلف العلماء في معنى المحو والإثبات الوارد في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] **على أقوال: (١)** محو الشرائع والأحكام بالنسخ. **(٢)** محو الذنوب بالتوبة. **(٣)** محو الأجل بالموت. **(٤)** محو المقادير، وهو الصواب.

تحقيق الإيمان بقضاء الله وقدره له ثمرات جليلة، منها: (١) تحقيق التوحيد. **(٢)** السلامة من الكبر والبطر. **(٣)** دوام اللجوء إلى الله والاستعانة به والتوكل عليه. **(٤)** راحة النفس وطمأنينة القلب. **(٥)** طرد القلق والضجر

عند فوات المراد، أو حصول المكروه. (٦) الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء. (٧) العلم بأن الله وحده هو الضار النافع المعطي المانع. (٨) أنه يورث حلاوة الإيمان. (٩) أن شهود القدر في الطاعات من أنفع الأمور للعبد. (١٠) الإيمان بالقدر يحقق كمال التوكل على الله. (١١) أن الإيمان بالقدر يستوجب تحريك القلب نحو محبة الله ورجائه وخوفه. (١٢) الإيمان بالقدر يورث كمال الإخلاص لله. (١٣) الإيمان بالقدر يطهر النفس من داء الحسد.



أسئلة تطبيقية

س١: وضح معنى القضاء والقدر؟ وما الفرق بينهما؟

س٢: بيّن معنى الإيمان بالقضاء والقدر، وأهميته في ضوء ما درست.

س٣: ما حكم الإيمان بالقضاء والقدر وما أدلته؟

س٤: هل يجوز الخوض في القدر؟ فصل في الإجابة.

س٥: عدِّد مراتب القدر إجمالًا مع الدليل.

س٦: تحدث عن مذاهب المخالفين في القدر، ثم رُدَّ عليها باختصار.

س٧: اذكر خمسًا من ثمرات الإيمان بالقدر.

س٨: علل لما يأتي:

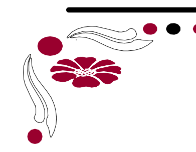
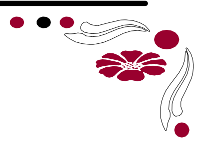
- لا تعارض بين العمل بالأسباب والإيمان القدر.
- القدرية فيهم شبه من المجوس.
- الذي يحتج بالقدر فيه شبه من المشركين.
- جواز الاحتجاج بالقدر على المصائب لا المعائب.





الفصل الثاني

المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان

الفصل الثاني

۞ **ويشتمل على ما يلي:**

١- معنى الإيمان حال الإطلاق والتقييد ومراتبه ودرجاته.

٢- العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان والفرق بينها.

٣- دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وأدلة ذلك.

٤- مذاهب المرجئة والوعيدية في مسمى الإيمان والرد عليها.

٥- النزاع بين جمهور أهل السنة ومرجئة الفقهاء في الإيمان.

٦- زيادة الإيمان ونقصانه؛ معناه، والأدلة عليه.

٧- مذهب أهل السنة والجماعة في زيادة الإيمان ونقصانه، والرد على المخالف.

٨- أسباب زيادة الإيمان ونقصانه، وتفاضل أهله فيه، وأدلة ذلك.

٩- الاستثناء في الإيمان؛ معناه، وحكمه، والخلاف فيه، والترجيح.





المبحث الأول

معنى الإيمان حال الإطلاق والتقييد

ومراتبه ودرجاته

۞ أولًا: الإيمان لغة:

الإيمان في اللغة التصديق، جاء في «كتاب العين»: «الإيمان: التصديق نفسه، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي: بمصدِّق»[(١)].

ونقل أبو منصور الأزهري الاتفاق على ذلك، فقال: «اتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه: التصديق»[(٢)].

كما يطلق الإيمان لغة على الإقرار، قال الزبيدي: «وقد يطلق الإيمان على الإقرار باللسان فقط كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ [المنافقون: ٣]، أي: آمنوا باللسان وكفروا بالجَنان»[(٣)].

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن تعريفه لغة بالإقرار أَوْلَى من تعريفه بالتصديق، ويخطئ من يقول: إن الإيمان مرادف للتصديق، ويبين أن الإيمان يتضمن

(١) كتاب العين (٨/ ٣٨٨-٣٨٩).

(٢) تهذيب اللغة (١٥/ ٥١٣)، وانظر: المحكم والمحيط الأعظم (١٢/ ١٥٠)، لسان العرب (١٣/ ٢٤).

(٣) تاج العروس (٣٤/ ١٨٧).

التصديق ولا يرادفه، فيقول: «الإيمان وإن تضمن التصديق فليس هو مرادفًا له»[(١)].

وبين ابن تيمية أن هناك فرقًا بين الإيمان والتصديق لغة من وجوه:

أحدها: دلالة التعدي: فالتصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه، تقول مثلًا: صدقته، ولا تقول: آمنته، بل تقول: آمنت له، وآمنت به، كما قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

الثاني: دلالة المعنى: وهو أن الإيمان ليس مرادفًا للفظ التصديق في المعنى؛ فإن التصديق يستعمل في كل خبر؛ سواء كان عن مشاهدة أو غيب، بخلاف الإيمان الذي لا يستعمل إلا في الأمور الغائبة، فإن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقتَ، كما يقال: كذبت، فمن قال: السماء فوقنا قيل له: صدق، كما يقال: كذب، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، ولم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة؛ كقوله: طلعت الشمس وغربت أنه يقال: آمناه، كما يقال: صدقناه، قال تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]؛ لأنهم أخبروه عن غائب بالنسبة له.

الثالث: دلالة المقابلة: وهي أن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر. يقال: هو مؤمن أو كافر[(٢)].

ولهذا يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن تفسير لفظ الإيمان في اللغة بالإقرار، أَوْلَى من تفسيره بالتصديق، حيث قال: «يقال: آمنت له، كما يقال: أقررت

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٦٩-٢٧٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٠-٢٩٢).

له، فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق»[(١)].

ووافقه على ذلك شيخنا ابن عثيمين، حيث قال: «أكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان في اللغة التصديق، ولكنْ في هذا نظر؛ لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة؛ فإنها تتعدى بتعديتها، ومعلوم أن التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه؛ فتقول مثلًا: صدقته، ولا تقول: آمنته! بل تقول: آمنت به. أو: آمنت له، فلا يمكن أن نفسر فعلًا لازمًا لا يتعدى إلا بحرف الجر بفعل متعدٍّ ينصب المفعول به بنفسه، ثم إن كلمة (صدقت) لا تعطي معنى كلمة (آمنت)، فإن (آمنت) تدل على طمأنينة بخبره أكثر من (صدقت)؛ ولهذا لو فسر الإيمان بالإقرار لكان أجود، فنقول: الإيمان الإقرار، ولا إقرار إلا بتصديق؛ فتقول: أقرَّ به؛ كما تقول: آمن به، وأقرَّ له؛ كما تقول: آمن له»[(٢)].

۞ ثانيًا: معنى الإيمان شرعًا حال الإطلاق والتقييد:

معنى الإيمان حال الإطلاق: يشمل الدين كله، ويدل على ذلك ما جاء في حديث وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال لهم: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**»[(٣)].

معنى الإيمان حال التقييد: هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، ويدل على ذلك ما جاء في حديث جبريل المتقدم أنه سأل النبي ﷺ عن الإسلام، ثم سأله عن الإيمان، فقال ﷺ: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(٤)]، فليس لأحد إذا سئل

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩١، ٦٣٨).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (٢/ ٢٢٩-٢٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (ح٥٣)، ومسلم (ح١٧).

(٤) سبق تخريجه.

عن الإيمان أن يجيب بغير هذا الجواب؛ لأنه جواب من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ومحل هذا الجواب إذا اقترن الإيمان بالإسلام -كما قلنا.

۞ ثالثًا: مراتب الإيمان ودرجاته:

للإيمان ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: أصل الإيمان، ويسمى: مطلق الإيمان، وهو الذي لا يوجد الإيمان بدونه، ويقابله الكفر، قال الإمام محمد بن نصر المروزي: «الكفر ضد لأصل الإيمان؛ لأن للإيمان أصلًا وفرعًا، فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الإيمان الذي هو ضد الكفر»(١)، وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «مطلق الإيمان هو: وصف المسلم الذي معه أصل الإيمان، الذي لا يتم إسلامه إلا به، بل لا يصح إلا به، فهذا في أدنى مراتب الدين، إذا كان مصرًّا على ذنب، أو تاركًا لما وجب عليه مع القدرة عليه»(٢).

المرتبة الثانية: الإيمان الواجب، ويسمى: الإيمان المطلق، وهو ما زاد على أصل الإيمان من فعل الواجبات وترك المحرمات، قال الإمام محمد بن نصر المروزي: «والمؤمنون الذين زكاهم وأثنى عليهم، ووعدهم الجنة هم الذين أكملوا إيمانهم باجتناب كل المعاصي واجتناب الكبائر»(٣)، وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «المرتبة الثانية من مراتب الدين: مرتبة أهل الإيمان المطلق، الذين كمل إسلامهم وإيمانهم، بإتيانهم بما وجب عليهم، وتركهم ما حرمه الله عليهم، وعدم إصرارهم على الذنوب»(٤).

---

(١) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٥١٣، ٥١٩).

(٢) مقامات الكلام في الإسلام والإيمان، لعبد الرحمن بن حسن، ضمن: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٣٣٣).

(٣) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٥٦٧).

(٤) مقامات الكلام في الإسلام والإيمان، لعبد الرحمن بن حسن، ضمن: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٣٣٣).

المرتبة الثالثة: الإيمان المستحب، وهو الزائد على الإيمان الواجب، بفعل المستحبات وترك المكروهات والمشتبهات.

ويلخص شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المراتب بقوله: «وهو [أي: الإيمان] مركب من أصل لا يتم بدونه، ومن واجب ينقص بفواته نقصًا يستحق صاحبه العقوبة، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة، فالناس فيه ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق»[(١)].

ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للمحرمات، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات، والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات»[(٢)].



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٧).



المبحث الثاني

العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان والفرق بينها

«**جعل النبي ﷺ الدين ثلاث درجات: أعلاها**: الإحسان، **وأوسطها**: الإيمان، **ويليه**: الإسلام، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسنًا، ولا كل مسلم مؤمنًا»(١).

فـ«الإحسان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين»(٢).

الفرق بين الإسلام والإيمان:

اختلف أهل العلم في الفرق بين الإسلام والإيمان، على ثلاثة أقوال، فقيل: هما مترادفان، وقيل: هما متغايران، وقيل -وهو الحق: إنهما مترادفان إذا انفردا، ومتباينان إذا اجتمعا، **وبيان ذلك فيما يلي**:

القول الأول: أنهما مترادفان، ولا فرق بينهما، قال الإمام ابن عبد البر: «أكثر أصحاب مالك على أن الإسلام والإيمان شيء واحد، ذكر ذلك ابن بكير

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ١٠)، وقد نقله ابن أبي العز في: شرح الطحاوية (٢/ ٤٨٨).

في «الأحكام»، واحتجَّ بقول الله ﷻ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٦﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦] أي: غير بيت منهم»[(١)]، وهو أيضًا مذهب المعتزلة[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وآخرون يقولون: الإيمان والإسلام سواء، وهم المعتزلة، والخوارج، وطائفة من أهل الحديث والسنة، وحكاه محمد ابن نصر عن جمهورهم، وليس كذلك»[(٣)]، وقال: «قول من يقول: مسمى الإسلام والإيمان واحد... قولٌ ضعيف مخالف لحديث جبريل، وسائر أحاديث النبي ﷺ»[(٤)].

والآية التي احتجوا بها تدل على عدم ترادف الإسلام والإيمان؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥﴾ [الذاريات: ٣٥] وهم لوط ومن معه؛ لأنهم كانوا مؤمنين ظاهرًا وباطنًا، أما قوله سبحانه: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٦﴾ [الذاريات: ٣٦] فأطلق عليهم اسم الإسلام في الظاهر دون الإيمان الباطن، وذلك لوجود زوجة لوط عليه السلام، وكانت في الظاهر مع زوجها على دينه، وفي الباطن مع قومها على دينهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على احتجاجهم بهذه الآية: «وقد ظن طائفة من الناس أن هذه الآية[(٥)] تقتضي أن مسمى الإيمان والإسلام واحد وعارضوا بين الآيتين؛ وليس كذلك؛ بل هذه الآية توافق الآية الأولى[(٦)]؛ لأن الله أخبر أنه أخرج من كان فيها مؤمنًا وأنه لم يجد إلا أهل بيت من المسلمين، وذلك لأن امرأة لوط كانت في أهل البيت الموجودين ولم تكن من المخرجين الذين نجوا؛ بل كانت من الغابرين الباقين في العذاب وكانت في الظاهر مع زوجها على دينه،

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/ ٢٤٧).
(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٧٠٦-٧٠٧).
(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٤).
(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٧٥).
(٥) يعني آية سورة الذاريات.
(٦) يعني آية سورة الحجرات.

وفي الباطن مع قومها على دينهم خائنة لزوجها تدل قومها على أضيافه»[(١)].

القول الثاني: أنهما متغايران، وأن معنى الإسلام غير معنى الإيمان، فـ«الإيمان والإسلام اسمان لمعنيين»، كما يقول الإمام قِوام السنة الأصبهاني[(٢)]. قال الحافظ ابن رجب: «القول بالفرق بين الإسلام والإيمان مروي عن: الحسن، وابن سيرين، وشريك، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى ابن معين، ومؤمل بن إهاب، وحكي عن مالك أيضًا، وقتادة، وداود بن أبي هند، والزهري، وابن أبي ذئب، وحماد بن زيد، وأحمد، وأبي خيثمة... فحكاية ابن نصر وابن عبد البر عن الأكثرين التسوية بينهما غير جيد؛ بل قد قيل: إن السلف لم يروَ عنهم غير التفريق، والله أعلم»[(٣)].

واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، ومنها:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ووجه الاستدلال: أنه «عطف الإيمان على الإسلام، والشيء لا يعطف على نفسه، فعلم أن الإيمان معنى زائد على الإسلام»[(٤)].

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤]، ووجه الاستدلال: أنه نفى عنهم الإيمان وأثبت لهم الإسلام، فدل ذلك على تغايرهما في المعنى، قال الإمام ابن جرير الطبري: «اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل للنبي ﷺ: قل لهؤلاء الأعراب: قولوا أسلمنا، ولا تقولوا آمنا، فقال بعضهم: إنما أُمر النبي ﷺ بذلك؛ لأن القوم كانوا صدقوا بألسنتهم، ولم يصدقوا قولهم بفعلهم، فقيل لهم: قولوا أسلمنا؛ لأن الإسلام قول، والإيمان قول

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٧٣)، وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٢).
(٢) الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٤١).
(٣) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٢٩-١٣٠) بتصرف يسير.
(٤) الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٤٢).

وعمل»[١].

وقال الحافظ ابن كثير: «وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل عليه السلام، حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه»[٢].

٣- حديث جبريل المشهور[٣]؛ فإن فيه التصريح بالمغايرة بينهما، وأن الإسلام هو الأركان الخمسة، وأن الإيمان هو الأركان الستة، فدل ذلك على اختلافهما في المعنى إذا اجتمعا، قال الحافظ ابن كثير: «ويدل عليه [يعني: أن الإيمان أخص من الإسلام] حديث جبريل عليه السلام، حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه»[٤].

٤- حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطًا وسعد جالس، فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلًا هو أعجبهم إليَّ، فقلت: يا رسول الله ما لَك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال: «**أوْ مسلمًا**» فسكتُّ قليلًا، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي، فقلت: ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال: «**أوْ مسلمًا**». ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «**يا سعد إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار**»[٥]، ففرق في هذا الحديث بين الإسلام والإيمان، قال الزهري: «فنرى أن الإسلام الكلمة، والإيمان العمل»[٦]، وقال الإمام النووي: «وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «**أَوْ مسلمًا**»؛ فليس فيه إنكار كونه مؤمنًا، بل معناه

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٨-٣٨٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨٩).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨٩).
(٥) أخرجه البخاري (ح٢٧)، ومسلم (ح١٥٠).
(٦) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٥٠٦).

النهي عن القطع بالإيمان، وأن لفظة الإسلام أولى به، فإن الإسلام معلوم بحكم الظاهر، وأما الإيمان فباطن لا يعلمه إلا الله تعالى»(١).

٥- حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**الإسلام علانية، والإيمان في القلب**» قال: ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات قال: ثم يقول: «**التقوى هاهنا، التقوى هاهنا**»(٢).

٦- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**»(٣).

قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: «هذا الإسلام -ودوَّر دارة واسعة- وقال: هذا الإيمان -ودوَّر دارة صغيرة في وسط الكبيرة- قال: والإيمان مقصور في الإسلام، فإذا زنى أو سرق خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر بالله»(٤).

٧- حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أسلم الناس، وآمن عمرو بن العاص**»(٥).

القول الثالث: أنهما مترادفان في حال الافتراق، ومتغايران في حال الاقتران، ودليله حديث جبريل المشهور، ووجه الدلالة: أن النبي ﷺ لما سئل عن الإسلام والإيمان «فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان

(١) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٨١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٩/ ٣٧٤)، وأبو يعلى في المسند (ح٢٩٢٣)، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح ما خلا عليَّ بن مسعدة، وقد وثقه ابن حبان، وأبو داود الطيالسي، وأبو حاتم، وابن معين، وضعفه آخرون» (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١/ ٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (ح٢٤٧٥)، ومسلم (ح٥٧).

(٤) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٥٠٩).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ٦٢٩)، وقال محققوه: «محتمل للتحسين»، والترمذي (ح٣٨٤٤)، وقال: «ليس إسناده بالقوي».

بالإيمان بالأصول الخمسة، فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ، وأما إذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمن الإسلام»[(١)].

وقال ابن رجب: «اسم الإسلام والإيمان: إذا أفرد أحدهما، دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما، دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي»[(٢)].

وقال أيضًا: «قال المحققون من العلماء: كل مؤمن مسلم، فإن من حقق الإيمان، ورسخ في قلبه، قام بأعمال الإسلام... وليس كل مسلم مؤمنًا، فإنه قد يكون الإيمان ضعيفًا، فلا يتحقق القلب به تحققًا تامًّا مع عمل جوارحه بأعمال الإسلام، فيكون مسلمًا، وليس بمؤمن الإيمان التام»[(٣)].

والمتدبر لنصوص القرآن والسنة يجد أن الإيمان يذكر مفردًا تارة، ويذكر مقرونًا بالإسلام تارة أخرى، فإذا ذكر الإيمان مقرونًا بالإسلام فسر الإسلام بالأمور الظاهرة، وحقيقته: استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده، وأركانه خمسة كما جاء في حديث جبريل المشهور، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، ويفسر الإيمان بما في الباطن، وهو قول القلب وعمله وتصديقه وإقراره، وأركانه ستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

أما إذا ذكر الإيمان مفردًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢]، وكما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع**

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٥٩-٢٦٠).
(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٥-١٠٦).
(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٨-١٠٩).

وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»[1]، وكما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال لوفد عبد القيس: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**»[2]، فإنه حينئذ يشمل الدين كله، كما أن الإسلام إذا أفرد يشمل الدين كله.

وقال الإمام البغوي: «جعل النبي ﷺ في هذا الحديث[3] الإسلام اسمًا لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسمًا لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين؛ ولذلك قال: «**ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**»[4].



(١) أخرجه البخاري (ح٩)، ومسلم (ح٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (ح٥٣)، ومسلم (ح١٧).

(٣) يعني: حديث سؤال جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان.

(٤) شرح السنة، للبغوي (١/ ١٠)، وانظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥١، ٦٤٢، ٦٤٧-٦٤٨)، جامع العلوم والحكم (١/ ١١١).



المبحث الثالث

دخول الأعمال في مسمى الإيمان وأدلة ذلك(١)

۞ أولًا: دخول الأعمال في مسمى الإيمان:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن العمل داخل في مسمى الإيمان، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

أما الأدلة من القرآن على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فكثيرة جدًّا، منها:

قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال الحليمي: «أجمع المفسرون على أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس، فثبت أن الصلاة إيمان، وإذا ثبت ذلك، فكل طاعة إيمان؛ إذ لم أعلم فارقًا فَرَّق في هذه التسمية بين الصلاة وسائر الطاعات»(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

(١) أُفْرِد الموضوع بمبحث مستقل؛ لأن دخول العمل في مسمى الإيمان هو الأصل الذي خالف فيه أهلُ البدع أهلَ السنة والجماعة، فكانت الحاجة ماسَّة إلى إيراد الأدلة تقريرًا لهذا الأصل.

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٣٧)، وانظر: الإيمان لابن منده (١/ ٣٢٩).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾﴾ الآيات [المؤمنون: ١ - ٥].

ووجه الاستشهاد بهذه الآيات: أن جميع هذه الأعمال المذكورة في الآيات وصف الله بها أهل الإيمان، فدل ذلك على أنهم استحقوا هذا الوصف للقيام بها، وأن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

ومن السنة حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال: «**هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمس من المغنم**»[(١)]، قال الإمام ابن أبي العز: «ومعلوم أنه لم يُردْ أنَّ هذه الأعمال تكون إيمانًا بالله بدون إيمان القلب؛ لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان»[(٢)].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[(٣)]، فدل على أن الإيمان قول وعمل؛ لأن النبي ﷺ «أخبر أن الإيمان ذو شعب أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، فجعل أصله الإقرار بالقلب واللسان، وجعل شعبه الأعمال، فالذي سمى الإيمان

---

(١) أخرجه البخاري (ح٨٧)، ومسلم (ح١٧). (٢) شرح الطحاوية (٢/ ٥١٣).
(٣) أخرجه البخاري (ح٩)، ومسلم (ح٣٥) واللفظ له.

التصديق هو الذي أخبر أن الإيمان ذو شعب، فمن لم يسم الأعمال شعبًا من الإيمان، كما سماها النبي ﷺ ويجعل له أصلًا وشعبًا كما جعله الرسول ﷺ، كما ضرب الله المثل به(١) كان مخالفًا له»(٢)، قال ابن أبي العز الحنفي: «فإذا كان الإيمان أصلًا له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيمانًا، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والصوم والحج، والأعمال الباطنة، كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعًا، كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها، كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى»(٣).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا، قال: قال النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**»(٤). قال الحافظ ابن رجب: «فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان، لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها؛ لأن الاسم لا ينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته»(٥).

وحديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر**

---

(١) يعني به قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، قال الإمام ابن منده: «فضربها مثلًا لكلمة الإيمان، وجعل لها أصلًا وفرعًا وثمرًا تؤتيه كل حين» (الإيمان ١/ ٣٥٠).

(٢) الإيمان، لابن منده (١/ ٣٥٠).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٤٧٦)، وانظر: الإيمان، للقاسم بن سلام (ص٩-١٠).

(٤) أخرجه البخاري (ح٢٤٧٥)، ومسلم (ح٥٧).

(٥) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٥).

الإيمان»[١]، فدلت هذه الأحاديث وغيرها على أن هذه الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، والنصوص في هذا كثيرة جدًّا[٢].

وأما الإجماع فقد قال الإمام الشافعي: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر»[٣].

وقال الإمام البخاري: «لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم... فما رأيت واحدًا منهم يختلف في هذه الأشياء» وذكر منها «أن الدين قول وعمل»[٤].

وقال الإمام الآجري: «اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح»[٥].

وقال ابن عبد البر: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية»[٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما أهل السنة والجماعة من الصحابة جميعهم والتابعين وأئمة أهل السنة وأهل الحديث وجماهير الفقهاء والصوفية، مثل: مالك، والثوري، والأوزاعي، وحماد بن زيد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، ومحققي أهل الكلام، فاتفقوا على أن الإيمان والدين قول وعمل، هذا لفظ السلف من الصحابة وغيرهم، وإن كان قد يعنى

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٢٣).
(٢) انظر: معارج القبول (٢/ ٥٨٨- ٥٩٣).
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٥٧).
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٤-١٩٥).
(٥) الشريعة للآجري (٢/ ٦١١).
(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/ ٢٣٨).

بالإيمان في بعض المواضع ما يغاير العمل؛ لكن الأعمال الصالحة كلها تدخل أيضًا في مسمى الدين والإيمان، ويدخل في القول: قول القلب واللسان، وفي العمل: عمل القلب والجوارح، وقال المفسرون لمذهبهم: إن له أصولًا وفروعًا، وهو مشتمل على أركان، وواجبات ليست بأركان، ومستحبات، بمنزلة اسم الحج والصلاة وغيرهما من العبادات»[(١)].

۞ ثانيًا: معنى قولهم: الإيمان قول وعمل:

ورد عن كثير من السلف تعريف الإيمان - شرعًا - بأنه قول وعمل، وأرادوا بذلك الرد على أهل الإرجاء الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، وبيان مفهوم الإيمان عندهم من خلال معرفة أركانه وما يميزه عن مفهوم الإيمان عند المخالفين.

فقد سئل مالك بن أنس عن الإيمان؟ فقال: «قول وعمل»[(٢)].

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: «الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب»[(٣)].

وقال الإمام المزني: «الإيمان قول وعمل... لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان»[(٤)].

وقال الإمام أحمد: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[(٥)].

وقال الإمام سفيان الثوري: «الإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة»[(٦)].

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٧١-٤٧٢).
(٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص٣٣).
(٣) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص٨١).
(٤) شرح السنة، للمزني (ص٨١). (٥) السنة، لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٠٧).
(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٠-١٧١).

وقال الإمام ابن منده: «الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالأركان، يزيد وينقص»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أصول الفرقة الناجية: أن الدين والإيمان قول، وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح»(٢).

وهذه الأقوال لا خلاف بينها في الحقيقة، وهي متفقة في المعنى وإن اختلفت ألفاظها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ذلك: «والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح؛ ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل إنما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولًا فقط فقالوا: بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولًا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولًا وعملًا ونية بلا سنة فهو بدعة»(٣).

ومعنى قولهم: الإيمان قول وعمل: «أنه قول القلب وعمل القلب، ثم قول اللسان وعمل الجوارح، فأما قول القلب فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ

(١) الإيمان لابن منده (١/ ٣٤١).
(٢) العقيدة الواسطية (ص١١٣)، وانظر: الفوائد، لابن القيم (ص١٠٧).
(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ١٧١).

وهذا التصديق يتبعه عمل القلب وهو حب الله ورسوله وتعظيم الله ورسوله وتعزير الرسول وتوقيره وخشية الله والإنابة إليه والإخلاص له والتوكل عليه إلى غير ذلك من الأحوال، فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد إيجاب العلة للمعلول، ويتبع الاعتقاد قول اللسان، ويتبع عملَ القلب الجوارحُ من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك»[١].

فتبين بذلك أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان:

١- **قول القلب، وهو:** اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

٢- **قول اللسان، وهو:** التكلم بكلمة الإسلام، والإخبار عنه بذلك، والدعوة إليه، والذَّبُّ عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره، وتبليغ أوامره.

والعمل قسمان:

١- **عمل القلب**، كمحبة الله، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضا به وعنه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والذل له والخضوع، والإخبات إليه، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضُها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.

٢- **عمل الجوارح**، كالصلاة، والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٣٤)، الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥١٨).

(٢) انظر: الصلاة وأحكام تاركها (ص٥٦)، مدارج السالكين (١/ ١٢٠-١٢١)، عدة الصابرين=

قال الإمام ابن القيم: «فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء؛ فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة»[١].



= وذخيرة الشاكرين (ص١٠٩).

(١) الصلاة وأحكام تاركها (ص٥٦)، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤٧٨).



المبحث الرابع

مذاهب المرجئة والوعيدية في مسمى الإيمان، والرد عليها

المخالفون لأهل السنة في باب الإيمان طائفتان:

الأولى: الوعيدية، وهم القائلون -كأهل السنة- بأن الإيمان قول وعمل، لكنهم ضلوا حينما زعموا أن الإيمان كلٌّ لا يتجزأ ولا يتبعض، وإذا ذهب بعضه ذهب جميعه، ويندرج تحت هذه الطائفة الخوارج والمعتزلة ومن تابعهم.

الثانية: المرجئة، وهم فرق متفاوتة، يجمعهم إخراج العمل عن مسمى الإيمان، وأعظمها غلوًّا وانحرافًا الجهمية أتباع جهم بن صفوان، الذين قالوا: الإيمان مجرد معرفة القلب، ويليها في الغلو الكَرَّامية أتباع محمد بن كرام السجستاني الذين قالوا: الإيمان قول اللسان فقط، أما مرجئة الفقهاء، فقالوا: الإيمان اعتقاد بالجَنان وإقرار باللسان، وأخرجوا العمل من مسمى الإيمان، وسنفرد الحديث عنهم في مبحث مستقلٍّ[١].

❊ ❊ ❊

(١) وهو المبحث الخامس (النزاع بين جمهور أهل السنة ومرجئة الفقهاء في الإيمان).

وإليك تفصيل أقوالهم في ذلك:

۞ أولًا: مذاهب المرجئة:

١- مرجئة الجهمية:

قالوا: إن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وإن الكفر هو الجهل به فقط، وإن قول اللسان وعمل القلب والجوارح ليس من الإيمان، وقالوا: إن الإيمان شيء واحد لا يتفاضل ولا يستثنى فيه(١).

والرد عليهم من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن هذا أفسد ما قيل في الإيمان، ولهذا فقد كفَّر الإمام أحمد ووكيع وغيرهما من قال بذلك(٢).

الوجه الثاني: أنه يلزم عليه لوازم باطلة كالقول بإيمان إبليس وفرعون وأبي لهب واليهود والنصارى والمشركين ممن نص القرآن على كفرهم، يقول الإمام الآجري: «ومن قال: الإيمان المعرفة دون القول والعمل، فقد أتى بأعظم من مقالة من قال: الإيمان: قول، ولزمه أن يكون إبليس على قوله مؤمنًا؛ لأن إبليس قد عرف ربه: قال ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، وقال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾ [الحجر: ٣٦]، ويلزم أن تكون اليهود لمعرفتهم بالله وبرسوله أن يكونوا مؤمنين، قال الله ﷻ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فقد أخبر ﷻ أنهم يعرفون الله تعالى ورسوله، ويقال لهم: أيش الفرق بين الإسلام وبين الكفر؟ وقد علمنا أن أهل الكفر قد عرفوا بعقولهم أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما، ولا ينجيهم في ظلمات البر والبحر إلا الله ﷻ، وإذا أصابتهم الشدائد لا يدعون إلا الله»(٣).

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي في بيان ما يترتب على هذا المذهب الفاسد

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤). (٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٧).
(٣) الشريعة للآجري (٢/ ٦٨٥-٦٨٦).

من لوازم باطلة: «لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون -عليهما الصلاة والسلام-، ولم يؤمنوا بهما؛ ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤]، وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كافرين به، معادين له، وكذلك أبو طالب عنده يكون مؤمنًا، فإنه قال:

ولقد علمتُ بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمنًا كامل الإيمان! فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحجر: ٣٦]، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩]، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: ٨٢]، والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى، ولا أحد أجهل منه بربه! فإنه جعله الوجود المطلق، وسلب عنه جميع صفاته، ولا جهل أكبر من هذا، فيكون كافرًا بشهادته على نفسه!»[١].

الوجه الثالث: إن أجهل الناس بربهم هم الجهمية؛ لأنهم يجحدون أسماء الله وصفاته، ومعرفة الله جل وعلا إنما تتحقق بأسمائه وصفاته.

٢- مرجئة الكرَّامية:

قالوا: إن الإيمان قول باللسان فقط، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان، وقالوا: إن الإيمان شيءٌ واحد لا يزيد ولا ينقص، ولا يستثنى فيه[٢].

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٦٠-٤٦١).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (ص١٤٣)، مجموع الفتاوى (٧/ ١٤١).

قال الإمام الأشعري: «أصحاب محمد بن كرَّام يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن يكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيمانًا، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ كانوا مؤمنين على الحقيقة، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن مقالة ابن كرام في الإيمان: «وهذا هو الذي انفرد به ابن كرام، وأما سائر ما قاله فأقوال قيلت قبله؛ ولهذا لم يذكر الأشعري ولا غيره ممن يحكي مقالات الناس عنه قولًا انفرد به إلا هذا، وأما سائر أقواله فيحكونها عن ناس قبله ولا يذكرونه»(٢).

وقال ابن منده: «وقالت طائفة منهم [أي: من المرجئة]: الإيمان فعل اللسان دون القلب، وهم أهل الغلو في الإرجاء»(٣).

وقال ابن حزم: «وذهب قوم إلى أن الإيمان هو إقرار باللسان بالله تعالى، وإن اعتقد الكفر بقلبه، فإذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة، وهذا قول محمد بن كرَّام السجستاني وأصحابه»(٤).

وقد وهم ابن حزم في القول بأن الكرامية يحكمون بنجاة المنافقين في الآخرة، ولذلك يقول ابن تيمية: «الكرامية توافق المرجئة والجهمية في أن إيمان الناس كلهم سواء ولا يستثنون في الإيمان؛ بل يقولون: هو مؤمن حقًّا لمن أظهر الإيمان، وإذا كان منافقًا فهو مخلد في النار عندهم؛ فإنه إنما يدخل الجنة من آمن باطنًا وظاهرًا، ومن حكى عنهم أنهم يقولون: المنافق يدخل الجنة، فقد كذب عليهم»(٥).

قال الإمام ابن أبي العز: «فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان،

---

(١) مقالات الإسلاميين (ص١٤١).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٨٧).
(٣) الإيمان، لابن منده (١/ ٣٣١).
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٠٦).
(٥) مجموع الفتاوى (٧/ ١٤١).

ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به! وقولهم ظاهر الفساد»[(١)].

والفرق بين قول الكرامية وقول جهم ما ذكره شيخ الإسلام بقوله: «وقول ابن كرَّام فيه مخالفة في الاسم دون الحكم، فإنه -وإن سمى المنافقين مؤمنين- يقول: إنهم مخلدون في النار، فيخالف الجماعة في الاسم دون الحكم، وأتباع جهم يخالفون في الاسم والحكم جميعًا»[(٢)].

الرد عليهم:

قول الكرامية: بأن الإيمان هو قول اللسان فقط باطل بنص القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: ١]، فحكم بنفاقهم مع تظاهرهم بالإيمان بألسنتهم.

كما يبطل قولَهم نصوص الكتاب والسنة التي تعلق الإيمان بالقول والعمل.

٣- مرجئة الأشاعرة:

اشتهر عن أبي الحسن الأشعري في الإيمان قولان: قول وافق فيه السلف، وقول وافق فيه الجهم.

فقوله الذي وافق السلف: هو أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص[(٣)]، وهو آخر ما استقر عليه قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والقول الثاني وهو المعتمد عند الأشاعرة: أن الإيمان هو التصديق بالقلب، وأن قول اللسان شرط لإجراء الأحكام في الدنيا، وأن عمل الجوارح شرط كمال في الإيمان[(٤)].

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٦٠).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٠).
(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (ص٢٩٣-٢٩٤).
(٤) انظر: أبكار الأفكار، للآمدي (٥/ ٧) وما بعدها، شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني (٢/ ٢٤٧) وما بعدها.

والفرق بين التصديق عند الأشاعرة والمعرفة عند جهم -بحسب قول بعض الأشاعرة: أن الجهمية لا يثبتون عمل القلب، أما الأشاعرة فيثبتون عمل القلب كالإذعان والانقياد والقبول والرضا، لكنهم جعلوا الإذعان والقبول والرضا والانقياد نفس التصديق، قال الشيخ البيجوري في تعريف التصديق عندهم: «المراد بتصديق النبي ﷺ في ذلك [أي: في كل ما جاء به وعلم من الدين بالضرورة] الإذعان لما جاء به، والقبول له، وليس المراد وقوعَ نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان وقبول له، حتى يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوته ورسالته ﷺ»(١).

وقال التفتازاني: «والمذهب أنه [أي: التصديق] غير العلم والمعرفة؛ لأن من الكفار من كان يعرف الحق ولا يصدق به عنادًا واستكبارًا، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقال: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤]، وقال حكاية عن موسى عليه السلام لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، فاحتيج إلى الفرق بين العلم بما جاء به النبي عليه السلام وهو معرفته، وبين التصديق؛ ليصح كون الأول حاصلًا للمعاندين دون الثاني، وكون الثاني إيمانًا دون الأول، فاقتصر بعضهم على أن ضد التصديق هو الإنكار والتكذيب، وضد المعرفة النكارة والجهالة»(٢).

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيرى أنه لا فرق بين قول جهمٍ وقول الأشاعرة في معنى الإيمان، إلا أن جهمًا يقول بأن الكفر محصور في الجهل بالله، أما الأشاعرة فيقولون: إن كلَّ مَن حكم الشرع بكفره حكمنا بكفره، يقول شيخ

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للبيجوري (ص٤٣).
(٢) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ٢٥٠-٢٥١).

الإسلام ابن تيمية: «وأما جهم فكان يقول: إن الإيمان مجرد تصديق القلب وإن لم يتكلم به، وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الأمة وأئمتها؛ بل أحمد ووكيع وغيرهما كفروا من قال بهذا القول، ولكن هو الذي نصره الأشعري وأكثر أصحابه؛ ولكن قالوا مع ذلك: إن كل من حكم الشرع بكفره حكمنا بكفره، واستدللنا بتكفير الشارع له على خلوِّ قلبه من المعرفة»[(١)].

وقال أيضًا: «الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب -الخالي عن الانقياد الذي يجعل قول القلب- أمر دقيق وأكثر العقلاء ينكرونه، وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما، وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه، ويقولون: إن ما قاله ابن كُلَّاب والأشعري من الفرق كلام باطل لا حقيقة له، وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق»[(٢)].

وقد احتج الأشاعرة لمذهبهم في الإيمان بأن معناه في اللغة التصديق، وأن الشرع لم ينقله عن هذا المعنى، قال أبو بكر الباقلاني -بعد أن نقل إجماع أهل اللغة على أن الإيمان هو التصديق: «فوجب أن يكون الإيمان في الشريعة هو الإيمان المعروف في اللغة؛ لأن الله ﷻ ما غيَّر لسان العرب ولا قَلَبه، ولو فعل ذلك لتواترت الأخبار بفعله، وتوفرت دواعي الأمة على نقله، ولغلب إظهاره وإشهاره على طيه وكتمانه، وفي علمنا بأنه لم يفعل ذلك، بل أقر أسماء الأشياء، والتخاطب بأسره على ما كان فيها؛ دليل على أن الإيمان في الشرع هو الإيمان اللغوي»[(٣)].

٤- مرجئة الماتريدية:

قالوا: إن الإيمان هو التصديق؛ أي: تصديق القلب، والكفر هو التكذيب، وقالوا: إن قول اللسان شرطٌ لإجراء الأحكام الدنيوية فقط، وقالوا: إن

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٧). (٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٩٨).
(٣) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للباقلاني (ص٣٨٩-٣٩٠).

الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولا يستثنى منه[١]. قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويُرْوى عن أبي حنيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ»[٢].

الرد عليهم:

حصر معنى الإيمان – شرعًا – في التصديق خطأ من وجهين:

الأول: منع الترادف بين الإيمان والتصديق، وقد سبق بيانه عند التعريف اللغوي للإيمان.

الثاني: على التسليم بالترادف، فالجواب عليه بأحد جوابين:

الأول: أن الشرع زاد في معنى الإيمان اللغوي، كما زاد في معنى الصلاة والزكاة، والمقدم في تفسير ألفاظ الكتاب والسنة هو الشرع؛ فإذا وجد التفسير الشرعي لم يحتج إلى المعنى اللغوي؛ ذلك «أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يُحتجْ في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم»[٣]، فإن المقدم في الحقائق الشرعية هو الشرع، فما وجد معناه في القرآن فهو الأصل، ثم ما وجد معناه في السنة، وكما أن المرجع في معرفة الحقائق اللغوية إلى اللغة، فكذلك المرجع في معرفة الحقائق الشرعية إلى الشرع. قال شيخنا ابن عثيمين: «إن اختلف المعنى الشرعي واللغوي، أخذ بما يقتضيه الشرعي؛ لأن القرآن نزل لبيان الشرع، لا لبيان اللغة، إلا أن يكون هناك دليل يترجح به المعنى اللغوي فيؤخذ به»[٤].

الثاني: أن التصديق غير مقصور على تصديق القلب، بل هو شامل لتصديق القلب واللسان والجوارح[٥]، فتصديق القلب بالإقرار، وتصديق اللسان

---

(١) انظر: التوحيد، للماتريدي (ص٣٣٢)، التمهيد، للنسفي (ص٣٧٧، ٣٨٤).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٤٥٩-٤٦٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨٦).
(٤) أصول في التفسير (ص٢٧).
(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١٢٢).

بالنطق، وتصديق الجوارح بالعمل، قال الإمام ابن بطة: «التصديق... قول باللسان، وتصديق بالجَنان، وعمل بالأركان»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح؛ فإن هذه لوازم الإيمان التام، وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم»[(٢)]، وقال الإمام ابن القيم: «نحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجردَ اعتقاد صدق المخبِر دون الانقياد له، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيمانًا لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمدًا رسول الله ﷺ كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين... فالتصديق إنما يتم بأمرين: أحدهما: اعتقاد الصدق، والثاني: محبة القلب وانقياده؛ ولهذا قال تعالى لإبراهيم: ﴿يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥]، وإبراهيم كان معتقدًا لصدق رؤياه من حين رآها؛ فإن رؤيا الأنبياء وحي، وإنما جعله مصدقًا لها بعد أن فعل ما أمر به، وكذلك قوله ﷺ: «**والفرج يصدِّق ذلك كله أو يكذبه**»[(٣)]، فجعل التصديقَ عملَ الفرج، لا ما يتمنى القلب، والتكذيب تركه لذلك، وهذا صريح في أن التصديق لا يصحُّ إلا بالفعل»[(٤)].

٥- مرجئة الرافضة:

هناك صنف من المرجئة لم تذكره كتب المقالات[(٥)] وهم مرجئة الرافضة الإثني عشرية، والتي تُسمى في عصرنا بالشيعة؛ فإنها أشد فرق المرجئة

(١) الإبانة الصغرى (ص١٤٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ١٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٢٤٣)، ومسلم (ح٢٦٥٧).

(٤) الصلاة وأحكام تاركها (ص٥٠)، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤٧٣-٤٧٤).

(٥) أشار إلى قولهم التفتازاني كما سبق نقل كلامه من موافقة الشيعة لجهم في الإيمان (انظر: شرح المقاصد في علم الكلام ٢/ ٢٤٧)، والحق أن مذهبهم أشنع من مذهب جهم؛ لأن جهمًا يقول: الإيمان معرفة الله، وهؤلاء الرافضة يقولون: الإيمان معرفة الإمام!!!

ضلالًا؛ وذلك أن قولهم في الإيمان أغلظُ وأشنعُ من قول مرجئة الجهمية الغلاة القائلين بأن الإيمان معرفة الله، الذين كفرهم السلف بهذه المقالة؛ لأن حقيقة الإيمان عند الرافضة هو معرفة الأئمة، حتى أصبحت معرفة الأئمة عندهم كافيةً في حصول الإيمان ودخول الجِنان، ومع معرفة الإمام لا يضر عندهم أي ذنب، ولهذا عقد صاحب الكافي بابًا بعنوان: «باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة، والكفر لا ينفع معه حسنة»(١)، وذكر فيه ستة أحاديث منها قولهم: «الإيمان لا يضر معه عمل، وكذلك الكفر لا ينفع معه عمل»(٢).

وحين ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أكثر الشيعة يعتقدون أن حب عليٍّ حسنة لا يضرُّ معها سيئة(٣)، رد عليه بعض شيوخهم المعاصرين، فقال: «ما نَسَبَه إلى كثير من الشيعة من القول بأن حب عليٍّ حسنة ليس يضر معه سيئة، فإنه بهتان منه؛ فإنهم جميعًا متفقون على ذلك، فتخصيصه الكثير منهم بهذه العقيدة ليس له وجه سوى الكذب»(٤).

فالإيمان حسب اعتقادهم هو معرفة الأئمة والإقرار بإمامتهم، وعلى هذا التقدير سقط الإيمان بالله ورسوله، وجميع العقائد الدينية، وجميع التكليفات والأحكام الشرعية، ولم يبق في شريعة الإسلام غير الإقرار بإمامة الاثني عشر(٥).

وإذا ثبت من خلال هذه النصوص وغيرها أن أشد طوائف المرجئة غلوًّا هم الرافضة، فإن من تلبيس الروافض ومكرهم أنهم يطلقون لقب المرجئة -الذين هم أحق به- على جميع المسلمين؛ لأنهم في اعتقادهم أخَّروا عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الخلافة، وقدموا عليه أبا بكر وعمر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، قال شيخهم المازندراني:

---

(١) أصول الكافي (٢/ ٤٦٣).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٦٤).
(٣) انظر: منهاج السنة (١/ ١٠٦).
(٤) منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية، محمد مهدي الكاظمي (١/ ٩٨).
(٥) لمزيد من التفصيل انظر: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٥٧٥) وما بعدها.

«يطلق المرجئة على فرقة مقابلة للشيعة؛ لأنهم يؤخرون عليًّا عليه السلام عن مرتبته»[(١)].

وقال المجلسي: «المرجئة... قد يطلق على جميع العامة؛ لتأخيرهم أمير المؤمنين عليه السلام عن درجته إلى الرابع»[(٢)]. وقال بدر الدين العاملي: «المراد بالمرجئة هنا: من قال بإمامة المشايخ الثلاثة على العموم؛ فإنهم -صلوات الله عليهم- يعبرون عنهم تارة بالجبرية، وتارة بالحشوية، وتارة بالقدرية، وتارة بالمرجئة»[(٣)].

ولذلك فإنهم يلعنون الأمة بكل طوائفها ويلقبونها بهذه الألقاب جميعًا، ففي الكافي عن أبي مسروق قال: سألني أبو عبد الله عليه السلام عن أهل البصرة، فقال لي: ما هم؟ قلت: مرجئة وقدرية وحرورية، فقال: «لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة التي لا تعبد الله على شيء»[(٤)].

ثانيًا: مذاهب الوعيدية:

١- مذهب الخوارج:

«ذهب سائر الفقهاء وأصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة وجميع الخوارج إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب بالدين والإقرار به باللسان والعمل بالجوارح وأن كل طاعة وعمل خير فرضًا كان أو نافلة فهي إيمان»[(٥)].

وهذا الاعتقاد وإن كان في الظاهر موافقًا لاعتقاد أهل السنة إلا أن ضلال الخوارج في باب الإيمان ناشئ من اعتقادهم «أن الإيمان لا يتبعَّض، بل إذا ذهب بعضه ذهب كله، ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يتبعض، وأنه

(١) شرح أصول الكافي (٢/ ٢٣١).
(٢) بحار الأنوار (٢٣/ ١٨).
(٣) الحاشية على أصول الكافي، للعاملي (ص٦٣).
(٤) الكافي (٢/ ٣٨٧).
(٥) الفصل (٣/ ١٠٦).

ينقص»[(١)]، ولهذا فهم يرون أن ترك الواجبات أو فعل المحرمات كفر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الخوارج تقول: من لم يكن برًّا قائمًا بالواجبات تاركًا للمحرمات فهو كافر»[(٢)].

٢- مذهب المعتزلة:

قال ابن المرتضى الزيدي المعتزلي: «أجمعت المعتزلة على... أن الإيمان قول ومعرفة وعمل»[(٣)].

وقد حكى أبو الحسن الأشعري أن المعتزلة متفقون على أن جميع الفرائض من الإيمان واختلفوا في النوافل، فقال بعضهم: «الإيمان هو جميع الطاعات فرضها ونفلها... وقال هشام الفوطي: الإيمان جميع الطاعات فرضها ونفلها... وقال عباد بن سليمان: الإيمان هو جميع ما أمر الله سبحانه به من الفرض وما رغَّب فيه من النفل... وكان محمد بن عبد الوهاب الجبائي يزعم أن الإيمان لله هو جميع ما افترضه الله سبحانه على عباده وأن النوافل ليس بإيمان»[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قالت الخوارج والمعتزلة: وهو [أي: الإيمان] أداء الواجبات، واجتناب المحرمات؛ فاسم المؤمن مثل اسم البرِّ، والتقي؛ وهو المستحق للثواب، فإذا ترك بعض ذلك زال عنه اسم الإيمان والإسلام، ثم قالت الخوارج: ومن لم يستحق هذا ولا هذا فهو كافرٌ. وقالت المعتزلة: بل ينزل منزلة بين المنزلتين؛ فنسمِّيه فاسقًا، لا مسلمًا، ولا كافرًا، وتقول: إنَّه مخلَّد في النار. وهذا هو الذي امتازت به المعتزلة، وإلا فسائر بدعهم قد قالها غيرهم؛ فهم وافقوا الخوارج في حكمه، ونازعوهم، ونازعوا

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٩٧).
(٢) الرد على الشاذلي (ص١٢٩).
(٣) المنية والأمل (ص١٣).
(٤) مقالات الإسلاميين (ص٢٦٦-٢٦٩)، وانظر: شرح الأصول الخمسة (ص٧٠٧).

غيرهم في الاسم»[1].

وفي الجملة إن المعتزلة كالخوارج يقولون: الإيمان قول وعمل، لكن ضلال الطائفتين ناشئ من قولهم: إذا ذهب بعض الإيمان ذهب كله، فمن فعل محرمًا أو ترك واجبًا فهو كافر عند الخوارج، وفي منزلة بين المنزلتين عند المعتزلة، وأما في الآخرة فهو عندهما مخلد في النار، لكن عند المعتزلة عذابه أخف من عذاب الكافرين.



(١) النبوات (١/ ٥٨٢).



المبحث الخامس

النزاع بين جمهور أهل السنة ومرجئة الفقهاء في الإيمان

۞ أولًا: مذهب مرجئة الفقهاء:

الإيمان عند مرجئة الفقهاء: تصديق بالقلب وقول باللسان، وأخرجوا العمل عن مسمى الإيمان(١)، بمعنى أنه لا يدخل في حدِّ الإيمان، لكنهم يقولون بوجوب الواجبات وتحريم المحرمات، وما رتب عليها من ثواب وعقاب.

وأول من قال: إن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان هو حماد بن أبي سليمان(٢)، واتبعه على هذا القول طائفة من فقهاء الكوفة، وهو مذهب جمهور الحنفية، قال ابن أبي العز الحنفي: «وذهب كثير من أصحابنا [يعني: الحنفية] إلى ما ذكره الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجَنَان»(٣).

ومما استدلوا به قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ

(١) انظر: منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، لملا علي القاري (ص٢٥٠-٢٥١).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٧)، وقال الأوزاعي: «أول من تكلم في الإرجاء رجل من أهل الكوفة يقال له: قيس الماصر» (تهذيب التهذيب ٧/ ٤٩٠)، وقال الإمام أحمد: أول من تكلم في الإرجاء ذر بن عبد الله الهمداني. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٣٢).
(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٤٥٩).

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، ووجه الاستدلال: أنه عطف العمل على الإيمان، والعطف يقتضي المغايرة، وجمهور أهل السنة يقولون: إن هذا من باب عطف الخاص على العام، كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة: ٩٨].

۞ ثانيًا: تحرير محل النزاع:

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «لا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل، وأعني بالقول: التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وهذا الذي يعنى به عند إطلاق قولهم: الإيمان قول وعمل. لكن هذا المطلوب من العباد: هل يشمله اسم الإيمان؟ أم الإيمان أحدهما، وهو القول وحده، والعمل مغاير له لا يشمله اسم الإيمان عند إفراده بالذِّكْر، وإن أطلق عليهما كان مجازًا؟ هذا محل النزاع، وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاصٍ لله ورسوله، مستحقٌّ للوعيد»[١].

هل النزاع مع مرجئة الفقهاء حقيقي أم لفظي؟

يرى الإمام ابن أبي العز أن الخلاف صوري، فقال: «الاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صوري؛ فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزءًا من الإيمان، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه نزاع لفظي، لا يترتب عليه فساد اعتقاد»[٢].

وقبله الإمام الذهبي الذي قال عن مرجئة الفقهاء: «إنهم لا يعدون الصلاة والزكاة من الإيمان، ويقولون: الإيمان إقرار باللسان، ويقين في القلب،

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٦٣).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٤٦٢).

والنزاع على هذا لفظي -إن شاء الله»(١).

❋ والحق أن الخلاف بين جمهور أهل السنة ومرجئة الفقهاء خلاف يسير لا يترتب عليه تكفير أو تضليل، وأكثره لفظي، **والخلاف الحقيقي بينهما يكاد يكون محصورًا في ثلاث مسائل:**

الأولى: قول مرجئة الفقهاء إن أصل الإيمان عند جميع المؤمنين سواء(٢)، وأهل السنة يقولون: بل هم متفاضلون فيه.

الثانية: قول مرجئة الفقهاء: بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص(٣)، وأهل السنة يقولون: بل يزيد وينقص.

الثالثة: تحريم مرجئة الفقهاء الاستثناء في الإيمان مطلقًا(٤)، وأهل السنة يقولون: يجوز باعتبار، ويحرم باعتبار، فلا يجوزونه مطلقًا، ولا يحرمونه مطلقًا، كما سيأتي بيانه، وهم مع هذا لا يخرجون عن أهل السنة.

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي، وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء -كحماد بن أبي سليمان وهو أول من قال ذلك، ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم- متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد، وإن قالوا: إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل، فهم يقولون: إن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقًّا للذم والعقاب كما تقوله الجماعة، ويقولون أيضًا بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة، والذين ينفون عن الفاسق اسم الإيمان من أهل السنة متفقون على أنه لا يخلد في النار، فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطنًا وظاهرًا بما جاء به الرسول وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد، وأنه يدخل النار منهم من أخبر الله ورسوله

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣٣).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤٦٤).

(٣) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤٧٠).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤٩٦).

بدخوله إليها، ولا يخلد منهم فيها أحد، ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء»[(١)].

وقال أيضًا: «دخل في إرجاء الفقهاء جماعة هم عند الأمة أهل علم ودين؛ ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحدًا من مرجئة الفقهاء، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال، لا من بدع العقائد؛ فإن كثيرًا من النزاع فيها لفظي، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب»[(٢)].

۞ ثالثًا: الرد عليهم:

سبق ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع السلف التي تدل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وهي رد عليهم.

وذلك أن «الكتاب والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا أكثر من معنى الصلاة والزكاة، فإن تلك إنما فسرتها السنة، والإيمان بيَّن معناه الكتاب والسنة. فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ الآية [الحجرات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] نَفيُ الإيمان حتى توجد هذه الغاية دلَّ على أن هذه الغاية فرضٌ على الناس، فمن تركها كان من أهل الوعيد، لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب، الذي وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المرجئة أخرجوا العمل الظاهر عن الإيمان؛ فمن قصد منهم إخراج أعمال القلوب أيضًا وجعلها هي التصديق، فهذا ضلال بيِّن، ومن قصد إخراج العمل الظاهر، قيل لهم: العمل الظاهر لازم للعمل

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٩٤)، وانظر: شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٩٧).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٥١٣).

الباطن لا ينفك عنه، وانتفاء الظاهر دليل انتفاء الباطن، فبقي النزاع في أن العمل الظاهر هل هو جزء من مسمى الإيمان يدل عليه بالتضمُّن؟ أو لازم لمسمى الإيمان؟ والتحقيق: أنه تارة يدخل في الاسم، وتارة يكون لازمًا للمسمى -بحسب إفراد الاسم واقترانه- فإذا قرن الإيمان بالإسلام كان مسمى الإسلام خارجًا عنه، كما في حديث جبريل وإن كان لازمًا له، وكذلك إذا قرن الإيمان بالعمل كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فقد يقال: اسم الإيمان لم يدخل فيه العمل وإن كان لازمًا له، وقد يقال: بل دخل فيه وعُطِفَ عليه عَطْفَ الخاص على العام؛ وبكل حال فالعمل تحقيق لمسمى الإيمان وتصديق له»[(١)].

وقد رد عطاء بن أبي رباح على أحد مرجئة الفقهاء، فقال: سبحان الله! أما تقرؤون الآية التي في «سورة البقرة»: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾، ثم وصف الله على هذا الاسم العمل فألزمه، فقال: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾، إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] قال: سلهم هل دخل هذا العمل في هذا الاسم؟ فقال: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩]. فألزم الاسم العمل، وألزم العمل الاسم[(٢)].



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٤-٥٥٥).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٩٧-٨٩٨).



المبحث السادس

زيادة الإيمان ونقصانه

معناه والأدلة عليه

۞ أولًا: معنى زيادة الإيمان ونقصانه:

هو زيادة الإيمان بالطاعات، ونقصانه بالمعاصي والسيئات، وأقدم من روي عنه بيان معنى زيادة الإيمان ونقصانه من الصحابة عمير بن حبيب الخطمي، قال ابن القيم: «وأقدم من روي عنه زيادة الإيمان ونقصانه من الصحابة عمير بن حبيب الخطمي»(١).

فقد جاء عن أبي جعفر الخطمي، عن أبيه، عن جده عمير بن حبيب، قال: «الإيمان يزيد وينقص»، قيل: ما زيادته ونقصانه؟ قال: «إذا ذكرنا الله عَزَّ وَجَلَّ وحمدناه وسبحناه، فتلك زيادته، وإذا أغفلنا وضيعنا وأسأنا فذاك نقصانه»(٢)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فذكر زيادته بالطاعات وإن كانت مستحبة، ونقصانه بما أضاعه من واجب وغيره»(٣).

(١) تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، ابن القيم (١٢/ ٢٩٢)، مطبوع مع (عون المعبود).

(٢) السنة لأبي بكر الخلال (٤/ ٤٧)، الشريعة، للآجري (٢/ ٥٨٤)، الإبانة، لابن بطة (٢/ ٨٤٥)، شرح اعتقاد أهل السنة، للالكائي (٥/ ١٠١٩).

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٩٤).

وعن صالح، قال: سألت أبي، ما زيادته ونقصانه؟ قال: «زيادته العمل، ونقصانه ترك العمل، مثل تركه الصلاة، والزكاة، والحج، وأداء الفرائض، فهذا ينقص، ويزيد بالعمل»، وقال: «إن كان قبل زيادته تامًّا، فكيف يزيد التام؟! فكما يزيد كذا ينقص»(١).

قال الإمام البيهقي: «وهذا يتفرع على قولنا في الطاعات: إنها إيمان، وهو أنها إذا كانت إيمانًا كان تكاملها تكامل الإيمان، وتناقصها تناقص الإيمان، وكان المؤمنون متفاضلين في إيمانهم كما هم يتفاضلون في أعمالهم، وحرم أن يقول قائل: إيماني وإيمان الملائكة والنبيين -صلوات الله عليهم أجمعين- واحد»(٢).

۞ ثانيًا: الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه:

دل القرآن والسنة وإجماع السلف على أن الإيمان يزيد وينقص، قال الإمام ابن أبي العز: «الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جدًّا»(٣).

أما الكتاب فقد ذكر الله جل وعلا زيادة الإيمان في ستة مواضع من كتابه، وهي: قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله جل وعلا: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقوله جل وعلا: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا

---

(١) السنة، لأبي بكر الخلال (٣/ ٥٨٨). (٢) شعب الإيمان (١/ ١٢٧).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٤٧٩).

مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

وقيل لسفيان بن عيينة: الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «أليس تقرؤون القرآن؟ ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ في غير موضع، قيل: ينقص؟ قال: ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص»[(١)].

وقال القاسم بن سلَّام: «فاتبع أهل السنة هذه الآيات، وتأوَّلوها أن الزيادات هي الأعمال الزاكية»[(٢)].

وقال الإمام البيهقي: «فثبت بهذه الآيات أن الإيمان قابل للزيادة، وإذا كان قابلًا للزيادة فعدمت الزيادة كان عدمها نقصانًا»[(٣)]، وقال الشيخ محمد بن عثيمين: «وكل نصٍّ يدل على زيادة الإيمان، فإنه يتضمن الدلالة على نقصه وبالعكس؛ لأن الزيادة والنقص متلازمان، لا يعقل أحدهما دون الآخر»[(٤)]. وقد ورد التصريح بالنقصان في السنة، كما سيأتي.

والأدلة من السنة على زيادة الإيمان كثيرة، **منها:** حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[(٥)].

وحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(٦)].

(١) الشريعة للآجري (٢/ ٦٠٥)، الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٥٠).
(٢) الإيمان، للقاسم بن سلام (ص٢٤-٢٦). (٣) شعب الإيمان (١/ ١٢٧).
(٤) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص١١٩).
(٥) أخرجه البخاري (ح٩) مختصرًا، ومسلم (ح٣٥).
(٦) أخرجه مسلم (ح٤٩).

وعن أبي سعيد الخدري، قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمرَّ على النساء، فقال: «**يا معشر النساء، تصدقن فإني أُريتكن أكثر أهل النار**» فقلن: وبِمَ يا رسول الله؟ قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**»، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟**» قلن: بلى، قال: «**فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟**» قلن: بلى، قال: «**فذلك من نقصان دينها**»[1]. وفيه التصريح بالنقصان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجعل من نقصان دينها أنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلي، وبهذا استدل غير واحد على أنه ينقص»[2].

الآثار عن الصحابة والتابعين في زيادة الإيمان ونقصانه:

قال الإمام ابن أبي العز: «**وكلام الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى كثير أيضًا:**

منه: قول أبي الدرداء رضي الله عنه: من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينتقص؟[3].

❋ وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: هلموا نزدد إيمانًا، فيذكرون الله عز وجل[4].

❋ وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا[5].

❋ وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول لرجل: اجلس بنا نؤمن ساعة[6]. ومثله عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٠٤). (٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٥١).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ١٠١٦).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ١٠١٢).

(٥) أخرجه الخلال في السنة (٤/ ٣٩)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٨٤٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ١٠١٣).

(٦) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (١/ ١٠)، وابن أبي شيبة (١١/ ٢٥)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٨٤٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ١٠١٤) موصولًا.

❁ وصح عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ثلاث من كنَّ فيه فقد استكمل الإيمان: إنصاف من نفسه، والإنفاق من إقتار، وبذل السلام للعالم[١]»[٢].

وكلام التابعين وتابعيهم بإحسان كثير- أيضًا- في هذا الباب:

فمنه: قول سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] قال: «ليزداد إيمانًا»[٣].

❁ وعن علقمة أنه قال لأصحابه: «امشوا تزدادوا إيمانًا»[٤].

❁ وعن مجاهد، قال: «الإيمان يزيد وينقص، والإيمان قول وعمل»[٥].

❁ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: «إن للإيمان فرائض، وشرائع، وحدودًا، وسننًا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان . . .»[٦].

❁ وقال سفيان الثوري: «الإيمان يزيد وينقص»[٧].

❁ ولم يوجد مخالف بين الصحابة والتابعين وأتباعهم في هذه المسألة، وحكى الإجماع على ذلك غير واحد من السلف؛ كعبد الرزاق[٨]، والبخاري[٩]، وابن عبد البر[١٠]، وغيرهم.

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ١٠١٦).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٤٨١-٤٨٢).
(٣) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٣٤)
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ١٠٢٣). وقال اللالكائي بعد قوله: «امشوا تزدادوا إيمانًا» يعني: تفقهًا.
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ١٠٢٣)، وانظر: الإبانة الكبرى، لابن بطة (٢/ ٨٠٦).
(٦) أخرجه البخاري تعليقًا (١/ ١١)، وانظر: الإبانة الكبرى (٢/ ٨٥٩).
(٧) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣١٠)، وانظر: الإبانة الكبرى (٢/ ٨٥٠)
(٨) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ١٠٢٩)، الاستذكار (٨/ ٢٨٣).
(٩) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٤).
(١٠) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/ ٢٣٨).

وروى اللالكائي عن عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: «سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[(١)].

ونقل ابن بطة، عن أبي عبيد القاسم بن سلام أسماء السلف الذين نقل عنهم القول بزيادة الإيمان ونقصانه، فقال: «هذه تسمية من كان يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»، ثم ساق أسماء أعلام العلماء من التابعين وأتباعهم، في أمصار المسلمين؛ من أهل مكة، والمدينة، ومن أهل مصر، والشام، وممن سكن العواصم وغيرها من بلاد الجزيرة[(٢)]، ومن أهل الكوفة، والبصرة، وواسط، والمشرق[(٣)]، فذكر ما يزيد على مائة عالم، ثم قال: «هؤلاء كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وهو قول أهل السنة، والمعمول به عندنا، وبالله التوفيق»[(٤)].



(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٨).

(٢) هي: بلاد يحيط بها من جهاتها الأربع نهران هما: دجلة والفرات، ولهذا السبب دعيت الجزيرة، ومن أشهر مدنها: الموصل، ونصيبين، وغيرها. انظر: حدود العالم من المشرق إلى المغرب (ص١٦٢).

(٣) ويشمل ثلاثة أقاليم رئيسة؛ وهي: خراسان وسجستان وبلاد ما وراء النهر. انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص٢٦٠).

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨١٤-٨٢٦).



المبحث السابع

مذهب أهل السنة والجماعة في زيادة الإيمان ونقصانه

والرد على المخالف

۞ أولًا: مذهب أهل السنة في زيادة الإيمان ونقصانه:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»[١]، و«أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل، وجمهورهم يقولون: يزيد وينقص، ومنهم من يقول: يزيد، ولا يقول: ينقص، كما روي عن مالك في إحدى الروايتين، ومنهم من يقول: يتفاضل، كعبد الله بن المبارك، وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة، ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة»[٢].

وقال الإمام الطبري: «وإنما جازت الزيادة والنقصان عليه؛ لأنه معرفة وقول وعمل، فالناس متفاضلون بالأعمال، فأكثرهم له طاعة أكثرهم إيمانًا،

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥).
(٢) الإيمان، لابن تيمية (ص١٧٦).

وأقلهم طاعة أقلهم إيمانًا»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه؛ لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن، ولم يجدوا ذكر النقص، وهذا إحدى الروايتين عن مالك، والرواية الأخرى عنه -وهو المشهور عند أصحابه- كقول سائرهم: إنه يزيد وينقص، وبعضهم عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل، فقال: أقول: الإيمان يتفاضل ويتفاوت، ويروى هذا عن ابن المبارك، وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لا ريب في ثبوته»[٢].

وفيه نظر؛ لأن «القرآن قد نطق بالزيادة في غير موضع، ودلت النصوص على نقصه»[٣].

۞ ثانيًا: المخالفون في زيادة الإيمان ونقصانه والرد عليهم:

«**خالف في هذا الأصل طائفتان:**

الأولى: المرجئة الخالصة [وهم الجهمية] الذين يقولون: إن الإيمان إقرار القلب، وزعموا أن إقرار القلب لا يتفاوت؛ فالفاسق والعدل عندهم سواء في الإيمان.

الثانية: الوعيدية من المعتزلة والخوارج، الذين أخرجوا أهل الكبائر من الإيمان، وقالوا: إن الإيمان إما أن يوجد كله، وإما أن يعدم كله، ومنعوا من تفاضله»[٤].

وأصل ضلال هاتين الطائفتين «أنهم جعلوا الإيمان شيئًا واحدًا إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه

(١) التبصير في معالم الدين، للطبري (ص١٩٥).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٦-٥٠٧).
(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٥١).
(٤) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص١٢٠).

وبقاء بعضه»[١].

الرد عليهم:

«**كل من هاتين الطائفتين محجوج بالسمع والعقل:**

❊ أما السمع فقد تقدم في النصوص ما دل على إثبات زيادة الإيمان ونقصه.

❊ وأما العقل فنقول للمرجئة: قولكم: إن الإيمان هو إقرار القلب، وإقرار القلب لا يتفاوت، ممنوع في المقدمتين جميعًا.

أما المقدمة الأولى: فتخصيصكم الإيمان بإقرار القلب مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة من دخول القول والعمل في الإيمان.

وأما المقدمة الثانية: فقولكم: إن إقرار القلب لا يتفاوت مخالف للحس، فإن من المعلوم لكل أحد؛ أن إقرار القلب إنما يتبع العلم، ولا ريب أن العلم يتفاوت بتفاوت طرقه، فإن خبر الواحد لا يفيد ما يفيده خبر الاثنين وهكذا، وما أدركه الإنسان بالخبر لا يساوي في العلم ما أدركه بالمشاهدة، فاليقين درجات متفاوتة، وتفاوت الناس في اليقين أمر معلوم، بل الإنسان الواحد يجد من نفسه أنه يكون في أوقات وحالات أقوى منه يقينًا في أوقات وحالات أخرى.

ونقول: كيف يصح لعاقل أن يحكم بتساوي رجلين في الإيمان أحدهما: مثابر على طاعة الله تعالى فرضها ونفلها، متباعد عن محارم الله، وإذا بدرت منه المعصية بادر إلى الإقلاع عنها والتوبة منها، والثاني: مضيِّع لما أوجب الله عليه، ومنهمك فيما حرم الله عليه، غير أنه لم يأت ما يكفره، كيف يتساوى هذا وهذا؟!

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥١٠)، وانظر: أصول الدين، البغدادي (ص٢٥٢)، شرح النووي على مسلم (١/ ١٤٨-١٤٩).

وأما الوعيدية، فنقول لهم: قولكم: إن فاعل الكبيرة خارج من الإيمان مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة، فإذا تبين ذلك فكيف نحكم بتساوي رجلين في الإيمان؟! أحدهما: مقتصد فاعل للواجبات، تارك للمحرمات، والثاني: ظالم لنفسه يفعل ما حرم الله عليه، ويترك ما أوجب الله عليه من غير أن يفعل ما يكفر به؟!

ونقول ثانيًا: هَبْ أننا أخرجنا فاعل الكبيرة من الإيمان، فكيف يمكن أن نحكم على رجلين بتساويهما في الإيمان وأحدهما مقتصد، والآخر سابق بالخيرات بإذن الله؟!»[(١)].



(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص١٢٠-١٢٢).



المبحث الثامن

أسباب زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهله فيه، وأدلة ذلك

أولًا: أسباب زيادة الإيمان:

لزيادة الإيمان أسباب كثيرة، منها[(١)]:

١- **إخلاص العبودية لله وحده لا شريك له**؛ فإنه أعظم ما أوجب الله على عباده، وهو أول دعوة المرسلين، وكلما ازداد إخلاص العبد في عبادته لربه زاد إيمانه، قال الإمام ابن رجب: «حركات القلب والجوارح إذا كانت كلها لله، فقد كمل إيمان العبد بذلك ظاهرًا وباطنًا، ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح، فإذا كان القلب صالحًا ليس فيه إلا إرادة الله، وإرادة ما يريده لم تنبعث الجوارح إلا فيما يريده الله، فسارعت إلى ما فيه رضاه، وكفَّت عمَّا يكرهه، وعمَّا يخشى أن يكون مما يكرهه، وإن لم يتيقن ذلك»[(٢)].

٢- **الإيمان بربوبية الله جل وعلا في خلقه وأمره**، قال الإمام ابن القيم: «عِلْمُ

---

(١) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، الشيخ عبد الرحمن السعدي (ص٤٥) وما بعدها، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (ص١٨٣) وما بعدها، فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ابن عثيمين (ص١٢٢-١٢٣).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٢).

العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة؛ يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا»[(١)].

٣- **معرفة أسماء الله وصفاته،** فإن العبد كلما ازداد معرفة بأسماء الله وصفاته وبمقتضياتها وآثارها، ازداد إيمانًا بربه وحبًّا له وتعظيمًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف[(٢)].

٤- **الحرص على متابعة الرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا،** بالتزام سنته والعضِّ عليها بالنواجذ؛ فإنه يثمر زيادة الإيمان.

٥- **النظر في آيات الله الكونية والشرعية،** فإن العبد كلما نظر فيها وتأمل ما اشتملت عليه من القدرة الباهرة، والحكمة البالغة، ازداد إيمانًا ويقينًا بلا ريب، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ [الطارق: ٥]، وقال ﷻ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس: ١٠١]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠﴾ [آل عمران: ١٩٠].

قال الإمام ابن القيم: «إذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى، وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله، من عموم قدرته وعلمه، وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه، فبهذا تعرَّف إلى عباده، وندبهم إلى التفكر في آياته»[(٣)].

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٩٠).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/ ٩٠).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٧).

٦- **الاجتهاد في الأعمال الصالحة**، والازدياد من العبادات تقربًا إلى الله تعالى، فإن الإيمان يزداد بحسب حسن العمل وجنسه وكثرته، فكلما كان العمل أحسن كانت زيادة الإيمان به أعظم، وحُسن العمل يكون بحسب الإخلاص والمتابعة، وأما جنس العمل فإن الواجب أفضل من المسنون، وبعض الطاعات أوكد وأفضل من البعض الآخر، وكلما كانت الطاعة أفضل كانت زيادة الإيمان بها أعظم، وأما كثرة العمل فإن الإيمان يزداد بها؛ لأن العمل من الإيمان فلا جَرَم أن يزيد بزيادته، وجماع ذلك أن يجتهد العبد في أن تكون جميع أعماله القلبية والبدنية في طلب مرضاة الله وعبوديته.

ومن أهم الطاعات التي تزيد الإيمان قراءة القرآن بالتدبر، وكثرة ذكر الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لأصحابه: «هلموا نزدد إيمانًا»، فيذكرون الله عَزَّ وَجَلَّ[(١)]، وكان معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة»[(٢)]، وقد سبق.

٧- **ترك المعصية خوفًا من الله** عَزَّ وَجَلَّ، وكلما قوي الداعي إلى فعل المعصية كانت زيادة الإيمان بتركها أعظم؛ لأن تركها مع قوة الداعي إليها دليل على

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ١٠١٢).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (١/ ١٠)، وابن أبي شيبة (١١/ ٢٥)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٨٤٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ١٠١٤) موصولًا.

قوة إيمان العبد، وتقديمه ما يحبه الله ورسوله على ما تهواه نفسه. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «كما أنه لا بد في الإيمان من فعل جميع الأسباب المقوية المنمية له، فلا بد مع ذلك من دفع الموانع والعوائق، وهي الإقلاع عن المعاصي والتوبة مما يقع منها، وحفظ الجوارح كلها عن المحرمات»(١).

٨- **دعاء الله جل وعلا والتضرع له واللجوء إليه،** عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنه كان في المسجد يدعو، فدخل النبي ﷺ وهو يدعو، فقال: «**سل تعطه**»، وهو يقول: اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتدُّ، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة النبي ﷺ في أعلى غرف الجنة، جنة الخلد(٢).

ومن أعطاه الله إيمانًا لا يرتد؛ قوي إيمانه، فلا يضعف أمام الشبهات والشهوات، وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان لَيَخلَقُ في جوف أحدكم كما يَخْلَق الثوب الخَلِق؛ فسلوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**»(٣)، وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**قل: اللهم اهدني وسددني**»(٤).

وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعو: «اللهم زدني إيمانًا ويقينًا وفهمًا -أو قال: وعلمًا»(٥).

❊ ❊ ❊

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص٦٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٣٤٦-٣٤٧)، وصححه محققوه، والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٢١).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣/ ٣٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٥) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: «إسناده حسن» (مجمع الزوائد ١/ ٥٢)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح١٥٩٠).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٧٢٥).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٠٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٤٩)، قال الهيثمي: «إسناده جيد» (مجمع الزوائد ١٠/ ١٨٥).

۞ ثانيًا: أسباب نقص الإيمان:

وأما نقص الإيمان فله أسباب كثيرة، منها[1]:

١- **الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته**، فكما أن العلم بالله وأسمائه وصفاته يزداد به الإيمان ويقوى، فكذلك الجهل بالله وأسمائه وصفاته، ينقص به الإيمان ويضعف، وما عُصِي الله إلا بالجهل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من عمل بخلاف الحق فهو جاهل، وإن علم أنه مخالف للحق، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ [النساء: ١٧]، قال أصحاب محمد ﷺ: كل من عمل سوءًا فهو جاهل. وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل، فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه، أو ضعفه في القلب بمقاومة ما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم، فيصير جهلًا بهذا الاعتبار»[2].

٢- **الغفلة والإعراض عن النظر في آيات الله وأحكامه الكونية والشرعية**، فإن ذلك يُوجب مرض القلب أو موته باستيلاء الشهوات والشبهات عليه، وقد ذم الله الغفلة في كتابه، وحذر منها أشد التحذير، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

٣- **فعل المعصية**، فينقص الإيمان بحسب جنسها، وقدرها، والتهاون بها، وقوة الداعي إليها أو ضعفه. فأما جنسها وقدرها فإن نقص الإيمان بالكبائر

---

(١) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ابن عثيمين (ص١٢٣-١٢٤)، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (ص٢٤٥) وما بعدها.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٢٥٧).

أعظم من نقصه بالصغائر، ونقص الإيمان بقتل النفس المحرمة أعظم من نقصه بأخذ مال محترم، ونقصه بمعصيتين أكثر من نقصه بمعصية واحدة، وهكذا. وأما التهاون بها، فإن المعصية إذا صدرت من قلب متهاون بمن عصاه ضعيف الخوف منه، كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت من قلب معظم لله تعالى شديد الخوف منه، لكن فرطت منه المعصية.

وأما قوة الداعي إليها فإن المعصية إذا صدرت ممن ضعفت منه دواعيها كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت ممن قويت منه دواعيها؛ ولذلك كان استكبار الفقير، وزنا الشيخ أعظم إثمًا من استكبار الغني، وزنا الشاب، كما في الحديث: «**ثلاثة لا يُكلّمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**»، وذكر منهم: «**الأشيمط الزاني، والعائل المستكبر**»[(١)]، لقلة داعي تلك المعصية فيهما.

٤ - **ترك الطاعة فإن الإيمان ينقص بها**، والنقص بها على حسب تأكد الطاعة، فكلما كانت الطاعة أوكد، كان نقص الإيمان بتركها أعظم، وربما فقد الإيمان كله كترك الصلاة.

ثم إن نقص الإيمان بترك الطاعة على نوعين: نوع يعاقب عليه، وهو: ترك الواجب بلا عذر. ونوع لا يعاقب عليه وهو: ترك الواجب لعذر شرعي، أو حسي، وترك المستحب، فالأول كترك المرأة الصلاة أيام الحيض، والثاني كترك صلاة الضحى.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، قال الإمام ابن كثير: «يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكى نفسه؛ أي: بطاعة الله -كما قال قتادة- وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل.

(١) أخرجه مسلم (ح١٧٢) لكن بلفظ: «**شيخ زان**».

ويروى نحوه عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير»[(١)].

وبالجملة فإن ترك أسباب زيادة الإيمان هو من أسباب نقص الإيمان.

۞ ثالثًا: وجوه التفاضل في الإيمان:

التفاضل في الإيمان يكون من جهات متعددة؛ من جهة الأقوال والأعمال الظاهرة، ومن جهة أعمال القلوب الباطنة، ومن جهة أسباب الإيمان ودواعيه، ومن جهة دوامه وثباته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**التفاضل في الإيمان بدخول الزيادة والنقص فيه يكون من وجوه متعددة:**

الوجه الأول: الأعمال الظاهرة؛ فإن الناس يتفاضلون فيها وتزيد وتنقص، وهذا مما اتفق الناس على دخول الزيادة فيه والنقصان، لكن نزاعهم في دخول ذلك في مسمى الإيمان، فالنفاة يقولون: هو من ثمرات الإيمان ومقتضاه، فأُدخِلَ فيه مجازًا بهذا الاعتبار.

الوجه الثاني: زيادة أعمال القلوب ونقصها؛ فإنه من المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن أن الناس يتفاضلون في حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه والتوكل عليه والإخلاص له، وفي سلامة القلوب من الرياء والكبر والعُجْب ونحو ذلك، والرحمة للخلق والنصح لهم، ونحو ذلك من الأخلاق الإيمانية.

الوجه الثالث: أن نفس التصديق والعلم في القلب يتفاضل باعتبار الإجمال والتفصيل، فليس تصديق من صدق الرسول مجملًا من غير معرفة منه بتفاصيل أخباره، كمن عرف ما أخبر به عن الله وأسمائه وصفاته والجنة والنار والأمم وصدقه في ذلك كله، وليس من التزم طاعته مجملًا ومات قبل أن يعرف تفصيل ما أمره به، كمن عاش حتى عرف ذلك مفصلًا وأطاعه فيه.

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤١٢).

الوجه الرابع: أن نفس العلم والتصديق يتفاضل ويتفاوت، كما يتفاضل سائر صفات الحي من القدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، بل سائر الأعراض من الحركة والسواد والبياض ونحو ذلك.

الوجه الخامس: أن التفاضل يحصل من هذه الأمور من جهة الأسباب المقتضية لها؛ فمن كان مستند تصديقه ومحبته أدلة توجب اليقين وتبين فساد الشبهة العارضة لم يكن بمنزلة من كان تصديقه لأسباب دون ذلك، بل من جُعل له علوم ضرورية لا يمكنه دفعها عن نفسه لم يكن بمنزلة من تعارضه الشبه ويريد إزالتها بالنظر والبحث، ولا يستريب عاقل أن العلم بكثرة الأدلة وقوتها وبفساد الشبه المعارضة لذلك، وبيان بطلان حجة المحتج عليها؛ ليس كالعلم الذي هو الحاصل عن دليل واحد من غير أن يعلم الشبه المعارضة له؛ فإن الشيء كلما قويت أسبابه وتعددت وانقطعت موانعه واضمحلت كان أوجب لكماله وقوته وتمامه.

الوجه السادس: أن التفاضل يحصل في هذه الأمور من جهة دوام ذلك وثباته وذكره واستحضاره، كما يحصل البغض[(١)] من جهة الغفلة عنه والإعراض، والعلم والتصديق والحب والتعظيم وغير ذلك، فما في القلب هي صفات وأعراض وأحوال تدوم وتحصل بدوام أسبابها وحصول أسبابها، والعلم وإن كان في القلب فالغفلة تنافي تحققه، والعالم بالشيء في حال غفلته عنه دون العالم بالشيء في ذكره له.

الوجه السابع: أن يقال: ليس فيما يقوم بالإنسان من جميع الأمور أعظم تفاضلًا وتفاوتًا من الإيمان، فكلما تقرر إثباته من الصفات والأفعال مع تفاضله، فالإيمان أعظم تفاضلًا من ذلك، مثال ذلك: أن الإنسان يعلم من نفسه تفاضل الحب الذي يقوم بقلبه سواء كان حبًّا لولده أو لامرأته أو لرياسته أو وطنه أو صديقه أو صورة من الصور أو خيله أو بستانه أو ذهبه أو فضته وغير

---

(١) كذا بالأصل! ولعلها: النقص.

ذلك من أمواله، فكما أن الحب أوله علاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم صبابة لانصباب القلب نحوه، ثم غرام للزومه القلب كما يلزم الغريم غريمه، ثم يصير عشقًا إلى أن يصير تتيُّمًا -والتتيُّم: التعبد، وتَيْم الله: عبد الله- فيصير القلب عبدًا للمحبوب مطيعًا له، لا يستطيع الخروج عن أمره، فمن قال: الحب لا يزيد ولا ينقص، كان قوله من أظهر الأقوال فسادًا»[1].



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٦٢-٥٦٧) باختصار وتصرف يسير.



المبحث التاسع

الاستثناء في الإيمان

معناه وحكمه والخلاف فيه والترجيح

۞ أولًا: معنى الاستثناء في الإيمان:

الاستثناء في الإيمان هو قول العبد: أنا مؤمن إن شاء الله[١]، ونحوها من الألفاظ التي تدل على عدم القطع والجزم بتحقيق الإيمان الكامل[٢]؛ كأن يُسأل: أمؤمن أنت؟ فيقول: أرجو[٣]، أو يقول: آمنت بالله وملائكته[٤]، أو يقول: لا إله إلا الله[٥]، أو نحو ذلك. وهذا كله في باب الإخبار، أما الإنشاء- أعني إنشاء الإيمان- كمن أراد الدخول في الإسلام، فلا يجوز فيه الاستثناء، بل كل من آمن وأسلم آمن وأسلم جزمًا بلا تعليق. قال شيخ الإسلام: «والذين استثنوا من السلف والخلف لم يقصدوا في الإنشاء وإنما كان استثناؤهم في إخباره عما قد حصل له من الإيمان... وأما الإنشاء فلم يستثن فيه أحد ولا شرع الاستثناء فيه؛ بل كل من آمن وأسلم آمن وأسلم جزمًا

---

(١) انظر: السنة، للخلال (٣/ ٥٩٤).

(٢) انظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، د. عبد الرزاق البدر (ص٤٧٩) وما بعدها.

(٣) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٦٧).

(٤) انظر: الإيمان، لأبي عبيد (ص٦٧)، الإبانة، لابن بطة (٢/ ٨٧٨).

(٥) انظر: الإيمان، لابن أبي شيبة (ص١٠)، السنة، لعبد الله ابن الإمام أحمد (١/ ٣٢١).

بلا تعليق»[1]، فلا يجوز لمن أراد الدخول في الإسلام أن يقول: أنا أو من إن شاء الله، أو آمنت إن شاء الله، أو أسلمت إن شاء الله، أو أشهد- إن شاء الله- أن لا إله إلا الله، وأشهد- إن شاء الله- أن محمدًا رسول الله[2].

۞ ثانيًا: حكم الاستثناء في الإيمان:

الذي عليه عامة السلف هو جواز الاستثناء في الإيمان، ولكنهم مع ذلك كانوا يكرهون السؤال عن ذلك كما يكرهون الإجابة، وإن أجابوا فصّلوا في الجواب؛ لأن الإيمان فيه إطلاق وتقييد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد كان أحمد وغيره من السلف مع هذا [أي: مع قولهم بجواز الاستثناء في الإيمان] يكرهون سؤال الرجل لغيره: أمؤمن أنت؟ ويكرهون الجواب[3]؛ لأن هذه بدعة أحدثها المرجئة ليحتجوا بها لقولهم... فلما علم السلف مقصدهم صاروا يكرهون الجواب أو يفصِّلون في الجواب؛ وهذا لأن لفظ الإيمان فيه إطلاق وتقييد، فكانوا يجيبون بالإيمان المقيد الذي لا يستلزم أنه شاهد فيه لنفسه بالكمال، ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يقال: أنا مؤمن بلا استثناء إذا أراد ذلك، لكن ينبغي أن يقرن كلامه بما يبين أنه لم يُرِد الإيمان المطلق الكامل»[4].

وقد «كتب رجل إلى الأوزاعي: أمؤمن أنت حقًّا؟ فكتب إليه: أكتبت تسألني: أمؤمن أنت حقًّا؟ فالمسألة في هذا بدعة، والكلام فيه جدل، لم يشرحه لنا سلفنا، ولم نكلفه في ديننا، وسألت: أمؤمن أنت حقًّا؟ فلعَمْرِي

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٢-٤٣). (٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٢).

(٣) عقد الخلال في كتاب السنة بابًا في ذلك بعنوان: (الرجل يُسأل: أمؤمن أنت؟ وكراهته المسألة في ذلك). انظر: كتاب السنة (٣/ ٦٠١-٦٠٢)، وعقد ابن بطة بابًا في ذلك بعنوان: (باب سؤال الرجل لغيره: أمؤمن أنت، وكيف الجواب له، وكراهية العلماء هذا السؤال وتبديع السائل عن ذلك) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٧٧)، وكذلك فعل الآجري في الشريعة (١/ ٣١٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٤٨-٤٤٩).

لئن كنت على الإيمان، فما تركي شهادتي لها بضائري، وإن لم أكن عليها، فما شهادتي لها بنافعي، فقف حيث وقفت بك السنة، وإياك والتعمق في الدين، ليس من الرسوخ في العلم، إن الراسخين في العلم قالوا حيث تناهى علمهم: آمنا به، كل من عند ربنا»[١].

وقد استفاض كلام سلف الأمة وأئمتها في جواز الاستثناء في الإيمان ما لم يكن على سبيل الشك. قال حرب الكرماني: «ويستثنى في الإيمان، غير ألَّا يكون الاستثناء شكًّا، إنما هي سنة ماضية عن العلماء»[٢]، فالاستثناء شكًّا في الإيمان لا يجوز، وعليه يحمل قول الإمام مالك لما قيل له: أقول: مؤمن، أو إن شاء الله؟ قال: قل: مؤمن[٣]، وإلا فإن الأصل عند سلف الأمة وأئمتها هي جواز الاستثناء. قال يحيى بن سعيد القطان: «ما أدركت أحدًا من أصحابنا ولا بلغنا إلا على الاستثناء»[٤]، وسئل الإمام أحمد: يصح قول الحارث بن عميرة أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجع عن الاستثناء؟ فقال: «لا يصح، أصحابه يعني على الاستثناء»[٥].

وقال الإمام البيهقي: بعد أن ذكر جملة من الآثار عن السلف في الاستثناء في الإيمان: «وقد روِّينا هذا عن جماعة من الصحابة، والتابعين، والسلف الصالح -رضي الله تعالى عنهم أجمعين»[٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما مذهب سلف أصحاب الحديث، كابن مسعود وأصحابه والثوري وابن عيينة وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان، فيما يرويه عن علماء أهل البصرة وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة

---

(١) السنة لأبي بكر الخلال (٣/ ٥٦٨). وانظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٨١).
(٢) الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة، اعتقاد حرب الكرماني (ص٥٦٩).
(٣) انظر: الجامع لابن أبي زيد (ص١٢٢).
(٤) السنة، للخلال (٣/ ٥٩٥)، الشريعة، للآجري (٢/ ٦٦١)، والإبانة، لابن بطة (٢/ ٨٧١).
(٥) السنة، للخلال (٣/ ٥٩٩).
(٦) شعب الإيمان (١/ ١٦٥).

السنة، فكانوا يستثنون في الإيمان، وهذا متواتر عنهم»[١].

«وروى الخلال عن أبي طالب قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لا نجد بدًّا من الاستثناء؛ لأنهم إذا قالوا: مؤمن، فقد جاء بالقول، فإنما الاستثناء بالعمل لا بالقول»[٢].

ووجه قولهم بجواز الاستثناء في الإيمان أمور، منها:

١- أن الإيمان المطلق شامل لكل ما أمر الله به والبعد عن كل ما ينهى عنه، ولا يدعي أحد أنه جاء بذلك كله على التمام والكمال، جاء عن الإمام أحمد، أنه قال له رجل: قيل لي: أمؤمن أنت؟ قلت: نعم. هل عليَّ في ذلك شيء؟ هل الناس إلا مؤمن وكافر، فغضب أحمد، وقال: «هذا كلام الإرجاء، وقال الله ﷻ: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]، من هؤلاء؟»، ثم قال أحمد: «أليس الإيمان قولًا وعملًا؟» قال الرجل: بلى، قال: «فجئنا بالقول؟» قال: نعم، قال: «فجئنا بالعمل؟» قال: لا، قال: «فكيف تعيب أن يقول: إن شاء الله ويستثني؟»[٣]، «وعن إسحاق بن إبراهيم قال: سمعت أبا عبد الله يقول: أذهب إلى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الإيمان؛ لأن الإيمان قول وعمل، والعمل الفعل، فقد جئنا بالقول، ونخشى أن نكون فرطنا في العمل؛ فيعجبني أن يستثني في الإيمان بقول: أنا مؤمن إن شاء الله»[٤]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومثل هذا كثير في كلام أحمد وأمثاله، وهذا مطابق لما تقدم من أن المؤمن المطلق هو القائم بالواجبات المستحق للجنة إذا مات على ذلك، وأن المفرط بترك المأمور أو فعل المحظور لا يطلق عليه أنه مؤمن، وأن المؤمن المطلق هو البرُّ التقي ولي الله، فإذا قال: أنا مؤمن قطعًا، كان كقوله: أنا بَرٌّ تقيٌّ ولي الله قطعًا»[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣٨-٤٣٩)، وانظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٤٧-٤٤٨).
(٣) السنة، لأبي بكر الخلال (٣/ ٥٩٧).
(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٤٧-٤٤٨).
(٥) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٤٨).

٢- أن الإيمان النافع هو المتقبل عند الله، ولا يجزم العبد بقبوله عمله، قال الإمام ابن بطة: «كان سفيان الثوري وابن المبارك يقولان: الناس عندنا مؤمنون في المواريث والأحكام، ولا ندري كيف هم عند الله ﷻ، وعلى أي دين يموتون؛ لأن الاستثناء واقع على ما يستقبل، لأن قول العبد: أنا مؤمن إن شاء الله، معناه: إن قَبِلَ الله إيماني وأماتني عليه، بمنزلة رجل صلى صلاة، فقال: قد صليتُ، وعلى الله القبول، وكذلك الحج، وكذلك إذا صام أو عمل عملًا فإنما يقع استثناؤه فيه على الخاتمة وقبول الله إياه، لا أنه شاكٌّ فيما قاله وعمله»(١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا قيل لهم: أمؤمنون أنتم حقًّا؟ أو تقولون: إن شاء الله؟ أو تقولون: نرجو؟ فيقولون: نحن مؤمنون إن شاء الله، يعنون بهذا الاستثناء تفويض الأمر في العاقبة إلى الله ﷻ»(٢).

٣- البعد عن تزكية النفس، وليس هناك تزكية لها أعظم من التزكية بالإيمان. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، فكانوا يستثنون مخافة تزكية النفس، قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: «وإنما كراهتهم عندنا أن يبتُّوا الشهادة بالإيمان مخافة... من التزكية والاستكمال عند الله»(٣)، وقال الإمام الآجري: «من صفة أهل الحق، ممن ذكرنا من أهل العلم: الاستثناء في الإيمان، لا على جهة الشك، نعوذ بالله من الشك في الإيمان، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟»(٤).

٤- أن الأمور كلها بمشيئة الله، مثل قوله تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقول النبي ﷺ حين أتى المقبرة: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»(٥).

---

(١) الإبانة الصغرى (ص١٩٧-١٩٩).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣٧).
(٣) الإيمان، للقاسم بن سلام (ص٢١).
(٤) الشريعة للآجري (٢/ ٦٥٦).
(٥) أخرجه مسلم (ح٢٤٩). ومن السلف من يرى أن الاستثناء هنا إنما وقع على البقاع، فلا يدخل=

قال شيخ الإسلام: «ومراد السلف من ذلك الاستثناء: إما لكونه لا يقطع بأنه فعل الواجب كما أمر الله ورسوله، فيشك في قبول الله لذلك فاستثنى ذلك، أو للشك في العاقبة، أو يستثني لأن الأمور جميعها إنما تكون بمشيئة الله»[(١)].

۞ ثالثًا: الخلاف في الاستثناء في الإيمان والترجيح:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما الاستثناء في الإيمان بقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، فالناس فيه على ثلاثة أقوال: منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجوِّز الأمرين باعتبارين؛ وهذا أصح الأقوال.

فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئًا واحدًا يعلمه الإنسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه؛ فيقول أحدهم: أنا أعلم أني مؤمن كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين وكما أعلم أني قرأت الفاتحة وكما أعلم أني أحب رسول الله؛ وأني أبغض اليهود والنصارى. فقولي: أنا مؤمن، كقولي: أنا مسلم، وكقولي: تكلمت بالشهادتين وقرأت الفاتحة وكقولي: أنا أبغض اليهود والنصارى ونحو ذلك من الأمور الحاضرة التي أنا أعلمها وأقطع بها وكما أنه لا يجوز أن يقال: أنا قرأت الفاتحة إن شاء الله كذلك لا يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، لكن إذا كان يشك في ذلك فيقول: فعلته إن شاء الله، قالوا: فمن استثنى في إيمانه فهو شاكٌّ فيه، وسموهم الشكَّاكة.

❊ ❊ ❊

= في الاستثناء فيما لا شك فيه، فقد روى الخلال أن الإمام أحمد سئل عن قول النبي ﷺ: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»، الاستثناء هاهنا على أي شيء يقع؟ قال: «على البقاع، لا يدري أيدفن في الموضع الذي سلَّم عليه أم في غيره». (السنة، لأبي بكر الخلال ٣/ ٥٩٧).

انظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه (ص٤٦٥).

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٩).

والذين أوجبوا الاستثناء[(١)] لهم مأخذان:

أحدهما: أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان؛ والإنسان إنما يكون عند الله مؤمنًا وكافرًا باعتبار الموافاة[(٢)] وما سبق في علم الله أنه يكون عليه وما قبل ذلك لا عبرة به، قالوا: والإيمان الذي يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافرًا ليس بإيمان كالصلاة التي يفسدها صاحبها قبل الكمال؛ وكالصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب، وصاحب هذا هو عند الله كافر لعلمه بما يموت عليه وكذلك قالوا في الكفر.

والمأخذ الثاني: أن الاسم عند الإطلاق يقتضي الكمال؛ وهذا غير معلوم للمتكلم كما قال أبو العالية: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، لا يقول: إن إيماني كإيمان جبريل، فإخبار الرجل عن نفسه أنه كامل الإيمان خبر بما لا يعلمه.

وأما جواز إطلاق القول بأني مؤمن، فيصح إذا عنى أصل الإيمان دون كماله، والدخول فيه دون تمامه، كما يقول: أنا حاج وصائم لمن شرع في ذلك، وكما يطلقه في قوله: آمنت بالله ورسله»[(٣)].

قال ابن القيم: «وقد ذهب المحققون في مسألة: (أنا مؤمن) إلى هذا التفصيل بعينه، فقالوا: له أن يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ولا يقول: أنا مؤمن لأن قوله: أنا مؤمن يفيد الإيمان المطلق الكامل الآتي صاحبه بالواجبات التارك للمحرمات بخلاف قوله: آمنت بالله فتأمله»[(٤)].

قال الإمام ابن أبي العز: «وأما من يجوِّز الاستثناء وتركه، فهم أسعد

---

(١) نسبه شيخ الإسلام إلى الكلابية وغيرهم. انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٢٩-٤٣٠).

(٢) هذا المأخذ وهو الاستثناء باعتبار الموافاة، وهو أنه لا يدري عن خاتمته وما يموت عليه لم يعرف التعليل به عن أحد من السلف. انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣٦-٤٣٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٢٩-٦٦٩) مختصرًا، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤٩٤-٤٩٨).

(٤) بدائع الفوائد (٣/ ١٠٧).

بالدليل من الفريقين، وخير الأمور أوسطها: فإن أراد المستثني الشك في أصل إيمانه منع من الاستثناء، وهذا مما لا خلاف فيه. وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]، فالاستثناء حينئذ جائز، وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقًا للأمر بمشيئة الله، لا شكًّا في إيمانه، وهذا القول في القوة كما ترى»[١].

۞ رابعًا: حكم الاستثناء في الإسلام:

حكم الاستثناء في الإسلام مبني على الفرق بين الإسلام والإيمان، فمن يقول بأنهما مترادفان فحكم الاستثناء في الإسلام عنده هو حكم الاستثناء في الإيمان، ومن يقول بأنهما متغايران يفرق بينهما في الحكم، فيجيز الاستثناء في الإيمان، ولا يجيز الاستثناء في الإسلام، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٣]، وقوله سبحانه: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، فدلت هاتان الآيتان على جواز قول: أنا مسلم، بإطلاق دون استثناء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه الآية مما احتج بها أحمد بن حنبل وغيره على أنه يُستثنَى في الإيمان دون الإسلام... قال الميموني: سألت أحمد بن حنبل عن رأيه في: أنا مؤمن إن شاء الله، فقال: أقول: مؤمن إن شاء الله، وأقول: مسلم ولا أستثني، قال: قلت لأحمد: تفرِّق بين الإسلام والإيمان؟ فقال لي: نعم، فقلت له: بأي شيء تحتج؟ قال لي: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾»[٢].

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٩٨).

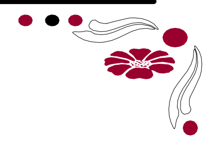
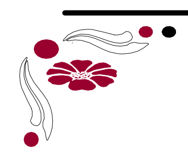
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٥٣).

قال شيخ الإسلام: «فإذا أريد بالإسلام الكلمة فلا استثناء فيه كما نص عليه أحمد وغيره، وإذا أريد به من فعل الواجبات الظاهرة كلها فالاستثناء فيه كالاستثناء في الإيمان»[(١)]، «ولهذا لما قال الأثرم لأحمد: فإذا قال: أنا مسلم فلا يستثني؟ قال نعم: لا يستثني إذا قال: أنا مسلم»[(٢)]؛ ذلك أن السلف كانوا يرون أن الإسلام هو كلمة الشهادتين، والإيمان العمل، قال الإمام الزهري: «كانوا يرون الإسلام الكلمة، والإيمان العمل»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والصحيح أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة كلها، وأحمد إنما منع الاستثناء فيه على قول الزهري: هو الكلمة. هكذا نقل الأثرم والميموني وغيرهما عنه. وأما على جوابه الآخر الذي لم يختر فيه قول من قال: الإسلام الكلمة فيستثنى في الإسلام كما يستثنى في الإيمان؛ فإن الإنسان لا يجزم بأنه قد فعل كل ما أمر به من الإسلام»[(٤)].



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٥-٤١٦)، وانظر كلام الإمام أحمد في: السنة لأبي بكر الخلال (٤/ ١١)، والإبانة الكبرى، لابن بطة (٢/ ٨٧٦).
(٣) السنة، لأبي بكر الخلال (٤/ ١٣).
(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٥).

ملخص الفصل الثاني

❊ **الإيمان في اللغة: التصديق**، وهو غير مقصور على تصديق القلب، بل هو شامل لتصديق القلب واللسان والجوارح.

❊ **يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن تعريف الإيمان لغة بالإقرار أَوْلَى من تعريفه بالتصديق**؛ لاختلاف اللفظين من وجوه: **أحدها**: دلالة التعدي: فالتصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه. **الثاني**: دلالة المعنى: فالإيمان ليس مرادفًا للفظ التصديق في المعنى؛ فإن التصديق يستعمل في كل خبر سواء كان عن مشاهدة أو غيب، بخلاف الإيمان الذي لا يستعمل إلا في الأمور الغائبة. **الثالث**: دلالة المقابلة: وهي أن لفظ الإيمان في اللغة لا يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر. يقال: هو مؤمن أو كافر.

❊ **يطلق الإيمان شرعًا بإطلاقين: الأول**: أن يكون مقترنًا بالإسلام، فيراد به أركان الإيمان الستة، والأعمال الباطنة؛ كالإخلاص والمحبة. **الثاني**: أن يكون مطلقًا غير مقترن بالإسلام، فيراد به الدين كله.

❊ **والإيمان في مفهوم السلف**: قول وعمل؛ قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

❊ **للإيمان ثلاث مراتب: الأولى**: أصل الإيمان؛ وهو الذي لا يوجد الإيمان بدونه، ويقابله الكفر. **الثانية**: الإيمان الواجب، وهو ما زاد على أصل الإيمان من فعل الواجبات وترك المحرمات. **الثالثة**: الإيمان المستحب، وهو الزائد على الإيمان الواجب، بفعل المستحبات وترك المكروهات والمشتبهات.

❊ **اختلفوا في الفرق بين الإسلام والإيمان، على ثلاثة أقوال، فقيل**: هما

مترادفان، **وقيل:** هما متغايران، **وقيل -وهو الحق:** إنهما مترادفان إذا انفردا، ومتباينان إذا اجتمعا.

❊ يعتقد أهل السنة والجماعة أن العمل داخل في مسمى الإيمان، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

❊ **خالف في مسمى الإيمان طائفتان: الأولى:** الوعيدية، قالوا: إن الإيمان قول وعمل، لكنهم ضلوا حينما زعموا أن الإيمان لا يتجزأ ولا يتبعض، بل إذا ذهب بعضه ذهب جميعه، ويندرج تحت هذه الطائفة الخوارج والمعتزلة ومن تابعهم. **الثانية:** المرجئة؛ وهم فرق متفاوتة، أعظمها غلوًّا وانحرافًا الجهمية القائلين بأن الإيمان: المعرفة، ويليها في الغلو الكَرَّامية أتباع محمد بن كرام السجستاني قالوا: الإيمان قول اللسان فقط، أما مرجئة الفقهاء، فقالوا: الإيمان اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان، وأخرجوا العمل من مسمى الإيمان؛ لكنهم يقولون بوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، وما ترتب عليها من ثواب وعقاب.

❊ **اشتهر عن أبي الحسن الأشعري في الإيمان قولان: قول وافق فيه السلف،** وهو أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وهو آخر القولين، **والقول الثاني** -وهو المعتمد عند الأشاعرة: أن الإيمان هو التصديق بالقلب، وأن قول اللسان شرط لإجراء الأحكام في الدنيا، وعمل الجوارح شرط كمال في الإيمان، والفرق بين التصديق عند الأشاعرة، والمعرفة عند جَهْم: أن الجهمية لا يثبتون عمل القلب، أما الأشاعرة فيثبتونه.

❊ **مذهب الماتريدية:** أن الإيمان هو تصديق القلب، والكفر هو التكذيب، وقول اللسان شرطٌ لإجراء الأحكام الدنيوية فقط، وقالوا: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولا يستثنى منه.

❊ يوجد صنف من المرجئة لم تذكره كتب المقالات وهم مرجئة الرافضة الإثني عشرية؛ وحقيقة الإيمان عندهم أنه معرفة أئمتهم الاثني عشر، وهو

أشنع من قول الجهمية.

❋ من أنواع الوعيدية الخوارج؛ وهم يعتقدون أن الإيمان هو المعرفة بالقلب، والإقرار باللسان والعمل بالجوارح، وأن كل طاعة وعمل خير فرضًا كان أو نافلة فهو إيمان؛ لكنهم ضلوا حينما قالوا: إن الإيمان لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله.

❋ ومن الوعيدية المعتزلة؛ وهم يعتقدون في الإيمان مثل الخوارج أنه قول ومعرفة وعمل، ويرون أن الإيمان جميع الطاعات، وإذا ذهب بعض الإيمان ذهب كله، ومن فعل محرمًا أو ترك واجبًا فهو كافر عند الخوارج، وفي منزلة بين المنزلتين عند المعتزلة، وأما في الآخرة فهو عندهما مخلد في النار، لكن عند المعتزلة عذابه أخف من عذاب الكافرين.

❋ **مذهب مرجئة الفقهاء:** قالوا: إن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان، وأخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، لكنهم يقولون بوجوب الواجبات وتحريم المحرمات، وما رُتِّب عليها من ثواب وعقاب، وأول من قال بهذا هو حماد بن أبي سليمان، وهو مذهب جمهور الحنفية. والخلاف بين جمهور أهل السنة ومرجئة الفقهاء خلاف يسير أكثره لفظي لا يترتب عليه تكفير أو تضليل.

❋ **معنى زيادة الإيمان ونقصانه:** هو زيادته بالطاعة، ونقصانه بالمعصية، والزيادة والنقصان تكونان بالقول والعمل، فإذا ذكرنا الله ﷻ وحمدناه وسبّحناه، فتلك زيادته، وإذا أغفلنا وضيعنا وأسأنا فذاك نقصانه. وقد دل على الزيادة والنقصان الكتاب والسنة وآثار الصحابة رضي الله عنهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة.

❋ أصل نزاع الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئًا واحدًا إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بالزيادة والنقصان، والأدلة السمعية

والعقلية ترد قولهم.

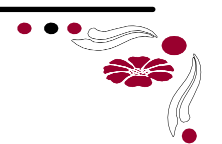
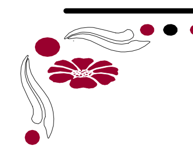
❁ لما كان الإيمان يزيد بالطاعة، فإن جميع الطاعات تعد أسبابًا لزيادة الإيمان؛ ومن أبرز ذلك: تحقيق الإيمان بربوبية الله، وتوحيده، ومعرفة أسمائه وصفاته، وكذا النظر في آيات الله الكونية والشرعية، وتحقيق المتابعة للرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وغيرها، وبالمقابل فإن المعاصي تعد أسبابًا لنقص الإيمان.

❁ **معنى الاستثناء في الإيمان:** أن يقول العبد: أنا مؤمن إن شاء الله، أو نحوها من العبارات التي تفيد عدم القطع بتحقق الإيمان؛ كأن يسأل: أمؤمن أنت؟ فيقول: أرجو، أو يقول: آمنت بالله وملائكته... إلخ.

❁ **الناس في الاستثناء على ثلاثة أقوال:** منهم من يوجبه- كالأشاعرة مثلًا- لقولهم: إن العبرة بالموافاة، ولا يدري الإنسان بمَ يُختم له. ومنهم من يحرمه- كالمعتزلة مثلًا- لقولهم: إن الذي يستثني شاكٌّ في إيمانه، والشاك كافر. ومنهم من يجوِّز الأمرين باعتبارين، وهم أهل السنة، فقالوا بجواز الاستثناء في الإيمان؛ لعدم القطع بأنه فعل الواجب كما أمر الله ورسوله، فيشك في قبول الله لذلك، أو للشك في العاقبة، أو خشية تزكية النفس، أو يستثني لأن الأمور جميعها إنما تكون بمشيئة الله، وقالوا بالمنع إن كان الاستثناء على جهة الشك فيه.

❁ الذين قالوا بالاستثناء في الإيمان من السلف والخلف لم يقصدوا الاستثناء في الإنشاء، وإنما كان استثناؤهم في إخباره عما قد حصل له من الإيمان، وأما الإنشاء فلم يُسْتثن فيه أحد ولا شرع الاستثناء فيه؛ بل كل من آمن وأسلم آمن وأسلم جزمًا بلا تعليق.

❁**حكم الاستثناء في الإسلام:** إذا أريد بالإسلام الكلمة: (لا إله إلا الله) فلا استثناء فيه؛ لأنها قول، ولا استثناء في القول، وإذا أريد به فعل الواجبات الظاهرة كلها كالصلاة والزكاة والصوم، فالاستثناء فيه كالاستثناء في الإيمان.

أسئلة تطبيقية

س١: عرف الإيمان؟ وما مراتبه ودرجاته؟

س٢: وضح العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان والفرق بينها.

س٣: اذكر ثلاثة من أدلة أهل السنة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان؟

س٤: بين مذاهب المخالفين في مسمى الإيمان، وكيف ترد عليهم؟

س٥: النزاع بين جمهور أهل السنة ومرجئة الفقهاء في الإيمان نزاع أكثره لفظي. وضح ذلك في ضوء ما درست.

س٦: ما معنى قول السلف: الإيمان قول وعمل؟

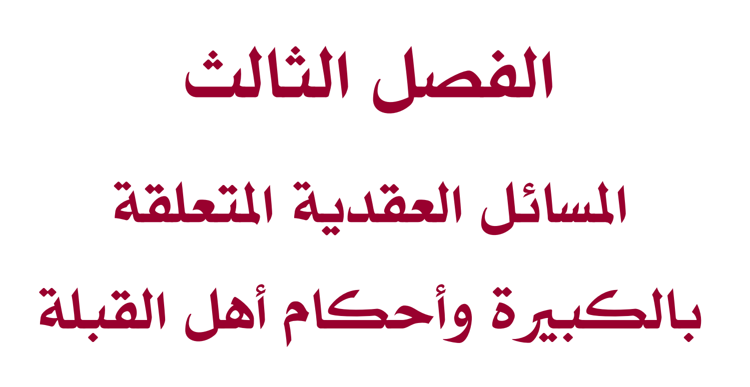
س٧: بين مذاهب المخالفين في زيادة الإيمان ونقصانه، وما أدلتهم؟ وكيف ترد عليهم؟

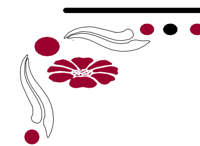
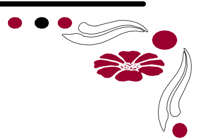
س٨: ما أسباب زيادة الإيمان؟

س٩: ما أسباب نقصان الإيمان؟

س١٠: بيّن الأقوال في حكم الاستثناء في الإيمان، وما الراجح في ذلك؟




الفصل الثالث
المسائل العقدية المتعلقة
بالكبيرة وأحكام أهل القبلة

الفصل الثالث

۞ ويشتمل على ما يلي:

١- انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر، والفروق بينهما.

٢- الكبيرة؛ اسم مرتكبها في الدنيا، وحكمه في الآخرة عند أهل السنة والجماعة.

٣- الأسباب التي تسقط العقوبة عن العبد في الآخرة.

٤- المقصود بأهل القبلة.

٥- حكم الشهادة لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار.

٦- حكم امتحان مجهول الحال من المسلمين أو التشكيك في إسلامه.

٧- حكم الصلاة خلف مستور الحال والمبتدع والفاسق وأئمة الجَوْر.

٨- مشروعية امتناع ولي الأمر ونحوه عن الصلاة على بعض أهل الفسق والبدع لمصلحة راجحة.





المبحث الأول

انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر والفروق بينهما

۞ أولًا: انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر:

دلت النصوص على أن الذنوب منها كبائر، ومنها صغائر، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢][(١)]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**الصلاة الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهن، ما لم تغش الكبائر**»[(٢)]، ولهذا قال ابن القيم: «الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة، وإجماع السلف وبالاعتبار»[(٣)].

والكبائر درجتان:

الأولى: ما يخرج عن الملة، مثل الشرك الأكبر.

---

(١) وقد اختلف في تفسير اللَّمَم على ثلاثة أقوال، ذكرها ابن القيم، ثم قال: «والصحيح قول الجمهور أن اللَّمَم صغائر الذنوب، كالنظرة، والغمزة، والقُبلة، ونحو ذلك، هذا قول جمهور الصحابة ومن بعدهم» (مدارج السالكين ١/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٣٣).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٢١)، وانظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٣٣).

والثانية: ما لا يخرج عن الملة، مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر، وهذه الدرجة هي المقصودة عند الإطلاق.

عن أبي بكرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين** -وجلس وكان متكئًا، فقال: **ألا وقول الزور**»، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[١].

۞ ثانيًا: الفروق بين الكبائر والصغائر:

الفروق بين الكبائر والصغائر من وجوه، منها:

الأول: من حيث التعريف، فقد اختلفوا في تعريفهما على أقوال كثيرة، والراجح أن الكبيرة هي ما ثبت فيه حدٌّ في الدنيا أو وعيد خاص في الآخرة، والصغيرة بخلاف ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أمثل الأقوال في هذه المسألة القول المأثور عن ابن عباس[٢]، وذكره أبو عبيد، وأحمد بن حنبل وغيرهما، وهو: أن الصغيرة ما دون الحدَّين: حد الدنيا وحد الآخرة[٣]، وهو معنى قول من قال: ما ليس فيها حدٌّ في الدنيا، وهو معنى قول القائل: كل ذنب خُتم بلعنة أو غضب أو نار فهو من الكبائر. ومعنى قول القائل: وليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة، أي: وعيد خاص، كالوعيد بالنار والغضب واللعنة؛ وذلك لأن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا، فكما أنه يفرق في العقوبات المشروعة للناس بين العقوبات المقدرة بالقطع والقتل وجلد مائة أو ثمانين، وبين العقوبات التي

---

(١) أخرجه البخاري (ح٢٦٥٤)، ومسلم (ح٨٧).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (٢٢/ ٦٧).

(٣) **يعني:** والكبائر ما تعلق بها أحد الحدين. ومرادهم بالحدين عقوبة الدنيا والآخرة، فكل ذنب عليه عقوبة مشروعة محدودة في الدنيا، كالزنا وشرب الخمر، والسرقة والقذف، أو عليه وعيد في الآخرة، كأكل مال اليتيم، والشرب في آنية الفضة والذهب، وقتل الإنسان نفسه، وخيانته أمانته، ونحو ذلك، فهو من الكبائر.

ليست بمقدَّرة وهي التعزير، فكذلك يفرق في العقوبات التي يعزر الله بها العباد - في غير أمر العباد بها - بين العقوبات المقدرة، كالغضب واللعنة والنار، وبين العقوبات المطلقة. وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره؛ فإنه يدخل كل ما ثبت في النص أنه كبيرة، كالشرك والقتل والزنا والسحر وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وغير ذلك من الكبائر التي فيها عقوبات مقدرة مشروعة، وكالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين واليمين الغموس وشهادة الزور؛ فإن هذه الذنوب وأمثالها فيها وعيد خاص»[(١)].

وهذا ما رجحه أبو العباس القرطبي، فقال: «والصحيح -إن شاء الله تعالى- أن كل ذنب أطلق الشرع عليه أنه كبير، أو عظيم، أو أخبر بشدة العقاب عليه، أو علق عليه حدًّا، أو شدد النكير عليه وغلظه، وشهد بذلك كتاب الله أو سنة أو إجماع فهو كبيرة»[(٢)].

وقد رجحه أيضًا ابن أبي العز الحنفي، وقال: «**وترجيح هذا القول من وجوه:**

أحدها: أنه هو المأثور عن السلف، كابن عباس، وابن عيينة، وابن حنبل رضي الله عنهم وغيرهم.

الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]. فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أُوعد بغضب الله ولعنته وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مُكَفَّرة عنه باجتناب الكبائر.

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب، فهو حدٌّ متلقَّى من خطاب الشارع.

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر، بخلاف تلك

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٠-٦٥١).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (١/ ٢٨٤).

الأقوال»[(١)].

ورجحه أيضًا شيخنا محمد بن صالح العثيمين، فقال: «كل ما رتب عليه عقوبة خاصة، سواء كانت في الدنيا أو الآخرة، وسواء كانت بفوات محبوب أو بحصول مكروه»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وهذا الضابط ضابط حسن، وبه يمكن أن تميِّز بين الصغائر والكبائر، فما جاء مرتبًا عليه عقوبة خاصة فهو كبيرة، وما جاء منهيًّا عنه، أو ذكر فيه التحريم، أو كان لا ينبغي، أو ما أشبه ذلك؛ فهذه من صغائر الذنوب»[(٣)].

الثاني: من حيث العد، فقد اختلفوا في عدد الكبائر:

١- فقال ابن مسعود: هن أربع.

٢- وقال ابن عمر: هن سبع.

٣- وقال عبد الله بن عمرو: هن تسع.

٤- قال سعيد بن جبير: سأل رجل ابن عباس عن الكبائر أسبع هنَّ؟ قال: هنَّ إلى السبعمائة أقرب، وهذا على سبيل التكثير والمبالغة لا الحصر، ويدل على ذلك قوله: «كل شيء عصي الله به فهو كبيرة»، قال الإمام ابن أبي العز: «فإن من قال: سبع، أو سبع عشرة، أو إلى السبعين أقرب، مجرد دعوى»[(٤)]، فالصحيح ضبط الكبائر والصغائر بالحَدِّ لا بالعَدِّ، وقد سبق.

الثالث: من حيث الحكم، فالصغائر تكفرها الصلاة والصوم والوضوء والصدقة والتسبيح وما أشبه ذلك مما ورد عن النبي ﷺ، أما الكبائر فلا بد فيها من توبة.

الرابع: من حيث الأثر، وهو أن الكبائر تخرج فاعلها من دائرة العدالة إلى

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٢٦-٥٢٧).
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٠٥).
(٣) شرح العقيدة السفارينية (١/ ٥٠٦).
(٤) شرح الطحاوية (٢/ ٥٢٧).

دائرة الفسق، أي: أنه يكون فاسقًا بمجرد فعل الكبيرة ما لم يتب، والصغائر لا يخرج فاعلها من دائرة العدالة إلى دائرة الفسق إلا بالإصرار عليها[(١)].

إلا أنه ينبغي التنبيه على أنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار، ولذلك قال الإمام ابن أبي العز: «ولكن ثَمَّ أمر ينبغي التفطن له، وهو: أن الكبيرة قد يقترن بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يُلحقها بالصغائر، وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة بها ما يُلحقها بالكبائر، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل، والإنسان يعرف ذلك من نفسه وغيره»[(٢)].



(١) انظر: شرح العقيدة السفارينية (١/ ٥٠٦-٥٠٧).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٤٥١).



المبحث الثاني

الكبيرة

اسم مرتكبها في الدنيا وحكمه في الآخرة
عند أهل السنة والجماعة

۞ أولًا: اسم مرتكب الكبيرة في الدنيا[(١)]:

ضابط هذه المسألة: «أن يرتكب المؤمن كبيرة غير مكفَّرة بلا استحلال، ويموت بلا توبة»[(٢)].

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن مرتكب الكبيرة لا يسمى مؤمنًا بإطلاق، بل هو مسلم، أو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وله في الدنيا من الموالاة والمحبة بقدر ما معه من الإيمان، قال الحافظ ابن رجب: «اختلف العلماء في مرتكب الكبائر: هل يسمى مؤمنًا ناقص الإيمان، أم لا يسمى مؤمنًا؟ وإنما يقال: هو مسلم، وليس بمؤمن على

(١) وقد يسميه بعض الناس: **الفاسق الملِّي**، وهو «من له طاعاتٌ ومعاصٍ، وحسناتٌ وسيئاتٌ، ومعه من الإيمان ما لا يخلد معه في النار، وله من الكبائر ما يستوجب دخول النار» (مجموع الفتاوى ٧/ ٤٧٩).

وقال السفاريني: «هذه المسألة يترجمها بعض القوم بمسألة: **وعيد الفساق**، وبعضهم بمسألة: **عقوبة العصاة**، وبعضهم بمسألة: **انقطاع عذاب أهل الكبائر**» (لوامع الأنوار البهية ١/ ٣٨٩).

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٨٩).

قولين، وهما روايتان عن الإمام أحمد»[(١)].

وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى التفصيل، فقال: «أهل السنة والجماعة على أنه مؤمن ناقص الإيمان، ولولا ذلك لما عُذِّب، كما أنه ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين، وهل يطلق عليه اسم مؤمن؟ هذا فيه القولان، والصحيح التفصيل، فإذا سئل عن أحكام الدنيا كعتقه في الكفارة، قيل: هو مؤمن، وكذلك إذا سئل عن دخوله في خطاب المؤمنين، وأما إذا سئل عن حكمه في الآخرة، قيل: ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة، بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار، ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار إن لم يغفر الله له ذنوبه، ولهذا قال من قال: هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان»[(٢)].

ونبه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن خلاف أهل السنة في هذه المسألة خلاف لفظي[(٣)].

وقال: «كل أهل السنة متفقون على أنه [يعني: صاحب الكبيرة] قد سُلب كمال الإيمان الواجب، فزال بعض إيمانه الواجب، لكنه من أهل الوعيد»[(٤)].

وقال أيضًا: «والذين ينفون عن الفاسق اسم الإيمان من أهل السنة، متفقون على أنه لا يخلد في النار، فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطنًا وظاهرًا بما جاء به الرسول ﷺ وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد، وأنه يدخل النار منهم من أخبر الله ورسوله بدخوله إليها، ولا يخلد منهم فيها أحد، ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء، ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة، وقول غلاة المرجئة الذين يقولون: ما نعلم أن أحدًا منهم يدخل النار، بل

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٢٦).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٥٤-٣٥٥).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٤٢).
(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٥٨).

نقف في هذا كله، وحكي عن بعض غلاة المرجئة الجزم بالنفي العام»[(١)].

ومن الأدلة على بقاء اسم الإيمان لصاحب الكبيرة، وأنه لا يخرج من الإيمان بالكلية ما يلي:

من القرآن:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ١٧٨]، «فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخًا لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب»[(٢)].

٢- قوله سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩]، فوصفهم بالإيمان مع اقتتالهم، وهو من الكبائر.

٣- قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]؛ «فدل ذلك على أنه في حال إساءته؛ يعمل حسنات تمحو سيئاته»[(٣)].

ومن السنة:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**»[(٤)]؛ «فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه»[(٥)].

٢- قوله صلى الله عليه وسلم في السارق: «**لا تكونوا عونًا للشيطان على أخيكم**»[(٦)]، فجعله

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٧).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٤٤٢).
(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٤٤٢).
(٤) أخرجه البخاري (ح٢٤٤٩).
(٥) شرح الطحاوية (٢/ ٤٤٣).
(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٧/ ٢٣٢)، وحسنه محققوه بشواهده.

أخًا في الإسلام والإيمان مع أنه سارق.

٣- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «نفي الإيمان وكونه ليس من المؤمنين ليس المراد به ما يقوله المرجئة: إنه ليس من خيارنا؛ فإنه لو ترك ذلك لم يلزم أن يكون من خيارهم، وليس المراد به ما يقوله الخوارج: إنه صار كافرًا، ولا ما يقوله المعتزلة: من أنه لم يبق معه من الإيمان شيء، بل هو مستحق للخلود في النار لا يخرج منها، فهذه كلها أقوال باطلة... ولكن المؤمن المطلق في باب الوعد والوعيد -وهو المستحق لدخول الجنة بلا عقاب- هو المؤدي للفرائض المجتنب المحارم، وهؤلاء هم المؤمنون عند الإطلاق، فمن فعل هذه الكبائر لم يكن من هؤلاء المؤمنين؛ إذ هو متعرض للعقوبة على تلك الكبيرة»(٢).

كما دل على ذلك الإجماع، قال الإمام ابن أبي العز: «أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرًا ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج؛ إذ لو كفر كفرًا ينقل عن الملة لكان مرتدًّا يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر! وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام، ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة؛ فإن قولهم باطل أيضًا»(٣).

وقال: «نصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق

(١) أخرجه البخاري (ح٢٤٧٥)، ومسلم (ح٥٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٢-٦٥٣).
(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٤٤٢).

والقاذف لا يُقْتل، بل يقام عليه الحد، فدلَّ على أنه ليس بمرتد»[(١)].

۞ ثانيًا: حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة:

حكم صاحب الكبيرة في الآخرة أنه تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه على قدر ذنوبه، وإن شاء غفر له، والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، **ووجه الاستدلال:** «أنه قد قال: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾؛ فأثبت أن ما دون ذلك هو مغفور، لكن لمن يشاء، فلو كان لا يغفره لأحد بطل قوله: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، ولو كان يغفره لكل أحد بطل قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾، فلما أثبت أنه يغفر ما دون ذلك، وأن المغفرة هي لمن يشاء، دل ذلك على وقوع المغفرة العامة مما دون الشرك؛ لكنها لبعض الناس، وحينئذ فمن غفر له لم يعذب، ومن لم يغفر له عذب، وهذا مذهب الصحابة والسلف والأئمة، وهو القطع بأن بعض عصاة الأمة يدخل النار، وبعضهم يغفر له»[(٢)].

والدليل من السنة على أنه إن دخل النار لا يخلد حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض، وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فقال: «**ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر**»[(٣)].

وحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار**»، ثم يقول الله تعالى: «**أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان**»[(٤)].

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٤٤).
(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٩).
(٣) أخرجه البخاري (ح٥٨٢٧)، ومسلم (ح٩٤).
(٤) أخرجه البخاري (ح٢٢)، ومسلم (ح١٨٤).

وحديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال -وحوله عصابة من أصحابه-: «**بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**» فبايعناه على ذلك[(١)].

قال السفاريني: «أهل السنة لا يقطعون له [أي: صاحب الكبيرة] بالعقوبة ولا بالعفو، بل هو في مشيئة الله تعالى، وإنما يقطعون بعدم الخلود في النار بمقتضى ما سبق من وعده، وثبت بالدليل، خلافًا للمعتزلة في قولهم: نقطع له بالعذاب الدائم، والبقاء المخلَّد في النار، لكنه عندهم يعذب عذاب الفسَّاق لا عذاب الكفَّار، وأما الخوارج فعندهم أنه يعذب عذاب الكفَّار لكفره عندهم»[(٢)].

لكن يجب القطع بأن بعض عصاة الأمة يدخل النار ولا يخلَّد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «السلف والأئمة متفقون على ما تواترت به النصوص من أنه لا بد أن يدخل النار قوم من أهل القبلة ثم يخرجون منها، وأما من جزم بأنه لا يدخل النار أحد من أهل القبلة فهذا لا نعرفه قولًا لأحد»[(٣)].

وقال السفاريني: «ذكر بعض المحققين انعقاد الإجماع على أنه لا بد سمعًا من نفوذ الوعيد في طائفة من العصاة»[(٤)].

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري (ح١٨)، ومسلم (ح١٧٠٩).
(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٨٩).
(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠١-٥٠٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ١٩٦)، (٢٨/ ٥٧٨).
(٤) لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٨٩-٣٩٠).

۞ ثالثًا: هل الأعمال الصالحة تكفر الكبائر كما تكفر الصغائر؟ أم لا بد لها من توبة؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: أن الكبائر لا بد لها من توبة، وهو قول الجمهور، وحكى بعضهم الإجماع، قال ابن بطال: «وأما الكبائر فأهل السنة مجمعون على أنه لا بد فيها من التوبة والندم والإقلاع واعتقاد أن لا عودة فيها»(١).

واستدلوا بما يلي(٢):

١- قوله ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**»(٣)، قال ابن رجب: «وهذا يدل على أن الكبائر لا تكفرها هذه الفرائض»(٤)، بل لا بد من توبة نصوح.

٢- عن عثمان رضي الله عنه أنه دعا بطهور فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله**»(٥)، قال الإمام النووي: «قال القاضي عياض: هذا المذكور في الحديث من غفران الذنوب ما لم تؤت كبيرة هو مذهب أهل السنة، وأن الكبائر إنما تكفرها التوبة أو رحمة الله تعالى وفضله»(٦).

٣- أن الله أمر العباد بالتوبة، وجعل من لم يتب ظالمًا، واتفقت الأمة على أن التوبة فرض، والفرائض لا تؤدَّى إلا بنية وقصد، ولو كانت الكبائر تقع مكفرة بالوضوء والصلاة، وأداء بقية أركان الإسلام، لم يحتج إلى التوبة، وهذا باطل بالإجماع، فثبت أن الكبائر لا بد لها من توبة.

---

(١) شرح صحيح البخاري (٢/ ١٥٥).
(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٤٢٥).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٢٦).
(٥) أخرجه مسلم (ح٢٢٨).
(٦) شرح النووي على مسلم (٣/ ١١٢).

٤- لو كفرت الكبائر بفعل الفرائض، لم يبق لأحد ذنب يدخل به النار إذا أتى بالفرائض، وهذا يشبه قول المرجئة وهو باطل.

قال ابن عبد البر: «الصغائر تكفَّر بالصلوات الخمس لمن اجتنب الكبائر، فيكون على هذا معنى قول الله ﷻ: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١] الصغائر بالصلاة والصوم والحج وأداء الفرائض وأعمال البر، وإن لم تجتنبوا الكبائر ولم تتوبوا منها لم تنتفعوا بتكفير الصغائر إذا واقعتم الموبقات المهلكات، والله أعلم»[(١)].

وقال ابن العربي: «الخطايا المحكوم بمغفرتها هي الصغائر دون الكبائر؛ لقول النبي ﷺ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهنَّ ما اجتنبت الكبائر**»[(٢)]»[(٣)].

القول الثاني: أن الأعمال الصالحة تكفِّر الكبائر، وهو قول طائفة من أهل الحديث[(٤)]، وابن المنذر[(٥)]، وابن حزم[(٦)]، وابن تيمية[(٧)]، وابن القيم[(٨)]، واختاره الألباني[(٩)]، **ومن أدلتهم ما يلي:**

١- أنه قد جاء التصريح في كثير من الأحاديث بأن المغفرة قد تكون مع الكبائر[(١٠)]، فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني آت من ربي، فأخبرني** -أو قال: **بشرني**- **أنه: من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة**»

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٤/ ٤٨).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) عارضة الأحوذي (١/ ١٠).
(٤) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٤٢٨-٤٢٩).
(٥) انظر: الإشراف على مذاهب العلماء (٣/ ١٧٢).
(٦) انظر: المحلى (٨/ ٤٧٢).
(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٩٠).
(٨) انظر: إعلام الموقعين (٢/ ٣٩٩).
(٩) انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٦٤).
(١٠) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٩٠).

قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**»[(١)]، وقوله ﷺ: «**من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غُفِر له وإن كان فَرَّ من الزحف**»[(٢)].

٢- أن قوله ﷺ لأهل بدر ونحوهم: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[(٣)] إن حمل على الصغائر أو على المغفرة مع التوبة؛ لم يكن فرق بينهم وبين غيرهم، فكما لا يجوز حمل الحديث على الكفر؛ لما قد عُلِم أن الكفر لا يغفر إلا بالتوبة؛ لا يجوز حمله على مجرد الصغائر المكَفَّرة باجتناب الكبائر[(٤)].

٣- أن اشتراط اجتناب الكبائر لتكفير الصغائر جاء في الفرائض، كالصلوات الخمس والجمعة وصيام شهر رمضان وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١]، فالفرائض مع ترك الكبائر مقتضية لتكفير السيئات، وأما الأعمال الزائدة من التطوعات فلا بد أن يكون لها ثواب آخر؛ فإن الله سبحانه يقول: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨][(٥)].

ولعل الراجح الذي تدل عليه النصوص أن الكبائر لا يكفرها إلا التوبة، كما هو نص حديث رسول الله ﷺ بقوله: «**ما اجتنبت الكبائر**»، وكما دل على ذلك الإجماع الذي نقله بعضهم، وما ورد من ترتيب غفران الذنوب جميعها على فعل بعض الطاعات فهو مطلق مقيد بقوله ﷺ: «**ما اجتنبت الكبائر**»، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٢٣٧)، ومسلم (ح٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود (ح١٥٣٧)، والترمذي (ح٣٥٧٧)، وقال المنذري: «إسناده جيد متصل» (الترغيب والترهيب للمنذري ٢/ ٤٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (ح٣٠٠٧)، ومسلم (ح٢٤٩٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٩٠).

(٥) المصدر السابق.



المبحث الثالث

الأسباب التي تسقط العقوبة عن العبد في الآخرة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**قد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب:**

أحدها: التوبة، وهذا متفق عليه بين المسلمين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

الثاني: الاستغفار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل، قال: «**أذنب عبد ذنبًا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي ربِّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي ربِّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك**»(١).

الثالث: الحسنات الماحية(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤].

(١) أخرجه مسلم (ح٢٧٥٨).

(٢) وهي مكفرة للصغائر فقط على الراجح، أما الكبائر فلا بد لها من توبة، كما مرَّ.

الرابع: دعاء المؤمنين للمؤمن مثل صلاتهم على جنازته، عن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلا، لا يشركون بالله شيئًا، إلا شفَّعهم الله فيه**»[(١)]. وهذا دعاء له بعد الموت، فلا يجوز أن تحمل المغفرة على المؤمن التقي، الذي اجتنب الكبائر وكفرت عنه الصغائر وحده؛ فإن ذلك مغفور له عند المتنازعين، فعلم أن هذا الدعاء من أسباب المغفرة للميت.

الخامس: ما يعمل للميت من أعمال البر، كالصدقة ونحوها؛ فإن هذا ينتفع به بنصوص السنة الصحيحة الصريحة واتفاق الأئمة وكذلك العتق والحج.

السادس: شفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة، كما تواترت بذلك الأحاديث.

السابع: المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا، عن أبي سعيد، وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «**ما يصيب المؤمن من وَصَب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن حتى الهم يهمه، إلا كفر به من سيئاته**»[(٢)].

الثامن: ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة؛ فإن هذا مما يكفر به الخطايا.

التاسع: أهوال يوم القيامة وكُرَبها وشدائدها.

العاشر: رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد»[(٣)].



(١) أخرجه مسلم (ح٩٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح٥٦٤١)، ومسلم (ح٢٥٧٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨٧-٥٠١) مختصرًا، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤٥١-٤٥٥).



المبحث الرابع

المقصود بأهل القبلة

المقصود بأهل القبلة: هم الذين يستقبلون الكعبة في صلاتهم، والأصل في هذه التسمية حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا؛ فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته**»(١).

يقول الإمام ابن أبي العز في بيان المراد بأهل القبلة: «من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي، ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ»(٢)، فيدخل في اسم (أهل القبلة) أهل الابتداع ممن لم تخرجه بدعته عن الإسلام، ويدخل فيه أهل النفاق؛ لأنهم في الظاهر يستقبلون قبلتنا وإن كانوا في الباطن ليسوا من المسلمين.

يقول شيخنا عبد الرحمن البراك: «أهل القبلة: هم الذين يستقبلون الكعبة في صلاتهم، فنسمي كل من يستقبل الكعبة: (مسلمين)، فجميع الفرق الإسلامية يسمون أهل القبلة؛ لأن القبلة تجمع المسلمين، وليس فيها خلاف بينهم»(٣).

وهل يدخل فيه من يستقبل قبلتنا من الروافض وسائر فرقهم ممن يتلبسون

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٩١).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٤٢٦-٤٢٧).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٠٧).

بمظاهر الشرك والوثنية ومقالات الكفر والضلال؟ فهل يقال بأنهم من أهل القبلة لأنهم يستقبلون قبلتنا؟ أو يقال بأنهم ليسوا من أهل القبلة باعتبار أنهم جاؤوا بما ينقضها؟

والجواب: أن من كانت بدعته بدعة مكفِّرة كالشرك بالله ﷻ، أو تأليه عليّ ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو تكفير الصحابة، أو القول بتحريف القرآن ونقصانه، ونحو ذلك وأظهر ذلك فليس من أهل قبلتنا، وإن أخفاها فحكمه حكم المنافقين يقبل ظاهره وأمره إلى الله، ومن كانت بدعته غير مكفرة فحكمه حكم أهل القبلة ظاهرًا وباطنًا؛ لأنه لا يخرج بهذه البدعة عن الإسلام، وإن نقص إسلامه بقدر بدعته، كما ينقص الإيمان بالمعصية، والله أعلم.

قال شيخنا عبد الرحمن البراك: «يدخل المنافقون في أهل القبلة ظاهرًا؛ لأنهم يظهرون الإسلام، وغلاة الرافضة هم في الحقيقة كفار أكفرُ من اليهود والنصارى، لكنهم يستترون بكفرهم فهم منافقون، فيدخلون في أهل القبلة باعتبار ما يظهرونه من الإقرار بالشهادتين وسائر شرائع الإسلام، ومن أظهر منهم مذهبه كتأليه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو أحدٍ من أولاده، أو الحاكم العبيدي كان مرتدًّا خارجًا من ملة الإسلام، وخارجًا من دائرة أهل القبلة، والعلويون يراد بهم في هذا العصر النصيرية وهم من غلاة الشيعة، واندراجهم في أهل القبلة باعتبار ما يدعونه من الإسلام كما تقدم، ومن أظهر منهم ما يبطنه من الكفر فهو كافر ظاهرًا وباطنًا يجرى عليه حكم المرتدين عن الإسلام»(١).



(١) انظر فتوى الشيخ عبد الرحمن البراك على هذا الرابط:
https://ar.islamway.net/fatwa/.



المبحث الخامس

حكم الشهادة لمعيَّن من أهل القبلة بالجنة أو النار

لأهل السنة في الشهادة لِمُعَيَّن بالجنة ثلاثة أقوال:

الأول: منهم من لا يشهد بالجنة لأحد إلا للأنبياء، وهذا قول محمد بن الحنفية والأوزاعي.

الثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نصٌّ، وهذا قول كثير من أهل الحديث.

الثالث: يشهد بالجنة لهؤلاء، ولمن شهد له المؤمنون، كما قال النبي ﷺ: «**أنتم شهداء الله في الأرض**»(١)(٢).

و«القول الثاني هو أصحها، فمن شهد له الرسول ﷺ شهدنا له بالجنة، كالعشرة المبشرين بالجنة، وثابت بن قيس بن شماس، والحسن والحسين -رضوان الله عليهم- ومن شهد له الرسول ﷺ من الجماعات؛ كأهل بيعة الرضوان نشهد بأن جميعهم في الجنة»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٣٦٧)، ومسلم (ح٩٤٩).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٩٥)، شرح الطحاوية (٢/ ٥٣٨).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، للبراك (ص٢١٩).

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «لا نقول عن أحد معيَّن من أهل القبلة إنه من أهل الجنة أو من أهل النار، إلا من أخبر الصادق ﷺ أنه من أهل الجنة كالعشرة رضي الله عنهم. وإن كنا نقول: إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من يشاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا نقف في الشخص المُعيَّن، فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم، لأن حقيقته باطنة، وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء»(١).

وكذا لا يجوز أن نشهد لشخص معين بالنار إلا بدليل من الكتاب والسنة كأبي لهب وامرأته، كما قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ [سورة المسد]، ومثل عمرو بن لحي الخزاعي، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبا بني كعب هؤلاء، يجر قصبه في النار**»(٢).

أما الشهادة العامة فهي جائزة بالإجماع، وهي الشهادة لعموم المؤمنين بالجنة دون تعيين شخص بعينه، ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧﴾ [الكهف: ١٠٧](٣)، وكذلك الشهادة لعموم الكافرين بالنار دون تخصيص شخص بعينه، لعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ٥٦].



(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٣٧-٥٣٨).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٨٥٦).
(٣) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٤/ ٣١٠).



المبحث السادس

حكم امتحان مجهول الحال من المسلمين أو التشكيك في إسلامه

لا يجوز امتحان مجهول الحال من المسلمين أو التشكيك في إسلامه؛ «لأنَّا قد أمرنا بالحكم بالظاهر، ونهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم»(١)، قال الإمام النووي: «باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى»(٢)(٣).

وكان كل نبي يدعو قومه بقوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الأعراف: ٥٩] ولم يمتحنهم في إيمانهم بعد ذلك، ولم يعرف عن النبي ﷺ أنه أمر بامتحان الناس بعد دخولهم في الإسلام ونطقهم الشهادتين.

قال الإمام الحافظ إبراهيم بن الحسين المعروف بابن ديزيل: «الامتحان دين الخوارج»(٤).

وقال البربهاري: «المحنة في الإسلام بدعة»(٥).

أما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠]؛ فإن المراد

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٣٩).
(٢) رياض الصالحين (ص١٥١).
(٣) وسيأتي بيان ذلك مفصَّلًا بأدلته عند الكلام على ضوابط التكفير.
(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٩).
(٥) شرح السنة (ص١٢٣).

بامتحانهن هو أن يشهدن أن لا إله إلا الله، تأكيدًا لإسلامهن وإيمانهن عند البيعة، قال ابن عباس، قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ﴾ إلى قوله: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠]، كان امتحانهنَّ أن يشهدن أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله»(١).

وقد يحتاج إلى الامتحان في مسائل خاصة ليست في الامتحان على الإسلام، كاختيار الصحبة، أو الاختيار للولاية ونحوها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المؤمن محتاج إلى امتحان من يريد أن يصاحبه ويقارنه بنكاح وغيره، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ...﴾ الآية»(٢). وقال أيضًا: «فإذا أراد الإنسان أن يصاحب المؤمن، أو أراد المؤمن أن يصاحب أحدًا وقد ذكر عنه الفجور وقيل: إنه تاب منه، أو كان ذلك مقولًا عنه سواء كان ذلك القول صدقًا أو كذبًا، فإنه يمتحنه بما يظهر به بره أو فجوره وصدقه أو كذبه، وكذلك إذا أراد أن يولي أحدًا ولاية امتحنه، كما أمر عمر بن عبد العزيز غلامه أن يمتحن ابن أبي موسى لما أعجبه سَمْته، فقال له: قد علمت مكاني عند أمير المؤمنين فكم تعطيني إذا أشرت عليه بولايتك؟ فبذل له مالًا عظيمًا، فعلم عمر أنه ليس ممن يصلح للولاية، وكذلك في المعاملات... ومعرفة أحوال الناس تارة تكون بشهادات الناس، وتارة تكون بالجرح والتعديل، وتارة تكون بالاختبار والامتحان»(٣).

وأما حديث معاوية بن الحكم السلمي لما أراد عتق الجارية التي لطمها، قال: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتني بها**» فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها، فإنها مؤمنة**»(٤)، فهو قضية عين؛ ولذا لم ينقل عنه ﷺ الامتحان في كل حالة عتق.

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٦-٥٧٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٢٨).
(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٢٩-٣٣٠).
(٤) أخرجه مسلم (ح٥٣٧).



المبحث السابع

حكم الصلاة خلف مستور الحال، والمبتدع والفاسق، وأئمة الجور

حكم الصلاة خلف مستور الحال:

«إن كان الإمام مستورًا لم يظهر منه بدعة ولا فجور صُلِّي خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين، ولم يقل أحد من الأئمة إنه لا تجوز الصلاة إلا خلف من علم باطن أمره، بل ما زال المسلمون من بعد نبيهم يصلون خلف المسلم المستور»[(١)]، قال الإمام ابن أبي العز: «اعلم -رحمك الله وإيانا: أنه يجوز للرجل أن يصلي خلف من لم يَعْلَم منه بدعة ولا فسقًا، باتفاق الأئمة، وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه، فيقول: ماذا تعتقد؟! بل يصلي خلف المستور الحال الصلاة خلف مستور الحال»[(٢)].

حكم الصلاة خلف المبتدع والفاسق:

«إذا ظهر من المصلي بدعة أو فجور، وأمكن الصلاة خلف من يعلم أنه مبتدع أو فاسق مع إمكان الصلاة خلف غيره؛ فأكثر أهل العلم يصححون صلاة المأموم، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة، وهو أحد القولين في

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٠).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٥٣١).

مذهب مالك وأحمد، وأما إذا لم يمكن الصلاة إلا خلف المبتدع أو الفاجر كالجمعة التي إمامها مبتدع أو فاجر، وليس هناك جمعة أخرى، فهذه تصلى خلف المبتدع والفاجر عند عامة أهل السنة والجماعة، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة أهل السنة بلا خلاف عندهم»[(١)].

قال الإمام ابن أبي العز: «لو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق، وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه، كإمام الجمعة والعيدين، والإمام في صلاة الحج بعرفة، ونحو ذلك فإن المأموم يصلي خلفه، عند عامة السلف والخلف، ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر، فهو مبتدع عند أكثر العلماء، والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها»[(٢)].

حكم الصلاة خلف أئمة الجَوْر:

الصلاة خلف أئمة الجور جائزة؛ «فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون، كما كان عبد الله بن عمر يصلي خلف الحجَّاج بن يوسف[(٣)]، وكذلك أنس رضي الله عنه، وكذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرب الخمر، حتى إنه صلى بهم الصبح مرة أربعًا، ثم قال: أزيدكم؟! فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة!![(٤)]، وفي الصحيح: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٠).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٥٣١-٥٣٢).

(٣) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣٧٨) عن عمير بن هانئ، قال: «شهدت ابن عمر والحجاج محاصرٌ ابنَ الزبير، فكان منزل ابن عمر بينهما، فكان ربما حضر الصلاة مع هؤلاء، وربما حضر الصلاة مع هؤلاء». قال الشيخ الألباني: «وهذا سند صحيح على شرط الستة» (إرواء الغليل ٢/ ٣٠٣).

(٤) أخرج مسلم في صحيحه (ح١٧٠٧) عن حضين بن المنذر، قال: شهدت عثمان بن عفان وأتي بالوليد [هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط] قد صلى الصبح ركعتين، ثم قال: أزيدكم؟! فشهد =

لما حُصِر صلى بالناس شخص، فسأل سائل عثمان: إنك إمام عامة، وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنة؟ فقال: يا بن أخي، إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم[1]»[2].



= عليه رجلان أحدهما: حمران أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقيأ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: «**يا علي، قم فاجلده**...» الحديث.

(١) أخرجه البخاري (ح٦٩٥).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٥٣٢-٥٣٣)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٥١) وما بعدها.



المبحث الثامن

مشروعية امتناع ولي الأمر ونحوه عن الصلاة على بعض أهل الفسق والبدع لمصلحة راجحة

يشرع لولاة الأمور ألا يصلوا على أهل الفسق والبدع لينزجر من يتشبه بطريقتهم؛ وذلك لعموم قوله ﷺ: «**صلُّوا على صاحبكم**»(١)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من كان مبتدعًا ظاهر البدعة وجب الإنكار عليه، ومن الإنكار المشروع أن يهجر حتى يتوب، ومن الهجر امتناع أهل الدين من الصلاة عليه لينزجر من يتشبه بطريقته ويدعو إليه، وقد أمر بمثل هذا مالك بن أنس وأحمد بن حنبل وغيرهما من الأئمة»(٢).

وقال أيضًا: «وأما إذا أظهر الرجل المنكرات وجب الإنكار عليه علانية، ولم يبق له غيبة، ووجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره، فلا يُسلَّم عليه ولا يرد عليه السلام إذا كان الفاعل لذلك متمكنًا من ذلك من غير مفسدة راجحة، وينبغي لأهل الخير والدين أن يهجروه ميتًا كما هجروه حيًّا إذا كان في ذلك كف لأمثاله من المجرمين، فيتركون تشييع جنازته، كما ترك النبي ﷺ الصلاة على غير واحد من أهل الجرائم، وكما قيل لسمرة بن جندب: إن ابنك مات(٣) البارحة، فقال: لو مات لم أصلِّ عليه، يعني: لأنه

(١) أخرجه البخاري (ح٢٢٨٩)، ومسلم (ح١٦١٩). (٢) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٩٢).
(٣) قال مُعِدُّ الكتاب للشاملة: «كذا في المطبوعة، والصحيح (بَشِمَ)؛ أي: أصابته تخمة حتى =

أعان على قتل نفسه فيكون كقاتل نفسه، وقد ترك النبي ﷺ الصلاة على قاتل نفسه»[(١)]، ولكن ليعلم بأنه «إذا ترك الإمام أو أهل العلم والدين الصلاة على بعض المتظاهرين ببدعة أو فجور زجرًا عنها؛ لم يكن ذلك محرِّمًا للصلاة عليه والاستغفار له، بل قال النبي ﷺ فيمن كان يمتنع عن الصلاة عليه وهو الغالُّ وقاتل نفسه والمدين الذي لا وفاء له: «**صلوا على صاحبكم**»[(٢)]، وروي أنه كان يستغفر للرجل في الباطن، وإن كان في الظاهر يدع ذلك زجرًا عن مثل مذهبه، كما روي في حديث محلّم بن جثَّامة[(٣)]»[(٤)].



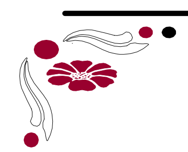
= كاد يموت».

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢١٧-٢١٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر الحديث بطوله في: مسند الإمام أحمد (٣٤/ ٥٥٨)، وقال محققوه: «إسناده ضعيف».

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٢١٧).



ملخص الفصل الثالث

❊ تنقسم الذنوب إلى كبائر وصغائر، والكبائر درجتان: **الأولى:** ما يخرج عن الملة، مثل الشرك الأكبر. **والثانية:** ما لا يخرج عن الملة، مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر، وهذه الدرجة هي المقصودة عند الإطلاق.

❊ للعلماء أقوال في تحديد ضابط الكبائر والصغائر؛ أصحُّها أن الكبيرة ما ثبت فيه حد في الدنيا أو وعيد خاص في الآخرة، والصغيرة بخلاف ذلك.

❊ مرتكب الكبيرة لا يسمى مؤمنًا بإطلاق، بل هو مسلم، أو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وله في الدنيا من الموالاة والمحبة بقدر ما معه من الإيمان. خلافًا للخوارج والمعتزلة، حيث تسميه الخوارج كافرًا، وتجعله المعتزلة في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر.

❊ يعتقد أهل السنة أن حكم صاحب الكبيرة في الآخرة- إذا مات من غير توبة- تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه على قدر ذنوبه، وإن شاء غفر له، خلافًا للمعتزلة والخوارج الذين يقطعون بتخليده في النار.

❊ الكبائر لا يكفِّرها إلا التوبة، وهذا على القول الراجح، والمسألة فيها خلاف بين أهل السنة.

❊ **تسقط العقوبة عن العبد في الآخرة بنحو عشرة أسباب:** **(١)** التوبة. **(٢)** الاستغفار. **(٣)** الحسنات الماحية. **(٤)** دعاء المؤمنين للمؤمن. **(٥)** ما يعمل للميت من أعمال البر، كالصدقة ونحوها. **(٦)** شفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة. **(٧)** المصائب المكفرة. **(٨)** ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة. **(٩)** أهوال يوم القيامة وكربها. **(١٠)** رحمة الله وعفوه ومغفرته.

❋ **المقصود بأهل القبلة:** كل من صلى صلاة المسلمين، واستقبل قبلتهم، وأكل ذبيحتهم، بما في ذلك أهل البدع والمعاصي غير الكفرية.

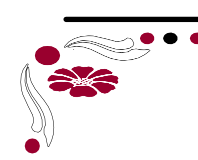
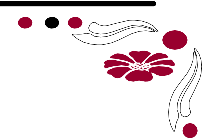
❋ أهل السنة في حكم الشهادة لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار **على ثلاثة أقوال:** **(١)** لا يشهد بالجنة لأحد إلا للأنبياء، **(٢)** أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نص، وهو الصواب، **(٣)** يشهد بالجنة لهؤلاء، ولمن شهد له المؤمنون. وأما الشهادة العامة لعموم المؤمنين بالجنة دون تعيين شخص بعينه، فهي جائزة بالإجماع.

❋ لا يجوز امتحان مجهول الحال من المسلمين أو التشكيك في إسلامه؛ فلم يعرف عن النبي ﷺ أنه أمر بامتحان الناس بعد دخولهم في الإسلام ونطقهم الشهادتين وهذا هو الأصل، لكن قد يحتاج إلى الامتحان في مسائل خاصة ليست في الامتحان على الإسلام، كاختيار الصحبة، أو الاختيار للولاية ونحوها، وهذا لا بأس به.

❋ الصلاة خلف مستور الحال جائزة باتفاق، وأما الفاسق والمبتدع ففيها تفصيل.

❋ يشرع لولاة الأمور ألَّا يصلوا على أهل الفسق والبدع؛ لينزجر من يتشبه بطريقتهم.



أسئلة تطبيقية

س١- اذكر أقسام الذنوب والفرق بينها.

س٢- ماذا يسمي أهل السنة فاعل الكبيرة؟ وما حكمه عندهم في الآخرة؟

س٣- اذكر الأسباب التي يمكن أن تسقط العقوبة عن العبد- بعد رحمة الله- في الآخرة.

س٤- من هم أهل القبلة؟

س٥- هل تجوز الشهادة لمعيَّن من أهل القبلة بالجنة أو النار؟

س٦- وضح كلام العلماء في حكم امتحان مجهول الحال من المسلمين.

س٧- بيّن حكم الصلاة خلف هؤلاء:

❋ مستور الحال.

❋ الفاسق والمبتدع.

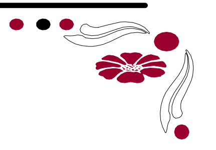
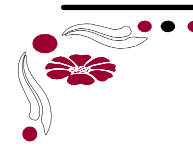




الفصل الرابع

نواقض الإيمان ونواقصه

(الكفر، النفاق، البدعة)

الفصل الرابع

❁ **ويشتمل على ما يلي:**

١- الكفر؛ تعريفه، وأنواعه، وضابط كل نوع، وأدلته.

٢- حكم من ترك شيئًا من أركان الإسلام.

٣- التكفير؛ تعريفه، وضوابطه، وشروطه، وموانعه، وخطورة تكفير المسلم بلا علم.

٤- الفرق بين التكفير المطلق وتكفير المعين.

٥- وجه إطلاق الكفر في النصوص الشرعية على بعض الذنوب.

٦- الوقوف على بعض صور الكفر، والتمييز بين ما يحكم فيه بالكفر من عدمه.

٧- النفاق؛ تعريفه، وأنواعه، وحكم كل نوع، مع الأدلة.

٨- البدعة؛ تعريفها، وأنواعها، وأحكامها، وأسباب الابتداع وأضراره.





المبحث الأول

الكفر

تعريفه، وأنواعه، وضابط كل نوع، وأدلته

أولًا: الكفر لغة:

الكفر في اللغة: الستر والتغطية، قال ابن فارس: «الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنًى واحدٍ، وهو الستر والتغطية»[(١)].

وقال ابن منظور: «أصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه، وقال الليث: يقال: إنما سمي الكافر كافرًا؛ لأن الكفر غطَّى قلبه كله»[(٢)].

«قال الليث: الكُفر: نقيض الإيمان»[(٣)]، «والكُفر أيضًا: جحود النعمة، وهو ضد الشكر»[(٤)].

ثانيًا: الكفر شرعًا:

حقيقة الكفر شرعًا على سبيل الإجمال هو «عدم الإيمان»[(٥)]، وإذا كان الكفر

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٩١).

(٢) لسان العرب (٥/ ١٤٥)، وانظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ١٣)، غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٤٧)، جمهرة اللغة (٢/ ٧٨٦)، الصحاح (٢/ ٨٠٧-٨٠٨)، وراجع معاني الكفر في القرآن في: نزهة الأعين النواظر (ص٥١٦-٥١٧).

(٣) تهذيب اللغة (١٠/ ١٩٣).

(٤) الصحاح (٢/ ٨٠٧).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٨٦).

هو عدم الإيمان؛ فإن معرفة حقيقة الكفر فرع عن معرفة حقيقة الإيمان، والإيمان قول وعمل واعتقاد، فكذلك الكفر منه ما هو كفر اعتقاد، كاعتقاد شريك مع الله في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته، ومنه ما هو كفر قول، كالذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، أو المسيح ابن الله، ومنه ما هو كفر عمل، كالسجود لصنم، وإلقاء المصحف في القاذورات، أو كفر شك كمن يشك في صدق الرسول ﷺ، أو كفر ترك كمن يترك متابعة الرسول ﷺ وإن علم صدقه، فهو كل قول أو فعل أو اعتقاد أو شك أو ترك دل الدليل على أنه كفر[(١)].

ولأهل العلم عبارات متنوعة في تعريفه بحسب أجناس الكفر وأنواعه[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الكفر: عدم الإيمان؛ باتفاق المسلمين سواء اعتقد نقيضه وتكلم به، أو لم يعتقد شيئًا ولم يتكلم، ولا فرق في ذلك بين مذهب أهل السنة والجماعة الذين يجعلون الإيمان قولًا وعملًا بالباطن والظاهر؛ وقول من يجعله نفس اعتقاد القلب كقول الجهمية وأكثر الأشعرية، أو إقرار اللسان كقول الكرامية؛ أو جميعها كقول فقهاء المرجئة وبعض الأشعرية؛ فإن هؤلاء -مع أهل الحديث وجمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنبلية، وعامة الصوفية، وطوائف من أهل الكلام من متكلمي السنة، وغير متكلمي السنة من المعتزلة والخوارج وغيرهم- متفقون على أن من لم يؤمن بعد قيام الحجة عليه بالرسالة فهو كافر سواء كان مكذبًا؛ أو مرتابًا، أو معرضًا، أو مستكبرًا، أو مترددًا، أو غير ذلك»[(٣)].

ويرى الإمام ابن القيم أن ذلك كله يرجع إلى أصل واحد، وهو الجحود،

---

(١) انظر: حاشية الروض المربع (٧/ ٣٩٩).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٥١)، وراجع بعض تعريفات العلماء للكفر في: المفردات في غريب القرآن (ص٧١٤-٧١٥)، الفروق للقرافي (٤/ ١١٥)، الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم (١/ ٤٩)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١١٨-١١٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٨٦-٨٧).

فيقول: «الكفر جَحد ما عُلم أن الرسول جاء به، سواء كان من المسائل التي تسمونها علمية أو عملية، فمن جحد ما جاء به الرسول ﷺ بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر في دِقِّ الدين وجِلِّه»[(١)].

ويوافقه في ذلك العلامة عبد الرحمن السعدي، فيقول: «وحدُّ الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده، هو جحد ما جاء به الرسول ﷺ، أو جحد بعضه»[(٢)].

ومثله العلامة ابن باز، الذي قال: «الكفر جحد الحق وستره، كالذي يجحد وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة أو وجوب صوم رمضان أو وجوب الحج مع الاستطاعة أو وجوب بر الوالدين ونحو هذا، وكالذي يجحد تحريم الزنا أو تحريم شرب المسكر أو تحريم عقوق الوالدين أو نحو ذلك»[(٣)].

ويضيف الشيخ حافظ الحكمي أصلًا آخر إلى الجحود، وهو العناد المستلزم للاستكبار، فيقول: «الكفر أصله الجحود والعناد المستلزم للاستكبار والعصيان»[(٤)].

وقريب من ذلك ما قرره شيخنا ابن عثيمين في قوله: «الكفر مداره على أمرين: الجحود، والاستكبار؛ أي: الاستكبار عن طاعته، أو الجحود لما يجب قبوله وتصديقه»[(٥)].

لكن لا ريب أنه قد يكفر ولو لم يجحد؛ ذلك أن الجحود أحد أسباب الكفر، وقد يكفر بغيره، كالاستكبار والاستهزاء والعناد والإعراض ونحو ذلك، كما سيأتي في أنواع الكفر، لكنهم يرجعون ذلك إلى الجحود، أو

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٥٩٦).

(٢) الإرشاد إلى معرفة الأحكام، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٢/ ٥٥٦).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٩/ ١٧٤-١٧٥). (٤) أعلام السنة المنشورة (ص٩٦).

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٤٧٩-٤٨٠).

الجحود والعناد، أو الجحود والاستكبار.

وهذه التعاريف كلها المقصود بها الكفر الأكبر المخرج من الملة، وهو المراد عند الإطلاق.

ثالثًا: أنواع الكفر:

قال ابن القيم: «فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار.

والأصغر: موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، كما في قوله تعالى - وكان مما يتلى فنسخ لفظه: «**لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم**»، وقوله ﷺ في الحديث: «**اثنتان في أمتي، هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة**»[١]، وقوله في السنن: «**من أتى امرأة في دُبرها فقد كفر بما أنزل على محمد**»[٢]، وفي الحديث الآخر: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل الله على محمد**»[٣]، وقوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٤]»[٥].

رابعًا: ضوابط التمييز بين الكفر الأكبر والأصغر:

من ضوابط التمييز بين الكفر الأكبر والأصغر في النصوص ما يلي:

١- لفظ (الكفر) إن ورد في النصوص معرفًا بـ(أل) فهو الأكبر، وإن ورد منكَّرًا فهو الأصغر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فرقٌ بين الكفر المعرَّف باللام كما في قوله ﷺ: «**ليس بين العبد وبين الكفر - أو الشرك - إلا ترك**

(١) أخرجه مسلم (ح٦٧)، بلفظ: «**اثنتان في الناس...**».

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٥/ ١٦٤)، والترمذي (ح١٣٥) ونقل تضعيف الإمام البخاري له، وابن ماجه (ح٦٣٩)، وصححه الألباني (إرواء الغليل ح٢٠٠٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٥/ ٣٣١)، وحسنه محققوه.

(٤) أخرجه البخاري (ح١٢١)، ومسلم (ح٦٥).

(٥) مدارج السالكين (١/ ٣٤٣-٣٤٤).

الصلاة»[(١)]، وبين كفر منكَّرٍ في الإثبات[(٢)]، وفرق أيضًا بين معنى الاسم المطلق إذا قيل: كافر أو مؤمن، وبين المعنى المطلق للاسم في جميع موارده، كما في قوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(٣)]، فقوله: «**يضرب بعضكم رقاب بعض**» تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يسمون كفارًا تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر، ومؤمن»[(٤)].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين: «قوله ﷺ: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر**»[(٥)] أي: ليس الكفر المخرج عن الملة، وإلا لقال: هما بهم الكفر، بل هما نوع من الكفر، لكن في ترك الصلاة قال: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[(٦)]، فقال: (الكفر)؛ فيجب أن نعرف الفرق بين (أل) المعرِّفة أو الدالة على الاستغراق، وبين خلو اللفظ منها، فإذا قيل: هذا كفر؛ فالمراد أنه نوع من الكفر لا يخرج من الملة، وإذا قيل: هذا الكفر؛ فهو المخرج من الملة»[(٧)].

٢- فهم الصحابة من النص أن المراد به الكفر الأكبر أو الأصغر، ومثاله: قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]: «إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفرًا

---

(١) أخرجه النسائي (ح٤٦٤)، وابن ماجه (ح١٠٨٠)، وضعفه البوصيري في الزوائد (١/ ١٢٨)، وهو عند مسلم (ح٨٢)، بلفظ: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»، والمراد هنا الكفر الأكبر.

(٢) ومثاله: قوله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**» أخرجه البخاري (ح٤٨)، ومسلم (ح٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (ح١٢١)، ومسلم (ح١١٨).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٧-٢٣٨)، وانظر: الإيمان للقاسم بن سلام (ص٨٩-٩٠).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٧٤).

ينقل عن الملة، كفر دون كفر»[(١)].

٣- دلالة السياق على أن المراد به الكفر الأصغر، ومثاله: حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب**»[(٢)]، وجاء بيان حقيقة هذا الكفر وأنه أصغر لا يخرج من الملة في رواية مسلم، عن ابن عباس مرفوعًا: «**أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا**»[(٣)]، فمقابلة الكفر بالشكر يدل على أن المراد بالكفر هنا: الأصغر، لا الأكبر.

٤- دلالة نصوص أخرى على أنه من الكفر الأصغر، مثاله قوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(٤)]، فالمراد هنا الكفر الأصغر، بدلالة نصوص أخرى كقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فأثبت وصف الإيمان لهما مع وجود الاقتتال[(٥)].

خامسًا: أنواع الكفر الأكبر:

قال ابن القيم: «وأما الكفر الأكبر، فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق.

١- **فأما كفر التكذيب:** فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٢)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٨)، وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦/ ١١٣).
(٢) أخرجه البخاري (ح١٠٣٨)، ومسلم (ح٧١).
(٣) أخرجه مسلم (ح٧٣).
(٤) أخرجه البخاري (ح١٢١)، ومسلم (ح٦٥).
(٥) انظر: ضوابط التكفير، د. عبد الله القرني (ص١٩٦).

الكفار، فإن الله تعالى أيَّد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المعذرة، قال الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل: ١٤]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضًا فصحيح؛ إذ هو تكذيب باللسان.

٢- وأما كفر الإباء والاستكبار، فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم يَنْقَد له إباءً واستكبارًا، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧]، وقول الأمم لرسلهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾ [الشمس: ١١]، وهو كفر اليهود كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وهو كفر أبي طالب أيضًا، فإنه صدقه ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحمية، وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم، ويشهد عليهم بالكفر.

٣- وأما كفر الإعراض، فأن يُعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة، كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي ﷺ: والله أقول لك كلمة، إن كنت صادقًا، فأنت أجلُّ في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبًا، فأنت أحقر من أن أكلمك.

٤- وأما كفر الشك، فإنه لا يجزم بصدقه ولا بكذبه، بل يشك في أمره، وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها، وأما مع التفاته إليها، ونظره فيها فإنه لا يبقى معه شك، لأنها مستلزمة للصدق، ولا سيما بمجموعها، فإن دلالتها على الصدق كدلالة الشمس على النهار.

٥- **وأما كفر النفاق** فهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب، فهذا هو النفاق الأكبر»[(١)].



(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤٤-٣٤٨) بتصرف، وانظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٩٤-٩٥). وقد تابعه على هذا التقسيم الإمام محمد بن عبد الوهاب. انظر: الدرر السنية (٢/ ٧٠-٧١). ويرى شيخنا عبد الرحمن البراك أن الكفر ستة أنواع كلُّها ضد ما يتحقق به أصل الإسلام، وهذه الأنواع هي: كفر التكذيب، وكفر الشك، كفر الإعراض، كفر الإباء، كفر الجحود، كفر النفاق. انظر: جواب في الإيمان ونواقضه (ص١٩).



المبحث الثاني

حكم من ترك شيئًا من أركان الإسلام

من ترك الشهادتين فلم يتكلم بهما مع قدرته على ذلك فهو كافر بالاتفاق، ومن ترك شيئًا من أركان الإسلام الأربعة بعد الشهادتين جحودًا وإنكارًا بعد بلوغ الحجة فهو كافر أيضًا بالإجماع، أما إذا ترك شيئًا منها مع الإقرار بوجوبها فقد اختلف أهل العلم في حكمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تنازع العلماء في تكفير من يترك شيئًا من هذه الفرائض الأربع بعد الإقرار بوجوبها؛ فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطنًا وظاهرًا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها...

وأما الفرائض الأربع فإذا جحد وجوب شيء منها بعد بلوغ الحجة فهو كافر، وكذلك من جحد تحريم شيء من المحرمات الظاهرة المتواتر تحريمها كالفواحش والظلم والكذب والخمر ونحو ذلك... وأما مع الإقرار بالوجوب إذا ترك شيئًا من هذه الأركان الأربعة، **ففي التكفير أقوال للعلماء هي روايات عن أحمد:**

أحدها: أنه يكفر بترك واحد من الأربعة حتى الحج، وإن كان في جواز تأخيره نزاع بين العلماء، فمتى عزم على تركه بالكلية كفر، وهذا قول طائفة من السلف، وهي إحدى الروايات عن أحمد اختارها أبو بكر.

والثاني: أنه لا يكفر بترك شيء من ذلك مع الإقرار بالوجوب، وهذا هو المشهور عند كثير من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي، وهو إحدى الروايات عن أحمد، اختارها ابن بطة وغيره.

والثالث: لا يكفر إلا بترك الصلاة، وهي الرواية الثالثة عن أحمد، وقول كثير من السلف، وطائفة من أصحاب مالك والشافعي، وطائفة من أصحاب أحمد.

والرابع يكفر بتركها [أي: ترك الصلاة] وترك الزكاة فقط.

والخامس: بتركها وترك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها دون ترك الصيام والحج»[1].



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٠٩-٦١١)، وانظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٢)، جامع العلوم والحكم (١/ ١٤٧).



المبحث الثالث

التكفير

تعريفه، وضوابطه، وشروطه، وموانعه
وخطورة تكفير المسلم بلا علم

۞ أولًا: تعريف التكفير:

التكفير: مصدر كفَّره -بالتشديد- أي: نسبه إلى الكفر[١]، **فالتكفير**: هو الحكم بالكفر على الأعيان أو الأوصاف؛ **مثال الأول**: أن يقول: فلان كافر، **ومثال الثاني**: من قال كذا، فهو كافر، فالأول يسمى: تكفير المعيّن، والثاني يسمى التكفير المطلق[٢]. وسيأتي بيان ذلك.

۞ ثانيًا: ضوابط التكفير:

الضابط الأول: لا يثبت التكفير إلا بدليل شرعي، فـ«التكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله؛ ليس لأحد في هذا حكم»[٣]، و«الكافر من جعله الله ورسوله

---

(١) انظر: تاج العروس (١٤/ ٦٣).

(٢) انظر: الاستقامة (١/ ١٦٤)، وكتاب فتييان تتعلقان بتكفير الجهمية، لإبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ وآخرَين (ص١٥٨)، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، لسعود الخلف (٢/ ٥٧)، وَمَسْأَلَة الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله الأثري (ص٢٦٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٥٤).

كافرًا، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقًا، كما أن المؤمن والمسلم من جعله الله ورسوله مؤمنًا ومسلمًا»[(١)]؛ لأن «التكفير سمعي محض، لا مدخل للعقل فيه»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفرًا في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صوابًا في العقل تجب في الشرع معرفته»[(٣)]، ويقول أيضًا: «الكفر حكم شرعي، وإنما يثبت بالأدلة الشرعية، ومن أنكر شيئًا لم يدل عليه الشرع، بل علم بمجرد العقل لم يكن كافرًا، وإنما الكافر من أنكر ما جاء به الرسول ﷺ»[(٤)].

الضابط الثاني: لا يحكم على مسلم بالكفر بمجرد الظن والشك؛ لأن من ثبت إسلامه بيقين لا يحكم بزواله إلا بيقين، واليقين لا يتحقق إلا بإقامة الحجة وإزالة الشبهة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من ثبت إسلامه بيقين لم يزُل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»[(٥)]؛ لأن «أصل الإيمان الثابت، لا يحكم بزواله إلا بحصول منافٍ لحقيقته، مناقضٍ لأصله؛ والعمدة استصحاب الأصل وجودًا وعدمًا»[(٦)].

الضابط الثالث: أن الحكم على الظواهر والله يتولى السرائر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ [النساء: ٩٤]، قال الشوكاني: «والمراد: نهي المسلمين عن أن يهملوا ما جاء به الكافر مما يستدل به على إسلامه، ويقولوا: إنه إنما جاء

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٩٢).
(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٤/ ١٧٨).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤٢). (٤) مجموع الفتاوى (١٧/ ٧٨).
(٥) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٦٦).
(٦) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٤٣٢).

بذلك تعوذًا وتقيَّة»[(١)].

وعن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلًا؛ فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أقال لا إله إلا الله وقتلته؟**» قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفًا من السلاح، قال: «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟**» فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[(٢)].
قال النووي: «وقوله ﷺ: «**أفلا شققت عن قلبه؟!**» فيه دليل للقاعدة المعروفة في الفقه والأصول أن الأحكام يعمل فيها بالظواهر، والله يتولى السرائر»[(٣)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**»[(٤)].

قال الحافظ ابن حجر: «قوله: «**وحسابهم على الله**»؛ أي: في أمر سرائرهم، وفيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة، والحكم بما يقتضيه الظاهر»[(٥)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإيمان الذي علقت به أحكام الدنيا هو الإيمان الظاهر، وهو الإسلام، فالمسمى واحد في الأحكام الظاهرة»[(٦)].

الضابط الرابع: لا يجوز التكفير بمطلق الذنوب كما تفعل الخوارج، قال الإمام الطحاوي: «ولا نكفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحلَّه، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»[(٧)].

---

(١) فتح القدير (١/ ٥٧٩).
(٢) أخرجه البخاري (ح٤٢٦٩)، ومسلم (ح٩٦).
(٣) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٠٧).
(٤) أخرجه البخاري (ح٢٥)، ومسلم (ح٢٢).
(٥) فتح الباري (١/ ٧٧)، وانظر: الموافقات (٢/ ٤٦٧).
(٦) مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٦).
(٧) شرح الطحاوية (٢/ ٤٣٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ونحن إذا قلنا: أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب، فإنما نريد به المعاصي كالزنا والشرب»[١]، يعني: المعاصي التي دون الشرك.

وقال ابن أبي العز: «امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنَّا لا نكفر أحدًا بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تفعله الخوارج، وفرق بين النفي العام ونفي العموم، والواجب إنما هو نفي العموم، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب»[٢].

و«كما أن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون أحدًا بذنب، فكذلك لا يكفرون أحدًا ببدعة»[٣]، والمراد: البدعة غير المكفرة، فيقال: لا يكفَّر أحد بكل ذنب، ولا يكفَّر أحد بكل بدعة.

الضابط الخامس: يجب التفريق بين التكفير المطلق وتكفير الشخص المعين، وسيأتي بيانه تفصيلًا في مبحث مستقل لأهميته.

الضابط السادس: التكفير لا يثبت في حق المعيَّن إلا بعد استيفاء شروطه وانتفاء موانعه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعيَّن، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع»[٤].

ولا يتمكن من تنزيل هذه الشروط والموانع سوى أهل العلم والبصيرة، ثم إذا ثبتت الشروط وانتفت الموانع فلا بد من استتابته، واستتابته من شأن القضاء الشرعي.



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٢).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٤٣٣).
(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٢).
(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٨٧-٤٨٨).

۞ ثالثًا: شروط التكفير:

الشرط الأول: إقامة الحجة: قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقد استدل شيخ الإسلام بهذه الآية على ذلك، فقال: لا يكفر من «لم يبلغه العلم الذي تقوم عليه به الحجة؛ فإن الله يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**»[٢]، فقوله: «**لا يسمع بي**» دليل على عدم جواز تكفير من لم يسمع به ﷺ.

قال قِوَام السنة الأصبهاني: «وقد أعلم الله سبحانه أنه لا يؤاخذ إلا بعد البيان، ولا يعاقب إلا بعد الإنذار، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]، فكل من هداه الله عز وجل ودخل في عقد الإسلام فإنه لا يخرج إلى الكفر إلا بعد البيان»[٣].

وقال الإمام ابن حزم في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة: ١١٢]: «فهؤلاء الحواريون الذين أثنى الله عز وجل عليهم قد قالوا بالجهل لعيسى عليه السلام: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، ولم يبطل بذلك إيمانهم، وهذا ما لا مخلص منه، وإنما كانوا يكفرون لو قالوا ذلك بعد قيام الحجة وتبيينهم لها»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «بيَّنا أن المؤمن الذي لا ريب في إيمانه قد يخطئ في بعض الأمور العلمية الاعتقادية فيغفر له، كما يغفر له ما يخطئ فيه

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١١٣).
(٢) أخرجه مسلم (ح١٥٣).
(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥٥٢).
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٤١).

من الأمور العملية، وأن حكم الوعيد على الكفر لا يثبت في حق الشخص المعين؛ حتى تقوم عليه حجة الله التي بعث بها رسله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾»[(١)]، وقال أيضًا: «لكن ليس كل من تكلم بالكفر يكفر، حتى تقوم عليه الحجة المثبتة لكفره، فإذا قامت عليه الحجة كفر حينئذ»[(٢)]، وقال أيضًا: «الواحد المعيَّن لا يكفر إلا بعد قيام الحجة التي يكفر تاركها»[(٣)]، وقال: «من أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله؛ فهو -أيضًا- كافر إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها»[(٤)].

الشرط الثاني: أن يكون مكلفًا؛ أي: بالغًا عاقلًا، فلا يصح الحكم بالكفر على صبي ومجنون، قال الإمام ابن قدامة: «الردة لا تصح إلا من عاقل، فأما من لا عقل له، كالطفل الذي لا عقل له، والمجنون، ومن زال عقله بإغماء، أو نوم، أو مرض، أو شرب دواء يباح شربه، فلا تصح ردته، ولا حكم لكلامه بغير خلاف»[(٥)].

الشرط الثالث: أن يكون متعمدًا؛ أي: قاصدًا لفعله، لا مخطئًا ولا ناسيًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المسلم إذا عنى معنًى صحيحًا في حق الله تعالى أو الرسول ﷺ ولم يكن خبيرًا بدلالة الألفاظ، فأطلق لفظًا يظنه دالًّا على ذلك المعنى، وكان دالًّا على غيره لا يكفر، ومن كفَّر مثل هذا كان أحق بالكفر، فإنه مخالف للكتاب والسنة وإجماع المسلمين»[(٦)]، وسئل مالك عن رجل نادى رجلًا باسمه فقال: لبيك اللهم لبيك أعليه شيء؟ قال مالك: «إن كان جاهلًا أو على وجه السفه فلا شيء عليه»[(٧)].

الشرط الرابع: أن يكون مختارًا بإرادته، لا مكرَهًا، كما قال تعالى: ﴿مَن

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ص٣١١).
(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٠٦).
(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٥٢).
(٤) مجموع الفتاوى (١/ ١١٢).
(٥) المغني لابن قدامة (١٢/ ٢٦٦).
(٦) الرد على البكري (٢/ ٦٥٩).
(٧) البيان والتحصيل (١٦/ ٣٧٠).

كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فالتقية باللسان من حُمِلَ على أمر يتكلم به وهو معصية لله، فيتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن ذلك لا يضره، إنما التقية باللسان»[١]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا أكره على كلمة الكفر، جاز له التكلم بها مع طمأنينة قلبه بالإيمان»[٢].

الشرط الخامس: دلالة الكتاب أو السنة على أن ما وقع فيه من الكفر الأكبر، وليس من الكفر الأصغر.

الشرط السادس: أن يكون فعله أو قوله صريحَ الدلالة على الكفر، وليس مما يحتمل الكفر وغيره؛ لأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، وكذلك لا يحكم بالكفر باللازم؛ لأن لازم المذهب ليس بمذهب إلا أن يصرح صاحبه بالتزامه.

الشرط السابع: أن يثبت التكفير بطريق شرعي صحيح، وهو الإقرار أو البينة، لا بظن أو بشك.

۞ رابعًا: موانع التكفير:

الأول: الخطأ: وهو انتفاء القصد والعَمْد، لقوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله وضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه**»[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٣١٨). (٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٥٠٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (ح٢٠٤٥)، والطبراني في الأوسط (٨/ ١٦١)، والحاكم (٢/ ٢١٦) وصححه ووافقه الذهبي، قال البوصيري: «هذا إسناد صحيح إن سلم من الانقطاع، والظاهر أنه منقطع» (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ٢/ ١٢٦)، وانظر: التلخيص الحبير (١/ ٥٠٩-٥١٠).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أَيِس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما التكفير فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر؛ بل يغفر له خطؤه، ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاقَّ الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر، ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب، ثم قد يكون فاسقًا، وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته، فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص، فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافرًا، بل ولا فاسقًا، بل ولا عاصيًا»(٢).

الثاني: التأويل: والتأويل المانع من الحكم بالتكفير: هو التأويل السائغ، وهو الذي له مُسوِّغٌ في الشرع أو في اللغة، قال ابن الوزير: «قوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا﴾ [النحل: ١٠٦]؛ يؤيد أن المتأولين غير كفار؛ لأن صدورهم لم تنشرح بالكفر قطعًا أو ظنًّا أو تجويزًا أو احتمالًا»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المتأول المخطئ مغفور له بالكتاب والسنة، قال الله تعالى في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ وثبت في الصحيح أن الله عز وجل قال: «**قد فعلتُ**(٤)»(٥)، أما المتأول الذي قصده متابعة الرسول ﷺ فإنه لا يكفر، بل ولا يفسق؛ لأنه اجتهد

(١) أخرجه مسلم (ح٢٧٤٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٨٠).
(٣) إيثار الحق على الخلق (ص٣٩٥).
(٤) أخرجه مسلم (ح١٢٦).
(٥) منهاج السنة النبوية (٤/ ٤٥٨).

فأخطأ، و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، «وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية، وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفَّر المخطئين فيها، وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم، كالخوارج والمعتزلة والجهمية»(١).

فـ«المتأول إذا أخطأ وكان من أهل عَقْد الإيمان نُظِر في تأويله؛ فإن كان قد تعلق بأمر يفضي به إلى خلاف بعض كتاب الله، أو سنة يقطع بها العذر، أو إجماع؛ فإنه يكفر ولا يعذر»(٢)؛ إذ «لا شك في تكفير من ردَّ حكم الكتاب، ولكن من تأول حكم الكتاب لشبهة عرضت له، بُيِّن له الصواب ليرجع إليه»(٣)، فقد «قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم، إذا كان تأويله سائغًا في لسان العرب، وكان له وجه في العلم»(٤).

أقسام التأويل: التأويل يرجع إلى ثلاثة أقسام:

«**الأول:** أن يكون صادرًا عن اجتهاد وحُسْن نية؛ بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله فهذا معفوٌّ عنه؛ لأن هذا منتهى وسعه وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾.

الثاني: أن يكون صادرًا عن هوى وتعصب وله وجه في اللغة العربية فهو فسق وليس بكفر، إلا أن يتضمن نقصًا أو عيبًا في حق الله فيكون كفرًا.

القسم الثالث: أن يكون صادرًا عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية فهذا كفر؛ لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له»(٥).

الثالث: الجهل: ويكون مانعًا من التكفير إذا لم يتمكن المكلف من رفعه عن

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٣٩-٢٤٠).
(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥٥١).
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٣٤٢).
(٤) فتح الباري (١٢/ ٣٠٤).
(٥) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين (ص٣٤).

نفسه بالتعلم، قال القرافي: «القاعدة الشرعية دلت على أن كل جهل يمكن المكلف رفعه لا يكون حجة للجاهل؛ فإن الله تعالى بعث رسله إلى خلقه برسائله وأوجب عليهم كافة أن يعلموها ثم يعملوا بها، فالعلم والعمل بها واجبان، فمن ترك التعلم والعمل وبقي جاهلًا فقد عصى معصيتين لتركه واجبين، وإن علم ولم يعمل فقد عصى معصية واحدة بترك العمل، ومن علم وعمل فقد نجا»[(١)]، وقال البعلي: «إذا قلنا يعذر [أي: الجاهل]، فإنما محله إذا لم يقصِّر ويفرِّط في تعلم الحكم، أما إذا قصَّر أو فرَّط فلا يعذر جزمًا»[(٢)].

ومن الأدلة على العذر بالجهل في القرآن: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

ومن الأدلة على أن الجهل مانع من التكفير من السنة: حديث عائشة رضي الله عنها لما سألت النبي ﷺ: مهما يكتمِ الناس يعلمه الله؟ قال النبي ﷺ: «**نعم**»[(٣)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذه عائشة أم المؤمنين سألت النبي ﷺ: هل يعلم الله كل ما يكتم الناس؟ فقال لها النبي ﷺ: «**نعم**»، وهذا يدل على أنها لم تكن تعلم ذلك، ولم تكن قبل معرفتها بأن الله عالم بكل شيء يكتمه الناس كافرة، وإن كان الإقرار بذلك بعد قيام الحجة من أصول الإيمان، وإنكار علمه بكل شيء، كإنكار قدرته على كل شيء»[(٤)].

ومما يدل عليه أيضًا حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: دخلت عليَّ عجوزان من عُجُز يهود المدينة، فقالتا لي: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتهما، ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخل عليَّ النبي ﷺ، فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزين، وذكرت له، فقال: «**صدقتا، إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم**

(١) الفروق (٤/ ٢٦٤).
(٢) القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية (ص٨٧).
(٣) أخرجه مسلم (ح٩٧٤).
(٤) مجموع الفتاوى (١١/ ٤١٢-٤١٣).

كلها» فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر[١]. فعائشة كذبت بعذاب القبر، لكنها معذورة لكونها تجهل ذلك، ولهذا فإن الرسول ﷺ بين لها الحق، ولم يؤاخذها بذلك التكذيب.

ويدل عليه أيضًا حديث الذي قال لأهله: «**إذا أنا متُّ فاسحقوني ثم ذروني في اليم، فوالله لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين، فأمر الله البرَّ فرد ما أخذ منه، وأمر البحر فرد ما أخذ منه، وقال: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك يا رب، فغفر له**»[٢]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذا اعتقد أنه إذا فعل ذلك لا يقدر الله على إعادته، وأنه لا يعيده، أو جوَّز ذلك، وكلاهما كفر، لكن كان جاهلًا لم يتبين له الحق بيانًا يكفر بمخالفته فغفر الله له، ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتُكم كنت كافرًا؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جهَّال، وكان هذا خطابًا لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم»[٣].

كما يدل على هذا الأصل عمل الصحابة رضي الله عنهم؛ «ولهذا لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين كقدامة بن مظعون وأصحابه شرب الخمر وظنوا أنها تباح لمن عمل صالحًا -على ما فهموه من آية المائدة- اتفق علماء الصحابة كعمر وعليٍّ وغيرهما على أنهم يستتابون، فإن أصروا على الاستحلال كفروا، وإن أقروا به جلدوا، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداء؛ لأجل الشبهة التي عرضت لهم حتى يتبين لهم الحق، فإذا أصروا على الجحود كفروا»[٤].

فلا بد من تحقق العلم وانتفاء الجهل الذي يعذر صاحبه قبل الحكم بالتكفير، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من شرط الإيمان وجود العلم التام،

(١) أخرجه البخاري (ح٦٣٦٦)، ومسلم (ح٥٨٦).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) الرد على البكري (٢/ ٤٩٣-٤٩٤). (٤) المصدر السابق.

ولهذا كان الصواب أن الجهل ببعض أسماء الله وصفاته لا يكون صاحبه كافرًا إذا كان مقرًّا بما جاء به الرسول ﷺ، ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره إذا لم يعلمه»[(١)]؛ فإن «من الناس من يكون جاهلًا ببعض هذه الأحكام جهلًا يعذر به؛ فلا يحكم بكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة»[(٢)]، فـ«الأمكنة والأزمنة التي تفتر فيها النبوة لا يكون حكم من خفيت عليه آثار النبوة حتى أنكر ما جاءت به خطأً، كما يكون حكمه في الأمكنة والأزمنة التي ظهرت فيها آثار النبوة، وذكرنا حديث حذيفة الذي فيه: «**يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاةً ولا زكاةً ولا صومًا ولا حجًّا إلا الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة؛ يقولان: أدركنا آباءنا وهم يقولون: (لا إله إلا الله)**» فقيل لحذيفة: ما يغني عنهم قول: لا إله إلا الله وهم لا يعرفون صلاة ولا زكاة ولا صومًا ولا حجًّا؟ قال: تنجيهم من النار، تنجيهم من النار[(٣)]»[(٤)].

وقال الإمام ابن القيم: «قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له، فهذا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع شيئًا ولا يتمكن من الفهم»[(٥)].

فـ«الحجة على العباد إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به، فأما العاجز عن العلم كالمجنون، أو العاجز عن

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٣٨). (٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٠٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (ح٤٠٤٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٠) وصححه ووافقه الذهبي، وقوَّى إسنادَه الحافظ ابن حجر (انظر: فتح الباري ١٣/ ١٦).

(٤) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ص٣١١)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ١١٨).

(٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٤١٤).

العمل فلا أمر عليه ولا نهي»[١].

والخلاصة: أن الحكم بالعذر بالجهل ينظر فيه إلى ثلاثة أمور:

الأول: بلوغ الحجة أو عدم بلوغها.

الثاني: وضوح المسألة أو خفاؤها.

الثالث: القدرة على فهم المسألة أو عدم القدرة.

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «يختلف الحكم على الإنسان بأنه يعذر بالجهل في المسائل الدينية أو لا يعذر، باختلاف البلاغ وعدمه، وباختلاف المسألة نفسها وضوحًا وخفاء، وتفاوت مدارك الناس قوة وضعفًا»[٢].

الرابع: الإكراه، «الإكراه: هو إلزام الغير بما لا يريده، **وشروط الإكراه أربعة:**

الأول أن يكون فاعله قادرًا على إيقاع ما يهدد به، والمأمور عاجزًا عن الدفع، ولو بالفرار.

الثاني: أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك.

الثالث: أن يكون ما هدده به فوريًّا، فلو قال: إن لم تفعل كذا ضربتك غدًا، لا يعد مكرهًا، ويستثنى ما إذا ذكر زمنًا قريبًا جدًّا، أو جرت العادة بأنه لا يُخلف.

الرابع: ألّا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره»[٣].

ويختصر الإمام ابن حزم ذلك، فيجعل الإكراه كل ما يُعَدُّ في اللغة والعرف إكراهًا، فيقول: «الإكراه: هو كل ما سمي في اللغة إكراهًا، وعرف بالحس أنه إكراه، كالوعيد بالقتل ممن لا يؤمَن منه إنفاذ ما توعد به، والوعيد بالضرب كذلك، أو الوعيد بالسجن كذلك، أو الوعيد بإفساد المال كذلك»[٤]، لكن شيخ الإسلام ابن تيمية يفرق في العذر بالإكراه بين الإكراه

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٩).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ١٤٧).

(٣) فتح الباري (١٢/ ٣١١).

(٤) المحلى بالآثار (٧/ ٢٠٣).

على الكفر، والإكراه على ما دون الكفر كالهِبَة مثلًا، فيقول: «تأملت المذهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكرَه عليه، فليس الإكراه المعتبر في كلمة الكفر، كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها، فإن أحمد قد نص في غير موضع على أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بتعذيب من ضرب أو قيد، ولا يكون الكلام إكراهًا»(١).

ومن الأدلة على أن الإكراه من موانع التكفير: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦].

فهذه الآية «أصل في جواز إظهار كلمة الكفر في حال الإكراه»(٢)، وقد «أجمع العلماء على أن من أكره على الكفر فاختار القتل أنه أعظم أجرًا عند الله ممن اختار الرخصة»(٣)، «وأما من أكره على ذلك فهو معذور بالآية؛ لأن الاستثناء من الإثبات نفي، فيقتضي ألّا يدخل الذي أكره على الكفر تحت الوعيد»(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأباح سبحانه عند الإكراه أن ينطق الرجل بالكفر بلسانه إذا كان قلبه مطمئنًّا بالإيمان، بخلاف من شرح بالكفر صدرًا، وأباح للمؤمنين أن يتقوا من الكافرين تقاةً مع نهيه لهم عن موالاتهم، وعن ابن عباس: إن التقية باللسان، ولهذا لم يكن عندنا نزاع في أن الأقوال لا يثبت حكمها في حق المكرَه بغير حق، فلا يصح كفر المكرَه بغير حق، ولا إيمان المكرَه بغير حق»(٥).

ومما يدل على ذلك من السنة: حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله وضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه**»(٦).

---

(١) الفتاوى الكبرى (٥/ ٤٩٠).
(٢) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٣).
(٣) تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٨).
(٤) فتح الباري (١٢/ ٣١٢).
(٥) الاستقامة (٢/ ٣١٩-٣٢٠).
(٦) سبق تخريجه.

قال الحافظ ابن حجر: «وهو حديث جليل، قال بعض العلماء: ينبغي أن يعدَّ نصف الإسلام؛ لأن الفعل إما عن قصد واختيار أو لا، الثاني ما يقع عن خطأ أو نسيان أو إكراه، فهذا القسم معفو عنه باتفاق، وإنما اختلف العلماء: هل المعفو عنه الإثم، أو الحكم، أو هما معًا؟ وظاهر الحديث الأخير»(١).

الخامس: العجز، ومن الأدلة على أنه من موانع التكفير: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩]، فعفا الله عنهم إقامتهم بين أظهر المشركين لعجزهم عن الهجرة(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من بلغه دعوة النبي ﷺ في دار الكفر، وعلم أنه رسول الله فآمن به وآمن بما أنزل عليه، واتقى الله ما استطاع كما فعل النجاشي وغيره، ولم تمكنه الهجرة إلى دار الإسلام، ولا التزام جميع شرائع الإسلام؛ لكونه ممنوعًا من الهجرة، وممنوعًا من إظهار دينه، وليس عنده من يعلمه جميع شرائع الإسلام؛ فهذا مؤمن من أهل الجنة، كما كان مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون، وكما كانت امرأة فرعون، بل وكما كان يوسف الصديق عليه السلام مع أهل مصر»(٣).

ويجب التنبيه على أن ما تقدم من شروط التكفير وموانعه وتنزيلها على الشخص المعيَّن؛ يرجع فيه لأهل الفتيا والقضاء من الراسخين في العلم، فهم الذين يعلمون شروط التكفير وموانعه، ويعلمون كيف تنزل الأحكام على مواقعها الصحيحة، وكيف تُقَام الحجة وتُفْهم، وكيف يستتاب مَن وقع في مكفِّر قبل أن يقام عليه حد الكفر.

---

(١) فتح الباري (٥/ ١٦١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٧٨-٤٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٢١٧).

۞ خامسًا: خطورة تكفير المسلم بلا علم:

تكفير المسلم بلا علم من أعظم الذنوب وأخطرها؛ لما يلي:

أولًا: أن التكفير بلا علم؛ مِنَ القول على الله بلا علم، وهو من أعظم المحرمات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، قال الإمام ابن القيم: «وأما القول على الله بلا علم فهو أشد هذه المحرمات تحريمًا، وأعظمها إثمًا؛ ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان، ولا تباح بحال، بل لا تكون إلا محرمة، وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير، الذي يباح في حال دون حال»[(١)].

ثانيًا: ما ورد من النهي العظيم والتحذير الشديد في الكتاب والسنة من التكفير بلا علم، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لقي ناس من المسلمين رجلًا في غنيمة له، فقال: السلام عليكم، فأخذوه فقتلوه وأخذوا تلك الغنيمة، فنزلت: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾»[(٢)].

ومن ذلك أن من حكم على مسلم بالكفر بلا علم ولم يكن كذلك؛ رجع عليه حكمه، كما جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**»[(٣)].

قال الإمام ابن عبد البر: «وإذا قيل للمؤمن: يا كافر، فقد باء قائل ذلك بوزر الكلمة، واحتمل إثمًا مبينًا، وبهتانًا عظيمًا إلا أنه لا يكفر بذلك؛ لأن

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح٤٥٩١)، ومسلم (ح٣٠٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦١٠٤)، ومسلم (ح٦٠)، واللفظ له.

الكفر لا يكون إلا بترك ما يكون به الإيمان، وفائدة هذا الحديث النهي عن تكفير المؤمن وتفسيقه، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]، فقال جماعة من المفسرين في هذه الآية: هو قول الرجل لأخيه: يا كافر يا فاسق»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقد سماه أخاه حين القول؛ وقد أخبر أن أحدهما باء بها، فلو خرج أحدهما عن الإسلام بالكلية لم يكن أخاه، بل فيه كفر»(٢).

ومن حكم على مسلم بالكفر وهو ليس بكافر قد يحرم من المغفرة، كما جاء في الحديث عن جندب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ حدَّث: «**أن رجلًا قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليَّ ألّا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك**»(٣).

والحكم على مسلم بالكفر بلا علم هو كقتله، كما يدل عليه حديث ثابت ابن الضحاك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله**»(٤).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أَقْصِر، فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر، فقال: خَلِّنِي وربي أبُعثتَ عليَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو: لا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا، أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار**»، قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتَكَلَّم بكلمة أَوْبَقَت دنياه وآخرته(٥).

(١) الاستذكار (٨/ ٥٤٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٥٥).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٦٢١).
(٤) أخرجه البخاري (ح٦١٠٥).
(٥) أخرجه أبو داود (ح٤٩٠١)، وصححه الألباني.

أما وجه كون التكفير بلا علم من أعظم الذنوب خطرًا؛ فلما يترتب عليه من استحلال دماء المعصومين وأموالهم، وانقطاع التوارث، وفسخ النكاح، ومنع تغسيله وتكفينه، وحرمانه من الصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، قال الغزالي: «الذي ينبغي أن يميل المحصِّل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلًا؛ فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**»(٢).

وقد استفاض كلام أهل العلم في التحذير من التكفير بلا علم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا؛ فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام فكفر أهلها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم»(٣).

وقال أيضًا: «أهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول، ولا يكفرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق»(٤).

وقال أيضًا: «أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك؛ ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى... وأيضًا فإن تكفير الشخص المعيَّن وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئًا من الدين يكفر»(٥).

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٣٥).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٥٦٤).
(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣١).
(٤) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٥٨).
(٥) الرد على البكري (٢/ ٤٩٢).

۞ سادسًا: تباين مذاهب الناس في التكفير:

تباينت مذاهب الناس في التكفير، فهم بين طرفين ووسط، بين غلاة المرجئة الذين يقولون: لا نكفر أحدًا من أهل القبلة، وبين الوعيدية من الخوارج ومن اتبعهم الذين يكفرون المسلمين بالذنوب، وهدى الله أهل السنة للحق، فصاروا وسطًا بين الخوارج والمرجئة، فلم يكفروا إلا بما ثبت شرعًا أنه كفر، ولم يكفروا المعيَّن إلا بعد إقامة الحجة، والتحقق من وجود شروط التكفير وانتفاء موانعه، قال ابن أبي العز الحنفي: «اعلم - رحمك الله وإيانا - أن باب التكفير وعدم التكفير، باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، فالناس فيه، في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة، المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر، أو المخالفة لذلك في اعتقادهم، على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية، فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحدًا، فتنفي التكفير نفيًا عامًّا، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين. . .

فهؤلاء في طرف، والخوارج في طرف، فإنهم يقولون: نكفر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون: يحبط إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء من الإيمان، لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر، والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين، وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار! وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال، لكن في الاعتقادات البدعية، وإن كان صاحبها متأوِّلًا، فيقولون: يكفر كل من قال هذا القول، لا يفرقون بين المجتهد المخطئ

وغيره، أو يقولون: يكفر كلُّ مبتدع. وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة؛ فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصوص الوعد التي يحتج بها هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها أولئك»[1].



(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٣٢-٤٣٥).



المبحث الرابع

الفرق بين التكفير المطلق وتكفير المعين

التكفير المعين هو الحكم على معين بالكفر، والتكفير المطلق هو الحكم على المقالة بأنها كفر دون تنزيل الحكم على شخص بعينه، ومثال التكفير المطلق هو أن يقال: من قال كذا فهو كافر، ومن عمل كذا فهو كافر، وهذا لا بد فيه من قيام الدليل على أن هذا القول كفر من كتاب أو سنة أو إجماع، ومثال تكفير المعين: هو الحكم على شخص معين من الناس بأنه كافر، وهذا لا بد فيه من تحقق شروط التكفير وانتفاء موانعه في هذا الشخص المعين، والذي يحكم بذلك على المعين هم العلماء الراسخون في العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين؛ فإن بعض العلماء قد يتكلم في مسألة باجتهاده فيخطئ فيها فلا يكفر؛ وإن كان قد يكفر من قال ذلك القول إذا قامت عليه الحجة المكفرة»(١)، وقال: «إن التكفير المطلق مثل الوعيد المطلق لا يستلزم تكفير الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»(٢).

ومما يدل على الفرق بينهما حديث عمر بن الخطاب ﵁، أن رجلًا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارًا، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا فأمر به

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٩٩).

(٢) الاستقامة (١/ ١٦٤).

فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه، فوالله ما علمت، إنه يحب الله ورسوله**»[(١)][(٢)]، **ووجه الدلالة:** أن الرسول ﷺ لعن في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له[(٣)]، لكن نهى الرسول ﷺ عن لعن هذا الرجل المعين -مع إصراره على شرب الخمر- لقيام سبب منع من لعنه، وهو أنه يحب الله ورسوله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فنهى عن لعنه مع إصراره على الشرب لكونه يحب الله ورسوله مع أنه ﷺ لعن في الخمر عشرة: لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه، وبائعها ومبتاعها، وآكل ثمنها. ولكن لعن المطلق لا يستلزم لعن المعين الذي قام به ما يمنع لحوق اللعنة له، وكذلك التكفير المطلق والوعيد المطلق؛ ولهذا كان الوعيد المطلق في الكتاب والسنة مشروطًا بثبوت شروط وانتفاء موانع»[(٤)].

ومما يدل على الفرق بينهما أيضًا حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم اذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه به أحدًا**»، قال: «**ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أدي ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك، يا رب** -أو قال: **مخافتك- فغفر له بذلك**»[(٥)]. «فهذا الرجل اعتقد أن الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك أو شك، وأنه لا يبعثه، وكلٌّ من هذين الاعتقادين كفر

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «الجملة القَسَمية جيء بها مؤكدة لمعنى النفي مقرِّرة للإنكار، ويؤيده أنه وقع في شرح السنة: فوالله ما علمت إلا أنه...» (فتح الباري لابن حجر ١٢/ ٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٧٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي (ح١٢٩٥)، وابن ماجه (ح٣٣٨٠)، وصححه الألباني (غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ص: ٥٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٢٩-٣٣٠).

(٥) أخرجه مسلم (ح٢٧٥٦).

يكفر من قامت عليه الحجة، لكنه كان يجهل ذلك ولم يبلغه العلم بما يرده عن جهله، وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعده ووعيده فخاف من عقابه، فغفر الله له بخشيته، فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح لم يكن أسوأ حالًا من الرجل فيغفر الله خطأه»[(١)].

فـ «الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهدًا في طلب الحق وأخطأ، فإن الله يغفر له خطأه كائنًا ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام»[(٢)].

ولذلك كان أئمة الإسلام كالإمام أحمد يحكمون بالكفر على الجهمية لإنكارهم أسماء الله وصفاته، لكنهم لا يكفرون أعيانهم، ولهذا لم يكفر الإمام أحمد الخليفة المأمون الذي كان يدعو لمقالة الجهمية ويجبر الناس على اعتقادها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «كان [أي: الإمام أحمد] يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته؛ لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول ﷺ ظاهرة بينة، ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق، وكان قد ابتلي بهم حتى عرف حقيقة أمرهم وأنه يدور على التعطيل وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة. لكن ما كان يكفر أعيانهم»[(٣)]، «بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم، ويرى الائتمام بهم في الصلوات خلفهم والحج والغزو معهم والمنع من الخروج عليهم ما يراه لأمثالهم من الأئمة. وينكر ما أحدثوا

---

(١) الاستقامة (١/ ١٦٤-١٦٥)، وانظر: الصفدية (١/ ٢٣٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٨-٣٤٩).

من القول الباطل الذي هو كفر عظيم وإن لم يعلموا هم أنه كفر»[(١)].

«وكذلك الشافعي لما قال لحفص الفرد حين قال: القرآن مخلوق: كفرت بالله العظيم. بين له أن هذا القول كفر ولم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك؛ لأنه لم يتبين له الحجة التي يكفر بها، ولو اعتقد أنه مرتد لسعى في قتله وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الأهواء والصلاة خلفهم. وكذلك قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ والشافعي وأحمد في القدري: إن جحد علم الله كفر، ولفظ بعضهم: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا وإن جحدوه كفروا. وسئل أحمد عن القدري: هل يكفر؟ فقال: إن جحد العلم كفر، وحينئذٍ فجاحد العلم هو من جنس الجهمية»[(٢)].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدًا مخطئًا مغفورًا له، أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال: «**إذا متُّ فاسحقوني ثم ذروني**»[(٣)]، ثم غفر الله له لخشيته، وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك. لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا، لمنع بدعته، وأن نستتيبه، فإن تاب وإلا قتلناه[(٤)]، ثم إذا كان القول في نفسه كفرًا قيل: إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقًا زنديقًا، فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقًا زنديقًا»[(٥)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم،

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٧-٥٠٨).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٨-٣٤٩).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٤٧٨)، ومسلم (ح٢٧٥٦).
(٤) الاستتابة وموجبها من القتل وغيره مرجعه إلى الحاكم الشرعي، وليس إلى آحاد الناس.
(٥) شرح الطحاوية (٢/ ٤٣٧).

بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار، لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر، وهكذا الكلام في تكفير جميع المعينين، مع أن بعض هذه البدعة أشد من بعض، وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض، فليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة»[(١)].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «مسألة تكفير المعين مسألة معروفة، إذا قال قولًا يكون القول به كفرًا، فيقال: من قال بهذا القول فهو كافر، لكن الشخص المعين، إذا قال ذلك لا يحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»[(٢)].

فتبين من النصوص الشرعية وأقوال سلف الأمة وأئمتها وجوب التفريق في التكفير بين التكفير المطلق وتكفير المعين، فالأول يشترط فيه شرط واحد وهو ثبوت الدليل من الكتاب والسنة على أن هذه المقالة كفر، مع وجوب التفريق بين الكفر الأكبر والأصغر[(٣)].

أما الحكم بالتكفير على المعين فلا بد فيه من ثبوت شروط وانتفاء موانع، كثبوت شرط العقل وانتفاء الجنون، وثبوت البلوغ وانتفاء ضده، وثبوت شرط القصد وانتفاء السهو والغفلة، وثبوت شرط الاختيار وانتفاء الإكراه، وثبوت شرط العلم وانتفاء مانع الجهل، وثبوت بلوغ الحجة وفهمها وانتفاء ضدها، على تفصيل في هذه الشروط والموانع، كما سبق بيانه.



(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٠٠-٥٠١).
(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٤٣٢-٤٣٣).
(٣) وقد تبين فيما سبق الضوابط التي تميز بينهما.



المبحث الخامس

وجه إطلاق الكفر في النصوص الشرعية على بعض الذنوب

جاء في بعض النصوص الشرعية إطلاق الكفر على بعض الذنوب والمعاصي، ومن ذلك: قوله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»(١)، وقوله ﷺ: «**اثنتان في أمتي، هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة**»(٢)، وقوله ﷺ: «**من أتى امرأة في دُبرها فقد كفر بما أنزل على محمد**»(٣)، وقوله ﷺ: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل الله على محمد**»(٤)، وقوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٥).

وجاء في بعض النصوص نفي الإيمان عمن فعل بعض المعاصي، ومن ذلك: قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**»(٦).

وجاء في بعض النصوص البراءة ممن فعل بعض الذنوب، ومن ذلك:

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) سبق تخريجه.

قوله ﷺ: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»[١]، وقوله ﷺ: «**ومن غشنا فليس منا**»[٢].

وعن أبي ذر رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**»[٣].

واختلف أهل السنة في توجيه هذه النصوص على قولين:

القول الأول: التوقف عن تفسيرها وإمرارها كما جاءت، ولما سئل الإمام الزهري عن هذه الأحاديث قال: «من الله عز وجل العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم»[٤]، وسئل الإمام أحمد عن حديث: «**من غشنا فليس منا**»، ما وجهه؟ قال: «لا أدري إلا على ما روي»[٥]، وقال الإمام أحمد في ذكر اعتقاد أهل السنة: «الكف عن أهل القبلة، ولا تكفِّر أحدًا منهم بذنب، ولا تخرجْه من الإسلام بعمل، إلا أن يكون في ذلك حديثٌ، فيروى الحديث كما جاء وكما روي، وتصدقه وتقبله، وتعلم أنه كما روي، نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك، أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام؛ فاتبع الأثر في ذلك ولا تجاوزْه»[٦]، وقال الإمام البغوي تعليقًا على مثل هذه الأحاديث: «والقول ما قال الرسول ﷺ، والعلم عند الله عز وجل»[٧]، ونسب شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول إلى عامة السلف، فقال: «إن عامة علماء السلف يقرون هذه الأحاديث ويمرونها كما جاءت، ويكرهون أن تُتَأول تأويلات تخرجها عن مقصود رسول الله ﷺ، وقد نقل كراهة تأويل أحاديث

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٨٧٤)، ومسلم (ح٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (ح١٠١).

(٣) أخرجه مسلم (ح٦١).

(٤) السنة لأبي بكر الخلال (٣/ ٥٧٩).

(٥) السنة لأبي بكر الخلال (٣/ ٥٧٨).

(٦) طبقات الحنابلة (١/ ٢٧).

(٧) شرح السنة للبغوي (١/ ٩١).

الوعيد عن سفيان وأحمد بن حنبل وجماعة كثيرة من العلماء»[(١)].

وقال الإمام ابن رجب: «ومن العلماء من يتوقى الكلام في هذه النصوص تورعًا، ويمرها كما جاءت من غير تفسير، مع اعتقادهم أن المعاصي لا تخرج عن الملة، وحكاه ابن حامد في رواية عن أحمد»[(٢)].

القول الثاني: تفسير هذه الأحاديث بنفي كمال الإيمان الواجب، أو حملها على الزجر والوعيد والتشديد، أو على أن هذه الذنوب من صفات الكفار، أو على المستحل، ونحو ذلك.

قال الإمام القاسم بن سلام: «وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصي، فإن معناها عندنا ليست تثبت على أهلها كفرًا ولا شركًا يزيلان الإيمان عن صاحبه، إنما وجوهها أنها من الأخلاق والسنن التي عليها الكفار والمشركون»[(٣)].

وقال أيضًا: «فإن قال قائل: كيف يجوز أن يقال: ليس بمؤمن، واسم الإيمان غير زائل عنه؟ قيل: هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستنكر في إزالة العمل عن عامله، إذا كان عمله على غير حقيقته، ألا ترى أنهم يقولون للصانع إذا كان ليس بِمُحْكِمٍ لعمله: ما صنعتَ شيئًا ولا عملتَ عملًا، وإنما وقع معناهم هاهنا على نفي التجويد، لا على الصنعة نفسها، فهو عندهم عامل بالاسم، وغير عامل في الإتقان»[(٤)].

وقال الإمام محمد بن نصر المروزي: «الذي صح عندنا في معنى قول النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» وما روي عنه من الأخبار مما يشبه هذا أن معنى ذلك كله: أن من فعل تلك الأفعال لا يكون مؤمنًا مستكمل الإيمان»[(٥)].

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٤).
(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٤١).
(٣) الإيمان للقاسم بن سلام (ص٨٦).
(٤) الإيمان للقاسم بن سلام (ص٨٠).
(٥) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٥٧٦).

وقال الإمام البغوي في شرح حديث: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»: «قد اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث، فذهب قوم إلى أن المراد منه النهي، وإن ورد على صيغة الخبر، معناه: لا يزني الزاني ولا يسرق إذ هو مؤمن، ولا يليق مثل هذه الأفعال بأهل الإيمان.

وذهب قوم إلى أن معناه الزجر والوعيد دون حقيقة الخروج عن الإيمان، أو الإنذار والتحذير بسوء العاقبة، أي: إذا اعتاد هذه الأمور لم يؤمن أن يقع في ضد الإيمان وهو الكفر، كما قال ﷺ: «**من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه**»[(١)].

وقيل: معناه: نقصان الإيمان، يريد: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن مستكمل الإيمان، بل هو قبل أن يقدم على الفجور، وبعد ما نزع منه وتاب أكمل إيمانًا منه حالة اشتغاله بالفجور، وهو كقوله: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»، يريد: لا إيمان له كاملًا، والله أعلم»[(٢)].

وقال الإمام النووي: «القول الصحيح الذي قاله المحققون: أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الشارع ينفي اسم الإيمان عن الشخص؛ لانتفاء كماله الواجب وإن كان معه بعض أجزائه، كما قال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن؛ ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن؛ ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»، ومنه قوله: «**من غشنا فليس منا**»، و «**من حمل علينا السلاح فليس منَّا**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٢٠٥١) بهذا اللفظ. (٢) شرح السنة للبغوي (١/ ٨٩-٩٠).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٤١).
(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٢٤-٥٢٥).

وقال الإمام ابن رجب: «وللعلماء في هذه الأحاديث وما أشبهها مسالك متعددة: منهم: من حملها على من فعل ذلك مستحلًّا لذلك، وقد حمل مالك حديث: «**من قال لأخيه: يا كافر**» على الحرورية المعتقدين لكفر المسلمين بالذنوب. نقله عنه أشهب، وكذلك حمل إسحاق بن راهويه حديث: «**من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها فقد كفر**» على المستحل لذلك. نقله عنه حرب وإسحاق الكوسج، ومنهم من يحملها على التغليظ والكفر الذي لا ينقل عن الملة»[1].



(١) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٣٩).



المبحث السادس

الوقوف على بعض صور الكفر

والتمييز بين ما يحكم فيه بالكفر من عدمه[(١)]

۞ الصورة الأولى: الحكم بغير ما أنزل الله:

الحكم بغير ما أنزل الله منه ما هو كفر أكبر، ومنه ما هو كفر أصغر أو معصية، ومنه ما هو خطأ، وذلك بحسب حال الحاكم، يبين ذلك الإمام ابن القيم، فيقول: «الصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين؛ الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصيانًا، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب، وأنه مخير فيه، مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر، وإن جهله وأخطأه فهذا مخطئ، له حكم المخطئين»[(٢)].

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) هذه الصور لا يجوز تنزيل الحكم بالكفر فيها على المعين إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع، كما سبق بيانه.

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٤٦)، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٤٤٦).

ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، فوصف الحاكم بغير ما أنزل الله بثلاث صفات، وقد «اختلف أهل العلم في ذلك، فقيل: إن هذه الأوصاف لموصوف واحد؛ لأن الكافر ظالم؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وفاسق؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠]، أي: كفروا، وقيل: إنها لموصوفين متعددين، وإنها على حسب الحكم، وهذا هو الراجح»[١].

وهذا يدل على أن الحكم بغير ما أنزل الله منه ما هو كفر، ومنه ما هو دون ذلك، ويشهد لهذا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: «من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق»[٢]، وما روي عن عطاء أنه قال: «كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم»[٣].

فلهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -مبينًا اختلاف الحكم بحسب حال الحاكم: «لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلًا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر... وأما من كان ملتزمًا لحكم الله ورسوله باطنًا وظاهرًا، لكن عصى واتبع هواه، فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة»[٤]، وقال: «والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافرًا مرتدًّا باتفاق الفقهاء، وفي مثل هذا نزل قوله على أحد القولين: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: هو المستحل للحكم بغير ما أنزل الله»[٥].

وقال الشيخ الشنقيطي: «الظاهر المتبادر من سياق الآيات أن آية ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، نازلة في المسلمين؛ لأنه تعالى قال قبلها مخاطبًا لمسلمي هذه

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٥٩). (٢) تفسير الطبري (٨/ ٤٦٨).
(٣) تفسير الطبري (٨/ ٤٦٤). (٤) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٣٠-١٣١).
(٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٧-٢٦٨).

الأمة: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ٤٤]، ثم قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية، وعليه فالكفر إما كفر دون كفر، وإما أن يكون فعل ذلك مستحلًّا له، أو قاصدًا به جحد أحكام الله وردها مع العلم بها، أما من حكم بغير حكم الله، وهو عالم أنه مرتكب ذنبًا، فاعل قبيحًا، وإنما حمله على ذلك الهوى فهو من سائر عصاة المسلمين»(١).

ويفصل القول في الحكم بغير ما أنزل الله سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم؛ حيث يقسمه إلى قسمين:

الأول: كفر ينقل عن الملة، ويذكر له ستة أنواع: (١) جحد وجوبه. (٢) اعتقاد أن حكم غير الله أحسن من حكمه. (٣) أو مثله. (٤) أو أنه مخير فيه. (٥) إنشاء تشريع كامل يضاهي شرع الله. (٦) الحكم بالأعراف والعوائد القَبَلية وتقديمها على شرع الله.

الثاني: كفر عمل لا ينقل عن الملة، وهو أن تحمله شهوته وهواه على الحكم بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحاكم بغير ما أنزل اللهُ كافرٌ، إما كفرُ اعتقادٍ ناقلٌ عن الملة، وإما كفرُ عملٍ لا ينقلُ عن الملة.

أما الأول: وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع:

أحدها: أن يجحد الحاكمُ بغير ما أنزل الله أحقية حُكمِ الله ورسوله، وهو جحودُ ما أنزل اللهُ من الحكم الشرعي، وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم.

الثاني: ألا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كونَ حُكم اللهِ ورسولِهِ حقًّا، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه وأتم وأشمل.

الثالث: ألا يعتقد كونَه أحسن من حكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنه مثله، فهذا كالنوعين اللذين قبله، في كونه كافرًا الكفرَ الناقل عن الملة، لما يقتضيه

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٤٠٧).

ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة لقوله ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ...﴾ [الشورى: ١١]. ونحوها من الآيات الكريمة، الدالة على تفرُّدِ الرب بالكمال، وتنزيهه عن مماثلة المخلوقين، في الذات والصفات والأفعال والحُكم بين الناس فيما يتنازعون فيه.

الرابع: ألا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلًا لحكم الله ورسوله، فضلًا عن أنْ يعتقدَ كونه أحسن منه، لكن اعتقد جواز الحُكم بما يخالف حُكم الله ورسوله، فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه، لاعتقاده جوازَ ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه.

الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ورسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية، إعدادًا وإمدادًا وإرصادًا وتأصيلًا، وتفريعًا وتشكيلًا وتنويعًا، وحكمًا وإلزامًا، ومراجع ومستندات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجعَ مستمدات، مرجعها كلُّها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلهذه المحاكم مراجع، هي: القانون المُلفَّق من شرائعَ شتى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك، فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهيّأة مكملة، مفتوحةُ الأبواب، والناس إليها أسرابٌ إثْر أسراب، يحكُمُ حُكّامُها بينهم بما يخالف حُكم السُّنّة والكتاب، من أحكام ذلك القانون، وتُلزمهم به، وتُقِرُّهم عليه، وتُحتِّمُه عليهم، فأيُّ كُفر فوق هذا الكفر، وأيُّ مناقضة للشهادة بأن محمدًا رسولُ اللهِ بعد هذه المناقضة.

السادس: ما يحكم به كثيرٌ من رؤساء العشائر، والقبائل من البوادي ونحوهم، من حكايات آبائهم وأجدادهم، وعاداتهم التي يسمُّونها (سلومهم)، يتوارثون ذلك منهم، ويحكمون به ويحُضُّون على التحاكم إليه عند النزاع، بقاء على أحكام الجاهلية، وإعراضًا ورغبةً عن حُكم الله ورسوله، فلا حول

ولا قوة إلَّا بالله.

وأما القسم الثاني من قسمي كُفر الحاكم بما أنزل الله، وهو الذي لا يُخرج من الملة، وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده أن حُكم الله ورسوله هو الحق، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى وهذا وإن لم يُخرِجْه كُفْرُه عن الملة، فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر، كالزنا وشُرب الخمر والسرقة واليمين الغموس وغيرها، فإن معصية سماها الله في كتابه كفرًا، أعظمُ من معصية لم يُسمِّها كُفرًا، نسأل الله أنْ يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه، انقيادًا ورضاءً، إنّه وليُّ ذلك والقادر عليه»[١].

۞ الصورة الثانية: موالاة الكفار:

موالاة الكفار من حيث الحكم عليها بالكفر أو عدمه على أقسام:

القسم الأول: موالاتهم في الظاهر والباطن محبة لدينهم، وهذا كفر؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، قال الطبري: «إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعًا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارًا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرًا وحليفًا ووليًّا من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان»[٢]، وقال أيضًا: «من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متولٍّ أحدًا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راضٍ، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه»[٣]، وقال الشيخ الشنقيطي بعد سياق الآيات الواردة في النهي عن

---

(١) رسالة تحكيم القوانين (١٢/ ٢٨٨) وما بعدها باختصار، ضمن فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم.

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٥٠٧).

(٣) تفسير الطبري (٨/ ٥٠٨).

موالاة الكفار: «ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمدًا اختيارًا رغبة فيهم أنه كافر مثلهم»(١)، وقال الشيخ السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]: «ذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان توليًا تامًّا، صار ذلك كفرًا مخرجًا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دون ذلك»(٢).

القسم الثاني: موالاتهم في الظاهر دون الباطن لغير عذر شرعي، بل لغرض دنيوي، فهذه موالاة محرمة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة فتكون ذنبًا ينقص به إيمانه ولا يكون به كافرًا، كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي ﷺ، وأنزل الله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١](٣)، وكما حصل لسعد بن عبادة لما انتصر لابن أبيٍّ في قصة الإفك، فقال لسعد بن معاذ: كذبتَ والله لا تقتله، ولا تقدر على قتله؛ قالت عائشة: وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا، ولكن احتملته الحمية(٤)»(٥).

القسم الثالث: موالاة الكفار في الظاهر دون الباطن لعذر شرعي كالإكراه، فهذه رخصة تقدر بقدرها بحسب الزمان والمكان والأحوال، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، قال ابن كثير: «أي: إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما حكاه البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: «إنا لَنَكْشِر في وجوه أقوام، وإنَّ

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٤١٣).
(٢) تفسير السعدي (ص٨٥٧).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٠٠٧)، ومسلم (ح٢٤٩٤).
(٤) أخرجه البخاري (ح٤١٤١)، ومسلم (ح٢٧٧٠).
(٥) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٢٢-٥٢٣).

قلوبنا تلعنهم». وقال الثوري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان)، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس: (إنما التقية باللسان)، وكذا قال أبو العالية، وأبو الشعثاء والضحاك، والربيع بن أنس»[(١)]، وقال الشيخ الشنقيطي: «هذه الآية الكريمة فيها بيانٌ لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقًا، وإيضاحٌ؛ لأن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية، فيرخص في موالاتهم بقدر المداراة التي يُكْتفى بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة»[(٢)].

وقال سبحانه: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦]، ومسائل الإكراه -كما يقول ابن عطية: «هي من النوع الذي يدخله فقه الحال»[(٣)]، وتقدير ذلك يرجع إلى الراسخين في العلم.

۞ الصورة الثالثة: الاستهزاء بالدين:

تعريفه:

الاستهزاء في اللغة هو: السخرية، جاء في «لسان العرب»: «الهزء والهزؤ: السخرية. هزئ به ومنه. وهزأ يهزأ فيهما هزءًا وهزوءًا ومهزأة، وتهزأ واستهزأ به: سخر»[(٤)].

وقال البيضاوي: «الاستهزاء: السخرية والاستخفاف، يقال: هزئت واستهزأت بمعنى كأجبت واستجبت»[(٥)].

حكمه:

الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين، ومما يدل على ذلك

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠).
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٤١٣).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٢٠).
(٤) لسان العرب (١/ ١٨٣).
(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٤٧).

قوله جل وعلا: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٤ - ٦٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر»[(١)]، وقال أيضًا: «فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفرًا، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر، فبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه»[(٢)].

وقال ابن العربي: «لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جدًّا أو هزلًا، وهو كيفما كان كفر؛ فإن الهزل بالكفر كفر، لا خُلْف فيه بين الأمة»[(٣)].

وقال السعدي: «الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين؛ لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة؛ ولهذا لما جاؤوا إلى الرسول يعتذرون بهذه المقالة والرسول لا يزيدهم على قوله: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾»[(٤)].

ومما يدل أيضًا على أن الاستهزاء كفر: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤]، قال الرازي: «وذلك يدل على أن الاستهزاء بالدين أعظم درجات الكفر وأقوى مراتبه»[(٥)]، وقال أيضًا: «الاستهزاء بالدين كيف كان كفرٌ بالله؛ وذلك لأن

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٣١).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٧٣)، وانظر: الرد على البكري (٢/ ٦٦٥-٦٦٦).
(٣) أحكام القرآن (٢/ ٥٤٣).
(٤) تفسير السعدي (ص٣٤٢-٣٤٣).
(٥) تفسير الرازي (١١/ ٢٤٥).

الاستهزاء يدل على الاستخفاف، والعمدة الكبرى في الإيمان تعظيم الله تعالى بأقصى الإمكان والجمع بينهما محال»[(١)].

وقال ابن حزم: «صح بالنص أن كل من استهزأ بالله تعالى، أو بملك من الملائكة، أو بنبي من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أو بآية من القرآن، أو بفريضة من فرائض الدين فهي كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة إليه فهو كافر»[(٢)].

وقال القاضي عياض: «وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه، وجلالة مولاه، أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته، أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للإلحاد، فإن تكرر هذا منه، وعرف به دل على تلاعبه بدينه، واستخفافه بحرمة ربه، وجهله بعظيم عزته وكبريائه، وهذا كفر لا مرية فيه، وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه»[(٣)].

وقال ابن قدامة: «ومن سبَّ الله تعالى كفر، سواء كان مازحًا أو جادًّا، وكذلك من استهزأ بالله تعالى أو بآياته أو برسله أو كتبه، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]، وينبغي ألا يُكْتَفَى من الهازئ بذلك بمجرد الإسلام، حتى يؤدَّب أدبًا يزجره عن ذلك»[(٤)].

۞ الصورة الرابعة: سب النبي ﷺ والاستهزاء به:

إذا أسلم الكافر الأصلي وكان قد سبَّ النبي ﷺ حال كفره فإن الإسلام يجبُّ ما قبله، وتسقط عنه عقوبة القتل، لعموم قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ

(١) تفسير الرازي (١٦/ ٩٥).
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٤٢).
(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٦٣٥). (٤) المغني (١٢/ ٢٩٨-٢٩٩).

كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وأما من سب النبي ﷺ من المسلمين فهو كافر مرتد خارج عن الإسلام، وإذا كان سابُّ النبي ﷺ مرتدًّا فعقوبته القتل بعد ثبوت ذلك عليه، ورفع أمره إلى القاضي الشرعي، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقوله جل وعلا: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، قال البغوي: «قيل: هي سب النبي ﷺ»(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ [التوبة: ١٢].

قال ابن كثير: «﴿وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ أي: عابوه وانتقصوه، ومن هاهنا أخذ قتل من سب الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بتنقُّص؛ ولهذا قال: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ أي: يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال»(٢).

وأما السنة فعن علي رضي الله عنه أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ دمها(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فرتب علي رضي الله عنه إبطال الدم على الشتم بحرف الفاء، فعلم أنه هو الموجب لإبطال دمها؛ لأن تعليق الحكم بالوصف المناسب بحرف الفاء يدل على العلية»(٤).

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٧٥)، وانظر: لطائف الإشارات (٢/ ٤٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١١٦)، وانظر: تفسير القرطبي (٨/ ٨٢)، الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص١٤).

(٣) أخرجه أبو داود (ح٤٣٦٢)، وقال الألباني: «إسناده صحيح على شرط الشيخين» (إرواء الغليل ٥/ ٩١).

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٦٦).

وعن أبي برزة الأسلمي، قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصديق، قال: فقال أبو برزة: ألا أضرب عنقه؟ فانتهره وقال: ما هي لأحد بعد رسول الله ﷺ[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد استدل به على جواز قتل سابِّ النبي ﷺ جماعة من العلماء، منهم: أبو داود، وإسماعيل بن إسحاق القاضي، وأبو بكر عبد العزيز، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم من العلماء، وذلك لأن أبا برزة لما رأى الرجل قد شتم أبا بكر وأغلظ له حتى تغيظ أبو بكر استأذنه في أن يقتله بذلك، وأخبره أنه لو أمره لقتله، فقال أبو بكر: ليس هذا لأحد بعد النبي ﷺ، فعُلِمَ أن النبي ﷺ كان له أن يقتل من سبه ومن أغلظ له، وأن له أن يأمر بقتل من لا يعلم الناس منه سببًا يبيح دمه، وعلى الناس أن يطيعوه في ذلك؛ لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به، ولا يأمر بمعصية الله قط، بل من أطاعه فقد أطاع الله»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ، وتقع فيه، فينهاها، فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة، جعلت تقع في النبي ﷺ، وتشتمه، فأخذ المغول فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل، فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فجمع الناس فقال: «**أنشد الله رجلًا فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام**»، فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها، كانت تشتمك، وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كان البارحة جعلت تشتمك، وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها، واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ: «**ألا اشهدوا أن**

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٢٢)، وأبو داود (ح٤٣٦٣)، والنسائي (ح٤٠٧١)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر (انظر: المسند ١/ ١٨٨).
(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٩٤).

دمها هدر»[١].

قال الخطابي: «وفيه بيان أن ساب النبي ﷺ مقتول، وذلك أن السب منها لرسول الله ﷺ ارتداد عن الدين، ولا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلو لم يكن قتلها جائزًا لبين النبي ﷺ له أن قتلها كان محرمًا، وأن دمها كان معصومًا، ولأوجب عليه الكفارة بقتل المعصوم، والدية إن لم تكن مملوكة له، فلما قال: «**اشهدوا أن دمها هدر**» والهدر الذي لا يضمن بقود ولا دية ولا كفارة؛ علم أنه كان مباحًا مع كونها كانت ذمية، فعلم أن السبَّ أباح دمها، لا سيما والنبي ﷺ إنما أهدر دمها عقب إخباره بأنها قتلت لأجل السبِّ، فعُلِمَ أنه الموجب لذلك، والقصة ظاهرة الدلالة في ذلك»[٣].

وأما الإجماع فقال ابن المنذر: «وأجمعوا على أن على من سبَّ النبي ﷺ القتل»[٤].

وقال القاضي عياض: «وأجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه»[٥].



(١) أخرجه أبو داود (ح٤٣٦١)، والنسائي (ح٤٠٧٠)، وقال الحافظ ابن حجر: «رواته ثقات» (بلوغ المرام، ص: ٤٥٤)، وقال الألباني: «إسناده صحيح على شرط مسلم» (إرواء الغليل ٥/ ٩٢).

(٢) معالم السنن (٣/ ٢٩٦).

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٧٠)، وانظر: تفسير القرطبي (٨/ ٨٣).

(٤) الإجماع (ص١٣٦).

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢١١)، مع حاشية الشمني، وانظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٣).

حكم قبول توبة من سب النبي ﷺ:

أجمع العلماء على أن ساب النبي ﷺ إذا تاب توبة نصوحًا فإن الله يغفر له، واختلفوا في قبول توبته في الدنيا وسقوط القتل عنه، فذهب مالك[(١)] وأحمد[(٢)] إلى أنها لا تقبل، فيقتل ولو تاب، واستدلوا على ذلك بالسنة والنظر الصحيح.

أما السنة فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: لما كان يوم فتح مكة أمَّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين وسماهم - وابن أبي سرح، فذكر الحديث - قال: وأما ابن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله بايعْ عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثًا كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه، فقال: «**أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففتُ يدي عن بيعته فيقتله؟**» فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك، قال: «**إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين**»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فوجه الدلالة أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح افترى على النبي ﷺ أنه كان يتمم له الوحي، ويكتب له ما يريد، فيوافقه عليه، وأنه يصرفه حيث شاء ويغير ما أمره به من الوحي فيقره على ذلك، وزعم أنه سينزل مثل ما أنزل الله، إذ كان قد أوحي إليه في زعمه كما أوحي إلى رسول الله ﷺ، وهذا الطعن على رسول الله ﷺ وعلى كتابه والافتراء عليه بما يوجب الريب في نبوته قدر زائد على مجرد الكفر به، والردة في

---

(١) انظر: البيان والتحصيل (١٦/ ٤١٣)، الجامع لمسائل المدونة (٢٢/ ٢٨١).

(٢) انظر: الكافي (٤/ ٦٢).

(٣) أخرجه أبو داود (ح٢٦٨٣)، والنسائي في السنن الكبرى (ح٣٥١٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٤٢٦).

الدين، وهو من أنواع السب»[١].

وأما النظر الصحيح؛ فإن ساب الرسول ﷺ يتعلق به حقان:

أحدهما: حق شرعي لكونه رسول الله ﷺ، وهذا يقبل إذا تاب.

الثاني: حق شخصي، وهذا لا تقبل التوبة فيه لكونه حق آدمي لم يعلم عفوه عنه، وعلى هذا فيقتل ولكن إذا قتل، غسلناه، وكفناه، وصلينا عليه، ودفناه مع المسلمين[٢].

وذهب آخرون إلى سقوط عقوبة القتل عنه بالتوبة، قال مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أيما مسلم سب الله ورسوله، أو سب أحدًا من الأنبياء، فقد كذب برسول الله ﷺ وهي ردة، يستتاب، فإن رجع، وإلا قتل»[٣].

وما ذهب إليه ابن عباس هو مذهب جمهور أهل العلم من الحنفية[٤]، وأكثر الشافعية[٥]، وبعض الحنابلة[٦]، وهو مذهب الثوري والأوزاعي، وهو الرواية الأخرى عن مالك وأحمد، قالوا: إنه يستتاب كسائر المرتدين، فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب قتل كفرًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وحكى مالك وأحمد أنه تقبل توبته، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، وهو المشهور من مذهب الشافعي بناء على قبول توبة المرتد»[٧].

وقال الشيخ عبد الرحمن الجزيري: «ومن سب النبي ﷺ صريحًا، أو عرَّض بمقامه الكريم، أو سب نبيًّا من الأنبياء، أو سب جبريل وميكائيل، **فقد**

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص١١٥).

(٢) انظر: الصارم المسلول (ص٣٠٢)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ١٥١).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٥/ ٥٥).

(٤) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٥/ ١٣٥).

(٥) انظر: روضة الطالبين (١٠/ ٨٢).

(٦) انظر: الكافي (٤/ ٦٢).

(٧) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٣١٣).

اختلف فيه على قولين:

أحدهما: أنه يقتل حدًّا ولا تقبل توبته، كما يقول المالكية.

ثانيهما: أن حكمه حكم المرتد الذي سب خالقه، فإن تاب وإلا قتل، وهذا هو المذهب الذي عليه العمل، وإن كان سب الرسول ﷺ من أشنع الجرائم وأقبحها، وأن الذي يقدم عليه وعنده مثقال ذرة من العقل لا يرجى منه خير، فإعدامه خير من بقائه»[1].



(١) الفقه على المذاهب الأربعة (٤/ ٢٠٤).



المبحث السابع

النفاق

تعريفه وأنواعه وحكم كل نوع، مع الأدلة

تعريف النفاق لغة:

قال ابن الأثير: «هو اسم إسلامي، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفًا. يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقًا، وهو مأخوذ من النافقاء: أحد جِحَرة اليربوع، إذا طُلب من واحد هرب إلى الآخر، وخرج منه. وقيل: هو من النفق: وهو السَّرَب الذي يستتر فيه، لستره كفره»(١).

وقال ابن منظور: «نفق اليربوع تنفيقًا، ونافق، أي: دخل في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين، والنفاق -بالكسر: فعل المنافق. والنفاق: الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر، مشتق من نافقاء اليربوع»(٢)، و«سمي المنافق منافقًا؛ للنفق وهو السرب في الأرض، وقيل: إنما سمي منافقًا؛ لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه، يقال: قد نفق به ونافق، وله جحر آخر يقال له: القاصعاء، فإذا طُلِبَ قصع فخرج من

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٩٨).

(٢) لسان العرب (١٠/ ٣٥٩).

القاصعاء، فهو يدخل في النافقاء ويخرج من القاصعاء، أو يدخل في القاصعاء ويخرج من النافقاء، فيقال: هكذا يفعل المنافق، يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه»[(١)].

تعريف النفاق شرعًا:

النفاق شرعًا هو اختلاف الظاهر والباطن، أو السر والعلانية، ويدخل في ذلك النفاق الأكبر والأصغر؛ فإن كان الاختلاف في اعتقاد الإيمان فهو النفاق الأكبر، وإن كان في الواجبات فهو النفاق الأصغر.

قال الحافظ ابن حجر: «النفاق لغة: مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك، وتتفاوت مراتبه»[(٢)].

وقال السعدي: «النفاق هو: إظهار الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي، كالذي ذكر النبي ﷺ في قوله: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**»، وفي رواية: «**وإذا خاصم فجر**»، وأما النفاق الاعتقادي المخرج عن دائرة الإسلام، فهو الذي وصف الله به المنافقين في هذه السورة [سورة البقرة] وغيرها»[(٣)].

أنواع النفاق:

النفاق نوعان:

١- أكبر، ويسمى النفاق الاعتقادي، وتعريفه: «إظهار الدين وإبطان خلافه»[(٤)]، يعني: «إضمار الكفر»[(٥)]، وإظهار الإسلام. وحكمه أنه مخرج من الملة، وصاحبه مخلد في النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ

---

(١) لسان العرب (١٠/ ٣٥٩)، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٤٩).

(٢) فتح الباري (١/ ٨٩)، وانظر: مجموع الفتاوى (١١/ ١٤٣-١٤٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٧٦).

(٣) تفسير السعدي (ص٤٢).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/ ١٤٣).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/ ١٤٠).

ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء: ١٤٥]، وكقوله سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون: ١].

٢- أصغر، ويسمى النفاق العملي، وتعريفه: «هو اختلاف السر والعلانية في الواجبات»[(١)]، وحكمه: أنه لا يخرج من الملة، وتتفاوت مراتبه، فمنه ما هو من كبائر الذنوب كما قال ابن كثير[(٢)]، ومنه ما هو دون ذلك، ولهذا قال ابن حجر: «وتتفاوت مراتبه»[(٣)]، يعني من حيث الإثم.

ومثاله: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**»[(٤)]، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أربع مَن كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[(٥)]، وقال أناسٌ لابن عمر رضي الله عنهما: إنا ندخل على سلطاننا، فنقول لهم خلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قال: «كنا نعدها نفاقًا»[(٦)].

«فإذا أظهر أنه مؤمن وأبطن التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر الذي أوعد صاحبه بأنه في الدرك الأسفل من النار، وإن أظهر أنه صادق أو موفٍ أو أمين وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك، فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقًا، فإطلاق النفاق عليهما في الأصل بطريق التواطؤ»[(٧)].

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ١٤٠).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٧٦).
(٣) فتح الباري (١/ ٨٩).
(٤) أخرجه البخاري (ح٣٣)، ومسلم (ح٥٩).
(٥) أخرجه البخاري (ح٣٤)، ومسلم (ح٥٨).
(٦) أخرجه البخاري (ح٧١٧٨).
(٧) مجموع الفتاوى (١١/ ١٤٣-١٤٤).

قال ابن رجب: «**النفاق... في الشرع ينقسم إلى قسمين:**

أحدهما: النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي ﷺ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

والثاني: النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك»[(١)].



(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨١)، وانظر: مدارج السالكين (١/ ٣٥٤-٣٥٥).



المبحث الثامن

البدعة

تعريفها، وأنواعها، وأحكامها وأسباب الابتداع وأضراره

❁ أولًا: تعريف البدعة:

البدعة لغة: هي «ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال»(١).

وأصلها من: بَدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعًا وابتدعه: أنشأه وبدأه، وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له: أبدعت، والبدعة: كل محدثة، ولهذا قيل لمن خالف السنة: مبتدع؛ لأنه أحدث في الإسلام ما لم يسبقه إليه السلف.

والبديع: من أسماء الله ﷻ لإبداعه الأشياء وإحداثه إيَّاهَا، وقول الله جل وعز: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أي: منشئهما على غير حذاء ولا مثال، ومعنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] أي: ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسل كثير(٢).

❁ ❁ ❁

(١) مقاييس اللغة (١/ ٢٠٩).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٤٢-١٤٣)، الصحاح (٣/ ١١٨٣-١١٨٤)، المحكم (٢/ -٢٦)، لسان العرب (٨/ ٦)، تاج العروس (١١/ ٨).

وأما البدعة شرعًا فقد تنوعت عبارات العلماء في تعريفها:

عرفها الشاطبي بقوله: «طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه»[(١)].

وقوله: «تضاهي الشرعية» يعني: تشابهها، فيدعي مبتدعها أنها من الشرع وليست منه.

وقال ابن رجب: «المراد بالبدعة: ما أُحدِث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعة لغة»[(٢)]. يعني ما أحدث سواء في الاعتقادات أو الأقوال أو الأعمال أو التروك ونسب إلى الشرع وليس منه فهو بدعة.

وعرفها ابن تيمية بقوله: «البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب»[(٣)].

وقال شيخنا ابن عثيمين: «البدعة شرعًا ضابطها: التعبد لله بما لم يشرعه الله، وإن شئت فقل: التعبد لله تعالى بما ليس عليه النبي ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون.

وأجمع تعريف للبدعة هو ما دل عليه حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد**»[(٤)]، وفي رواية أخرى: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(٥)]، فيقال: البدعة: هي إحداث أمر في الدين مما ليس فيه.

---

(١) الاعتصام (١/ ٥٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٧)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٤٦)، اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٩٥).

(٤) أخرجه البخاري (ح٢٦٩٧)، ومسلم (ح١٧١٨).

(٥) أخرجه مسلم (ح١٧١٨).

۞ ثانيًا: أنواع البدعة:

تنقسم البدع إلى أقسام عدة باعتبارات مختلفة:

فتنقسم البدعة باعتبار نوعها إلى اعتقادية وعملية:

١- **البدعة الاعتقادية**، كمقالات الخوارج والروافض وأهل الاعتزال والجهمية وسائر مقالات الفِرَق الضالة.

٢- **البدعة العملية**، وهي التعبد لله بغير ما شرع، ومن أمثلة ذلك: إحداث عبادة لم تُشرع، أو الزيادة أو النقص في عبادة مشروعة، أو الإتيان بالعبادة على صفة محدثة، ونحو ذلك.

ومن أمثلة هذه البدعة: البناء على القبور، وبناء المساجد عليها، والأعياد والاحتفالات المحدثة التي يتعبد لله تعالى بها، ونحو ذلك.

وتنقسم أيضًا باعتبار أصلها إلى بدعة حقيقية وإضافية:

١- **البدعة الحقيقية** هي التي لم يدل عليها دليل شرعي، فليس لها أصل من كتاب، أو سنة، أو إجماع[(١)].

٢- **البدعة الإضافية** هي مشروعة من وجه، ومحدَثة من وجه؛ إذ يدخلها من جهة المخترع رأي في بعض أحوالها، فلم تناف الأدلة من كل وجه[(٢)]، ومن أمثلتها: الذكر الجماعي، فالذكر أصله مشروع، لكن بهذه الصفة والهيئة محدَث، وكذلك تخصيص ليلة السابع والعشرين من رجب بالقيام، فالقيام في أصله مشروع، لكن تخصيصه بليلة معينة بدعة.

۞ ثالثًا: أحكام البدعة:

تنقسم البدعة من حيث حكمها إلى قسمين: بدعة مكفرة، وبدعة غير مكفرة.

قال الشيخ حافظ الحكمي: «ضابطها [أي البدع المكفرة] من أنكر أمرًا

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/ ١٤١).
(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٩٤).

مجمعًا عليه متواترًا من الشرع معلومًا من الدين بالضرورة؛ لأن ذلك تكذيب بالكتاب، وبما أرسل الله به رسله كبدعة الجهمية في إنكار صفات الله ﷻ، والقول بخلق القرآن أو خلق أي صفة من صفات الله ﷻ، وإنكار أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلم موسى تكليمًا وغير ذلك، وكبدعة القدرية في إنكار علم الله وأفعاله وقضائه وقدره، وكبدعة المجسمة الذين يشبهون الله تعالى بخلقه وغير ذلك من الأهواء، ولكن هؤلاء منهم من علم أن عين قصده هدم قواعد الدين وتشكيك أهله فيه فهذا مقطوع بكفره، بل هو أجنبي عن الدين من أعدى عدو له، وآخرون مغرورون ملبس عليهم فهؤلاء إنما يحكم بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم، وإلزامهم بها»[١].

وقال عن البدع غير المكفرة: «هي ما لم تكن كذلك مما لم يلزم منه تكذيب بالكتاب ولا بشيء مما أرسل الله به رسله، كبدعة المروانية[٢] التي أنكرها عليهم فضلاء الصحابة ولم يقروهم عليها، ولم يكفروهم بشيء منها ولم ينزعوا يدًا من بيعتهم لأجلها، كتأخيرهم بعض الصلوات إلى أواخر أوقاتها، وتقديمهم الخطبة قبل صلاة العيد، والجلوس في نفس الخطبة في الجمعة وغيرها... ونحو ذلك مما لم يكن منهم عن اعتقاد شرعية، بل بنوع تأويل وشهوات نفسانية وأغراض دنيوية»[٣].

۞ رابعًا: تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة:

لا يصح تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة؛ لأن الحكم الجامع لكل أنواع الابتداع في الدين هو قوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»، ولا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة الكلية من رسول الله ﷺ، فيسلب عمومها، فيقول: ليست كل بدعة ضلالة، بل البدعة قسمان: حسنة، وسيئة، مستندًا

(١) أعلام السنة المنشورة (ص١٢١).
(٢) أي: بدع حكام الدولة من بني مروان.
(٣) أعلام السنة المنشورة (ص١٢١-١٢٢)، وانظر: معارج القبول (٣/ ١٢٢٨-١٢٢٩).

إلى قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نعمت البدعة هذه»[(١)].

«فقوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**» من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**»، فكل من أحدث شيئًا، ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه، فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة»[(٢)].

وما سمي بدعة وثبت حسنه بأدلة الشرع فليس ببدعة في الدِّين، وإن كان يسمى بدعة من حيث اللغة، كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نعمت البدعة هذه»[(٣)].

قال الحافظ ابن رجب: «وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية، لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج ورآهم يصلون كذلك فقال: نعمت البدعة هذه. وروي عنه أنه قال: إن كانت هذه بدعة، فنعمت البدعة. وروي عن أبي بن كعب، قال له: إن هذا لم يكن، فقال عمر: قد علمت، ولكنه حسن، ومراده أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت، ولكن له أصول من الشريعة يرجع إليها، فمنها أن النبي ﷺ كان يحث على قيام رمضان، ويرغب فيه، وكان الناس في زمنه يقومون في المسجد جماعات متفرقة ووحدانًا، وهو ﷺ صلى بأصحابه في رمضان غير ليلة، ثم امتنع من ذلك معللًا بأنه خشي أن يكتب عليهم، فيعجزوا عن القيام به، وهذا قد أمن بعده ﷺ، وروي عنه أنه كان يقوم بأصحابه ليالي الأفراد في العشر الأواخر.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (ح٣)، قال الحافظ ابن حجر: «إسناده حسن» (التلخيص الحبير ٢/ ٥٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٧١).

ومنها: أنه ﷺ أمر باتباع سنة خلفائه الراشدين، وهذا قد صار من سنة خلفائه الراشدين، فإن الناس اجتمعوا عليه في زمن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

ومن ذلك: أذان الجمعة الأول، زاده عثمان لحاجة الناس إليه، وأقره علي، واستمر عمل المسلمين عليه، وروي عن ابن عمر أنه قال: هو بدعة، ولعله أراد ما أراد أبوه في قيام رمضان.

ومن ذلك: جمع المصحف في كتاب واحد، توقف فيه زيد بن ثابت وقال لأبي بكر وعمر: كيف تفعلان ما لم يفعله النبي ﷺ؟ ثم علم أنه مصلحة، فوافق على جمعه، وقد كان النبي ﷺ يأمر بكتابة الوحي، ولا فرق بين أن يكتب مفرقًا أو مجموعًا، بل جمعه صار أصلح.

وكذلك جمع عثمان الأمة على مصحف واحد وإعدامه لما خالفه خشية تفرق الأمة، وقد استحسنه علي رضي الله عنه وأكثر الصحابة، وكان ذلك عين المصلحة.

وكذلك قتال من منع الزكاة توقف فيه عمر وغيره حتى بين له أبو بكر أصله الذي يرجع إليه من الشريعة، فوافقه الناس على ذلك»(١).

وقال الإمام الشاطبي: «إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال، من حيث تركها رسول الله ﷺ، واتفق أن لم تقع في زمان أبي بكر رضي الله عنه، لا أنها بدعة في المعنى، فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسامي، وعند ذلك لا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه؛ لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه»(٢).

ومجمل القول: أن قوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**» أصل كلي جامع لا يخرج عنه شيء، أما قول عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة»، فقيل: إنه مجاز يراد به غير

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٨-١٢٩).

(٢) الاعتصام (١/ ٣٣٢-٣٣٣)، وانظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٥/ ٢٤٩-٢٥١).

حقيقته كما قاله الشاطبي[(١)]، ولكن المجاز لا بد فيه من قرينة، وربما قيل: القرينة الصارفة ثبوت أصلها الشرعي.

وحمله طائفة من أهل العلم على البدعة اللغوية لا الشرعية، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن رجب، وهو الصواب.

۞ رابعًا: أسباب الابتداع:

وهي تتلخص في أمور[(٢)]، منها:

١- الجهل بأحكام الدين:

كلما امتد الزمن وبَعُد الناس عن آثار الرسالة؛ قل العلم وفشا الجهل؛ كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: «**من يعش منكم؛ فسيرى اختلافًا كثيرًا**»[(٣)]، وقوله: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالما؛ اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[(٤)]، فضلوا بجهلهم وأضلوا غيرهم؛ حيث أفتوهم بغير علم، فتاهوا في بيداء الضلال.

قال الإمام ابن القيم: «فإن قيل: فما الذى أوقع عُبَّاد القبور فى الافتتان بها، مع العلم بأن ساكنيها أموات، لا يملكون لهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا؟ قيل: **أوقعهم فى ذلك أمور:**

منها: الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله، بل جميع الرسل من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك، فقلَّ نصيبهم جدًّا من ذلك. ودعاهم الشيطان إلى الفتنة، ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته، فاستجابوا له بحسب ما

(١) انظر: الاعتصام (١/ ٥٠).
(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٣٢٧-٣٢٨).
(٣) أخرجه أبو داود (ح٤٦٠٧)، والترمذي (٢٨٧٠)، وابن ماجه (ح٤٣)، وصححه الألباني (صحيح الجامع رقم ٢٥٤٩).
(٤) أخرجه البخاري (ح١٠٠)، ومسلم (ح٢٦٧٣).

عندهم من الجهل، وعصموا بقدر ما معهم من العلم»(١).

٢- اتباع الهوى:

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقال النبي ﷺ: «... **وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب(٢) بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**»(٣).

ف«اتباع الهوى أصل الابتداع»(٤)، «ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها من وراء ذلك»(٥).

قال الشهرستاني: «اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة، شبهة إبليس -لعنه الله- ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين»(٦).

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢١٤-٢١٥).

(٢) **الكَلَب -بالتحريك**: داء يعرِض للإنسان من عض الكَلْب الكَلِب، فيصيبه شبه الجنون، فلا يعضُّ أحدًا إلا كَلِب، وتعرض له أعراضٌ رديئة، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشًا (النهاية، ابن الأثير ٤/ ١٩٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ١٣٥)، وأبو داود (ح٤٥٩٧)، وإسناده حسن.

(٤) الاعتصام (٢/ ٤٦٧).

(٥) الاعتصام (٣/ ١٠٢).

(٦) الملل والنحل (١/ ١٤).

٣- التعصب:

التعصب لآراء الرجال يحول بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وهذا هو شأن المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب والصوفية والقبوريين، إذا دعوا إلى الكتاب والسنة، ونبذ ما هم عليه مما يخالفهما؛ احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم.

٤- التشبه بالكفار:

من أسباب الابتداع التشبه بالكفار، كما في حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر! إنها السنن! قلتم -والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبُنَّ سنن من قبلكم**»[(١)].

٥- الغلو:

الغلو في الدين يجر إلى الابتداع في الاعتقاد أو العمل، يقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧]،

---

(١) أخرجه الترمذي (ح٢١٨٠)، وقال: «حديث حسن صحيح».

فالغلو سبب ضلال أهل الكتاب، وكذلك سبب لافتراق الفرق وظهور البدع، قال ابن أبي العز: «فصار هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا يقابلون البدعة بالبدعة، أولئك غلوا في علي، وأولئك كفروه! وأولئك غلوا في الوعيد، حتى خلدوا بعض المؤمنين، وأولئك غلوا في الوعد حتى نفوا بعض الوعيد أعني المرجئة! وأولئك غلوا في التنزيه حتى نفوا الصفات، وهؤلاء غلوا في الإثبات، حتى وقعوا في التشبيه! وصاروا يبتدعون من الدلائل والمسائل ما ليس بمشروع، ويعرضون عن الأمر المشروع»[(١)].

٦- كيد الشيطان وإغواؤه:

إن الشيطان يتخذ شتى الوسائل في إغواء الإنسان وإيقاعه في حبائل الشرك والبدع والمعاصي، قال الإمام ابن القيم: «فإنه [أي: الشيطان] يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات، بعضها أصعب من بعض، لا ينزل منه من العقبة الشاقة إلى ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها.

العقبة الأولى: عقبة الكفر بالله وبدينه ولقائه، وبصفات كماله، وبما أخبرت به رسله عنه، فإنه إن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح، فإن اقتحم هذه العقبة ونجا منها ببصيرة الهداية، وسلم معه نور الإيمان طلبه على:

العقبة الثانية: وهي عقبة البدعة، إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله من الأوضاع والرسوم المحدثة في الدين، التي لا يقبل الله منها شيئًا، والبدعتان في الغالب متلازمتان، قَلَّ أن تنفك إحداهما عن الأخرى، كما قال بعضهم: تزوجت بدعة الأقوال ببدعة الأعمال، فاشتغل الزوجان بالعرس، فلم يفجأهم إلا وأولاد الزنا يعيشون في بلاد الإسلام، تضج منهم العباد والبلاد إلى الله

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٧٩٩).

تعالى . . . »[(١)].

۞ خامسًا: أضرار الابتداع:

١- **الوقوع في الفتنة:** قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وعن مالك بن أنس أن رجلًا أتاه يقول: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة، قال: وأي فتنة في هذا؟! إنما هي أميال أزيدها، قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ، إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٢)]. قال الإمام الشاطبي: «وهذه الفتنة التي ذكرها مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسير الآية هي شأن أهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم، فإنهم يرون أن ما ذكره الله في كتابه وما سنَّه نبيه ﷺ دون ما اهتدوا إليه بعقولهم»[(٣)].

٢- **الحرمان من الشرب من حوض رسول الله ﷺ:** فيخشى على المبتدعة المفارقين لجماعة المسلمين أن يكونوا ممن يحال بينهم وبين الشرب من الحوض، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «**أنا فَرَطكم على الحوض، ليرفعن إليَّ رجالٌ منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب، أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[(٤)].

٣- **الحرمان من التوبة:** من شؤم البدعة أن صاحبها قد لا يوفق للتوبة لتوهمه أنه على الحق، يقول رسول الله ﷺ: «**إن الله حجز** - أو قال: **حجب - التوبة عن كل صاحب بدعة**»[(٥)].

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٣٧-٢٣٨).

(٢) أخرج هذه القصة الإمام ابن العربي بسنده في: عارضة الأحوذي (٤/ ٣٥).

(٣) الاعتصام (١/ ١٧٤).

(٤) أخرجه البخاري (ح٦٥٧٦)، ومسلم (ح٢٢٩٧).

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢١)، والطبراني في الأوسط (ح٤٢١٤)، وصححه الألباني (ظلال الجنة ١/ ٢١).

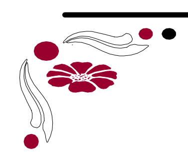
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا قال أئمة الإسلام كسفيان الثوري وغيره: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها. ومعنى قولهم: (إن البدعة لا يتاب منها) أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنًا، فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه، أو بأنه ترك حسنًا مأمورًا به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسنًا وهو سيئٌ في نفس الأمر فإنه لا يتوب»[(١)].

٤- عدم قبول العمل المحدَث: يقول رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(٢)].

٥- الوعيد باللعن والطرد من رحمة الله: عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحدث حدثا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف**»[(٣)].



(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٩).
(٢) أخرجه مسلم (ح١٧١٨).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣١٧٩)، ومسلم (ح١٣٧٠).



ملخص الفصل الرابع

❊ **الكفر في اللغة:** الستر والتغطية، وحقيقته شرعًا: عدم الإيمان.

❊ **الكفر نوعان:** كفر أكبر، وكفر أصغر؛ فالكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار، والأصغر: موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

❊ **من ضوابط التمييز بين الكفر الأكبر والأصغر في النصوص ما يلي:** **(١)** لفظ (الكفر) إن ورد في النصوص معرفًا بـ(أل) فهو الأكبر، وإن ورد منكَّرًا فهو الأصغر. **(٢)** فهم الصحابة من النص أن المراد به الكفر الأكبر أو الأصغر. **(٣)** دلالة السياق على أن المراد به الكفر الأصغر. **(٤)** دلالة نصوص أخرى على أنه من الكفر الأصغر.

❊ **الكفر الأكبر أنواع، منها:** كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق.

❊ من ترك الشهادتين فلم يتكلم بهما مع قدرته على ذلك فهو كافر بالاتفاق، ومن ترك شيئًا من أركان الإسلام الأربعة بعد الشهادتين جحودًا وإنكارًا بعد بلوغ الحجة فهو كافر أيضًا بالإجماع، أما إذا ترك شيئًا منها مع الإقرار بوجوبها فقد اختلف أهل العلم في حكمه.

❊ **التكفير:** تفعيل من الكفر، وهو مصدر كفَّره- بالتشديد- أي: نسبه إلى الكفر، فالتكفير: هو إنزال الحكم بالكفر على الأعيان أو الأوصاف- من قول، أو فعل- مثال الأول: أن يقول: فلان كافر، ومثال الثاني: من قال كذا، فهو كافر، فالأول يسمى: تكفير المعيّن، والثاني يسمى التكفير المطلق.

❊ **للتكفير ستة ضوابط:** **(١)** ثبوت الدليل المقتضي للتكفير من كتاب أو سنة

أو إجماع. (٢) من ثبت إسلامه بيقين، لا يحكم بزواله إلا بيقين. (٣) الحكم يكون على الظواهر، والله يتولى السرائر. (٤) لا يجوز التكفير بمطلق الذنوب. (٥) يجب التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين. (٦) لا يثبت تكفير المعيّن إلا بعد استيفاء شروط التكفير وانتفاء موانعه.

❋ **شروط التكفير سبعة:** (١) إقامة الحجة. (٢) تحقق التكليف (أي: بالغًا عاقلًا). (٣) ثبوت التعمد. (٤) ثبوت الاختيار. (٥) قيام الدليل الشرعي على أن الذنب من الكفر الأكبر. (٦) أن يكون فعله أو قوله صريحَ الدلالة على الكفر. (٧) أن يثبت بطريق شرعي صحيح.

❋ **موانع التكفير خمسة:** (١) الخطأ. (٢) التأويل. (٣) الجهل. (٤) الإكراه. (٥) العجز.

❋ تباينت مذاهب الناس في التكفير؛ فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحدًا، وهم المرجئة، وطائفة تكفر بكل ذنب، وهم الخوارج، وهؤلاء على طرفي نقيض، وبينهما مذاهب أخرى.

❋ **الفرق بين تكفير المعين والتكفير المطلق: أن تكفير المعين:** هو الحكم على معين بالكفر، **والتكفير المطلق:** هو الحكم على المقالة بأنها كفر دون تنزيل الحكم على شخص بعينه.

❋ تعددت مسالك أهل السنة في توجيه معنى النصوص التي ورد فيها إطلاق الكفر على بعض الذنوب؛ فمنهم من توقف عن تفسيرها، ومنهم من فسرها بنفي كمال الإيمان الواجب، أو حملها على الزجر والوعيد والتشديد، ومنهم من حملها على الكفر الذي لا ينقل عن الملة، ومنهم من حملها على المستحل.

❋ **الحكم بغير ما أنزل الله أقسام:**

❑ منه ما هو كفر أكبر؛ كأن يحكم في القضية معتقدًا أن حكمه أفضل من حكم الله.

❑ ومنه ما هو كفر أصغر أو معصية؛ كأن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده أن حُكم الله ورسوله هو الحق، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى.

❑ ومنه ما هو خطأ؛ كأن يجهل حكم الله في القضية، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم، فيحكم فيخطئ في الحكم.

❊ موالاة الكفار من حيث الحكم عليها بالكفر أو عدمه على أقسام: **الأول:** موالاتهم في الظاهر والباطن محبة لدينهم، وهذا كفر. **الثاني:** موالاتهم في الظاهر دون الباطن لغير عذر شرعي، بل لغرض دنيوي، فهذه موالاة محرمة. **الثالث:** موالاة الكفار في الظاهر دون الباطن لعذر شرعي كالإكراه، فهذه رخصة تقدر بقدرها بحسب الزمان والمكان والأحوال.

❊ **الاستهزاء لغة** هو السخرية، والاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين، إلا أن تنزيل هذا الحكم على المعين لا بد فيه من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، والمرجع في ذلك هم العلماء الراسخون.

❊ إذا أسلم الكافر الأصلي وكان قد سبَّ النبي ﷺ حال كفره فإن الإسلام يجبُّ ما قبله، وتسقط عنه عقوبة القتل، ومن ثبت أنه سب النبي ﷺ من المسلمين فهو كافر مرتد خارج عن الإسلام بالإجماع، وعقوبته القتل.

❊ أجمع العلماء على أن ساب النبي ﷺ إذا تاب توبة نصوحًا فإن الله يغفر له، واختلفوا في قبول توبته في الدنيا وسقوط القتل عنه، فذهب مالك وأحمد إلى أنها لا تقبل، فيقتل ولو تاب، وذهب آخرون إلى سقوط عقوبة القتل عنه بالتوبة، وهو مذهب الجمهور.

❊ سمي المنافق منافقًا **لغة**؛ إما لأنه يستر كفره؛ فأشبه الداخل في النفق، وإما نسبة إلى نافقاء (بيت اليربوع)، **وأما شرعًا**، فهو: إظهار الخير وإبطان الشر.

❊ **النفاق نوعان:** نفاق أكبر، ويسمى النفاق الاعتقادي، وهو إضمار الكفر،

وإظهار الإسلام، وحكمه أنه مخرج من الملة، وصاحبه مخلد في النار. ونفاق أصغر، ويسمى النفاق العملي، وهو اختلاف السر والعلانية في الواجبات، وهو لا يخرج من الملة.

❊ **البدعة لغة:** ابتداء الشيء من غير مثال سابق. **وشرعًا:** طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه، أو هي: إحداث أمر أو عمل في الدين وليس منه.

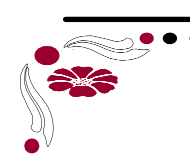
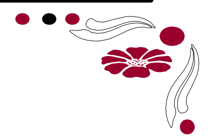
❊ **البدع على أقسام عدة باعتبارات مختلفة؛ فمنها:** البدعة الاعتقادية، والبدعة العملية، ومنها: البدعة الحقيقية، والبدعة الإضافية، وتنقسم من حيث حكمها إلى قسمين: بدعة مكفرة، وبدعة غير مكفرة.

❊ الحكم الجامع لكل أنواع الابتداع في الدين هو قوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»، فلا يصح تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة.

❊ **أسباب الابتداع كثيرة، منها:** (١) الجهل بأحكام الدين. (٢) اتباع الهوى. (٣) التعصب. (٤) التشبه بالكفار. (٥) الغلو. (٦) كيد الشيطان وإغواؤه.

❊ **مما يخشى على المبتدع أمور، أبرزها:** (١) الوقوع في الفتنة. (٢) الحرمان من الشرب من حوض رسول الله ﷺ. (٣) البعد عن التوبة. (٤) عدم قبول العمل المحدَث. (٥) الوعيد باللعن والطرد من رحمة الله.



أسئلة تطبيقية

س١: من خلال دراستك لمصطلح الكفر، أجب عن الآتي:

❋ ما معنى الكفر لغة واصطلاحًا؟

❋ ما أنواع الكفر؟ وما هو ضابط كل نوع منها؟

س٢: فصّل القول في حكم من ترك شيئًا من أركان الإسلام.

س٣: من خلال دراستك لمصطلح التكفير، أجب عن الآتي:

❋ ما معنى التكفير؟ وما ضوابطه؟

❋ بيّن شروط التكفير وموانعه.

❋ تحدث عن خطورة تكفير المسلم بلا علم في ضوء ما درست.

س٤: ما الفرق بين التكفير المطلق وتكفير المعين؟

س٥: ما وجه إطلاق الكفر في النصوص الشرعية على بعض الذنوب؟

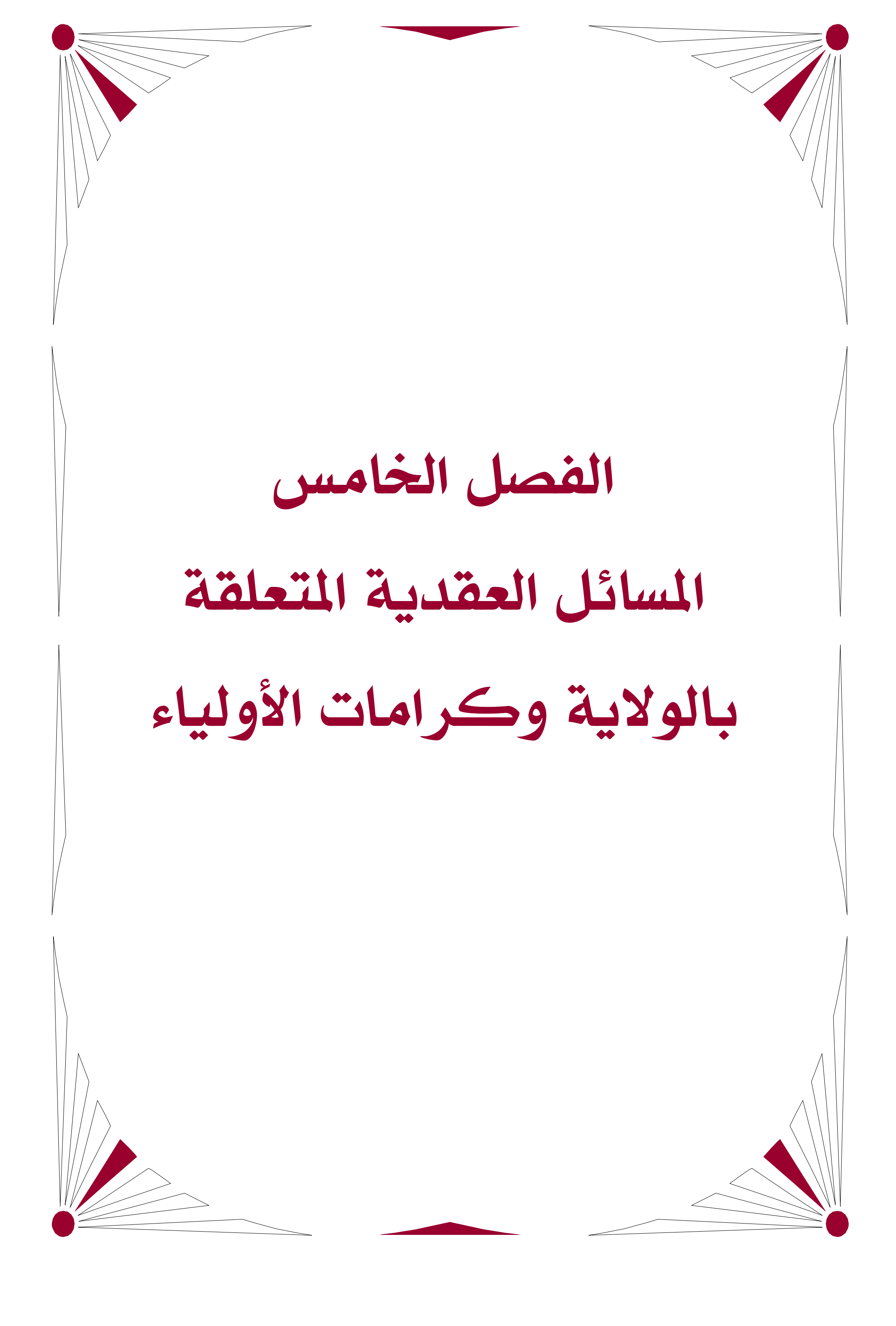
س٦: ما حكم من سب النبي ﷺ؟ وهل تقبل توبته؟ اذكر الأقوال في ذلك وأدلة كل قول منها.

س٧: ما معنى النفاق؟ وما أنواعه؟ وما حكم كل نوع منها؟

س٨: ما المقصود بالبدعة؟ وما أنواعها، وأحكامها؟

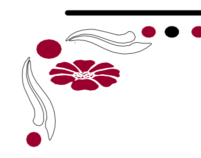
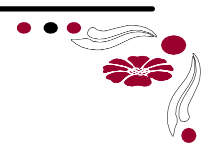
س٩: اذكر أهم أسباب الابتداع، وبين خمسة من أضراره.





الفصل الخامس

المسائل العقدية المتعلقة بالولاية وكرامات الأولياء

الفصل الخامس

۞ **ويشتمل على ما يلي:**

١- المراد بالولاية وشروطها ومراتبها وثمراتها.

٢- كرامات الأولياء؛ معناها، وضوابطها، والأدلة على إثباتها، وأسباب حصولها، والحكمة في ذلك.





المبحث الأول

المراد بالولاية وشروطها ومراتبها وثمراتها

۞ أولًا: المراد بالولاية:

الولاية لغة: القرب، والولي: القريب، قال ابن فارس: «الواو واللام والياء أصل صحيح يدل على قُرب»(١).

وقال الجوهري: «الوَلْي: القرب والدنو... والولاية: النصرة، يقال: هم على ولاية؛ أي: مجتمعون في النصرة»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الولاية: ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد»(٣).

وأما الولاية شرعًا، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولاية الله موافقته بأن تحب ما يحب، وتبغض ما يبغض، وتكره ما يكره، وتسخط ما يسخط، وتوالي من يوالي، وتعادي من يعادي، فإذا كنتَ تحب وترضى ما يسخطه ويكرهه؛ كنتَ عدوَّه لا وليَّه»(٤).

---

(١) مقاييس اللغة (٦/ ١٤١).

(٢) الصحاح (٦/ ٢٥٢٨-٢٥٣٠)، وانظر: لسان العرب (٦/ ٤٩٢٠)، المصباح المنير (٢/ ٦٧٢).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٩).

(٤) الاستقامة (٢/ ١٢٨).

وقال الإمام ابن القيم: «الولاية عبارة عن موافقة الوليِّ الحميد في محابّه ومساخطه»[(١)].

وأما الولي فهو المؤمن التقي، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، قال الإمام ابن جرير: «ولي الله: هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى، كما قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فكل مؤمن تقي فهو ولي لله، والله وليه»[(٣)]، وقال ابن كثير: «يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقيًّا كان لله وليًّا»[(٤)].

۞ ثانيًا: شروط الولاية:

١- الإيمان بالله:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العبد لا يكون وليًّا لله إلا إذا كان مؤمنًا تقيًّا»[(٥)].

---

(١) الداء والدواء (١/ ٤٥٢)، ونقله ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢/ ٥٠٧)، وانظر: بدائع الفوائد (٣/ ١٠١٤).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٢١٢)، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/ ٣٥٩)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/ ١٢٨)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١١/ ٢١٨).

(٣) منهاج السنة النبوية (٧/ ٢٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٨).

وانظر أيضًا في تعريف الولي: جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٣٥)، البحر المحيط في التفسير (٦/ ٨١)، شرح الطحاوية (٢/ ٥٠٩)، فتح القدير (٢/ ٥١٩)، الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيتمي (ص٢١٤).

(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٤٧).

٢- التقوى:

قال تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، قال الإمام ابن جرير الطبري: «يقول: ما أولياء الله إلا المتقون، يعني: الذين يتقون الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه»(١).

وعن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «**إنما أوليائي المتقون**»(٢).

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ جهارًا غير سرٍّ يقول: «**إن آل أبي** – يعني: فلانًا – **ليسوا بأوليائي، إنما وليِّي الله وصالح المؤمنين**»(٣).

٣- اتباع الرسول ﷺ:

«فلا يكون وليًّا لله إلا من... اتبعه باطنًا وظاهرًا، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه، فليس من أولياء الله، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] قال الحسن البصري رحمه الله: (ادعى قوم أنهم يحبون الله، فأنزل الله هذه الآية محنة لهم)، وقد بين الله فيها، أن من اتبع الرسول فإن الله يحبه، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ، فليس من أولياء الله»(٤)، فـ«أولياء الله المقتدون بمحمد ﷺ، فيفعلون ما أمر به، وينتهون عمّا عنه زجر، ويقتدون به فيما بيَّن لهم أن يتبعوه فيه»(٥).

يقول الإمام الشوكاني: «لا بد للوليِّ من أن يكون مقتديًا في أقواله وأفعاله بالكتاب والسنة، وأن ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل، فمن

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ١٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود (ح٤٢٤٢)، والبغوي في شرح السنة (ح٤٢٢٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٤١٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (ح٥٩٩٠)، ومسلم (ح٢١٥).

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١٢).

(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١٥٤).

ظهر منه شيء مما يخالف هذا المعيار فهو ردٌّ عليه، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي لله»[١].

٤- العلم:

«لا يكون وليٌّ لله كامل الولاية من غير أولي العلم أبدًا، فما اتخذ الله ولا يتخذ وليًّا جاهلًا، والجهل رأس كل بدعة وضلالة ونقص، والعلم أصل كل خير وهدى وكمال»[٢].

٥- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**»[٣].

قال الإمام ابن رجب: «لما ذكر أن معاداة أوليائه محاربة له، ذكر بعد ذلك وصف أوليائه الذين تحرم معاداتهم، وتجب موالاتهم، فذكر ما يتقرب به إليه، وأصل الولاية القرب، وأصل العداوة البعد، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه، **فقسم أولياءه المقربين قسمين:**

(١) قطر الولي على حديث الولي (ص٢٣٧-٢٣٨).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣١٤).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٠٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا أصح حديث يروى في الأولياء» (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص:٨). وقال ابن رجب: «وقد قيل: إنه أشرف حديث روي في ذكر الأولياء» (جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٣٤).

أحدهما: من تقرب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات، وترك المحرمات؛ لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده.

والثاني: من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل، فظهر بذلك أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله تعالى، وولايته، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله، فمن ادعى ولاية الله ومحبته بغير هذا الطريق، تبين أنه كاذب في دعواه»[(١)].

ليس من شرط الولي أن يكون معصومًا:

«ليس من شرط ولي الله أن يكون معصومًا لا يغلط ولا يخطئ... فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «واتفقوا على أنه ليس من شرط ولي الله ألَّا يكون له ذنب أصلًا، بل أولياء الله تعالى هم الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، ولا يخرجون عن التقوى بإتيان ذنب صغير لم يصروا عليه، ولا بإتيان ذنب كبير أو صغير إذا تابوا منه»[(٣)].

ويقول الإمام الشوكاني: «واعلم أن أولياء الله غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين، لكنهم قد صاروا في رتبة رفيعة ومنزلة علية، فقلَّ أن يقع منهم ما يخالف الصواب وينافي الحق، فإذا وقع ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء الله»[(٤)].

❊ ❊ ❊

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٣٥-٣٣٦).
(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٦٢-٦٣).
(٣) جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٢٦٧-٢٦٨).
(٤) قطر الولي على حديث الولي (ص٢٣٣-٢٣٤).

ليس من شرط الولي أن تكون له كرامات:

ليس من شرط الولي أن تكون له كرامات، «ومن أظهر الله تعالى على يديه -ممن ليس بنبي- كراماتٍ وخوارقَ للعادات فليس ذلك دالًّا على ولايته»[(١)]؛ لأن «هذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان قد يكون صاحبها وليًّا لله، فقد يكون عدوًّا لله، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يظنَّ أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة»[(٢)].

ولأن هذه «الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج، أتاه منها ما يقوِّي إيمانه ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيًا عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك، لعلو درجته وغناه عنها، لا لنقص ولايته»[(٣)].

كما أنه «لا يجوز للولي أن يعتقد في كل ما يقع له من الواقعات والمكاشفات أن ذلك كرامة من الله سبحانه، فقد يكون من تلبيس الشيطان ومكره، بل الواجب عليه أن يعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة، فإن كانت موافقة لها فهي حق وصدق وكرامة من الله سبحانه، وإن كانت مخالفة لشيء من ذلك؛ فليعلم أنه مخدوع ممكور به قد طمع منه الشيطان فلبس عليه»[(٤)].



---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٢٩٧).
(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٧٩).
(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١٦٦).
(٤) قطر الولي على حديث الولي (ص٢٣٤).

۞ ثالثًا: مراتب الولاية:

يتفاضل المؤمنون في ولاية الله تعالى بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، وأولياء الله مرتبتان، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ٧ - ١١]، ثم قال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الواقعة: ٢٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أولياء الله على طبقتين: سابقون مقربون، وأصحاب يمين مقتصدون، وذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز، في أول «سورة الواقعة» وآخرها، وفي «سورة الإنسان» و«المطففين»، وفي «سورة فاطر» »(١)، و«قد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء، فقال: «**يقول الله تعالى: من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**»(٢).

فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم، ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات.

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبًّا تامًّا، كما قال تعالى:

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٢٩).

(٢) سبق تخريجه.

«**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**»، يعني: الحب المطلق»[(١)].

فـ «**التقرب إلى الله تعالى على درجتين:**

إحداهما: التقرب إليه بالفرائض.

والثانية: هي التقرب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض.

❁ فالأولى درجة المقتصدين الأبرار أصحاب اليمين.

❁ والثانية درجة السابقين المؤمنين»[(٢)].

قال الحافظ ابن رجب: «أولياء الله على درجتين: إحداهما: المتقربون إليه بأداء الفرائض، وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين...

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب للعبد محبة الله، كما قال: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه**»[(٣)]»[(٤)].

و«أفضل أولياء الله هم الأنبياء، وأفضل الأنبياء هم المرسلون، وأفضل الرسل هم أولو العزم، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وأفضل أولي العزم نبينا محمد ﷺ»[(٥)].

«فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وتقوى، كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله ﷻ، بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله، بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٣٣-٣٤).
(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٤١٧)، وانظر: بدائع الفوائد (٣/ ١٠١٤).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٣٦-٣٣٧).
(٥) قطر الولي على حديث الولي (ص٢٢٤).

يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧]، وقال تعالى في المنافقين: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، فبين سبحانه وتعالى أن الشخص الواحد، قد يكون فيه قسط من ولاية الله، بحسب إيمانه، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله، بحسب كفره ونفاقه»(١).

قال الإمام الشوكاني: «أولياء الله سبحانه يتفاوتون في الولاية بقوة ما رزقهم الله سبحانه من الإيمان، فمن كان أقوى إيمانًا كان في باب الولاية أعظم شأنًا، وأكبر قدرًا، وأعظم قربًا إلى الله وكرامة لديه»(٢).

۞ رابعًا: ثمرات الولاية:

١- محبة الله تعالى:

في الحديث القدسي السابق قال تعالى: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأخبر أنه لا يزال يتقرب بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه، و(حتى) حرف غاية، يدل على أنه يحبه بعد تقربه بالنوافل والفرائض»(٣).

وفي الحديث -كما قال الإمام الطيبي- «إرشاد إلى أن باب المحبة إلى الله تعالى للعبد هو التقرب إلى الله تعالى بالنوافل الزائدة على الفرائض، فلا يزال العبد يتقرب إلى الله تعالى بأنواع الطاعات... حتى يحبه الله»(٤).

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٢٨).

(٢) قطر الوَلي على حديث الولي (ص٢٤٢).

(٣) جامع الرسائل (٢/ ٢٧)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

(٤) شرح المشكاة للطيبي المسمى الكاشف عن حقائق السنن (ص١٧٢٦).

وقال الإمام ابن القيم: «فتضمن هذا الحديث الشريف الإلهي... أن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبًا لله، فإذا صار محبوبًا لله أوجبت محبة الله له محبةً أخرى منه لله فوق المحبة الأولى، فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه، وملكت عليه روحه، ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة، فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الأعلى مالكًا لزمام قلبه مستوليًا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته، التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له، ولا ريب أن هذا المحب إن سمع سمع بمحبوبه، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش بطش به، وإن مشى مشى به، فهو في قلبه ومعه وأنيسه وصاحبه، فالباء هاهنا باء المصاحبة، وهي مصاحبة لا نظير لها، ولا تدرك بمجرد الإخبار عنها والعلم بها، فالمسألة حالية، لا علمية محضة»[(١)].

٢- معية الله تعالى وتأييده:

ففي الحديث السابق: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**»، قال الإمام ابن القيم: «فأخبر سبحانه أن تقرب عبده منه يفيده محبته له، فإذا أحبه قرب من سمعه وبصره ويده ورجله، فسمع به وأبصر به وبطش به ومشى به، فصار قلبه كالمرآة الصافية تبدو فيها صور الحقائق على ما هي عليه، فلا تكاد تخطئ له فراسة، فإن العبد إذا أبصر بالله أبصر الأمر على ما هو عليه، فإذا سمع بالله سمعه على ما هو عليه، وليس هذا من علم الغيب، بل علام الغيوب قذف الحق في قلب قريب مستبشر بنوره غير مشغول بنقوش الأباطيل والخيالات والوساوس، التي تمنعه من حصول صور الحقائق فيه، وإذا غلب على القلب النور فاض على الأركان، وبادر من القلب إلى العين، فكشف بعين بصره

(١) الداء والدواء (ص٤٣١-٤٣٢).

بحسب ذلك النور»[١].

٣- إجابة الله دعاءه:

يختص الله تعالى أولياءه بإعطائهم ما يسألون، وإعاذتهم مما يستعيذون، كما يدل عليه قوله: «**لئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه**»، قال الإمام ابن القيم: «ولما حصلت هذه الموافقة من العبد لربه في محابِّه؛ حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه، فقال: «**ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»؛ أي: كما وافقني في مرادي بامتثال أوامري والتقرب إليَّ بمحابي، فأنا أوافقه في رغبته ورهبته فيما يسألني أن أفعله به، ويستعيذني أن يناله»[٢].

وقال الإمام ابن رجب: «يعني أن هذا المحبوب المقرب له عند الله منزلة خاصة تقتضي أنه إذا سأل الله شيئًا أعطاه إياه، وإن استعاذ به من شيء أعاذه منه، وإن دعاه أجابه، فيصير مجاب الدعوة لكرامته على الله ﷻ»[٣].

٤- محاربته تعالى لمن يعادي أولياءه:

يختص الله تعالى أولياءه بالنصرة والتأييد، فمن عادى وليًّا من أولياء الله بسبب ولايته لله، لا بسبب خصومة دنيوية ونحوها فقد عرض نفسه للهلاك، لقوله سبحانه في الحديث القدسي: «**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**»، قال ابن هبيرة: «ومعنى قوله: «**من عادى لي وليًّا**»؛ أي: اتخذه عدوًا، ولا أرى المعنى إلا أنه عاداه من أجل ولايته لله، فإنه يشير إلى الحذر من إيذاء قلوب أولياء الله ﷻ على الإطلاق، إلا أنه إذا كانت الأحوال تقتضي نزاعًا بين وليين لله في محاكمة أو خصومة راجعة إلى استخراج حق أو كشف غامض،

---

(١) الروح (ص٢٣٨)، وانظر: الداء والدواء، لابن القيم (ص٤٣٥).

(٢) الداء والدواء (ص٤٣٧)، وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة (٧/ ٣٠٤).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٤٨).

فإن هذا لا يتناول هذا القول، لكنه قد جرى بين أبي بكر وعمر خصومة، وبين العباس وعلي، وبين كثير من الصحابة ﵃ ما جرى، وكلهم كانوا أولياء الله ﷿»[1].

وقال ابن الجوزي: «ونهاية العداوة الحرب، ومحاربة الله ﷿ للإنسان أن يهلكه، وتقدير الكلام: فقد تعرض لإهلاكي إياه»[2].



(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٧/ ٣٠٣).
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥٢٦).



المبحث الثاني

كرامات الأولياء

معناها، وضوابطها، والأدلة على إثباتها وأسباب حصولها، والحكمة في ذلك

۞ أولًا: معنى الكرامة:

هي: «أمر خارق للعادة، يُظهِرُه الله تعالى على يد ولِيٍّ من أوليائه؛ تكريمًا له، أو نصرةً لدين الله»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعُرْف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها: الآيات. لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة»(٢).

۞ ثانيًا: اعتقاد أهل السنة في الكرامات:

«من أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٣١١)، وانظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٩٢)، أعلام السنة المنشورة (ص١٣٧).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/ ٢)، تحقيق: محمد رشيد رضا، وانظر: النبوات، لابن تيمية (١/ ١٣٨-١٤١)، شرح الطحاوية (٢/ ٧٤٦).

أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات؛ كالمأثور عن سالف الأمم في «سورة الكهف» وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة»[١].

❁ ثالثًا: ضوابط الكرامات[٢]:

١- الاستقامة على شرع الله:

من ضوابط الكرامة صدورها من أهل الصلاح والاستقامة على طاعة الله، أما حصول خارق العادة لغير المستقيم فليس ذلك من الكرامات في شيء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اتفق أهل المعرفة والتحقيق أن الرجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يُتَّبع إلا أن يكون موافقًا لأمر الله ورسوله، ومن رأى من رجل مكاشفة أو تأثيرًا فاتَّبعه في خلاف الكتاب والسنة كان من جنس أتباع الدجال، فإن الدجال يقول للسماء: أمطري فتمطر، ويقول للأرض: أنبتي فتنبت، ويقول للخربة: أخرجي كنوزك فتخرج معه كنوز الذهب والفضة، ويقتل رجلًا ثم يأمره أن يقوم فيقوم، وهو مع هذا كافر ملعون عدو لله»[٣].

ولا ريب أن أعظم الكرامات استقامة العبد على طاعة الله جل وعلا واجتناب معاصيه.

قال الإمام ابن أبي العز: «إنما الكرامة لزوم الاستقامة، وإن الله تعالى لم يكرم عبدًا بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال

---

(١) الواسطية (ص١٢٣).

(٢) للاستزادة والتفصيل، ينظر: كرامات الأولياء، د. عبد الله العنقري (ص١٧٧) وما بعدها.

(٣) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (١/ ٢٠٤)، وانظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٧٨).

الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]»[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر: «الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى - وهو غلط ممن يقوله - فإن الخارق قد يظهر على يد المُبْطل من ساحر وكاهن وراهب، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق، وأَوْلى ما ذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك، فإن كان متمسكًا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته، ومن لا فلا. وبالله التوفيق»[(٢)].

٢- عدم مخالفة الكرامة للشرع:

من ضوابط الكرامة ألا تخالف الشرع؛ لأن اتِّباع الشرع هو سبب حصولها، فإن خالفت الشريعة دل ذلك على بطلانها، وأنها من أعمال الشياطين.

قال الإمام الشاطبي: «ليس القصد بالكرامات والخوارق أن تخرق أمرًا شرعيًّا، ولا أن تعود على شيء منه بالنقض؛ كيف وهي نتائج عن اتباعه، فمحال أن ينتج المشروع ما ليس بمشروع، أو يعود الفرع على أصله بالنقض، هذا لا يكون البتة»[(٣)].

وقال أيضًا: «إن مخالفة الخوارق للشريعة دليل على بطلانها في نفسها، وذلك أنها قد تكون في ظواهرها كالكرامات وليست كذلك، بل أعمالًا من أعمال الشيطان، كما حكى عياض عن الفقيه أبي ميسرة المالكي أنه كان ليلة بمحرابه يصلي ويدعو ويتضرع، وقد وجد رقَّة، فإذا المحراب قد انشق وخرج منه نور عظيم، ثم بدا له وجه كالقمر، وقال له: تملَّأ من وجهي يا أبا ميسرة، فأنا ربك الأعلى، فبصق فيه وقال له: اذهب يا لعين عليك لعنة الله.

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٧٤٨).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٣٨٣).

(٣) الموافقات (٢/ ٤٧٠).

وكما يحكى عن عبد القادر الكيلاني أنه عطش عطشًا شديدًا، فإذا سحابة قد أقبلت وأمطرت عليه شبه الرذاذ حتى شرب، ثم نودي من سحابة: يا فلان! أنا ربك، وقد أحللت لك المحرمات، فقال له: اذهب يا لعين. فاضمحلت السحابة. وقيل له: بِمَ عرفت أنه إبليس؟ قال: بقوله: قد أحللت لك المحرمات. هذا وأشباهه لو لم يكن الشرع حَكَمًا فيها؛ لما عرف أنها شيطانية»[(١)].

ومن أمثلة مخالفة الخارق للشريعة ما حكاه الإمام ابن الجوزي بقوله: «كم اغتر قوم بما يشبه الكرامات، فقد روينا بإسناد، عن حسن، عن أبي عمران، قال: قال لي فرقد: يا أبا عمران، قد أصبحت اليوم وأنا مهتم بضريبتي وهي ستة دراهم، وقد أهل الهلال وليست عندي فدعوت، فبينما أنا أمشي على شط الفرات إذا أنا بستة دراهم، فأخذتها فوزنتها فإذا هي ستة لا تزيد ولا تنقص، فقال: تصدَّقْ بها؛ فإنها ليست لك. قلت [أي: ابن الجوزي]: أبو عمران هو إبراهيم النخعي فقيه أهل الكوفة، فانظروا إلى كلام الفقهاء وبُعْدِ الاغترار عنهم، وكيف أخبره أنها لُقَطة، ولم يلتفت إلى ما يشبه الكرامة، وإنما لم يأمره بتعريفها؛ لأن مذهب الكوفيين أنه لا يجب التعريف لما دون الدينار، وكأنه إنما أمره بالتصدق بها؛ لئلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وإنفاقها، وبإسناد عن إبراهيم الخراساني أنه قال: احتجت يومًا إلى الوضوء، فإذا أنا بكوز من جوهر، وسواك من فضة، رأسه ألين من الخز، فاستكت بالسواك، وتوضأت بالماء، وتركتهما وانصرفت. قلت: في هذه الحكاية من لا يوثق بروايته؛ فإن صحت دلت على قلة علم هذا الرجل؛ إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز، ولكن قلَّ علمه فاستعمله، وإن ظن أنه كرامة، والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعًا، إلا إن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان»[(٢)].

---

(١) الموافقات (٢/ ٤٧٥-٤٧٦).

(٢) تلبيس إبليس (ص٣٣٦-٣٣٧).

٣- صحة إسنادها:

لا بد لصحة الكرامة من ثبوت إسنادها إلى من تنسب إليه؛ ولهذا قال الإمام الطحاوي: «ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصحَّ عن الثقات من رواياتهم»(١).

٤- الكرامة لا تستلزم العصمة:

الكرامة لا تدل على عصمة مَن حصلت له؛ فإن «كرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول ﷺ، لا تدل على أن الولي معصوم، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله، ومن هنا ضل كثير من الناس من النصارى وغيرهم؛ فإن الحواريين وغيرهم كانت لهم كرامات، كما تكون الكرامات لصالحي هذه الأمة، فظنوا أن ذلك يستلزم عصمتهم كما يستلزم عصمة الأنبياء، فصاروا يوجبون موافقتهم في كل ما يقولون، وهذا غلط؛ فإن النبي وجب قبول كل ما يقول؛ لكونه نبيًّا ادعى النبوة، ودلت المعجزة على صدقه، والنبي معصوم»(٢).

۞ رابعًا: الأدلة على إثبات كرامات الأولياء:

١- ما أخبر به القرآن من كرامات الصالحين في الأمم السابقة:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، قال ابن كثير: «قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبو الشعثاء، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وقتادة، والربيع بن أنس، وعطية العوفي، والسدي، والشعبي: يعني: وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف... وفيه دلالة على كرامات الأولياء»(٣).

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٧٤٥).

(٢) النبوات لابن تيمية (١/ ١٤٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦).

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٩ - ٢٦]. يقول ابن كثير: «يقول تعالى: وكما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم، لم يفقدوا من أحوالهم وهيئاتهم شيئًا، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين»[١].

وقال الشِّنقيطي: «أظهر الأقوال في معنى الآية الكريمة: أن الله يقول لنبيه ﷺ: إن قصة أصحاب الكهف وإن استعظمها الناس وعجبوا منها، فليست شيئًا عجبًا بالنسبة إلى قدرتنا وعظيم صنعنا، فإن خلقنا للسموات والأرض، وجعلنا ما على الأرض زينة لها، وجعلنا إياها بعد ذلك صعيدًا جرُزًا، أعظم وأعجب مما فعلنا بأصحاب الكهف، ومن كوننا أنمناهم هذا الزمن الطويل، ثم بعثناهم»[٢].

٢- ما أخبر به النبي ﷺ من كرامات الصالحين في الأمم السابقة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لم يكذب إبراهيم** عليه السلام **إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله** عز وجل**، قوله** ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]. **وقوله:** ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]. **وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن هاهنا رجلًا معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة، قال: يا سارة: ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني، فأرسل**

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٥).
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٠٥).

إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فَأُخِذ، فقال: ادْعِي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده: مهيا، قالت: رد الله كيد الكافر، أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له: جُرَيج، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي، فقالت: اللهم لا تُمِتْه حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها، فولدت غلامًا، فقالت: مِن جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابنًا لها من بني إسرائيل، فمرَّ بها رجلٌ راكبٌ ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه** -قال: أبو هريرة كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه - **ثم مر بأَمَة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لِمَ ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأَمَة يقولون: سرقت، زنيت، ولم تفعل»**(٢).

٣- ما ثبت من كرامات الصحابة والتابعين في هذه الأمة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدًّا:**

مثل: كان أسيد بن حضير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقرأ «سورة الكهف» فنزل من السماء مثل الظُّلة فيها أمثال السُّرج وهي الملائكة نزلت لقراءته(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٣٥٨). (٢) أخرجه البخاري (ح٣٤٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (ح٥٠١٨)، ومسلم (ح٧٩٦).

❋ وكانت الملائكة تسلِّم على عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

❋ وكان سلمان وأبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يأكلان في صَحْفَة فسبحت الصَّحفة أو سبح ما فيها[٢].

❋ وعباد بن بشر وأسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة، فأضاء لهما نور مثل طرف السوط، فلما افترقا افترق الضوء معهما. رواه البخاري وغيره[٣].

❋ وقصة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلا رَبَا من أسفلها أكثر منها فشبعوا، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر وامرأته فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله ﷺ، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا[٤].

❋ وخبيب بن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أسيرًا عند المشركين بمكة - شرفها الله تعالى - وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة[٥].

❋ وعامر بن فهيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتل شهيدًا فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه، وكان لما قتل رفع فرآه عامر بن الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد رفع، وقال عروة: فيرون الملائكة رفعته[٦].

❋ وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء، فكادت تموت من العطش فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حسًّا على رأسها فرفعته فإذا دلو معلق فشربت منه حتى رويت وما عطشت بقية عمرها[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٢٢٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح٤٦٥).

(٤) أخرجه البخاري (ح٦٠٢)، ومسلم (ح٢٠٥٧).

(٥) أخرجه البخاري (ح٣٠٤٥).

(٦) أخرجه البخاري (ح٤٠٩٣).

(٧) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٢٢٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٢٥).

❁ وسفينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه رسولُ رسولِ الله ﷺ فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده(١).

❁ والبراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا أقسم على الله تعالى أبرَّ قسمه، وكانت الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون: يا براء أقْسِم على ربك فيقول: يا رب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم فيهزم العدو، فلما كان يوم القادسية قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدًا(٢).

❁ وخالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حاصر حصنًا منيعًا فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السمَّ، فشربه فلم يضرَّه(٣).

❁ وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان مستجاب الدعوة ما دعا قط إلا استجيب له(٤)، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق.

❁ وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أرسل جيشًا أَمَّر عليهم رجلًا يسمى سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقدم رسول الجيش فسأل فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدوًّا فهزمونا فإذا بصائح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٣١).

(٣) أخرج الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٨١٥)، وأبو يعلى في المسند (ح٧١٨٦) عن أبي السفر قال: نزل خالد بن الوليد الحيرة على بني أم المرازبة، فقالوا له: احذر السم لا يسقيكه الأعاجم، فقال: «إيتوني به» فأتي منه بشيء، فأخذه بيده ثم اقتحمه وقال: «باسم الله» فلم يضره شيئًا. وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح، وهو متصل، ورجالهما ثقات إلا أن أبا السفر وأبا بردة بن أبي موسى لم يسمعا من خالد. والله أعلم» (مجمع الزوائد ٩/ ٣٥٠).

(٤) أخرج الترمذي (ح٣٧٥١) والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٩٩) وصححه ووافقه الذهبي، عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم استجب لسعد إذا دعاك**».

وأخرج البخاري (ح٧٥٥) عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكر قصة الرجل الذي افترى على سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فدعا عليه، فأجاب الله دعاءه، وستأتي.

فهزمهم الله[١].

❋ ولما عُذِّبت الزنيرة رضي الله عنها على الإسلام في الله فأبت إلا الإسلام وذهب بصرها، قال المشركون: أصاب بصرها اللات والعزى، قالت: كلَّا والله، فردَّ الله عليها بصرها.

❋ ودعا سعيد بن زيد رضي الله عنه على أروى بنت الحكم فأعمي بصرها؛ لما كذبت عليه، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعمِ بصرها واقتلها في أرضها، فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت[٢].

❋ والعلاء بن الحضرمي رضي الله عنه كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضؤوا لما عدموا الماء والإسقاء لما بعدهم فأجيب، ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم، ودعا الله ألَّا يروا جسده إذا مات فلم يجدوه في اللحد[٣].

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٧٠)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٣٣٠)، وقال الحافظ ابن حجر: «إسناد حسن» (الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٥)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح١١١٠).

(٢) أخرجه مسلم (ح١٦١٠).

(٣) أخرج الطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٩٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما بعث النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين تبعته، فرأيت منه ثلاث خصال، لا أدري أيتهن أعجب، انتهينا إلى شاطئ البحر فقالوا: سَمُّوا واقتحموا، فسمينا واقتحمنا، فعبرنا فما بلَّ الماءُ إلا أسافل أخفاف إبلنا، فلما قفلنا صرنا بعد بفلاة من الأرض فليس معنا ماء، فشكونا إليه فصلى ركعتين، ثم دعا، فإذا سحابة مثل التُّرس ثم أرخت عزاليها فسقينا واستقينا، ومات بعد ما بعثه أبو بكر إلى البحرين، لما ارتدت ربيعة، فأظفره الله بهم وأعطوا ما منعوا من الزكاة، وما تفدفناه في الرمل فلما سرنا غير بعيد قلنا: يجيء سبع فيأكله فرجعنا فلم نره. قال الهيثمي: «فيه إبراهيم بن معمر الهروي والد إسماعيل ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات» (مجمع الزوائد ٩/ ٣٧٦).

❊ وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني الذي ألقي في النار؛ فإنه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة وهي ترمى بالخشب من مدها، ثم التفت إلى أصحابه فقال: تفقدون من متاعكم شيئًا حتى أدعو الله ﷻ فيه؟ فقال بعضهم: فقدت مخلاة، فقال: اتبعني، فتبعه فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها[1].

❊ وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائمًا يصلي فيها وقد صارت عليه بردًا وسلامًا، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله[2].

❊ ووضعت له جارية السم في طعامه فلم يضره، وخببت امرأة عليه زوجته فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت فدعا لها فرد الله عليها بصرها[3].

❊ وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه، وما يلقاه سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها، ومر بقافلة قد حبسهم الأسد فجاء حتى مس بثيابه الأسد ثم وضع رجله على عنقه، وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمن وإني أستحي أن أخاف شيئًا غيره، ومرت القافلة ودعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء؛ فكان يؤتى بالماء له بخار، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة فلم يقدر عليه.

❊ وتغيب الحسن البصري رحمه الله عن الحجاج فدخلوا عليه ست مرات فدعا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٢٠).
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٢٨-١٢٩).
(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٢١).

الله ﷻ فلم يروه، ودعا على بعض الخوارج كان يؤذيه فخرَّ ميتًا.

❊ وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق علي مِنَّة، ودعا الله ﷻ فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني، خذ سرج الفرس فإنه عارية، فأخذ سرجه فمات الفرس، وجاع مرة بالأهواز فدعا الله ﷻ واستطعمه فوقعت خلفه دَوْخَلة رطب في ثوب حرير فأكل التمر وبقي الثوب عند زوجته زمانًا، وجاء الأسد وهو يصلي في غيضة بالليل فلما سلم قال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع، فولى الأسد وله زئير.

❊ وكان سعيد بن المسيب في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله ﷺ أوقات الصلوات، وكان المسجد قد خلا فلم يبق غيره.

❊ ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق، فقال له أصحابه: هلم نتوزع متاعك على رحالنا، فقال لهم: أمهلوني هنيهة، ثم توضأ فأحسن الوضوء، وصلى ركعتين، ودعا الله تعالى، فأحيا له حماره، فحمل عليه متاعه[(١)].

❊ ولما مات أويس القرني وجدوا في ثيابه أكفانًا لم تكن معه قبل، ووجدوا له قبرًا محفورًا فيه لحد في صخرة، فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الأثواب.

❊ وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلي يومًا في شدة الحر فأظلته غمامة وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه؛ لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم.

❊ وكان مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير إذا دخل بيته سبَّحت معه آنيته، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة فأضاء لهما طرف السوط.

❊ ولما مات الأحنف بن قيس وقعت قلنسوة رجل في قبره؛ فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مدّ البصر[(٢)].

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٩).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٤/ ٣٥٦).

❊ وكان إبراهيم التيمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئًا وخرج يمتار لأهله طعامًا فلم يقدر عليه، فمر بسهلة حمراء فأخذ منها ثم رجع إلى أهله ففتحها فإذا هي حنطة حمراء، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حبًّا متراكبًا.

❊ وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال صوتًا حسنًا ودمعًا غزيرًا وطعامًا من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى ودموعه جارية دهره، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قُوته ولا يدري من أين يأتيه[(١)].

❊ وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء؛ فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده[(٢)].

وهذا باب واسع قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع. وأما ما نعرفه عن أعيان، ونعرفه في هذا الزمان فكثير»[(٣)].

هذا ما ساقه شيخ الإسلام ابن تيمية من كرامات الصالحين، وهو جزء يسير مما حفظ من كراماتهم[(٤)].

۞ خامسًا: أنواع الكرامات:

الكرامات نوعان:

١- **في العلوم والمكاشفات**: بأن يحصل للولي من العلم ما لا يحصل لغيره، أو يكشف له من الأمور الغائبة عنه ما لا يكشف لغيره، كما حصل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين كشف له وهو يخطب في المدينة عن إحدى السرايا المحصورة في العراق، فقال لقائدها واسمه سارية بن زنيم: الجبل يا سارية، فسمعه القائد فاعتصم بالجبل[(٥)].

---

(١) أخرجه اللالكائي في كرامات الأولياء (ص٢٢٥).
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٥٥).
(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٥ - ٢٨٢).
(٤) وقد آثرت نقل النص بطوله لأهميته وما فيه من فوائد جليلة.
(٥) سبق تخريجه.

٢- **في القدرة والتأثيرات:** بأن يحصل للولي من القدرة والتأثيرات ما لا يحصل لغيره، كما وقع للعلاء بن الحضرمي حين عبر البحر يمشي على متن الماء[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما المعجزات التي لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم، فمثل قول عمر في قصة سارية، وإخبار أبي بكر بأن ببطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلًا، وقصة صاحب موسى في علمه بحال الغلام.

والقدرة، مثل قصة الذي عنده علم من الكتاب، وقصة أهل الكهف، وقصة مريم، وقصة خالد بن الوليد، وسفينة مولى رسول الله ﷺ، وأبي مسلم الخولاني، وأشياء يطول شرحها، فإن تَعْدَاد هذا مثل المطر، وإنما الغرض التمثيل بالشيء الذي سمعه أكثر الناس، وأما القدرة التي لم تتعلق بفعله، فمثل نصر الله لمن ينصره، وإهلاكه لمن يشتمه»[(٢)].

۞ سادسًا: أسباب حصول الكرامات للأولياء[(٣)]:

١- حاجة الولي إليها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج، أتاه منها ما يقوِّي إيمانه ويسدّ حاجته، ويكون مَن هو أكمل ولاية لله منه مستغنيًا عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك؛ لعلو درجته وغناه عنها، لا لنقص ولايته»[(٤)].

ومن أمثلته كرامة عائشة رضي الله عنها، قالت: «لقد توفي النبي ﷺ وما في رفِّي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رفٍّ لي، فأكلت منه، حتى طال عليَّ،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٦)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٣١١).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٣١٨).

(٣) للاستزادة والتفصيل، ينظر: كرامات الأولياء، د. عبد الله العنقري (ص٢٥٦) وما بعدها.

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١٦٦).

فكِلْتُه ففَنِيَ»[(١)][(٢)].

٢- إظهار الحق:

ومن أمثلته قصة الغلام الذي أرشد الملك إلى قتله ليظهر للناس الحق، قال للملك: «**إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام**»[(٣)].

٣- الفتنة والابتلاء:

قال الإمام الشاطبي: «الكرامة كما أنها خصوصية، كذلك هي فتنة واختبار؛ لينظر كيف تعملون»[(٤)].

٤- الدعاء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنا لا ننكر حصول خوارق العادات بإجابة الدعوات»[(٥)]، فقد يكرمهم الله باستجابة دعائهم في قضاء دَيْن، أو تفريج

---

(١) قال ابن بطال: «فيه أن الطعام المكيل يكون فناؤه معلومًا للعلم بكيله، وأن الطعام غير المكيل فيه البركة؛ لأنه غير معلوم مقداره» (شرح صحيح البخاري ١٠/ ١٧٤)، قال ابن حجر: «قلت: في تعميم كل الطعام بذلك نظر، والذي يظهر أنه كان من الخصوصية لعائشة ببركة النبي ﷺ» (فتح الباري ١١/ ٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٤٥١)، ومسلم (ح٢٩٧٣).

(٣) أخرجه مسلم (ح٣٠٠٥).

(٤) الموافقات (٢/ ٤٧٢).

(٥) الصفدية (١/ ٢٢٢).

كربة، أو نجاة من عدوٍّ أو سَبُع، وما أشبه هذا من كرامات الله بهم، والأمثلة على ذلك لا تحصى، كما في حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه حينما دعا على أروى بنت الحكم، وما جرى للعلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، كما سبق.

وكما جاء في حديث جابر بن سمرة، قال: شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنه، فعزله، واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق: «أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الأوليين وأخف في الأخريين»، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلًا أو رجالًا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه، ويثنون معروفًا، حتى دخل مسجدًا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له: أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد، قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن[١].



---

(١) أخرجه البخاري (ح٧٥٥).

۞ سابعًا: الحكمة من الكرامات:

١- بيان قدرة الله.

٢- نصرة الدين أو تكريم الولي.

٣- زيادة الإيمان والتثبيت للولي الذي ظهرت على يده وغيره.

٤- أنها من البشرى لذلك الولي.

٥- أنها معجزة للرسول الذي تمسك الولي بدينه؛ لأنها كالشهادة للولي بأنه على حق[(١)].



(١) انظر: التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، لعبد الرحمن السعدي (ص١٢٥-١٢٧).



ملخص الفصل الخامس

❋ **الولاية لغة:** القرب، والولي: القريب.

وشرعًا، الولاية: عبارة عن موافقة الوليِّ الحميد في محابِّه ومساخطه، والولي: هو المؤمن التقي.

❋ **شروط الولاية خمسة:**

(١) الإيمان بالله. **(٢)** التقوى. **(٣)** اتباع الرسول ﷺ. **(٤)** العلم. **(٥)** التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

❋ ليس من شرط الولي أن يكون معصومًا، ولا أن تكون له كرامات.

❋ **أهل الولاية على مرتبتين:** سابقون مقربون، وأصحاب يمين مقتصدون.

❋ **ثمرات الولاية كثيرة، منها:**

(١) محبة الله تعالى. **(٢)** معية الله تعالى وتأييده. **(٣)** إجابة الدعاء. **(٤)** محاربته تعالى لمن يعادي أولياءه.

❋ **التصديق بكرامات الأولياء من أصول أهل السنة**، والكرامة: أمرٌ خارق للعادة، يُظهِرُه الله تعالى على يدِ ولِيٍّ من أوليائِه؛ تكريمًا له، أو نُصرَةً لدينِ الله.

❋ **ضوابط الكرامات:**

(١) الاستقامة على شرع الله. **(٢)** عدم مخالفة الكرامة للشرع. **(٣)** صحة إسنادها. **(٤)** الكرامة لا تستلزم العصمة.

❋ الكرامات ثابتة في هذه الأمة وفي الأمم السابقة؛ بدليل الكتاب والسنة، وآثار السلف.

❊ **الحكمة من الكرامات:**

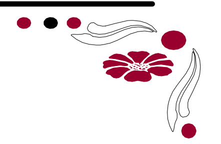
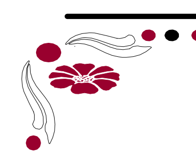
(١) بيان قدرة الله. **(٢)** نصرة الدين أو تكريم الولي. **(٣)** زيادة الإيمان والتثبيت للولي. **(٤)** البشرى لذلك الولي. **(٥)** تأييد الرسول الذي يتبعه الولي.

❊ **الكرامات نوعان؛** **(١)** في العلوم والمكاشفات، **(٢)** في القدرة والتأثيرات.

❊ **أسباب حصول الكرامات للأولياء:**

(١) حاجة الولي إليها. **(٢)** إظهار الحق. **(٣)** الفتنة والابتلاء. **(٤)** الدعاء.



أسئلة تطبيقية

س١: من خلال دراستك لموضوع الولاية، أجب عن الآتي:

❊ ما المراد بالولاية؟

❊ ما هي شروط الولاية؟ وما مراتبها؟

❊ ما ثمرات الولاية؟

س٢: بيِّن تفاضل الناس في الولاية، ودرجاتهم فيها، وصفات أولياء الله تعالى.

س٣: من خلال دراستك لموضوع الكرامة، أجب عن الآتي:

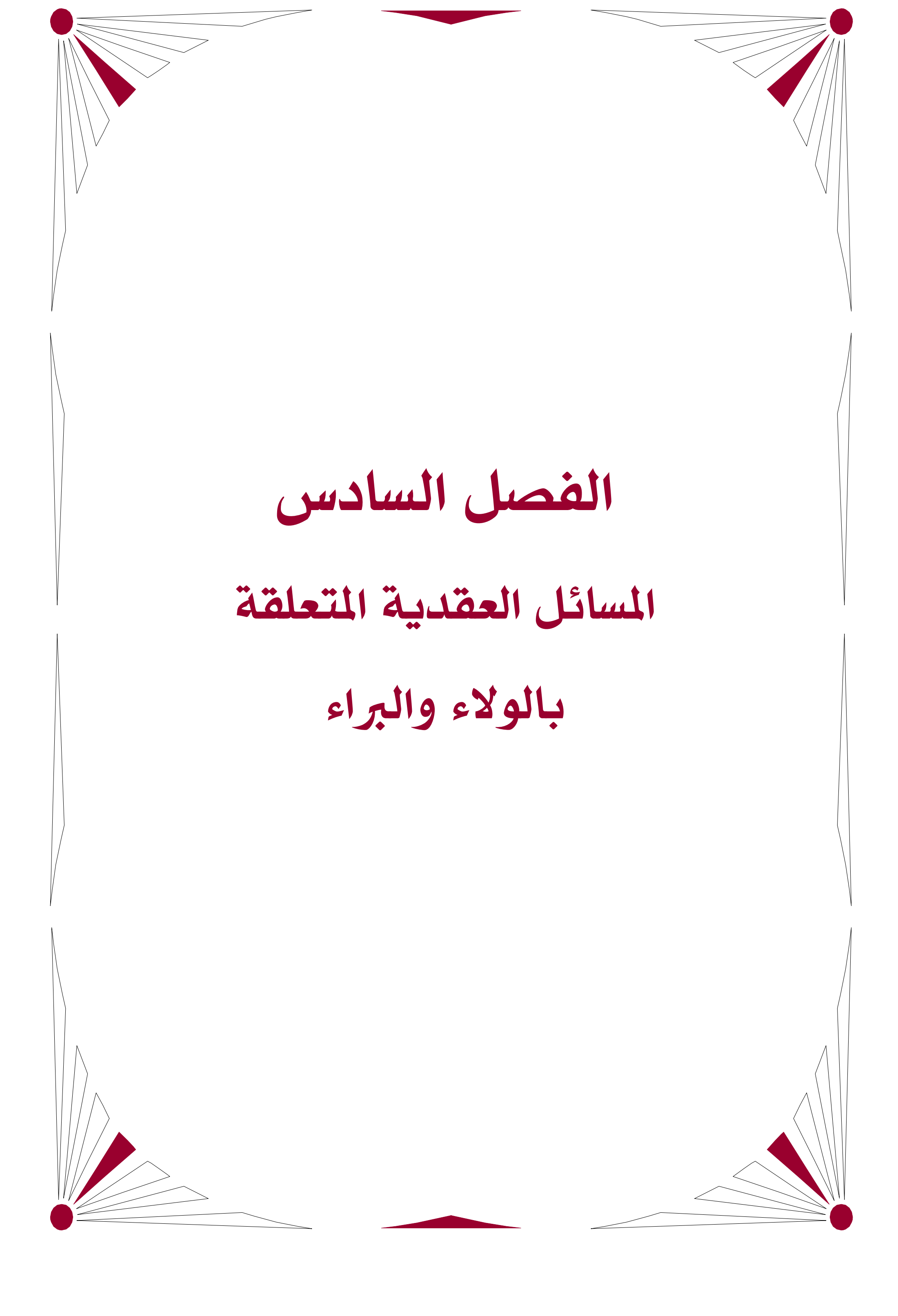
❊ ما المراد بالكرامات؟ وما الدليل على ثبوتها؟

❊ ما ضوابط الكرامة؟

❊ عدِّد أنواع الكرامات.

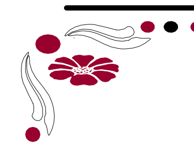
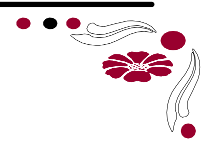
❊ ما أسباب حصول كرامات الأولياء؟





الفصل السادس

المسائل العقدية المتعلقة بالولاء والبراء

الفصل السادس

۞ ويشتمل على ما يلي:

١- مفهوم الولاء والبراء.

٢- أحكام الولاء ومظاهره.

٣- بعض صور التطبيقات الخاطئة في الولاء والبراء وتقويمها.





المبحث الأول

مفهوم الولاء والبراء[(١)]

۞ أولًا: مفهوم الولاء:

الولاء لغة: القرب والمحبة والمودة والنصرة[(٢)].

والولاء شرعًا: هو الولاء لله بالإخلاص، ولرسوله ﷺ بالاتباع، وللمؤمنين بالمحبة والنصرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد...»[(٣)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «أصل الموالاة هو: الحب، والنصرة، والصداقة، ودون ذلك مراتب متعددة»[(٤)].

❊ ❊ ❊

---

(١) هذا المبحث سبق ذكره في الجزء الثاني، وذكرناه هنا مع اختلافات يسيرة متابعة للمنهج المعتمد.

(٢) انظر: البصائر والذخائر (٧/ ٢٨٩)، الصحاح (٦ / ٢٥٢٩)، تهذيب اللغة (١٥/ ٣٢٢)، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦ / ١٤١).

(٣) الفرقان (ص٧).

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٤٧٤)، (٩/ ١٥٨)، وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/ ٢٩٠).

۞ ثانيًا: مفهوم البراء:

البراء والبراءة لغة: المباعدة، وفي «اللسان»: «بَرِئ: إذا تخلص، وبَرِئ: إذا تنزه وتباعد»(١).

والبراءة شرعًا هي: أن يتبرأ المسلم من كل ما تبرأ الله منه ورسوله(٢)، وذلك يشمل جميع ما تبرأ الله منه في كتابه أو سنة نبيه ﷺ، وذلك كالبراءة من الشرك بالإخلاص لله، والبراءة من البدعة باتباع رسول الله ﷺ، والبراءة من أهل الشرك والابتداع بالبراءة من دينهم وبدعتهم، لأن الأصل في البراءة هو البراءة من المعتقدات والأقوال والأعمال التي أمر الله بالبراءة منها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فهو براءة من شركهم، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [الشعراء: ٢١٦]، فهو براءة من عملهم المتمثل في معصية الرسول وعدم اتباعه، وقال جل وعلا: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يونس: ٤١]، وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزخرف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]، والمراد: مودتهم لدينهم؛ لأن البراءة منهم معلقة بأوصافهم لا بذواتهم، والحكم المعلق على وصف يدل على علية ذلك الوصف، وهو ما يسمى عند الأصوليين بـ «دلالة الإيماء»(٣).

---

(١) لسان العرب (١/ ٣٢-٣٣)، وانظر: القاموس المحيط (١/ ٨).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/ ١١).

(٣) انظر: روضة الناظر (٢/ ١٩٦).



المبحث الثاني

أحكام الولاء ومظاهره

الولاء قسمان: (١) ولاء مشروع. (٢) ولاء غير مشروع.

۞ القسم الأول: الولاء المشروع، وهو أربعة أنواع:

الأول: الولاء لله: بالإخلاص له، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله.

الثاني: الولاء لرسوله ﷺ: بمحبته واتباعه، وهو مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[(١)].

الثالث: الولاء للمؤمنين: بمحبتهم واتباع سبيلهم ولزوم جماعتهم، والقيام بحقوقهم، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل**

(١) أخرجه البخاري (ح١٥)، ومسلم (ح٤٤).

الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(١)] .

الرابع: موالاة الكفار في الظاهر دون الباطن لعذر شرعي كالإكراه، فهذه رخصة تقدر بقدرها بحسب الزمان والمكان والأحوال، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]، قال الحافظ ابن كثير: «أي: إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما حكاه البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: إنا لَنَكْشِر[(٢)] في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم. وقال الثوري: قال ابن عباس ﷺ: ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس: إنما التقية باللسان. وكذا قال أبو العالية، وأبو الشعثاء والضحاك، والربيع بن أنس»[(٣)]، وقال الشيخ الشنقيطي: «هذه الآية الكريمة فيها بيانٌ لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقًا، وإيضاحٌ؛ لأن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية، فيرخص في موالاتهم بقدر المداراة التي يكتفى بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة»[(٤)] .

ومسائل الإكراه -كما يقول ابن عطية: «هي من النوع الذي يدخله فقه الحال»[(٥)]، وتقدير ذلك يرجع إلى الراسخين في العلم.

۞ القسم الثاني: الولاء غير المشروع، وهو نوعان:

الأول: الولاء للكفار في جميع أحوالهم في الظاهر والباطن، وهذا كفر؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٥٨٦).

(٢) أي: نضحك. انظر: تاج العروس (١٤/ ٤٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠).

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٤١٣).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٢٠).

مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، قال الطبري: «من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متولٍّ أحدًا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه»[(١)]، وقال الشيخ الشنقيطي بعد سياق الآيات الواردة في النهي عن موالاة الكفار: «ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمدًا اختيارًا رغبة فيهم أنه كافر مثلهم»[(٢)]، وقال الشيخ السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]: «ذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان توليًا تامًّا، صار ذلك كفرًا مخرجًا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دون ذلك»[(٣)].

الثاني: موالاتهم في الظاهر دون الباطن لغير عذر شرعي، بل لغرض دنيوي، فهذه موالاة محرمة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة فتكون ذنبًا ينقص به إيمانه ولا يكون به كافرًا، كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي ﷺ، وأنزل الله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١][(٤)]، وكما حصل لسعد بن عبادة لما انتصر لابن أبيٍّ في قصة الإفك، فقال لسعد بن معاذ: كذبتَ والله لا تقتله، ولا تقدر على قتله؛ قالت عائشة: وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا، ولكن احتملته الحمية[(٥)]»[(٦)].



(١) تفسير الطبري (٨/ ٥٠٨).
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٤١٣).
(٣) تفسير السعدي (ص٨٥٧).
(٤) أخرجه البخاري (ح٣٠٠٧)، ومسلم (ح٢٤٩٤).
(٥) أخرجه البخاري (ح٤١٤١)، ومسلم (ح٢٧٧٠).
(٦) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٢٢-٥٢٣).



المبحث الثالث

بعض صور التطبيقات الخاطئة في الولاء والبراء وتقويمها

هناك بعض التطبيقات الخاطئة لمفهوم الولاء والبراء، ومنها ما يلي:

الصورة الأولى: توهم أن الموالاة الظاهرة واجبة على الأعيان في جميع الأحوال، ومن المعلوم أن ما يجب على الأعيان يختلف باختلاف قدراتهم ومداركهم وحاجاتهم وما أمر به أعيانهم(١)، ذلك أن الوجوب في الإسلام معلق بالقدرة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فمن الواجبات مثلًا نصرة أهل الإسلام، لكن قد يحول دون تحقيق ذلك مانع شرعي كالعجز؛ قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة: ٩١]، وقد يمنع من ذلك درء مفسدة أعظم أو تحقيق مصلحة راجحة على المفسدة تتعلق بمصالح الأمة الكبرى، كمراعاة المعاهدات.

ومن أدلة ذلك: قصة أبي جندل وأبي بصير في صلح الحديبية، وفيها ذكر المعاهدة التي حصلت بين النبي ﷺ وقريش، ومنها: «وعلى أنه لا يأتيك منا

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٨).

رجل وإن كان على دينك إلا رددتَه إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟! فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليَّ، فقال النبي ﷺ: «**إنا لم نقض الكتاب بعد**»، قال: فوالله إذًا لم أصالحك على شيء أبدًا، قال النبي ﷺ: «**فأجِزْه لي**»، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: «**بلى فافعل**»، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا، ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُذِّبَ عذابًا شديدًا في الله»[(١)]، فمع أن نصرة المؤمنين المستضعفين من مقتضيات الولاء إلا أن النبي ﷺ رد أبا جندل مراعاة لمصالح أعم وأعظم، فمصلحة الأمة العامة تقدم على مصلحة الفرد الخاصة[(٢)].

الصورة الثانية: توهم أن الدخول في أي معاهدات مع الكفار من أنواع الولاء المحرم، وهذا غير صحيح على إطلاقه، فقد يرى ولي أمر المسلمين أن في عقد معاهدة مع الكفار في بعض الأزمنة والأحوال ما يحقق مصلحة أعظم ويدرأ مفسدة أكبر، وإن اشتملت تلك المعاهدة أو ذلك الصلح على مفسدة أقل[(٣)]. ويدل على أن ذلك ليس من الموالاة المحرمة ما حصل للمسلمين في صلح الحديبية، قال الإمام الزهري: «فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضًا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر»[(٤)]. قال ابن هشام

(١) أخرجه البخاري (ح٢٧٣١).
(٢) انظر: مفهوم عقيدة الولاء والبراء، د. سليمان الغصن (ص٦٠).
(٣) انظر: انظر: مفهوم عقيدة الولاء والبراء (ص٦١).
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٢).

معلقًا على كلام الزهري: «والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة، في قول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف»(١)، وقال الإمام ابن القيم عند ذكر الفوائد المستفادة من قصة الحديبية: «منها: أن مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شر منه، ففيه دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما»(٢).

الصورة الثالثة: توهم أن المعاملات مع الكفار بإطلاق مما يدخل في الولاء المحرم، كالمعاملات التجارية، وهذا غير صحيح، فقد ثبت أن الرسول ﷺ تعامل مع اليهود مع أنهم كفار ويتعاملون بالربا، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رهن درعًا له بالمدينة عند يهودي، وأخذ منه شعيرًا لأهله(٣). قال الإمام ابن القيم: «ثبت عن النبي ﷺ أنه اشترى من يهودي سلعة إلى الميسرة، وثبت عنه أنه أخذ من يهودي ثلاثين وَسْقًا من شعير، ورهنه درعه. وفيه دليل على جواز معاملتهم، ورهنهم السلاح وعلى الرهن في الحضر»(٤).

الصورة الرابعة: توهم أن المحبة الطبيعية بين المسلم والكافر من الولاء المحرم، كمحبة الرجل لأبويه المشركين، أو محبة الرجل لزوجته الكتابية، وهذا غير صحيح، فالمحبة المحرمة هي محبتهم لأجل دينهم، أما المحبة الطبيعية الدنيوية فليست من الموالاة المحرمة، **ويدل على ذلك ما يلي:**

❁ ثبت في القرآن محبة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب وهو كافر، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وكان النبي ﷺ يقول لعقيل: «**إني لأحبك يا عقيل حبين حبًا لك، وحبًا لحب أبي طالب إياك**»(٥).

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٢).
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٧٢).
(٣) أخرجه البخاري (ح٢٠٦٩).
(٤) أحكام أهل الذمة (١/ ٥٥١).
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٦٧) وسكت عنه الذهبي، والطبراني في الكبير (١٧/ ١٩١)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني مرسلًا، ورجاله ثقات» (مجمع الزوائد ٩/ ٢٧٣).

❊ أن الله تعالى أباح الزواج من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ﴾ [المائدة: ٥].

قال ابن قدامة: «ليس بين أهل العلم -بحمد الله- اختلاف في حل حرائر نساء أهل الكتاب، وممن روي عنه ذلك: عمر، وعثمان، وطلحة، وحذيفة وسلمان، وجابر، وغيرهم. قال ابن المنذر: ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك. وروى الخلال بإسناده، أن حذيفة، وطلحة، والجارود بن المعلى، وأذينة العبدي تزوجوا نساء من أهل الكتاب، وبه قال سائر أهل العلم»[(١)].

ومن المعلوم أن رابطة الزوجية تقوم على المودة والرحمة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١]، مما يبين أن هذا ليس من الموالاة المحرمة، وإنما الموالاة المحرمة محبة دينهم.

الصورة الخامسة: عدم التفريق بين المحاربين والمسالمين من الكافرين، وقد دل على هذا التفريق قول الله جل وعلا: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

قال ابن كثير: «أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، كالنساء والضعفة منهم، ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ أي: تحسنوا إليهم ﴿وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ﴾ أي: تعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾... إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم العداوة، فقاتلوكم وأخرجوكم، وعاونوا على

(١) المغني لابن قدامة (٧/ ١٢٩).

إخراجكم، ينهاكم الله عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم»[(١)].

وقال الشوكاني: «معنى الآية: أن الله سبحانه لا ينهى عن بر أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال، وعلى ألا يظاهروا الكفار عليهم، ولا ينهى عن معاملتهم بالعدل»[(٢)].

وقال القاسمي: «أي: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من أهل مكة، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم، وتقسطوا إليهم، أي: تفضوا إليهم بالبرّ، وهو الإحسان، والقسط وهو العدل. فهذا القدر من الموالاة غير منهيٍّ عنه، بل مأمور به في حقهم»[(٣)].

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالإقساط إليهم إعطاؤهم قسطًا من المال؛ لأن العدل واجب معهم بكل حال، واختاره ابن العربي[(٤)]، ولذا قال السعدي: «أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة لا محذور فيها ولا مفسدة»[(٥)].

الصورة السادسة: عدم التفريق بين الموالاة الممنوعة والإحسان المشروع، أو توهم التعارض بين عداوة الكافرين من جهة وبرهم والإحسان إليهم من جهة أخرى، ويوضح الإمام القرافي الفرق بين الموالاة وبين المودة والتودد الممنوع وبين البر والإحسان والعدل المشروع، فيقول: «واعلم أن الله تعالى منع من التودد لأهل الذمة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٩٠-٩١)، وانظر: تفسير الطبري (٢٨/ ٦٦)، تفسير الرازي (٢٩/ ٣٠٤)، فتح القدير (٥/ ٢٥٤)، محاسن التأويل (٩/ ٢٠٧).
(٢) فتح القدير (٥/ ٢٥٤).
(٣) محاسن التأويل (٩/ ٢٠٧)، وانظر: تفسير الطبري (٢٨/ ٦٦)، تفسير الرازي (٢٩/ ٣٠٤).
(٤) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي (٤/ ١٧٨٥)، تفسير القرطبي (١٨/ ٥٩).
(٥) تفسير السعدي (ص٨٥٧).

أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١] الآية، فمنع الموالاة والتودد، وقال في الآية الأخرى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨] فلا بد من الجمع بين هذه النصوص(١)، وأن الإحسان لأهل الذمة مطلوب، وأن التودد والموالاة منهي عنهما.. وسر الفرق أن عقد الذمة يوجب حقوقًا علينا لهم، لأنهم في جوارنا، وفي خفارتنا، وذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام. وكذلك حكى ابن حزم في «مراتب الإجماع» له أن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك، صونًا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة، وحكى على ذلك إجماع الأمة، فعَقْدٌ يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال صونًا لمقتضاه عن الضياع إنه لعظيم، وإذا كان عقد الذمة بهذه المثابة فيتعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع، وصار من قبيل ما نهي عنه في الآية وغيرها... أما ما أمر به من برهم من غير مودة باطنة، كالرفق بضعيفهم، وسد خَلَّة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفًا مِنَّا بهم، لا خوفًا وتعظيمًا، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم.. وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يُعَانوا على دفع الظلم عنهم وإيصالهم لجميع حقوقهم،

---

(١) لو قال: (لا بد من بيان معنى الآيتين) كان أولى؛ لأنه لا تعارض بينهما.

وكل خير يحسن من الأعلى مع الأقل أن يفعله.. فإن ذلك من مكارم الأخلاق، فجميع ما نفعله معهم من ذلك ينبغي أن يكون من هذا القبيل، لا على وجه التعظيم لهم وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم، وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جبلوا عليه من بغضنا، وتكذيب نبينا ﷺ وأنهم لو قدروا علينا لاستأصلوا شأفتنا، واستولوا على دمائنا وأموالنا، وأنهم من أشد العصاة لربنا ومالكنا عز وجل، ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره امتثالًا لأمر ربنا»[(١)].

الصورة السابعة: الحكم على كل ولاءٍ بأنه كفر، وهذا مذهب أهل الغلو الذين جعلوا كل معاملة ولاء، وجعلوا كل ولاء كفرًا، وهؤلاء سلكوا مسلك الخوارج.

ويقابلهم أهل التفريط الذين ساوَوْا بين المؤمنين والكفار، فجعلوا المسلمين كالمجرمين، فسلكوا مسلك المرجئة، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، ويدخل فيهم الذين يهونون من شأن الموالاة المحرمة والشركية، فلم يلقوا لها بالًا، ولم يرفعوا بها رأسًا، بل وجد في عصرنا من يبالغ في إطراء الكافرين ومدحهم، ويسرف في الوقيعة والطعن في المؤمنين، ويتسامح مع أهل الكفر، ويظلم أهل الإيمان.

أما الفريق الثالث: فهم أهل الوسطية والاعتدال، الذين يعتقدون أن الكفر إنما يكون بالتولي الكامل للكافرين ظاهرًا وباطنًا، وأن الموالاة لغرض دنيوي موالاة محرمة لكنها ليست بكفر، وأن البراءة في مفهومها الشرعي لا تعني الظلم والاعتداء، فإن الظلم حرام مطلقًا والعدل واجب مطلقًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [المائدة: ٢].

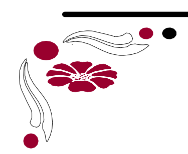
الصورة الثامنة: القول بجواز أو مشروعية نصرة المسلم على الكافر، ولو كان المسلم ظالمًا والكافر مظلومًا، وهذا غير صحيح، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا

(١) انظر: الفروق (٣/ ١٤-١٥).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨]، قال ابن كثير: «أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقًا كان أو عدوًّا»[(١)]، وقال القرطبي: «دلت الآية أيضًا على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه»[(٢)].



(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٦٢).
(٢) تفسير القرطبي (٦/ ١١٠).



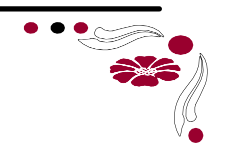
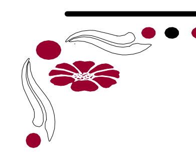
ملخص الفصل السادس

❋ **الولاء لغة:** القرب والمحبة والمودة والنصرة. **وشرعًا هو:** الولاء لله بالإخلاص، ولرسوله ﷺ بالمتابعة، وللمؤمنين بالمحبة والنصرة.

❋ **البراء لغة:** المباعدة. **وشرعًا هو:** أن يتبرأ المسلم من كل ما تبرأ الله منه ورسوله؛ كالبراءة من الشرك والبدعة وأهلهما.

❋ **الولاء منه ما هو مشروع ومنه ما هو غير مشروع؛ فالولاء المشروع هو:** الولاء لله ولرسوله ﷺ، وللمؤمنين، وموالاة الكفار في الظاهر دون الباطن لعذر شرعي كالإكراه. **والولاء غير المشروع هو:** الولاء للكفار في جميع أحوالهم في الظاهر والباطن، وهو كفر، أو موالاتهم في الظاهر دون الباطن لغير عذر شرعي، بل لغرض دنيوي، وهذه موالاة محرمة.

❋ **هناك العديد من التطبيقات الخاطئة في الولاء والبراء، منها:** **(١)** توهم أن الموالاة الظاهرة واجبة على الأعيان في جميع الأحوال. **(٢)** توهم أن الدخول في أي معاهدات مع الكفار من أنواع الولاء المحرم. **(٣)** توهم أن المعاملات مع الكفار بإطلاق مما يدخل في الولاء المحرم، كالمعاملات التجارية. **(٤)** توهم أن المحبة الطبيعية بين المسلم والكافر من الولاء المحرم، كمحبة الرجل لأبويه المشركين، أو لزوجته الكتابية. **(٥)** عدم التفريق بين المحاربين والمسالمين من الكافرين. **(٦)** عدم التفريق بين الموالاة الممنوعة والإحسان المشروع، أو توهم التعارض بين عداوة الكافرين من جهة وبرهم والإحسان إليهم من جهة أخرى. **(٧)** الحكم على كل ولاءٍ بأنه كفر، أو التهوين من شأن الموالاة المحرمة والشركية. **(٨)** القول بجواز أو مشروعية نصرة المسلم على الكافر، ولو كان المسلم ظالمًا والكافر مظلومًا.

أسئلة تطبيقية

س١: ما مفهوم الولاء والبراء في الإسلام؟

س٢: تحدث عن منزلة الولاء والبراء من الدين، مستدلًا بالكتاب والسنة.

س٣: اذكر أنواع الموالاة، وحكم كل نوع منها.

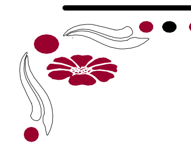
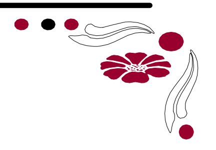
س٤: اذكر ثلاثة نماذج من التطبيقات الخاطئة في مسألة الولاء والبراء مع بيان الصواب في ذلك.





الفصل السابع

المسائل العقدية المتعلقة بالإمامة والجماعة

الفصل السابع

۞ **ويشتمل على ما يلي:**

١- المراد بالإمامة، وأسماؤها، وحكم نَصْب الإمام.

٢- طرق انعقاد الإمامة، وحكم تعدد الأئمة.

٣- حقوق ولاة الأمور وواجباتهم.

٤- حكم الخروج على ولاة أمور المسلمين.

٥- مظاهر الانحراف في باب الإمامة.

٦- الجماعة؛ معناها، وأهميتها، ووجوب لزومها وأدلة ذلك، وحرمة الفُرْقة والشذوذ.





المبحث الأول

المراد بالإمامة، وأسماؤها، وحكم نصب الإمام

أولًا: المراد بالإمامة:

الإمامة لغة: مصدر أمَّ، يقال: أمَّ الناس، أي: صار لهم إمامًا، والإمام هو ما يؤتم به.

قال الأزهري: «الإمام: كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين»[(١)].

وقال ابن فارس: «والإمام: كل من اقتدي به وقُدِّم في الأمور، والنبي ﷺ إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية»[(٢)].

وقال الفيروزآبادي: «الإمام: ما ائتم به من رئيس أو غيره»[(٣)].

أما الإمامة شرعًا فيقول الإمام الماوردي: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»[(٤)].

ويقول الإمام الجويني: «الإمامة رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة، في مهمات الدين والدنيا»[(٥)].

---

(١) تهذيب اللغة (١٥/ ٦٣٨).
(٢) مقاييس اللغة (١/ ٢٨).
(٣) القاموس المحيط (ص١٠٧٧).
(٤) الأحكام السلطانية (ص١٥).
(٥) غياث الأمم في التياث الظلم (ص٢٢).

ويقول ابن خلدون: «هي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»(١).

وهذه التعاريف تؤكد على أن السياسة في الإسلام لا تنفك عن الدين وأحكام الشريعة، وتبين شمولية أحكام الإسلام للدين والدنيا معًا.

وعند التأمُّل في هذه التعريفات نجد أن الإمامة تقوم على ثلاثة أسس:

الأول: أنها خلافة عن النبوة، بمعنى أنها اتباع للنبي ﷺ الذي أقام أول دولة إسلامية في المدينة.

الثاني: أن مقصودها الأعظم حراسة الدين.

الثالث: أن سياسة أمور الدنيا إنما تكون بمقتضى الدين وأحكام الشريعة.

۞ ثانيًا: أسماؤها:

الإمامة تسمى أيضًا خلافة، والقائم بها يسمى إمامًا وخليفة، قال ابن خلدون: «تسمى خلافة وإمامة، والقائم به خليفةً وإمامًا، فأما تسميته إمامًا فتشبيهًا بإمام الصلاة في اتباعه والاقتداء به، ولهذا يقال: الإمامة الكبرى. وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي ﷺ في أمته، فيقال: خليفة بإطلاق، وخليفة رسول الله ﷺ»(٢).

۞ ثالثًا: حكم نَصْب الإمام:

الإمامة واجبة في حكم الشرع، ونصب الإمام واجب على المسلمين، والأصل في وجوب الإمامة الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب:

١- قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، قال الإمام القرطبي: «هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع

(١) مقدمة ابن خلدون (١/ ٣٣٤).
(٢) مقدمة ابن خلدون (١/ ٣٣٤-٣٣٥).

له ويطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليقة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما روي عن الأصمِّ؛ حيث كان عن الشريعة أصمَّ، وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه، قال: إنها غير واجبة في الدين بل يسوغ ذلك، وأن الأمة متى أقاموا حجهم وجهادهم، وتناصفوا فيما بينهم، وبذلوا الحق من أنفسهم، وقسموا الغنائم والفيء والصدقات على أهلها، وأقاموا الحدود على من وجبت عليه، أجزأهم ذلك، ولا يجب عليهم أن ينصبوا إمامًا يتولى ذلك[(١)]»[(٢)].

٢- وقوله جل جلاله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، فأمر سبحانه نبيه ﷺ أن يحكم بين المسلمين بما أنزل الله، ولا يتحقق ذلك إلا بالحاكم الشرعي، فيكون ذلك أمرًا للأمة بنصب الإمام.

٣- وقال جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر... فالكتاب يبين ما أمر الله به وما نهى عنه، والسيف ينصر ذلك ويؤيده»[(٣)].

٤- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾ [النساء: ٥٩]، قال الماوردي: «ففرض علينا طاعة أولي الأمر فينا، وهم الأئمة المتأمِّرون علينا»[(٤)].

---

(١) فهم علقوا عدم الوجوب بقيام الأمة بواجبات الإمام، وهذا استناد إلى أمر غير ممكن، ولا يؤيده واقع الناس، فلا يمكن أن يقوم الجهاد والحج، وأن يتناصف الناس فيما بينهم، وتقام الحدود إلا بالإمام.

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٢٦٤).

(٣) منهاج السنة النبوية (١/ ٥٣١-٥٣٢).

(٤) الأحكام السلطانية (ص١٦).

كما أن جميع آيات الحدود والقصاص ونحوها مما لا يمكن العمل به إلا مع وجود الإمام هي أدلة على وجوب نصب الإمام.

ومن السنة أحاديث كثيرة، منها:

١- حديث نافع، قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان، زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثًا سمعت رسول الله ﷺ يقوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية**»(١). وهذا يدل على وجوب نصب الإمام، **ووجه ذلك:** أن البيعة واجبة في عنق كل مسلم، والبيعة لا تكون إلا للإمام الشرعي، فتعين وجوب نصب الإمام. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فذم الخروج عن الطاعة ومفارقة الجماعة، وجعل ذلك ميتة جاهلية؛ لأن أهل الجاهلية لم يكن لهم رأس يجمعهم»(٢).

٢- وعن العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(٣).

وقد جمعت هذه الوصية العظيمة بين تقوى الله تعالى الذي فيه صلاح الفرد

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٨٥١). (٢) منهاج السنة النبوية (١/ ٥٥٧).
(٣) أخرجه أبو داود (ح٤٦٠٧)، والترمذي (ح٢٦٧٦)، وابن ماجه (ح٤٢)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ١١٨٤).

والجماعة، وبين السمع والطاعة للأمير الذي به الاجتماع والسلامة من الاختلاف، ووجه دلالة الحديث على وجوب نصب الإمام: أن الاجتماع فريضة، كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ولا يتحقق الاجتماع إلا بإمام يُسمع له ويُطاع في المعروف.

٣- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**»(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة؛ ولهذا روي: أن السلطان ظل الله في الأرض، ويقال: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان، والتجربة تبين ذلك»(٢).

ويدل عليه أيضًا إجماع الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ على نصب إمام، قال الإمام أبو يعلى الفراء: «والوجه فيه(٣): أن الصحابة لما اختلفوا في السقيفة، فقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، ودفعهم أبو بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقالوا: إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش، ورووا في ذلك أخبارًا، فلولا أن الإمامة واجبة لما ساغت تلك المحاورة والمناظرة عليها، ولقال قائل: ليست بواجبة لا في قريش ولا في غيرهم»(٤).

وفي مبادرة الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم إلى نصب الإمام في نفس يوم وفاة رسول الله

---

(١) أخرجه أبو داود (ح٢٦٠٨)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٩٩)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٥٠٠).

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (ص١٢٩).

(٣) أي: في وجوب الإمامة.

(٤) الأحكام السلطانية، أبو يعلى الفراء (ص١٩).

ﷺ، وكراهتهم أن يبقوا بعض يوم دون إمام دليل على وجوب نصبه بإجماعهم -رضوان الله عليهم- قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد رضي الله عنه: «أشهدت وفاة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فمتى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة»(١).

وقال الإمام ابن حزم: «اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ، حاشا النجدات من الخوارج؛ فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة، وإنما عليهم أن يشاطروا الحق بينهم، وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد»(٢).

وقال الإمام الماوردي: «وعقدها [أي: الخلافة] لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، وإن شذ عنهم الأصم»(٣). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس»(٤).

وقد دل العقل أيضًا على أن الناس لا يستقيم أمرهم إلا بإمام مطاع، قال الإمام أبو حامد الغزالي: «إن الدنيا والأمن على الأنفس والأموال لا ينتظم إلا بسلطان مطاع، فتشهد له مشاهدة أوقات الفتن بموت السلاطين والأئمة، وإن ذلك لو دام ولم يتدارك بنصب سلطان آخر مطاع دام الهَرْج وعم السيف وشمل القحط وهلكت المواشي وبطلت الصناعات، وكان كل من غلبَ

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٠٧).
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٧٢).
(٣) الأحكام السلطانية، الماوردي (ص١٥).
(٤) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (ص١٢٩).

سلبَ، ولم يتفرغ أحد للعبادة والعلم إن بقي حيًّا، والأكثرون يهلكون تحت ظلال السيوف، ولهذا قيل: الدين والسلطان توأمان، ولهذا قيل: الدين أسٌّ، والسلطان حارس، وما لا أسَّ له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع، **وعلى الجملة:** لا يتمارى العاقل في أن الخلق على اختلاف طبقاتهم وما هم عليه من تشتت الأهواء وتباين الآراء لو خلوا ورأيهم، ولم يكن رأي مطاع يجمع شتاتهم لهلكوا من عند آخرهم، وهذا داء لا علاج له إلا بسلطان قاهر مطاع يجمع شتات الآراء، فبان أن السلطان ضروري في نظام الدنيا، ونظام الدنيا ضروري في نظام الدين، ونظام الدين ضروري في الفوز بسعادة الآخرة وهو مقصود الأنبياء قطعًا، فكان وجوب نصب الإمام من ضروريات الشرع الذي لا سبيل إلى تركه، فاعلم ذلك»[١].

وقال ابن خلدون: «إن نصب الإمام واجب، قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم تترك الناس فوضى في عصر من الأعصار، واستقر ذلك إجماعًا دالًّا على وجوب نصب الإمام... وقد شذ بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب رأسًا لا بالعقل ولا بالشرع، منهم الأصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم، والواجب عند هؤلاء إنما هو إمضاء أحكام الشرع، فإذا تواطأت الأمة على العدل وتنفيذ أحكام الله تعالى لم يحتج إلى إمام ولا يجب نصبه، وهؤلاء محجوجون بالإجماع، والذي حملهم على هذا المذهب إنما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا، لما رأوا الشريعة ممتلئة بذم ذلك، والنعي على أهله، ومرغبة في رفضه»[٢].

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص١٢٨).
(٢) مقدمة ابن خلدون (١/ ٣٣٥-٣٣٦).



المبحث الثاني

طرق انعقاد الإمامة، وحكم تعدد الأئمة

۞ أولًا: طرق انعقاد الإمامة:

تنعقد الإمامة بأحد أربعة أمور:

«**الأول:** ما لو نص ﷺ على أن فلانًا هو الإمام، فإنها تنعقد له بذلك. وقال بعض العلماء: إن إمامة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من هذا القبيل؛ لأن تقديم النبي ﷺ في إمامة الصلاة وهي أهم شيء، فيه الإشارة إلى التقديم للإمامة الكبرى، وهو ظاهر.

الثاني: هو اتفاق أهل الحل والعقد على بيعته، وقال بعض العلماء: إن إمامة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منه؛ لإجماع أهل الحَل والعقد من المهاجرين والأنصار عليها بعد الخلاف، ولا عبرة بعدم رضا بعضهم، كما وقع من سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عدم قبوله بيعة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثالث: أن يعهد إليه الخليفة الذي قبله، كما وقع من أبي بكر لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومن هذا القبيل جعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة شورى بين ستة من أصحاب رسول الله ﷺ مات وهو عنهم راضٍ.

الرابع: أن يتغلَّب على الناس بسيفه، وينزع الخلافة بالقوة حتى يستتبَّ له الأمر، وتدين له الناس لما في الخروج عليه حينئذ من شق عصا المسلمين، وإراقة دمائهم. قال بعض العلماء: ومن هذا القبيل قيام عبد الملك بن مروان

على عبد الله بن الزبير، وقتله إياه في مكة على يد الحجاج بن يوسف، فاستتب الأمر له، كما قاله ابن قدامة في «المغني»[(١)]»[(٢)].

۞ ثانيًا: العدد الذي تنعقد به الإمامة من أهل الحَلِّ والعقد:

«اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتى، **فقالت طائفة:** لا تنعقد إلا بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد؛ ليكون الرضاء به عاما والتسليم لإمامته إجماعًا، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها.

وقالت طائفة أخرى: أقل من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها، أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة **استدلالًا بأمرين:**

أحدهما: إن بيعة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها، ثم تابعهم الناس فيها، وهم: عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وأسيد بن حضير، وبشر بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والثاني: عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جعل الشورى في ستة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة، وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة، وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكمًا وشاهدين، كما يصح عقد النكاح بولي وشاهدين.

وقالت طائفة أخرى: تنعقد بواحد؛ لأن العباس قال لعلي -رضوان الله

---

(١) ونص كلامه: «ولو خرج رجل على الإمام، فقهره، وغلب الناس بسيفه حتى أقروا له، وأذعنوا بطاعته وبايعوه، صار إمامًا يحرم قتاله، والخروج عليه؛ فإن عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير فقتله، واستولى على البلاد وأهلها، حتى بايعوه طوعًا وكرهًا، فصار إمامًا يحرم الخروج عليه؛ وذلك لما في الخروج عليه من شق عصا المسلمين، وإراقة دمائهم، وذهاب أموالهم» (المغني لابن قدامة ١٢/ ٢٤٣).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٢٢-٢٣)، وانظر: الأحكام السلطانية، للماوردي (ص٢١-٢٢)، تفسير القرطبي (١/ ٢٦٨-٢٦٩)، تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين (ص١٥٦-١٥٧).

عليهما: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس: عم رسول الله ﷺ بايع ابن عمه، فلا يختلف عليك اثنان، ولأنه حكم وحكم واحد نافذ»[(١)].

والتحقيق: أنه لا عبرة بالعدد، بل العبرة بموافقة أهل الشوكة -أيًّا كان عددهم- على بيعة الإمام، وهم الذين يتحقق ببيعتهم له مقصود الإمامة من اجتماع كلمة المسلمين، ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن القول بأن الإمامة تنعقد بأربعة أو اثنين أو واحد ونحو ذلك من الأقوال التي تحدد عددًا هي من أقوال أهل الكلام، وليست من أقوال أهل السنة، فقال: «وإن كان بعض أهل الكلام يقولون: إن الإمامة تنعقد ببيعة أربعة، كما قال بعضهم: تنعقد ببيعة اثنين، وقال بعضهم: تنعقد ببيعة واحد، فليست هذه أقوال أئمة السنة، بل الإمامة عندهم تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها، ولا يصير الرجل إمامًا حتى يوافقه أهل الشوكة عليها الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة؛ فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان، فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إمامًا، ولهذا قال أئمة السلف: من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الولاية، فهو من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله، فالإمامة ملك وسلطان، والملك لا يصير ملكًا بموافقة واحد ولا اثنين ولا أربعة، إلا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقة غيرهم بحيث يصير ملكًا بذلك، وهكذا كل أمر يفتقر إلى المعاونة عليه لا يحصل إلا بحصول من يمكنهم التعاون عليه»[(٢)].

۞ ثالثًا: حكم تعدد الأئمة:

تعدد الأئمة جائز عند الحاجة أو الضرورة، وهو واقع منذ زمن طويل، والأئمة وإن تعددوا لهم من الحقوق ما يجب للإمام الأعظم، وإن كانت السُّنَّة أن يجتمع المسلمون على إمام واحد[(٣)]، ونقل ابن حزم الإجماع على

---

(١) الأحكام السلطانية (ص٢١-٢٢). (٢) منهاج السنة النبوية (١/ ٥٢٦-٥٢٧).

(٣) انظر: الأحكام السلطانية، للماوردي (ص٢٩)، شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٣٢)، =

وجوبه، فقال: «واتفقوا أنه لا يجوز أن يكون على المسلمين في وقت واحد في جميع الدنيا إمامان، لا متفقان ولا مفترقان، ولا في مكانين، ولا في مكان واحد»[(١)]، لكن تعقبه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «النزاع في ذلك معروف بين المتكلمين في هذه المسألة كأهل الكلام والنظر، فمذهب الكرامية وغيرهم جواز ذلك، وأن عليًّا كان إمامًا، ومعاوية كان إمامًا، وأما أئمة الفقهاء فمذهبهم أن كلًّا منهما ينفذ حكمه في أهل ولايته كما ينفذ حكم الإمام الواحد»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «السنَّة أن يكون للمسلمين إمام واحد والباقون نوابه، فإذا فرض أن الأمة خرجت عن ذلك لمعصية من بعضها وعجز من الباقين أو غير ذلك فكان لها عدة أئمة، لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود ويستوفي الحقوق»[(٣)].

ويجب لهم من الحقوق -وإن تعددوا- ما يجب للإمام الأعظم؛ لأن اجتماع الناس على خليفة واحد قد انقطع منذ زمن طويل، قال الإمام الصنعاني في شرح حديث: «**من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ومات فميتته ميتة جاهلية**»: «قوله: «**عن الطاعة**» أي: طاعة الخليفة الذي وقع الاجتماع عليه، وكأن المراد خليفة أي قطر من الأقطار؛ إذ لم يُجمع الناس على خليفة في جميع البلاد الإسلامية من أثناء الدولة العباسية، بل استقل أهل كل إقليم بقائم بأمورهم؛ إذ لو حمل الحديث على خليفة اجتمع عليه أهل الإسلام لقلت فائدته. وقوله: «**وفارق الجماعة**» أي: خرج عن الجماعة الذين اتفقوا على طاعة إمام انتظم به شملهم، واجتمعت به كلمتهم، وحاطهم عن

= تفسير القرطبي (١/ ٢٧٣).

(١) مراتب الإجماع (ص١٢٤).

(٢) نقد مراتب الإجماع لابن تيمية (ص٢٩٨)، وينظر: تفسير القرطبي (١/ ٢٧٣)، الإرشاد للجويني (ص٤٢٥)، وغياث الأمم عند التياث الظلم للجويني (ص١٧٤-١٧٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٤/ ١٧٥).

عدوهم»[(١)].

وقال الإمام الشوكاني: «وأما بعد انتشار الإسلام واتساع رقعته وتباعد أطرافه، فمعلوم أنه قد صار في كل قطر - أو أقطار - الولاية إلى إمام أو سلطان، وفي القطر الآخر - أو الأقطار - كذلك، ولا ينفذ لبعضهم أمر ولا نهي في قطر الآخر وأقطاره التي رجعت إلى ولايته، فلا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين، ويجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القطر الآخر، فإذا قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته وبايعه أهله، كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب، ولا تجب على أهل القطر الآخر طاعته، ولا الدخول تحت ولايته، لتباعد الأقطار... فاعرف هذا فإنه المناسب للقواعد الشرعية، والمطابق لما تدل عليه الأدلة، ودع عنك ما يقال في مخالفته؛ فإن الفرق بين ما كانت عليه الولاية الإسلامية في أول الإسلام، وما هي عليه الآن أوضح من شمس النهار، ومن أنكر هذا فهو مباهتٌ لا يستحق أن يخاطب بالحجة؛ لأنه لا يعقلها»[(٢)].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «الأئمة مجمعون من كل مذهب، على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحدًا من العلماء ذكر أن شيئًا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم»[(٣)].

قال الشيخ محمد بن عثيمين: «الإمامة العامة انقرضت من أزمنة متطاولة، والنبي ﷺ قال: «**اسمعوا وأطيعوا ولو تأمَّر عليكم عبد حبشي**»[(٤)]، فإذا تأمَّر إنسان

(١) سبل السلام (٢/ ٣٧٤).
(٢) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (٤/ ٥١٢).
(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ٥).
(٤) سبق تخريجه.

على جهةٍ ما، صار بمنزلة الإمام العام، وصار قولُه نافذًا، وأمره مطاعًا، ومن عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والأمة الإسلامية بدأت تتفرق، فابن الزبير في الحجاز، وبنو مروان في الشام، والمختار بن عبيد وغيره في العراق، فتفرقت الأمة، وما زال أئمة الإسلام يدينون بالولاء والطاعة لمن تأمَّر على ناحيتهم، وإن لم تكن له الخلافة العامة؛ وبهذا نعرف ضلال ناشئة نشأت تقول: إنه لا إمام للمسلمين اليوم، فلا بيعة لأحد!! نسأل الله العافية»[1].



(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٨/ ٩).



المبحث الثالث

حقوق ولاة الأمور وواجباتهم

۞ أولًا: حقوق ولاة الأمور:

١- طاعتهم بالمعروف:

طاعة ولاة الأمر بالمعروف هي -كما يقول الإمام ابن الأزرق: «أصل عظيم من أصول الواجبات الدينية، حتى أدرجها الأئمة في جملة العقائد الإيمانية»[(١)]، فهي من أهم حقوقه، ومن أعظم الواجبات على الرعية له.

فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر بالمعروف.

فمن الكتاب قوله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]. قال الحافظ ابن كثير: «الظاهر -والله أعلم- أن الآية في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء»[(٢)]، وقال الإمام الشوكاني: «وأولي الأمر: هم الأئمة، والسلاطين، والقضاة، وكل من كانت له ولاية شرعية، لا ولاية طاغوتية، والمراد طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه ما لم تكن معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ»[(٣)]، وقال الإمام ابن أبي العز: «فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ

(١) بدائع السلك في طبائع الملك (ص٧٧). (٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٥).
(٣) فتح القدير للشوكاني (١/ ٥٥٦).

﴿ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾، كيف قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؛ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول ﷺ؛ لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله»(١).

ولا يعني عدم طاعتهم إذا أمروا بمعصية عدم طاعتهم مطلقًا، بل المراد عدم طاعتهم في أمرهم بهذه المعصية بخصوصها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم؛ فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال؛ فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعوه عصاهم، فما له في الآخرة من خلاق»(٢).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الممتحنة: ١٢]، قال الإمام الشوكاني: «ووجه التقييد بالمعروف، مع كونه ﷺ لا يأمر إلا به، التنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق»(٣).

أما السنة فالأحاديث متضافرة في وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية وإن جاروا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصِ الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جُنَّة يُقاتَل من ورائه ويتقى به، فإن أمر**

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٤٢-٥٤٣)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٦٦-٢٦٧)، فتح الباري (١٣/ ١١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦-١٧).

(٣) فتح القدير (٥/ ٢٥٨).

بتقوى الله وعدل، فإن له بذلك أجرًا، وإن قال بغيره فإن عليه منه»[(١)]. قال الحافظ ابن حجر: «وقوله: «**فإن عليه منه**» أي: وزرًا»[(٢)].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة**»[(٣)].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**إنكم سترون بعدي أَثَرة وأمورًا تنكرونها**» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «**أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم**»[(٤)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك**»[(٥)].

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا: «**أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله**»، قال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»[(٦)].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة**»[(٧)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، إلا مات ميتة جاهلية**»[(٨)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٢٩٥٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ١١٦).

(٣) أخرجه البخاري (ح٧١٤٢).

(٤) أخرجه البخاري (ح٧٠٥٢).

(٥) أخرجه مسلم (ح١٨٣٦).

(٦) أخرجه البخاري (ح٧٠٥٥)، ومسلم (ح١٧٠٩).

(٧) أخرجه البخاري (ح٢٩٥٥)، ومسلم (ح١٨٣٩).

(٨) أخرجه البخاري (ح٧٠٥٤)، ومسلم (ح١٨٤٩).

وسأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة، فجذبه الأشعث بن قيس، وقال: «**اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا، وعليكم ما حملتم**»(١).

وعن علي رضي الله عنه، قال: بعث النبي ﷺ سرية، وأمَّر عليهم رجلًا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم، وقال: أليس قد أمر النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبًا، وأوقدتم نارًا، ثم دخلتم فيها فجمعوا حطبًا، فأوقدوا نارًا، فلما هموا بالدخول، فقام ينظر بعضهم إلى بعض، قال بعضهم: إنما تبعنا النبي ﷺ فرارًا من النار أفندخلها؟ فبينما هم كذلك، إذ خمدت النار، وسكن غضبه، فذكر للنبي ﷺ، فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا، إنما الطاعة في المعروف**»(٢).

فتجب طاعة ولاة الأمر في المعروف لا في المعصية، فإذا أمروا بمعصية الله فلا يطاعون، لكن لا يجوز الخروج عليهم بسببها؛ لحديث عوف بن مالك الأشجعي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»، قالوا: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة**»(٣).

والنصوص في وجوب طاعة ولاة الأمر بالمعروف كثيرة، وسبب ذلك أنها من لوازم الاجتماع وعدم التفرق، قال الإمام النووي: «وهذه الأحاديث في

(١) أخرجه مسلم (ح١٨٤٦).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧١٤٥)، ومسلم (ح١٨٤٠).
(٣) أخرجه مسلم (ح١٨٥٥).

الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال، وسببها اجتماع كلمة المسلمين؛ فإن الخلاف سببٌ لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم»[(١)].

ومن طاعة ولي الأمر اتباع رأيه في مسائل الخلاف الاجتهادية، قال ابن أبي العز الحنفي: «وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر، وإمام الصلاة، والحاكم، وأمير الحرب، وعامل الصدقة، يطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد، بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف، ومفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المسائل الجزئية، ولهذا لم يجز للحكام أن ينقض بعضهم حكم بعض»[(٢)].

٢- النصيحة لهم:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويسخط لكم ثلاثًا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**»[(٣)].

وعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(٤)].

قال الإمام محمد بن نصر المروزي: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحب طاعتهم ورشدهم وعدلهم، وحب اجتماع الأمة كلهم، وكراهية افتراق الأمة

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٢٥).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٥٣٤).
(٣) أخرجه مالك في الموطأ (ح٣٦٣٢)، وأحمد في المسند (١٤/ ٤٠٠)، والبخاري في الأدب المفرد (ح٤٤٢)، وابن حبان في صحيحه (ح٣٣٨٨)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ١٨٩٥).
(٤) أخرجه مسلم (ح٥٥).

عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله، والبغض لمن رأى الخروج عليهم وحب إعزازهم في طاعة الله»[(١)].

قال الإمام النووي: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم. قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وألا يُغْروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح»[(٢)].

وجاء في بيان كيفية مناصحة ولاة الأمور حديث شريح بن عبيد الحضرمي، قال: جلد عياض بن غنم صاحب دارا حين فتحت، فأغلظ له هشام بن حكيم القول حتى غضب عياض، ثم مكث ليالي، فأتاه هشام بن حكيم فاعتذر إليه، ثم قال هشام لعياض: ألم تسمع النبي ﷺ يقول: «**إن من أشد الناس عذابًا، أشدهم عذابا في الدنيا للناس؟**» فقال عياض بن غنم: يا هشام بن حكيم، قد سمعنا ما سمعت، ورأينا ما رأيت، أو لم تسمع رسول الله ﷺ يقول: «**من أراد أن ينصح لسلطان بأمر، فلا يُبدِ له علانية، ولكن ليأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه له**»، وإنك يا هشام لأنت الجريء، إذ تجترئ على سلطان الله، فهلا خشيت أن يقتلك السلطان، فتكون قتيل سلطان الله تبارك وتعالى[(٣)].

وعن أسامة بن زيد، قال: قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون أن

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٩٣-٦٩٤). (٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٨).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٤/ ٤٨-٤٩)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٢١)، وصححه الألباني (ظلال الجنة رقم ١٠٩٦).

أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتحه، ولا أقول لأحد يكون عليَّ أميرًا: إنه خير الناس بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»[١].

وقال الحافظ ابن حجر: «قال عياض: مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام؛ لما يخشى من عاقبة ذلك، بل يتلطف به وينصحه سرًّا، فذلك أجدر بالقبول، وقوله: (لا أقول لأحد يكون عليَّ أميرًا: إنه خير الناس) فيه ذم مداهنة الأمراء في الحق، وإظهار ما يبطن خلافه كالمتملق بالباطل، فأشار أسامة إلى المداراة المحمودة، والمداهنة المذمومة»[٢].

وقال الإمام الشوكاني: «ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده، ويخلو به، ويبذل له النصيحة، ولا يذل سلطان الله»[٣].

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي: «وعلى من رأى منهم ما لا يحل أن ينبههم سرًّا لا علنًا، بلطف وعبارة تليق بالمقام، ويحصل بها المقصود؛ فإن هذا هو المطلوب في حق كل أحد، وبالأخص ولاة الأمور؛ فإن تنبيههم على هذا الوجه فيه خير كثير، وذلك علامة الصدق والإخلاص»[٤].

وقال الإمام ابن باز: «ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر

(١) أخرجه البخاري (ح٣٢٦٧)، ومسلم (ح٥١) واللفظ له.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٢).

(٣) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (٤/ ٥٥٦).

(٤) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة (ص٤١).

ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير»(١).

٣- التعاون معهم على البر والتقوى:

أحق الناس بالإعانة على البر والتقوى هم ولاة أمور المسلمين، فبصلاح الإمام تصلح العامة، قال جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، وقال الإمام أبو يعلى الفراء: «إذا قام الإمام بحقوق الأمة وجب له عليهم الطاعة، والنصرة، ما لم يوجد من جهته ما يخرج به عن الإمامة»(٢).

قال الشيخ ابن باز: «فالواجب على جميع المكلفين التعاون مع ولاة الأمور في الخير، والطاعة في المعروف، وحفظ الألسنة عن أسباب الفساد، والشر، والفرقة، والانحلال... ومعلوم ما يحصل من ولاة الأمر المسلمين من الخير والهدى والمنفعة العظيمة من إقامة الحدود، ونصر الحق، ونصر المظلوم، وحل المشاكل، وإقامة الحدود، والقصاص، والعناية بأسباب الأمن، والأخذ على يد السفيه والظالم، إلى غير هذا من المصالح العظيمة، وليس الحاكم معصومًا، إنما العصمة للرسل -عليهم الصلاة والسلام- فيما يبلغون عن الله عز وجل، لكن الواجب التعاون مع ولاة الأمور في الخير والنصيحة فيما قد يقع من الشر والنقص، هكذا فهم المؤمنون، وهكذا أمر الرسول ﷺ»(٣).

❋ ❋ ❋

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ٢١٠).
(٢) الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء (ص٢٨).
(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٩/ ٩٤-٩٦).

٤- توقيرهم وعدم إهانتهم:

من السنة توقير ولاة الأمور وإجلالهم بلا غلو في مدحهم، ولا تقصير في حقهم، فأهل السنة وسط في ذلك بين الروافض الذين يقدسون أئمتهم ويعتقدون عصمتهم ويكفرون من سواهم من أئمة المسلمين، وبين الخوارج الذين يكفرون ولاة أمور المسلمين ويخرجون عليهم.

عن زياد بن كسيب العدوي، قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فقال أبو بكرة: اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله**»(١).

وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»(٢).

قال سهل بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم»(٣).

۞ ثانيًا: واجبات ولاة الأمور:

واجبات ولاة الأمور تنحصر في تحقيق مقاصد الإمامة، وللإمامة في الإسلام مقاصد عظيمة، وحكم جليلة، **ويجمعها أمران:**

الأول: حراسة الدين.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٤/ ٧٩، ١٣٥)، والترمذي (ح٢٢٢٤)، قال الهيثمي: «رجال أحمد ثقات» (مجمع الزوائد ٥/ ٢١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (ح٤٨٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد (ح٣٥٧)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٢١٩٩).

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ٢٦٠-٢٦١).

والثاني: سياسة الدنيا بالدين.

وكلام العلماء في مقاصد الإمامة يدور حول تفصيل هذين المقصدَين، يقول الإمام ابن خلدون: «الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة»[(١)]. ويوضح الإمام الجويني مهامَّ الإمامة بقوله: «مهمتها حفظ الحوزة، ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف، وكف الخيف[(٢)] والحَيْف، والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين، وإيفاؤها على المستحقين»[(٣)].

ويفصِّل الإمام الماوردي ما يلزم الإمام القيام به في عشرة أمور، فيقول: «**الذي يلزمه [أي: الإمام] من الأمور العامة عشرة أشياء:**

أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نَجَمَ مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة، وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروسًا من خلل، والأمة ممنوعة من زلل.

الثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النَّصَفة، فلا يتعدى ظالم، ولا يضعف مظلوم.

الثالث: حماية البيضة، والذَّبِّ عن الحريم؛ ليتصرف الناس في المعايش، وينتشروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال.

والرابع: إقامة الحدود؛ لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك.

والخامس: تحصين الثغور بالعُدَّة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظفر

---

(١) مقدمة ابن خلدون (١/ ٣٣٤).

(٢) جاء في لسان العرب (٩/ ١٠٣): «الخيف: جمع خِيفة من الخوف».

(٣) غياث الأمم في التياث الظلم (ص٢٢).

الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرمًا، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دمًا.

والسادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يُسْلم أو يدخل في الذمة؛ ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله.

والسابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصًّا واجتهادًا من غير خوف ولا عسف.

والثامن: تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

التاسع: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوَّض إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال؛ لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محفوظة.

العاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال؛ لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلًا بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة، ولا عذره في الاتباع حتى وصفه بالضلال، وهذا وإن كان مستحقًّا عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة، فهو من حقوق السياسة لكل مسترع، قال النبي -عليه الصلاة والسلام: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»[(١)][(٢)].

وقد أجمل شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك بقوله: «المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسرانًا مبينًا، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٨٩٣)، ومسلم (ح١٨٢٩). (٢) الأحكام السلطانية (ص٤٠-٤١).

(٣) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (ص٢١).



المبحث الرابع

حكم الخروج على ولاة أمور المسلمين

اتفق أهل السنة على تحريم الخروج على ولاة الأمور وإن جاروا، قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»[(١)].

ومما يدل على ذلك[(٢)] حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت، إلا مات ميتة جاهلية**»[(٣)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[(٤)].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «هذه النصوص تدل على منع القيام عليه، ولو كان مرتكبًا لما لا يجوز، إلا إذا ارتكب الكفر الصريح الذي قام البرهان الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أنه كفر بواح؛ أي: ظاهر بادٍ

(١) الطحاوية مع شرح ابن أبي العز الحنفي (٢/ ٥٤٠).
(٢) سبق ذكر الأدلة من القرآن والسنة في وجوب طاعتهم بالمعروف.
(٣) أخرجه البخاري (ح ٧٠٥٤)، ومسلم (ح١٨٤٩).
(٤) أخرجه مسلم (ح ١٨٥١).

لا لَبْسَ فيه، وقد دعا المأمون والمعتصم والواثق إلى بدعة القول بخلق القرآن، وعاقبوا العلماء من أجلها بالقتل، والضرب، والحبس، وأنواع الإهانة، ولم يقل أحد بوجوب الخروج عليهم بسبب ذلك، ودام الأمر بضع عشرة سنة حتى ولي المتوكل الخلافة، فأبطل المحنة، وأمر بإظهار السنة»[(١)].

قال الإمام النووي: «وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مذهب أهل الحديث ترك الخروج بالقتال على الملوك البغاة، والصبر على ظلمهم إلى أن يستريح برٌّ أو يُسْتراح من فاجر»[(٣)].

وقال ابن أبي زيد القيرواني: «وكل من ولي أمر المسلمين عن رضا أو عن غلبة فاشتدت وطأته من بر أو فاجر فلا يخرج عليه جار أو عدل، ويُغزى معه العدو ويحج البيت، ودفع الصدقات إليهم مجزية إذا طلبوها، وتُصلى خلفهم الجمعة والعيدان»[(٤)].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جَوْرهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل»[(٥)].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٢٩-٣٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٢٩). (٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٤٤).

(٤) الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ (ص١١٦).

(٥) شرح الطحاوية (٢/ ٥٤٣).

واتفقوا على وجوب الخروج على الإمام المرتد الكافر، عند تحقق خمسة شروط:

الأول: تحقق وقوع الكفر منه عن علم ويقين، لا بمجرد الظن، أو السماع، بل عن رؤية بصرية أو علمية، كما يدل عليه حديث عُبادة الآتي.

الثاني: أن يكون الكفر لا يحتمل التأويل، قال الإمام الشوكاني: «لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل»(١).

الثالث: أن يكون عندنا دليل قاطع من الكتاب أو السنة، على أنه من الكفر الأكبر المخرج عن الملة.

وقد اجتمعت هذه الشروط الثلاثة في حديث عبادة بن الصامت قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا: «**أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعُسرنا ويسرنا، وأثَرَةٍ علينا، وألا ننازع الأمر أهله**»، قال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»(٢). فقوله: «**إلا أن تروا كفرًا**»، دليل على الشرط الأول، وقوله: «**بواحًا**» دليل على الشرط الثاني، وقوله: «**عندكم من الله فيه برهان**» دليل على الشرط الثالث.

قال الإمام الخطابي: «وقوله: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا**»، معنى البواح: الصراح، من قولك: باح بالشيء يبوح به بوحًا وبَواحًا، إذا صرَّح به، يريد القول الذي لا يحتمل التأويل، فإذا كان كذلك حلَّ قتالهم، وما دام يحتمل وجهًا من التأويل لم يجز ذلك، وهو معنى قوله: «**عندكم من الله فيه برهان**» يريد نص آية أو توقيفًا لا يحتمل التأويل، كقوله ﷻ: ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤] أي: كتاب الله، والله أعلم»(٣).

ويؤيد ما تقدم ما ورد عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنه يستعمل**

---

(١) نيل الأوطار (٧/ ٢٠٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٤/ ٢٣٢٨-٢٣٢٩).

عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع»، قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: «**لا، ما صلوا**»[(١)].

قال الإمام الشوكاني: «فيه دليل على أنه لا تجوز منابذة الأئمة بالسيف ما كانوا مقيمين للصلاة، ويدل ذلك بمفهومه على جواز المنابذة عند تركهم للصلاة»[(٢)].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «وفيه الدلالة الواضحة على قتالهم إذا لم يقيموا الصلاة»[(٣)]. وفي هذا دلالة على أن ترك الصلاة من الأمور الظاهرة التي يتحقق بتركها كفر الولاة، وما يترتب على ذلك من جواز الخروج عليهم.

الرابع: القدرة على الخروج عليه وتولية من يصلح؛ لقوله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولقوله ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[(٤)]، ولأن الوجوب في شريعة الإسلام معلق بالاستطاعة.

الخامس: أمن الفساد وسفك الدماء؛ لأنه لا يجوز إنكار المنكر بمنكر أعظم منه، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

وقد استفاض كلام أئمة السنة في التحذير من الخروج؛ لما فيه من اختلال الأمن وسفك الدماء وتفرق الكلمة، قال حنبل: اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق، فجاؤوا إلى أبي عبد الله، فاستأذنت لهم، فقالوا: يا أبا عبد الله، هذا الأمر قد تفاقم وفشا، يعنون: إظهاره لخلق القرآن وغير ذلك، فقال لهم أبو عبد الله: «فما تريدون؟» قالوا: أن نشاورك في أنَّا لسنا نرضى بإمرته، ولا سلطانه، فناظرهم أبو عبد الله ساعة، وقال لهم: «عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم

(١) أخرجه مسلم (ح١٨٥٤).
(٢) نيل الأوطار (٧/ ٢٠٦).
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٤٥٠)، وانظر: فتح الباري، ابن حجر (١٣/ ٨).
(٤) أخرجه البخاري (ح٧٢٨٨).

ودماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بَرٌّ، أو يستراح من فاجر»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه؛ ولهذا حرم الخروج على ولاة الأمر بالسيف؛ لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات وترك واجب أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب، وإذا كان قوم على بدعة أو فجور، ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه من ذلك، ولم يمكن منعهم منه ولم يحصل بالنهي مصلحة راجحة لم ينهوا عنه»[(٢)].

وقال أيضًا: «المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة»[(٣)].

وقال الحافظ ابن حجر: «وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء، وتسكين الدهماء، وحجتهم هذا الخبر[(٤)] وغيره مما يساعده، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها»[(٥)].

وقال الإمام المازري: «الإمام العدل لا يحل الخروج عليه باتفاق، والإمام إذا فسق وجار؛ فإن كان فسقه كفرًا وجب خلعه، وإن كان ما سواه من

---

(١) السنة لأبي بكر الخلال (١/ ١٣٣-١٣٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٧٢).

(٣) منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٩١).

(٤) يعني حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، إلا مات ميتة جاهلية**» وقد سبق تخريجه.

(٥) فتح الباري (١٣/ ٧).

المعاصي فمذهب أهل السنة أنه لا يخلع، واحتجوا بظاهر الأحاديث وهي كثيرة؛ ولأنه قد يؤدي خلعه إلى إراقة الدماء، وكشف الحريم، فيكون الضرر بذلك أشدَّ من الضرر به»[(١)].

هذا ما يقوله سلف الأمة وأئمتها اتباعًا لما جاء عن الله ورسوله ﷺ، حتى قرروا ذلك في عقائدهم، فـ «صاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين»[(٢)].

ومن استقرأ التاريخ علم أنه ما من طائفة خرجوا إلا وحصل بخروجهم من المفاسد والشرور أعظم من المصالح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولَّد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضًا، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة، وأمثال هؤلاء. وغاية هؤلاء إما أن يُغلَبوا، وإما أن يَغْلِبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة؛ فإن عبد الله بن علي وأبا مسلم هما اللذان قتلا خلقًا كثيرًا، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور، وأما أهل الحَرَّة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهُزِموا وهُزِمَ أصحابهم، فلا أقاموا دِينًا ولا أبقوا دنيا، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم، ومع هذا لم يحمدوا على ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدرًا عند الله وأحسن نية من غيرهم، وكذلك أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خَلْقٌ. وكذلك

(١) المعلم بفوائد مسلم، المازري (٣/ ٥٢-٥٣).

(٢) منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٢٩-٥٣٠).

أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خَلْقٌ من أهل العلم والدين، والله يغفر لهم كلهم، وقد قيل للشعبي في فتنة ابن الأشعث: أين كنت يا عامر؟ قال: كنت حيث يقول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوَّت إنسان فكدت أطير

أصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء. وكان الحسن البصري يقول: إن الحجاج عذاب الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦]، وكان طلق بن حبيب يقول: اتقوا الفتنة بالتقوى، فقيل له: أجمل لنا التقوى. فقال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو رحمة الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله. رواه أحمد وابن أبي الدنيا. وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين، وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث؛ ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ»[١].



(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٢٧-٥٣٠).



المبحث الخامس

مظاهر الانحراف في باب الإمامة

مظاهر الانحراف في باب الإمامة تكون في أمور، منها:

١- إنكار وجوبها أصلًا، كما هو قول عبد الرحمن بن كيسان المعروف بأبي بكر الأصم من المعتزلة.

٢- اعتقاد أنها أصل الدين، كما هو اعتقاد الرافضة الإثني عشرية[١].

٣- الخروج على الإمام الشرعي، كما هو حال الخوارج.

٤- تقديس الإمام واعتقاد عصمته، كما هو اعتقاد الرافضة في أئمتهم، قال شيخهم المجلسي: «اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلًا، لا عمدًا ولا نسيانًا، ولا الخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه»[٢].

٥- حصر الإمامة في سبعة أئمة كحال الإسماعيلية، أو في اثني عشر إمامًا كحال الإثني عشرية، وإنكار إمامة من سواهم.



(١) انظر: أصل الشيعة وأصولها، لمحمد حسين آل كاشف الغطاء (ص٥٨).
(٢) بحار الأنوار (٢٥/ ٢١١).



المبحث السادس

الجماعة

معناها، وأهميتها، ووجوب لزومها
وأدلة ذلك، وحرمة الفرقة والشذوذ

۞ أولًا: معنى الجماعة:

جاء في حديث حذيفة بن اليمان، أنه ﷺ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»[(١)].

قال الشاطبي: «**اختلف الناس في معنى الجماعة المرادة في هذه الأحاديث على خمسة أقوال:**

أحدها: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام.

والثاني: أنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين.

والثالث: أن الجماعة هي جماعة الصحابة على الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلًا.

والرابع: أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم، وهم الذين ضمن الله لنبيه -عليه الصلاة والسلام- ألا يجمعهم على ضلالة، فإن وقع بينهم اختلاف فواجب تعرُّف

(١) سيأتي الحديث بنصه مع تخريجه.

الصواب فيما اختلفوا فيه.

والخامس: أن الجماعة - جماعة المسلمين - إذا اجتمعوا على أمير»[١]، فلا يجوز الخروج عليه.

وهذا القول هو اختيار الطبري[٢].

وكل هذه الأقوال حق لا تنافي بينها، فالجماعة هم «جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين»[٣]، وإذا اجتمعوا على أمير فلا يجوز الخروج عليه، وإذا اجتمع أهل الاجتهاد منهم على أمر؛ فلا يجوز الخروج عن إجماعهم، وهم جماعة المسلمين، وهم السواد الأعظم.

وأما سبب التسمية بالجماعة:

١- فلاجتماعهم وعدم تفرقهم؛ لأن الجماعة في اللغة هي: الاجتماع، وضدها الفرقة[٤]؛ ومن أصول أهل السنة الاعتصام بحبل الله جميعًا، وعدم التفرق والتنازع، وفي هذا المعنى روى البخاري عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة»[٥]. قال ابن حجر: «قوله: «فإني أكره الاختلاف» أي: الذي يؤدي إلى النزاع. قال ابن التين: يعني مخالفة أبي بكر وعمر، وقال غيره: المراد المخالفة التي تؤدي إلى النزاع والفتنة، ويؤيده قوله بعد ذلك: حتى يكون الناس جماعة»[٦].

ولهذا المعنى سُمي العام الذي تنازل فيه الحسن لمعاوية رضي الله عنهما: «عام الجماعة»، قال ابن بطال: «سلم الحسن لمعاوية الأمر وبايعه على إقامة

---

(١) الاعتصام، للشاطبي (٣/ ٢٠٩) باختصار، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٥٤٤)، فتح الباري (١٣/ ٣٧).
(٢) انظر: فتح الباري (١٣/ ٣٧).
(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٥٤٤).
(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٧).
(٥) أخرجه البخاري (ح٣٧٠٧).
(٦) فتح الباري (٧/ ٧٣).

كتاب الله وسنة نبيه، ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس، فسميت «سنة الجماعة» لاجتماع الناس وانقطاع الحرب»(١).

٢- ولأن من أصولهم الاجتماع على طاعة من ولاه الله أمرهم بالمعروف، وبهذا المعنى روى الطبري بسنده أن عمرو بن حريث سأل سعيد بن زيد قال: «فمتى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ؛ كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة»(٢).

٣- ولأنهم سلموا من تكفير بعضهم بعضًا فـ«أهل السنة لا يكفر بعضهم بعضًا، وليس بينهم خلاف يوجب التبرؤ والتكفير، فهم إذًا أهل الجماعة القائمون بالحق، والله تعالى يحفظ الحق وأهله، فلا يقعون في تنابذ وتناقض، وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض وتبرؤ بعضهم من بعض كالخوارج والروافض والقدرية؛ حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضًا»(٣).

۞ ثانيًا: أهمية الجماعة ووجوب لزومها:

يدل على أهمية الجماعة ووجوب لزومها ما يلي:

١- أن الله جل وعلا أمر بها في كتابه، ونهى عما يضادها وهي الفرقة، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال في قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال: «الجماعة»(٤).

وقال الطبري: «يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم

(١) فتح الباري (١٣/ ٦٣)، وانظر: تاريخ خليفة بن خياط (ص٢٠٣)، معالم السنن (٤/ ٣١١).
(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٤٤٧).
(٣) الفرق بين الفرق (ص٣٦١).
(٤) تفسير الطبري (٥/ ٦٤٤).

به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله»[(١)].

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ﴾ أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة»[(٢)].

وقال الشوكاني: «أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام أو بالقرآن، ونهاهم عن التفرق الناشئ عن الاختلاف في الدين»[(٣)].

وقال السعدي: «إن اجتماع المسلمين على دينهم وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عَدُّها من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام»[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، قال الإمام ابن أبي العز: «فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف»[(٥)].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٦٤٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٩).
(٣) فتح القدير (١/ ٤٢١).
(٤) تفسير السعدي (ص١٤٢).
(٥) شرح الطحاوية (٢/ ٧٧٥).

٢- تضافر الأحاديث التي تأمر بلزوم الجماعة، وتحذر من الفرقة، فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»(١)، قال النووي: «وأما قوله ﷺ: «**ولا تفرقوا**» فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام»(٢).

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دخن**» قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**» قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**» قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: «**هم من جِلْدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»(٣)، وقد أورد الإمام النووي هذا الحديث تحت باب «وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة»، وقال: «وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك، فتجب طاعته في غير معصية»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٧١٥).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ١١).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٦٠٦)، ومسلم (ح١٨٤٧).
(٤) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٣٧).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ، قال: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، إلا مات ميتة جاهلية**»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي، يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[(٣)]، وفي رواية: «**كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**»[(٤)]، وفي رواية: قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**الجماعة**»[(٥)]، وفي رواية: قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(٦)]. قال الإمام ابن أبي العز: «فبين أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة، وأن الاختلاف واقع لا محالة»[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٧٠٥٤)، ومسلم (ح١٨٤٩). (٢) أخرجه مسلم (ح١٨٤٨).

(٣) أخرجه أبو داود (ح٤٥٩٦)، والترمذي (ح٢٦٤٠)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد في المسند (ح٨٣٩٦)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، والحاكم (١/ ١٢٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، والآجري في الشريعة (ص١٨).

(٤) أخرجها ابن ماجه (ح٣٩٩٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٥)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٧٦)، وقال البوصيري: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» (مصباح الزجاجة ٤/ ١٨٠)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٠٤٢).

(٥) أخرجها ابن ماجه (ح٣٩٩٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١١٢)، ورجاله موثقون. انظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٤/ ١٨٧٩).

(٦) أخرجها الترمذي (ح٢٦٤١)، والطبراني في الكبير (١٤/ ٥٢)، وحسنه الألباني (صحيح الجامع ح٥٣٤٣).

(٧) شرح الطحاوية (٢/ ٧٧٥).

٣- أن أهل السنة والجماعة جعلوها من أصول اعتقادهم، قال الإمام الطحاوي: «ونرى الجماعة حقًّا وصوابًا، والفُرقة زيغًا وعذابًا»(١)، وقال البربهاري: «فمن السنة لزوم الجماعة، فمن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالًّا مضلًّا»(٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين»(٣).

٤- ولو لم يرد عن الله ورسوله ﷺ شيء في وجوب لزوم الجماعة لكانت المصالح العظيمة والمنافع الجليلة التي يحققها الاجتماع كافية لكل ذي عقل بلزومها، ولكانت شرور الفرقة وأضرارها -كما سيأتي- كافية في الحذر من الافتراق؛ فإنه ما من طائفة خرجوا عن الجماعة إلا وحصل بخروجهم من المفاسد والشرور أعظم من المصالح، وقد تتبع شيخ الإسلام ابن تيمية كثيرًا من وقائع الخروج على الأئمة في تاريخ الإسلام، وبين ما جره ذلك من الفتن والشرور بما فيه عبرة لكل ذي عقل(٤).

۞ ثالثًا: حرمة الفرقة والشذوذ:

يتبين حرمة الفرقة والشذوذ عن الجماعة بما يلي:

١- أن الله تعالى نهى عن الفرقة، فقال جل وعلا: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢- أن الله توعد من اتبع غير سبيل المؤمنين بالعذاب الشديد، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥] فاتباع غير سبيل المؤمنين سبب لحرمان الهداية واستحقاق العذاب.

---

(١) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص٨٥). (٢) شرح السنة، للبربهاري (ص٣٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٥٤).

(٤) وقد تقدم نقل كلامه في نهاية المبحث الرابع: حكم الخروج على ولاة أمور المسلمين.

٣- أن أهل الفُرقة يأتون يوم القيامة وقد اسودت وجوههم عقابًا لهم لما أحدثوه في دين الله وفرقوا به المسلمين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥ - ١٠٦]، قال ابن كثير في تفسيرها: «يعني: يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما»(١).

٤- براءة الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الفرقة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها: «**يا عائشة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وليس لهم توبة، أنا منهم بريء، وهم مني براء**»(٢).

قال ابن عطية: «وقوله: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ أي: لا تشفع لهم ولا لهم بك تعلق، وهذا على الإطلاق في الكفار، وعلى جهة المبالغة في العصاة والمتنطعين في الشرع، ولأنهم لهم حظٌّ من تفريق الدين»(٣).

٥- أن الشذوذ عن الجماعة شذوذ إلى النار: وهو ما توعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم المفارق للجماعة، في قوله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار**»(٤).

٦- أن المفارق للجماعة يأتي يوم القيامة ولا حجة له، ففي الحديث عن

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٩٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير (ح٥٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٣٧)، وقال الهيثمي: «إسناده جيد» (مجمع الزوائد ٧/ ٢٢).

(٣) المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٧).

(٤) أخرجه أحمد (ح٢٧٢٢٤)، والترمذي (ح٢١٦٧) بسند صحيح.

رسول الله ﷺ قال: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له**»(١)، قال الإمام النووي: «أي لا حجة له في فعله، ولا عذر له ينفعه»(٢).

٧- أن المفارق للجماعة لو مات وهذا حاله فميتته ميتة جاهلية، قال رسول الله ﷺ: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية**»(٣)، قال الإمام النووي: «أي: على صفة موتهم من حيث هم فوضى لا إمام لهم»(٤).

٨- أن أهل الفرقة بعيدون عن رحمة الله تعالى، إذ الرحمة تكون لأهل الاتفاق والائتلاف من الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، فأهل الاختلاف المذكورون في الآية مباينون لأهل الرحمة، مُعَرَّضون لعذاب الله، قال رسول الله ﷺ: «**الجماعة رحمة، والفرقة عذاب**»(٥)، فالفرقة وأهلها بعيدون عن رحمة الله، معرضون أنفسهم لعقوبته تعالى.

٩- أن الفرقة سبب لظهور البدع وطوائف الضلال، فما إن تتفرق الأمة، وتخالف أمر الله تعالى لها بالتزام الجماعة إلا وتظهر فرق الضلال مما يزيد الأمة وهَنًا على وهن، فقد أخبر رسول الله ﷺ عن الخوارج: «**أنهم يخرجون في فُرقة من الناس**»(٦)، وذلك لأن البدعة مقرونة بالفرقة والاختلاف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «البدعة مقرونة بالفرقة كما أن السنة مقرونة بالجماعة،

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٨٥١).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٤٠).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٣٨).

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند (ح١٨٤٤٩)، وصححه الألباني في (صحيح الجامع ٣١٠٩).

(٦) أخرجه البخاري (ح٣٦١٠)، ومسلم (ح١٠٦٤).

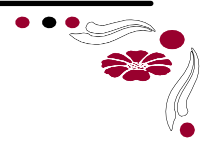
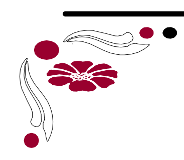
فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة»[١]، ذلك أن كل ما ليس من عند الله جل وعلا لابد فيه من الاختلاف والتفرق والتناقض جزاء وفاقًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وكلما كانت البدعة أبعدَ عن الحق كانت أكثر افتراقًا واختلافًا، قال البغدادي: «وقد حكى أصحاب المقالات أن سبعة من زعماء القدرية اجتمعوا في مجلس... وافترقوا عن تكفير كل واحد منهم لسائرهم»[٢].

١٠- أن الفرقة سبب لذهاب المحبة والألفة، ووقوع العداوة والبغضاء، يقول الله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، قال الإمام الشاطبي: «وأما أن البدع مظنة إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام؛ فلأنها تقتضي التفرق شيعًا»[٣]، وقد أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ عن حال أهل الفرقة والاختلاف وما يصيبهم بسبب الافتراق من التنازع والشقاق، وما يلقيه الشيطان بينهم من العداوة والبغضاء، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣].



(١) الاستقامة (١/ ٤٢).
(٢) الفرق بين الفرق (ص١٨٥).
(٣) الاعتصام (١/ ١٥٦).

ملخص الفصل السابع

❊ **الإمامة لغة:** مصدر أمَّ، والإمام هو من يؤتم به. **وشرعًا:** خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به. والإمامة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع.

❊ **تنعقد الإمامة:** باختيار أهل العقد والحل، أو بعهدٍ من الإمام السابق، أو بتفويض مجموعة منهم لاختيار خليفة، أو بالتغلُّب.

❊ لا يشترط عدد معين لأهل البيعة، بل العبرة بموافقة أهل الشوكة -أيًّا كان عددهم- على بيعة الإمام، وهم الذين يتحقق ببيعتهم له مقصود الإمامة من اجتماع كلمة المسلمين.

❊ تعدد الأئمة جائز عند الحاجة أو الضرورة، وهو واقع منذ زمن طويل، ولهم من الحقوق ما يجب للإمام الأعظم.

❊ **لولاة الأمور حقوق، منها:** (١) طاعتهم بالمعروف. (٢) النصيحة لهم. (٣) التعاون معهم على البر والتقوى. (٤) توقيرهم وعدم إهانتهم.

❊ **تنحصر واجبات ولاة الأمور في تحقيق مقصدي الإمامة:** (١) حراسة الدين. (٢) سياسة الدنيا بالدين.

❊ اتفق أهل السنة على تحريم الخروج على ولاة الأمور المسلمين وإن جاروا، واتفقوا على وجوب الخروج على الإمام المرتد الكافر، **عند تحقق خمسة شروط:** (١) تحقق وقوع الكفر. (٢) أن يكون الكفر لا يحتمل التأويل. (٣) أن يدل الدليل من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أنه من الكفر الأكبر المخرج عن الملة. (٤) القدرة على الخروج عليه وتولية من يصلح. (٥) أمن الفساد وسفك الدماء.

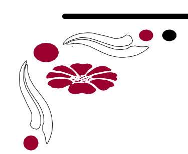
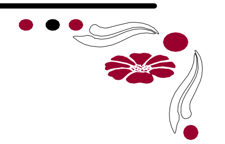
❋ **من مظاهر الانحراف في باب الإمامة ما يلي:** (١) إنكار وجوبها. (٢) اعتقاد أنها أصل الدين. (٣) الخروج على الإمام الشرعي. (٤) تقديس الإمام واعتقاد عصمته.

❋ **الجماعة في اللغة:** من الاجتماع، وضدها الفرقة، **والجماعة في الشرع لها عدة معان، منها:** (١) السواد الأعظم. (٢) جماعة المجتهدين. (٣) جماعة الصحابة. (٤) جماعة أهل الإسلام. (٥) جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

❋ **مما يدل على أهمية الجماعة:** أن الله أمر بها في كتابه، ونهى عن الفرقة، وبمثل ذلك جاء أمر الرسول ﷺ في سنته، كما أن أهل السنة والجماعة جعلوها من أصول اعتقادهم. والنظر الصحيح يدل على وجوب لزومها لما تحققه من المصالح والمنافع الجليلة، ولما تدرؤه من المفاسد والشرور الجسيمة.

❋ **دلت الشريعة على حرمة الفرقة والشذوذ عن الجماعة:** (١) فقد نهى الله عن الفرقة في عدة آيات. (٢) وتوعد من اتبع غير سبيل المؤمنين بالعذاب الشديد. (٣) ووصف حال أهل الفرقة في القيامة باسوداد الوجوه. (٤) كما تبرأ الرسول ﷺ من أهل الفرقة. (٥) وتوعد من شذ أنه في النار. (٦) ومن فارق الجماعة يأتي يوم القيامة ولا حجة له. (٧) ومن فارق الجماعة ومات على ذلك فميتته جاهلية. (٨) وأهل الفرقة بعيدون عن رحمة الله. (٩) والفرقة سبب لظهور البدع وطوائف الضلال. (١٠) وسبب لذهاب المحبة والألفة، ووقوع العداوة والبغضاء (١١) الافتراق سبب لوقوع التنازع والشقاق.



أسئلة تطبيقية

س١: عرِّف الإمامة، مع ذكر أسمائها، وحكم نصب الإمام مع الأدلة.

س٢: اذكر طرق انعقاد الإمامة، وما حكم تعدد الأئمة؟

س٣: ما هي حقوق ولاة الأمور وواجباتهم في الإسلام؟

س٤: فصِّل القول في حكم الخروج على ولاة أمور المسلمين.

س٥: مثِّل للانحراف في باب الإمامة.

س٦: من خلال دراستك لمصطلح الجماعة بيّن ما يلي:

❊ معنى الجماعة وأهميتها.

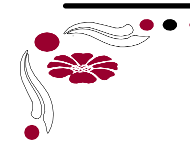
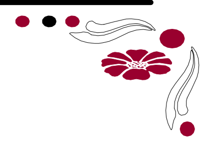
❊ أدلة لزوم الجماعة والنهي عن الفرقة.





الفصل الثامن

آل بيت النبي ﷺ

الفصل الثامن

۞ **ويشتمل على ما يلي:**

١- المقصود بآل البيت، ومكانتهم، وحقوقهم.

٢- حكم الطعن في زوجات النبي ﷺ أو إحداهن.

٣- موقف الرافضة والناصبة من آل البيت، والرد عليهم.





المبحث الأول

المقصود بـ: «آل البيت» ومكانتهم وحقوقهم

۞ أولًا: المقصود بـ «آل البيت»:

يطلق لفظ (الآل) لغة على أقارب الرجل وعشيرته، وعلى الأتباع، يقال: آل الرجل أي: أتباعه وأولياؤه. قال الجوهري: «آل الرجل: أهله وعياله. وآله أيضًا: أتباعه»[(١)].

وقد اختلف في أصل لفظ (آل)، فقيل: إن أصلها أَوْل -وهو الصحيح- وقيل: إن أصلها أهل[(٢)]، قال ابن منظور: «آل الرجل: أهله وعياله، فإما أن تكون الألف منقلبة عن واو، وإما أن تكون بدلًا من الهاء، وتصغيره: أُويل، وأُهيل»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لفظ الأهل يضيفونه إلى الجماد وإلى غير المعظَّم، كما يقولون: أهل البيت، وأهل المدينة، وأهل الفقير، وأهل المسكين، وأما الآل فإنما يضاف إلى معظَّم»[(٤)]. وآل بيت النبي، وأهل بيت النبي ﷺ، يجتمعان في زوجاته وقرابته ﷺ، ويفترقان في الآل حيث يطلق

(١) الصحاح (٤/ ١٦٢٧).

(٢) ضعَّف ابن تيمية وتلميذه ابن القيم القول الثاني، ورجَّحا القول الأول لوجوه. انظر: الفتاوى الكبرى (٢/ ١٩٦)، جلاء الأفهام (ص٢٠٤).

(٣) لسان العرب (١/ ١٧٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٦٣).

الآل أحيانًا على الأتباع، بخلاف الأهل فلا يطلق إلا على القرابة.

والخلاصة: أن كلمة (آل) في اللغة لها استعمالان:

الأول: القرابة. **والثاني:** الأتباع(١).

أما المقصود بآل البيت شرعًا، فعند النظر في نصوص الكتاب والسنة نجد أن أهل بيت النبي ﷺ له ثلاثة استعمالات:

❊ **الأول:** قرابته الذين تحرم عليهم الصدقة، كما ثبت ذلك في حديث زيد ابن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يومًا خطيبًا - وذكر الحديث وفيه: «**أذكركم الله في أهل بيتي - ثلاثًا**» فقال حصين بن سبرة: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: إن نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس، قال: أكلُّ هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم(٢).

وهذا قول جمهور العلماء(٣)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وآل محمدٍ هم الذين حرمت عليهم الصدقة، هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء -رحمهم الله؛ فإن النبي ﷺ قال: «**إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد**»(٤)، وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وحرم الله عليهم الصدقة؛ لأنها أوساخ الناس»(٥)، وقال الإمام ابن القيم: «وهذا القول في الآل -أعني أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة- هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين، وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي»(٦).

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٣١٤)، مقاييس اللغة (١/ ١٥٨)، لسان العرب (١١/ ٣٧-٣٩)، تاج العروس (٢٨/ ٣٥-٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٤٠٨).

(٣) انظر: جلاء الأفهام (ص٢١٠)، فتح الباري (١١/ ١٦٠).

(٤) أخرجه مسلم (ح١٠٧٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٧).

(٦) جلاء الأفهام (ص٢١٠).

وقد اختلف أصحاب هذا القول في تحديد الذين حرمت عليهم الصدقة، **على ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنهم بنو هاشم، وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي(١)، وأحمد في رواية عنه(٢)؛ لقوله ﷺ: «**إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد**»(٣).

والثاني: أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة(٤)، وأحمد(٥)، واختيار ابن القاسم من المالكية(٦).

والثالث: أنهم بنو هاشم ومن فوقهم، فيدخل فيهم بنو مطلب، وبنو أمية، وبنو نوفل، ومن فوقهم إلى بني غالب، وهذا اختيار بعض المالكية(٧).

❊ **الثاني:** زوجاته ﷺ، كما يدل على ذلك القرآن في قوله تعالى في خطاب نساء نبيه ﷺ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣] فهذه الآية ظاهرة الدلالة على أن زوجاته ﷺ هم أهل بيته، ولهذا قال ابن كثير: «الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ﴾»(٨) [الأحزاب: ٣٤].

---

(١) انظر: الأم (٢/ ٨٨)، الحاوي الكبير (٧/ ٥١٧).

(٢) انظر: المغني (٢/ ٤٩٠)، الإنصاف (٢/ ٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (ح٣٥٠٢).

(٤) انظر: بدائع الصنائع (٢/ ٤٩)، البناية شرح الهداية (٣/ ٤٧٢).

(٥) انظر: المغني (٢/ ٤٩٠)، الإنصاف (٢/ ٧٩).

(٦) انظر: النوادر والزيادات (٢/ ٢٩٦-٢٧٠)، الذخيرة (٣/ ١٤٢).

(٧) انظر: النوادر والزيادات (٢/ ٢٩٦-٢٧٠)، الذخيرة (٣/ ١٤٢).

(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٦).

وقال بدخولهن في ذلك جمع كبير من المفسرين[(١)]، وغيرهم[(٢)].

ثم إنه بعد نزول الآية أخبر النبي ﷺ أن عليًّا وفاطمة والحسن والحسين داخلون في هذه الآية، ويدل على ذلك ما جاء في «صحيح مسلم» أن عائشة رضي الله عنها قالت: «خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحَّل[(٣)] من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[(٤)]. قال القرطبي: «فهذه دعوة من النبي ﷺ لهم بعد نزول الآية، أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج»[(٥)].

فعلى هذا تشمل الآية الزوجات وأصحاب الكساء، ويؤيده ما روى البيهقي بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «في بيتي أُنزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال: «**هؤلاء أهلي**» قالت: فقلت: يا رسول الله أما أنا من أهل البيت؟ قال: «**بلى إن شاء الله**»[(٦)]. قال الشوكاني: «فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين فقد أعمل بعض ما يجب إعماله، وأهمل ما لا يجوز إهماله»[(٧)].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٨٢-١٨٤)، البحر المحيط لابن حيان (٧/ ٢٣٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٦٠)، تفسير أبي السعود (٤/ ٤١٧)، مفاتيح الغيب (٢٥/ ٢٠٩).

(٢) انظر: منهاج السنة (٤/ ٢١)، المنتقى (ص ١٦٨-١٦٩)، الدين الخالص (٣/ ٣٩٥)، وانظر: آية التطهير بين أمهات المؤمنين وأصحاب الكساء، د/ علي السالوس.

(٣) **المرط**: هو الكساء، **والمرحل** هو الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل (شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ١٩٤).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٤٢٤).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ١٨٤).

(٦) أخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص١٦٤) وقال: «هذا حديث صحيح سنده، ثقات رواته»، وانظر: تفسير البغوي (٦/ ٣٥٠).

(٧) فتح القدير (٤/ ٢٨٠)، وانظر: فتح الباري (١١/ ١٦٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومما يبين ذلك أن أزواج النبي ﷺ مذكورات في الآية، والكلام في الأمر بالتطهير بإيجابه، ووعد الثواب على فعله، والعقاب على تركه. قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٠ - ٣٣] فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ»[(١)].

❊ **الثالث:** أتباعه على دينه إلى يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وقوله ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**»[(٢)]، وحكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم[(٣)]، وأقدم من روي عنه هذا القول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ذكره البيهقي عنه[(٤)]، ورواه عن سفيان الثوري وغيره[(٥)]، واختاره بعض أصحاب الشافعي[(٦)]، ورجحه النووي[(٧)]، وقال البهوتي: «نص عليه أحمد، وعليه أكثر الأصحاب»[(٨)].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٧/ ٧٣- ٧٤)، وانظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٧/ ١٠٣)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢/ ١٦)، مجلة المنار (٩/ ٢٨٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (ح٦٠٤٠)، والحاكم في المستدرك (ح٦٥٣٩) وضعفه الذهبي، والألباني (ضعيف الجامع ح٣٢٧٢)، وقال الهيثمي: «فيه كثير بن عبد الله المزني، وقد ضعفه الجمهور، وحسن الترمذي حديثه، وبقية رجاله ثقات» (مجمع الزوائد ٦/ ١٣٠).

(٣) انظر: التمهيد (١٧/ ٣٠٣).

(٤) انظر: السنن الكبرى (٢/ ٢١٧).

(٥) انظر: السنن الكبرى (٢/ ٢١٦).

(٦) انظر: الحاوي الكبير (٧/ ٥١٧).

(٧) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٤/ ١٢٦).

(٨) الروض المربع (ص٣).

ويدخل فيهم دخولًا أوليًّا أتباعه ﷺ من قرابته؛ لأنهم آله من جهتين: من جهة اتباعه على دينه، ومن جهة كونهم من قرابته. قال الإمام القرطبي: «آل الرسول ﷺ من هو على دينه وملته في عصره وسائر الأعصار، سواء كان نسيبًا له أو لم يكن، ومن لم يكن على دينه وملته فليس من آله ولا أهله، وإن كان نسيبه وقريبه، خلافًا للرافضة حيث قالت: إن آل رسول الله ﷺ: فاطمة والحسن والحسين فقط»(١).

وملخص القول: أن للآل استعمالين في الشرع:

الأول: عام، ويراد به أتباعه.

والثاني: خاص، ويراد به زوجاته، والمؤمنون من قرابته ممن تحرم عليهم الصدقة.

قال شيخنا ابن عثيمين: «آل بيت النبي ﷺ زوجاته وكل من تحرم عليه الزكاة من أقاربه المؤمنين، كآل علي وجعفر والعباس ونحوهم»(٢).

۞ ثانيًا: مكانة آل البيت:

آل البيت لهم فضل ومنزلة ومكانة من جهتين:

الأولى: من جهة إيمانهم، **والثانية:** من جهة قرابتهم من رسول الله ﷺ.

ولا تنفع الثانية (القرابة) بدون الأولى (الإيمان)، فلا عبرة بالأنساب بدون الإيمان، كما لا تثبت الثانية (القرابة) بدون الأولى (الإيمان)، كما يدل على ذلك قوله تعالى لنوح عليه السلام عن ابنه وهو من صلبه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ [هود: ٤٦]، فمن لم يتحقق فيه الإيمان فليس من آل بيت رسول الله ﷺ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من بطَّأ به عمله، لم يسرع به نسبه**»(٣). قال الإمام القرطبي: «لا خلاف أن من ليس بمؤمن ولا

(١) تفسير القرطبي (١/ ٣٨١-٣٨٢).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٣٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٦٩٩).

موحد، فإنه ليس من آل محمد ﷺ وإن كان قريبًا له، ولأجل هذا يقال: إن أبا لهب وأبا جهل ليسا من آله ولا من أهله، وإن كان بينهما وبين النبي ﷺ قرابة، ولأجل هذا قال الله تعالى في ابن نوح: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ [هود: ٤٦]، وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارًا غير سر يقول: «**ألا إن آل أبي** -يعني فلانًا- **ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين**»[(١)][(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «**يا معشر قريش** - أو كلمة نحوها - **اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنكَ من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنكِ من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئتِ من مالي، لا أغني عنكِ من الله شيئًا**»[(٣)].

وهم متفاوتون في الفضل والقرابة بحسب قربهم وسابقتهم، وهذه المكانة هي المكانة الشرعية السالمة من الغلو كغلو الروافض، والسالمة من التقصير كجفاء النواصب.

ومما يدل على مكانة أهل البيت ما يلي:

١- **ما ورد في القرآن من فضلهم**، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قال قتادة: «فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء، وخصهم برحمة منه»[(٤)]، وقوله سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣]، قال ابن عباس: «يعني: أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي، وإليه ذهب مجاهد، وقتادة،

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢١٥). (٢) تفسير القرطبي (١/ ٣٨٢).
(٣) أخرجه البخاري (ح٢٧٥٣)، ومسلم (ح٢٠٦).
(٤) تفسير الطبري (١٩/ ١٠١).

وعكرمة، ومقاتل، والسدي، والضحاك، رضي الله عنهم»[(١)].

٢- **وصية النبي ﷺ بهم**، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى خمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، ثم قال: «**أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثِقْلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**» فحث على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**»[(٢)].

قال الإمام أبو العباس القرطبي: «هذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام آل النبي ﷺ وأهل بيته، وإبرارهم، وتوقيرهم، ومحبتهم وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها، هذا مع ما عُلم من خصوصيتهم بالنبي ﷺ وبأنهم جزء منه؛ فإنهم أصوله التي نشأ منها، وفروعه التي تنشأ عنه»[(٣)].

٣- **ما كان من سلف الأمة وأئمتها من رعاية حقوقهم**، يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي»[(٤)].

ويقول أيضًا: «ارقبوا محمدًا في أهل بيته»[(٥)]، قال الحافظ ابن حجر: «يخاطب بذلك الناس ويوصيهم به، والمراقبة للشيء المحافظة عليه، يقول: احفظوه فيهم؛ فلا تؤذوهم، ولا تسيئوا إليهم»[(٦)].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أهل السنة: «يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ»[(٧)].

---

(١) تفسير البغوي (٧/ ١٩١).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٤٠٨).
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٦/ ٣٠٤).
(٤) أخرجه البخاري (ح٣٧١٢).
(٥) أخرجه البخاري (ح٣٧١٣).
(٦) فتح الباري (٧/ ٧٩).
(٧) العقيدة الواسطية (ص١١٨).

قال ابن كثير: «ولا تُنكَرُ الوصاةُ بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته، رضي الله عنهم أجمعين»(١).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «لآله ﷺ على الأمة حق لا يشركهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحق سائر قريش، وقريش يستحقون ما لا يستحق غيرهم من القبائل، كما أن جنس العرب يستحقون من ذلك ما لا يستحقه سائر أجناس بني آدم. على هذا دلت النصوص»(٢).

۞ ثالثًا: حقوق آل البيت:

«آل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها»(٣) بلا غلو ولا تقصير(٤)، **ومن ذلك ما يلي:**

الأول: حق المحبة والموالاة:

قال الإمام الآجري: «واجب على كل مؤمن ومؤمنة محبة أهل بيت

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٠١).

(٢) مسائل لخصها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كلام ابن تيمية (١٢/ ٥١)، ضمن (مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٧).

(٤) وهذه الحقوق ثابتة لجميع من يشمله اسم آل البيت من علي وفاطمة والحسن والحسين وذريتهم رضي الله عنهم، وكذلك من تحرم عليهم الصدقة، وكذلك زوجاته وبناته - رضي الله عنهن جميعًا - وذلك لأن أعداء آل البيت ممن يزعمون التشيع خصوا بعض زوجات النبي ﷺ بالتكفير واللعن كعائشة وحفصة رضي الله عنهما، وفرقوا بين بنات رسول الله ﷺ فنفوا أن تكون زينب وأم كلثوم من بناته ﷺ، ولهذا وجب التأكيد على دخولهن واستحقاقهن لهذه الحقوق.

رسول الله ﷺ»[(١)].

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، أي: إلا ألا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة[(٢)].

وثبت أن العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله ﷺ مغضبًا، فقال: «**ما أغضبك؟**» قال: يا رسول الله، ما لنا ولقريش، إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرَّ وجهه، ثم قال: «**والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله**»، ثم قال: «**يا أيها الناس، من آذى عمي فقد آذاني، فإنما عم الرجل صِنْوُ أبيه**»[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهلَ البيت رجلٌ إلا أدخله الله النار**»[(٤)].

الثاني: الدفاع والذب عنهم:

وهذا يتضمن الإنكار على من عاداهم وجفاهم كالنواصب والخوارج، والإنكار على من غلا في بعضهم وطعن في بعضهم كالروافض، وتحقيق محبتهم على الوجه المشروع الذي عليه سلف الأمة وأئمتها، والذين هم وسط بين الغلاة والجفاة.

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ: «**أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق**»[(٥)].

---

(١) الشريعة (٥/ ٢٢٧٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٤١، ٢٠٠-٢٠١).

(٣) أخرجه الترمذي (ح٣٧٥٨)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد في المسند (ح١٧٧٧)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (ح٦٩٧٨)، والحاكم في المستدرك وصححه (ح٤٧١٧)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٢٤٨٨).

(٥) أخرجه مسلم (ح١٣١).

ولذلك تصدى أهل السنة للرد على الروافض الغلاة، وعلى النواصب الجفاة.

الثالث: الصلاة عليهم:

قال الإمام ابن القيم: «آل النبي ﷺ يصلَّى عليهم بغير خلاف بين الأمة»[(١)].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: لقيني كعب بن عجرة رضي الله عنه، فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا، فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: «**فقولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد**[(٢)]**، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»[(٣)].

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ، حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم**»[(٤)].

قال ابن عبد البر: «وهذا الحديث يدخل في التفسير المسند، ويبين معنى

---

(١) جلاء الأفهام (ص٤٦٤).

(٢) معنى صلاة الله على عباده: رحمته، وقيل: مغفرته، واختار ابن القيم أن «حقيقتها: الثناء وإرادة الإكرام والتقريب وإعلاء المنزلة». انظر: جلاء الأفهام، لابن القيم (ص١٥٨، ١٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٣٥٧)، ومسلم (ح٤٠٦).

(٤) أخرجه مسلم (ح٤٠٥).

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فبيَّن لهم رسول الله ﷺ كيف الصلاة عليه»[١].

وأما الصلاة على شخص معين، فقد قال الإمام النووي: «هذا مما اختلف العلماء فيه، فقال مالك والشافعي -رحمهما الله تعالى- والأكثرون: لا يصلَّى على غير الأنبياء استقلالًا، فلا يقال: اللهم صلِّ على أبي بكر أو عمر أو علي أو غيرهم، ولكن يصلَّى عليهم تبعًا، فيقال: اللهم صل على محمد وآل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته، كما جاءت به الأحاديث، وقال أحمد وجماعة: يصلَّى على كل واحد من المؤمنين مستقلًّا»[٢].

وقال ابن كثير: «وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب، أن يفرد علي رضي الله عنه، بأن يقال: (عليه السلام)[٣]، من دون سائر الصحابة، أو: (كرم الله وجهه)[٤]، وهذا وإن كان معناه صحيحًا، لكن ينبغي أن يساوى بين الصحابة في ذلك؛ فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان بن عفان أولى بذلك منه، رضي الله عنهم أجمعين»[٥].

الرابع: حقهم من الخُمس:

ومن حقوق آل البيت عند أهل السنة حقهم من الخُمس (خُمس الغنيمة والفيء)؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٦/ ١٨٥).

(٢) شرح صحيح مسلم (٤/ ١٢٧).

(٣) إفراد الرافضة عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالسلام دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم؛ لاعتقادهم أنه الإمام، ومنزلته كمنزلة النبي ﷺ أو أفضل.

(٤) وتخصيصهم لعلي رضي الله عنه بقولهم: (كرم الله وجهه) فيه تعريض بالصحابة رضي الله عنهم، لدعواهم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسجدون للأصنام قبل الإسلام، وعليًّا رضي الله عنه لم يسجد لصنم قط، ولو صح هذا القياس الكاذب لكان أولاد الصحابة أفضل من الصحابة، وهو باطل قطعًا.

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٧٩).

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، ولقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧]، على تفصيل بين الفقهاء في ذلك.

وعن جبير بن مطعم، قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي ﷺ فقلنا: أعطيت بني المطلب من خمس خيبر، وتركتنا، ونحن بمنزلة واحدة منك، فقال: «**إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد**»، قال جبير: «ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس، وبني نوفل شيئًا»(١).

قال الإمام الخطابي: «وفي الحديث دليل على ثبوت سهم ذوي القربى؛ لأن عثمان وجبيرًا إنما طلباه بالقرابة، وقد عمل به الخلفاء بعد عمر وعثمان»(٢). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «آل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها؛ فإن الله جعل لهم حقًّا في الخمس والفيء، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ»(٣).



(١) أخرجه البخاري (ح٤٢٢٩). (٢) معالم السنن (٣/ ٢١).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٧). وقد تآمر الروافض عليهم، فجعلوا الخمس حقًّا لشيوخهم، وفرضوه على أتباعهم، وحكموا على من منعه عن شيوخهم بالكفر والخلود في النار، حيث قالوا: «ومن منع منه درهمًا أو أقلَّ كان مندرجًا في الظالمين لهم (أي لأهل البيت بزعمهم) والغاصبين لحقهم، بل من كان مستحلًّا لذلك كان من الكافرين، ففي الخبر عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال (ع): من أكل من مال اليتيم درهمًا ونحن اليتيم» (العروة الوثقى لليزدي، وبهامشها تعليقات مراجعهم في هذا العصر ٢/ ٣٦٦).

قال د/ علي السالوس في السخرية بهذا المبدأ: «إن مسلمي اليوم إن أرادوا ألا يحكم عليهم الجعفرية بالكفر، فعليهم أن يجعلوا خمس مكاسبهم ورؤوس أموالهم ويبعثوا به إلى علماء الجعفرية» (أثر الإمامة في الفقه الجعفري ص: ٣٩٤ الهامش).



المبحث الثاني

حكم الطعن في زوجات النبي ﷺ أو إحداهن

من عقيدة أهل السنة الترضي عن زوجات رسول الله ﷺ، واعتقاد أنهن أمهات المؤمنين، قال الإمام الطحاوي: «ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ، وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس: فقد برئ من النفاق»(١).

وقال الإمام ابن قدامة: «ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق، التي برأها الله في كتابه، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان اعتقاد أهل السنة: «ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة»(٣).

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٧٣٧).

(٢) لمعة الاعتقاد (ص٤٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٤).

۞ حكم سب عائشة رضي الله عنها :

أجمع العلماء -رحمهم الله- قاطبة على أن من سب عائشة رضي الله عنها ورماها بما برأها الله منه فهو كافر؛ لأنه مكذب للقرآن(١)، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم، كشيخ الإسلام ابن تيمية(٢)، والإمام ابن القيم(٣)، والحافظ ابن كثير(٤)، قال القاضي أبو يعلى: «من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف»(٥).

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٢٣﴾ [النور: ٢٣]، قال الحافظ ابن كثير: «هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات -خرج مخرج الغالب- المؤمنات، فأمهات المؤمنين أَوْلَى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول، وهي عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، وقد أجمع العلماء -رحمهم الله- قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن»(٦).

وقال الإمام السيوطي: «أخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، والطبراني، وابن مردويه، عن ابن عباس أنه قرأ «سورة النور» ففسرها، فلما أتى على هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ قال: هذه في عائشة وأزواج النبي ﷺ ولم يجعل لمن فعل ذلك توبة، وجعل لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي ﷺ التوبة، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (٧/ ١٣٤٥)، لمعة الاعتقاد، لابن قدامة (ص٤٠)، تفسير القرطبي (١٢/ ٢٠٦)، تفسير ابن كثير (٦/ ٣١-٣٢).
(٢) انظر: الصارم المسلول، لابن تيمية (ص٥٦٥-٥٦٦).
(٣) انظر: زاد المعاد، لابن القيم (١/ ١٠٣). (٤) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣١-٣٢).
(٥) الصارم المسلول (ص٥٦٥-٥٦٦).
(٦) تفسير ابن كثير (٦/ ٣١-٣٢).

شُهَدَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [النور: ٤، ٥]، ولم يجعل لمن قذف امرأة من أزواج النبي ﷺ توبة، ثم تلا هذه الآية: ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]، فهمَّ بعض القوم أن يقوم إلى ابن عباس فيقبل رأسه لحسن ما فسَّر»[(١)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقد بيّن ابن عباس أن هذه الآية إنما نزلت فيمن يقذف عائشة وأمهات المؤمنين؛ لما في قذفهنَّ من الطعن على رسول الله ﷺ وعيبه؛ فإن قذف المرأة أذى لزوجها كما هو أذى لابنها؛ لأنه نسبة له إلى الدياثة، وإظهار لفساد فراشه، فإن زنا امرأته يؤذيه أذى عظيمًا؛ ولهذا جوَّز له الشارع أن يقذفها إذا زنت، ودرأ الحد عنه باللعان، ولم يبح لغيره أن يقذف امرأة بحال»[(٢)].

وقال الإمام مالك بن أنس: «من سب عائشة قتل، قيل له: لم يقتل في عائشة؟ قال: لأن الله تعالى يقول في عائشة رضي الله عنها: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور: ١٧]، فمن رماها فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل»، قال الإمام ابن حزم معلقًا: «قول مالك هاهنا صحيح، وهي ردة تامة، وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها، وكذلك القول في سائر أمهات المؤمنين، ولا فرق؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ [النور: ٢٦]، فكلهن مبرآت من قول إفك»[(٣)].

وقال الإمام أبو بكر بن العربي: «إن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله، فكل من سبها بما برأها الله منه فهو مكذِّب لله، ومن كذب الله فهو كافر، فهذا طريق قول مالك، وهي سبيل لائحة لأهل البصائر، ولو أن رجلًا سب عائشة بغير ما برأها الله منه لكان جزاؤه الأدب»[(٤)].

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ١٦٥).
(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٤٥).
(٣) المحلى بالآثار (١٢/ ٤٤٠). (٤) أحكام القرآن (٣/ ٣٦٦).

۞ حكم من سب غير عائشة رضي الله عنها:

وأما من سب غير عائشة ففيه قولان لأهل العلم، فقد نقل القاضي عياض عن محمد بن القاسم بن شعبان -أحد أئمة المالكية- أنه قال: «من سبَّ غير عائشة من أزواج النبي ﷺ ففيها قولان: أحدهما: يقتل؛ لأنه سب النبي ﷺ بسبِّ حليلته، والآخر: أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري، قال: وبالأول أقول»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**وأما من سب غير عائشة من أزواجه ففيه قولان:**

أحدهما: أنه كسابِّ غيرهنَّ من الصحابة...

والثاني - وهو الأصح: أن من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة رضي الله عنها وقد تقدم معنى ذلك عن ابن عباس؛ وذلك لأن هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده»[(٢)].



(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٣١١).

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥٦٧).



المبحث الثالث

موقف الرافضة والناصبة من آل البيت والرد عليهم

۞ أولًا: موقف الرافضة من آل البيت:

موقفهم يقوم على أمرين:

الأول: الغلو في بعضهم[(١)] وتقديسهم، ففي مصادرهم مئات من رواياتهم، والكثير من أقوال شيوخهم التي ترفع من يدَّعون إمامتهم من آل البيت إلى رتبة الأنبياء والمرسلين، بل وتفضلهم عليهم، فمن عناوين أبواب مصادرهم المعتمدة: «باب أنهم أعلم من الأنبياء...»[(٢)]، «باب تفضيلهم على الأنبياء وعلى جميع الخلق... وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم»[(٣)]، وباب «أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم»[(٤)]؛ ولذلك قال بعض آياتهم في هذا العصر: «إن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل»[(٥)].

---

(١) **وهم:** علي، والحسن، والحسين ﭫ، وبعض آل البيت من ذرية الحسين، وهم ثمانية تاسعهم مهديهم المزعوم الذي لا وجود له إلا في خيالاتهم، وهم ينتظرونه منذ سنة ٢٦٠هـ.

(٢) بحار الأنوار (٢٦/ ٢٩٧-٢٩٨).

(٣) المصدر السابق (٢٦/ ٢٦٧-٣١٩).

(٤) المصدر السابق (٢٦/ ١٩٤-٢٠٠).

(٥) الحكومة الإسلامية، للخميني (ص٥٢).

ولم يكتفوا بذلك بل بلغوا بهم مقام الألوهية، فوصفوهم بصفات الله جل وعلا، فعقد شيخهم الكليني في (الكافي) بابًا بعنوان: «باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنهم لا يخفى عليهم شيء -صلوات الله عليهم»[(١)]، وباب «أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا»[(٢)]، وبوب المجلسي بابًا بعنوان: «أنهم يعلمون ما في الضمائر وعلم المنايا والبلايا»[(٣)]، وبعض هذه الأبواب تحوي العشرات من أحاديثهم؛ ولذا جاهر بعض مراجعهم المعاصرين[(٤)] بهذه العقيدة وهي تأليه الأئمة (عقيدة السبئية الأولى)، فقال -يمدح أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه:

أبا حسن أنت عين الإله ... وعنوان قدرته الساميه
وأنت المحيط بعلم الغيوب ... فهل يعزب عنك من خافيه؟
وأنت مدير رحى الكائنات ... وعلة إيجادها الباقيه
لك الأمر إن شئت تنجي غدًا ... وإن شئت تسفع بالناصيه[(٥)]

الثاني: الطعن في طائفة أخرى من آل البيت، حيث حكموا بردة كثير منهم، وذلك في رواياتهم التي تحكم بالردة على جميع الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولم يستثنوا منهم سوى ثلاثة، وإن زادوا على ذلك لم يتجاوزوا السبعة، ولا تذكر رواياتهم من ضمن هؤلاء السبعة أحدًا من أهل بيت رسول الله ﷺ باستثناء رواية لهم، جاء فيها استثناء علي رضي الله عنه فقط، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر قال: «صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: عليًّا، والمقداد، وسلمان، وأبا ذر، فقلت: فعمار، فقال: إن كنت تريد الذين لم

(١) أصول الكافي (١/ ٢٦٠).
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٥٨).
(٣) بحار الأنوار (٢٦/ ١٣٧).
(٤) هو شيخهم وآيتهم عبد الحسين العاملي.
(٥) «ديوان الحسين» الجزء الأول من القسم الثاني الخاص بالأدب العربي: (ص٤٨).

يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة[١]»[٢].

فالحكم بالردة في هذه الرواية وأمثالها شامل للناس جميعًا بعد وفاة رسول الله ﷺ من الصحابة وأهل البيت النبوي من زوجات رسول الله ﷺ وقرابته، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله ﷺ!! إن الروافض حكموا بالردة في هذه الرواية وغيرها على جميع أهل البيت، وفي مقدمتهم الحسن والحسين وآل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس.

بل إنهم جاهروا بتكفير جملة من أهل بيت رسول الله ﷺ بأعيانهم، كعم النبي ﷺ العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حتى قالوا بأنه نزل فيه قوله سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢][٣]، وكابنه عبد الله ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، فقد جاء في الكافي ما يتضمن تكفيره، وأنه جاهل سخيف العقل[٤]، وفي رجال الكشي: «اللهم العن ابني فلان وأعم أبصارهما كما عميت قلوبهما.. واجعل عمى أبصارهما دليلًا على عمى قلوبهما»[٥]، وعلق على هذا شيخهم المصطفوي، فقال: «هما عبد الله بن عباس، وعبيد الله بن عباس»[٦].

ولم تسلم بنات النبي ﷺ من طعن الرافضة، حتى نفى بعضهم أن تكون رقية وأم كلثوم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا من بنات النبي ﷺ[٧]؛ لا لشيء إلا لأنهما كانتا زوجتي عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فهل يحب رسول الله ﷺ من يقول فيه وفي بناته هذا القول؟!

(١) كذا!! مع أن المذكورين أربعة.
(٢) تفسير العياشي (١/ ١٩٩)، البرهان (١/ ٣١٩)، تفسير الصافي (١/ ٣٨٩).
(٣) رجال الكشي (ص٥٣).
(٤) أصول الكافي (١/ ٢٤٧).
(٥) رجال الكشي (ص٥٣).
(٦) نفس الموضع من المصدر السابق (الهامش).
(٧) انظر: كشف الغطاء (ص٥)، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية (١/ ٢٧).

وقد نص أهم مصادرهم المعتمدة وهو المسمى بـ(الكافي) على أن كل من لم يؤمن بالاثني عشر فهو كافر، وإن كان علويا فاطميًّا[١]، وهذا يشمل في الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيهم الآل والأصحاب، لأنهم لم يعرفوا فكرة «الإثني عشر» التي لم توجد إلا بعد سنة (٢٦٠هـ).

كما باؤوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ، إذ لم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم، ولكنهم يخصون منهن عائشة[٢] وحفصة[٣] -رضي الله عنهن جميعًا- بالذم واللعن والتكفير، وقد جاء في كتابهم (بحار الأنوار) -المعتمد لديهم والذي يعدونه المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب[٤]- باب بعنوان (باب أحوال عائشة وحفصة) ذكر فيه ١٧ رواية[٥]، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى[٦]، وقد آذوا فيها رسول الله ﷺ في أهل بيته أبلغ الإيذاء.

حتى اتهموا في أخبارهم من برأها الله من فوق سبع سماوات -عائشة الصديقة بنت الصديق- بالفاحشة، وهو يتضمن تكذيب القرآن العظيم، كما تقدم.

هذا وظاهرة التكفير عندهم لا تخص جيل الصحابة؛ وإن كان الصحابة ينالهم النصيب الأوفى من السب والتكفير باعتبار أنهم حملة الشريعة، ونقلة الكتاب والسنة، والمبلغون عن رسول الله ﷺ دين الله؛ ولذلك صار «الطعن

(١) انظر: الكافي، باب من ادّعى الإمامة وليس لها بأهل (١/ ٣٧٢-٣٧٤).
(٢) انظر: أصول الكافي (١/ ٣٠٠)، رجال الكشي (ص٥٧-٦٠)، بحار الأنوار (٥٣/ ٩٠).
(٣) انظر: بحار الأنوار (٢٢/ ٢٤٦).
(٤) مقدمة البحار، البهبودي (ص١٩).
(٥) بحار الأنوار (٢٢/ ٢٢٧-٢٤٧).
(٦) حيث قال: «قد مر بعض أحوال عائشة في باب تزويج خديجة، وفي باب أحوال أولاده صلى الله عليه وآله في قصص مارية، وأنها قذفتها فنزلت فيها آيات الإفك [انظر كيف يقلبون الحقائق؟!!] وسيأتي أكثر أحوالها في قصة الجمل» (بحار الأنوار ٢٢/ ٢٤٥).

فيهم طعنًا في الدين»[(١)]، وكان هذا هو هدف الزنادقة من وراء الحملة الضارية عليهم، ولكن سلسلة التكفير عند الشيعة الرافضة مستمرة.

فكما قالت كتبهم: إن الناس ارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ إلا ثلاثة، قالت أيضًا: «ارتد الناس بعد قتل الحسين إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي، ويحيى ابن أم الطويل، وجبير بن مطعم»[(٢)]، فأنت ترى أن هذا النص لا يستثني أحدًا من أهل البيت.

كما أنهم عادَوا سيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي رضي الله عنهما لقيامه بمصالحة معاوية رضي الله عنه حتى خاطبه بعض الرافضة بقوله: «يا مذل المؤمنين»[(٣)]، ووثب عليه أهل عسكره فانتهبوا فسطاطه وأخذوا متاعه، وطعنه ابن بشير الأسدي في خاصرته فردوه جريحًا إلى المدائن[(٤)]. أليس هؤلاء في الحقيقة نواصب وليسوا شيعة لعلي رضي الله عنه وآل بيته.

۞ ثانيًا: موقف الناصبة[(٥)] من آل البيت:

موقف النواصب من آل البيت هو معاداتهم وتكفيرهم، ولا سيما الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ وصهره وحبيبه، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، فقد قال أبو الحسن الأشعري: «أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب -رضوان الله عليه»[(٦)].

وقال الإمام الملطي: «قال هؤلاء [يعني: الخوارج]: عليٌّ رضي الله عنه كَفَر بجعل

---

(١) منهاج السنة (١/ ٥).

(٢) رجال الكشي (ص١٢٣)، أصول الكافي (٢/ ٣٧٠).

(٣) رجال الكشي (ص١١). (٤) انظر: المصدر السابق (ص١١٣).

(٥) **النصب هو**: «الانحراف عن علي رضي الله عنه وآل بيته» (فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٤٢٠)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «النواصب: الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل» (مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٤)، وسُمُّوا نواصب؛ لأنهم يناصبون العداء لآل بيت رسول الله ﷺ.

(٦) مقالات الإسلاميين (ص٨٦).

الحكم إلى أبي موسى الأشعري، ولا حكم إلا لله»[(١)].

وقال نشوان الحميري: «وسميت الخوارج خوارج؛ لخروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام ورضي الله عنه- ومحاربتهم إياه»[(٢)].

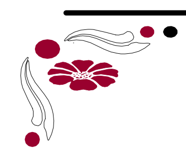
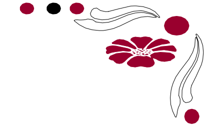
وقال المقريزي: «الخوارج: ويقال لهم: النواصب... وهم الغلاة في حب أبي بكر وعمر وبغض علي بن أبي طالب - رضوان الله عليهم أجمعين»[(٣)].

ويرد عليهم بما سبق ذكره من نصوص الكتاب والسنة في بيان فضلهم ومنزلتهم ومكانتهم، ووجوب محبتهم وموالاتهم ومراعاة حقوقهم دون إفراط أو تفريط، وقد اختفى مذهب النواصب اليوم لاختفاء أسبابه السياسية.

أما عقيدة الرافضة في غلوهم في أئمتهم وطعنهم في غيرهم من آل البيت فإنه مذهب معلوم البطلان، يكفي مجرد عرضه والنظر فيه لمعرفة فساده؛ فإن الغلو في بعض آل البيت تأليه لهم، وشرك صريح بالله جل وعلا، والطعن فيهم تكذيب لما ورد في الكتاب والسنة من فضلهم ومنزلتهم.



(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص٤٧).
(٢) الحور العين (ص٢٠٠).
(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ١٨٥).

ملخص الفصل الثامن

❋ يطلق لفظ (الآل) -**لغة**- على أقارب الرجل وعشيرته، وعلى الأتباع. واختلفوا في تحديد المراد بآل البيت أو آل النبي -**شرعًا**- على أقوال؛ **الأول:** أنهم قرابة النبي ﷺ الذين تحرم عليهم الصدقة. **والثاني:** أنهم زوجاته ﷺ. **والثالث:** أنهم أتباعه على دينه إلى يوم القيامة. والصحيح أنه يطلق بإطلاقين؛ إطلاق خاص، وهم زوجاته والمؤمنون من قرابته، وإطلاق عام، وهم أتباعه على دينه.

❋ **تتضح مكانة وفضل أهل البيت من جهتين: الأولى:** من جهة إيمانهم، **والثانية:** من جهة قرابتهم من رسول الله ﷺ، ولا تنفع (القرابة) بدون (الإيمان).

❋ آل البيت متفاوتون في الفضل والقرابة بحسب قربهم وسابقتهم، وقد ورد في فضل أهل البيت الكثير من الأدلة؛ كآية التطهير، وآية المودة، وكثير من الأحاديث؛ كحديث الثقلين، وغيرها.

❋ **حقوق آل البيت أربعة:** (١) حق المحبة والموالاة. (٢) حق الدفاع والذب عنهم. (٣) الصلاة عليهم. (٤) حقهم من خمس الغنيمة والفيء.

❋ يعتقد أهل السنة بفضل زوجات النبي ﷺ وأنهن أمهات المؤمنين المبرآت من كل سوء؛ أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق، التي برأها الله في كتابه، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم، وكذلك الحكم فيمن قذف غيرها من زوجات النبي ﷺ على الصحيح من أقوال العلماء.

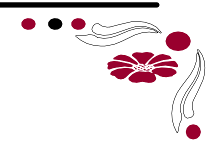
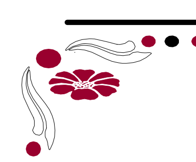
❋ **يقوم موقف الرافضة من آل البيت على أمرين: الأول:** الغلو في بعضهم

وتقديسهم، **الثاني:** النصب والعداء لطائفة أخرى منهم.

❁ ومن معتقدات الرافضة أن كل من لم يؤمن بالأئمة الاثني عشر فهو كافر، ولا يستثنون فاطميًّا ولا غير فاطمي.

❁ وعلى النقيض غلو الرافضة في بعض آل البيت فقد فرطت النواصب في حق الآل وناصبتهم العداء، ومن أبرز هؤلاء النواصب الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وقاتلوه وكفروه.



أسئلة تطبيقية

س١: من هم آل البيت؟ وما مكانتهم؟ مع الاستدلال.

س٢: ما هي الحقوق الشرعية على الأمة تجاه أهل البيت؟

س٣: ما حكم الطعن في زوجات النبي ﷺ جميعًا، أو إحداهن؟

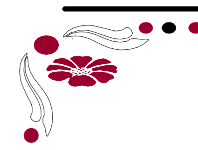
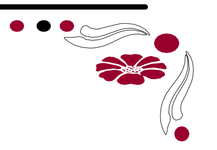
س٤: وضِّح وسطية أهل السنة في موقفهم من آل البيت من خلال استعراض مواقف المخالفين في ذلك.





الفصل التاسع

المسائل العقدية المتعلقة بالصحابة

الفصل التاسع

❁ **ويشتمل على ما يلي:**

١- المراد بالصحابة، وفضلهم ومكانتهم، والمفاضلة بينهم، وما يجب لهم من حقوق، مع الأدلة من الكتاب والسنة.

٢- عدالة الصحابة.

٣- الخلفاء الراشدون؛ فضلهم، وطرق انعقاد خلافتهم، وأدلتها، والرد على منكري ذلك.

٤- المراد بالسابقين الأولين من الصحابة.

٥- العشرة المبشرون بالجنة ومناقبهم.

٦- حكم من سب الصحابة رضي الله عنهم أو أبغضهم.

٧- موقف أهل السنة مما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم.

٨- نقد مذاهب المنحرفين في الصحابة من الرافضة والخوارج.





المبحث الأول

المراد بالصحابة، وفضلهم ومكانتهم، والمفاضلة بينهم، وما يجب لهم من حقوق

مع الأدلة من الكتاب والسنة

۞ أولًا: المراد بالصحابة:

الصحابة لغة: جمع صاحب وصحابي، وهو مشتق من الصحبة، وتطلق على كل من صحب غيره.

قال الجوهري: «أصحبتُه الشيءَ: جعلته له صاحبًا... وكل شيء لاءَمَ شيئًا فقد استصحبه، واصطحب القوم: صحب بعضهم بعضًا»[(١)].

وقال ابن منظور: «صحبه يصحبه صحبة، بالضم، وصحابة، بالفتح، وصاحبه: عاشره، والصَّحْب: جمع الصاحب، مثل راكب وركْب، والأصحاب: جماعة الصحب مثل فرخ وأفراخ، والصاحب: المعاشر»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأصحاب: جمع صاحب، والصاحب: اسم فاعل من صحبه يصحبه، وذلك يقع على قليل الصحبة وكثيرها؛ لأنه يقال: صحبته ساعة وصحبته شهرًا وصحبته سنة»[(٣)].

(١) الصحاح (١/ ١٦١-١٦٢). (٢) لسان العرب (١/ ٥١٩).

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥٧٥-٥٧٦)، وانظر: الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي (ص٥١).

واختلف أهل العلم في المراد بالصحابي في الاصطلاح، والتحقيق ما ذكره الحافظ ابن حجر، بقوله: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابيَّ: من لقي النبيَّ ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد (الإيمان) من لقيه كافرًا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى.

وقولنا: (به) يُخرج من لقيه مؤمنًا بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة. وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث أو لا يدخل؟ محل احتمال. ومن هؤلاء بحيرا الراهب ونظراؤه.

ويدخل في قولنا: (مؤمنًا به) كلُّ مكلف من الجن والإنس...

وخرج بقولنا: (ومات على الإسلام) من لقيه مؤمنًا به ثم ارتد، ومات على ردته - والعياذ بالله - وقد وجد من ذلك عدد يسير... كعبد الله بن خَطَل الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة، وكربيعة بن أمية بن خلف... ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمد، والشق الأول[1] لا خلاف في دخوله، وأبدى بعضهم في الشق الثاني[2] احتمالًا، وهو مردود لإطباق أهل الحديث على عدِّ الأشعث بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحابة، وعلى تخريج أحاديثه في الصحاح والمسانيد، وهو ممن ارتدَّ ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا التعريف مبنيٌّ على الأصح المختار عند المحققين، كالبخاري، وشيخه أحمد بن حنبل، ومن تبعهما، ووراء ذلك أقوال أخرى شاذة، كقول من قال: لا يعد صحابيًّا إلا من وصف بأحد أوصاف أربعة: من طالت مجالسته، أو حفظت روايته، أو ضبط أنه غزا معه، أو استشهد بين يديه، وكذا من اشترط

---

(١) **وهو** من لقيه ﷺ مسلمًا، ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام، ثم لقيه ﷺ مرة أخرى.

(٢) **وهو** من لقيه ﷺ مسلمًا، ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام، ولم يلتق بالنبي ﷺ.

في صحة الصحبة بلوغ الحُلُم، أو المجالسة ولو قصرت»[١].

ومجمل القول أن الصحبة لا تتحقق إلا بشروط ثلاثة:

١- اللقاء بالنبي ﷺ، فيدخل فيه من لقيَه ولم يره كابن أم مكتوم، ويخرج من عاصره ولم يلتق به، وإن كان مسلمًا، كالنجاشي.

٢- الإيمان، فيخرج الكفار والمنافقون الذين رأوه والتقوا به.

٣- الموت على الإسلام، فيخرج من رآه مسلمًا، ثم ارتد ومات على الكفر.

بم تثبت الصحبة؟

قال الحافظ ابن حجر: «**يعرف كونه صحابيًّا:**

١- بالتواتر.

٢- أو الاستفاضة أو الشهرة.

٣- أو بإخبار بعض الصحابة.

٤- أو بعض ثقات التابعين.

٥- أو بإخباره عن نفسه بأنه صحابي، إذا كانت دعواه ذلك تدخل تحت الإمكان»[٢].

ثانيًا: فضل الصحابة ومكانتهم:

١- فضل الصحابة في القرآن:

لقد أثنى الله ﷻ على الصحابة، وأخبر جل وعلا بأنه رضي عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات النعيم.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٥٨-١٥٩)، وانظر تعريف الإمام البخاري في: صحيح البخاري (٥/ ٢)، وتعريف الإمام أحمد في: مقدمة ابن الصلاح (ص٢٩٣)، وتعريف ابن حزم في: الإحكام في أصول الأحكام (٥/ ٨٩)، وتعريف ابن كثير في: اختصار علوم الحديث (ص١٧٩).

(٢) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (ص١٤٢-١٤٣).

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]. قال الحافظ ابن كثير: «يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم، والنعيم المقيم»[(١)]، والمراد بـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: «المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة، وليس المراد بهم: التابعين اصطلاحًا، وهم كل من أدرك الصحابة ولم يدرك النبي ﷺ، بل هم من جملة من يدخل تحت الآية، فتكون (مِن) في قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ على هذا للتبعيض، وقيل: إنها للبيان، فيتناول المدح جميع الصحابة، ويكون المراد بالتابعين: من بعدهم من الأمة إلى يوم القيامة»[(٢)].

وقال جل وعلا: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨]،

وقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]. قال الحافظ ابن كثير: «من هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله -في رواية عنه- تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظَ الصحابة فهو كافر؛ لهذه الآية»[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٣). (٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٥٣).

(٣) لابد من التفريق بين من غاظه حالُ الصحابة رضي الله عنهم لإيمانهم وجهادهم، فهذا كافر بلا شك، وبين من وقع في قلبه غيظ على أحدهم لأمر دنيوي، فلا يكفر، فقد وقعت حروب وفتن بين الصحابة رضي الله عنهم كانوا فيها مجتهدين، وربما وقع في قلب واحد منهم بغض وغيظ لبعضهم، قال أبو العباس القرطبي: «من أبغض بعض من ذكرنا من الصحابة رضي الله عنهم من غير تلك الجهات التي =

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، وقد أخبر تعالى بأن من وعده الله بالحسنى لا يدخل النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١][١]. قال الإمام ابن حزم: «كل من صحب رسول الله ﷺ بنية صادقة ولو ساعة، فإنه من أهل الجنة لا يدخل النار... لأنه قد وعدهم الله تعالى الحسنى كلهم، وأخبر أنه لا يُخلف وعده، وأن من سبقت له الحسنى فهو مبعدٌ من النار لا يسمع حسيسها، ولا

= ذكرناها، بل لأمر طارئ، وحدَث واقع؛ من مخالفة غرض، أو ضرر حصل، أو نحو ذلك، لم يكن كافرًا ولا منافقًا بسبب ذلك؛ لأنهم رضي الله عنهم قد وقعت بينهم مخالفات كثيرة عظيمة، وحروب هائلة، ومع ذلك فلم يكفِّرْ بعضهم بعضًا، ولا حكم عليه بالنفاق لما جرى بينهم من ذلك، وإنما كان حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكام، فإما أن يكون كلهم مصيبًا فيما ظهر له، أو المصيب واحد، والمخطئ معذور، بل مخاطب بالعمل على ما يراه ويظنه مأجور، فمن وقع له بغض في أحد منهم لشيء من ذلك، فهو عاصٍ يجب عليه التوبة من ذلك، ومجاهدة نفسه في زوال ما وقع له من ذلك، بأن يتذكر فضائلهم وسوابقهم، وما لهم على كل مَن بعدهم مِن الحقوق الدينية والدنيوية؛ إذ لم يصل أحد ممن بعدهم لشيء من الدنيا ولا الدين إلا بهم وبسببهم؛ وإذ بهم وصلت لنا كل النِّعم، واندفعت عنا الجهالات والنِّقَم، ومن حصلت به مصالح الدنيا والآخرة، فبُغضه كفران للنعم الفاخرة، وصفقته خاسرة» (المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ١/ ٢٦٥-٢٦٦).

وبه يعلم خطأ الإمام ابن حزم في المنع من الاستدلال بهذه الآية على المعنى المذكور، حيث قال: «وقد أخطأ من حمل الآية على هذا؛ لأن الله عز وجل لم يقل قط: إن كل من غاظه واحد منهم فهو كافر، وإنما أخبر تعالى أنه يغيظ بهم الكفار فقط، ونعم، هذا حق لا ينكره مسلم، وكل مسلم فهو يغيظ الكفار، وأيضًا فإنه لا يشك أحد ذو حِسٍّ سليم في أن عليًّا رضي الله عنه قد غاظ معاوية رضي الله عنه، وأن معاوية وعمرو بن العاص غاظا عليًّا رضي الله عنهم، وأن عمارًا رضي الله عنه أغاظ أبا العادية رضي الله عنه، وكلهم أصحاب رسول الله ﷺ فقد غاظ بعضهم بعضًا، فيلزم على هذا تكفير من ذكرنا، وحاشى لله من هذا» (الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/ ١٤٠).

انظر تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٢).

(١) والحسنى هي الجنة. انظر: تفسير الطبري (٧/ ٣٧٥).

يحزنه الفزع الأكبر، وهو فيما اشتهى خالدٌ»[(١)].

وقال الله جل وعلا: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨، ١٠].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين الأولين، وفي قلوبهم غل عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة، وعلى أهل السنة الذين يتولونهم، وإخراج الرافضة من ذلك، وهذا نقيض مذهب الرافضة»[(٢)].

٢- فضل الصحابة رضي الله عنهم في السنة:

ومن السنة أحاديث كثيرة تثني على الصحابة رضي الله عنهم وتبين فضلهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأحاديث مستفيضة، بل متواترة في فضائل الصحابة والثناء عليهم، وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون، فالقدح فيهم قدح في القرآن والسنة»[(٣)].

فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم أمنة لأمته من الهلاك والعذاب، فعن أبي بردة، عن أبيه، قال: صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: «**ما زلتم هاهنا؟**» قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال «**أحسنتم أو أصبتم**» قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى

(١) الفصل (٤/ ١١٦-١١٧).
(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ١٨).
(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٠).

السماء، فقال: «**النجوم أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماءَ ما توعد، وأنا أَمَنَة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**»(١). قال الإمام النووي: «قوله ﷺ: «**وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**» معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ»(٢).

وأخبر النبي ﷺ بتحقق الفتح ونشر الإسلام على أيديهم، فعن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**يأتي على الناس زمان يغزون، فيقال لهم: فيكم من صحب الرسول ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح عليهم، ثم يغزون، فيقال لهم: هل فيكم من صحب من صحب الرسول ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم**»(٣).

وأخبر أنهم خير القرون، فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**، - قال عمران: فلا أدري: أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا - **ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السِّمَن**»(٤).

ونهى عن سبهم لعظيم فضلهم، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه**»(٥).

شهادة سلف الأمة وأئمتها:

وقد شهد بفضلهم سلف الأمة وأئمتها، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن

(١) أخرجه مسلم (ح٢٥٣١).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٨٣).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٥٩٤)، ومسلم (ح٢٥٣٢).
(٤) أخرجه البخاري (ح٣٦٥٠).
(٥) أخرجه البخاري (ح٣٦٧٣)، ومسلم (ح٢٥٤١).

الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ»(١).

وقال عبد الله بن مسعود أيضًا: «من كان مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد ﷺ، كانوا على الهدى المستقيم»(٢).

وقال الإمام الشافعي: «وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، هم أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامًّا وخاصًّا، وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل وأمر استُدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأَوْلى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا»(٣).

وقال الإمام أحمد: «فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعة أفضل بصحبته من التابعين ولو عملوا كل أعمال الخير»(٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٨٤)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٧)، الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥١٩).
(٣) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٤٢).
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٨٠).

دلالة قرائن الأحوال على فضلهم:

ويكفي في ذلك ثلاثة أمور:

الأول: «أنه لو لم يرد من الله ﷻ فيهم شيء مما ذكرناه؛ لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المُهَج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد بنزاهتهم»(١).

الثاني: ما حققه الله على أيديهم من حفظ كتابه، ونشر سنته، وتبليغ دينه وشريعته في مشارق الأرض ومغاربها.

الثالث: ما فتح الله على أيديهم من البلدان، فأخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وكسروا الأكاسرة، وهزموا القياصرة، وأقاموا حضارة كبرى في ربع قرن من الزمان، لم تعهد في تاريخ الشعوب والأمم والحضارات، مما لم يعرف في ماضي التاريخ ولا حديثه.

ما يترتب على الوقيعة فيهم من لوازم باطلة:

ويكفي في ذلك أمران:

الأول: أن الطعن فيهم طعن في رسول الله ﷺ؛ لأنهم أحبابه وأصحابه وأصهاره وأنصاره. قال الإمام مالك وغيره من أئمة العلم: «هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ... ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين»(٢).

الثاني: أن الطعن فيهم طعن في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لأنهما وصلا إلينا من طريقهم، قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا

---

(١) الكفاية (ص٤٩)، وانظر مثل هذا المعنى في: المواقف للإيجي (ص٤١٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٩).

من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»(١).

۞ ثالثًا: المفاضلة بين الصحابة:

من أدلة جواز المفاضلة بين الصحابة من القرآن:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠]، ففضل من أنفق من قبل الفتح وقاتل على من بعدهم.

٢- وقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، ففضَّل نساء النبي ﷺ على غيرهن من الصحابيات.

٣- وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، قال الإمام القرطبي: «نصَّ القرآن على تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار»(٢)، وسيأتي خلاف العلماء في تحديد المراد بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

ومن السنة:

١- ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كنا نعد ورسول الله ﷺ حيٌّ وأصحابه متوافرون: أبو بكر، وعمر، وعثمان ثم نسكت»(٣)، زاد في رواية: «فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره»(٤)، وهو إقرار من النبي ﷺ بالتفاضل بين الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) الكفاية في علم الرواية (ص٤٩). (٢) تفسير القرطبي (٨/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٨/ ٢٤٣)، وصححه محققوه.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٦٨)، وصححه الألباني (ظلال الجنة ١١٩٤).

٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كنا نخيِّر بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم»[(١)].

٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ حيٌّ: «أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان - رضي الله عنهم أجمعين»[(٢)].

وعن محمد ابن الحنفية، قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: «أبو بكر»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر»، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: «ما أنا إلا رجل من المسلمين»[(٣)].

قال الحافظ ابن عبد البر: «فضَّل رسول الله ﷺ جماعةً من أصحابه بفضائلَ خصَّ كل واحد منهم بفضيلة وسَمه بها، وذكره فيها، ولم يأت عنه عليه السلام أنه فضل منهم واحدًا على صاحبه بعينه من وجه يصح، ولكنه ذكر من فضائلهم ما يستدل به على مواضعهم ومنازلهم من الفضل والدين والعلم، وكان ﷺ أحلم وأكرم معاشرة، وأعلم بمحاسن الأخلاق من أن يواجه فاضلًا منهم بأن غيره أفضل منه، فيجد من ذلك في نفسه، بل فضل السابقين منهم وأهل الاختصاص به على من لم ينل منازلهم»[(٤)].

بيان مراتب الصحابة:

«تختلف مراتب الصحابة؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، وسبب اختلاف مراتبهم قوة الإيمان والعلم والعمل الصالح والسبق إلى الإسلام.

١- وأفضلهم جنسًا المهاجرون ثم الأنصار؛ لأن الله قدم المهاجرين عليهم

(١) أخرجه البخاري (ح٣٦٥٥).
(٢) أخرجه أبو داود (ح٤٦٢٨)، والترمذي (ح٣٧٠٧).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٦٧١).
(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١٨)، وانظر: لوامع الأنوار، للسفاريني (١/ ٥٢-٥٣).

فقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧]، ولأنهم جمعوا بين الهجرة من ديارهم وأموالهم والنصرة.

٢- وأفضل الصحابة عينًا أبو بكر ثم عمر بالإجماع، ثم عثمان ثم علي ﷺ»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أجمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر ﷺ؛ أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان، وسكتوا، أو ربَّعوا بعلي، وقدم قوم عليًّا، وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، ثم علي ﷺ، وإن كانت هذه المسألة -مسألة عثمان وعلي- ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها مسألة الخلافة»[٢].

وأما قول ابن عمر ﷺ: «كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم»[٣]، فقد قال الحافظ ابن حجر في توجيهه: «وقد اتفق العلماء على تأويل كلام ابن عمر هذا؛ لما تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم علي بعد عثمان، ومن تقديم بقية العشرة المبشرة على غيرهم، ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها، وغير ذلك؛ فالظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل، فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهورًا بينًا، فيجزمون به ولم يكونوا حينئذ اطلعوا على التنصيص»[٤].

٣- ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، وهم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٤/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٢) العقيدة الواسطية (ص١١٧-١١٨). (٣) أخرجه البخاري (ح٣٦٩٧).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٥٨).

ابن الجراح، وسعيد بن زيد.

٤- ثم أهل بدر، فعن رفاعة بن رافع الزرقي، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: ما تعدون أهلَ بدرٍ فيكم، قال: «**من أفضل المسلمين**» أو كلمة نحوها، قال: «**وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة**»[(١)].

٥- ثم أهل بيعة الرضوان[(٢)].

٦- ثم أهل أحُدٍ.

٧- ثم بقية الصحابة[(٣)].

وقدم بعض العلماء أهل أحُدٍ على أهل بيعة الرضوان[(٤)]، قال الإمام السفاريني: «التحقيق أن أهل بيعة الرضوان يلون أهل بدرٍ في الأفضلية... لأن الله تعالى قال في أهل بيعة الرضوان: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال في أهل غزوة أحد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، فوصفهم في الموضعين بالعفو، ووصف أهل البيعة بالرضا، وهو أعلى وأسنى وأفضل من العفو، وهذا ظاهر، والله تعالى أعلم»[(٥)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان اعتقاد أهل السنة في ذلك: «ويقبلون ما جاء به الكتاب أو السنة أو الإجماع، من فضائلهم ومراتبهم، فيفضلون ﴿مَّنْ

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٩٩٢).

(٢) أهل بيعة الرضوان: هم الذين بايعوا النبي ﷺ عام الحديبية على قتال قريش، وألا يفروا حتى الموت.

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (٢/ ٣٧١-٣٧٢).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٤٨)، تفسير القرطبي (٨/ ٢٣٦)، اختصار علوم الحديث، لابن كثير (ص١٨٣).

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٧٢).

﴿أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ﴾ -وهو صلح الحديبية- ﴿وَقَٰتَلَۚ﴾ على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله تعالى قال لأهل بدر - وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(١)، وبأنه لا يدخل النارَ أحدٌ بايع تحت الشجرة، كما أخبر به النبي ﷺ، بل قد رضي عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، ويشهدون بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ كالعشرة، وكثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة، ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم؛ كما دلت عليه الآثار»(٢).

۞ رابعًا: ما يجب للصحابة رضي الله عنهم من حقوق:

أجمل الإمام الطحاوي رحمه الله حقوق الصحابة رضي الله عنهم، فقال: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرِّط في حُبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»(٣).

أما حقوقهم على سبيل التفصيل، فكثيرة جدًّا، منها:

١- محبتهم بلا غلو أو تقصير، وموالاتهم جميعًا، وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل، قال ابن أبي العز: «لا نتجاوز الحد في حب أحد منهم، كما تفعل الشيعة، فنكون من المعتدين. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

ولا نتبرأ من أحد منهم كما فعلت الرافضة، فعندهم لا ولاء إلا ببراء؛ أي: لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما!! وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، لا بالهوى

(١) أخرجه البخاري (ح٣٠٠٧)، ومسلم (ح٢٤٩٤).
(٢) العقيدة الواسطية (ص١١٥-١١٧). (٣) العقيدة الطحاوية مع الشرح (٢/ ٦٨٩).

والتعصب. فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد، كما قال تعالى: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧]»[(١)].

٢- الثناء عليهم، كما أثنى الله عليهم ورسوله ﷺ، فقد أثنى الله تعالى على الصحابة، وأخبر جل وعلا أنه رضي عنهم، ووعدهم الحسنى، وأثنى عليهم رسوله ﷺ[(٢)].

٣- نشر محاسنهم، وإظهار منزلتهم ومحلهم من الإسلام يقول الخطيب البغدادي: «إن الله تعالى اختار لنبيه أعوانًا جعلهم أفضل الخلق وأقواهم إيمانًا، وشد بهم أزر الدين وأظهر بهم كلمة المؤمنين، وأوجب لهم الثواب الجزيل، وألزم أهل الملة ذكرهم بالجميل، فخالفت الرافضة أمر الله فيهم، وعمدت لمحو مآثرهم ومساعيهم وأظهرت البراءة منهم، وتدينت بالسب لهم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الصف: ٨]؛ كما رام ذلك المتقدمون من أشباههم ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، فلزم الناقلين للأخبار والمتخصصين بحمل الآثار نشر مناقب الصحابة الكرام وإظهار منزلتهم ومحلهم من الإسلام عند ظهور هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم واستعلاء الحائدين عن سلوك الطريق المستقيم ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢]»[(٣)].

٤- الدعاء لهم، والترضي عنهم، اقتداء بمن جاء بعدهم. قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٩٧).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٨٩).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١١٧).

وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨-١٠] «وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم، يستغفرون لهم، ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلا لهم، وتتضمن أن هؤلاء هم المستحقون للفيء، فمن كان في قلبه غل للذين آمنوا ولم يستغفر لهم لا يستحق في الفيء نصيبًا، بنصِّ القرآن»(١).

ومن الدعاء لهم الصلاة عليهم تبعًا للصلاة على رسول الله وآله؛ لأن الصحابة يدخلون في الآل دخولًا أوليًّا عند من يرى بأن آل الرسول هم أتباعه إلى يوم القيامة(٢)، خلافًا للرافضة الذين يقصرون الصلاة على النبي والآل، ويريدون بالآل مَنْ يدَّعون إمامته، وهم سبعة عند بعضهم واثنا عشر عند آخرين منهم ولا يتجاوزون ذلك، وبسبب هذا اللبس في المفهوم قال البهوتي: «وعطفهم على الآل [أي: عطف الصحابة على الآل في الصلاة] من عطف الخاص على العام، وفي الجمع بين الصحب والآل مخالفة للمبتدعة؛ لأنهم يوالون الآل دون الصَّحب»(٣).

٥- الحذر من الوقيعة في الصحب والآل، واعتقاد أن ما يُدَّعى من الصراع بين الآل والأصحاب هو من وضع المفترين وانتحال المبطلين، فالمحبة ثابتة بينهم، فما يدعيه المجوس الحاقدون من وجود عداء بين عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والخلفاء الراشدين، يبطله ويكذبه ما تواتر من ثناء بعضهم على بعض، ومحبة بعضهم

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٩١).

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب (٣/ ٤٦٦)، وجلاء الأفهام (ص٢١١).

(٣) انظر: الروض المربع (ص٣).

لبعض، حتى صنف في ذلك مصنفات(١).

ويكذبه أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بايعهم، وصلى خلفهم، وجاهد معهم وصاهرهم، فزوَّج بنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)، وهو يدل على ما بينهم من كمال القرب والمحبة والمودة(٣).

ومن صور علاقات القربى القائمة بينهم، ووشائج الصلة، ومظاهر المحبة بين الآل والأصحاب أن عليًّا والحسن والحسين سموا بعض أولادهم باسم أبي بكر وعمر(٤).

ولا يتصور أن عاقلًا يسمي أولاده بأسماء أشد أعدائه -بحسب اعتقاد هؤلاء الرافضة- وهل يطيق أحد أن يسمع أسماء أعدائه تتردد في أرجاء بيته، ويرددها مع أهله في يومه مرات وكرات؟!

٦- الدفاع عنهم والذب عن حرماتهم، وحفظ كرامتهم، وحراسة مقامهم؛ لأن الدفاع عنهم دفاع عن كتاب الله وسنة رسول الله ودين الإسلام؛

(١) انظر: فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض، للدلرقطني، إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي، للشوكاني، حملة رسالة الإسلام الأولون وما كانوا عليه من المحبة والتعاون وكيف شوَّه المغرضون جمال سيرتهم، لمحب الدين الخطيب، الأسماء والمصاهرات بين أهل البيت والصحابة، السيد بن أحمد بن إبراهيم.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (ح١٠٧٠)، والطبراني في الكبير (ح١١٦٢١)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٧٣): «رجاله ثقات».

(٣) قال الإمام السمعاني: «يقال لهم: لو كان أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كافرَين لكان عليٌّ بتزويجه ابنتَه أمَّ كلثوم الكبرى من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كافرًا أو فاسقًا معرِّضًا بنته للزنا؛ لأن وطء الكافر للمسلمة زنا محض». الأنساب (١/ ٣٤٤-٣٤٥).

(٤) انظر ما سجله محب الدين الخطيب من علاقات المصاهرة بين الآل والأصحاب وأولاد آل البيت الذين يحملون أسماء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من الصحابة في كتابه: حَمَلة رسالة الإسلام الأولون وما كانوا عليه من المحبة والتعاون (ص١١) وما بعدها، وانظر ما سجله إحسان إلهي ظهير مما نقله من كتب الشيعة في هذا الباب في كتابه (الشيعة وأهل البيت)، مما لا حاجة لتكرار نقله هنا.

لأنهم الناقلون المبلغون لدين الله، والدفاع عنهم كذلك هو دفاع عن رسول الله ﷺ، واحترام لمقامه ووصيته لأمته في أصحابه؛ إذ يقول: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه**»(١).

٧- اعتقاد أن إجماعهم حجة، وأنهم لا يجتمعون على ضلالة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإنهم [أي: أهل السنة] متفقون على أن إجماع الصحابة حجة، ومتنازعون في إجماع من بعدهم»(٢)، وقال الإمام الزركشي: «إجماع الصحابة حجة بلا خلاف بين القائلين بحجية الإجماع، وهم أحق الناس بذلك»(٣).

والأدلة الدالة على حجية الإجماع كثيرة جدًّا، والصحابة هم أول الناس وأولاهم وأحقهم بالدخول فيها، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]. وروي عنه ﷺ عدة روايات في أن هذه الأمة «**لا تجتمع على ضلالة**»(٤).

٨- التمسك بسنة الخلفاء الراشدين، وأن سنتهم فيما لم يرد فيه سنة سنة، فعن عرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: صلى لنا رسول الله ﷺ الفجر، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت لها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فأوصنا. قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعش منكم فسيرى بعدي اختلافًا**

---

(١) أخرجه البخاري (ح ٣٦٧٣)، ومسلم (ح ٢٥٤٠).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٦٠١).

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه (٦/ ٤٣٨).

(٤) قال السخاوي: «حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعددة في المرفوع وغيره» (المقاصد الحسنة ص: ٤٦٠). فروى عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله أجاركم من ثلاث خلال** -ومنها: **وألا تجتمعوا على ضلالة**» (رواه أبو داود ح٤٢٥٣)، قال الحافظ في التلخيص: «في إسناده انقطاع»، وقال في موضع آخر: «سنده حسن» (عون المعبود ١١/ ٣٢٦).

كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة»[(١)].

٩- الاعتماد على فهمهم في تفسير الكتاب والسنة، فإذا لم نجد تفسيرًا للقرآن بالقرآن أو للقرآن بالسنة، رجعنا إلى أقوال الصحابة، فإنهم عاصروا التنزيل، وأعرف بالتأويل، قال الإمام أحمد: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع...»[(٢)].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «شعار أهل البدع هو ترك انتحال اتباع السلف»[(٣)].

وقال أيضًا: «إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصُّوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين»[(٤)].

١٠- الإيمان بما ورد من فضائلهم ومناقبهم على سبيل العموم، وبما ورد في فضل طوائف منهم، كالمهاجرين والأنصار وأهل بدر وبيعة الرضوان والعشرة المبشرين بالجنة على سبيل الخصوص، وما ورد من فضائل لأعيانهم على سبيل التخصيص والتعيين، وتربية الناشئة على أخلاقهم وسيرتهم وإطلاعهم على الصور المشرقة من حياتهم.

١١- إثبات خلافة الخلفاء الراشدين المهديين: أبي بكر الصديق، وعمر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (ح١٧١٤٤)، وأبو داود (ح٤٦٠٧)، والترمذي (ح٢٦٧٦)، وابن ماجه (ح٤٢) وإسناده صحيح.

(٢) أصول السنة للإمام أحمد (ص١٤-١٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ١٥٥).

(٤) مقدمة في أصول التفسير (ص٩٥).

الفاروق، وعثمان ذي النورين، وعلي أبي السِّبْطين، «ويضلل من خالف في خلافة واحد منهم، أو خالف في ترتيبهم؛ لأنه مخالف لإجماع الصحابة، وإجماع أهل السنة»[(١)].

وترتيب الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم أجمعين- في الفضل، كترتيبهم في الخلافة، ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المزية: أن النبي ﷺ أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين، ولم يأمرنا في الاقتداء في الأفعال إلا بأبي بكر وعمر، فقال: «**اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر**»[(٢)]، وفرق بين اتباع سنتهم والاقتداء بهم، فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي - رضي الله عنهم أجمعين.

١٢- الإمساك عمَّا شجر بينهم، لكن إذا ظهر مبتدع يقدح فيهم بالباطل، فلا بد من الذَّبِّ عنهم، وذكر ما يبطل حجته بعلم وعدل، لأن الكلام بغير علم حرام. قال شيخ الإسلام: «والكلام بلا علم حرام، فلهذا كان الإمساك عما شجر بين الصحابة خيرًا من الخوض في ذلك بغير علم بحقيقة الأحوال، إذ كان كثير من الخوض في ذلك- أو أكثره- كلامًا بلا علم، وهذا حرام لو لم يكن فيه هوى ومعارضة الحق المعلوم، فكيف إذا كان كلامًا بهوًى يطلب فيه دفع الحق المعلوم؟»[(٣)].

١٣- التحذير من الأحاديث الموضوعة في سبِّهم لأن سبَّهم كفر، وكذا يُحذَّر مما وضع من أحاديث في الوقيعة في بعضهم، وقد نبه العلماء على ذلك في كتبهم بصورة مجملة ومفصلة، لا سيما في كتب الأحاديث الموضوعة. قال الإمام ابن القيم: «كل حديث في ذم معاوية فهو كذب»[(٤)].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٤/ ٣٠٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (ح٢٣٢٤٥)، والترمذي (ح٣٦٦٢) وحسنه، وصححه الألباني.

(٣) منهاج السنة النبوية (٤/ ٣١١).

(٤) انظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم (ص١١٧)، بتصرف يسير.

وقال: «وكل حديث في ذم عمرو بن العاص فهو كذب»[(١)].

كما يحذر أيضًا من الأحاديث الموضوعة في إطرائهم، مثل حديث: «**إن الله يتجلى للناس عامة يوم القيامة ولأبي بكر خاصة**»[(٢)].



---

(١) المصدر السابق.

(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم (ص١١٥).



المبحث الثاني

عدالة الصحابة

أولًا: الأدلة على عدالة الصحابة:

«عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن»[١]، وقد «اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة»[٢].

والأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة متضافرة ومستفيضة على عدالة جميع أصحاب رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال الخطيب البغدادي: «وهذا اللفظ وإن كان عامًّا فالمراد به الخاص، وقيل: وهو وارد في الصحابة دون غيرهم»[٣].

وقال جل وعلا: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨]، قال ابن حزم: «فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم رضي الله عنهم وأنزل السكينة عليهم

(١) الكفاية في علم الرواية (ص٤٦).
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٦٢).
(٣) الكفاية في علم الرواية (ص٤٦).

فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة»[(١)].

والأدلة على عدالتهم من السنة كثيرة أيضًا، من أصرحها حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذكر النبي ﷺ قال: «**ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**»[(٢)]. وهو دليل على عدالة جميع الصحابة؛ لأنه أمرهم جميعًا بالتبليغ عنه إلى من بعدهم، فدل على أنهم جميعًا عدول.

قال الإمام ابن الصلاح: «للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يُسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه؛ لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة»[(٣)].

وقال الإمام ابن عبد البر: «هم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم، وثناء رسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه»[(٤)].

وقد انعقد إجماع الأمة على عدالة جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال الإمام ابن الصلاح: «الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع؛ إحسانًا للظن بهم، ونظرًا إلى ما تمهَّد لهم من المآثر، وكأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقَلَة الشريعة، والله أعلم»[(٥)].

وقال الإمام النووي: «الصحابة كلهم عدول، من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتدُّ به»[(٦)].

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١١٦).
(٢) أخرجه البخاري (ح١٠٥)، ومسلم (ح١٦٧٩).
(٣) مقدمة ابن الصلاح (ص٢٩٤)، تحقيق: د. نور الدين عتر.
(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١-٢).
(٥) مقدمة ابن الصلاح (ص٢٩٥).
(٦) التقريب والتيسير (ص٩٢).

۞ ثانيًا: عدالة الصحابة لا تستلزم عصمتهم:

القول بعدالة الصحابة رضي الله عنهم لا يعني عصمتهم من الذنوب، قال الإمام علي الأبياري المالكي: «واعلم أنَّا لسنا نعني بعدالة كل واحد من الصحابة رضي الله عنهم أن العصمة له ثابتة، والمعصية مستحيلة، وإنما نريد أن الرواية منه مقبولة من غير تكلف بحثٍ عن أسباب العدالة، وطلب التزكية، إلا أن يثبت ارتكاب ما يقدح في العدالة، ولم يثبت ذلك، والحمد لله»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم -ولله الحمد- من أصدق الناس حديثًا عنه، لا يعرف فيهم من تعمد عليه كذبًا، مع أنه كان يقع من أحدهم من الهنات ما يقع، ولهم ذنوب، وليسوا معصومين»[(٢)].

وقال أيضًا: «فلا يعرف من الصحابة من كان يتعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان فيهم من له ذنوب، لكن هذا الباب مما عصمهم الله فيه من تعمُّد الكذب على نبيهم»[(٣)].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أهل السنة «لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره؛ بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون، وأن المُدَّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحُد ذهبًا ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب، فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفّر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا

(١) التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه (٢/ ٧٠٩).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٥٦). (٣) الرد على الإخنائي (ص١١٧).

فلهم أجران، وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور لهم؟! ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منَّ الله به عليهم من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى»[١].

وقال المرداوي: «ليس المراد بكونهم عدولًا العصمة لهم، واستحالة المعصية عليهم، إنما المراد ألا نتكلف البحث عن عدالتهم، ولا طلب التزكية فيهم»[٢].

وقال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصحابة ليسوا معصومين من الذنوب فإنهم يمكن أن تقع منهم المعصية كما تقع من غيرهم لكنهم أقرب الناس إلى المغفرة... فالذي ينكَر من فعل بعضهم قليل منغمر في محاسنهم؛ لأنهم خير الخلق بعد الأنبياء، وصفوة هذه الأمة التي هي خير الأمم ما كان ولا يكون مثلهم»[٣].

۞ ثالثًا: ليس في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ منافق:

الاعتقاد بعدالة جميع الصحابة يستلزم الاعتقاد بأنه ليس فيهم منافق، والمنافق هو من يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، ولم يظهر النفاق إلا في المدينة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من حين هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار الناس ثلاثة أصناف: إما مؤمن، وإما كافر مُظْهر للكفر، وإما منافق، بخلاف ما كانوا وهو بمكة، فإنه لم يكن هناك منافق؛ ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره: لم يكن من المهاجرين منافق، وإنما كان النفاق في قبائل الأنصار؛ فإن مكة

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٥-١٥٦).
(٢) التحبير شرح التحرير (٤/ ١٩٩٤).
(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٣٠٩).

كانت للكفار مستولين عليها، فلا يؤمن ويهاجر إلا من هو مؤمن، ليس هناك داع يدعو إلى النفاق؛ والمدينة آمن بها أهل الشوكة، فصار للمؤمنين بها عز ومنعة بالأنصار، فمن لم يظهر الإيمان آذوه، فاحتاج المنافقون إلى إظهار الإيمان مع أن قلوبهم لم تؤمن»(١).

والمنافقون كانوا في المدينة قلة معروفة، كما يدل عليه قول ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في صلاة الجماعة: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق»(٢).

ولذا ذكر الحافظ المزي «أنه لم يوجد قط رواية عمن لُمِزَ بالنفاق»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الصحابة المذكورون في الرواية عن النبي ﷺ والذين يعظمهم المسلمون على الدين، كلهم كانوا مؤمنين به، ولم يعظم المسلمون -ولله الحمد- على الدين منافقًا»(٤).

ثم إن المنافقين فيهم من تاب من نفاقه، ومن لم يتب منهم توعده الله بالهلاك، كما قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب: ٦٠، ٦١]، ومعنى ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾؛ أي: لنسلطنَّك عليهم لقتلهم، فلما لم يسلطْه عليهم، دل على توبتهم أو هلاكهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلما لم يُغْرِه الله بهم ولم يقتِّلهم تقتيلًا، بل كانوا يجاورونه بالمدينة، دل ذلك على أنهم انتهوا»(٥).



(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٠٠-٢٠١).
(٢) أخرجه مسلم (ح٦٥٤).
(٣) شرح الكوكب المنير (٢/ ٤٧٧).
(٤) منهاج السنة النبوية (٨/ ٤٧٤).
(٥) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٤).



المبحث الثالث

الخلفاء الراشدون

فضلهم، وطرق انعقاد خلافتهم، وأدلتها، والرد على منكري ذلك

۞ أولًا: فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأدلة إمامته:

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

قال السيوطي: «أجمع المسلمون على أن الصاحب المذكور أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(١).

وقال ابن عطية: «هذه الآية منوِّهة بأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حاكمة بقِدَمه وسابقته في الإسلام»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري، قال: خطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إن الله خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله**»، فبكى أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده،

---

(١) تاريخ الخلفاء (ص٤١).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣٦).

فاختار ما عند الله، فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: «**يا أبا بكر لا تبك، إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ، إلا باب أبي بكر**»(١).

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: كانت بين أبي بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبًا، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، فقال أبو الدرداء ونحن عنده: فقال رسول الله ﷺ: «**أما صاحبكم هذا فقد غامر**(٢)» قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ، وقص على رسول الله ﷺ الخبر، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ، وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله، لأنا كنت أظلم، فقال رسول الله ﷺ: «**هل أنتم تاركون لي صاحبي، هل أنتم تاركون لي صاحبي، إني قلت: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعًا، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت**»(٣).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حدثني أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائما؟**» قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا، قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**» قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا، قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا، قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما**

(١) أخرجه البخاري (ح٤٦٦)، ومسلم (ح٢٣٨٢).
(٢) أي: خاصم غيره، ودخل في غمرة الخصومة (التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢٠/ ٢٦٠).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٦٤٠).
(٤) أخرجه البخاري (ح٤٦٦٣)، ومسلم (ح٢٣٨١).

اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»[١].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: مرض النبي صلى الله عليه وسلم، فاشتد مرضه، فقال: «**مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**» قالت عائشة: إنه رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، قال: «**مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**» فعادت، فقال: «**مري أبا بكر فليصلِّ بالناس، فإنكنَّ صواحب يوسف**[٢]» فأتاه الرسول، فصلى بالناس في حياة النبي صلى الله عليه وسلم[٣].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، فقلت: من الرجال؟ فقال: «**أبوها**»، قلت: ثم من؟ قال: «**ثم عمر بن الخطاب**» فعدَّ رجالًا[٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لا نفاضل بينهم»[٥].

أدلة خلافته:

أجمع المسلمون على أن أبا بكر هو أول خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختلفوا في حكم من أنكر خلافته، قال القرطبي: «القادح في خلافته [يعني خلافة أبي بكر رضي الله عنه] مقطوع بخطئه وتفسيقه، وهل يكفر أم لا؟ يختلف فيه، والأظهر تكفيره»[٦].

واختلف أهل السنة هل كانت خلافة أبي بكر بالنص أم بالاختيار؟

فقالت طائفة: إنها ثبتت بالنص، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على أبي بكر رضي الله عنه

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٠٢٨).

(٢) صواحب جمع صاحبة، والمراد: أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن (فتح الباري ٢/ ١٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٧٨)، ومسلم (ح٤٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (ح٣٦٦٢)، ومسلم (ح٢٣٨٤).

(٥) أخرجه البخاري (ح٣٦٩٧).

(٦) تفسير القرطبي (٨/ ١٤٨).

بأنه هو الخليفة من بعده، وقال آخرون: ثبتت باختيار الصحابة له خليفة لفضله، قال ابن أبي العز الحنفي: «اختلف أهل السنة في خلافة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي، وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار»[(١)].

أدلة من قال بالنص الخفي:

١- قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، قال القرطبي: فيها ما يدل على أن الخليفة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأن الخليفة لا يكون أبدًا إلا ثانيًا، وسمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر يقول: إنما استحق الصدِّيق أن يقال له: ثاني اثنين لقيامه بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأمر، كقيام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به أولًا»[(٢)].

٢- حديث: «**مروا أبا بكر فلْيصلِّ بالناس**»[(٣)]، قال ابن حجر: «في التنصيص على إمامة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مرضه إشارة إلى أنه أحق بالخلافة، فهو بطريق الاستنباط لا النص»[(٤)].

٣- حديث: «**لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ، إلا باب أبي بكر**»[(٥)]، قال ابن حجر: «وفيه إشارة قوية إلى استحقاقه للخلافة، ولا سيما وقد ثبت أن ذلك كان في آخر حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوقت الذي أمرهم فيه ألا يؤمهم إلا أبو بكر»[(٦)]، وقال السيوطي: «قال العلماء: هذه إشارة إلى الخلافة؛ لأنه يخرج

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٩٨-٦٩٩)، وانظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٨٧-٨٨).
(٢) تفسير القرطبي (٨/ ١٤٧).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) فتح الباري (١١/ ٦٠).
(٥) سبق تخريجه.
(٦) فتح الباري (٧/ ١٤).

منها إلى الصلاة بالمسلمين»[١].

أدلة من قال بالنص الجلي:

١- حديث جبير بن مطعم، أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئًا، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ - قال جبير: كأنها تعني الموت- قال: «**فإن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[٢]، قال ابن حزم: «وهذا نص جلي على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه»[٣]، وقال ابن أبي العز: «وذلك نص على إمامته»[٤].

٢- حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «**ادعي لي أبا بكر، أباك، وأخاك، حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[٥]، قال ابن حزم: «فهذا نص جلي على استخلافه -عليه الصلاة والسلام- أبا بكر رضي الله عنه على ولاية الأمة بعده»[٦].

٣- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سَلْ لنا رسول الله ﷺ إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟ قال: فأتيته فسألته، فقال: «**إلى أبي بكر**» فأتيتهم فأخبرتهم، فقالوا: ارجع إليه فسَلْه، فإن حدث بأبي بكر حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته، فقال: «**إلى عمر**» فأتيتهم فأخبرتهم، فقالوا: ارجع إليه فسله، فإن حدث بعمر حدث، فإلى من؟ فأتيته فسألته، فقال: «**إلى عثمان**» فأتيتهم فأخبرتهم، فقالوا: ارجع إليه فسله، فإن حدث بعثمان حدث فإلى من؟ فأتيته فسألته، فقال: «**إن حدث بعثمان حدث فتبًّا**

---

(١) تاريخ الخلفاء (ص٥١).
(٢) أخرجه البخاري (ح٣٦٥٩)، ومسلم (ح٢٣٨٦).
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٨٨)، وانظر: منهاج السنة، لابن تيمية (١/ ٤٤٨).
(٤) شرح الطحاوية (٢/ ٦٩٩).
(٥) أخرجه البخاري (ح٧٢١٧)، ومسلم (ح٢٣٨٧) واللفظ له.
(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٨٨).

لكم الدهر تبًّا»[(١)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التحقيق أن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه، وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدًا، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك هل ذلك القول من جهة المرض، أو هو قول يجب اتباعه؟ ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة، لبيَّنه النبي ﷺ بيانًا قاطعًا للعذر، لكن لما دلَّتهم دلالاتٌ متعددة على أن أبا بكر رضي الله عنه هو المتعين وفهموا ذلك، حصل المقصود»[(٢)] .

۞ فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قال ابن أبي العز: «وفضائله رضي الله عنه أشهر من أن تنكر، وأكثر من أن تذكر»[(٣)] .

عن عائشة، عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: «**قد كان يكون في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم**» قال ابن وهب: تفسير محدثون: مُلْهمون[(٤)] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما**

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٨٢) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الألباني: «رجاله ثقات، غير نصر بن منصور المروزي، ترجمه الخطيب (١٣/ ٢٨٦- ٢٨٧) برواية أربعة من الثقات وغيرهم، وكناه بأبي الفتح، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا؛ فهو مقبول الحديث -إن شاء الله تعالى- وبخاصة أنه صحح له الحاكم والذهبي» (سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٣/ ٤١٦).

(٢) منهاج السنة النبوية (١/ ٥١٦-٥١٧)، وانظر: منهاج السنة (١/ ٥٢٤)، (٨/ ٣٤٥).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٧١٠).

(٤) أخرجه البخاري (ح٣٤٦٩)، ومسلم (ح٢٣٩٨) واللفظ له.

لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجِّك»[١].

وعن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»[٢].

وعن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب**» قال: وكان أحبَّهما إليه عمر[٣].

توليه الخلافة:

قال ابن أبي العز: «ونثبت الخلافة بعد أبي بكر لعمر رضي الله عنهما، وذلك بتفويض أبي بكر رضي الله عنه الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه»[٤].

وقال الإمام الطبري: «عقد أبو بكر في مَرْضته التي توفي فيها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عقد الخلافة من بعده، وذكر أنه لما أراد العقد له دعا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فيما ذكر ابن سعد، عن الواقدي، عن ابن أبي سبرة، عن عبد المجيد بن سهيل، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: لما نزل بأبي بكر رحمه الله الوفاة دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر، فقال: يا خليفة رسول الله، هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل، ولكن فيه غلظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقًا، ولو أفضي الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه، ويا أبا محمد قد رمقته، فرأيتني إذا غضبت على الرجل في الشيء أراني الرضا عنه، وإذا لِنتُ له أراني الشدة عليه، لا تذكرْ يا أبا محمد مما قلتُ لك شيئًا، قال: نعم، ثم دعا عثمان بن عفان، قال: يا أبا عبد الله،

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٢٩٤)، ومسلم (ح٢٣٩٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٩/ ١٤٤)، والترمذي (ح٣٦٨٢)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح١٧٣٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٩/ ٥٠٦)، والترمذي (ح٣٦٨١)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ٧/ ٦٨٣).

(٤) شرح الطحاوية (٢/ ٧١٠).

أخبرني عن عمر، قال: أنت أخبر به، فقال أبو بكر: عليَّ ذاك يا أبا عبد الله[١]! قال: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأن ليس فينا مثله، قال أبو بكر رَحِمَهُ اللَّهُ: رحمك الله يا أبا عبد الله، لا تذكر مما ذكرت لك شيئًا، قال: أفعل، فقال له أبو بكر: لو تركته ما عَدَوْتُك، وما أدري لعله تاركه، والخيرة له ألا يلي من أموركم شيئًا، ولوددت أني كنت خلوًا من أموركم، وأني كنت فيمن مضى من سلفكم، يا أبا عبد الله، لا تذكرن مما قلت لك من أمر عمر، ولا مما دعوتك له شيئًا. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا يونس بن عمرو، عن أبي السفر، قال: أشرف أبو بكر على الناس من كنيفه[٢] وأسماء ابنة عميس ممسكته، موشومة اليدين، وهو يقول: أترضون بمن أستخلف عليكم؟ فإني والله ما آلوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، فقالوا: سمعنا وأطعنا»[٣].

۞ فضائل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ومما ورد من فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مضطجعًا في بيتي، كاشفا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسوّى ثيابه فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تُبَالِه، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[٤].

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حائط من حيطان

---

(١) أي: عليَّ بيان خبره وصفته.

(٢) الكنيف: ساتر يوضع فوق باب الدار. انظر: لسان العرب (٩/ ٣١٠).

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٤٢٨).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٤٠١).

المدينة فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «**افتح له وبشِّره بالجنة**» ففتحت له، فإذا أبو بكر، فبشرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «**افتح له وبشره بالجنة**»، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: «**افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه**»، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم قال: الله المستعان[(١)].

وقال النبي ﷺ: «**من يحفر بئر رومة فله الجنة**». فحفرها عثمان، وقال: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة**» فجهزه عثمان[(٢)].

وعن عبد الرحمن بن سمرة، قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في كُمِّه، حين جهز جيش العسرة فنثرها في حِجْره، قال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلِّبها في حِجْره، ويقول: «**ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم**» مرتين[(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه، قال: صعد النبي ﷺ أُحُدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف، وقال: «**اسكن أحد** -أظنه ضربه برجله- **فليس عليك إلا نبي، وصِدِّيق، وشهيدان**»[(٤)].

توليه الخلافة:

عن عمرو بن ميمون، قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، وقف على حذيفة بن اليمان، وعثمان بن حنيف، قال: كيف فعلتما، أتخافان أن تكونا قد حمَّلتما الأرض ما لا تطيق[(٥)]؟ قالا: حملناها

(١) أخرجه البخاري (ح٣٦٩٣)، ومسلم (ح٢٤٠٣).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا صحيح البخاري (٥/ ١٣)، ووصله ابن حجر في (تغليق التعليق ٣/ ٣١٣-٣١٤).

(٣) أخرجه الترمذي (ح٣٧٠١)، وقال: «حسن غريب»، والحاكم في المستدرك (٣/ ١١٠)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه البخاري (ح٣٦٩٩).

(٥) «الأرض المشار إليها هي أرض السواد [أي: العراق]، وكان عمر بعثهما يضربان عليها =

أمرًا هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل، قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق، قال: قالا: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله، لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا، قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب، قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين، قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن خللًا تقدم فكبر، وربما قرأ «سورة يوسف»، أو «النحل»، أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني -أو أكلني- الكلب، حين طعنه، فطار العِلْج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يمينًا ولا شمالًا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلًا، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسًا، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله! سبحان الله! فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا بن عباس، انظر من قتلني، فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصَّنَع[1]؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة -وكان العباس أكثرهم رقيقًا- فقال: إن شئت فعلت، أي: إن شئت قتلنا؟ قال: كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم. فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه،

= الخراج وعلى أهلها الجزية» (فتح الباري لابن حجر ٧/ ٦٢).

(١) أي: الصانع الحاذق في صناعته. انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٦/ ١١١).

فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس، فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: يا بن أخي ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر، انظر ما عليَّ من الدَّيْن، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش، ولا تَعْدُهم إلى غيرهم، فأدِّ عنِّي هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سَلِّم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلًا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحدًا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمى عليًّا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدًا، وعبد الرحمن، وقال: يَشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له - فإن أصابت

الإمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، وقال: أُوصي الخليفة من بعدي، بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، أن يقبل من محسنهم، وأن يُعْفى عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم رِدْء الإسلام، وجباة المال، وغيظ العدو، وألا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشي أموالهم، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم، فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فسلم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر، فنجعله إليه والله عليه والإسلام، لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي، والله علي أن لا آلو عن أفضلكم، قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمَّرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن، ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه[1].

قال ابن بطال: «وإنما فعل هذا عمر وتوسط حالة بين حالتين خشية الفتنة بعده، كما خشيت بعد النبى ﷺ وقت قول الأنصار ما قالوا، فلذلك جعل

(١) أخرجه البخاري (ح٣٧٠٠).

عمر الأمر معقودًا موقوفًا على الستة؛ لئلا يترك الاقتداء بالنبي ﷺ في ترك الأمر إلى الشورى مع ما قام من الدليل على فضل أبي بكر، وأخذ من فعل أبي بكر طرفًا آخر وهو العقد لأحد الستة ليجمع لنفسه فضل السُّنَّتين»[(١)].

۞ فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

ومما ورد من فضائله رضي الله عنه: ما جاء عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النبي رضي الله عنه يقول يوم خيبر: «**لأعطين الراية رجلًا يفتح الله على يديه**»، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: «**أين علي؟**»، فقيل: يشتكي عينيه، فأمر، فدعي له، فبصق في عينيه، فبرئ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «**على رِسْلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يُهْدى بك رجل واحد خير لك من حُمْر النعم**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية رجلًا يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه**» قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها رجاءَ أن أدعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب، فأعطاه إياها[(٣)].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف عليًّا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي**»[(٤)].

توليه الخلافة رضي الله عنه:

قال الإمام ابن أبي العز: «ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما لما قتل

(١) شرح صحيح البخارى (٨/ ٢٨٣).
(٢) أخرجه البخاري (ح٢٩٤٢)، ومسلم (ح٢٤٠٧).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٤٠٥).
(٤) أخرجه البخاري (ح٤٤١٦)، ومسلم (ح٢٤٠٤).

عثمان وبايع الناس عليًّا صار إمامًا حقًّا واجبَ الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافةَ نبوة»[(١)].

الرد على منكري خلافتهم[(٢)]:

أنكر الرافضة خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وأنكر الخوارج خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد انعقد إجماع أهل السنة على خلافة الخلفاء الأربعة الراشدين، ولا عبرة بخلاف من شذ عن الجماعة.

الرد على الشيعة الرافضة:

الأصل الذي قام عليه دين الرافضة: «أنه لا يجوز للرعية اختيار إمام، بل لا بد فيه من النص»[(٣)]، «فالإمامة لا تكون إلا بالنص»[(٤)]، وزعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على عليّ رضي الله عنه وأولاده[(٥)]، فهم الأئمة إلى أن تقوم الساعة، وأول من أسَّس لهم هذا الأصل الفاسد هو ابن سبأ، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصاية من النبي، ومحصورة بالوصي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره.

وقد اعترفت كتب الرافضة بذلك حيث قالت: إن ابن سبأ «كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفرهم»[(٦)]؛ لأنه كان يهودي الأصل، يرى أن يوشع بن نون هو وصي

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٧٢١).

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٦٧٥) وما بعدها.

(٣) الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي (ص١٤٢)، وانظر: نهج المسترشدين، ابن المطهر (ص٦٣).

(٤) عقائد الإمامية، المظفر (ص١٠٣).

(٥) أصول الكافي، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة، الكليني (١/ ٢٨٦) وما بعدها.

(٦) رجال الكشي (ص١٠٨-١٠٩)، المقالات والفِرَق، القمي (ص٢٠)، فِرَق الشّيعة، النوبختي (ص٢٢)، الزينة، الرازي (ص٣٠٥)، وانظر: المِلَل والنِّحَل (١/ ١٧٤)، حيث قال الشهرستاني عن ابن سبأ: «وهو أول من أظهر القول بالنص على إمامة علي رضي الله عنه».

موسى عليه السلام، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه[(١)].

ومما يدل على بطلان دعوى النص ما يلي:

أولًا: إجماع الصحابة - ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه - على بيعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم يبطل دعوى الرافضة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى لعلي رضي الله عنه ونص عليه، ودعواهم أنه بايعهم تَقيَّة طعن في علي رضي الله عنه، واتهام له بالنفاق، وهم مع ذلك يزعمون التشيع له!!

ثانيًا: أن دعوى الوصية لعلي رضي الله عنه بالخلافة مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، فلو كان له أصل لنقل، قال الرازي: «النص على الخلافة واقعة عظيمة، والوقائع العظيمة يجب اشتهارها جدًّا، فلو حصلت هذه الشهرة لعرفها المخالف والموافق، وحيث لم يصل خبر هذا النص إلى أحد من الفقهاء والمحدثين علمنا أنه كذب»[(٢)]، وإنما تفرد بنقله الشيعة، قال الآمدي: «وهم فيه مدَّعون، وفيما نقلوه متهمون، لا سيما مع ما ظهر من كذبهم وفسقهم وبدعتهم وسلوكهم طرق الضلالة والبهت بادعاء المحال ومخالفة العقول، وسب أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم»[(٣)].

وقال ابن حزم: «وبرهان ضروري وهو أن رسول الله مات وجمهور الصحابة -رضوان الله عليهم- حاشا من كان منهم في النواحي يعلم الناس الدين، فما منهم أحد أشار إلى علي بكلمة يذكر فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نص عليه، ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة اتفاق أكثر من عشرين ألف إنسان متنابذي الهمم والنيات والأنساب على طي عَهْدٍ عهِدَه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، وما وجدنا قط رواية عن أحد في النص المدعى إلا رواية واهية عن

(١) انظر: رجال الكشي (ص١٠٨-١٠٩)، المقالات والفِرَق، القمي (ص٢٠)، فِرَق الشيعة، النوبختي (ص٢٢)، الزّينة (ص٣٠٥).

(٢) أصول الدين (ص١٣٧).

(٣) غاية المرام (ص٣٧٧).

مجهولين إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا يعرف من هو في الخلق»[١].

ثالثًا: أنَّا رأينا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث نص على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما اختلف فيه اثنان، ولا وقع في ذلك خفاء، وكذلك حيث نص عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ستة أنفس من قريش ظهر ذلك عنهم ظهورًا لا يسع جحده، ولا يمكن رده، ورسول الله ﷺ أفضل، ومبادرة الخلق إلى امتثال أمره أكثر، وتشوف النفوس إلى نقل ما صدر عنه أعظم، فمن المحال البين أن ينص أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على واحد ولا يقع خلاف فيمن استخلفه، ولا أمكن أحد أن يكتمه، وكذلك عمر، بل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث نص على يزيد، اشتهر ذلك ونقل عنه اشتهارًا ظاهرًا متواترًا لا نزاع فيه ولا مراء، فكيف نقل نص معاوية، وكتم نص رسول الله ﷺ، وما نقله أحد[٢]؟!

رابعًا: كيف يقبل المهاجرون والأنصار والمسلمون جميعًا أمر أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين استخلفه، ولم يختلف اثنان على إمامة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا يقبلون أمر رسول الله ﷺ في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهل صار المسلمون أطوع لأبي بكر من رسول الله ﷺ؟! و«كيف يحتمل عقل عاقل، أو يشتبه على برٍّ أو فاجر -إلا من أراد الله فتنته- أن المهاجرين والأنصار وجميع التابعين لهم بإحسان علموا أن رسول الله ﷺ قد نص على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأمرهم أن يوالوه فعصوه وتركوا أمر الرسول ﷺ، وأمرهم أبو بكر أن يولوا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فاتبعوه وأطاعوه، وأمرهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يولوا الستة فلم يخالفوه ولم يعصوه»[٣].

خامسًا: لو كان النص على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيحًا لم يجز لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يدخل مع الستة الذين نص عليهم عمر، وكان يقول: «أنا المنصوص عليَّ، فلا

(١) الفصل (٤/ ١٦١).

(٢) انظر: دفع شبه الخوارج والرافضة، الورقة: ١٤-١٥ (مخطوط).

(٣) إمامة أبي بكر الصديق، أبو بكر محمد بن حاتم بن زنجويه (مخطوط غير مرقم الصفحات).

حاجة لي إلى الدخول فيمن نص عليه عمر[١]، ولم يجز له أن يبايع أبا بكر وعمر وعثمان، ولا يجوز أن يظن بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت، وهو الأسد شجاعة، وقد عرّض نفسه للموت بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرات، ثم يوم الجمل، وصفين، فما الذي جبنه بين هاتين الحالتين[٢] وألجأه إلى التقية؟ وإذا كان منصوصًا عليه بالإمامة، ومفوضًا إليه أمر الأمة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد قُلِّد أمرًا يجب عليه القيام به، ومدافعة المبطل عنه بكل وجه، وإن أهمل ذلك وتركه من غير سبب، فقد خالف - وحاشاه من ذلك - ولو كان مغلوبًا عليه فلا بد أن يجري سبب يوجب عذره من أخذ حقه سيما مع التفويض إليه.

سادسًا: لم ينقل أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعا إلى نفسه، وجادل من أجل بيعته، فضلًا عن القتال، ولو وقع ذلك لاشتهر، وقد وقعت مناسبات مهمة، وأحداث خطيرة توجب إظهار النص كحادثة السقيفة، وحادثة الشورى، فلم يفعل شيئًا من ذلك، بل جاء في «نهج البلاغة» (وهو الكتاب المقدس عندهم) أن أمير المؤمنين عليًّا قال -لما أراده الناس على البيعة: «دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن تركتموني فإني كأحدكم، ولَعلِّي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير مني لكم أميرًا»[٣]، وهذا النص يدل على أنه لم يكن منصوصًا عليه بالإمامة من جهة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا لما جاز أن يقول: «دعوني..» إلخ، «ولعلِّي..» إلخ، و«أنا لكم..» إلخ[٤].

سابعًا: دعوى الرافضة النص على إمامة الاثني عشر دعوى مختلقة، لم تظهر إلا بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأكثر من مائتين وستين سنة، والمنقول بالتواتر

(١) دفع شبه الخوارج والروافض، الورقة: (١٥).

(٢) الفصل (٤/ ١٦٢).

(٣) نهج البلاغة (ص١٣٦).

(٤) تعليقات على ردود الشيعة، محمود شكري الألوسي (مخطوط).

عن أهل البيت يكذب هذا ويدل على عدم النص؛ بل سائر فرق الشيعة غير الإثني عشرية يكذبها، وكلٌّ يدَّعي النص على إمامه، ويكذب دعوى الطائفة الأخرى، وكل حزب بما لديهم فرحون.

الرد على الخوارج:

أقر الخوارج بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، كما أقروا بخلافة عثمان في أول أمره، ثم خرجوا عليه، وأقروا بخلافة علي رضي الله عنه في أول أمره، ثم خرجوا عليه لما حكَّم الحكمين، قال الأشعري: «الخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عثمان -رضوان الله عليهم- في وقت الأحداث التي نُقِمَ عليه من أجلها، ويقولون بإمامة عليٍّ رضي الله عنه قبل أن يحكِّمَ، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم»[1].

ويكفي في الرد عليهم حكاية المناظرة التي جرت بينهم وبين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في ذلك، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دار وكانوا ستة آلاف» فقلت لعلي: «يا أمير المؤمنين أَبْرِدْ بالصلاة، لَعلِّي أكلم هؤلاء القوم»، قال: «إني أخافهم عليك» قلت: كلا، فلبست، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار، وهم يأكلون فقالوا: «مرحبًا بك يا بن عباس، فما جاء بك؟» قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار، ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد، لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم، قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه قالوا: «ثلاث» قلت: ما هن؟ قال: «أما إحداهن، فإنه حَكَّم الرجال في أمر الله» وقال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة؛ قالوا: وأما الثانية، فإنه قاتل، ولم يَسْبِ، ولم يغنم، إن كانوا كفارًا لقد حَلَّ سِبَاهم، ولئن كانوا

(١) مقالات الإسلاميين (ص١٢٥).

مؤمنين ما حل سباهم ولا قتالهم، قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة؟ وذكر كلمة معناها قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين، قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: «حسبنا هذا» قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله -جل ثناؤه- وسنة نبيه ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: «نعم» قلت: أما قولكم: «حكَّم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ**﴾ [المائدة: ٩٥] وكان من حكم الله أنه صيره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء لحكم فيه، فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، هذا أفضل، وفي المرأة وزوجها: ﴿**وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ**﴾ [النساء: ٣٥] فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بُضْع امرأة؟ خرجت من هذه؟ قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسب، ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمنا فقد كفرتم: ﴿**ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ**﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم بين ضلالتين، فأتوا منهما بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما محي نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون. إن نبي الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي: «**اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**» قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: «**امح يا علي: اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي، واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله**» والله لرسول الله ﷺ خير من علي، وقد

محا نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاة من النبوة، أخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم، فقتلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار»[1].



(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧/ ٤٨٠-٤٨١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٤) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٠٩)، وصححه الهيثمي (مجمع الزوائد ٦/ ٢٤١)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (منهاج السنة النبوية ٨/ ٥٣٠).



المبحث الرابع

المراد بالسابقين الأولين من الصحابة

قال جل وعلا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال الإمام الطبري: «اختلف أهل التأويل في المعني بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ فقال بعضهم: هم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أو أدركوا(١)... وقال آخرون: بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله ﷺ»(٢).

وأضاف الثعلبي قولًا ثالثًا، فقال: «قال عطاء بن أبي رباح: هم الذين شهدوا بدرًا»(٣).

وذكر القرطبي هذه الأقوال الثلاثة، فقال: «نص القرآن على تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهم الذين صلوا إلى القبلتين في قول سعيد بن المسيب وطائفة، وفي قول أصحاب الشافعي: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان، وهي بيعة الحديبية، وقاله الشعبي، وعن محمد بن كعب

(١) يعني: أدركوا بيعة الرضوان أو شهدوها وإن لم يبايعوا.

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٦٣٧-٦٣٨)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٦٨).

(٣) الكشف والبيان (١٤/ ١٢)، وانظر: النكت والعيون، للماوردي (٢/ ٣٩٤-٣٩٥).

وعطاء بن يسار: هم أهل بدر، واتفقوا على أن من هاجر قبل تحويل القبلة فهو من المهاجرين الأولين من غير خلاف بينهم»(١).

وذكر الرازي قولًا رابعًا، وهو أن المراد بهم السابقون في الهجرة والنصرة، فقال: «الصحيح عندي أنهم السابقون في الهجرة وفي النصرة، والذي يدل عليه أنه ذكر كونهم سابقين، ولم يبين أنهم سابقون في ماذا؟ فبقي اللفظ مجملًا، إلا أنه وصفهم بكونهم مهاجرين وأنصارًا، فوجب صرف ذلك اللفظ إلى ما به صاروا مهاجرين وأنصارًا وهو الهجرة والنصرة، فوجب أن يكون المراد منه السابقون الأولون في الهجرة والنصرة؛ إزالة للإجمال عن اللفظ»(٢).

وأضاف الواحدي قولًا خامسًا، فقال: «وقد فُسِّرتِ الآية على أن المراد بها جميع الصحابة الذين أدركوا رسول الله ﷺ، وحصل لهم السبق بإدراكه وصحبته»(٣)، وقد ذكر هذا القول ابن الجوزي، فقال: «إنهم جميع أصحاب رسول الله ﷺ، حصل لهم السبق بصحبته. قال محمد بن كعب القرظي: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة محسنهم ومسيئهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠]»(٤).

الترجيح:

الراجح من هذه الأقوال -والله أعلم- هو القول الأول، وهو أن السابقين الأولين هم الذين أسلموا قبل الفتح؛ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ [الحديد: ١٠]، وهو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال: «السابقون الأولون: الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والمراد بالفتح: صلح الحديبية؛

---

(١) تفسير القرطبي (٨/ ٢٣٦).
(٢) تفسير الرازي (١٦/ ١٢٧).
(٣) التفسير الوسيط للواحدي (٢/ ٥٢٠).
(٤) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٤٩٠).

فإنه كان من أول فتح مكة، وفيه أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢] فقالوا: يا رسول الله أوَفتح هو؟ قال: «**نعم**»، وأفضل السابقين الأولين: الخلفاء الأربعة، وأفضلهم: أبو بكر ثم عمر، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الأمة وجماهيرها»(١).

وهو الذي ذهب إليه الإمام ابن أبي العز الحنفي، فقال: «هم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة... والسابقون الأولون -من المهاجرين والأنصار- هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة. وقيل: إن السابقين الأولين من صلى إلى القبلتين، وهذا ضعيف. فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة، لأن النسخ ليس من فعلهم، ولم يدل على التفضيل به دليل شرعي، كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد والمبايعة التي كانت تحت الشجرة»(٢).



(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٩١-٩٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٤٥٩)، درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٦).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٩١-٦٩٢).





المبحث الخامس

العشرة المبشرون بالجنة ومناقبهم

عن سعيد بن زيد قال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول: «**عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، ولو شئت لسميت العاشر**» قال: فقالوا: من هو؟ فسكت. قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو «**سعيد بن زيد**»[(١)].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»[(٢)].

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم، لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم»[(٣)].

(١) أخرجه أبو داود (ح٤٦٤٩)، والترمذي (ح٣٧٤٨)، وابن ماجه (ح١٣٣)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٣٧٤٧) وصححه، وأحمد في المسند (٣/ ٢٠٩)، وقال محققوه: «إسناده قوي على شرط مسلم».

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٧٣٣).

وقد تقدم ذكر فضائل الخلفاء الأربعة الراشدين، ونذكر هنا فضائل الستة الباقين.

۞ أولًا: فضائل طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عن قيس بن أبي حازم، قال: «رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شُلَّت»[(١)].

وعن أبي عثمان، قال: «لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله ﷺ غير طلحة، وسعد»[(٢)].

وعن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كان على رسول الله ﷺ يوم أحد درعان فنهض إلى صخرة، فلم يستطع فأقعد تحته طلحة، فصعد النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**أوجب طلحة**[(٣)]»[(٤)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ، فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد**»[(٥)].

قال الإمام البخاري: «باب ذكر طلحة بن عبيد الله، وقال عمر: توفي النبي ﷺ وهو عنه راضٍ»[(٦)].

۞ ثانيًا: فضائل الزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟**»

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٧٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٧٢٢)، ومسلم (ح٢٤١٤).

(٣) قال ابن الأثير: «أوجب فلان: إذا فعل فِعلًا تجب له به الجنة، أو النار، والمراد به هاهنا: الجنة» (جامع الأصول ٩/ ٣).

(٤) أخرجه الترمذي (ح٣٧٣٨)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد في المسند (٣/ ٣٣)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٥٤٠).

(٥) أخرجه مسلم (ح٢٤١٧).

(٦) صحيح البخاري (٥/ ٢٢).

قال الزبير: أنا، ثم قال: «**من يأتيني بخبر القوم؟**»، قال الزبير: أنا، فقال النبي ﷺ: «**إن لكل نبي حواريًّا وحواري الزبير**»(١).

وعن عبد الله بن الزبير، قال: كنت يوم الأحزاب جُعِلْتُ أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه، يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف؟ قال: أوهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ، قال: «**من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم**»، فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: «**فداك أبي وأمي**»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢]، قالت لعروة: يا بن أختي، كان أبواك منهم: الزبير، وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: «**من يذهب في إثرهم؟**» فانتدب منهم سبعون رجلًا، قال: كان فيهم أبو بكر، والزبير(٣).

۞ ثالثًا: فضائل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا، ما أدرك مُدَّ أحدهم، ولا نصيفه**»(٤).

وعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه: «**إن الذي يحنو عليكنَّ بعدي لهو الصادق البار، اللهم اسقِ عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة**»(٥).

(١) أخرجه البخاري (ح٢٨٤٦)، ومسلم (ح٢٤١٥).
(٢) أخرجه البخاري (ح٣٧٢٠) واللفظ له، ومسلم (ح٢٤١٦).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٠٧٧). (٤) أخرجه البخاري (ح٢٥٤١).
(٥) أخرجه أحمد في المسند (٤٤/ ١٨٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٥١)، وصححه ووافقه الذهبي.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: دخلت على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقالت لي: كان رسول الله ﷺ يقول لي: «**أمركن مما يهمني بعدي، ولن يصبر عليكن إلا الصابرون**» ثم قالت: فسقى الله أباك من سلسبيل الجنة، وكان عبد الرحمن بن عوف قد وصلهن بمال فبيع بأربعين ألفًا(١).

۞ رابعًا: فضائل سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أحد»(٢).

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ما رأيت النبي ﷺ يفدِّي رجلًا بعد سعد، سمعته يقول: «**ارم فداك أبي وأمي**»(٣).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة، ليلة، فقال: «**ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة**» قالت: فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: «**من هذا؟**» قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما جاء بك؟**» قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ، فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ، ثم نام(٤).

۞ خامسًا: فضائل أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن لكل أمة أمينًا، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح**»(٥).

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلًا أمينًا، فقال: «**لأبعثن إليكم رجلًا أمينًا حق أمين، حق أمين**»، قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٦).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٥٢)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح١٥٩٤).
(٢) أخرجه البخاري (ح٣٧٢٥).
(٣) أخرجه البخاري (ح٢٩٠٥)، ومسلم (ح٢٤١١). (٤) أخرجه مسلم (ح٢٤١٠).
(٥) أخرجه البخاري (ح٣٧٤٤)، ومسلم (ح٢٤١٩).
(٦) أخرجه البخاري (ح٣٧٤٥)، ومسلم (ح٢٤٢٠) - واللفظ له.

وعن ابن أبي مليكة، قال: سمعت عائشة، وسئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا[١].

۞ سادسًا: فضائل سعيد بن زيد رضي الله عنه:

عن سعيد بن زيد، قال: أشهد على التسعة أنهم في الجنة، ولو شهدت على العاشر لم آثم، قلت: ومن التسعة؟ قال: قال رسول الله ﷺ وهو على حراء: «**اثبت حراء، إنه ليس عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد**» قلت: ومن التسعة؟ قال: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، قلت: ومن العاشر؟ فتلكأ هنية، ثم قال: أنا[٢].



(١) أخرجه مسلم (ح٢٣٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود (ح٤٦٤٨)، والترمذي (ح٣٧٥٧) وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٨٧٥).



المبحث السادس

حكم من سب الصحابة رضي الله عنهم أو أبغضهم

۞ أولًا: تعريف السب:

«**السب هو**: الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم، كاللعن والتقبيح ونحوه»[(١)]؛ لأنه «يجب أن يُرجع في الأذى والشتم إلى العرف، فما عدَّه أهل العرف سبًّا أو انتقاصًا أو عيبًا أو طعنًا ونحو ذلك، فهو من السب»[(٢)].

۞ ثانيًا: التحذير من سبِّهم:

جاء في السنة التحذير من الوقيعة في أحد الصحابة، أو سبه؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[(٣)].

قال الإمام ابن أبي العز: «فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول لخالد ونحوه: «**لا تسبوا أصحابي**»، يعني عبد الرحمن وأمثاله، لأن عبد الرحمن ونحوه هم السابقون الأولون، وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان،

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص٥٦١). (٢) المصدر السابق (ص٥٣١).

(٣) سبق تخريجه.

فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة، ومنهم خالد بن الوليد، وهؤلاء أسبق ممن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة، وسموا الطلقاء، منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية. والمقصود أنه نهى من له صحبةٌ آخرًا أن يسب من له صحبة أولًا؛ لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه. فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية، وإن كان قبل فتح مكة فكيف حالُ من ليس من الصحابة بحالٍ مع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؟!»[(١)].

۞ ثالثًا: حكم سب الصحابة رضي الله عنهم:

سب الصحابة فيه تفصيل على النحو التالي:

١- من سبهم سبًّا يقدح في عدالتهم أو دينهم، فكفَّرهم، أو كفَّر أكثرهم، أو فسَّق عامتهم، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله -عليه الصلاة والسلام- إلا نفرًا قليلًا لا يبلغون بضعة عشر نفسًا أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضًا في كفره، لأنه مكذِّب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضا عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فسّاق، وأن هذه الآية التي هي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفارًا أو فساقًا، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق»[(٢)].

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٩٢).

(٢) الصارم المسلول (ص٥٨٦-٥٨٧).

وقال الإمام تقي الدين السبكي: «سب الجميع لا شك أنه كفر، وهكذا إذا سبَّ واحدًا من الصحابة حيث هو صحابي؛ لأن ذلك استخفاف بحق الصحبة، ففيه تعرض إلى النبي ﷺ»[١].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «فإذا عرفت أن آيات القرآن تكاثرت في فضلهم، والأحاديث المتواترة بمجموعها ناصَّة على كمالهم؛ فمن اعتقد فسقهم أو فسق مجموعهم، وارتدادَهم وارتداد معظمهم عن الدين، أو اعتقد حقية سبهم وإباحته، أو سبهم مع اعتقاد حقية سبهم، أو حِلِّيته فقد كفر بالله تعالى ورسوله... ومن خص بعضهم بالسب، فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله كالخلفاء فإن اعتقد حقية سبه أو إباحته فقد كفر لتكذيبه ما ثبت قطعيًّا عن رسول الله ﷺ ومكذبه كافر، وإن سبه من غير اعتقاد حقية سبه أو إباحته فقد تفسق؛ لأن سباب المسلم فسوق، وقد حكم بعضٌ فيمن سب الشيخين بالكفر مطلقًا، وإن كان ممن لم يتواتر النقل في فضله وكماله، فالظاهر أن سابَّه فاسق إلا أن يسبه من حيث صحبته لرسول الله ﷺ، فإن ذلك كفر»[٢].

٢- من سبَّ بعضهم أو أحدهم سبًّا لا يطعن في دينهم وعدالتهم، بل لأمر دنيوي؛ فإنه يستحق التعزير والتأديب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما إن سبهم سبًّا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك، فهو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا يحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العلماء»[٣].



(١) فتاوى السبكي (٢/ ٥٧٥).

(٢) رسالة الرد على الرافضة (ص١٨-١٩).

(٣) الصارم المسلول (ص٥٨٦).



المبحث السابع

موقف أهل السنة مما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم

من أصول أهل السنة الكفُّ عما شجر بين الصحابة من خلاف، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتتلون»[(١)].

وقال ابن أبي زيد القيرواني: «ألا يُذكر أحد من صحابة الرسول ﷺ إلا بأحسن ذِكْر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويُظن بهم أحسن المذاهب»[(٢)].

وقال الإمام ابن قدامة: «ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكَفُّ عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (ص٥٩).
(٢) مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة (ص٥٦، ٦١).
(٣) لمعة الاعتقاد (ص٣٩).

سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾»[(١)]
[الحشر: ١٠٧].

وقال الحافظ ابن حجر: «واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأن المصيب يؤجر أجرين»[(٢)].

وأما ما يروى في هذا الباب فهو على ثلاثة أقسام:

الأول -وهو الغالب: كذب لا أصل له، ويشهد على كذبه نصوص الثناء عليهم ورضا الله عنهم في القرآن والسنة.

والثاني: ما له أصل، وقد زاد عليه المفترون زياداتٍ باطلةً.

والثالث: وهو ما ثبت عنهم في ذلك، فهم فيه مجتهدون معذورون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زِيد فيه ونقص، وغيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون»[(٣)].

وقد أجاب شيخ الإسلام عما يثيره الروافض في هذا الباب بجواب مفصَّل[(٤)]، وجواب مجمل ملخصه ما يلي: **أن المثالب التي تنقل عن الصحابة نوعان:**

النوع الأول: ما هو كذب، إما كذب كله، وإما محرف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرجه إلى الذم والطعن، وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب، يرويها الكذابون المعروفون بالكذب مثل: أبي مِخْنف لوط بن يحيى، وهشام بن السائب الكلبي، وأمثالهما من الكذابين الذين شهد

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٢).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٤).
(٣) العقيدة الواسطية (ص١٢٠).
(٤) انظر: منهاج السنة (٣/ ١٩) وما بعدها.

الأئمة بكذبهم، وسقوط أخبارهم.

النوع الثاني: ما هو صدق، وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها من أن تكون ذنوبًا، وتجعلها من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب. وما قُدِّر من هذه الأمور ذنبًا محققًا، فإن ذلك لا يقدح فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة، لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة، منها: التوبة، ومنها: الحسنات الماحية للذنوب؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات، ومنها: المصائب المكفِّرة[1].



(١) انظر: منهاج السنة (٣/ ١٩).



المبحث الثامن

نقد مذاهب المنحرفين في الصحابة

من الرافضة والخوارج

۞ مذهب الشيعة الرافضة:

أعظم الطوائف انحرافًا وضلالًا في الصحابة هم الرافضة الإثنا عشرية، الذين غلوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبعض أولاده، وكفَّروا جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى عدد قليل لا يبلغ عدد أصابع اليد، وأصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية.

ويعد عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة رضي الله عنهم وتبرأ منهم، وادعى أن عليًّا رضي الله عنه أمره بذلك، ويذكر القمي (وهو من شيوخ الرافضة) أن عليًّا رضي الله عنه بلغه ذلك فأمر بقتله، ثم ترك ذلك واكتفى بنفيه إلى المدائن[(١)].

ومن نصوص تكفيرهم للصحابة رضي الله عنهم ما جاء في أهم مصادرهم وهو كتاب «الكافي»: «عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جُعِلتُ فداك، ما أقلَّنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أحدِّثُك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلَّا -وأشار بيده- ثلاثة»[(٢)]، وقد علق هنا شيخهم

(١) المقالات والفرق، للقمي (ص٢٠).

(٢) أصول الكافي (٢/ ٢٤٤)، وانظر: رجال الكشِّي (ص٧)، بحار الأنوار (٢٢/ ٣٤٥).

المعاصر علي أكبر الغفاري، فقال: «يعني أشار عليه السلام بثلاث من أصابع يده، والمراد بالثلاثة: سلمان، وأبو ذر، والمقداد»[١].

وجاء في «رجال الكشي» (أهم مصدر معتمد عندهم في الرجال): «عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل الردة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي»[٢].

۞ مذهب الخوارج:

يقابل الشيعةَ الرافضةَ الخوارجُ الذين كفَّروا عليًّا رضي الله عنه ومن رضي بالتحكيم، قال الإمام الأشعري: «أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب -رضوان الله عليه- أَنْ حَكَّم»[٣].

وقال الإسفراييني: «يزعمون أن عليًّا وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضي بالحكمين كفروا كلهم»[٤]، وقال الرازي: «وهم يكفرون عثمان وعليًّا وطلحة والزبير وعائشة، ويعظمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهم»[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الخوارج ظهروا في الفتنة، وكفَّروا عثمان وعليًّا رضي الله عنهما، ومن والاهما، وباينوا المسلمين في الدار، وسمَّوا دارهم دار الهجرة»[٦].

الرد عليهم:

أُتي الخوارج من جهلهم، فهم كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: «**يأتي في آخرِ الزمانِ قومٌ حُدَثاءُ الأسنانِ، سفهاءُ الأحلامِ، يقولون من قولِ خيرِ البَرِيَّةِ، يمرُقونَ من الإسلامِ كما**

---

(١) الكافي (٢/ ٢٤٤) الهامش.
(٢) رجال الكشي (ص٦)، الكافي كتاب الروضة (١٢/ ٣٢١-٣٢٢) مع شرح جامع للمازندراني.
(٣) مقالات الإسلاميين (ص٨٦).
(٤) التبصير في الدين (ص٤٥).
(٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٤٦).
(٦) النبوات (١/ ٥٧١)، وانظر: الملل والنحل (١/ ١١٥)، الاعتصام (١/ ٢١٠).

يمرقُ السهمُ من الرَّميَّةِ، لا يجاوزُ إيمانُهم حناجرَهم، فأينما لقيتُموهم فاقتُلوهم؛ فإنَّ في قتلهم أجرًا لمن قتَلهم يومَ القيامةِ»(١).

أما الروافض فإن أصل مذهبهم في الصحابة وغيره من إحداث الزنادقة، قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أَوْلَى وهم زنادقة»(٢).

ولذلك اعترفت كتب الشيعة أن الذي وضع هذه المقالة هو ابن سبأ فقالت: إنه «أول من أظهر الطعن في أبي بكر عمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادَّعى أن عليًّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمره بذلك»(٣).

ويكفي في بطلان مذهبهم ثناء الله عليهم ورسوله ﷺ، وما كانوا عليه من الإيمان والجهاد والنصرة، فحكمهم بردة من رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن من الظواهر الواضحة على بطلان مذهب الرفض من أساسه، وأنه إنما وضع أصوله شرذمة من الزنادقة، وبطلان هذه المقالة معروف بداهة.

ومن المعلوم المقطوع به من وقائع التاريخ وأحداثه المعلومة المستفيضة حال الصحابة رضوان الله عليهم، وما كانوا عليه من الإيمان والجهاد والنصرة، وأنهم لم يؤثروا على الله شيئًا، وبلغ المكروه بهم كل مبلغ، وبذلوا النفوس في الله حتى أيَّد الله تعالى بهم نبيه، وأظهر بهم دينه، فكيف يجسر

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٦١١).

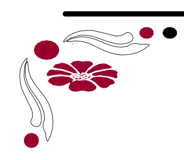
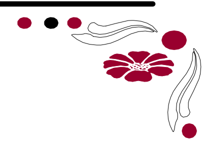
(٢) الكفاية في علم الرواية (ص٤٩)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٤٦-٤٤٧)، منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (١/ ١١).

(٣) المقالات والفرق، للقمي (ص٢٠)، فرق الشيعة، للنوبختي (ص١٩-٢٠).

على الطعن عليهم من عرف الله ساعة في عمره؟ أم كيف يجترئ على سبِّهم وانتقاصهم من يزعم أنه مسلم؟! قال أحمد الكسروي (الإيراني والشيعي الأصل): «وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي ﷺ فاجتراء منهم على الكذب والبهتان، فلقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي ﷺ آمنوا به حين كذبه الآخرون، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في سبيله، ثم ناصروه في حروبه، ولم يرغبوا عنه بأنفسهم، ثم أي نفعٍ لهم في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟! فأي الأمرين أسهل احتمالاً: أكذِب رجلٍ أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة، أو ارتداد بضع مئات من خُلَّص المسلمين؟! فأجيبونا إن كان لكم جواب»[1].



(١) التشيع والشيعة (ص٦٦).

ملخص الفصل التاسع

❊ **الصحابة لغة:** جمع صاحب وصحابي، وهو مشتق من الصحبة، وتطلق على كل من صحب غيره. **وشرعًا:** كل من لقي النبيَّ ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام.

❊ **تثبت الصحبة بأمور:** (١) التواتر. (٢) الاستفاضة أو الشهرة. (٣) بإخبار بعض الصحابة. (٤) بأخبار بعض ثقات التابعين. (٥) بإخباره عن نفسه بأنه صحابي.

❊ أثنى الله تعالى على أصحاب رسوله ﷺ في القرآن، ووصفهم بكثير من الأوصاف الفاضلة التي تدل على محبته لهم وتفضيله إياهم ورضاه عنهم، كما أثنى عليهم رسوله ﷺ في سنته، وأخبر أنهم خير القرون، ونهى عن سبهم أو الطعن فيهم، وبيّن فضلهم على من سواهم، فلو أنفق غيرهم مثل جبل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفَه.

❊ **دلت القرائن الكثيرة على فضل الصحابة، منها:** جهادهم وهجرتهم مع النبي ﷺ، ونصرتهم له، واستعماله تعالى لهم في حفظ دينه، والدعوة إليه، ونشره في المعمورة.

❊ لا يحل الطعن في الصحابة؛ لأنه في الحقيقة طعن في رسول الله ﷺ؛ وهو كذلك طعن في الكتاب والسنة، لأنهم المتلقون والناقلون لهما.

❊ **المفاضلة بين الصحابة جائزة دل عليها القرآن والسنة؛ وأفضل الصحابة:** أبو بكر ثم عمر بالإجماع، ثم عثمان ثم علي، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة

الرضوان، ثم أهل أحُدٍ، ثم بقية الصحابة.

❃ **من حقوق الصحابة:** (١) محبتهم بلا غلو أو تقصير، وموالاتهم جميعًا، وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل. (٢) الثناء عليهم. (٣) الترضي عنهم، والدعاء لهم. (٤) إثبات محبتهم لآل بيت النبي ﷺ، وبطلان ما يدعيه المفترون. (٥) الاحتجاج بما أجمعوا عليه. (٦) التمسك بسنة الخلفاء الراشدين. (٧) تقديم فهم الصحابة لكتاب الله على أفهامنا. (٨) والإيمان بما ورد من فضائلهم جملة وتفصيلًا. (٩) وإثبات خلافة الخلفاء الراشدين بحسب ترتيبهم. (١٠) الكف عما شجر بينهم، وحرمة الطعن فيهم أو سبّهم.

❃ عدالة الصحابة ثابتة معلومة، والأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة متضافرة ومستفيضة على عدالتهم جميعًا.

❃ القول بعدالة الصحابة ﭭ لا يعني عصمتهم من الذنوب، والقول بعدالتهم يستلزم الاعتقاد بأنه ليس فيهم منافق.

❃ يُعد الصديق أبو بكر أفضل الصحابة بالإجماع، وقد ظهر فضله وتفضيله على سائر الصحابة ﭭ، بأدلة الكتاب والسنة والإجماع، فهو صاحب النبي في الغار، ورفيقه في الهجرة، وهو خليفته بعد موته، وأول المبشرين بالجنة.

❃ اختلف أهل السنة هل كانت خلافة أبي بكر بالنصِّ أم بالاختيار، فقالت طائفة: إنها ثبتت بالنص، وقال آخرون: إنها ثبتت باختيار الصحابة له لفضله، ولكلٍّ أدلته. **والتحقيق:** أن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر ﭬ، وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك حامد له.

❃ فضائل عمر بن الخطاب ﭬ كثيرة، فهو المُحَدَّث المُلْهم، ثاني العشرة المبشرين بالجنة، أعز الله به الإسلام، عهد إليه الصِّدِّيق بالخلافة عند وفاته، ورضيه للمسلمين من بعده.

❃ فضائل عثمان بن عفان ﭬ كثيرة؛ فهو الحيي، ذو النورين، أحد

العشرة المبشرين بالجنة، مجهِّز جيش العسرة، وثالث الخلفاء الراشدين، باختيار المسلمين من بين ستة اختارهم عمر ليكون منهم خليفة المسلمين، هم خير أهل زمانهم حينئذٍ.

❁ فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرة؛ فهو صهر رسول الله ﷺ وابن عمه، وصاحب رايته بخيبر، أحد العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، فلم يجد الناس بعد مقتل عثمان أجدر منه بالخلافة، فهرعوا إليه معترفين بفضله.

❁ أنكرت الرافضة خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، وزعموا أن الرسول ﷺ نص على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأولاده من بعده، فهم الأئمة دون غيرهم، وهذه فِرْية لا أساس لها من الدين، وإنما تولى كِبْرها رجل من اليمن يدعى عبد الله بن سبأ اليهودي.

❁ دعوى الرافضة النص على إمامة الاثني عشر دعوى مختلقة، لم تظهر إلا بعد موت النبي ﷺ بأكثر من مائتين وستين سنة، والمنقول بالتواتر عن أهل البيت يكذب هذا ويدل على عدم النص؛ بل سائر فرق الشيعة غير الإثني عشرية يكذبها، وكلٌّ يدَّعي النص على إمامه، وكل حزب بما لديهم فرحون.

❁ أرجح الأقوال أن السابقين الأولين هم الذين أسلموا قبل الفتح، والمراد بالفتح: **صلح الحديبية**.

❁ ما من أحد من العشرة المبشرين بالجنة إلا وله من الفضائل ما أظهرت فضله على غيره؛ فطلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقى رسول الله ﷺ يوم أحد بيده حتى شلَّت. وأما الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو حواري رسول الله ﷺ. وأما عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو الكريم المبارك، من كان يحنو على أزواج النبي ﷺ بعد وفاته. وأما سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو المفدى، فداه رسول الله بأبويه. وأما أبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهو أمين هذه الأمة بشهادة النبي ﷺ. وأما سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فمن السابقين الأولين من

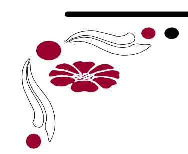
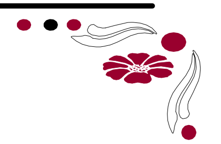
المهاجرين، والمبشر بالجنة بشهادة النبي ﷺ.

❃ يحرم على المسلم أن يسب أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فمن سب الصحابة سبًّا يقدح في عدالتهم أو دينهم، فكفَّرهم، أو كفَّر أكثرهم، أو فسَّق عامتهم، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه. ومن سبَّ بعضهم أو أحدهم سبًّا لا يطعن في دينهم وعدالتهم، بل لأمر دنيوي؛ فإنه يستحق التعزير والتأديب.

❃ من أصول أهل السنة الكف عما شجر بين الصحابة من خلاف، وأما ما يروى في هذا الباب فهو إما كذب لا أصل له، وإما له أصل، ولكن زاد عليه المفترون زيادات باطلة، وما ثبت عنهم فهم فيه مجتهدون معذورون.

❃ أعظم الطوائف انحرافًا وضلالًا في الصحابة هم الرافضة الإثنا عشرية، الذين غلوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبعض أولاده، وكفَّروا جميع أصحاب رسول الله ﷺ سوى عدد قليل منهم، ويقابلهم الخوارج الذين كفَّروا عليًّا وعثمان رضي الله عنهما، وكفروا كثيرًا من أصحاب رسول الله ﷺ، ممن خالفوهم الرأي.



أسئلة تطبيقية

س١: من خلال دراستك لمصطلح الصحابة أجب عن الآتي:

❊ عرِّف الصحابي لغة واصطلاحًا.

❊ تحدّث عن فضل الصحابة ومكانتهم، مع الاستدلال بالكتاب والسنة وأقوال السلف وقرائن الأحوال.

❊ ما هو مذهب أهل السنة والجماعة في المفاضلة بين الصحابة، مع ذكر الدليل؟

❊ اذكر الحقوق الواجبة للصحابة.

س٢: بيِّن قول أهل السنة في عدالة الصحابة، مع ذكر الأدلة.

س٣: تحدَّث عن الخلفاء الراشدين مبينًا فضلهم، وطرق انعقاد خلافتهم.

س٤: بيِّن المراد بالسابقين الأولين.

س٥: سمِّ العشرة المبشرين بالجنة مستدلًّا بشيء من مناقبهم.

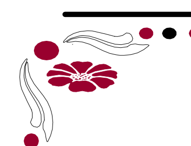
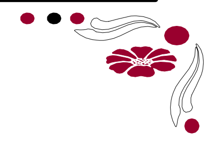
س٦: ما حكم من سبّ الصحابة رضي الله عنهم أو أبغضهم؟

س٧: اذكر بإيجاز مذاهب المنحرفين في الصحابة، مع الرد عليها إجمالًا.





فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

